الملف الوثائقي

للدكتورة

عائشة عبد الرحمن

(بنت الشاطئ)

المجلد الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

الملف الوثائقي

للدكتورة

عائشة عبد الرحمن

(بنت الشاطئ)

المجلد الثامن

مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢١/٧/١٩٨٩

بنت الشاطئ تشارك في امتحانات الدراسات العليا بالمغرب

تشارك الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) أستاذ التفسير والدراسات العليا بكلية الشريعة بجامعة القرويين في امتحانات الدراسات العليا في علوم القرآن والتفسير [illegible] بالمملكة المغربية. ومن المقرر أن تغادر الدكتورة بنت الشاطئ القاهرة إلى المغرب يوم [illegible] القادم لهذا الغرض.

الذى شغل يهود يثرب بقدر ما شغلهم ان الاسلام دخلها . وكان الظن ان يبقى محصورا في مكة بين احياء قريش وعشائرها بمزلها بددا .

ومضى عام والانصار الخزرجيون يدعون في الدعوة الى الاسلام حتى حل موسم الحج من السنة الحادية عشرة للمبعث وفي الركب اليثربي اثنا عشر رجلا من الاوس والخزرج لقوا النبى صلى الله عليه وسلم عند العقبة وبايعوه ، ورجعوا الى يثرب ومعهم الصحابى الجليل ، مصعب بن عمير بن هاشم العبدرى القرشى ، رضى الله عنه حيث امضى عاما هناك اماما للانصار يؤمهم في الصلاة ويقرئهم القران ويعلمهم الدين ..

ولتحت يثرب بالقران واستهل موسم الحج لاثنتى عشرة سنة من المبعث فخرج امام الانصار في ثلاثة وسبعين رجلا وامراتين منهم على موعد بلقاء النبي صلى الله عليه وسلم بالعقبة في ليلة دامسة من ليالى التشريق حيث كانت بيعة العقبة الكبرى ايذانا بالتحول الحاسم لحركة التاريخ بين مكة معقل الوثنية القرشية ويثرب التى كانت ولتئذ معقلا ليهود .

ولم تكن الهجرة التاريخية بذلا واحتمالا فحسب بل كانت كذلك تحركا الى موقع خطير في حالة الحرب وقد اذن الله تعالى في القتال للمؤمنين الذين اوذوا وظلموا واخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا : ربنا الله .



على ان هذه الجبهة لم تكن اخطر ولا اضرى من جبهة اخرى كانت تنتظر الاسلام في دار هجرته حيث اليهود الطارئون عليها يتربصون بالاسلام الدوائر ويشحذون لحربه اسلحتهم الخبيثة من المكر والكيد والسم والفتنة والجدل المعنت فضلا عن جبهة ثالثة من المنافقين الذين ابتلى بهم الاسلام في دار هجرته . ولقى من عنتهم وتخذيلهم اشد مما لقى من طواغيت قريش .

xxx

والتحول التاريخى لموقع المعركة لا يمكن فهمه على الوجه الشائع الذى يحسب ان الهجرة عزلت مكة عن مسرح الاحداث .

بل تظل مكة في صميم الصراع الدائر مهما يتنقل موقعه الى شمال او جنوب .

ويظل البيت العتيق مهوى افئدة المهاجرين والانصار وقبلة صلاتهم ، ومثابة حجهم ، وان تكن ابواب مكة في وجوههم موصدة .

ولم ينس المهاجرون وطنهم الاول مهد المولد ومغنى الصبا . ومثوى الاباء من قديم الزمان . ولا كان فيهم من ودعها الا وقلبه مثقل بالشجن . وكانما كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يعبر عما يجدون حين وقف ساعة خروجه للهجرة يستوعب ربوع مكة بنظرة حزينة ويقول مودعا :

« والله انك لاحب ارض الله الى الله . وانك لاحب ارض الله الى . ولولا ان اهلك اخرجونى منك ما خرجت » .

ورغم ما حفلت به الايام الاولى في دار الهجرة من مراسم الترحيب والمؤاخاة وشواغل التنظيم للمجتمع الاسلامى الجديد كانت وطاة الحنين ترهق القوم . فترهف حساسيتهم لتغير المناخ . والم كثير منهم سقم واجهتهم الحمى فكانوا يهذون بالشكوى من اشواقهم ومواجد حنينهم . ويبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم - حدثته به السيدة عائشة رضى الله عنها - فيقول :

« اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة او اشد » .

واستجاب الله تعالى لدعاء نبيه المصطفى ، فحبب اليه والى امته المدينة واهلها الانصار فكانت مركز الدعوة حتى جاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله افواجا ، وفيها الحرم النبوى ثانى الحرمين ومدرسة النبوة وقاعدة الخلافة الراشدة ، ومنطلق كتائب الفتوح الكبرى التى حملت لواء الاسلام فرفعته عاليا على اقطار دولته من اقصى المشرق الى اقصى المغرب . منارا هاديا للانسانية ودليل حضارة فائدة رائدة ، حدت مسرى البشرية في دياجى عصورها الوسطى .

« الحمد لله . وسلام على عباده الذين اصطفى » صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٣ / ٨ / ١٩٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

«أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۝»

« صدق الله العظيم »

حديث الهجرة

يذكر التاريخ ليثرب ، ان لم يكن في الدنيا غيرها دار اسلام عندما استقبلت النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق ابا بكر رضي الله عنه ، في السنة الثالثة عشرة للمبعث ، وقد سبقهما المسلمون الاولون اليها في العام الاخير قبل الهجرة التاريخية مهاجرين من مكة ام القرى ودار المبعث ، لم يبق فيها غير من حُبس او فتن .

والى ما قبل الهجرة بثلاث سنوات لم يكن ليثرب ظهور واضح على مسرح الاحداث للصراع العنيف الدائر في مكة بين الاسلام والوثنية القرشية ويثرب - في ظاهر الرؤية القريبة - مشغولة بالفتن الحالقة بين ابنيها العرب الاوس والخزرج توالت فيها بينهم حروب حاصدة لمدى خمسة قرون قبل الاسلام ، سهر فيها اليهود الطارئون على الحجاز ، على الهاب ضرامها بالدس والوقيعة والتواطؤ والتامر ، ترسيخا لوجودهم الدخيل المغتصب .

غير ان منطق الاحداث لم يكن ليدع يثرب بمعزل عما يدور في مكة ، العاصمة الدينية والاقتصادية والادبية للعرب اجمع ، ويهود يثرب يلقون السمع الى حركة التاريخ في اتجاهها الحتمي نحو يثرب التي كانت شبه مستعمرة لهم منذ طرأوا على المنطقة من ارض كنعان فرارا من وطأة الرومان الساحقة . فما لبثوا ان رسخوا وجودهم في المنطقة ، على حساب الوجود العربي لاهلها الاوس والخزرج الممزق بالعداوة والبغضاء .

دار الهجرة ، وحركة التاريخ

بقلم : د .
عائشة عبد الرحمن
(بنت الشاطىء)

في السنة العاشرة للمبعث كانت بادرة تحول وشيك في مجرى الاحداث . ففي شهر رمضان منها توفيت ، السيدة خديجة : ام المؤمنين الاولى وزوج المصطفى وسكنه ووزيره ، ومات في العام نفسه ، ابو طالب بن عبد المطلب ، عم المصطفى وكافله وناصره على قومه .

واحس صلى الله عليه وسلم من فقدهما وحشة الغربة في بيته ودار مبعثه واشتد حزنه عليهما وقد بلغت الجولة المكية ذروة تعقدها وقريش حريصة على الا تحسمها بحرب في البلد الحرام ، والمسلمون يزدادون على الاذى والاضطهاد والمقاطعة و الحصار صبرا وثباتا واحتمالا دون ان يؤذن لهم في قتال ، تمحيصا لهم وابتلاء .

ولم يكن المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى ، عام الحزن ، ـ السنة العاشرة للمبعث ـ قد خرج بدعوته من ام القرى الا ان يلقى وفود القبائل في مواسم الحج ، فيدعوهم الى الاسلام . لكن عشر سنين من الصراع الشاق بينه وبين طواغيت المشركين من قريش فرضت ان تاخذ حركة الاحداث متجها خارج نطاقها المعقد المسدود . فخرج صلى الله عليه وسلم الى الطائف غير بعيد من مكة يلتمس النصرة من ثقيف حيث لقى ثلاثة اخوة من بني عمرو عمير الثقفي هم وقتئذ سادة ثقيف فساءوا رده واغروا به سفهاءهم حتى رجع محزونا يائسا من خير ثقيف ، يدعو الله جل جلاله ضارعا :

« اللهم اليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني ام الى عدو ملكته امرى ؟ ان لم يكن بك غضب على فلا ابالي ولكن عافيتك هي اوسع لي . اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة من ان تنزل بي غضبك او يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك » .

xxx

رجع الى مكة والموسم قد استهل فمضى على عادته يعرض دعوته على وفود القبائل العربية وقومه اشد ما كانوا عليه من خلافه الا قليلا ممن امن به . وبدت الجولة في اولها كمساعيات لها مدعاة الى ياس : تنقل بدعوته بين منازل القبائل في مجتمع الحاج بمنى ، فردوه وصدوا عنه . ومن حيث بدت الابواب كلها موصدة في وجه الاسلام ظهرت ، يثرب ، على الافق شمال الحجاز تجذب اليها مجرى الاحداث من دائرته المقفلة .

بمكة : ففي العقبة لقى صلى الله عليه وسلم نفرا من الخزرج دعاهم الى الاسلام فاستجابوا له . ثم اخذوا طريقهم الى الشمال عائدين الى يثرب والاسلام معهم . كانوا ستة نفر او سبعة ، لم يكن عددهم هو

مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ٣ / ٩ / ١٩٨٩

د . بنت الشاطئ

لا أتابع الأدب النسائي المعاصر

قبيل سفرها الى المملكة المغربية حيث تشغل د . بنت الشاطئ كرسي التفسير والحديث توجهت اليها بتساؤلات عدد من الاديبات المصريات والعربيات حول تجربتها الادبية ومتابعتها للحركة الادبية النسائية المعاصرة فكانت بصراحتها المعهودة .

■ اصارحك بانني في هذه المرحلة من العمر غير متفرغة لمتابعة الحركة الادبية النسائية المعاصرة لهذا احرج من التعليق عليها .

ذكرتها بمقالتها الشهير عام ١٩٥١ في الدفاع عن المرأة « لسنا شرا من الرجال » والذى قالت فيه .

■ ، ما من شك في ان لجنسنا ـ كما ان للجنس الاخر عيوبه واخطاءه :

ثم تساءلت عن تجربة الدكتورة « عائشة » في كتابة القصة واين اصبحها

■ كتابة القصة كانت هواية لى في صباى ولم احاول تأليف قصة بل كنت اطيل التأمل في صور الحياة من حولى وكان

يلهب وجداني تعاطفي مع الطبيعة في ريف المنوفية بلد والدى وفي ريف دمياط بلدة امى ومهد مولدى وقدمت من ذلك مجموعات قصصية اذكر منها « صور من حياتهن » نالت جائزة « المجمع اللغوى » للقصة القصيرة ومجموعة « سر الشاطئ » ، [illegible] في الكتاب الذى لم [illegible] الرواية المصرية قدمت قصتى (رجعة فرعون) وكانت بمناسبة نقل المومياء « سوسنس » التى عثر عليها في صان الحجر وكانت المومياء [illegible] احتفالا بنقلها الى المتحف المصرى [illegible] « الاهرام » لشهود [illegible] المومياء لم تكد [illegible] من مكانها حتى تحللت فكانت رؤياى ان ارادة البقاء [illegible] الجثمان الالف السنين ثم لما [illegible] الروح على واقع الحياة في مصر فقدت ارادة الحياة فتحللت ومعها قصة امرأة خاطئة وهى قصة الابتلاء في ريف مصر ونشرتها معا في كتاب « وقود الشعب » واما « صور من حياتهن » فكانت تصويرا لجيل من [illegible] لحركة المرأة المصرية وهى تخرج من جدران الحريم للكفاح في معارك [illegible] والتعليم والعمل في مجالات الحياة .

سهام [illegible]

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٣ / ١٠ / ١٩٨٩

حديث المولد

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالضُّحَىٰ ① وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ③ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ④ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ⑤ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ⑥ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ⑦ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ⑧ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ⑨ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ⑩ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ⑪

صدق الله العظيم

د . بنت الشاطىء
استاذ الدراسات العليا
بكلية الشريعة جامعة القرويين

البشريات ، آيات اصطفاء ..

أكتب حديث المولد وما بي حتى انه محمول على احاديث المناسبات العابرة ، عند من يغضون من ذكريات ايامنا التاريخية الدينية التي يتجدد بها وعينا لوجود امتنا بين ماض وحاضر ، وتشهد لاعتزازنا بشرف الانتماء اليها والولاء لعقيدتنا وادراكنا لموضعها في موازين القوى .

جماهير الشعوب الاسلامية تعرف بشريات المولد ومشاهده ، راسخة في وعيها لتاريخها ووجودها فلست اذكرها بما غفلت عنه . ومتى نسينا العهد حتى نذكرا ؟ هيهات هيهات .. وانما اتجه بالحديث الى بشريات المولد ، تتجلى فيها آيات الاصطفاء وان بدت للغافلين من مبالغات الحس المشوه او من الفتن السمر ومنحولات الرواة يستجيبون بها لمواجد المحبين ووجدان الجماهير

★★★

في «مكة» ام القرى كان مولده، والجاهلية تؤذن بمغيب. والتاريخ العالم يرصد تلك الانهيار لعالم يريد ان ينقض.

وضعته امه بشرا سويا في دار ابيه عبدالله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، بجوار البيت العتيق، اقدم بيت عبد فيه الله على الارض.

ونور الفجر يبشر بصبح جديد

والدنيا تتفتح لموكب الشروق وتستقبل مع انفاس الصباح انفاس الوف الوف من بني البشر، ولدتهم امهاتهم من مختلف الاجناس وشتى البقاع في تلك الليلة المقمرة من ربيع الاول.

منهم من ولدوا في قصور مصر والشام وفارس والروم..

ومن ولدوا في مجاهل القفر ونجوع البوادي وادغال الغابات وكهوف الجبال..

تباعدت بهم الاصول والانساب،
وتفاوتت الالوان والاجناس،
وتناءت الاعراق والطبقات..
وجمعتهم بنوتهم للبشر، كلهم لآدم وحواء،
وتماثلت فيهم آية الخلق، وتشابهت مخاطر الحمل والام المخاض..

ولم ترفعهم الفطرة الانسانية الا تحقيقا لارادة البقاء وامتدادا للحياة، على مابينهم من تفاوت بعيد..

من هؤلاء المواليد الذين لايحصون عدا، عدد غير قليل ولدوا في ام القرى لبني هاشم وعشائر قريش صفوة العرب العدنانية من بني «اسماعيل ابن ابراهيم عليهما السلام» ولا يعرف تاريخ مكة انها استقبلت اى وليد منهم، بمثل ما استقبلت به بشرى مولد اليتيم الهاشمي «محمد بن عبد الله بن عبد المطلب»....

الخالق عز وجل يصطفي من عباده من يشاء، ولقد حفت بهذا الوليد الهاشمي ظروف فريدة، جعلت مكة مرحلة الوعي لبشريات مولده تتجلى فيها آيات الاصطفاء.. ثم تحرص على متابعة سير الحياة بهذا الوليد الهاشمي الى ان بلغ اشده واصطفى خاتما للنبيين عليهم السلام فاخذت البشريات موضعها الجليل في السيرة النبوية واعلام النبوة، وتجرد علماء الطبقات الاولى من عصر الصحابة وكبار التابعين لتوثيق ماوعت ذاكرة

مكة من بشريات المولد . لم تكد تلقت منها شيئا ذا بال .

الليلة من بدئها كانت مقمرة واعدة . ينيرها قمر اوشك ان يكتمل بدرا . وتؤنسها اطياف ورؤى للوالدة طوال حملها . فتعينها على تجربة المخاض . وبزغ نور الفجر وقد وضعته كما تضع كل والدة من البشر . وفاض عليها بالنور والانس والغبطة . وهي ترنو الى وليدها الغالي وتذكر به اباه الحبيب الذى اودعها اياه ثم ودعها ورحل ..

وكانت مكة حين تلقت بشرى المولد تحتفل بنجاتها من اصحاب الفيل الذين ارادوا بها كيدا فجعل الله تعالى كيدهم فى تضليل

ورات مكة فى مولد اليتيم الهاشمى ابان الاحتفال بالخلاص من اصحاب الفيل . اية تذكر بأخرى يوم هم . عبد المطلب بن هاشم . بنحر ولده عبد الله قربانا لرب الكعبة وفاء بنذر له حين اهتدى الى بئر زمزم بعد ان طمرتها رمال الزمن

ثم كان فداء عبد الله بمائة من الابل نحرت عنه هناك . واضيئت المشاعل فى ام القرى وسهرت مسامرها تسترجع ذكرى قصة الذبيح الاول . اسماعيل بن ابراهيم . عليهما السلام حين هم ابوه بذبحه طاعة وتعبدا ففداه الله بذبح عظيم بعد ذلك البلاء المبين .

انها القصة التى وعتها ذاكرة مكة من عهد اسماعيل . تتكرر فى حمى البيت العتيق الذى رفع ابراهيم القواعد منه واسماعيل وطهراه للطائفين والعاكفين والركع السجود . واسماعيل عليه السلام جد العرب العدنانية وعبدالله المفتدى . من صريح ذرية اسماعيل . صلوة

الصفوة من قريش جيرة الحرم المكي .

غير مستبعد ان يربط المكيون بين الذبيحين وان يحتفلوا بعرس عبد الله من ، امنة بنت وهب القرشية الزهرية ، اثر الفداء . فيتوقع له ذوو الحس المرهف منهم امرا جليلا كالذى كان لجده الاعلى اسماعيل بعد الفداء .

وغير مستغرب كذلك في مثل هذا المناخ الديني للبلد العتيق ، ان تهفو قلوب نساء كريمات من قريش الى عبد الله ، لم ينصرفن عنه زاهدات فيه بعد زواجه بالسيدة امنة بنت وهب ، زهرة قريش .

في ليالي العرس رات كان شعاعا من النور يشع من كيانها اللطيف فيضيء الدنيا حولها وسمعت هاتفا يبشرها بانها حملت بسيد البشر .

وحين ودعها عبد الله بعد اشهر في رحلة قريش صيفا الى الشام ، كان لها من رؤياها ما يؤنس وحشة فراق لم يدر العروسان انه فراق لا لقاء بعده في هذه الدنيا ، ولا خطر لهما على بال انها رحلة بغير ماب ..

في طريق الاياب المت بعبد الله وعكة طارئة فتخلف عن قافلة قريش ، عند اخوال ابيه بني النجار بيثرب ريثما يسترد صحته وعافيته فلم يلبث الا قليلا حتى فاجأه الموت ودفن هنالك في ثرى يثرب ، لم يقبل القضاء فيه هذه المرة اي فداء .

ولبست مكة ثوب الحداد على زين الشباب الهاشمي الذى احتفلت قبل اشهر بفدائه وعرسه ، وترملت زهرة قريش وفي كفيها خضاب العرس . وخيف عليها من وطاة الحزن حتى احست خفقة جنين في رحمها فاشرق وجهها بنور الالهام وكانها عرفت جواب طالما تساءلت عنه . عبد الله لم يفتد من الذبح عبثا ، وفي المهلة مابين فدائه وموته اودع عروسه هذا الجنين الطيب الذى يعطي حادث الفداء تفسيره ومنطقه ، ويجعل لحياتها بعد عبد الله قيمة ومعنى ..

وانستها الرؤى والهواتف حتى استكملت شهور حملها ووضعت وليدها فجر الليلة المقمرة من شهر ربيع الانور عام الفيل . فبوركت الليلة الغراء بمولده ، وخلدت على الايام نشيدا في وجدان الامة وفي سمع الزمان .

رضى الله عن امير شعرائنا إذ يشدو لجيلنا بهمزيته العصماء :

ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وثناء
الروح والملا الملائك حوله
للدين والدنيا به بشراء

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٣ / ١ / ١٩٩٠

"صديق ذهب" .. وقلمه فى يده

د . بنت الشاطىء

لم يغب عن قرائه واصدقائه فى رحلته الى امريكا للعلاج .. فقد كان معهم على البعد والقرب ، يتابعون اخباره ويدعون له بالشفاء .

وعاد من رحلته مشوقا اليهم ، فاستبشروا بوعد لقائه مع قصته (صديق ذهب) وتوقعنا نحن زملاءه الاصدقاء ان يعود الينا مع نشر الحلقة الاولى منها ، واذ كنت على وشك سفر الى الخارج ، تعجلت لقاءه صباح ظهور الحلقة الاولى ومررت بمكتبه فى الاهرام ، غير بعيد من

مكتبى بالدور السادس ، وانا اتمثله يستقبلنى طلق المحيا ، باسن الاسارير ، فراعنى ان لقيت الزميل ، الاستاذ مصطفى بهجت بدوى ، واجم الملامح فكانى سمعت نشيج قلبه وهو يحدثنى عن نقل الصديق احسان الى مستشفى القاهرة ، محمولا على طائرة حربية من اسوان حيث كان

يقضى فترة نقاهة مع اسرته ، ويحتفل بلقاء اصدقائه وقرائه ، فى قصته مع العلم الجديد .

وتوالت النشرات الطبية عن حالته الصحية ، ما بين استقرار وحرج ، حتى ذهب فى غيبوبة من الوعى ، لم يكابد ازمة احتضار بطىء ..

وكانت تحية الوداع ، هذا اللقاء مع (صديق ذهب) لعلها اخر ما انسه من رحلته الطويلة بقلمه الملهم وحسه المرهف ووجدانه الحى .

ذهب نقى الفطرة سليم الصدر ، عف القلم واليد ، عف اللسان والضمير .

من قبله ذهب صديق بعد صديق من الجيرة الزملاء يشيعهم الى العالم الاخر نبض الكلمة الامينة وايقاع القلم الحر وتلقانا اطيافهم ، على العهد بهم حيوية وسماحة ونبلا فتؤنسنا فى وحشة انتظار لايعلم مداه الا الخالق عز وجل .

« وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى ارض تموت »

صدق الله العظيم

الدكتورة بنت الشاطىء تشارك في أعمال معهد العالم العربي بباريس

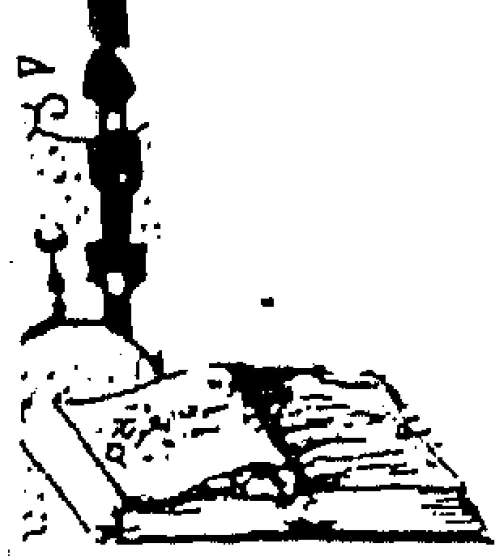
رشح معهد العالم العربي بباريس المفكرة الاسلامية الدكتورة بنت الشاطىء ضمن ٤٠ شخصية عربية واوروبية لعضوية اللجنة الاستشارية للمعهد التي بدات اجتماعاتها أمس وتستمر حتى غد السبت وتتجه الدكتورة بنت الشاطيء الى المغرب حيث تشرف على العديد من الدراسات الاسلامية بكلية الشريعة بفاس .

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٨ / ٣ / ١٩٩٠

حديث رمضان

شهرنا المعظم



بقلم :

د . بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة ـ جامعة القرويين

بسم الله الرحمن الرحيم

«شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»

صدق الله العظيم

الدين والإنسان واقع وآفاق

هل هلاله في موعده من السنة القمرية . لم تعطله كشوف العصر لكثافة جرم القمر وصخرية تضاريسه .

ولم ينسخ جديد علم الانسان بظلمة كهوفه . ايته المحكمة :

(تبارك الذى جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا .)

الأهرام
قطاع مركز الأهرام للتنظيم والمعلومات
قطاع ضبط المعلومات

التاريخ : ٢٨ / ٣ / ١٩٩٠

من دورته السنوية يعلم المسلمون عدد السنين والحساب ، ومواقيت الاحكام الشرعية المحددة بالسنين وبالشهر مفردا ومثنى وجمعا . فيكفى المسلمين فى أى زمان ومكان : فى عصر الناقة أو عصر ماريز وساليوت . فى نجوع البوادى ومنعزل القرى أو فى الحواضر والمدن ، أن يشهدوا مطالع الاهلة ومدار القمر فى منازله ما بين هلال ومحاق . ليعلموا مواقيت هذه الاحكام ، وإن أعوزتهم أجهزة رصد وتوقيت فلكى ليست بحيث تتيسر للكافة فى كل زمان ومكان ، لتضبط لهم مواقيت الاحكام بحساب الشهر والسنة ، أو الحول . فى شريعة أمة القران . ختام رسالات الله عز وجل :

(هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب)

كما يكفى الصائم فى أى زمان ومكان ، أن يرقب مراحل الضوء والظلال والظلام من يوم صيامه ، ليمسك عن الطعام حين يتبين له نور الفجر بالميسور للكافة .

(وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ..)

ومهما تختلف التقاويم للاقطار الاسلامية فى زماننا هذا . فان شعوب الامة جميعا تحتشد لرؤية هلالنا المعظم . بصرف النظر عما يقابله من التقاويم الاخرى .

وعلى الشهر القمرى مدار علمها بالسنين والحساب : (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض . منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم ..)

الاشهر الاربعة الحرم : ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم . ورابعها شهر رجب الفرد .

وتختلف منازل القمر ومطالع الاهله فى بلدان العالم الاسلامى الرحب ، ويشهد فى هذه المرحلة من تاريخنا المعاصر جدلا موسميا فى شهود الهلال : رؤية بالبصر أو رصدا فلكيا لمولده ـ فى الحاضرة الدينية الكبرى للعالم الاسلامى ـ

- العصريون يرون أن الرؤية البصرية مظهر بداوة وتخلف ، وظاهرة تفرق بين الاقطار الاسلامية . ويراها واقع التاريخ ومنطق الحكمة اية اتساع عالم الاسلام ورحابة افاق نوره ، ومصداق عموم الرسالة الخاتمة للدين . وصلاحيتها لكل زمان ومكان .

(لكل بلد رؤيته) كما فى صحيح الحديث عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . كما لكل بلد مواقيت السحور والافطار ، والصلوات المفروضة . ولا شىء من هذا مظهر تفرقة فى الدين . ونحن نتعبد بامره تعالى (ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقوله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ..)

بل تختلف المواقيت الشرعية المحلية . بمقتضى السنن الكونية الثابتة لاختلاف المشارق والمغارب . وليست ديارنا جميعا على خط الطول لمكة المكرمة .

والمواقيت الشرعية واحدة : هنا وهناك : (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) والشعائر واحدة ، والاحكام واحدة . والموسم جامع للمسلمين كافة : يصومون ، حيث كانوا ، لرؤية هلال الشهر المعظم ويفطرون لرؤية هلال شوال ، تاليه ، احتفالا بعيد الفطر المبارك .

كما يستقبلون . فى صلاتهم . المسجد الحرام حيث كانوا من شرق وغرب أو شمال وجنوب . فلا يتصور أن يكون اختلاف مواقع بلدانهم من المسجد الحرام مظهر تفرقة فى الدين . بل نتعبد بامره جل جلاله : إذ من على رسوله فشرع لأمته القبلة التى يرضاها صلوات الله عليه وسلامه . قال تعالى :

(قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ..)

ويحجون إلى البيت العتيق . ساعين إليه . من كل فج عميق . فيجمعهم الموسم فى المواقيت الشرعية لمناسك الحج الواحدة لامة واحدة ..

والمواكب الشعبية للرؤية ، فى ديار الاسلام ، ليست ظاهرة بداوة وتخلف ، ولا ينبغى ان تكون مظنة رفض للأجهزة الحديثة للرصد والتوقيت ، فامتنا من أقدم الامم عهدا بالمراصد . وقد سبقت إلى اختراع الساعة والبوصلة . ونحن فى الحواضر والمدن الاسلامية لا نجد اى حرج فى الامساك والصوم على مدافع الافطار والامساك ، مع التنبيه على مراعاة فروق التوقيت بين بلدان الاقليم الواحد ، لا بين قطر واخر من أقطار العالم الاسلامى . كما لا نتحرج من إقامة الصلوات الخمس على أذان كل صلاة ، مذاعا من محطات الاذاعة بالعواصم ، لا يفوت المذيع ان ينبه على أن التوقيت للمقيمين فى المدينة وضواحيها ، وان على المقيمين خارجها مراعاة فروق التوقيت ..

كما لا نجد حرجا فى ضبط توقيتنا المحلى على دقات (ساعة بج بن) المتفق عليها دوليا ، مع حساب الفروق بين خطوط الطول للبلدان الاسلامية المتباعدة ، وبين خط . جرينتش . جنوبى انجلترا .

وتبقى المواقيت الشرعية لعبادتنا وأحكام

الأهرام
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٨ / ٣ / ١٩٩٠

شريعتنا . مناط الضبط العام المتاح للكافة على تفاوت الديار وتنائي الزمان . وتفاوت المستوى العلمي والحضاري للمجتمعات الاسلامية ..

أقول : ليست مواكب الرؤية ظاهرة بداوة وتخلف لاعرق أمة في الحضارة . ولكنها مشاهد احتشاد لاستقباله . وابتهاج بقدومه . ولتشهد الدنيا أننا على العهد والوعد ما استطعنا . شعوب أمة واحدة لها ولاؤنا وانتماؤنا .

★★★

من أفقه العالي . يطل على عالمنا الاسلامي الرحب . فوق فواصل الحدود وموانع السدود وفوارق النظم والاوضاع وتعدد التقاويم الرسمية للاقطار الاسلامية .

وفي رحاب نوره . تتماحى الابعاد الشاسعة - فيجمعنا موسمه الكبير على بعد الديار ونأى المزار . أمة واحدة ..

وتتماحى الآماد المترامية . فيتصل نور هلاله لشهرنا هذا بمطلع الفجر ليلة القدر . بغار حراء . في جوار البيت العتيق .

وتتزايل فروق العصبيات والبيئات والطبقات . فيما نقيم من شعائر الشهر المعظم صوما وعبادة ونسكا . ورياضة موسمية على المجاهدة . وامتحانا لتقوانا وتمحيصا لانسانيتنا . يجوع الصائم والطعام ميسور له . ويظما والماء منه قريب . ويجد راحة الحرمان من مالوف رغباته والتحرر من قيود عاداته والتدريب على مقاومة شهواته المادية .

لايتقي غير خالقه . ولا رقيب عليه سوى نفسه اللوامة :

(وما لاحد عنده من نعمة تجزى . إلا ابتغاء وجه ربه الاعلى . ولسوف يرضى)

★★★

رمضان كريم .

على موعد من هلاله . تشرئب إليه قلوب المؤمنين حيثما كانوا . نورا لبصائرهم من حجب الغفلة . وتجديدا لحيوية أنفسهم وضمائرهم مما ران عليها من صدأ القسوة وغلظ الحس وأثقال المادة ودواعي القنوط

(الذين أمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله . ألا بذكر الله تطمئن القلوب)

رمضان كريم .

نستقبله هذا الموسم . وعلى الآفاق الرحبة من سنا نوره وبواكير عطائه . ملامح عالم جديد يمحق التفرقة العنصرية ويرجم الطاغوت . وينسخ غواشي المادية الالحادية . كاشفا عن عقم محاولتها جحد إنسانية الدين . ونقض نظريتها الواهية في التطور بمادية تعطل أمانة الانسان الصعبة . واستلاب ما لا يكون الانسان بدونه إنسانا .

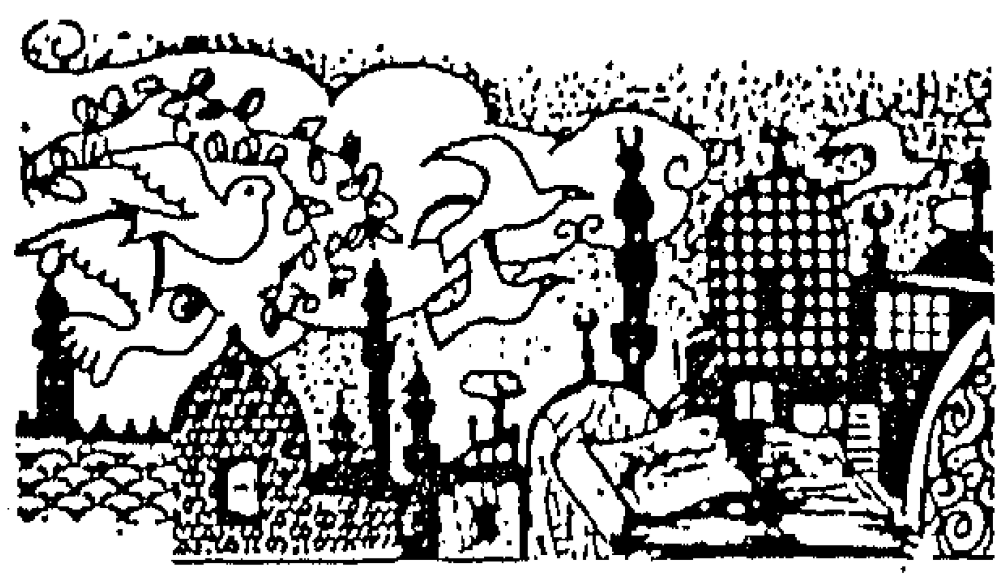
رمضان كريم .

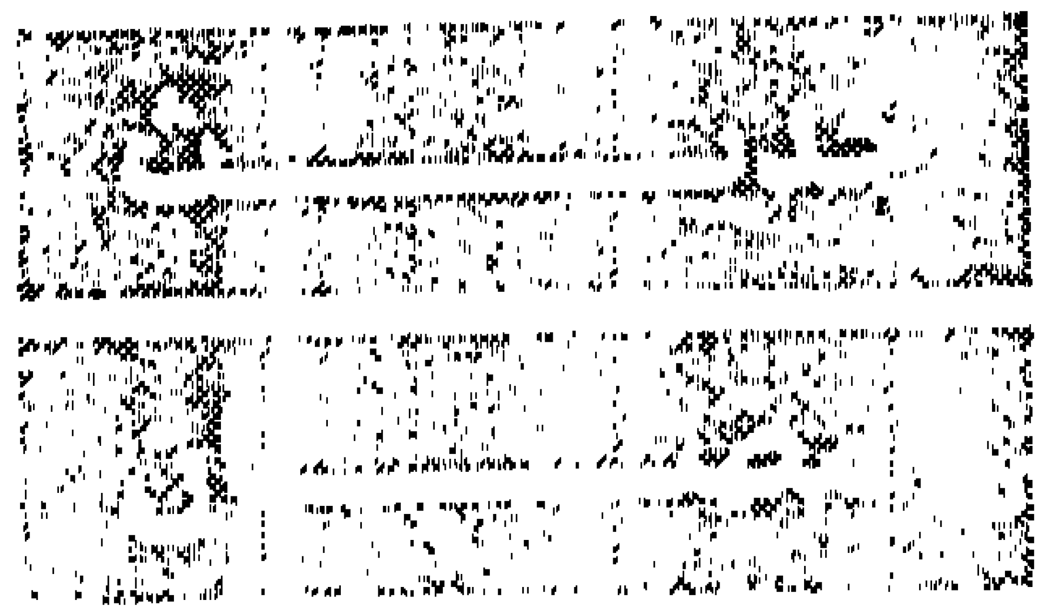
كرمه الله تعالى فاثره بنزول القران فيه . وفرض على أمة القران صيام الشهر . قاعدة من قواعد الاسلام الخمس . وشرع لنا شعائر الاحتفال به . صوما وعبادة . ونسكا ومجاهدة :

• شهر رمضان الذى أنزل فيه القران هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . فمن شهد منكم الشهر فليصمه . ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر . يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر . ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون . •

صدق الله العظيم

التاريخ : ٢٩ / ٣ / ١٩٩٠

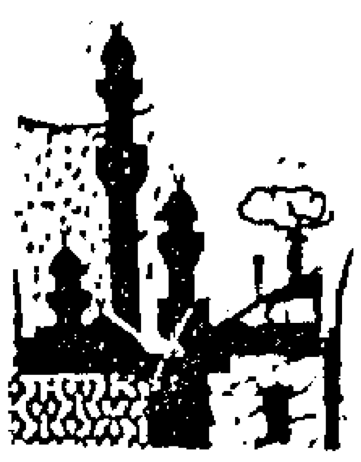




بسم الله الرحمن الرحيم

« قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ * سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ * »

صدق الله العظيم



بقلم :
د . بنت الشاطئ
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين والانسان واقع وآفاق

إن يكن الذين تهافتوا على الالحادية المادية قد بغتتهم فجاءة تداعي بنيانها والتصدع لما ظنوا أنه لن يبيد أبدا ، فمن كتاب الاسلام ، ختام رسالات الدين ، نتلو من آيات الله تعالى في ثبات السنن الالهية للكون والحياة ، اعتبارا بما مضى عليه الغابرون :

(استكبارا فى الارض ومكر السيىء ، ولايحيق المكر السيىء إلا باهله ، فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ...)

وقد شهدتهم المرحلة يظهرون فينا لاكثر من نصف قرن ، مباهين بعصريتهم التى تؤهلهم لقيادة فكرنا القومى من غياهب الرجعية ، ويحملون مشاعل التنوير للهيمنة على عقلية أبناء جيلنا وانتزاعهم من تربة أسلافهم الجهلة ، إلى منابت عصرية يتولى استنباتهم فيها مثقفون عصريون كبار .

ويعصمنا الاسلام من التطاول على مخالف لنا فى الملة والمذهب ، وليس من المنهاج الاسلامى للسلوك ، مجاهلة من يتطاولون علينا ، وإنا لنرجو أن نكون من عباد الرحمن ، الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . .

فلنرجىء النظر فى مبادىء المنهاج الاسلامى لأدب المجادلة ، إلى موضعه من سياق قضايا الموسم ، بإذنه تعالى وعونه ، وأتجه بالحديث اليوم إلى أبنائنا الذين قد يؤخذون بزخرف القول من بضاعة العصرية والتنوير ، تدق لها أجراس الدعاية وأبواق الاعلان .

★ ★ ★

هل الدين رجعية (من حفريات كهوف موغلة فى أغوار الماضى السحيق ، كما يقول ، كبير المبشرين فينا بالتنوير ؟

قبل صدمة (البرويسترويكا) كانت مقولتهم المرددة أن الدين أفيون الشعوب ، وأن الالحادية المادية وعد البشرية للافاقة من خدر الافيون .

ومضت عشرات سنين ، ورسلها المبشرون فينا بوعد الخلاص من الغيبوبة ، يتصدرون مراكز قيادية لتنوير فكرنا الرجعى المتخلف ، ولبثت أصواتهم تخرج من مراكزهم الاعلامية فيبثها الدعاة فى الديار طولا وعرضا ، تخايل الجماهير بنعيم الفردوس الضائع ، وبشرى التحرر من أوهام حياة اخرة يحاسب فيها المرء على كل أعماله وأقواله وهواجسه ، وويل للعصاة من عذاب الجحيم . .

مرت عشرات سنين دأبا ، ومقولات الحادية المادية لم تفتن جماهير المسلمين ، ولا اعتنق مذهبها سوى دعاته المثقفين المتنورين ، فكانهم إذ يبشرون بها ، يحاورون انفسهم ، وأما الجماهير فالحوار بينهم وبينها مقطوع .

ومعروف من تاريخ التعليم فى الشرق الاسلامى الكبير إلى منتصف القرن الماضى ، أن الجنود المدربة من الاستشراق التبشيرى والعلمانى ، ومن التجار الذين جاسوا خلال الديار ، أكدوا لقومهم ألا سبيل إلى غزو بلاد المسلمين واللواء الواحد يجمعها ، والمدرسة الاسلامية موحدة المنهج واللوائح والنظم والتربية والسلوك والكتب والشيوخ ، فيتعلم الطالب المشرقى فى الهند والسند وبخارى وطشقند وسمرقند ونيسابور وطبرستان ، وفى العراق وتركيا والشام والحجاز ونجد واليمن ، ما يتعلمه الطالب فى وادى النيل والشمال الافريقى والمغرب الاقصى : يبدأ بحفظ القران كتابا أول قبل أن يتصل باى كتاب أخر ، ويتعلم تجويده على متون مشتركة ، ثم يتلقى مبادىء علوم العربية والاسلام فى كتب موحدة ، بعدها ياخذ طريقه حيث توجه مواهبه وتعين ظروفه ووسائله ، فيدرس علوم التخصص فى العربية والاسلام ، أو الطب والكيمياء والصيدلة ، أو الطبيعيات والرياضيات والفلك والجغرافية ....

بعد أن تزود بثقافته القومية الموحدة فى المرحلة الاساسية ، لاتختلف فى مشرق عنها فى مغرب ..

ورحلات العلماء تعبر العالم الاسلامى بغير حدود ، والتبادل الفكرى والعلمى والتعارف الثقافى يتم على أوسع نطاق ...

و ألقى الاستعمار بكل ثقله فى معركة التمزيق السياسى والثقافى لاقطار الامة الواحدة ، وعبا له الكتائب والاسلحة المادية والمعنوية ، وانتشرت إرساليات التبشير والبعثات العلمانية تفتن من استطاعت من أبنائنا ، وتبترهم من جذور أصالتهم وترسخ فيهم عقدة الشعور بان قديمنا كله ، عقيدة ولغة وتراثا وتاريخا ، علة تخلفنا وتسهر على تخريجهم بعد ترسيخ عقدة الفرنجة فيهم ، ليكونوا فى أوطانهم وبين أهليهم وأبناء بلدهم ، أجانب غرباء ...

وكشفت معارك التحرير التى امتد ميدانها على الساحة الكبرى لوطننا الكبير ، أن ضمير الامة بقى سليما مرهف الوعى بما حملها القران من أمانة الانسان وتكاليف وجوده الحر ، رفضا للعبودية لغير خالقه ، وغضبا لحرمات لايحل أن تنتهك أو تستباح .

★ ★ ★

وجاء الاستعمار الحديث باقنعته الجديدة وأسلحته العصرية ، يشغلنا بصراع المذهبيات وترف (الايديولوجيات) ومعارض الازياء والانماط ، ومعترك النظم والاوضاع يمزقنا أحزابا وشيعا بعد أن مزقنا أقاليم وقوميات وعصبيات وثقافات .

دون أن يغفل عن الهدف غمضة عين : انتعشت الاسرائيليات فى أنماط محدثة ، وراجت فينا من بضاعتها ، بدع التاويل العصرى والالكترونى للقران تلح عليهم بمخدرات أفيون عصرى مسقط للوعى .

وحوربت اللغة العربية لانها لغة القران . ولسان الملايين من أبناء أمته وضيع تراث الاسلام وشوه تاريخ الاسلام وزيفت حضارة الاسلام ، سدا للذرائع التى تعصم الامة من فقدان مناعتها وحصانتها ، والانفصال عن جذور أصالتها ......

فلئن كان المثقفون العصريون قد توزعتهم شتى المدارس ... والثقافات طرائق قددا ، وتنازعتهم جواذب التيارات والمذهبيات بين مد وجزر ، وعن يمين ويسار ، فلولا مبعثرة متناكرة .

لقد بقيت المدرسة القرانية فى كل دار وزاوية ومسجد ، مفتوحة لافواج الاميين دون قيد أو شرط من لوائح رسمية ونظم مدرسية ، تتلو عليهم من ايات الله ما يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ....

بقى القران يتلى فى الدور والزوايا والمساجد ، وفى المجامع ومحافل الذكر فى الايام والاعياد والمواسم ، ويتلون منه فى صلواتهم وشعائر عباداتهم وفى أدعيتهم ووصاياهم ، وفى مواساتهم وتواصلهم وتراحمهم ، ما يعصمهم من الضلال فى تيه هذا الزمان :

ويشهدون الصلاة جمعا ، وينصتون إلى أئمتهم يعلمونهم سنن دينهم وسيرة نبيهم ، صلوات الله عليه وسلامه ، ويعظونهم بما يناسب الاحداث والنوازل من مواضع الاعتبار بما مضى من تاريخ الامة ، وتشدو الافاق باناشيد الذكر وشدو الشعراء ونجوى المحبين ، فترهف وجدانهم وتقاوم ما يتسلط عليهم من الاغانى الساقطة المبتذلة والترفية الماجن الرخيص ، وتعوذهم من أفانين السحرة والاعيب الحواة .

★ ★ ★

من ثم لم يتصل حوار بين جماهير شعوبنا ، وبين المثقفين العصريين دعاة التنوير المبشرين بترياق الافاقة من خدر (أفيون الشعوب)

وإذا كانت أجهزة البث الاذاعى والنشر الاعلامى قد تكفلت بان تحمل مقولات التنوير العصرى وتبثها فى الناس على أوسع نطاق ، فليست بحيث تبلغ من جماهير شعوبنا الامية مسمعا ، وليسوا من الغفلة بحيث يجور عليهم زيف عصرية من رجع الصدى لما قاله الوثنيون من قديم الزمان ، فيما نتلو من ايات كتابنا المحكم ، فى المكذبين بالدين والبعث :

(وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ، مالهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون . وإذا تتلى عليهم اياتنا بينات ماكان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بابائنا إن كنتم صادقين) .

(بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شىء عجيب أئذا متنا وكنا ترابا ، ذلك رجع بعيد .) .

....

(وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة أو حديدا ، أو خلقا مما يكبر فى صدوركم ، فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة) .

★ ★ ★

وتتغير الذرائع ، وهيهات أن تطفىء نور الله فى قلوب المؤمنين ، أو تفتنهم عن دينهم بوطاة طاغوت أو كيد ساحر ومكر دجال ودهاء محتال :

« يريدون ليطفئوا نور الله بافواهم والله متم نوره ولو كره الكافرون »

صدق الله العظيم



حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ»

بقلم :
د . بنت الشاطئ
أستاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة ـ جامعة القرويين

الدين والإنسان واقع

الإلحاد وإنسانية التدين

في عنفوان المد الجائح لتيار الإلحاد في عصرنا ، لم يخذلني اليقين بأن الرؤية الثاقبة لن تخطىء المزلق الخطر لموقف المادية الإلحادية على المنحدر من ذروة شموخها إلى هاوية السقوط . فلقد يكفي الانسان إن يسمع مقولتها في جحد الدين وتبشيرها بالعدمية ترياقا من(أفيون الشعوب) لينفر من هذا الترياق المخدر للوعي بإنسانية التدين ، المحبط لنضال الانسانية ، مذ كانت ، لمقاومة عبثية العدم .

★ ★ ★

حديث اليوم عن إنسانية الدين فى ختام رسالاته التى استصفت جوهر الدين كله و اذنت برشد الانسان و أهليته لان يحمل أمانة إنسانيته وتكاليف رشده .

من ايات الوحى الاولى تبين بوضوح أن القران رسالة إلى الانسان : خلقه الله تعالى من علق كسائر الحيوان : البهم والانعام والوحش والحشرات والديدان ، وأكرمه عز وجل بان اختصه بالتدين وكسب العلم ، والكتابة والقلم والبيان ، وما يلابس ذلك كله من فتنة الغرور ووهم الاستغناء عن خالقه ، إليه الرجعى ..

وتوالت ايات الانسان خمسا وستين اية ، تجلو ملامح الانسان ، وهدى الاستقراء الكامل إلى الدلالة القرانية لمفهوم الانسان : هو إنس ، اجتماعى بفطرته ، وهو بشر ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق وتجوز عليه أعراض البشرية ، وهو من الناس ، بعموم مطلق : كلهم لاب واحد وأم واحدة . لكنه يتميز ، فوق إنسيته وبشريته وادميته ، بالعقل والبصر والتمييز والادراك ، ثم إن الانسان هو الذى يحمل تكاليف أمانته الصعبة ، وتبعات الرشد ومسئولية الفكر والعمل والقول والحواس ، وهموم المكابدة ، واقتحام العقبة لتحقيق وجوده الانسانى ، متعرضا فى ذلك كله لتجربة الابتلاء والغواية . ويظل ما عاش كادحا إلى مصيره .. إلى ربه الرجعى والماب .

ولا سبيل إلى تحقيق وجوده الكريم الحر ، إلا بما يحمل من تكاليف عقيدته وفكره وسمعه وبصره وكلمته ، وما يتحقق له من قيم إنسانيته المعنوية ومثلها العليا الطامحة أبدا إلى ما استشرف لها الدين من الحق والخير والجمال .

والقران الكريم لا ينظر فى الانسان الى ماديته الحيوانية وضروراتها التى تقوم بها حياته كعموم جنسه الحيوان ، لاغنى له عن طعام وشراب وماوى وتناسل ، مسيرا بغريزة البقاء وحفظ النوع . ومن أجله عرف تاريخنا علم البيطرة ، وتدريب الخيل والصقور ، والحمام الزاجل ، وكلاب الصيد والحراسة .

ولكن أى مخلوق منها ، و لا غيرها ، يحمل تكاليف أمانة الانسان الصعبة ، وتبعات رشده ، ومسئولية عقله وبصره وسمعه، كل أولئك كان عنه مسئولا ..

وهذه الالحادية المحدثة ، فيم القول بعصريتها ، والالحاد قديم فى البشرية قدم عهدها برسالات الدين ؟

الكفار من قوم نوح عليه السلام ، أول رسول إلى الناس ، دعاهم إلى عبادة الله وطاعته ، فصدوا عنه ، بان جعلوا أصابعهم فى اذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ، وتواصوا بعبادة أصنامهم :

• وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ..

وأغرقهم الطوفان ، وخلفوا ميراثهم من الاوثان والاصنام قال تعالى :

• ثم أنشانا من بعدهم قرنا اخرين . فارسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون .

وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الأخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما يشربون . ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون . أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون . هيهات هيهات لما توعدون . إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ..

وهلكوا بكفرهم، فبعدا للقوم الظالمين.

قال تعالى .

• ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث ، فبعدا لقوم لايؤمنون ..

فكيف تصور دعاة التقدمية أن يجوز على الانسان عصرية الالحاد وهو قديم فى البشرية من عصر ما قبل الطوفان ؟

ذلك مالا يكون إلا باسقاط وعى الناس وتعطيل عقولهم .

* * *

الجدل فى الخالق وإنكار ما جاء به الدين عن خلق الانسان ، هو مقتضى التفسير المادى للتاريخ على ما ياتى بيانه بمشيئة الله ، فى سياقه من القضية .

الذى يعنينا هنا أن نبصر أبناءنا بما نتلو فى كتابنا قبل ظهور الماركسية ببضعة عشر قرنا .

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٣١ / ٣ / ١٩٩٠

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

صدق الله العظيم

بقلم :
د . بنت الشاطىء
أستاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة ـ جامعة القرويين

الدين والإنسان واقع وآفاق

الفراغ من العقيدة نقيض الفطرة الإنسانية

يشهد واقع التاريخ أن الإنسان لم يستطع قط، ولن يستطيع، أن يعيش في فراغ من العقيدة. إذ هي فطرة فيه وسجية. وتجريده منها، يظهر لو تحقق، يمسخه هيكلا أجوف أصم.

وكان يحدث في القرون الخالية أن تعجز الأمم المتدينة عن التجريد المطلق للألوهية. فتمثلت الخالق جل جلاله في مظاهر قدرته وآيات نعمه. ثم تخلف أجيال ينسون رمزية المعبودات. فيعبدون الرموز مع الخالق سبحانه. أو يعبدونها من دونه. وفي غواشي ليل الوثنية. لم يستطع الإنسان أن يحيا بغير عقيدة. فمضى يلتمس إلها يعبده ويتمثل فيه ما بقي في ضميره من فكرة غامضة عن الإله الذي دعا إليه الرسل عليهم السلام. من عهد نوح أول رسول إلى أهل الأرض. فعبد أسلاف لنا القمر لنوره وجماله. قبسا من النور الإلهي. في واديي النيل والرافدين كما عبد النيل للبعض عطائه وعبدت الشمس والكواكب لما يبهر عابديها من سنا ضوئها وشامخ مسبحها في أفلاكها يرتد عنها البصر كليلا حسيرا. وربما صنع صنما يعبده

(من آيات الجدل في الخالق هذا التحدى الجهير لمن جحدوا خالقهم
(أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) ؟
ثم قوله عز وجل ، بلاغا للناس كافة :
(يايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب) .

....

وفي صحيح الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول من خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ، ولينته » .
وحديث ، أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا : هذا الله خالق كل شيء ، فمن خلق الله ؟ » .
ـ الحديثان متفق عليهما ، واللفظ للامام مسلم في (باب الوسوسة ، من كتاب الايمان ..)
والوسوسة لا تكون إلا من النفس الامارة بالسوء ، أو من شياطين البشر أعاذنا الله منهم .

★ ★ ★

عندما زار ، جاجارين ، رائد الفضاء ، مصر ، لقيناه في المجلس الاعلى للثقافة بصادق الترحيب والحفاوة ، والتقدير لرحلته الباسلة ، وأذكر أنني سمعت وقتئذ أنه قال إثر هبوطه سالما إلى قاعدة الانطلاق ، إنه بحث عن الله ــ سبحانه ــ في أرجاء الفضاء فلم يعثر عليه !
فعجبت لهؤلاء القوم ، بلغوا ما بلغوا من تقدم علمي (وتكنولوجي) باهر ، ودخلوا التاريخ روادا لعصر القمر والمريخ وما بعده ، ويعجزون عن التجريد المطلق للالوهية في عقيدتنا الاسلامية وتنزيهها الخالق عز وجل عن التجسيد الذي أضل عبدة الأوثان من قديم الحقب :
وتلوت في خشوع من كلمات ربي جل جلاله :
« وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلى أبلغ الاسباب . أسباب السموات فاطلع إلى إله موسى وإني لاظنه كاذبا ، وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل ... »

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٣١ / ٣ / ١٩٩٠

قومه بالصد عنه والتمسك بأصنامهم .
(وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) وجاء الإسلام وللعرب أصنام بهذه الأسماء ، مع ما زيد عليها من أصنام الجاهلية

ولقد وصل إلينا من تراث القرن الثاني للهجرة (كتاب الأصنام) لابن الكلبي هشام بن محمد بن السائب . أبي المنذر الكوفي المتوفى سنة أربع ومائتين للهجرة . وكان من أكابر الرواة وإليه المرجع في العلم بأيام العرب وأنسابها ووقائعها . وبيوتاتها ومآثرها

في كتابه الأصنام . ذكر ضيق مكة ببني إسماعيل وخئولتهم من جرهم ثم قال

. فتفسحوا في البلاد والتماس المعاش وكان الذي سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة . أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصبابة بمكة . فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها وصبابة بالحرم وحبا له وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على إرث إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – ثم آل بهم ذلك إلى أن عبدوها ونسوا ما كانوا عليه وصاروا إلى ما دانت عليه الأمم من قبلهم واستخرجوا ما كان يعبد قوم نوح – عليه السلام – منها على إرث ما بقي فيهم من ذكرها . وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل يتنسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة ومزدلفة وإهداء البدن والإهلال بالحج والعمرة مع إدخالهم فيه ما ليس منه .

وحفظ لنا ديوان الشعر الجاهلي من تلبياتهم نصوصا شاهدة لذكرهم الله فيها يرفعون إليه الضراعة والنجوى . إما بمنطق الشرك كتلبية . نزار . عند إهلالها

لبيك اللهم لبيك
لبيك لا شريك لك
إلا شريك هو لك
تملكه وما ملك

وإما على جهة الملاذ إليه وحده وترك أصنامهم كتلبية . همدان . في الجاهلية

لبيك رب همدان   من شاحط ومن دان
جئناك نبغي الإحسان   نطوي إليك الغيطان
نأمل فضل الغفران
لبيك مع كل قبيل لبوك
همدان أبناء الملوك تدعوك
قد تركوا أصنامهم وانتابوك
فاسمع دعاء في جميع الأملوك

وجاء الإسلام وفيهم من نور الدين في أعماقهم . حتى أنهم سئلوا عن هذه الأصنام فقالوا إنما نتقرب بها إلى الله وفيهم قال عز وجل
(ألا لله الدين الخالص . والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)

وكان في عرب الجاهلية كذلك مع غلبة الشرك عليهم صابئة يعبدون الكواكب والنجوم . كملكة سبأ وقومها كانوا . يعبدون الشمس ولها عرش عظيم .
ومنهم من عبدوا القمر . فربما أخذتهم رجفة الوعي لو سئلوا عن خلق الشمس والقمر قال تعالى مخاطبا لخاتم الرسل عليهم السلام
(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله . فأنى يؤفكون . وقال عز وجل . ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر . لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون)
فإن قيل إن المتدينين منهم . يعلمون خلقوا لزمان غير زماننا . رحمت الآفاق هتاف المتدينين يذكرون أسوار الأسر المذهبي والإكراه الديني والتفرقة العنصرية . في هذا العقد الأخير من القرن العشرين
. فاعتبروا يا أولي الأبصار .

صدق الله العظيم

وفي ضمير الانسان كان يكمن قبس من نور الوعي بريبه أن تتعدد الآلهة المعبودة فأبيها الإله ، وكما رابه من أمر الأصنام لصماء البكماء أنها من صنع عابديها ، رابه كذلك أن تختفي الكواكب وتأفل النجوم وتكسف الشمس وتغرب ويخسف القمر ويغيب في المحاق

مثل هذا القبس من الوعي الخلاق الذي لا يتيح عبادة لعامة الناس ، بل ليس من شأنه كذلك أن يتيح لكثرة منهم بل يكفي أن يتوهج في بصيرة فرد منهم يمثل ضمير الانسان في أرهف حساسيته وأنقى صفائه بقدر ما تحتمل ظروف العصر وطاقة الجماعة وقد صح لابراهيم في عصر الوثنية هذا الوعي الملهم ، فمضى يتأمل في آفاق الكون حوله قلقا مرتابا يلتمس إلها يعبده غير تلك التماثيل الخرساء البكماء التي وجد أباه وقومه لها عاكفين

(وإذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين ، وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم اني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض وما أنا من المشركين)

واصطفاه الله عز وجل خليلا ورسولا ، وكان من خبره عليه السلام أن خرج بولده اسماعيل من أرض كنعان رضيعا في حضن أمه ، هاجر المصرية ، فأسكنه بمكة في جوار البيت العتيق ، ومكة وقتئذ قفر بواد غير ذي زرع وعمرت مكة بانبثاق بئر زمزم وعهد الله تعالى إلى ابراهيم واسماعيل ، أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ، وقال تعالى

(وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .
وبأمره تعالى ، كان أذان ابراهيم في الناس بالحج ، وما علمهم من مناسك الحج وشعائره

ويذكر الرواة من التاريخ الديني لمكة المكرمة ، أنها لما عمرت بنبي اسماعيل وخئولتهم من جرهم ، ضاقت عليهم فالتمسوا فسحة في البلاد ، فحملوا معهم حجارة من البيت العتيق تبركا ، فحيثما نزلوا تعبدوا إليها ثم خلف من بعدهم خلف غاب عنهم الرمز فعبدوه مع الخالق أو من دونه

وثابت من التاريخ الديني الموثق في القرآن الكريم ، أن عبادة الأصنام كانت ميراثا عتيقا من عصر ما قبل الطوفان ظلت رواسبها في الأمم والقرون حتى أواخر الجاهلية ففي سورة نوح ما كان من تواصي الكفار من

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١ / ٤ / ١٩٩٠

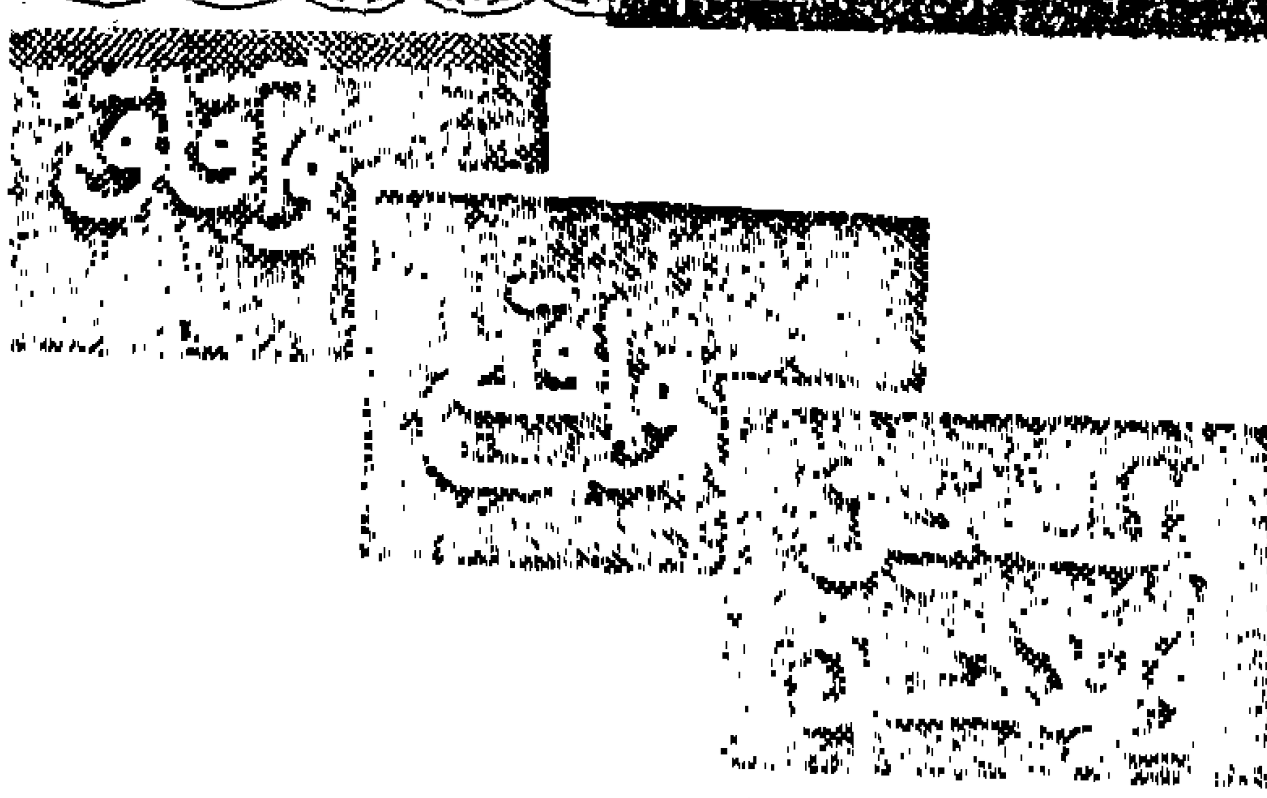
حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ * وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ *»

صدق الله العظيم

بقلم :
د . بنت الشاطئ
أستاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة ـ جامعة القرويين



العدمية المادية، عبثية متخلفة

تجاوب الأصداء

حديث الأمس كان عن جحد الدين ، أول أمرين تورطت فيهما الماركسية ، ضد طبيعة الانسان .

ثاني الامرين مما تورطت فيه ، قولها بالعدمية بمقتضى نظرية ماركس في التفسير المادي للتاريخ . وقبل أن يمضي عقد من الزمان على اعلانه البيان الشيوعي ـ المانيفستو ـ سنة ١٨٤٨م ، ظهر ، دارون ، بنظريته في أصل الانواع سنة ١٨٥٧م ، فقدم نظريته في نشوء الانواع وتطورها بالانتخاب الطبيعي ، تفسيرا بيولوجيا لما كان من اختصاص التأملات الفلسفية والغيبيات اللاهوتية ، وقال قائلون بامكان تفسير كل شيء في الكون بالمادة والقوة .

وكان على الانسان أن يتمالك رشده واتزان تفكيره ، بعد أخذة الدوار بصدمة الداروينية .

حتى ذلك الحين ، والى أوائل القرن الحالي ، كان الفكر الاسلامي بمعزل ، أو يكاد ، عن هذه المقولات المنافية للدين مما هو معلوم بالضرورة للمسلمين كافة . لا أستثنى من هذه العزلة قلة من معتنقي الماركسية ، فتنة واستهواء أو تعلقا بخلابة عصريتها فيما وهموا وزعموا . وأذكر فيما أذكر أن من شيوخي في المدرسة الاسلامية ، رضي الله عنهم ، من كان اذا سمع خبرا عن فتنة مفتون بالشيوعية الملحدة ، تعوذ بالله تعالى وتلا آية الحديد في اليوم الاخر :

(يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ، فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب)

* * *

ابان الغزو الاستعماري لفكرنا الديني ـ حصن الأمة المنيع ـ تكفلت (مدرسة المقتطف) بالتبشير بالتنوير العصري ، ومنها خرجت وليدتها (مجلة العصور) لاسماعيل مظهر تلميذ يعقوب صروف صاحب المقتطف ، وتفانى سلامة موسى وشبلي شميل في الدعوة الى التنوير العصري فاسرفا في الحط من لغتنا البدوية وأحافيرنا اللغوية وعقليتنا الغيبية الدينية وتراثها الاسطوري . فكان أن تصدت الامة لرفض هذه البضاعة التي جهرت بالطعن في لغتنا وديننا وأصالتنا ، وبشرت فينا بتنوير يسلخنا من أصولنا وينمينا الى مدارس وقوميات أجنبية ، أدعياء ملصقين . وانحصرت الدعوة الى التنوير في أنديتهم بالعواصم ، يحاور بعضهم بعضا .

وقيل فيما قيل انها فوق مستوى عقليتنا المشبعة بالغيبية الخرافية ، ولغتنا البدوية الموروثة من عصر الناقة ، في قديم الجاهلية .

في تلك الفترة ، انتعشت الاسرائيليات الماسونية ثم البهائية ، وجاس جنودها خلال ديار الاسلام يبثون تعاليمها ويشرحون منشوراتها في صياغة ظنوا أنها تدخل علينا .

وما بي هنا أن أعيد ما نشرت في كتابي (قراءة في وثائق البهائية) بل أقتصر على ما يتعلق بمقولة العدمية في صياغتها البهائية الصريحة ، تبشيرا بظهور نبيهم البهاء ، ميرزه حسين المازندراني ، الذي التقطته الصهيونية العالمية من شيراز ليخلف صنيعتها ، الباب ميرزه علي الشيرازي ، الذي لقي حتفه سنة ١٨٥٠ م ونفي أتباعه الى العراق لما شب بينهم من صراع على خلافته ، فكان أن

اختفى ، حسين المازندراني ، في مخبأ بالسليمانية فأقام فيه سنتين تولى فيهما الشيطان أمره .

كانت المهمة الموكولة اليه ثمنا لاصطفائه نبيا وتأييد ظهوره في القرن التاسع عشر الميلادي ـ بحساب الأبجد لبشريات الكتاب المقدس ـ تلاوة ما يوحون اليه من نذير بموت الخلافة العثمانية الاسلامية ، وبشرى صهيون بتحقيق الوعد الالهي ، وعودة أبناء الخليل ورثه الكليم الى أرض الميعاد .

وتأييدا لنبوته ، كان عليه أن يتلو مما أوحي اليه من انتهاء الدورة المحمدية وقيام الساعة بظهور البهاء ، نسخا للاسلام بشواهد من (الفرقان) .

من مخبئه في السليمانية ظهر بكتابه (الايقان) تأويلا بهائيا (للفرقان) بتحريف كل كلمة فيه وآية ، للتبشير بظهور بهاء الله في الوقت الذي حدده أحبار يهود القرن الماضي ، لنهاية الدورة المحمدية .

فهذه هي (قيامتهم الكبرى) لا القيامة التي فهمها علماء الفرقان ، إذ يتلونه منذ أكثر من ألف سنة وما فقهوا حرفا واحدا عن القيامة واليوم الآخر ، فتصوروا قيامة وهمية لا وجود لها ، محجوبين عن سرها الذي تجلى في وقته الموعود : بظهر بهاء الله فتقوم الساعة ويبعث موتى الاحياء من قبور غفلتهم ليوم الدين ، وويل لمن يكذبون به .. والى الآن لم يشعروا بأن جميع علامات الساعة قد ظهرت ، وشمس الموعود قد أشرقت من أفق

الظهور ، وشمس ما قبله قد كورت و أظلمت . ورغما من كل هذه الانذارات لم يدركوا المقصود من القيامة ..... ولكن ما الحيلة وهم محجوبون في لحد النفس ومدفونون في قبر الهوى متمسكين بالجمل الظلمانية والمظاهر الشيطانية) .. الايقان

ومات البهاء ، وعبده ، وورثته ، وجنده ،
(فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين)

[★ ★

الى ما بعد منتصف هذا القرن الحالى ، كانت منشوراتهم الغثة وحججهم البهية الواهية وتاويلات نظارهم (الراسخين في العلم) تبيانا لمهابط الوحي ومقاصد التنزيل تطبع في حواضر النشر الاسلامية الكبرى ، حتى أذنت المرحلة بتحول في الحركة بعد قيام ، دولة بني اسرائيل في أرض الميعاد ، فتوارت البهائية الصريحة من سنة ١٩٦٦م على التحديد ، لم تترك أى أثر في الوجدان العام الذى لم تجز عليه تاويلاتهم الفجة وتفسيرهم السقيم للفرقان ، وحقت عليهم كلمة الله عز وجل :
(وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا)

اختفت من الاسواق كيلا يرجع باحث اليها فيكتشف أنها جميعا قد سحبت لاعادة صياغتها بما يلائم عقلية المرحلة ومقاصدها ، لم يعد القصد من البهائية التى تقرر حجبها ، التبشير بيوم صهيون الموعود ، بل القصد صياغة الفكر الاسلامى المعاصر ، وتطعيمه بمخدرات تسقط وعيه وتفقده مناعته التى حصنته من سموم الغزو الفكرى للموقع الدينى .

★ ★ ★

فيما يتعلق بالعدمية ونقض عقيدة المسلمين في القيامة واليوم الاخر ، ظهر (تفسير عصرى للقران) في أعقاب هزيمة يونية المشئوم ، فقدم من كلمات القرآن في ياجوج وماجوج وذى القرنين والسد ، قصة بالغة الغرابة والتعقيد واللف والدوران ، ليقول :

[ثم تاتى العلامة الاخيرة من علامات الساعة : ذروة الغيب ، وهى ياجوج وماجوج وهى قصة غامضة كلها رموز ، البعض يقول انهم من نسل يافث بن نوح ، وهم الجنس الاصفر ، الصين وما في دربها . عاشوا في أجيال وأحقاب من الجهالة ، والامم المتقدمة من حولهم تبنى أسوارا من العلم والتصنيع .. وذو القرنين وصهر الحديد والنحاس ـ في أيات الكهف ـ كلها رموز للعلم والصناعة كانت تحجزهم وراء حاجز الجهل والتخلف حتى اذا جاء اليوم الموعود ، ونفضوا الجهل] وكانت نهاية المطاف للحياة عنده ـ في صياغتها العصرية : أن كل ما في القرآن عن اليوم الاخر على سبيل الرمز . نعيم الجنة كترانيم أفرايم ، والتخويف بعذاب الجحيم [كتخويفك ابنك بان الفيران ستاكل أسنانه اذا لم يغسل أسنانه بالفرشاة كل صباح ، وطبعا لن تاكل الفيران أسنانه .. حتى الحساب يبدو انه حساب النفس للنفس ، تعالى الله أن يحاسب غفالنا وان يعذب أمثالنا] ..

من (مسجد توسان في أريزونا بامريكا) ، أعلن مفسر سر إلكتروني اكتشافه لسر الاسرار في القرآن : العدد (تسعة عشر) عدد حروف بسملة الفاتحة ، ومعقد نظمه و دليل صدقه واعجازه . وفي سنة ١٩٨٠ تكلم الكمبيوتر من مسجد توسان ليحدد موعدا لنهاية الامة المحمدية بقيام الساعة ، بحساب الابجد الالكترونى للحروف النورانية في فواتح السور) بعده خرج كتابه (القرآن والحديث والاسلام) من توسان ، في سنة ١٩٨٢ يعلن اكتشافه لحقيقة مذهلة [وهى أن الحديث والسنة انما هى بدع شيطانية تؤيده الادلة المادية والشواهد القرانية] ـ ثم اعلن رشاد خليفة .. في الافاق أنه الخليفة الراشد ، ووزع منشوراته تبليغا بنبوته . وانتهى أمره .

وبقيت الوثائق شاهدة لما كان من ضغط على الفكر الاسلامى بهذه المقولات ، كلما نبذ صيغة منها أعيدت صياغتها من جديد .

(والله من ورائهم محيط)

صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢ / ٤ / ١٩٩٠

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ»

صدق الله العظيم

الدين والإنسان واقع وآفاق

بقلم :
د . بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة ـ جامعة القرويين

التطور المادى لخلق آدم فى صياغة قرآنية عصرية

فيما كان علماء الغرب قد انتهوا من (الداروينية) ونقضوها بجديد من البحوث التجريبية والدراسات العلمية . انطلاقا من اكتشاف هياكل آدمية وحيوانية

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات
التاريخ : ٢ / ٤ / ١٩٩٠

جاوز عمرها حساب « داروين » بملايين السنين ، مع وجود أنواع من البكتريا والقشريات والزواحف والقردة ، لم يمسسها حتى عصرنا هذا اى تطور ولا ارتقت درجة عن حالها في نشوء الأنواع وتطورها بالانتخاب الطبيعي ، وهي النظرية التي قدمت الى المادية الماركسية القول بامكان تفسير كل شيء في الكون بالمادة والقوة .

ظهر فينا [تفسير عصرى للقرآن] يقدم إلينا ونحن في اخذة الدوار بصدمة الهزيمة ـ اكتشافه خطأ وقع فيه « داروين » في نظريته ، واهتدى المفسر العصرى الى تصحيحه من القرآن الكريم .

بيان ذلك عنده :

قوله تعالى : « الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » تأويلها العصرى : [إنه هدى الى مسيرة التطور حتى بلغت ذروتها في آدم] وأضاف :

فلذا قال تعالى « خلقناكم ثم صورناكم .... ثم اكتملت الصورة بتخليق آدم فقلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فمعنى هذا أن آدم جاء عبر مراحل من التخليق والتصوير والتسوية استغرقت ملايين السنين بزماننا ، وأياما بزمن الله الأبدى » وقد خلقناكم أطوارا ، معناها أنه كانت هناك من قبل آدم صور وصنوف من الخلائق جاء آدم ذروة لها)

ثم ، في قضية الخلق ، تعرض المفسر العصرى لنظرية داروين واكتشافه الخطأ الذى وقع فيه ، [لمجرد أنه لا يرى يد الصانع الخالق المهندس وهي تهندس وتخلق] ؟ !

بيان ذلك ، بلفظ المفسر العصرى :

[إن القرآن يزودنا بما هو أكثر مما قاله العلم فيطلعنا على بعض الغيب ، على ما حدث في الملكوت في الملأ الأعلى قبل الخلق الأرضي لآدم ، فيروى لنا مرحلة سابقة لهذا الخلق في الآية .

[لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين » .

تفسيرها العصرى :

[إن ما حدث من انبثاق آدم من الماء والطين كان على مراحل تطورية في الأرض ، كان ردة وكان انتكاسا وعقابا لخطيئة سوف نفهم تفاصيلها ..

وكان العقاب هو الطرد والاهباط من الجنة والنزول إلى « أسفل سافلين » وهي هاوية التيه المادى ، الى طين المستنقعات ...

[هذه المرة إلى مجرد جرثومة في طين الأرض ، الى نقطة بدء أولى من الصفر وكان على آدم أن يخرج من هذا التيه المادى في انبثاق متدرج عبر خمسة آلاف مليون سنة كما تقول لنا علوم البيولوجيا ، وعبر مراحل وأطوار بدأت بالخلية الأولى والأميبا صعدا الى الاسفنج والرخويات والقشريات الخ الخ في رحلة قاسية وعبر صراعات دامية وأثاب الله آدم على توبته بأن هداه في رحلته الدامية وأخذ بيده خارجا من رحم الأرض ومن طين المستنقعات حتى وقف منتصبا على قدميه محاكيا آدم الأول ..]ص ٥٧

وقوله تعالى : « يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه » .

تأويله : [هناك إذن مرحلتان من خلق آدم : المثال الذى خلقه الله في أحسن تقويم ليكون الى جواره في الملكوت ، وآدم الأرضى الذى انبثق من ظلام المادة ومن رحم الأرض ومن أسفل سافلين ، حيث ألقى به مبعدا مطروحا ، وكان على آدم الأرضى أن يكافح ليحقق لنفسه التكامل الأول وأن يعود الى أحسن تقويم ؟ !)

إن كلا منا نحن ذرية آدم قد عاش هاتين المرحلتين وهي آيات كواشف تشير الى مرحلة روحية عشناها في الملكوت قبل النزول الى الأرحام ، وإلى أنه كان لنا ثمة وجود قبل الميلاد ، شأننا في ذلك شأن آدم الذى بدأ حياته في أحسن تقويم ثم أنزل إلى أسفل سافلين .) ص ٦٠

ولا تعليق ، سوى أن أقول : إن الآية « ثم رددناه أسفل سافلين » التى فسرها هذا التفسير العجيب ، مبتورة من سياقها ، وتمامها :

« إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون » صدق الله العظيم

وهذه الصياغة العصرية للداروينية ، نشرت في (تفسير عصرى) سنة ١٩٧٠ ، راج وتعاطاه الناس خاصة وعامة ، فهل كانت داروينية مجلة المقتطف ومجلة العصور فوق مستوانا كما قيل وهذه الصياغة الجديدة على قد عقولنا ؟ !!

★ ★ ★

ولننظر في عقم العدمية ، وإحباطها نضال الانسان منذ كان لاستنقاذ إرادة الحياة من عبثية العدم ، فلئن كانت حياة الانسان لا تعدو هذه الرحلة العابرة من المهد الى اللحد ، إنها لمأساة تدعو إلى القنوط وتشل في الأحياء منا إرادة البقاء .

من قديم حاولت البشرية مقاومة فكرة العدم وكأنها أدركت بفطرتها أن كل مغريات الوجود لا تكفي لحماية الانسان من رفض حياة تنتهي بهذا العبث العقيم، مدفوعة الى هذه المقاومة بغريزة البقاء أو محكومة بالسنن الثابتة التي تريد لهذه الحياة أن تستمر إلى أن يشاء الله.

أرهف الصراع، وبخاصة في العصور الخالية التي عاشتها البشرية في صراع منهك مع قوى الطبيعة العاتية وأسرار الكون الملغزة، دون أن تملك وسيلة للبقاء سوى الحرص على البقاء.

وأرهف ذلك الصراع المضني طاقة الانسان وهو يواجه المخاطر أعزل من أي سلاح، فمضى في نضاله الباسل، كلما حقق انتصارا في جولة منه، ازداد قدرة على مواصلة الكفاح بمقدار ما أضاف الى جعبته من أسلحة معنوية ومادية، وقوى تشبثه بالحياة بعد فهمه بعض ألغاز الوجود وبعض عناصر الطبيعة، فلم يعد حرصه على البقاء مجرد استجابة غريزية أو خضوع لسنة كونية فحسب، بل صار كذلك يستبشع عبثية العدم، لأنها تشل فيه إرادة البقاء، وتحمله على الكفر بجدوى الكفاح المضني، والموت يتربص به لينهي ذلك العبث العقيم بغمضة عين لا يقظة بعدها أبدا ...

الدين قديم قدم البشرية، وقد استبقى الخالق الحياة من الفناء بالطوفان، فأوحى الى نوح، أول الرسل عليهم السلام، أن يصنع الفلك ويحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهله - الا من سبق عليه القول - ومن امن، وما امن معه إلا قليل. فنجوا من الغرق، واستمرت الحياة.

★ ★ ★

مع ما طرأ على العقائد الدينية للبشرية من شوائب دخيلة ورواسب وثنية على فترات من الرسل، كان الايمان بالبعث من أعز ما حرصت عليه البشرية من ميراثها الديني، وضنت به على النسيان، وتجلى هذا الحرص في تراث الشعوب العريقة في القدم، كعقيدة البعث والحساب والحياة الآخرة الباقية، جوهر الديانة المصرية القديمة ولب حضارتها، على حين التمس إنسان وادي الرافدين القديم - الذي يشارك المصري في عراقة التمدن - أمله الغالي في تجدد الحياة الانسانية يتمثل في بعث دوري متجدد، بعد طول تامل في دورة الفصول الاربعة، حيث تتجدد الحياة كل ربيع وتنضج في الصيف بعد أن تذبل في الخريف وتموت في الشتاء.

وعبرت الملاحم الآشورية والبابلية عن توق الانسان الى الخلود أو تجدد الحياة، كما في ملحمة جلجامش وأسطورة الراعي تموز الذى منحته الآلهة خلودا دوريا مؤقتا، استجابة لشفاعة حبيبته عشتار. ثم كانت عقيدة التناسخ عند الهنود، محاولة أخرى لمقاومة عبثية العدم .. وأطال الفلاسفة الاقدمون التأمل في (الكون والفساد) فظهر القول بخلود الروح عزاء للانسان عن الحياة الدنيا الفانية.

★ ★ ★

وجاء عصر الرسالات الدينية المعروفة لنا، فأيد النضال الطويل لاستنقاذ إرادة الحياة، وجدد البشرى بحياة أخرى بعد الموت، يرتهن مصير الانسان فيها بما قدمت يداه في الحياة الدنيا ...

والبشرى مقترنة بنذير، صك سمع عبيد الدنيا من عهد ما قبل الطوفان، لكن البشرية المدينة وجدت في البشرى بيقين حياة أخرى بعد الموت، ما يغريها بمواصلة الكفاح الدائب ويقوى عزيمتها في الصراع الابدى بين الخير والشر، وما يعطى حياتها الاولى الفانية، قيمة ومعنى تستحق من أجلهما أن تعاش ..

....

★ومضت الحياة لا تتوقف، وتابع الانسان نضاله الدائب، واستراح المؤمن بالدين الى رفض فكرة العدم التي تجعل وجوده في الدنيا، عبثا عقيما ومحنة لا تطاق، كما تجعل هموم رحلته الدنيوية وتكاليفها عبئا باهظا لا يحتمل، وتلح على فكره ووجدانه بعدمية البلى ..

وعلى الأمل الموعود في اللقاء بالعالم الآخر، هان على الاحياء منا أن يودعوا أحبابهم في الثرى، وأن يطيقوا بعدهم العيش إلى أن يحين الأجل المحتوم فيلتئم الشمل الممزق، ولولا هذا الامل لكان أقسى من الموت ما يشتهى الانسان من أجله الموت.

« سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار »

صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٣ / ٤ / ١٩٩٠



حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ *»

صدق الله العظيم

بقلم :
د . بنت الشاطئ
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين والإنسان واقع وآفاق

عقم العدمية ، وجدل الانسان

يبدو أن البشرية على طول نضالها البائس للفرار من عقم العدمية ، لبثت غير مطمئنة الى محاولاتها القديمة التي التمست بها الأمل في الا يكون الموت هو النهاية الاخيرة لقصة الانسان .

وفي اعماقها كانت الحيرة تضنيها وهي تحتال بوسيلة او باخرى على الاعداد لما تعلقت به من رجاء في عودة الحياة بعد الموت . بمثل تحنيط الموتى وتزويد قبورهم بما تعلقوا به من متاع دنياهم . ونحت تماثيل للبشر الفانين تقاوم افاعيل الزمن .. تبريرا لكفاحها الشاق في رحلة الدنيا . وحماية لارادة البقاء من التعطل والشلل .

وكانت مرجوة لان تتخلص من ذلك الهم الثقيل المضنى . بما بشرتها به رسالات الدين . من أول عهدها بها . بيقين البعث . ومنحتها الامل المرجو في حياة اخرة .

لكن بقية من الارتياب والحيرة لبثت تساورها فتحرمها طمانينة القلب وراحة البال . واذا كانت قد تطلعت الى ذلك فعذرها ان الامل المرجو كان عزيزا غاليا بقدر ما كان تصور تحققه صعبا . وتوالت رسالات الدين بوعد البشرى ويقين الحساب حتى جاء الاسلام خاتما لرسالات الدين ، فاستجاب لما ظلت البشرية تلتمسه من طمانينة الى البعث . مقدرا أن الانسان من طبيعته الجدل . ومقررا حقه فيه بمقتضى مايحمل من تكاليف رشده ومسئولية عقله ومنطقه :

(وكان الانسان اكثر شيء جدلا) الانسان هنا بدلالة عامة . وقد افسح له الاسلام . دين الفطرة . العذر في حرية الجدل والنظر والكلمة . الا ان يكون الجدل مماراة فاحشة في الحق الجلي والآيات البينات . عن عناد ومكابرة . او اصرار على الجهل والضلال والتضليل .

قال تعالى خطابا لخاتم النبيين عليهم السلام

(يجادلونك في الحق بعد ماتبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون) وقال عزوجل :

(ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله . له في الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق . ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد .)

* * *

فيما يتعلق بعقم العدمية وجدل الانسان في البعث أذكر ان القران في تقديره لفطرة الانسان وتكاليف رشده ، استجاب له في موقفه واستمع الى ماكان من جدله ولو تعلق بمسالة غيبية . وله اسوة في ، ابراهيم . عليه السلام فيما نتلو من الآية البينة :

(واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) ...

ولم يجرح هذا السؤال ايمان ابراهيم ولاحرمه شرف اصطفائه خليلا نبيا

فماذا قدم كتاب الاسلام الى الانسان لكي يطمئن قلبه الى حياة اخرى تجعل لنضاله في الدنيا قيمة ومعنى ؟

او بتعبير اخر :

ماذا قدم الدين في ختام رسالته ليريح الانسان من همه الشاغل ؟

لقد اثبت كتاب الاسلام ماكان من جدل الاولين في البعث . ورد عليه بالمنطق الذى يثبته النظر الحر والبصيرة النيرة والتامل الواعي . دون ان يحتاج فيه الانسان الى ظروف خاصة او وسيلة من وسائل المعرفة الكسبية . إن اتيحت لناس في بيئة معينة او عصر خاص . فليست بحيث تتاح لكل انسان في كل زمان ومكان .

واقرب ما يلفتنا اليه كتاب الاسلام مانراه في الواقع المشهود من حياة الارض بعد موتها . وما نبصره من خروج الحي من الميت وخروج الميت من الحي . توطئة للاقناع بان الحياة بعد الموت ليست من المستحيل العقلي أو الواقعي

(ومن اياته انك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت . ان الذى أحياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير)

(يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي . وكذلك تخرجون) ......

كذلك يضع القران امام بصر الانسان وبصيرته وحسه ووجدانه ، ليطمئن قلبه الى البعث ، اية القدرة الالهية المعجزة في خلق الانسان أول مرة ، فلن يعييها ان تعيده مرة أخرى ، وذلك أهون . وتوشك الآيات القرانية في خلق الانسان ، أن تكون في الغالب الاعم موجهة الى الاستدلال بهذه النشاة الاولى ، على يسر النشاة الاخرى .

ومن هذه الآيات ، ماياتي في سياق الرد على الكافرين في عجبهم من نذير الاخرة ، وجدلهم في البعث :

(بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب . ائذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد)

قال تعالى :

(افعيينا بالخلق الاول ، بل هم في لبس من خلق جديد)

(انهم كانوا قبل ذلك مترفين . وكانوا يصرون على الحنث العظيم . وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون . او اباؤنا الاولون ...

(ولقد علمتم النشاة الاولى فلو لاتذكرون) .

....

ومنها ماياتي دفعا لحيرة الانسان فيما يشغل باله من أمر تلك الحياة الاخرة التي اكدتها رسالات الدين :

(ويقول الانسان ائذا مامت لسوف اخرج حيا . او لايذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) ؟

(فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب . انه على رجعه لقادر) .

(او لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم . قل يحييها الذى أنشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم) .

الآيات مكية ، ونظائرها كثير والخطاب فيها للناس . بعدها ، في العهد المدني نزلت الاية الصادعة :

(يايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ، ونقر في الارحام مانشاء الى اجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا ، وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج) .

بهذا المنطق يقدم البيان القراني الى الانسان ، الآيات الشاهدة على ان الذى خلقه اول مرة ، قادر على ان يعيد خلقه مرة أخرى وهو أهون .

فاذا شق على الانسان ان يتصور حياة بعد موت ، فليتامل في الكون ببصر شواهد من الواقع الحسى ، في الارض تحيا بعد موت ، وفي الكائنات الحية تخرج مما يبدو لنا هامدا جامدا ميتا .

وسبق في الحديث عن انسانية التدين ، جدل الملاحدة في الخالق ، وقوله عزوجل :

(ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون) ؟

والمثل القراني الصادع ، بلاغا للناس كافة :

(يايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب) .

صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٤ / ٤ / ١٩٩٠

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»

صدق الله العظيم

بقلم :
د . بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين والانسان واقع وآ... ق

الاضطهاد الدينى والفتح الاسلامى فى مدونات شهود عصره

لم يفتر الانسان، فى أحلك عصور الظلام ، عن مقاومة الاضطهاد الدينى ، والتفانى الباسل للانعتاق من أسر الجبابرة وكسر أغلال العبودية لغير خالقه . وحملت الاساطير الدينية للشعوب القديمة مع رواسب وثنياتها ، بقايا من ميراثها الدينى قاومت الضياع . كما وعى الواقع التاريخى للعالم القديم والوسيط والحديث ، سجلات الشهداء ضحايا الاضطهاد الدينى والاكراه المذهبى .

ولست مؤرخة ، ولكنى قارئة للتاريخ .

ولا أعلم أن تاريخ البشرية ، فى المعروف لنا منه ، شهد صراعا أضرى وأفدح وأطول ، من حروب ذلك الاضطهاد الدينى والاكراه المذهبى ، وان تعددت جولات المعركة ، وامتدت زمانا من عصر ماقبل الطوفان إلى عصر سفن القمر والمريخ .. واتسعت مكانا من سور الصين إلى مناق سيبريا وسواحل قزوين والبلطيق ، ومن أولى القبلتين إلى الامريكتين ..

يستوى في ذلك ماكان وما هو كائن . في الدول العريقة في المدنية ، وفي المناق المعزولة ومضارب البدو في الجاهلية . ولم تكن محاكم التفتيش في العصور الوسطى أشد وطأة من مؤسسات المخابرات العصرية .. ولامذابح دقلديانوس وعصر الشهداء . وفواجع الاكراه المذهبي لقبط مصر في عصر الامبراطور هرقل ودولة الرومان البيزنطية . وأخدود نجران في الجاهلية . أشد وحشية وشراسة من حرب الافيون وفاجعة هيروشيما ونجازاكي . واغتصاب فلسطين . والاسر المذهبي لشعوب عالمنا المعاصر . طولا وعرضا ..

وفي غواشي الظلمات . يلوح وهج الضمير الانساني الحي . قبسا من نور الخالق عز وجل . لاينطفيء .

الرواية الاسلامية لتاريخ فتح مصر . تبدأ من رجال عصر التدوين في القرن الثاني للهجرة . ومصادرها الموثقة معروفة لنا . أو هي بحيث لاتغيب عنا . وإذ لا أبرأ من مظنة الغلو والاقتصار على الرواية الاسلامية . أوثر الرجوع الى كتاب . الدكتور ألفرد بتلر . في فتح مصر - في ترجمته العربية لاستاذنا محمد فريد ابو حديد - وقد تفرد الدكتور بتلر بمصادر مجهولة لنا أو غائبة عنا . وجمع الى ماتقصى من مصادرنا العربية . ومصادره الاجنبية مصادر قديمة . لمؤرخين من اليونان . وبطارقة بيت المقدس أخر القرن السادس وأوائل السابع الميلادي . وكتاب مصريين . مؤرخين ورجال كنيسة . عاصروا الفتح وكانوا من شهود أحداثه .. فاجتمع للدكتور بتلر من أصول المواد التاريخية مالامطمع لمثلي في الظفر بما يقاربه فضلا عما يماثله . مع صحة المنهج واتزان الموقف ودقة النظر . فاستحق ان يعده اساتذة التاريخ والحضارة والاديان . من اهم وأوثق المرجع لتاريخ مصر والرومان عصر الفتح الاسلامي .

اقترن فتح مصر بسقوط الدولة البيزنطية . والامبراطور . هرقل . في أوج انتصاره وذروة مجده الديني والسياسي : انتصر على الفرس المجوس . وحرر بيت المقدس . واحتفل بارجاع الصليب المقدس إلى حرمه . في يوم عيد جامع مشهود . وتفرغ لتحقيق حلمه الكبير بتوحيد الكنيسة . وجمع اليعاقبة والنساطرة - حزب الخوارج وحزب الجماعة . في الترجمة العربية - على مذهب واحد . طبقا لقرار . مجمع خليقدونية بصيغة التوحيد ومبادئه .

وتزاحمت الاحداث وتدافعت المقاصد والغايات . فلا نكاد نلمح في صخب الصراع عاملا أوضح وأقوى من العامل الديني . يستقطب الاحداث والتيارات مهيمنا عليها . ويعطي تاريخنا تفسيره ومنطقه .

بعنوان (دعوة النبي محمد) - عليه الصلاة والسلام - اطال . بتلر . النظر في مقدمات الاحداث ودواعيها . وكتب ملو نقلناه من مصادرنا الاسلامية لاخذتنا صيحات دعاة العصريين تسخر بعقليتنا الغيبية وقولنا بعجائب الاتفاق ومقدور النتائج . قال : [ما أكثر عجائب التاريخ وعبره . ولكن قلما حدث فيه من العجائب ماهو أكثر عجبا مما كان في عهد الامبراطور هرقل : وقد اتفق عندما بدأ عهد ولايته . أن بدأ النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - دعوته . وقد كان مقدورا أن تكون أكبر مايصدم هرقل ويهدم مابناه في انتصاره على الفرس . واستنقاذه الصليب الاعظم من المجوس . وإرجاعه الى بيت المقدس] .

وأضاف . بتلر . [من عجيب الاتفاق . ما كان من نصر للنبي - صلى الله عليه وسلم - في السنوات الست بعد الهجرة . وانتصار هرقل في حرب ضروس مع الفرس استمرت ست سنوات . وكان النبي صلى الله عليه وسلم . راى ان قد ان الاوان ليرسل بعوثه بكتبه إلى ملوك العالم وحكامه . والامراء العرب . يدعوهم إلى الاسلام والشهادة بشهادته . ونقل . بتلر . من مصادره ماكان من ردهم على النبي . ثم قال : [وأما ماكان من أمر هرقل فلسنا ندري ماكان يدور بنفسه إذ هو خارج من مواكب الاحتفال بمقدمه إلى عاصمة ملكه بعد فتوحه في اسيا . أو عندما كان يسير

وفي ركابه الظفر يشق بلاد الشام نحو بيت المقدس حاملا معه الصليب الاعظم : اكان عند ذلك يذكر ما وقع له في معسكره منذ حين . إذ طلع عليه جماعة من فرسان البدو عليهم . دحية بن خليفة الكلبي : يحمل إليه كتاب النبي – صلى الله عليه وسلم ؟ لاشك في أن الامبراطور قد سمع بما أجاب به كسرى – شق الكتاب ومزقه وكتب إلى عاملة على إقليم حمير يامره أن ابعث إلي برأس هذا الرجل الذي في الحجاز – ولكن هرقل مع ذلك ارسل ردا حسنا وسار في سبيله لم يعكر شيء صفاءه.ولم يعر امر تلك الرسالة اهتماما . وفيما كان هرقل يسير في موكبه من الباب الذهبي بين الطرق المتعرجة قاصدا الى الكنيسة القائمة على جبل الزيتون . وفيما كان الناس حوله ينشدون أناشيد النصر . كانت سرية من ثلاثة الاف فارس أرسلها النبي – صلى الله عليه وسلم – تسير في الصحراء إلى مؤتة ... ومن ذلك الحين بدأت الحرب مع الدولة الرومانية فلم تنته حتى سنة – ١٤ هـ – وفيها سلمت القسطنطينية للاسلام ونقش اسم النبي العربي – صلى الله عليه وسلم – حيث هو اليوم على جدران كنيسة أيا صوفيا ..] .

بعدها . عودا على بدء . يؤرخ . بتلر لفتح الشام . فيبدأ [بما كان من تهاون هرقل بالاسلام والنبي – عليه الصلاة والسلام . وكان وقتئذ قد نشر الاسلام في جزيرة العرب وبلغ ظله أكناف الامبراطورية . والامبراطور لم ير في ذلك إلا ما اعتادت الدولة أن تصمد له من غارات أهل الصحراء . ولعله لو أدرك عند ذلك حقيقة الخطر لتصدى لمقاومته . ولكن قضى الله أن ذلك لايكون . فقد كان هرقل مهموما بامر البلاد بعد جلاء الفرس .. وكان فوق كل ذلك يجب ان ينفذ ما اختمر في ذهنه منذ زمن طويل من أمر الكنيسة المسيحية وتوحيد مذاهبها حتى يقوم التوحيد على الوفاق لاعلى الجبر والاضطرار ..] .

وأراد أمرا . وأراد الله غيره .

تسلط ولاة هرقل على الشعوب التي رفضت المذهب الموحد . ولم ترض به بديلا عن مذهبها .

وفتح المسلمون مدائن الشام وسار . خالد بن الوليد . من اليرموك الى بصرى ثم الى دمشق . فحاصرها حتى اسلمها لهم حاكمها سنة ٦٣٥م . على عهد ضمن سلامة اهلها ومايملكون وأبقى كنائسهم في ايديهم . وكان هرقل قبل تسليم حاضرة الشام . قد ارسل جيشا بقيادة أخيه . تيودور . اكبر عددا وعدة من جيش خالد . فانتهت المعركة الحاسمة بهزيمة عسكر الروم . وبلغ النبأ هرقل وهو بانطاكية فهزته الصدمة . وأبحر إلى القسطنطينية منكسرا مهزوما في شهر سبتمبر سنة ٦٣٦ م – ١٥ هـ – وودع الشام [وداعا أطول مدى] . وقد اضاع قواد سدى في نضال لافائدة فيه . واستنفد طاقته ثلاث سنين يريد توحيد الكنيسة عبثا .

[وظهر بجلاء أن سعيه لهذا التوحيد كان سعيا باطلا غير ممكن . وأنه لاشك جر عليه الدمار والوبال] .

* * *

فتحت الشام واتجهت الاحداث الى فلسطين ومصر .

فإلى لقاء معها غدا بمشيئة الله إذا يسر وأعان .

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٥ / ٤ / ١٩٩٠

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ »

صدق الله العظيم

بقلم :
د . بنت الشاطىء
أستاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة ـ جامعة القرويين

الدين والإنسان واقع وآفاق

الاضطهاد الدينى والفتح الاسلامى فى مدونات شهود عصره

لست مؤرخة . ولكني قارئة للتاريخ

يؤرخ . د . ألفريد بتلر لفتح مصر ـ ومصادره الاصول بين يديه . على رجاء أن يفسر منها [مالايزال العالم أجمع فى عجب منه : فماكان لاحد أن يذهب به الظن ويبعد به الخيال . إلى أنه لن تمر عشرون سنة على حكم الفرس لمصر حتى يجليهم الروم عنها . ثم يقهر الروم وتخبو نيرانهم ويمحى أثرهم على يد الكتائب الشعثاء من جنود الاسلام] .

[كانت عثرة الامبراطور هرقل . ان جاءته دعوة النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى الاسلام – وهرقل في اوج مجده وموكب انتصاره على الفرس واحتفاله باعادة الصليب الاعظم إلى بيت المقدس – فغض من الرسالة والرسول .. وبلغت رايات الاسلام أكناف الامبراطورية فتهاون بها] .. وشغل عنها بتحقيق حلمه الكبير في توحيد الكنيسة المسيحية طبقا لقرار . مجمع خلقيدونية . سنة ٦٣١م .. الذى كان سر حوادث تاريخهم جميعا . فيما سجل الواقع . وسار المسلمون الى الشام وأهلها في محنة الاكراه على المذهب البغيض . ففتحت الشام بعد معركة حاسمة بين خالد بن الوليد . رضى الله عنه . وتيودور شقيق الامبراطور هرقل الذى ابحر من . أنطاكية . إلى . القسطنطينية . مهزوما منكسرا خائر العزيمة واهن القوة . ولايزال توحيد الكنيسة شغله الشاغل وهمه الاكبر] .

وانجهت الاحداث إلى فلسطين ومصر . والافق مشحون بشائعات واقاصيص عن حركة الاسلام الظافرة . .

[إن تكن وهمية فإنها تدل على أمر واحد لاشك فيه ولا يكذبه التاريخ . وذلك انه قد شاعت نبوءة ارتجفت لها افئدة المسيحيين . وهي أن الاسلام حق وأن نصره محقق]

كان على الكنيسة المصرية . البطريق بنيامين . قائما مقام آخر بطارقة القبط في عهد الفرس – وكان بنيامين حبيبا إلى الناس لم يتساهل في أمر من الدين ولا غض الطرف عن رذيلة في الخلق – حين جاء . قيرس . معينا من هرقل لبطرقة الاسكندرية ومكلفا من الامبراطور بحمل اهل مصر على مذهبه . وسجل التاريخ . من مدونات شهود العصر :

[لم يفطن هرقل إلى أن مذهبه قد يأباه أهل مصر . ولم يعرف أنهم إذا أبوا ذلك المذهب كان شر الطرق إلى ضمهم إليه . أن يرغمهم عليه ويقذف به في حلوقهم إذا كانوا قد كرهوا مذاقه . وكان من رأى ذلك العصر أن أمور الدين والعقيدة مما ينبغي للدولة أن تقوم عليه ويصدر الناس عن أمرها فيه . ولم يكن الامبراطور هرقل في هذا الشأن أحكم رأيا من أهل عصره . فعقد النية على أن يظهر المذهب الذى صاغه رؤساء الدين الثلاثة . الشرقيون . في دولته . على كل ماعداه من المذاهب المخالفة له . متوسلا الى غرضه بكل الوسائل . حسنها وقبيحها . ولكنه كان كمن يسعى إلى المصائب سعيا . وذلك أنه اختار لمصر رجلا نحسا قاسيا أخفق في سعيه لتوحيد المذهب . فسلم أهل مصر العسف لمدة عشر سنين أمعن فيها ما استطاع في اضطهاد مذهبهم حتى استحال أن يبقى في القبط ولاء لدولة الروم . وكان ظالما في حكمه حتى كره الناس دولته . ومهد السبيل الى فتح العرب البلاد . .

[وكان خطأ فاحشا أن لم يستشر أحد البطريق القبطي بنيامين في رأى القبط فيما يراد إدخاله من البدعة عليهم . فإن المذهب الجديد كان محتوما عليه ألا يلقى في مصر نجاحا . فما هو إلا أن قدم . قيرس . الاسكندرية في خريف سنة ٦٣١م . حتى هرب منها البطريق بنيامين . وقبل أن يغادر الكنيسة خطب في جمع من القسس والرعية فحضهم على الثبات على عقيدتهم حتى يوافيهم الموت . ثم كتب الى أساقفته جميعا يأمرهم بالهجرة إلى الجبال والصحارى ليتواروا فيها حتى يرفع الله عنهم غضبه . وتوقع بعضهم . في رواية بتلر . أنهم سيلقون العسف والظلم عشر سنين ثم يرفع ذلك عنهم . .

[وخرج خفية من الاسكندرية . وتجول في الصحراء والقفار – شرقى الصعيد – حتى نزل بوادى النطرون قريبا من قوص . فاقام هناك بدير صغير في الصحراء . غير بعيد من قوص . .

وانتشرت الاديرة في نجوع الصحراء ومنعزل القرى . وجنود السلطة يلاحقونهم في مطاردة عنيفة شرسة . حيث يتعرضون لتعذيب رهيب نقل . بتلر . نماذج من أفاعيله . من (ترجمة الراهب صمويل الزاهد) كتبت في عصر الاضطهاد . وأخرى من (تاريخ البطريق القبطي اسحاق) الذى استشهد غرقا بعد تعذيب شيطاني . في سنة ٦٩٣م . لم يقهروه . بل انتصر عليهم بإيمانه وثباته على مذهبه .

ونقل من (كتاب ساويرس) : مالترجمته : [ماكان الاضطهاد إلا ليزيد المؤمنين إيمانا بدل أن يفتنهم عنه ويقضي عليه .. كانت الشدائد تتوالى على المذهب والمصائب تفتك باصحابه وظل قويا لم تلن قناته . ولكن حد ذلك البطش بلغ نفوسهم فثلمها . وجعل مدة ظلم تلك السنوات العشر وظلامها سببا في ضياع كل امل في السلام . إذ استفحل الامر واستمر مرير العداوة والكراهة لسلطان الدولة البيزنطية] .

وتساءل . بتلر . ومدونات شهود العصر بين يديه :

[وليت شعرى ماذا كان يدور بنفوس اهل مصر اذ ذاك ؟ وباى عين كانوا ينظرون الى الحركة – الاسلامية . العظيمة التى قامت في بلاد العرب فما لبثت ان قرعت بلاد الشام وهزت مدائنها هزا . وإنه لمما يشرف القبط أننا

لانجد اى دليل يبعث على الظن بانهم نظروا الى تلك الحركة نظرة الميل والرضا قبل علمهم بها . على أنهم لابد قد بلغهم ان المسلمين يتركون للمسيحيين أمور دينهم . ولعلهم توقعوا أن نصر المسلمين قد يخفف عنهم مالاقوه في السنوات العشر من الظلم الذى نزل بهم الى حضيض من الشقاء لا أمل معه . فرأوا ان مجىء المسلمين نازلة ينتقم الله لهم بها من ظالميهم . وهكذا دفع سوء الحكم خير بلاد الدولة الامبراطورية الى مازق ما اضيقه ! ولسنا نستطيع ان نعرف جناية من هذه ؟ أهى جناية هرقل وقد أطاعه المقوقس ـ قيرس ـ فيما أمر به من الشر ؟ أم هى جناية المقوقس ؟ فمن الجلى أن هرقل كان يقصد في مبدأ أمره إلى قصد نبيل . فما كان أعظم ان يخلع على الكنيسة من السلام مثل كما خلع على الدولة . ولكنه لم يعرف ثبات الناس على أديانهم وحرصهم عليها . ولم يعرف أن الدين كان متغلغلا في أعمق فجاج الدولة . وأنه إذا شاء أن ينزعه بالقوة كان في ذلك أشد الخطر على حياتها ..

[وكذلك كان اختياره لمن ينفذ أغراضه غير موفق . فقد ارسل الى مصر رجلا ليعيد السلام . وأرسل كلمة يقصد بها نشر السلام فلم يؤدها الرسول أو لم يسمع بها الناس . وأما الاضطهاد فلاشك في أنه قد وافق عليه وأقره . ولكنه قد يكون أقره بعد أن لم يجد عنه محيصا . في حين أن قيرس لجأ إلى العسف بادىء ذى بدء .. ومهما يكن من شىء فقد كان رأى الامبراطور في القضاء على اختلاف المذاهب بامر منه . رأيا مبعثه الخيال والوهم . فقد ظن أنه يستطيع تهدئة عواصف الخلاف فرأى أنه زادها شدة . ولم يستطع الصبر على الخيبة ولم يرض أن يدع الامور إلى الزمن ويلزم جانب الاعتدال . فعزم أن يسعى للسلام بخوض حرب دينية في مصر والشام . فكان بعمله هذا يمهد السبيل في القطرين لمطلع جنود الاسلام .] .

بهذه الصفحة ختم . د . بتلر . فصل (الاضطهاد الاعظم للقبط) في السنين العشر للاكراه المذهبى . مسبوقة بفتح . خالد بن الوليد . رضى الله عنه ـ لمدائن الشام .

بعدها كان مسير . عمرو بن العاص . رضى الله عنه الى مصر . وأغلب الظن ان قيرس ـ المقوقس ـ كان موقنا أن المسلمين لابد لهم أن يسيروا إلى مصر بعد أن تخلص لهم الشام . .

وفتحت مصر ـ في مستهل المحرم سنة ٢٠ هـ . بامان لاهل مصر على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصليبهم وبرهم وبحرهم . وأن على أهل مصر الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم ـ وأن على ما في كتاب الصلح عهد الله وذمة رسوله وذمم المؤمنين . .

ويرى . بتلر . [أن نص الشروط في كتاب الصلح . في الرواية الاسلامية ليس فيه خلاف عما جاء في (كتاب حنا النقيوسى) وان كان أحدهما مكملا للاخر . وختم تاريخه لفتح مصر بالفتح الثانى للاسكندرية ـ صيف سنة ٦٤٦م . وهل كان عنوة أو صلحا ؟ . وخير ماقيل في هذا الشأن ملجاء في كتاب المقريزى ـ الخطط ـ فانه اثبت الاراء المختلفة وأوضحها ايضاحا عظيما وأسند كل قول الى صاحبه . وأقوى الادلة في ذلك كله مادلت على أن الفتح كان صلحا . وأن خير مانلخص به الامر كله . أن نورد ماقاله شيخ من القدماء ـ ابن شهاب الزهرى . الحافظ الامام ـ اذ سمع رجلا يقول : انه لم يكن لمصر عهد . فرد . رضى الله عنه : قائلا : . ما يبالى أن لا يصلى من قال إنه ليس لهم عهد . .

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٦ / ٤ / ١٩٩٠

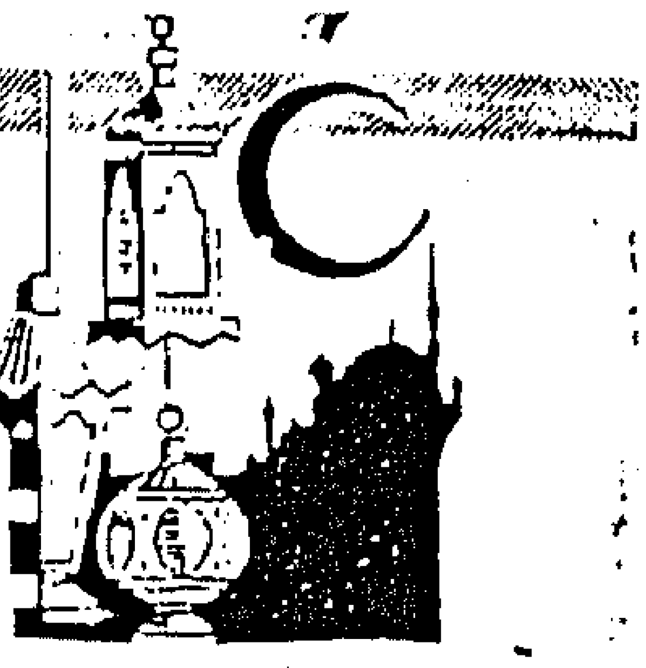
حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ * »

صدق الله العظيم

بقلم :
د . بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة ـ جامعة القرويين



الدين والانسان واقع وآفاق

عاشر رمضان ، وروح الزمان

في هذا الموسم الكبير ، أعيد قراءة كتاب ـ الدكتور ألفريد بتلر . في فتح العرب الاسلامي لمصر ، وقد ترجمه أستاذنا المؤرخ الاديب . محمد فريد ابو حديد . منذ أكثر من نصف قرن . وجد على حياتنا وحياة العالم أجمع من الاحداث والنوازل ما جد . فلو أن لي أن أضيف الى عنوان الكتاب في رؤيتي الجديدة . جملة شارحة لموضوعه ومادته وغايته . لكانت التفسير الديني لفتح مصر

وقد سبق في حديث الامس ومقبله . مايشهد لظهور العامل الديني في توجيه الاحداث ومسار الوقائع . يستقطب سائر العوامل الاخرى اقتصادية واجتماعية وثقافية . في تفاعل مؤثر . مهيمنا عليها . فيعطي التاريخ تفسيره ومنطقه .

حديث اليوم يتعلق بما أشرت اليه أمس ومقبله : من وفرة أصوله ومراجعه العربية الاسلامية . والغربية الحديثة . والقبطية والسريانية واليونانية لمؤرخين عاصروا حركة الفتح فكانوا شهود عصرها شق على مثل ان جاءت نقول الكتاب من هذه المصادر بالتقويم الميلادي - الروماني . كما جاءت بهذا التقويم الاحداث الكبرى لحركة الفتح ومقدماته وأوائله . ونتائجه وأواخره . وقد سجل قائمة بها بين يدى الكتاب . بتواريخها الميلادية . واذ لانعرف لاحداث الفتح وتاريخ مصر الاسلامية ـ وسائر تاريخها وأعلام رجالها وأعيان مؤرخيها . حتى القرن الماضي ـ غير التاريخ الهجرى اجهدني حقا مالا غنى عنه من مقابلة الاحداث والاعلام عند بتلر . على الرواية العربية في مصادرنا الاسلامية

وذكرت أننا نتداعى اليوم إلى توحيد رؤية الهلال ونختلف على رؤيته بالمواقيت الشرعية . مع واقع اختلاف التقاويم المعمول بها في بلدان الوطن العربي والعالم الاسلامي . ولعلها مختلفة كذلك في أقطار المجالس المتحدة والمؤسسات والمنظمات العربية . وليس هذا بعجيب من مفارقات المرحلة مما حارت البرية فيه .

ولقد التمست للدكتور بتلر من العذر مالا وجه لالتماسه لمن لم يتحرجوا من تحريف التاريخ لما يدرسون من تاريخ وطننا وأمتنا بالتقويم الرومي الميلادي . وهو في مصادرهم للتاريخ الديني والسياسي . والادبي ـ بالتقويم الهجرى فيخرج . إلينا عقيما أصم . أبعد مايكون عما نعلم ونحفظ ونعي من تاريخنا الى مطلع العصر الحديث . مسلوبا كذلك من روح الزمان التي تعطي الاحداث في فكرنا ووجداننا . نبضها الحي وأبعادها المترامية .

ويحضرني من واقع تاريخنا المعاصر . يوم عاشر رمضان . لا أقحمه هنا بعشوائية المصادفة فذلك ليس من منهاج مدرستنا الاسلامية . بل ذاك دأبي في حديث رمضان منذ عشر سنين . لم يمر بي اليوم العاشر منه الا كان الحديث له وعنه . أتساءل كلما استقبلنا ذكرى النصر فيه . سنة بعد أخرى . عن وجه استبدالنا باليوم المشهود . بديلا أصم الدلالة أخرس الايحاء ؟

وقلت وأقول ان النصر مؤرخ في وجداني ووعيي باليوم العاشر من رمضان . واوقن أنه كذلك في ضمير الامة ووجدان الشعب . فنحن على موعد من ذكراه كلما استقبلنا هذا اليوم المشهود . من الشهر المعظم .

ويمر بي اليوم السادس من أكتوبر كل عام فلا أحفل به . ولولا مايصل الى سمعي من أصداء الاحتفال الرسمي في سادس أكتوبر باعياد النصر . لما خطر على بالي انه وافق يوم انتصارنا في العاشر من شهر رمضان .

ولم أدر . ولا أدري . كيف ولم ومتى . بدأ هذا التحول الذي استبدل سادس أكتوبر بالعاشر من رمضان ؟

الذي أدريه أننا بهذا البديل . نصرف النظر عن لواء المعركة الظافرة . ونخطيء فهم منطقها وواقعها ومغزاها . ونغفل عن موازين القوى التي قررت مصيرها في يوم النصر . وفي ايام أخر مشهودات . قبله وبعده .

قبل ذلك اليوم الاغر بست سنين . كان يوم سادس يونية المشئوم . لاتذكر الامة أى يوم وافقه من تقويمنا الاسلامي بالهجرة النبوية .

ولم تعرف له لواء . بل سيق جندنا الى سينا في رحلة موت . مثلما سيق جند الاردن والشام الى مصارعهم في البحر الميت وعلى سفوح الجولان بالوية شتى متنافرة . لمراكز سلطة متضاغنة . ومذاهب وأحزاب متناكرة (كل حزب بما لديهم فرحون)

واختلطت صيحات الاستنفار في نشاز قبيح منكر . التبس فيه أمرنا على عالم اليوم لايدرى لمن كانت التلبية . ولم كانت التعبئة وصيحات استنفار مالبثت أن أخرسها أزيز طائرات العدو . وحصدتهم قذائفها حصدا .. وتمزقت أشلاؤهم وتركت بالعراء طعاما لسباع الطير ووحش الفلاة وهوام الارض . !

وطال علينا الليل ست سنين كأنها دهر . وغلب على ظن الدنيا أن أرواحنا صدئت بما تراكم عليها من قهر . وأن وعينا عطله مانتعاطى من مخدرات ومنومات . والعدو يعربد منتشيا بما انتهك من حرماتنا . ويرسخ قواعده فيما اغتصب من ديارنا . بوطاة قرصان وخيلاء قاهر ..

حتى كان ذلك اليوم الاغر الذى هز العالم كله بنبا اقتحام جيشنا معاقل عدو زعم أنه لايغلب !

جنودنا البواسل عبروا مخاض الهزيمة والاحباط . ودكوا سد الطاغوت . ورفعوا راية الكنانة المنصورة على ساحة سيناء مكبرين مهللين لبيك اللهم لبيك ..

وعلى الساحة التى طهروها من رجس الغزو وعار الاغتصاب خروا ساجدين .

وتناولوا وجبة الإفطار بعد امساك ست سنين مؤرقة بثأر الضحايا

ومعهم كان اخوة لهم من الجند المغاربة والمشارقة . قد ودعوا اهليهم وديارهم . وزحفوا الى الجبهة يقاتلون فى سبيل الله صفا واحدا بلواء واحد .

وسهرت الدنيا مع ملايين المسلمين فى كل جامع ومسجد وزاوية بديار الاسلام " ينشدون دعاء الفتح

● الله أكبر الله أكبر الله أكبر
لا إله إلا الله وحده
صدق وعده . ونصر عبده .
وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده)
لله تعالى كانت التلبية

وباسمه عز وجل . كانت التعبئة والاحتشاد

من اجل هذا . تساءلت وأتساءل منذ حجبوا عاشر رمضان كيف . ولم . ومتى . كان التحول بذكرى النصر واستبدال سادس أكتوبر بالعاشر من رمضان ؟

هذا البديل معزول عن وجدان الشعب وضمير الامة . مقطوع الصلة بمنطق النصر فى يومه الاغر من شهرنا المعظم . ومن تاريخنا الاسلامى بوجه عام .

كررت التساؤل فى كل موسم ولم أسمع جوابا ولا ردا .

وماكان للتساؤل وجه . لو أن هذا البديل الاصم ظهر فينا تلقائيا عقب يوم النصر . فنحمله على المجاراة لما أخذنا به فى تاريخنا الحديث من العمل بتقويم الفرنجة

ولا كان مظنة أن نستريب فيه . لو أن الدولة كاشفت الشعب بدواعى العدول عن عاشر رمضان إلى سادس أكتوبر . ولو بظاهر العذر بالمفروض علينا من مسايرة التقويم المعمول به فى عالم اليوم الذى نحظى فيه بعضوية المؤسسات الدولية

الذى رابنى من أمر هذا البديل العقيم . أنه لم يجىء عفويا تلقائيا يوم النصر . بل تسرب الينا على غفلة منا لم يصدر به مرسوم جمهورى أو قرار وزارى فيما أعلم . قصارى علمى أننا مضينا لسنتين أو ثلاث نحتفل بعيد النصر فى يومه الشرعى عاشر رمضان . واختطت الدولة مدينة عاشر رمضان شرقى القاهرة وأطلقت اسمه . تيمنا به . على الباخرة النيلية عاشر رمضان ...

ثم بدأ يحتجب بالتدريج ويتوارى شيئا فشيئا ليفسح موضعا لسادس أكتوبر الذى طرأ علينا فيما يشبه التسلل الحذر . والترقب لما يحتمل من وقع هذا البديل الطارىء الذى مالبث أن هيمن على ذكرى النصر . من حيث لاندرى متى . وكيف . ولم ؟

اختط العهد مدينة سادس أكتوبر جنوبى العاصمة . وأقام كوبرى سادس أكتوبر فى قلب العاصمة . وأخرج مجلة سادس أكتوبر دورية شهرية ..

وسنة بعد سنة . توالت مواكب الاحتفال الرسمى بعيد النصر فى سادس اكتوبر . تقام باسمه المهرجانات والمعارض وتعطل دور العلم والعمل . وتعبأ أجهزة الاعلام مرئية ومسموعة ومقروءة لترسخ هذا البديل الطارىء والالحاح على صرفنا اليه والتمكين له منا

فهل هى جاذبية التقويم المستورد؟ أو ظاهرة عصرية . تنمينا الى تقويم بأباطرة الرومان والهتها الوثنية ؟

لست على بينة من الامر فحسبى أن أتلو من كلمات ربى

(أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير)؟

صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٧ / ٤ / ١٩٩٠

حديث رمضان

بقلم :
د . بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين والإنسان واقع وآفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

« عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ »

صدق الله العظيم

هدية مصرية قبل الفتح ، إلى النبى عليه الصلاة والسلام

الزمان : السنتان السادسة والسابعة للهجرة .

المكان : بين دار الهجرة ومصر فى السنة السادسة ، كان صلح الحديبية على الهدنة بين النبى صلى الله عليه وسلم والمشركين من قريش وصفه الله تعالى بالفتح المبين ، فى سورة الفتح التى بشرت المؤمنين بدخول المسجد الحرام آمنين محرمين لا يخافون ، وقد صدتهم قريش فى تلك السنة ، عن البيت العتيق الذى خرجوا ساعين اليه للعمرة لا يريدون قتالا .

فى فترة الهدنة ، السنة الاولى منها ، رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم ولواء الاسلام يوشك أن يجمع كل قبائل العرب أمة واحدة ، أن يبلغ الدعوة ملوك الوقت والأمراء ، وخرجت كتبه مع رسله اليهم ، يدعوهم فيها الى الاسلام ، ومصر وقتئذ تحت حكم الروم فى عهد « الامبراطور هرقل » وعلى مصر نائبه « المقوقس » .

★ ★ ★

وكانت . مارية . هناك شابة مليحة نبيلة ، ولدت في . حفن . قرية عتيقة ـ من كورة . انصنا . بصعيد مصر ، على الضفة الشرقية للنيل تجاه الاشمونين ـ لاب قبطي وأم مسيحية رومية .

وأمضت بها حداثتها الاولى قبل ان تنتقل في مطلع شبابها الباكر ، مع أختها . سيرين . الى قصر الحاكم بالاسكندرية ، قاعدة الحكم ومقر الكنيسة الكبرى . وقد سمعت هناك ، نبأ ظهور نبي في بلاد العرب ، يدعو الى دين سماوي جديد . وكانت هي وأختها بالقصر حين وفد . حاطب بن أبي بلتعة . ـ رضي الله عنه ـ بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى المقوقس . وأذن له في المثول في حضرته وأكرم وفادته وترجمت الرسالة :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

من محمد بن عبدالله الى المقوقس عظيم القبط : سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فإني أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك اثم القبط : . يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون)

وتحدث . المقوقس . مع حاطب طويلا ، فسأله عن صفة النبي وما يدعو اليه . ثم فكر مليا قبل أن يصارح حاطبا بأن القبط لا تطاوعه في دينها .

وضن بملكه ، وأملى رده على كتاب النبي صلى الله عليه وسلم :

[.. أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما فيه ، وكنت أعلم ان نبيا قد بقي ، وكنت أظن انه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وهدية كسوة ومطية لتركبها والسلام عليك]

ودفع الكتاب الى حاطب معتذرا بما يعلم من شدة تمسك القبط بدينهم ، وموصيا اياه بأن يكتم عنهم ما كان من محاورة بينهما .

★ ★ ★

وانطلق . حاطب . رضي الله عنه عائدا الى المدينة المنورة ، ومارية وسيرين معه ، قد أوحشهما فراق الوطن الحبيب ، حتى اذا غابت عنهما آخر معالمه ، ألقتا نظرة أسى على الافق تجاهه . ولم يغب عن . حاطب . ما يشجيهما فأقبل عليهما يحدثهما عن بلاده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ، فانشرح قلبهما للاسلام ونبيه الكريم ـ وفي رواية أن حاطبا عرض عليهما الاسلام ورغبهما فيه فاسلمتا ـ) حتى بلغ الركب المدينة المنورة أوائل سنة سبع للهجرة . وتلقى صلى الله عليه وسلم كتاب المقوقس وهديته ، فاكتفى بمارية القبطية ، ووهب أختها سيرين . شاعره حسان بن ثابت الانصاري الخزرجي . رضي الله عنه .

ومضى عام أو نحو من عام . ومارية . سعيدة بحظوتها لدى المصطفى عليه الصلاة والسلام ، قد اطمأن بها المقام في رعايته ..

وانحصرت أمانيها وخواطرها في شخص النبي العظيم الذي شرفت بصحبته من حيث لا تحتسب ، فكان لها الاهل والوطن . وكانت تحمل في ملامحها سحر مصر . وفي اعطافها أريج الوادي العطر ، وتطيف بها رؤى مثيرة لاطياف ملكات مصر . على أنها كانت مشوقة لان تستعيد قصة . هاجر . المصرية التي جاءت من أرض النيل وحملت من سيدها . ابراهيم . فلما ولدت له . اسماعيل . غارت سيدتها . سارة . امرأة ابراهيم . فخرج بولده رضيعا في أحضان أمه هاجر . حتى بلغ البيت العتيق فتركهما هناك . والوادي وقتئذ قفر خلاء . وترك لهما بعض زاد وماء . ثم عاد الى أرض كنعان . فلما نفد الزاد والماء وأوشك الرضيع على الهلاك ظمأ ، راحت تسعى بين

الصفا والمروة مهرولة ، شوطا بعد شوط ، لتنظر من فوقهما الى أرجاء الوادى لعل فيه أثرا من حياة ، ولا أثر . وأدركتهما رحمة الله ، انبثق نبع زمزم من الصخر فرد الحياة الى الرضيع المحتضر ، وبث الحياة فى الوادى الاجرد غير ذى زرع .

. . . . . .

وألفت « مارية » أن تفكر فى خلوتها ، فى هاجر ومصريتها وأمومتها لاسماعيل جد العرب ، فلم تخطىء ملامح شبه بينهما : كلتاهما من مصر ، وكانت هاجر هبة للنبى ابراهيم عليه السلام من القصر الملكى بمنف ، كما أن مارية هدية من القصر الملكى بالاسكندرية ، الى النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد أثارت كلتاهما غيرة السيدات الحرائر ، فى البيت النبوى ، لكن « هاجر » كانت أما لولد ابراهيم ، فهل تحظى « مارية » بان تكون أما لولد محمد ، صلوات الله عليه وسلامه .

ما أبعد الامنية ! لكن لا شىء على الله عز وجل بمستبعد : حملت « مارية » وولدت للحبيب ، وفاض عالمهما المشترك بالغبطة والهناءة .

واحتفل البيت النبوى والمدينة المنورة بالوليد العزيز ، وتنافست نساء الأنصار فى الحظوة بحضانته وارضاعه .

★ ★ ★

كان قد مضى على وفاة « أم العيال » : أم المؤمنين الاولى : السيدة خديجة رضى الله عنها : نحوا من عشر سنين ، لم يرزق فيها المصطفى ولدا من غيرها ، وقد ثكل ولديه منها « القاسم وعبد الله » رضيعين ، ثم ثكل بناته من السيدة خديجة ، السيدات رقية وأم كلثوم وزينب الكبرى ، لم يبق له غير « الزهراء » وغير هذا الوليد ابراهيم ، من (مارية القبطية) هديته الغالية من مصر .

★ ★ ★

لكن سعادتهما مابه لم تطل ..

مرض « ابراهيم » ولما يبلغ سنتين من عمره ، وكان لا يزال فى بيت ظئره ، وسهرت عليه أمه تمرضه وقلبها يذوب من وجد ولهفة ، وجاء أبوه ، صلى الله عليه وسلم ، فوضعه فى حجره وهو يجود بنفسه ، فيقول أبوه :

« إنا يا ابراهيم لا نغنى عنك من الله شيئا » وذرفت عيناه الدمع ، ومعه صاحبه « عبدالرحمن بن عوف » يقول مواسيا : « وأنت يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « يا ابن عوف ، انها رحمة ، ثم أتبعها أخرى وقال : « ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون ، وإنا لله وإنا إليه راجعون » متفق عليه .

توفى ، عليه السلام ، لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة عشر من الهجرة على الارجح ..

وصلى عليه أبوه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه .. ثم شيعوه الى البقيع فاضجعه والده بيده فى قبره ، وسوى عليه الثرى ، ونداه بالماء .

وآب المشيعون واجمين ، وقد غام الافق وانكسفت الشمس ، فقال قائلون :

« إنها انكسفت لموت إبراهيم »

وبلغت الكلمة سمع النبى صلى الله عليه وسلم فصلى بالناس صلاة الكسوف ثم خطبهم فقال :

« إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا .. »

ـ متفق عليه من عدة طرق بألفاظ متقاربة .

★ ★ ★

وطوى حزنه فى قلبه الكبير صابرا مستسلما لقضاء الله فيه ، ومارية أم ابراهيم تحاول أن تتجمل بالصبر ، فإذا عز عليها خرجت إلى البقيع فاستروحت لقرب فقيدها الغالى والتمست راحة فى البكاء .

ولم تطل أيام المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، بعد وفاة ابنه ابراهيم فى السنة العاشرة للهجرة ، ففى شهر ربيع الاول من السنة التالية ، الحادية عشرة ، لحق بالرفيق الاعلى وترك « مارية » من بعده ، فى شبه عزلة عن الناس ، لا تكاد تلقى سوى أختها « سيرين » وولدها « عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصارى » رضى الله عنهم ، ولا تكاد تخرج الا لكى تزور قبر الحبيب المصطفى فى المسجد النبوى ، وقبر ولدها الغالى ابراهيم ، بالبقيع .

★ ★ ★

حتى لحقت بهما فى السنة السادسة عشرة فصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ودفنت بالبقيع .

« سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار »

صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٨ / ٤ / ١٩٩٠

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين »

صدق الله العظيم

بقلم :
د . بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدي... والانسان وا... وآفاق

حديث الوصية بأهل مصر

لايكاد كتاب في السيرة النبوية وتاريخ عصر المبعث والفتوح الاسلامية ، وفتح مصر وتاريخها ، وفقه الاحكام ..... يخلو من ذكر وصية النبي صلى الله عليه وسلم باهل مصر . يعدها علماء السيرة ومؤرخو الاسلام من (دلائل النبوة) ويشهد لها واقع التاريخ ومنطق السنن الثابتة للمقدمات والنتائج ويعدها مؤرخو الفتوح من وثائق فتح مصر .

وقلما يفوت البصيرة الثاقبة للمؤرخين لمح العواقب لمجرى الاحداث ومسار حركة التاريخ ، فمسى الا يتهم العصريون البشريات والنذر من صفوة الخلق . الرسل عليهم السلام .

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٨ / ٤ / ١٩٩٠

وقد روى حديث الوصية مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما من مسلم يشك في صدق دلالته على عموم الدعوة الاسلامية ورحب افاقها . وقد قال الله عز وجل ، خطابا لخاتم رسله عليهم السلام :

(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون .) وفي (الصحيحين من حديث أبي موسى الاشعرى رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لهم أجران : رجل من أهل الكتاب امن بنبيه و امن بمحمد .. » الحديث

★★

حديث الوصية رواه ، الامام مسلم ، في (صحيحه : كتاب الفضائل ، باب الوصية باهل مصر) من طريقين لحديث *ابى زر الغفارى رضى الله عنه وهو من الصحابة الذين شهدوا فتح مصر* ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط ، فاستوصوا باهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحما ـ وفي رواية : ذمة وصهرا .. » الحديث

وفي (تاريخ المسعودى) : « قال النبي صلى الله عليه وسلم : استوصوا باهل مصر خيرا فإن لهم نسبا وصهرا » قال المسعودى : أراد بالنسب ، هاجر أم اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليه السلام ، و أراد بالصهر ، مارية القبطية التى أهداها المقوقس للنبي صلى الله عليه وسلم ، فولدت له ابنه ابراهيم عليه السلام . »

وقد أخرج الحفاظ حديث الوصية من مختلف طرقه . ومعه من الشواهد أحاديث أخر في معناه ، تقل أو تكثر تبعا لمواضع ذكرها في كتب الحديث والدلائل والسيرة والاحكام ، والتاريخ والبلدان .... عنها الحديث المشهور : « مصر كنانة الله في ارضه ، من ارادها بسوء قصمه الله » رواه ابن يونس في (تاريخ مصر) وابو المحاسن في (النجوم الزاهرة) وابن زولاق في (فضائل مصر) بالفاظ متقاربة .

وقال التقى المقريزى : ومن فضائل مصر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرى من اهلها وولده صلى الله عليه وسلم من نساء مصر ، ولم يولد له . من غير السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ إلا من مارية القبطية .

★ ★★

متن الحديث في (صحيح مسلم) يعين الزمان بقدوم « مارية القبطية » دار الهجرة ، إذ هى المراد بها الصهر في أهل مصر . وقد كان قدومها ، باتفاق ، في السنة السادسة للهجرة ، حيث بعث النبي صلى الله عليه وسلم بكتبه مع رسله إلى الملوك والامراء يدعوهم فيها إلى الاسلام . وذلك بعد أن عقد مع قريش (صلح الحديبية) التى نزلت فيها سورة الفتح فبشرت المؤمنين بانهم سوف يدخلون المسجد الحرام ـ الذى صدتهم عنه قريش ـ إن شاء الله امنين محرمين لايخافون .

ومصر وقتئذ تحت حكم الرومان ، عهد « الامبراطور هرقل » الذى حمل إليه الدعوة ، دحية بن خليفة الكلبي ، رضى الله عنه فاجمل هرقل الرد ، لم يكد يلقى بالا إلى الدعوة وهو في عز مجده و أوج عظمته .

و أما حاكم مصر للروم ، المقوقس ، فحمل الكتاب إليه بالاسكندرية ، حاطب بن أبي بلتعة ، رضى الله عنه . وقد كان حديث الامس عن وفادته على ، المقوقس ، وما أجاب به ، والهدية التى بعث بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم من مصر . وفيها ، مارية القبطية ، التى اصطفاها صلى الله عليه وسلم فولدت له ابنه ابراهيم عليه السلام .

★ ★

بعد نحو من ربع قرن ، كان فتح مصر في السنة العشرين للهجرة . وفي الصحابة إمراء الفتح وجنده ، رواة حديث الوصية . والمسلمون جميعا يعرفون للسيدة ، مارية القبطية ، مكانتها في بيت النبوة ، وحظوتها لدى المصطفى عليه الصلاة والسلام ، و أمومتها لولده عليه السلام .

ودخلت الوصية في مدونات المفاوضة الاولى بين قادة الفريقين ففي (تاريخ الطبرى) ـ أحداث السنة العشرين ـ أن الفاتحين لما انتهوا إلى حصن بابليون و المقوقس بالاسكندرية :

[بعث وفدا مع أبي مريم رئيس نصارى مصر ، والاسقف أبي مريام ، لمنع بلادهم . فلما تصاف الفريقان وهموا بالقتال قال ، عمرو بن العاص ، : لاتعجلوا حتى نعذر إليكم ، وليبرز إلى راهبا هذه البلاد . فلما برزا إليه قال عمرو : أنتما راهبا هذه البلاد فاسمعا :

إن الله بعث محمدا بالحق و أمره به . و أمرنا محمد به و أدى إلينا كل الذى أمره الله بختم مضى على الواضحة . وكان مما أمرنا به الاعذار الى الناس . فنحن ندعوكم . الى الاسلام فمن أجابنا فمثلنا . ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة والامان . وقد أعلمنا نبينا صلى الله عليه وسلم أننا مفتتحون مصر، و أوصانا بكم حفظا لرحمنا فيكم . و أن لكم إن أجبتمونا ذمة الى ذمة . ومما عهد به إلينا أميرنا : إستوصوا بالقبطيين خيرا لان لهم ذمة ورحما ...

فلسترجع الراهبان مما حفظ تاريخهم . ذكرى بعيدة لهاجر أم اسماعيل عليهما السلام . قالا : . قرابة بعيدة لا يصلها الا الانبياء . معروفة شريفة . كانت ابنة ملكنا وكانت من أهل . منف . فادبل عليهم أهل عين شمس فقتلوهم وسلبوهم ملكهم وأغربوا . فلذلك صارت الى . ابراهيم عليه السلام . مرحبا به وأهلا . وأمنا حتى نرجع اليك ..

الخبر في النجوم الزاهرة . بلفظ مقارب . ويروى أن الصحابي الجليل . عبادة بن الصامت الانصارى : من وجوه شهود الفتح . بحث عن موضع قرية أم ابراهيم — عليهما السلام — فبنى به مسجدا .

وأخذت الاحداث مجراها على مقتضى السنن الثابتة . حتى تم الفتح وعقد الصلح .

★ ★ ★

تداول الحفاظ من عصر المبعث حديث الوصية بأهل مصر . وأخرجها المصنفون في السيرة والدلائل والاحكام والشروط وأهل الذمة . وكتب التاريخ والبلدان .

وكانت موضع عناية من مؤرخي مصر . ومن صنفوا في فضائلها . وفتحها .

كما نخلت . حفن . البلدة الاثرية العتيقة من قرى . انصنا . بصعيد مصر . في كتب الفقه والتاريخ والبلدان . إذ فيها ولدت . مارية القبطية . أم ابراهيم . عليهما السلام .

في (معجم البلدان لياقوت) : وفي الحديث : أهدى المقوقس إلى النبي صلى الله عليه وسلم . مارية . من نعن . من رستاق انصنا . وكلم الحسن بن علي — رضي الله عنهما . لاهل حفن — وفيهم خئولته — معاوية بن أبي سفيان . فوضع عنهم الخراج .

وفي النجوم الزاهرة . عن الحافظ ابن كثير انه روى حديث الوصية . وقال رحمه الله : والمراد بالرحم أنهم اخوال اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام . امه . هاجر . وهو الذبيح على الصحيح والد عرب الحجاز الذين منهم النبي صلى الله عليه وسلم . والمراد بالصهر لنهم أخوال ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم . امه : مارية القبطية من قرى أنصنا . وقد وضع عنهم معاوية الجزية إكراما لابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والخبر في رواية . التقى المقريزى . موصول بكتابه صلى الله عليه وسلم الى المقوقس . وجوابه وهديته الى النبي عليه الصلاة والسلام .

قال بعد تفصيل خبر الرد . والهدية : . فولدت مارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه ابراهيم وكان أحب الناس إليه حتى مات فوجد به . وكانت سنه يوم مات ستة عشر شهرا ... وكلم الحسن بن علي معاوية في أن يضع الجزية عن جميع أهل قرية أم ابراهيم لحرمتها . ففعل ووضع الخراج عنهم . أيضا . فلم يكن على أحد منها خراج — على الارض — وكان جميع أهل القرية : حفن — من أهل مارية القبطية وأقربائها فانقطعوا .

وفي العصر الحديث . كتب . الاستاذ حفنى ناصف — بحثا في (موطن مارية القبطية من البلاد المصرية) شارك به رحمه الله في مؤتمر المستشرقين الدولى بعاصمة اليونان : أثينا . سنة ألف وتسعمائة وثلاث عشرة .

★ ★ ★

(وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين)
صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٩ / ٤ / ١٩٩٠

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »

صدق الله العظيم

بقلم :
د . بنت الشاطئ
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة – جامعة القرويين

الدين والانسان واقع وآفاق

نهاية .. وبداية (١)

الإكراه في الدين . قرر مصير دولة الروم البيزنطية اجمع . لا في الشام ومصر فحسب وسجل الاصول من مدونات شهود عصر السقوط والفتح . مشاهد النهاية الفاجعة للامبراطورية . وهرقل في اوج مجده وسلطانه . وتسليم ممالكها لقادة الامة الفاتحة . كما يسميها المؤرخ الفرنسي العلامة سيديو .

وأنقل من مشاهد النهاية ما كتبه د . بتلر من استقراء لمصادره الاصول . بعد ان اطال النظر في الزلة الاولى للامبراطور هرقل . اذ جاءته وهو في ذروة سلطانه دعوة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – الى الاسلام فتهاون بها . ثم كانت الزلة الثانية ان وصلت كتائب الفتح الى اكناف امبراطوريته . فشغله عنها همه الاكبر في توحيد الكنيسة . ولم ير في مغازي المسلمين اكثر مما اعتدته الدولة الكبرى من غارات البدو على اطراف العمران

(٣)

وجاء مشهد النهاية . كما صوره د . بتلر . قال . في الفصل الاخير لفتح الشام

[وفيما كانت السحب الدكناء تتعالى بعضها فوق بعض ـ في الاقطار المضطهدة بالاكراه في الدين لتوحيد الكنيسة ـ كانت أعمال هرقل قد طبقت شهرتها الخافقين وجعل الملوك من اقاصي الارض في الشرق والغرب يرسلون اليه الرسل والهدايا الثمينة وآيات الاعجاب . ولكن الامبراطور ساءلت أن عرف أن القضاء يسخر منه . فانه ما كادت آيات خضوع العالم واعجابه تمثل بين يديه . حتى كان العرب المسلمون . يقرعون أبواب الشام قرعا عنيفا

[وسار . خالد بن الوليد . مع ابي عبيدة من اليرموك الى دمشق العاصمة فحاصرها . وهرقل في انطاكية . لم يتحرك للدفاع عنها مثل سير البيزنطيين اكبر عددا واقوى عدة بقيادة اخيه تيودور الذي تفانى في قتال المسلمين حتى غلبوه في موقعة فاصلة . وجاءت انباء الكسرة الساحقة من دمشق الى انطاكية

[فعرف هرقل ان الامر قد افلت من يده وان الله قد خذل الامبراطورية وما زاد في الهم شدة عليه انه ارتكب خطيئة بزواجه من ابنة اخته مرتينه فكان قد كانت عند ذلك مغلوبة وكان عقله كان مغلوبا . وقد جمع كبار قومه في حفل سكنته انطاكية يستشيرهم فيما يعمل . فقام شيخ منهم اشيب وقال ان الروم يعدون اليوم لعصيانهم على الله وتنكرهم فيما بينهم وبغي بعضهم على بعض . ولما ارتكبوا من الربا والفسوق . وكان حتما عليهم ان يؤخذوا بذنوبهم » فكان قوله هذا فصل الخطاب . احس الامبراطور من نفسه بضعف الجسم ووهن العقل . ورأى الخذلان يتعقبه . وعرف ان مقامه ببلاد الشام قد اصبح لا غناء فيه . فرحل عنها من انطاكية الى القسطنطينية بحرا . في شهر سبتمبر سنة ٦٣٦ وقال انه هو على وشك الرحيل . وداعا يا بلاد الشام . وداعا ما اطول امده [وان فيها رنة من الاسى وكأنها تعبر عما كان يدور في نفسه من ان مجده الغابر ونصره الباهر قد انتهيا بالخذلان والعار . وانه اذ يقولها يودع عزه وسلطانه . الموقف يذكرنا بنابليون وما احس به من الاسى اذ هو على ظهر سفينة بلربفون ينظر الى وطنه فرنسا نظرته الاخيرة . والحق ان فيما بين ذلك القائدين العظيمين وجوه شبه عدة . ولكن نابليون ظل الى اخر مواقعه وهو ملك يقود جيشه . في حين ان هرقل اضاع قواه سدى في نضال لا فائدة فيه اراد به توحيد الكنيسة فلم يستطع ان يجمع ما بقي من قوى الدولة او يقود جندها اذا ما ازفت ساعة الخطر واشتدت الازمة . فبقي في سفينة ثلاث سنين خبت فيها آماله وذوت قوته وضوح بسالته . وعاش امر الاسلام يحث بحصره وسمعه ولم يتحرك لمقاومته . ومازال الاسلام يعلو حتى طوى دولته تحت ظله]

★ ★ ★

ثم كان المشهد الفاجع لتسليم بيت المقدس نقلا من رواية سيبوس وهي رواية واضحة دقيقة . وفيها يقول [ان العرب المسلمين ـ بعد وفاة الرسول جازوا نهر الاردن وكانت هيبتهم تسبقهم فتقع في قلوب اهل تلك البلاد . وفي تلك الليلة التي اعقبت وصول انباء قدوم العرب اليهم . اخذ اهل بيت المقدس الصليب الاعظم وما كان في الكنيسة من آنية . وحملوها في سفينة الى دار الملك بالقسطنطينية . ولا شك في ان تلك السفينة التي تحمل الكنوز المقدسة ابحرت الى الشمال ولحقت بالامبراطور اما في بعض الثغور التي مر بها في طريقه الى عاصمته . واما بقصره على مقربة من خلقيدونية . وكان قد اقام به مريضا مدة من الزمن فلما سار الى العاصمة حمل معه الصليب فعاد الى كنيسة القديسة صوفيا . وكان الناس قد فرحوا به من قبل أشد الفرح . ورحبوا بمقدمه ظافرا ورأوا فيه سر نجاح هرقل . قد عاد اليهم بعد ذلك والحزن يخيم على الناس . فرأوا في عودته رمزا لاخفاق مليكهم وخيبته . ويقينا ان الاقدار لم تسخر من هرقل سخرا اقطع حدا ولا أمر مذاقا من هذا . على كثرة ما انزلت به من مصائب . فان مدينة القدس كانت وقتئذ يحاصرها جنود العرب . المسلمون . واستطالت مدة الحصار سنتين سنة [illegible] ـ [illegible]٦٣ م ولعلها كانت اطول من ذلك

ولكن لم يكن لدى احد شك في نهاية الامر . فلن العرب ان عجزوا عن فتح المدينة عنوة . فان اهلها لم يكن بهم قوة على رفع حصارهم عنها . ولم يأت من قبل الروم ما يجعلهم يؤملون في النجدة . بل كانت الانباء تترى بالمصائب والنكبات . فحل في قلوب اهل بيت المقدس من الخيبة واليأس مثل ما حل من قبل في قلب هرقل . عندئذ فاوض البطريق الشيخ صفرونيوس قواد العرب المسلمين من فوق الاسوار ولعله كان يحس عند ذلك ان المدينة لن تستطيع البقاء طويلا لنفاد المؤونة وقرب المجاعة بها . واتفق على ان يسلم المدينة على شرط ان يأتي الخليفة عمر ـ رضي الله عنه ـ بنفسه ليكتب عهدها

[ولا حاجة بنا أن نعيد هنا القصة المعروفة . قصة مجيء عمر ـ رضي الله عنه ـ الى الشام على جمل .

وكان أشعث أغبر خشن الملبس والهيئة. حتى اقتحمته عيون مترفي الروم. ثم دخل العهد وزار الأماكن المقدسة بصحبة صفرونيوس.

تبدو الفروق جلية بين ما أوجزناه من أحداث فتح الشام مستخلصا من الرواية الإسلامية في تاريخ الطبري باستناده على سيف، وأحداث السنة الثالثة عشرة للهجرة، وخلاصته أن جنود الإسلام قد ساروا إلى دمشق في ذي القعدة منها، على ستة أشهر من وفاة أبي بكر — في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة — وخلافة عمر بن الخطاب. وقد اجتمعت الروم على قائد سمي باهان. وكان عمر قد عزل خالدا واستعمل أبا عبيدة بن الجراح على الأجناد. فالتقى المسلمون والروم فيما حول دمشق فاقتتلوا قتالا شديدا، ثم هزم الله الروم فدخلوا دمشق وأغلقوا أبوابها، وحاصرها المسلمون وجاهدوا حتى فتحت دمشق. فلما قدم كتاب أمير المؤمنين على أبي عبيدة بإمارته وعزل خالد، فاستحيا أن يقرئ خالدا الكتاب حتى فتحت دمشق وجرى الصلح على يدي خالد وكتب باسمه كتاب الصلح في شهر رجب سنة أربع عشرة. وعندئذ أظهر أبو عبيدة الكتاب بإمارته وعزل خالد، وأجريت مراسم العزل العلنية. فما زاد خالد على أن قال: ما أنا بالذي أعصي أمير المؤمنين. ومضى مع أميره أبي عبيدة جنديا باسلا ومستشارا أمينا يشير على الأمير في سرايا إلى مدائن الشام أو يسير بنفسه. وقد سارا معا إلى حمص ومنها إلى قيسارية والأردن، وعمرو بن العاص على أجنادين لا يقدر على فتحها من قائدها، وكان أدهى الروم وأمكرها وبلاد ...

وفتحت أجنادين عنوة. وكتب قائد الروم إلى عمرو يخبره بأنهما نظيران متكافئان، وينذره بأنه لن يفتح من فلسطين شيئا بعد أجنادين. ورد عمرو بما يليق به. وكتب إلى أمير المؤمنين يستمده قائلا: إني أعالج حربا كئودا وبلادا ادخرت لك، فرأيك. فنهض لها عمر، استخلف على المدينة وكتب إلى أمراء الأجناد أن يستخلفوا على أعمالهم ويوافوه بالجابية ليوم سماه لهم. وخرج مطلقا على حمار. فكان من أول من لقيه أبو عبيدة وخالد على الخيول، عليهم الديباج والحرير، فأنكر عليهم أن يستقبلوه في مثل هذا الزي. وما سمعوا إلا ... سنين.

وفي الجابية جاءه أهل إيلياء فصالحهم على الأمان والجزية: الأمان لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، وأنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود. وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وأن يخرجوا الروم. فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم. ومن كان فيها من غيرهم فمن شاء قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله.

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين.

شهد على ذلك : **خالد بن الوليد وعمرو بن العاص** وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان. وكتب وحضر سنة خمس عشرة.

وسار من الجابية حتى قدم إيلياء فدخل مسجدها نحو محراب داود فقرأ سجدة داود، وسجد المسلمون معه. ثم استقبلوا الكعبة وأقاموا الصلاة.

* * *

سجدة داود هي التي في قوله تعالى في سورة ص: «... وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم، وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب» صدق الله العظيم.

الأهرام
مركز الدراسات والتنظيم والأرشيف
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٠ / ٤ / ١٩٩٠

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۞ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ۞ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ۞»

صدق الله العظيم

بقلم :
د . بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة ـ جامعة القرويين

الدين والانسان واقع وافاق

٢ نهـــاية .. وبدايـــة

مضى حديث الامس عن النهاية الفاجعة لامبراطورية الروم البيزنطية بالفتح الاسلامي للشام ، واتجاه الاحداث الى مصر حيث تقرر مصير الروم بنهاية حتمية لعشر سنين من ويلات الاضطهاد الديني بالاكراه المذهبي .

دون أن تغيب هنا وهناك ، العوامل الاخرى ، جغرافية ومادية واجتماعية ، عن التأثير في حركة الاحداث ومصاير الوقائع ، يستقطبها العامل الديني مهيمنا عليها ، في تفاعل مؤثر ..

فلنقرأ من مدونات شهود تلك العصر ، ما استخلصه الدكتور قال : الفريد بتلر ، حيث ذكر ما كان من مناعة حصن بابليون مع جهل المسلمين بحيل الحصار وفنونه .

وكانوا قد غنموا بعض آلة الحرب في وقائع سابقة ، كالفيوم ومنوف ، ولكنهم كانوا لا خبرة لهم بها ولا بطرق إصلاحها إذ اصدئت . فضلا عن موقع الحصن ، تحف به مياه النهر وقت الفيض .

وكان بالحصن كثير من الزاد والذخائر ، وجنود ما بين خمسة الاف وستة الاف ... غير أنه مما يجدر ذكره هنا ، أن كل الكنائس التي في داخل الحصن ، كانت تؤمها قسوس على المذهب الخلقيدوني أو الملكاني . ولم يبح لأحد هناك أن يتعبد على غير ذلك المذهب .

وكان حريا ببطريق الروم . أن يدرك أن العسف إن كان أدى إلى شيء يظنه من يراه توحيدا لمذاهب الدين ، وما هو بكذلك ، فإن العسف قطع الإسباب بين الحكام والرعية ......

فكان أمر الروم يضعف وقوة جيوشهم تخور وأملهم في النصر يخبو ...

كانت مجانيق الروم أقوى أثرا مما يرمي به المسلمون الحصن من حجارة وسهام . وقد أدى صبرهم وشدة بأسهم في القتال الى خور في عزيمة من في الحصن فمال . المقوقس . الى الصلح ، ومازال بمن خلفوه من رجال الحصن حتى أقنعهم بان يتسلل في الخفاء الى قائد المسلمين ليأتيهم بشروطه ، على أن يبقى الأمر في طي الكتمان إلى أن يتم ، مع إمهال الروم حتى يقر . هرقل . الشروط .

ولم يكن حصار المسلمين الحصن من جانب النهر على ما ينبغي من الحذر واليقظة ، فقد خرج مرة جماعة من حرس الحصن ففاجاوا . عبادة والزبير ، في صلاتهما فوثب الرجلان الى فرسيهما وحملا على حرس الروم . فلما رأوا أن العدو لاحق بهم جعلوا يلقون مناطقهم ومتاعهم ليشغلوه بذلك عن طلبهم ، وعدوهم لا يلتفت إليهم حتى دخلوا الحصن ، وأصيب . عبادة . إصابة خفيفة من حجر رمي به من فوق الحصن ، فرجع القائدان المسلمان الى موضعهما لم يلتفتا الى ما ألقاه الروم حتى أتما الصلاة .].

ـ قلت : في الرواية الاسلامية بتاريخ الطبري ، والنجوم الزاهرة ، أن حرس الحصن لقوا . عبادة بن الصامت . فكان موقفه كما ذكر بتلر . لكن ليس في الخبر ذكر للزبير بن العوام .

وسافر . المقوقس . مسرعا الى الاسكندرية وبعث كتابا بعد آخر الى . هرقل ، معتذرا اليه عما كان بان الحاجة ألجأت اليه ، وطلب إليه أن يقر الصلح على الامان والجزية .

يقول بتلر :

[وليس بعجيب أن يكون هرقل قد حار في امر تلك الكتب فانها لا تبين ما اذا كان الصلح خاصا بحصن بابليون أو كان على ترك بلاد مصر جميعها ، حتى الاسكندرية للعرب ؟ ولا تبين هل يبقون في البلاد بعد أخذ الجزية أو يرحلون عنها ؟] ..

فكان رد الامبراطور أن استدعى . المقوقس . فلوجس خيفة من الاستدعاء . لكنه لم يملك إلا أن يمضي ، حتى بلغ حضرة الامبراطور في القسطنطينية ولقيه [وما كان أهوله من لقاء] أقر بصعوبة الموقف وخطرة ، معتذرا بانه مما لم يكن منه بد . وقال يلطف من قسوة الأمر : [ان العرب قد يحملون على الخروج من مصر بعد . وان الجزية التي دفعها لهم يسهل أن يجبى مقدارها من متاجر الاسكندرية وبضائعها فتعوض ما خسرته الدولة . أما ما سوى ذلك فقد كان المقوقس لا يرى موضعا للامل . إذ كان العرب . المسلمون . قوما لا يشبهون سائر الناس في شيء . فهم عند حد قولهم لا يلهيهم زخرف الدنيا ومتاعها . لا يطلبون منها الا لقمة يسدون بها الرمق ، وشملة لستر البدن . فهم . قوم الموت . يرون ربحا في أن يقتلوا . شهادة يرجون بها المثوبة في سبيل دينهم . في حين ان الروم يحبون متاع الدنيا وزخرفها .

وقال يرجو اقناع الامبراطور :

[لو رأيت هؤلاء العرب وبلاءهم في القتال لعرفت أنهم لا يغلبون ..] ونقل . بتلر . من (كتاب نيقوفوروس) قصة عن عرض قيرس على الامبراطور ان يزوج عمرو بن العاص احدى بناته ذريعة محتملة الى تنصيره ! وعقب : وتلك لعمري قصة لا تصدق . فما كان قيرس ليجهل ما كان عليه المسلمون في اسلامهم من ثبات لا زعزعة فيه . وايمان راسخ . وان قصة يقال فيها مثل ذلك عن عمرو لهي قصة ضل فيها الوهم ضلالا بعيدا]و لا أثر لها في كتاب اخر غير كتاب نيقوفوروس .!.

على أن هرقل لم يكن في حاجة الى مثل هذا السخف لوقود غضبه . فقد دهاه ما كان من أمر جنده ، وعظم عليه أن

ينهزم منهم مائة ألف أمام اثني عشر ألفا من العرب الحفاة .. ولعن، قيرس ـ المقوقس ، واسلمه الى حاكم المدينة فشهره واوقع به المهانة .. فخرج من بلاده طريدا منفيا ..

في مصر[مر اليوم بعد اليوم ولا نبا ياتى من بالحصن الا انباء سوء وشؤم . الى ان سمعوا يوما من عسكر المسلمين تكبيرا عاليا ـ اوائل مارس سنة ٦٤١ م ـ وعلموا أن هرقل قد مات . فخارت نفوسهم إذ . كسر الله الروم بموته . كما قال أحد مؤرخي العرب ـ اليعقوبى ـ [كانت الحملة الاخيرة على الحصن في يوم الجمعة السادس من ابريل . لذلك العام ـ ٦٤١م ـ وقد أمهل من فيه ثلاثة ايام للتجهز للخروج . دون ان يخمد اوار العداوة والبغضاء لمن ليسوا على مذهب الروم .

وقد كان كل من في الحصن من الروم سوى من سالمهم من القبط ثقية . فاستراب الروم في كثير منهم فسجنوهم في الحصن . فلما كان يوم الخلاص والانعتاق سحبوهم . من سجونهم وضربوهم بالسياط ......

★ ★ ★

هكذا لا ينفك العامل الدينى مهيمنا على الاحداث . يستقطب العوامل الاخرى . طبيعية واقتصادية واجتماعية . دون الغض منها او التهوين من اثرها .

وكذلك الامر في عهد الصلح : على الامان بلا إكراه في الدين . وتامين الكنائس وما في حيزها . والامان على الانفس والاموال . سوى ما يؤدون من جزية : دينارين على الرجال عدا الاحداث الصغار والشيوخ والعجزة وذلك عندما يبلغ النهر فيض مائه وتبلغ زيادته مقياس الوفاء . وان ابى احد منهم ان يجيب رفع عنهم من الجزية بقدرهم . وذمتنا ممن ابى بريئة . ومن دخل في صلحهم من الروم والنوبة فله مثل ما لهم وعليه مثل ماعليهم . ومن ابى منهم واختار الذهاب فهو امن حتى يبلغ مامنه أو يخرج من ديار الاسلام ..

(على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة الخليفة امير المؤمنين . وذمم المؤمنين .. وشهد الزبير . وعبد الله ومحمد ابناه .

وكتب وردان . وحضر .

- الزبير بن العوام بن خويلد الاسدى حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن اخي السيدة خديجة وابن عمة المصطفى . وأحد العشرة رضى الله عنهم .
- وعبد الله ومحمد ابنا عمرو بن العاص القرشي السهمي . القائد الفاتح
- ووردان كاتب العهد وشاهده . مولى عمرو بن العاص . ومن الرواة عنه وحملة لوائه .

★ ★ ★

واقتربت النهاية .

على موعد معها في ثغر الاسكندرية قاعدة الحكم الرومانى بمصر ..

الحديث عنها غدا بمشيئة الله . فالى لقاء والله المستعان .

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع م. دوريات العاربات

١٩٩٠/٤/١١

تهنئة
للدكتورة عائشة
عبد الرحمن على
محاضراتها
ودروسها في [illegible]
حول القرآن الكريم
وتفسيره وأصوله
واستلهام ذلك في
العشرة الأواخر
من شهر رمضان
المبارك وذلك
تلبية للدعوة التي
وجهها الدكتور
عبد الله [illegible]
وزير الأوقاف
والشئون الإسلامية
لها ولنخبة من
العلماء المتخصصين
في خدمة القرآن
الكريم والسنة
المطهرة على
مستوى العالم
الإسلامي.

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات
التاريخ : ١١ / ٤ / ١٩٩٠

حديث رمضان

بقلم :
د . بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين والانسان واقع وآفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

« كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ * »

صدق الله العظيم

نهاية .. وبداية (٣)

في السنة العشرين للهجرة ، كان الفتح الاسلامي لحصن بابليون بداية النهاية لامبراطورية الروم البيزنطية . فعلى الرغم من كونه في اول امره محدودا في نطاق بابليون او ممفيس ، وقد بعد العهد بها سكانت قاعدة البلاد ، غير انها بقيت ذات شان عظيم ، إذ كانت بابا لاقليم الصعيد ومصر السفلى ، بمناعة الحصن العتيد العنيد ، لا يكاد ينال .

يكن القائد ، عمرو بن العاص ، بعد الفراغ من امر الحصن ، حريصا على المسير الى الاسكندرية قصبة الحكم الروماني بمصر ومقر الكنيسة الكبرى ، اذ لن تمضي اشهر ثلاثة وحتى يعود النيل الى مستوى فيضانه ، فالوقت غير متسع للراحة و الانتظار ، وفي ضياعه مضيعة لما لا عوض عنه .

كتب الى امير المؤمنين يطلب مددا و استخلف على الجند و استدبر الحصن بجنده متجها الى الاسكندرية . وفي طريقه اليها لقي مقاومة عنيفة من بعض الحصون ، وقاتله عند « كريون » على شرف الثغر جند الروم قتالا شديدا بقيادة « تيودور » وليس منهما في شجاعته وإقدامه على القتال ، فلم يكن قائدا ذا رأي وقد عرف الناس أن ليوم كريون ما بعده ، فاستحر القتال بضعة عشر يوما .

وحدث ذات يوم منها . ان كان . عبدالله بن عمرو بن العاص . فى كتيبة يحمل لواءها . وردان . مولى عمرو بن العاص . ـ وكاتب عهد صلح بابليون ـ فاصابت عين عبدالله جراحة شديدة فاجهضته شدة القتال . فالتمس من اميره . وردان . أن يأذن له فى التراجع قليلا يطلب الروح . فقال له وردان : ـ تريد الروح ؟ الروح امامك وليس خلفك . واقبلا على القتال والحرب سجال بين الفريقين . حتى استطاع المسلمون فتح مدينة كريون وحصنها . وارتد تيودور عنها . وخلا الطريق الى الثغر . فسار عمرو حتى بلغ اسوار الاسكندرية وحصونها التى لا نظير لها . ويقول . بتلر . :

[ولابد أن كثيرين ممن كان فى جيش عمرو . قد رأوا جميل المدائن فى فلسطين والشام . وقد يكون معهم من شهد انطاكية الشهيرة ورأى عجائب تدمر . ولكن ذلك كله لم يكن شيئا ذا بال . اذا قيس بعظمة المدينة البارعة النادرة . فقد كانت حتى القرن السابع اجمل مدائن العالم وابهاها ... وما كان هذا الجلال الفائق والجمال البارع الا ليقع من قلوب غزاة الصحراء الذين جاءوها فاتحين .

وكانت مسلحة المدينة عند ذلك نحوا من خمسين الفا . والاقوات والذخيرة وفيرة اذ هى على البحر ولم يكن فيه للمسلمين . بعد سفينة واحدة تتعرض لاسطول الامبراطور وتنقص من سلطانه على البحر . وكانت الاسوار منيعة تحميها الالات القوية . ولم يكن لدى العرب شىء من الات الحصار اذ لم يستطيعوا نقل ما غنموه منها من الروم قبل ذلك . وعلى هذا كان فى يد الروم من العدة والعدد ما يقوون به على حرب المسلمين وليس لهم من العدة الا سقيمها السلاح . على ان العرب كانوا قبل ذلك قد فتحوا للفتوح العجيبة فى مصر والشام فلم تقف دونهم حصونها . كلما ذكروا ذلك زادهم ايمانا وقوة وثقة من أن العاقبة لهم . ومع ذلك فان عمرو بن العاص حمل على هذه الاسوار فردته عنها قذائف الحجارة ترميهم بها مجانيق الروم . فارتدوا عنها إلى ان عسكروا بعيدا عن منالها ... وليس فى ايدينا وصف للقتال فى الاسكندرية سوى ما نذكره . نقلا من (ديوان حنا النقيوسى) عما أصاب العرب من فعل المجانيق التى لم يطيقوا عليها صبرا .. ولا نستطيع تفسير ذلك الاغفال الا بانه لم يكن ثمت حصار للاسكندرية بالمعنى الصحيح : فقد كان البحر يحميها من جهة الشمال . وكانت الترعة وبحيرة مريوط تحميانها من الجنوب . والى غربها ترعة الثعبان فلم يبق من فرجة الا من الشرق والجنوب الشرقى . ولا يستطيع المحاصرون الاقتراب من الاسوار ... ومع ذلك فقد كان لوقوفهم بعسكرهم على كثب من المدينة اثر كبير اذ يحادون الروم ويقطعون صلتهم بسائر البلاد ....

[ومضى شهر يونية ولم يكن القائد عمرو بالرجل الذى يخادع نفسه ويعللها بفتحها عنوة . وإنما كان واثقا من شىء واحد هو ان اصحابه اذا خرج لهم العدو وناجزهم القتال صبروا وثبتوا وغلبوه وان كان اكثر منهم عددا واقوى عدة] ومع المتوقع من طول مدة الحصار الضيق . رأى . عمرو . ان يترك عليه من يكفيه من المرابطين ؛ ويخرج بباقى الجند فى غزاة يجوس فيها خلال الديار ..

[وقتئذ كانت القسطنطينية فى فتنة وشقاق . وصراع على الملك بعد موت قيصر . يمزق كيان الامبراطورية بالدسائس والمكايد والمؤامرات . وكان من آثارها ان عاد . المقوقس . من منفاه الى الاسكندرية ذات صباح من شهر سبتمبر وقد استقبل من اهل المدينة بحفاوة بالغة واحتفال مشهود . والمدينة مضطرمة من عداوة الاحزاب .

ومضى موكبه الى الكنيسة العظمى وقد فرشت النمارق فى طريقه . والرايات والالوية من الحرير تخفق فوق رأسه اذ يسير بين عبق البخور وترتيل الاناشيد . حتى دخل الكنيسة فاقام الصلاة وجعل (عبدالصليب واعلامه) موضوع خطبته . وهو موضوع جليل لخطيب ولو اعوزته الفصاحة . فكيف برب البلاغة والبيان ؟!

★★★

وكان . عمرو قد عاد الى بابليون . بعد أن فتح بلاد الصعيد . مصر الوسطى . كيما يستريح الجند فى اوان فيض النيل . وفيما كان داخل الحصن وافاه المقوقس ذات ليلة يحمل عقد التسليم فرحب عمرو به واكرم وفادته .

ولما علم منه ما جاء من اجله من امر الصلح . اقبل عليه يفاوضه . حتى اتفقا على شروطه جميعا . وكتب بها عقد (صلح الاسكندرية) فى اليوم الثامن من شهر نوفمبر من سنة ٦٤١م . واورد . حنا النقيوسى . أهم شروطه [وفى الاول منها ضمان للقبط فى انفسهم واموالهم وكنائسهم ، ولهم أن يتدينوا كما شاءوا بحسب شعائر دينهم . فان دفع الجزية جعلهم . أهل ذمة لهم هذه الحقوق على الفاتحين . وقدرت الجزية بدينارين عن كل رجل الا على الشيخ العاجز والولد الصغير . وأن تعقد هدنة لنحو أحد عشر شهر تنتهى فى اول شهر بابه القبطى الموافق للثامن والعشرين من سبتمبر سنة ٦٤٢م .

[على أن يبقى العرب فى مواضعهم مدة هذه الهدنة معتزلين وحدهم لا يسعون اى سعى لقتال . وأن يكف الروم عن القتال .

[وقد تم بهذا الصلح الجديد فتح العرب لبلاد مصر . اذ طلب المقوقس أن يدخل فيه كل بلاد مصر . وابيح لمن شاء من الروم ان يخرج من البلاد بحرا او برا .

....

[ولا يذكر التاريخ شيئا من أخبار الاسكندرية فى مدة الهدنة . سوى ان . المقوقس . غرق فى الهم والحزن إذ جاءته الاخبار تترى من القسطنطينية بما يثير هواجسه وظنونه . حتى مات فى الحادى والعشرين من مارس سنة ٦٤٢م .. ولم يبق الا قليل من القول فى وصف الشهور الستة التى مرت على الاسكندرية بعد موته سوى اختيار خلف له بطريقا على العرش الذى خلا من اخر بطارقة الاسكندرية تحت حكم الرومان] ....

....

وكان الهم والغم يظلان المدينة فى الاسابيع الاخيرة من الهدنة وقد خلا كثير من منازل الروم . وهدأت ضجة الارتحال من مرسى الثغر بعد ان تحملت سفن يتلو بعضها بعضا بالنازحين من الروم ومتاعهم وأثاثهم . وسارت بهم شمالا الى حيث لا عودة . ولم يبق الا اسطول كبير يتجمع فى مرفأ الاسكندرية ليحمل من بقى من جنود الروم . والظاهر أن الذى كان يقوم على ترحيل من كان منهم فى بلاد مصر السفلى . اثنان من القادة . تيودور حاكم مصر بعد موت قيرس . والقائد الاعلى للجيش بعد تيودور . وكان النيل عند ذلك قد أخذ يزداد وصارت السفن صالحة لسير السفن ونقل الاشياء ولهذا وقع الاختيار على ذلك الوقت لخروج الروم .

[فى ذلك اليوم . الرابع عشر من سبتمبر كانت السفن تتجهز اخر جهازها فى الميناء ويؤذن لها فى المسير . فما طلع اليوم الثالث بعد هذا اليوم . اى السابع عشر من سبتمبر حتى كان . تيودور . يحل قلاعه ويرفع مراسيه ويبحر الى قبرص بمن كان معه من فلول جيش الروم . يرفرف عليها الاسى . ولم تبق بعد ذلك الا ايام قلائل لاهل المدينة ليصلحوا فيها من أمورهم . فان الهدنة انقضى امدها فى اليوم التاسع والعشرين من شهر سبتمبر وفتحت أبواب المدينة فدخلها . عمرو . يقود من معه من شعث جنود الصحراء . فساروا بين صفوف مما كان فى الاسكندرية العظمى من أعمدة براقة وقصور منيفة . وانتهى بذلك حكم دولة الروم فى مصر]

★★★

(فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين) صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٢ / ٤ / ١٩٩٠

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ * ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ * »

صدق الله العظيم

بقلم :
د . بنت الشاطئ
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين والإنسان واقع وآفاق

شهداء نجران ، وأصحاب الأخدود

غير بعيد من عصر الاضطهاد الديني بالاكراه المذهبي لشعوب العراق والشام ومصر . العريقة في المدنية والتاريخ ، قدم شهداء نجران المعزولة عن المدنية في وسط الجزيرة العربية . فدينهم الغالية لشرف الانسان وحرية العقيدة ، حفظها لهم القرآن الكريم إعظاما تكريما ، وحفظها لنا فيما حفظ من أنباء الرسل قبلنا ، عبرة ومثلا .. ودونها الصدر الاول من علماء السيرة النبوية ، في مقدمات مبعث خاتم رسالات الدين ، تتلو علينا من نبأ نصارى ، نجران ، الذين أحرقهم أصحاب الاخدود ، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) مالا يبعد عما لقى المسلمون الاولون الذين قوتلوا (وأخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ..) .

(٢)

وانباء أصحاب الاخدود . موضعها في المباحث الاولى من السيرة النبوية لامام علماء السيرة محمد بن إسحاق (٨٥ ـ ١٥١ هـ) في سياق النسب الزكي وماتفرع عنه من نسب بني اسماعيل . جد العرب العدنانية . ووصية النبي صلى الله عليه وسلم باهل مصر قوم . هاجر أم اسماعيل عليه السلام . ثم نسب الانصار في عرب اليمن . ومسير : ذى نواس الحميرى . من اليمن إلى نجران . لاكراه أهلها النصارى على الخروج من دينهم إلى يهوديته .

ذكر . ابن إسحاق . انتهاء ملك اليمن إلى ذى نواس وقال

[فاجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن فكان اخر ملوك حمير . وهو صاحب الاخدود . زين له حبران من يهود المسير إلى نجران . وبنجران وقتئذ بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليهما السلام . على الانجيل . اهل فضل واستقامة . لهم من أهل دينهم رئيس يقال له . عبد الله بن الثامر . من أهل نجران]

من ثم . يصل . ابن إسحاق . هؤلاء البقايا بمبدأ وجود النصرانية بنجران . وخبر . عبد الله بن الثامر . من عرب نجران .

[وكان أصل ذلك الدين بنجران . وهي باوسط أرض العرب . وأهلها في ذلك الزمان أهل أوثان يعبدونها ... فنزل بها رجل صالح من أهل دين المسيح عليه السلام اسمه . فيميون . وكان مجتهدا زاهدا مجاب الدعوة . سائحا ينزل بين القرى كلما عرفوه بقرية خرج منها إلى غيرها . لا ياكل إلا من كسب يده . بناء يعمل نهاره في الطين ويتعبد بالليل . ويعظم الاحد فلا يعمل فيه ويخرج إلى فلاة من الارض يصلي بها حتى يمسى]

ويروى من خبر . عبد الله بن الثامر . أن كان في قرية من قرى نجران ساحر يعلم غلمانهم السحر . فلما نزلها الراهب فيميون . ابتنى له خيمة بين نجران وبين قرية الساحر . وعبد الله بن الثامر غلام بعثه أبوه مع غلمان نجران إلى الساحر ليعلمهم السحر . فكان إذا مر بخيمة للراهب أعجبه منه مايرى من صلاته وعبادته وترتيله . فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى آمن بدين المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام . وأبوه الثامر لايظن إلا أنه يذهب الى الساحر مثل الغلمان . وصحب ابن الثامر الراهب . فيميون وأخذ عنه ماتيسر من علم اللاهوت وتاريخ النصرانية . وظهرت مخايل نجابته وإخلاصه وتقواه . فكان إذا دخل نجران لم يلق أحدا من أهلها الوثنيين إلادعاه الى النصرانية . فاستجابوا له . لما رأوا من سجاياه ومناقبه .

ومات ابن الثامر . واهل نجران جميعا على ماجاء به عيسى بن مريم عليهما السلام من الانجيل . ثم أصابهم ماأصاب أهل دينهم من الاحداث] .

★ ★

إلى أن آل ملك اليمن إلى . ذى نواس . فسار اليهم بجنوده . فدعاهم إلى يهوديته وخيرهم بينها وبين القتل . فاختاروا القتل على الردة عن دينهم بالاكراه . فامر ذو نواس جنوده فحفروا أخدودا مستطيلا في الارض كالخندق . واوقدوا فيه النار . وسيق ألوف النصارى المؤمنين فالقوهم في النار وجنود ذى نواس محيطون بهم قعود على حواف الأخدود يضربون بالسيف من يحاول الخروج من الاخدود .

غير أن رجلا من سبأ أفلت منهم وفر هاربا على فرس له فسلك الرمل فاعجزهم . حتى أتى قيصر ملك الروم . فاستنصره على ذى نواس وجنوده . واخبره بما بلغ من أهل نجران النصارى . فكتب قيصر كتابا إلى نجاشى الحبشة . أرسله مع الوافد من نجران يستنصره . فبعث معه النجاشى عسكرا التقوا بذى نواس في حمير ومن معه من قبائل اليمن في وقعة ضارية فاصلة . انهزم فيها ذو نواس وهلك جنوده . فلما رأى مانزل به وبهم وجه فرسه في البحر حتى أفضى به إلى غمره . وكان ذلك اخر العهد باخر ملوك حمير .

في هؤلاء الشهداء . نصارى نجران . وفي أصحاب الاخدود . نزلت ايات البروج . المكية :.

(قتل أصحاب الاخدود . النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود . ومانقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد .)

★ ★ ★

وبعث النبي صلى الله عليه وسلم . وفي نجران بقايا من نصاراها [أهل فضل واستقامة] بشهادة علماء السيرة ومؤرخي الاسلام . ورهبانهم قد قرأوا في التوراة والانجيل البشريات بنبي حان أوان مبعثه يعرفون صفته ودلائله . وقد بلغهم من جيرانهم وأهل ملتهم . نصارى الحبشة . تكذيب قريش بالنبي الهاشمي القرشي المبعوث فيهم . واضطهاد من امنوا به . بالفتنة والتعذيب والحصار مما اضطرهم الى الهجرة من ديارهم الى الحبشة .

ولعل رهبان نجران . بلغهم كذلك كيد يهود يثرب لهذا النبي العربي . وتربصهم به الدوائر . فكان مما ينبغي لنصارى نجران ان يطمئنوا الى حقيقة الامر في النبي العربي الامي وما يدعو إليه ، وذلك ما لا سبيل إليه في دوامة الاخبار والشائعات تاتيهم مشوشة مختلطة .

فتقرر إرسال وفد منهم إلى مكة . ياتيهم بالخبر اليقين عن نبي الاسلام ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليكونوا منه على بينة .

أخذ الوفد طريقه من الحبشة إلى مكة . عشرون رجلا من أهل الرأى والعلم فيهم . يلتمسون أن يلقوا نبي الاسلام ويناظروه . وينظروا فيما جاء به . بعد ستة قرون وعشر سنين من ميلاد المسيح عليه السلام .

★★★

في الحرم المكي كان اللقاء . بعد تمزيق صحيفة الحصار المفروض من قريش على المسلمين ومن والاهم من بني عبد المطلب وهاشم . انهكتهم به ثلاث سنين دأبا .

دنا الوافدون من المصطفى عليه الصلاة والسلام وقد أخذ مجلسه عند الكعبة . فسالوه عما جاء به فحدثهم عليه الصلاة والسلام عن اصول رسالته المصدقة لما سبقها من رسالات الدين الواحد . وراجعوه بوجه خاص . فيما تقول رسالته عن عيسى بن مريم المصطفاة على نساء العالمين . وآيات نبوته المعجزة . فبين لهم ماسألوا عنه فعرفوا أنه الحق من ربهم .

وتلا عليهم الآيات من القرآن الكريم . ففاضت أعينهم من الدمع خشوعا وانشرحت صدورهم لما سمعوا من كلمات الله . تخشع لها صم الجبال .

واستجابوا لله بمحض اختيارهم الحر . وطمأنينة قلوبهم المؤمنة .

وفي طريقهم من مجلس المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى باب البيت العتيق تعرض لهم أبو جهل بن هشام بن المغيرة المخزومي في نفر من زعماء قريش شق عليهم أن يصدق هؤلاء النصارى . وهم أهل كتاب . بنبوة محمد فيوقعوا الريبة في نفوس العرب من تكذيب المشركين من قريش بنبوة المبعوث منهم .

قالوا لوفد نجران :

[خيبكم الله من ركب : بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتاتوهم بخبر الرجل . فلم يطمئن مجلسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال . ما نعلم ركبا أحمق منكم .]

رد المؤمنون : سلام عليكم . لانجاهلكم . لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه . لم نأل أنفسنا وقومنا خيرا .]

فيروى أن هذه الآيات البينات نزلت فيهم . وفي الاعداء من يهود يثرب والمشركين عصر المبعث . خطابا للنبي عليه الصلاة والسلام .

(لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى . ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون . وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين . ومالنا لا نؤمن بالله وماجاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع الصالحين .)

صدق الله العظيم

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۞ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۞»

صدق الله العظيم

بقلم :
د . بنت الشاطئ
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة ـ جامعة القرويين

الدين والانسان واقع وآفاق

مقدمات ونذر من الفجر الصادق إلى يوم بدر

يأخذ يوم بدر في هذا الموسم موضعه في القضايا الشاغلة لعالم اليوم فيما يشهد مبهورا من حركة انعتاق شعوب الاتحاد السوفيتي من أسر المذهب الشيوعي بعد معاناة قاسية لوطاته الباهظة لعشرات سنين ، كانت مظنة أن تحملهم على الاستسلام للاكراه في الدين والفتنة بالماركسية الالحادية .

كما يأخذ يوم بدر موضعه فيما قدمت من قراءات في تاريخ الفتوح الاسلامية لشرقنا العريق ، وما كان للاضطهاد الديني والاكراه المذهبي من أثر في توجيه حركة التاريخ ، محكومة بالسنن الثابتة .

يوم بدر ، في السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة الخامسة عشرة للمبعث ، كانت الجولة الحربية الاولى بالسلاح للاسلام مع أعدائه ، بدءا بالمشركين من قريش ، ووراءهم المنافقون من أهل المدينة ومواليهم يهود يتربصون بالاسلام الدوائر للقضاء عليه في دار هجرته .

هذه الجولة الاولى من المعركة المعقدة في الجبهات الثلاث التى كان على الاسلام أن يواجه فيها أعداءه ، مسبوقة في الرؤية القريبة بمقدمات و أسباب مباشرة أقربها ما استهلت به (بدر الكبرى) في السيرة النبوية ، من مرور أبي سفيان بن حرب على مقربة من المدينة المنورة ، مع سبعين رجلا في تجارة و أموال عظيمة لقريش عائدين من رحلة الصيف الى الشام . سمع بهم النبى صلى الله عليه وسلم فندب لهم من يصدونهم عن المدينة . وعلم أبو سفيان باستنفار النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أصحابه . فاستاجر من بعثه إلى مكة . ليستنفر قريشا لتجارتها ورجالها . وينذرها بتعرض محمد و أصحابه لها . لايرى أنهم مدركوها .

ومضى بها النفير إلى مكة فسر على ماتمت التعبئة لقتال المسلمين في دار هجرتهم . وخرج من مكة . أبو جهل بن هشام بن المغيرة المخزومى . في نحو من ألف رجل . بينهم أشراف قريش ـ معهم مائة فارس . عليهم . خالد بن الوليد بن المغيرة . وخرج إليهم من المدينة : النبى صلى الله عليه وسلم في ثلاثمائة و أربعة عشر من أصحابه المهاجرين و الانصار . معهم ثلاثة أفراس . وسبعون راحلة لركوبهم . واحدة لكل ثلاثة منهم يعتقبونها واحدا بعد الآخر .

والتقوا على ماء بدر ..

• • •

وعلى الافق غير بعيد من اليوم المشهود . تبدو نذر به قبل موعده بشهرين . بموضع . نخلة . بين مكة والطائف . خرجت إليها في اخر جمادى الثانية و أول شهر رجب . سرية . عبدالله بن جحش الاسدى . ابن عمة المصطفى صلى الله عليه وسلم . في ثمانية من المهاجرين بعثهم الرسول عليه الصلاة والسلام إلى هناك لترصد قريش و استطلاع أخبارها . ولم تؤمر السرية بقتال . . فحدث في مرحلة من الطريق ان خرج . سعد بن ابي وقاص الزهرى وعتبة بن غزوان . ينشدان بعيرا لهما ضل . وتاخرا في العودة إلى منزل السرية . وغلب على الظن أن قريشا أخذتهما على غرة أسيرين . ومضى أمير السرية بمن بقى معه حيث نزل بموضع نخلة كما أمره النبى صلى الله عليه وسلم . فمرت عير تجارية لقريش فيها . عمرو بن الحضرمى . حليف عتبة بن ربيعة بن عبد شمس . وتحاشى المسلمون القتال حفاظا على حرمة شهر رجب الحرام . لكن تجنب الصدام لم يكن مستطاعا مع المواجهة . و أطلق الصحابى واقد بن عبدالله التميمى سهما أصاب ابن الحضرمى فقتله . وفرت قريش عن عيرها وقتيلها و أسيرين منها . وعادت السرية الظافرة الى المدينة بالمغانم والاسيرين وهى ترجو أن يفتدى بهما سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان . فما كادت تدخل المدينة حتى قوبلت بوجوم ذهب بفرحة النصر . وقال المصطفى عليه الصلاة والسلام لابن عمته . أمير السرية : . ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام . ثم أعرض عما جاءت به السرية من مغانم . ونحى الاسيرين القرشيين . فظن عبدالله بن جحش و أصحابه أنهم أثموا وهلكوا . واشتد الصحابة في لومهم وتناقلت أحياء المدينة ما تقول قريش في مكة : لقد استحل محمد و أصحابه حرمة الشهر الحرام ، وتسللت الافاعي من أوكار اليهود تطوف بارجاء المدينة وهى تنفث في حقد واشتفاء بنذير الحرب .

حتى حسم القران الكريم ذلك الموقف الصعب و أنهى كل جدل فيه بالآية المحكمة :

(يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام . وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ..) الآية

بعد شهرين اثنين . في شهر رمضان من السنة الثانية كانت غزوة بدر الكبرى ..

• • •

وفي واقع التاريخ . يبدو يوم بدر وماسبقه من مقدمات مباشرة . موصولا بالهجرة التاريخية لاينفصل عنها . بعد ثلاث عشرة سنة تسلطت فيها قريش على المسلمين الاولين باشد التعذيب والفتنة والحصار . والمسلمون يزدادون على الاذى والبلاء ثباتا واستبسالا . حتى وصلت الجولة المكية إلى طريق مسدود على حافة الحرب . وقريش تتقى حرب فجار في البلد الحرام . مثابة حج العرب ومركز مواسمهم التجارية والادبية الكبرى والمسلمون لم يؤذن لهم في قتال .

التاريخ : ١٣ / ٤ / ١٩٩٠

في العهد المكي . كانت الهجرة الاولى الى الحبشة أثراً لوطأة الفتنة ونهك الحصار . وكان الاسراء امتحاناً

عسيراً لتمحيص الايمان . وكانت بيعات العقبة مؤشراً إلى اتجاه الاحداث نحو يثرب بعد أن مضى العهد المكي كله تمحيصاً وبلاء . فكانت الهجرة التاريخية الى المدينة ايذاناً صريحاً بيوم الفرقان . وقال تعالى :
(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ..) الآيات .
فهذا إيذان صريح بيوم الفرقان . وموازين القوى فيه

● ● ●

وبالهجرة . يمكن استبصار الاسباب والنذر قبلها . نافذة إلى مطلع الفجر الصادق من ليلة القدر ..

كلمة التوحيد جوهر الدين كله . كانت وحدها صدعاً في صرح الوثنية والشرك . ونذيراً بصراع مرير محتوم لايمكن أن ينتهي إلا بانتصار الحق في مقاومة الانسان الباسلة للاكراه في الدين ودفاعه عن شرف إنسانيته . لايعبد غير خالقه . إذ ليس من طبيعة الاشياء أن يتهادن حق وباطل ..

● ● ●

وقضت المشيئة العليا لثبات السنن أن تطول الجولة المكية الاولى بغير قتال ليؤمن من يؤمن عن بينة ويكون الابتلاء والبلاء تمحيصاً للصفوة المؤمنين وكشفاً لغشاوة العمى والغفلة عن المشركين . لتتقرر أمانة حرية العقيدة بعدم الاكراه في الدين ..

ثم كان الاذن للمؤمنين في القتال إقراراً لمبدأ حرية العقيدة وغضباً لحرمات للانسان لايحل أن تنتهك . ودفعاً لما سيم المؤمنون الاولون من أذى واضطهاد . .

لكن القتال لم يبدأ مع ذلك في عام الهجرة الاول . الذي

مضى كله احتشاداً للجهاد وتنظيماً للمجتمع الاسلامي في المدينة واكتشافاً لابعاد الميدان في منطقة كانت حتى المبعث . ولمدى خمسة قرون قبله شبه مستعمرة ليهود الطارئين على المنطقة فراراً من وطأة الرومان الساحقة . فما لبثوا أن رسخوا وجودهم المغتصب في الارض الطيبة على حساب الوجود العربي لاهلها الاوس والخزرج ..

في تلك السنة الاولى للهجرة اخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار وكتب عهده بموادعة يهود على أموالهم وأنفسهم ودينهم وبيعهم . على ألا يمالئوا عليه عدواً وأن يكونوا مع المسلمين على من دهم المدينة ..

ومع مطلع السنة الثانية بدأ صلى الله عليه وسلم يخرج في غزوات قصار تدريباً لجنده . وإقراراً لهيبة الاسلام في موقعه الجديد .

كما بدأ يبعث سراياه تجوب المنطقة ما بين مكة . مركز الوثنية القرشية . والمدينة مركز الدعوة الاسلامية . ولم تكن هذه السرايا قاصدة القتال . بل كانت دوريات استطلاع تترصد أنباء قريش في الحجاز .

أولاها سرية . عبيدة بن الحارث القرشي إلى مشارف الحجاز وقد لقي جمعاً من قريش ولم ينشب بينهم قتال .

بعدها . كانت سرية . عبدالله بن جحش الاسدي . ومن هذه السرية اندلع الشرر الذي أوقد الضرام الذي توهج مشتعلاً على ساحة بدر ..

● ● ●

(أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا امنا وهم لايفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) .

صدق الله العظيم .

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٤ / ٤ / ١٩٩٠

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار »

صدق الله العظيم

بقلم :
د . بنت الشاطئ
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين والانسان واقع وآفاق

منطق النصر يوم الفرقان في السنن الثابتة لموازين القوى

أكان للناس عجبا من آيات بدر ، أن تغلب القلة المؤمنة الصابرة أضعافها عددا وعدة ؟ وواقع الاحداث يعطي هذا العجب منطقه ، إذ تجرى الوقائع على السنن الثابتة ، مقررة حتمية النصر للقلة المؤمنة الصابرة ، كيلا تختل موازين القوى بالتواكل العقيم وتعطيل الاسباب ..

أم كان للعصريين عجبا من إنسانية الانسان ، أن تخايله الرؤى وتساوره الهواجس ، معبرة عن شجونه ومواجده ، وهمومه ومخاوفه ؟

القرآن الكريم في تعامله مع الانسان ، يقدر ما يموج به عالمه النفسي من شواغل وهموم ، مع فرق واضح في الدلالة القرآنية للرؤيا : لا تأتي فيه إلا صادقة واضحة كأنها رؤية عين ، وبين الأحلام حينما جاءت فيه ، فبدلالة على الهواجس المهوشة والأضغاث المختلطة .

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٤ / ٤ / ١٩٩٠

ويجهل طبيعة الانسان من يغض من رؤاه وأحلامه . ومن شواذ المفارقات في هذا الزمان ، فتنة المتفرنجة بأحلام ، فرويد ، وسخريتهم من رؤى الانسان السوى في دين الفطرة . وفيما وعى واقع تاريخنا من رؤى للانسان ، مايكاد أحد منا ، نحن السلفيين ، يتجاسر على الاعتبار بدلالتها حتى تأخذه صيحات العصريين المتنورين من كل جانب ، ساخرة من عقليته الخرافية .

ثم لا أتحرج من الحديث عما حف بيوم بدر - أو أيام أخر - من رؤى كاشفة عن وجدان مرهف بوقع الأحداث ، واستبصار ملهم للمتوقع من عواقبها على ما تجرى به السنن الثابتة .

في ظاهر موازين القوى يوم بدر ، ما يقرب أن يكون معلوما بالضرورة للخاصة والعامة ، مما نتلو صباح مساء من آيات بينات في الاعتبار بيوم الفرقان يوم التقى الجمعان ، ببدر .

لكننا قلما مددنا البصر إلى موقف قريش ومعنوياتها ، تأهبا لموقعة حاسمة لا تهون الغفلة عما يدخل في موازين القوى ، كما لا يهون اغفال ما صحت به الرواية ، من طريق أوثق الحفاظ ، عن رؤيا لعمة المصطفى عليه السلام .

، عاتكة بنت عبد المطلب الهاشمية ، قبل ثلاث ليال من قدوم وافد من أبي سفيان بن حرب ، يستنفر أهل مكة لإدراك أموالهم وتجارتهم التي عرض لها أصحاب محمد قرب المدينة .

وقد أفظعتها الرؤيا فأفضت بها إلى أخيها ، العباس بن عبد المطلب ، واستكتمته إياها وهي تتخوف أن يدخل منها على قومه قريش ، شر ومصيبة : فاهتم العباس لرؤيا أخته وتواعدا على كتمانها . لكنها ما لبثت أن شاعت وصارت حديث الناس في مكة رجالا ونساء . فيقول ، أبو جهل بن هشام المخزومي للعباس ، ، متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ أما رضيتم يابني عبد المطلب أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ،

ويقول العباس بن عبد المطلب : ثم تفرقنا ، فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني أبي طالب إلا أتتني فقالت : ، أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ثم قد تناول نساءكم وأنت تسمع ، ثم لم تكن عندك غيرة لشيء مما سمعت ؟ !

وجاء وافد أبي سفيان في اليوم الثالث ، فاستنفر الناس ، وساروا تشيعهم (رؤيا عاتكة) وبلغ النبي عليه الصلاة والسلام خبر مسير قريش وما جمعت له ، فجمع أصحابه المهاجرين والأنصار وحدثهم بما بلغه ، وقال ، أشيروا على أيها الناس ، فقام أبو بكر ثم عمر ، رضي الله عنهما . فتحدثا ماشاء إيمانهما عن فريضة الجهاد والثقة في الله عز وجل . ثم قام ، المقداد بن عمرو ، بن ثعلبة البهراني ، فقال : يارسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك . والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون . فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد - بأقصى الجنوب - لجالدنا معك دونه حتى تبلغه ..

دعا له المصطفى بخير ، ثم التفت صلى الله عليه وسلم إلى الأنصار - ولم يكن أحد منهم تكلم بعد - وقال ، أشيروا على أيها الناس ،

سأل نقيبهم سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يارسول الله ؟ فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ماجئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة

وسار بهم المصطفى على بركة الله ، لم يشأ أن يبقى في المدينة حتى تدهمها قريش ، فخرج منها لثمان ليال خلت من شهر رمضان ، فنزلوا وراء بدر . فيروى أن ، الحباب بن المنذر ، الأنصاري الخزرجي ، سأل النبي صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، أرأيت هذا المنزل ، أهو عن وحي ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ؟ أم الحرب والمكيدة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : بل الحرب والمكيدة . قال الحباب : يارسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل . فانهض بالناس إلى أدنى ماء من القوم فننزله .. :

فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمشورته .

وأقبلت قريش بخيلها وخيلائها فنزلت بالعدوة القصوى من بدر ، وراء كثيب هناك . فلما اطمأن بهم المنزل بعثوا من يحزر لهم أصحاب محمد ، فجال جولة حول المعسكر ثم رجع إليهم فقال : ثلثمائة رجل يزيدون أو ينقصون . ثم كأنه عجب لقلة عددهم فاستدرك يقول : ولكن أمهلوني حتى أنظر : أللقوم كمين أو مدد ؟ فضرب في الوادي حتى أبعد ثم رجع فقال : ما وجدت شيئا ، ولكني رأيت يامعشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب - من الإبل - تحمل الموت الناقع ، قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم . والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم . فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك ؟ فانظروا رأيكم .

فلما سمع ذلك ، حكيم بن حزام ، بن خويلد الأسدي ، سار إلى ، عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، فقال : ياأبا الوليد انك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها ، هل لك إلى

أن لاتزال تذكر فيها بخير الى اخر الدهر ؟ ترجع بالناس وتحمل دية حليفك عمرو بن الحضرمي . قال عتبة : قد فعلت ، فاذهب الى ابن الحنظلية – أبي جهل ابن هشام بن المغيرة المخزومي – فإني لا أخشى أن يفرق أمر الناس – غيره . ثم قام عتبة خطيبا فيمن معه من قريش قال :« يامعشر قريش انكم والله ما تصنعون شيئا بأن تلقوا محمدا واصحابه . والله لئن اصبتموه لايزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر اليه ، قتل ابنه او أخاه أو ابن عمه أو ابن خاله ، أو رجلا من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بينه وبين سائر العرب فإن أصابوه فذلك الذي أردتم . وإن كان غير ذلك لم ينقصكم شيء ...»

وكان من أمر حكيم بن حزام ، أن أتى أبا جهل فأبلغه رسالة عتبة ، فسخر أبو جهل من عتبة وعيره بانه تخوف على ابنه الوليد، ثم بعث أبو جهل إلى، عامر بن الحضرمي، فقال له : هذا حليفك عتبة يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثارك بعينك فقم لمقتل أخيك عمرو . فقام عامر في الناس ينذب أخاه ، فحمي الناس على ما هم عليه من شر ..

وتراءى الجمعان وهما على هذه الحال .

★ ★ ★

أبصر النبي صلى الله عليه وسلم قريشا تندفع من وراء الكثيب هادرة بزئير الوعيد ، ثملة بنشوة الصيد ، فدعا المصطفى ربه عز وجل :« اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك . اللهم فنصرك الذي وعدتني به .

وأقبل على أصحابه يعدل صفوفهم ويحرضهم على الجهاد ، ليلقى بهم ألف مقاتل من قريش ، كاملي العدة والسلاح معهم مائة فرس مدربة على القتال ، عليها، خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، فارس قريش،

وجند الاسلام يومئذ ، ثلاثمائة وأربعة عشر : من المهاجرين ثلاثة وثمانون ، والباقون من الانصار : الاوس ، والخزرج . ومعهم من الخيل ثلاثة أفراس . استضعفهم المشركون واستكبر صناديد قريش أن يخوضوا معركة مع هذه القلة البائسة : إن انتصروا عليها فما صناع النصر في ميزان فقدان التكافؤ . وإذا انهزموا فذلك عار الدهر . وبدا لكبيرهم، عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أن يحسم الموقف الصعب ، فخرج من صف المشركين يختال بين ابنه الوليد عن يساره ، وأخيه شيبة بن ربيعة عن يمينه . وسأل : هل من مبارز ؟

فخرج اليه ثلاثة من الانصار ، فاستنكف أن يبارزهم ونادى : يامحمد ، أخرج إلينا أكفاءنا . فاخرج اليه ثلاثة من صميم البيت القرشي . حمزة بن عبد المطلب الهاشمي ، وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف .

ولم تطل المبارزة : وسقط عتبة بن ربيعة وشيبة أخوه ، وابنه الوليد : صرعى مجندلين على ساحة بدر .

عندئذ تزاحف الناس وحميت المعركة . فاخذ صلى الله عليه وسلم حفنة من حصباء بدر قذف بها عسكر المشركين وهو يقول :« شاهت الوجوه، ثم قال لأصحابه، شدوا، وشدوا على المشركين فما تركوهم الا بين قتيل وأسير وهارب . أحصى علماء السيرة قتلى بدر : سبعين قتيلا ، وأسراهم : ستة وستين ولاذ الباقون بالفرار .

واستشهد من البدريين اربعة عشر شهيدا : ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار ، الاوس والخزرج بذلوا أنفسهم فدية لعقيدتهم .

سلام على البدريين ..

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ*»

صدق الله العظيم

بقلم :
د . بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين والانسان واقع وآفاق

حديث ذو شجون ١
الأسير والقلادة

تاتي ذكرى بدر هذه السنة صبيحة يوم جمعة ، وكذلك كان يومها المشهود صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان المعظم في السنة الثانية للهجرة . شجاني من ذكراها ، مالا يغيب عني كلما مربي مثل هذا اليوم . منذ شغلت بتراجم سيدات بيت النبوة ، وفيهن (بنات النبي) صلى الله عليه وعلى اله وسلم . وقد مر على نشر الكتاب نحو من ثلث قرن ، وتظل ذكرى السيدة زينب كبرى بنات المصطفى وفداء زوجها الحبيب الاسير يوم بدر ماثلة لبصيرتي ووجداني يتجدد عهدي بها كلما احتفلنا بيوم الفرقان ..

فليكن حديث اليوم عنها . نفحة من عطاء الشهر الكريم لعواطف انسانيتنا وشجون مواجدنا ، وما يروضنا به من مجاهدة النفس لكثافة المادية وصدأ الوجدان .

بعث المصطفى عليه الصلاة والسلام والسيدة زينب كبرى بناته الاربع . هانئة بحياتها مع زوجها . أبي العاص بن الربيع . القرشي . ابن خالتها . هالة بنت خويلد بن أسد القرشية . ومن سراة مكة وأعيان رجال قريش شرفا وجاها وكرما وسؤددا ..

وكان ابو العاص في رحلة الى الشام حين المبعث . عاد منها وملء سمعه شائعات تناقلها الركبان عن ظهور . محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي . بدين جديد يمحق ما كان عليه الاباء والاجداد .

وتحدثت اليه زوجه السيدة زينب بالنبأ اليقين ووجهها مشرق بالبشر والعزة . فما راعها الا أن أمسك صامتا لا يعقب . وسألته ما بك يا ابن الخالة ؟

قال وهو يملأ عينيه منها : بي ياحبيبة أني خائف .

ثم غض من بصره وهو يردد كمن يحدث نفسه

لو تبعته لقالت قريش فارق دين آبائه ارضاء لزوجه وحميه . ولو خالفته .....

فلم تدعه يكمل كلمته . بل قاطعته قائلة في لهفة وضراعة : لكنك لن تدع كلام القوم يثنيك عن اتباع الحق .

ورنت إليه هنيهة قبل أن تستطرد قائلة : وأنا بعد قد فلم يبد عليه أنه اصغى الى ما تقول . وقد شغله ما خطر عن باله : ماذا لو أني بقيت على دين الاباء ؟ وما يكون موقف طفليهما - علي . وأمامة . بين أب مشرك وأم مسلمة ؟

وخرج الى دار الندوة . وبقيت السيدة زينب تنتظر مهمومة مشغولة البال . حتى اب اليها في غسق الدجى واجما مطرقا فلم تحاول أن تبادره بسؤال . بل تركته حتى جلس فقال من تلقاء نفسه . بصوت حزين

ـ لقيت أباك اليوم في الكعبة يازينب ودعاني الى الاسلام .

ولم يزد . وكان في وجوم ملامحه وانكسار صوته ما يغني عن مزيد ..

ووقفا في أعماق الليل يطويهما الحزن والخوف . وكان حاجزا غير مرئي يقف بينهما فيحول دون ما يبغيان من شعور بالتداني والتماس كل منهما في صاحبه ملاذا وسكنا . ولم يناما ليلتهما . ولا ما بعدها من ليال . اللهم الا أن يغلبهما الكلال فيغفوا مجهدين غفوات مقطعة .

وقال لها ذات ليلة وقد راعه ما تكابد :

ـ والله لقد علمت يازينب ما أبوك عندي . بمتهم . ولا شيء أحب إلي من أن أسلك معك ياحبيبة في شعب واحد . ولكني أكره لك ولي أن يقال ان زوجك خذل قومه وكفر بدين ابائه مرضاة لامرأته وحميه . فهلا عذرت ؟

فتندت عيناها بالدمع ولم تجب . وان خايلها الرجاء في أن تنجلي الغمة .

لكن الغمة لم تنجل عن قرب . بل طال الامد وجاوزت قريش المدى في اضطهاد الدعوة الاسلامية والضغط على القلة المسلمة بالاذى والفتنة والحصار والمقاطعة . ثم لم تنكشف محنة الحصار الا لتسلم الى بلاء مبين مات العم أبو طالب وكان للمصطفى راعيا وكافلا ومانعا له من قومه . وبعده بأيام توفيت السيدة خديجة أم المؤمنين الاولى . ربة بيت النبي صلى الله عليه وسلم . وأم العيال . ووزيره في الاسلام . فاحيا فقدهما ما مات من امال المشركين . وعادت وطأة الاضطهاد التي فترت هونا عقب فك الحصار الى اشد مما كانت عليه تأججا وسعيرا . وبلغت الازمة ذروتها بما كان من ائتمار صناديد قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم ليقتلوه . وهجرته الى المدينة مع صاحبه الصديق ابي بكر .

وأوجست زينب في قلبها خيفة وهي تسمع عن المطاردة الشرسة العنيفة لابيها النبي المهاجر وصاحبه . فما اطمان بالها حتى بلغها وصولهما الى مامنه في دار هجرته .

وجاء رسول من يثرب فصحب اختيها ام كلثوم وفاطمة الى المدينة . وكانت . رقية . قد هاجرت قبل ذلك مع زوجها عثمان بن عفان . وبقيت زينب في دار زوجها ابي العاص بن الربيع بمكة . ولم يكن الاسلام قد فرق بعد . بين مشرك ومسلمة .

وخلت الديار ممن كانت بهم عامرة . رحلوا جميعا فاما الاحياء منهم فالى مهاجرهم قد بعدت بهم المنازل والديار .

وأما الموتى فالى مضاجعهم في ثرى مكة . اقرب ما يكونون من أهليهم وأحبابهم . والمزار بعيد بعيد .. إلا أن يحوم طيف او يلم زائر في رؤيا منام

وتتابعت النذر ايذانا بحتمية القتال بين قريش وبين المسلمين الذين قوتلوا واخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله .. فلما علا النفير بمكة للمسير الى المدينة في شهر رمضان للسنة الثانية من الهجرة . ادركت . زينب . رضى الله عنها . انها الحرب بين قريش والمسلمين . وفي الاولين أبو العاص بن الربيع زوجها ووالد طفليها وابن خالتها هالة .. وفي المسلمين ابوها المصطفى ..

ومضت الايام والليالي بطيئات مثقلات بالقلق

والهواجس حتى جاء نبأ من . بدر . هز المجتمع المكي كله محمد ــ صلى الله عليه وسلم في القلة من أصحابه المهاجرين والانصار غلبوا الكثرة من قريش ..

ثم جاءت فلول الجيش المغلوب بتفصيل ما كان وراءها : لقد تركت سبعين قتيلا فيهم هامات قريش ، صرعى مجندلين حول ماء بدر ، وخلفت قريبا من هذا العدد . أسرى للمسلمين في دار الهجرة .

وأذيعت أسماء الاسرى وفيهم - أبو العاص بن الربيع . وكان ذا شرف ومال فاراد أهله أن يغالوا في فدائه لكن زوجه . زينب بنت محمد . سالتهم أن يتركوا لها فداءه ..

* * *

سيق أسرى بدر الى المدينة المنورة في أعقاب الفئة الغالبة فتاملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مليا ثم نحى منهم صهره أبا العاص بن الربيع . وفرق الباقين بين أصحابه البدريين وقال . استوصوا بالاسارى خيرا . .

وبقي أبو العاص في جوار صهره الكريم حتى جاءت رسل قريش في فداء أسراها . قد غالوا في الفداء ..

وتقدم . عمرو بن الربيع : اخو أبي العاص . فقال للنبي عليه الصلاة والسلام . :

. بعثتني زينب بنت محمد بهذا . في فداء زوجها . اخي أبي العاص بن الربيع .

واخرج من ثيابه صرة قدمها الى النبي عليه الصلاة والسلام . حل رباطها فاذا فيها قلادة من جزع ظفار ــ بلد باليمن ــ لم يكد النبي صلى الله عليه وسلم يراها حتى رق لها رقة شديدة وخفق قلبه للذكرى لقد كانت قلادة خديجة اهدتها الى ابنتها زينب يوم زفافها .

وأطرق الصحابة خشعا ماخوذين بجلال الموقف قلادة الحبيبة تبعث بها بنت الحبيب الى أبيها في فداء زوج حبيب ..

وتكلم الاب النبي . بعد فترة صمت . فقال لاصحابه البدريين بصوت يفيض رحمة وحنانا . إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا . قالوا جميعا : نعم يارسول الله

وادنى محمد . صلى الله عليه وسلم . إليه صهره الذي غلبه التاثر لهيبة الموقف . فاسر إليه حديثا . فحنى ابن هالة رأسه مستجيبا ثم حيا ومضى . فلما ابتعد التفت ، عليه الصلاة والسلام . الى اصحابه حوله فاثنى على أبي العاص بن الربيع خيرا وقال : . والله ما ذممناه صهرا .

وغير مستبعد ان يكون الصحابة يومئذ تذاكروا ما كان من امر قريش . حين بعث المصطفى عليه الصلاة والسلام وبناته الثلاث . زينب ورقية وام كلثوم . متزوجات في بيوت قريش فسار بعضهم الى بعض وقالوا انكم فرغتم محمدا من همه فردوا عليه بناته فاشغلوه بهن .

ومشوا الى اصهاره الثلاثة ابي العاص وعتبة وعتيبة ابني العم عبد العزى بن عبد المطلب فقالوا لكل واحد منهم فارق صاحبتك ونحن نزوجك اى امرأة من قريش .

فاما ابو العاص بن الربيع فرد على قريش . لا والله لني لا أفارق صاحبتي وما احب ان لي بامرأتي امرأة من قريش .

واما عتبة وعتيبة فاستجابا للمساومة بامر أبويهما عبد العزى ابي لهب وامرأته ام جميل بنت حرب . حمالة الحطب .

وكان مما من به الله تعالى على ال محمد أن تزوج رقية عثمان بن عفان احد السابقين العشرة : وهاجر بها الهجرتين فلما ماتت تزوج شقيقتها ام كلثوم وشرف بلقب ذي النورين . رضى الله عنهم ورضوا عنه .

الأهرام
مركز المعلومات والتنظيم والتوثيق
قطاع خدمات المعلومات
التاريخ : ١٦/٤/١٩٩٠

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ »

صدق الله العظيم

بقلم :
د . بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة ـ جامعة القرويين

الدين والإنسان واقع وآفاق

حديث ذو شجون ٢

لقاء .... وفراق

في صحبة السيدة زينب كبرى بنات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أتمثل لقاءها بزوجها . وقد مـن عليـه المصطفى والبدريون من الصحابة فاطلقوه مـن الاسر . وردوا إلى السيدة زينب قلادتها التي بعثت بها في فدائه من الاسر يوم بدر .

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات
التاريخ : ١٦ / ٤ / ١٩٩٠

وبلغ مكة فطاف بالبيت العتيق واتجه الى داره مثقل الخطا . فما إن أبصرته زوجه زينب حتى وثب قلبها إليه فرحة بنجاته وعودته . وفي قلبها هاجس من رجاء أن يكون الله تعالى شرح قلبه للاسلام . فتتم نعمته على آل البيت

وشغلتها فرحة اللقاء فلم تلمح ما يغشى وجه أبي العاص من وجوم وانقباض . إلى أن قال وهو يغض من بصره إشفاقا عليها . جئتك مودعا يا زينب .

سألت بقلب واجف هكذا . ولما نكد نلتقي ؟ !

قال وما يزال يتحاشى النظر إليها

. لست راحلا يا زينب . بل أنت الراحلة هذه المرة

ورابها ما سمعت . وحدقت في وجهه تحاول فهم ما أعياها أن تفهمه . فعجل إليها بالبيان

. إن أباك يا زينب . هو الذى طلب أن أردك إليه لان الاسلام فرق بيني وبينك . وقد وعدته أن أدعك تسيرين إليه .

وحملها صوته إلى بعيد .

ولم تكن قد علمت بعد . أن شقيقتها . رقية . نعيت إلى دار الهجرة مع بشرى النصر في بدر فتمثلت زينب نفسها في بيت النبوة . تعانق أباها وأخواتها الثلاث . وتلقى النازحين من الاهل والعشيرة . وذوى القربى

وانتشت بالخاطر السعيد لحظة . ثم كانها أدركت أن ما سمعت من أبي العاص عن وعده للنبي صلى الله عليه وسلم يعني أنه لقي أباها ولم يبايعه . وعاد إليها مشركا سألته مترفقة . ولم تخف عليها شجونه

ـ كم بقي لنا من وقت قبل الفراق ؟

رد بصوت واهن ليس بالكثير . إن هي إلا أيام تتجهزين فيها للسفر . ثم يكون الفراق ..

وبقي سؤال من زينب وترافقني إلى دار الهجرة ؟ فامسك دموعا تحيرت في مقلتيه وقال

ـ كلا يا بنت الخالة بل يأتي أخوك زيد بن حارثة ومعه صاحب من أنصار أبيك حتى يبلغا موضعا معينا على بعد ثمانية أميال من مكة . فينتظرا هناك حتى تمرى بهما فيصحباك الى يثرب ....

وخرجت . زينب . تتجهز للسفر . فلقيتها . هند بنت عتبة بن ربيعة . التي روعها مصابها في بدر . وأخرجها من دار زوجها أبي سفيان بن حرب إلى محافل مكة وأنديتها تحرض على الثار لقتلاهم يوم بدر من هامات قريش

ولم يخف على . هند . في ذكائها اللماح . أن زينب تتجهز لتلحق بأبيها . فدنت منها متلطفة فقالت . يا بنت محمد . ألم يبلغني أنك تريدين اللحوق بأبيك ؟ فتحيرت زينب لم تدر بم تجيب وقد فوجئت بالسؤال واستطردت هند قائلة مجاملة

. أي ابنة عمي . إن كانت لك حاجة بمتاع يرفق بك في سفرك فإن عندى حاجتك فلا تضطغني مني . فإنه لا يدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال

شكرتها زينب وإنها لتقول والله ما اراها قالت ذلك الا لتفعل . ولكني خفتها فكتمت اني أريد اللحوق بيثرب .

....

سرعان ما حل الموعد المضروب

ودعت . زينب . أبا العاص وداع محبة غير قالية ولا هاجرة . وفي رحمها جنين لم يستكمل شهره الرابع .

وخان أبا العاص تجلده . فارخى بصره وهي على وشك رحيل . وترك أخاه . كنانة بن الربيع . يمضي بها الى حيث ينتظرها زيد وصاحبه .

وانطلق . كنانة . يقود بعيرها نهارا وقد أخذ قوسه وكنانته متاهبا . فهال السادات من قريش أن يخرج بها

هكذا على مرأى منهم ومسمع . وطاردها رجال منهم حتى أدركوها بذى طوى فكان اسبقهم اليها رجلان روعها أحدهما بالرمح ثأرا لاخوة له ثلاثة قتلوا يوم بدر . ونخس البعير فالقى براكبته على صخرة هناك وعندئذ برك . كنانة بن الربيع . دونها ونثر كنانته وهو يزأر متوعدا والله لا يدنو منى رجل الا وضعت فيه سهما

فتراجع المطاردون . ووقف ابو سفيان بعيدا يقول لكنانة كف عنا نبلك حتى نكلمك فكف كنانة . وتقدم ابو سفيان حتى دنا منه فقال

. إنك لم تصب يا ابن الربيع . خرجت بها على رءوس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد . فيظن الناس أن ذلك عن ذل أصابنا . وأن ذلك منا ضعف ووهن . ولعمرى ما لنا بحبسها عن ابيها من حاجة . ولكن ارجع بها حتى اذا هدأت الاصوات وتحدث الناس أن قد رددناها . فتسلل بها سرا فالحقها بابيها .

فكبر على كنانة أن يرجع بها . لولا أن سمع توجعها فالتفت نحوها فما راعه الا أن راها تنزف دما . وقد طرحت جنينها على أديم الصحراء .

وعاد بها إلى مكة حيث بقي أبو العاص يرعاها ليل نهار . فلما تماسكت بعض قواها النازفة . خرج بها كنانة حتى أسلمها إلى . زيد بن حارثة . ولم يتبعها هذه المرة منهم مطارد . وقد ركبهم الخزى والعار من قول هند بنت عتبة . تعيرهم بمعركة مع أنثى عزلاء . فهلا كانت هذه الشجاعة يوم بدر . ورجعت الافاق ما بين مكة والمدينة ابيات هند في المطاردين الجفاة الغلاظ . وأبيات كنانة في خفارته بنت محمد . وقصائد شعراء الانصار في سعلة اللئام .

* * *

ومضت أعوام ستة . حافلة بجليل الاحداث . وزينب تعيش مع ولديها في رعاية أبيها عليه الصلاة والسلام . على أمل لم يغلبها عليه اليأس قط **أن يشرح الله صدره .**

حتى كانت ليلة من ليالى جمادى الاولى من السنة السادسة للهجرة . وقد باتت زينب مؤرقة بذكريات زادت النوم عنها . وطاب لها أن تحلم في سهادها بالأمل المرجو . فهل يسلم أبو العاص ؟

واقترب الفجر وما تزال في يقظتها الحالمة . فلم تكد تشعر ببابها يفتح عن شخص أبى العاص . كليلا شاحب الوجه . فعجبت لما ترى وهمست أبو العاص ؟

فراعها أن أجاب بصوته المألوف أجل يا بنت الخالة . ابو العاص ألقت به المقادير قريبا من يثرب

الأهرام

فسعى إليك مستجيرا .و المطاردون من المسلمين على اثره

لبثت ترمقه صامتة الى أن لمحت نور الفجر يبزغ من فتحة الباب . وسمعت بلال بن رباح يؤذن للصلاة . وميزت خطوات ابيها سعيا الى المسجد النبوى ليصلى بالناس . فلما كبر وكبر معه الناس قامت الى الباب ونادت باعلى صوتها

- أيها الناس . إني أجرت أبا العاص بن الربيع -

فلما أقام النبي الصلاة . أقبل على من معه فقال - أيها الناس هل سمعتم ما سمعت ؟ -

قالوا نعم يارسول الله

فقال - أما والذى نفس محمد بيده . ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم . ثم قال إنه يجير على المسلمين أدناهم -

وسار صلى الله عليه وسلم فدخل بيت ابنته وعندها ابن خالتها . فما كادت تراه حتى قالت ضارعة

- يا أبي يا رسول الله . إن أبا العاص إن قرب فابن خالة وعم . وإن بعد فابو ولدى . وإني قد أجرته

فرنا اليها الاب الكريم في عطف وتأثر ثم قال . - يا بنية . أكرمي مثواه . ولا يخلصن اليك فانك لا تحلين له

وقال عليه الصلاة والسلام **لأصحابه** :

- إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالا . فان تحسنوا وتردوا عليه الذى له فانا نحب ذلك . وإن أبيتم فهو فىء الله الذى أفاء عليكم فانتم أحق به .

قالوا جميعا يارسول الله . بل نرده عليه

وحان موعد رحيله . فقال المصطفى وهو يودعه

- حدثني فصدقني . ووعدني فوفى لي

والتفت أبو العاص إلى بيت زينب من بعيد وخفق قلبه مودعا . ثم مضى حتى بلغ مكة . وقد اعتزم أمرا !

* * *

استقبلته قريش محتفلة به . فاستمهلهم حتى أدى إلى كل ذى مال ماله ثم وقف بحيث يسمع ينادى باعلى صوته يا معشر قريش . هل بقى لأحد منكم عندى مال ؟ فقالوا

- لا . فجزاك الله خيرا من وفى كريم

فادار فيهم بصره ثم قال على مهل

- فانا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله والله ما منعني من الاسلام إلا أن تحسبوا انى أضعت اموالكم فلما أداها الله إليكم أسلمت

وخلف القوم واجمين مطرقين كأن على رؤوسهم الطير . وانطلق مستقبلا طريق الهجرة

وهناك . توجه من فوره الى المسجد النبوى فهلل المسلمون وكبروا حين شهدوه يبايع النبى صلى الله عليه وسلم . وأقبلوا عليه مهنئين لكن كان يشغل البال بأمر أهمه أترى يرد المصطفى عليه زينب بعد الذى كان

● ● ●

ومضى عام واحد . ثم كان الفراق الذى لا لقاء بعده في هذه الدنيا توفيت السيدة زينب رضي الله عنها في مستهل السنة الثامنة من الهجرة متأثرة بعلتها يوم سرحت جنينها وجهزوها . وصلى عليها أبوها المصطفى في مسجده

وخلا بيت ابى العاص من شخص الحبيبة وبقى طيفها يؤنسه . وابناه على وأمامة يأسوان جراحه . ويلطفان ما ران على البيت من ظلال الحزن

وكذلك وجد الاب المصطفى في أمامة ما يؤنس وحشته لزينب . فكان يأنس بها ويهش لها . وفي (الصحيحين) انه صلى الله عليه وسلم . كان يحملها على عاتقه ويصلى بها فاذا سجد وضعها حتى يقضى صلاته ثم يعود فيحملها

وعن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها . أن النبي صلى الله عليه وسلم أهديت اليه هدية فيها قلادة من جزع فقال - لأدفعنها الى أحب أهلي الى فقالت النساء ذهبت بها بنت ابى قحافة - عائشة - لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا أمامة بنت ابى العاص بن الربيع - فاعلقها في عنقها

ولحق - أبو العاص - بزينب . أيام أبى بكر . في ذى الحجة في السنة الثانية عشرة

- سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٧ / ٤ / ١٩٩٠

حديث رمضان

بقلم :
د . بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين والانسان واقع وآفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

صدق الله العظيم

تحجر المادية وانسانية العاطفة والهوى

ذكرني حديث ذو شجون : عن (الاسير والقلادة) وما حف به من مواقف عاطفية مؤثرة . بأننا في زمان يلهج بما ينبغي لنا من تحكيم العقل والحذر من التورط في الانفعال بالعواطف . ولعل من مثقفينا العصريين من يمنون بهذا على الامة . فيما يبشرون به من تنوير . متأثرين فيه بالمادية الماركسية التي لا مجال فيها لتأثر بالعواطف .

■ ■ ■

وهذا الجحد لانسانية العواطف . مما تورطت فيه المادية الماركسية من متناقضات أنذرت من وقت ظهورها . بمصيرها حتما إلى السقوط والانهيار . هذا الى المعروف من احتفال النظم الشيوعية بالفنون . استجابة لنبض الوجدان الانساني . وإن كانت الفنون . والثقافة والعلم . موجهة إلى خدمة المذهب والدعاية له . والتمكين له من نفوس الجماهير العصية على التحجر العاطفي .

★ ★

الدعوة الى التعقل تتجه في واقعها الى ايقاظ الشعوب المتدينة المعطلة العقل بتخدير الافيون . وهذه قضية تحتاج إلى أن نفرغ لها بعد النظر فيما يراد لنا أن نحذره من التاثر بالعاطفة حيث أراهم يتكلمون عن الهوى باسم العاطفة . وذلك من الخلط بين الدلالات يضل به المنطق ضلالا بعيدا .

من الهوى بدلالة لفظه . الهوى ـ بضم أوله وكسر الواو وشد الياء ـ أي السقوط والانحدار من أعلى إلى أسفل كما في الاية .

(فكانما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق)

استعملته العربية فيما تميل إليه النفس وتهوى الافئدة . ثم كثر استعماله في الميل إلى الشهوات . لا يزال بالانسان حتى يغلبه على رشده وهداه فيضل ويتخبط كمن به مس من خبال ووسوسة شيطان :

(كالذى استهوته الشياطين في الارض حيران ..) .

ثم لا يلبث هذا المغلوب على عقله أن يستعبده هواه فهو أعمى أصم . لا يجدى معه نصح ولا هدى . كقوله تعالى في اية الفرقان . خطابا لخاتم رسله عليهم السلام :

(أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفانت تكون عليه وكيلا . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون . إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا)

وقد نزه الله عز وجل رسوله أن يكون بما يتلو من الوحي . ينطق عن الهوى . وبشر من اتقى من عباده (ونهى النفس عن الهوى) بان الجنة هي الماوى .

ومن تقدير دين الفطرة لغلبة الهوى . حرصه على التحذير منه والنهى عنه . والتنبيه على ما يحمل الانسان من تبعات رشده قال تعالى :

(ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير .)

(ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن) ....

عن هذا الهوى يتكلم المبشرون فينا من حيث لا يدرون . بالتقاء التاثر بالعاطفة . ولا نعرف ـ نحن تلاميذ المدرسة الاسلامية ـ الهوى إلا بهذه الدلالة على الميل إلى ما تشتهيه النفس ويهوى الفؤاد . يغلب على رشد الانسان فيستعبده ويعطل وعيه .

★ ★ ★

فاما العاطفة فمن العطف والتعاطف . عن لين في القلب ورقة في الوجدان . يبلغ بالاسلام تقديره لانسانيتها أن فرض على أمته الاحتفال بشهر القران : صياما ونسكا . وموسم مجاهدة للهوى وتدريبا عاما على اعتقال الشهوات . والتخفف من كثافة المادية وما تثقل به على إنسانيتنا من غلظ الحس وصدأ الوجدان .

ويحيون (عشر الاعتكاف) في المساجد تجردا من الشواغل المادية . لمراجعة النفس اللوامة . تصفية موسمية لاعمالنا . وتزودا من عطاء الشهر المعظم في العشر الاواخر منه . بما يزكيهم ويطهرهم من رجس القذر . وأوضار الخسة والشراهة والحقد والانانية . ويتعلمون من ايات الاعتبار أن القسوة تنفى البشر عن ادميته وعن عموم جنسه في الحيوان . وتمسخه حجرا صلدا . قال تعالى في العصاة الجفاة من بني اسرائيل :

(ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة . وإن من الحجارة لما يتفجر منه الانهار . وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله . وما الله بغافل عما تعملون)

القسوة . في البيان القراني من أمراض القلوب . (فويل للقاسية قلوبهم) يطول عليها الامد فترسخ ويستعصى علاجها . لا يجدى فيها طب بشرى ولا بيطرى . قال تعالى في اية الحديد :

(ألم يان للذين امنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون)

والمسلمون كافة . يستهلون تلاوة ما يتلون من القران الكريم (بسم الله الرحمن الرحيم) ويعلمون من أسمائه الحسنى : الرءوف والعفو والتواب والكريم .. ومما من به الله تعالى على أمتنا :

(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم)

(ومن اياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة . إن في ذلك لايات لقوم يتفكرون)

وكتب (الشمائل . والفضائل) عامرة بالحديث عما اتصف به النبي صلى الله عليه وسلم من رقة القلب والرحمة . وفي الصحيحين من حديث السيدة عائشة رضى الله عنها . قالت : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ـ وقد رأى الصحابة يقبلون صبيانهم ـ فقال : تقبلون صبيانكم ؟ نحن ما نقبلهم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة ؟ »

وحديث أبي هريرة رضى الله عنه . قال : قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي . وعنده « الاقرع بن حابس التميمي » جالسا . فقال الاقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا . فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « من لا يرحم لا يرحم » متفق عليه .

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٧ / ٤ / ١٩٩٠

وفي (الصحيحين) من حديث انس بن مالك رضي الله عنه . قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، ومعه غلام يقال له، انجشة، يحدو - وكان شجي الصوت - فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :. رويدك انجشة .. رفقا بالقوارير. يعني من في الركب من النساء ، أشفق عليهن صلى الله عليه وسلم من شدو انجشة ، لرقة عواطفهن ..

وفي (الصحيحين) من حديث، انس بن مالك رضي الله عنه ، أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم : متى الساعة يارسول الله ؟ قال :. ما أعددت لها ؟.
قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ، ولكني أحب الله ورسوله . فقال عليه الصلاة والسلام : . فانت مع من تحب.

ومعه . في الباب من (الصحيحين) حديث أبي موسى الاشعري . قال : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم . قال عليه الصلاة والسلام :. المرء مع من أحب.

★ ★ ★

مجال القول في هذا المطلب ذو سعة . فلاختم الحديث بمواقف للنبي صلى الله عليه وسلم . شاهدة لرقة قلبه للحب والمحبين :.

في كتب الصحابة والسنن والاحكام . غير قليل عن، بريرة، مولاة السيدة عائشة رضي الله عنهما كانت امة لبني اسد . فكاتبتهم على عتقها بمال دفعته السيدة عائشة وقضى النبي عليه الصلاة والسلام بان (الولاء لمن اعتق) .

وكانت بريرة قبل عتقها زوجا لعبد اسمه، مغيث، فلما تحررت خيرت فيه فاختارت فراقه . أشد ما يكون حبا لها، فكان يمشي في طرقات المدينة يهذي باسمها ويبكي .

واستشفع اليها برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : اتامرني يارسول الله ؟ قال : لا . بل انا شافع . فقالت : لا اريده ....

بعد فتح مكة في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة . كان من مشاهد الفتح أن قال صلى الله عليه وسلم لاهل مكة :

. يامعشر قريش :. ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا ، اخ كريم وابن اخ كريم . فقال :. اذهبوا فانتم الطلقاء .

ثم بعث من هناك سراياه الى فلول من قبائل حولها بقيت على الشرك . منها سرية، خالد بن الوليد، الى بني جذيمة من كنانة . باسفل مكة . في شوال . السنة الثامنة .

فيروى ابن اسحاق عن الزهري عن، أبي حدرد الاسلمي، رضي الله عنه . قال : كنت يومئذ في خيل، خالد بن الوليد، فقال لي فتى من جذيمة - في مثل سني - وكان اسيرا مقيدا . وغير بعيد منه نسوة مجتمعات : يافتى ، هل أنت قائدي إلى هذه النسوة حتى أقضي اليهن حاجة . ثم تردني ؟ قلت : والله .. يسير ما طلبت . فقدته حتى وقفت به عليهن فقال لشابة هناك : اسلمي حبيش على نفد العيش، وانشد ابياتا يذكرها فيها بحق الحاجة في طلابها وما تجشم من سرى الليل وصهد الظهيرة :

أما كان حقا ان ترق له واهلها معا . قبل حتم البين؟!

في رواية معها بالسيرة الكبرى (عيون الاثر) من طريق الطبراني . عن ابن عباس رضي الله عنهما . أن الفتى قال لهم : إني لست من القوم . بل عشقت امراة منهم فتبعتها ، فدعوني أنظر إليها ثم اصنعوا ما بدا لكم. - وانشد الابيات - فقالت حبيبته، نعم فديتك . ثم لما قتل جاءت فوقفت عليه فشهقت شهقتين وماتت . فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر . رق لهما وقال لجند السرية . أما كان فيكم رجل رحيم ؟.

قال تعالى :

(ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين . وما ارسلناك الا رحمة للعالمين .)

صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٨ / ٤ / ١٩٩٠

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون»

صدق الله العظيم

بقلم :
د . بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين والانسان واقع وآفاق

الذاتية الجماعية للشخصية الاسلامية

ما مضى من حديث عن انسانية العاطفة في دين الفطرة ، يحتاج الى تكملة ايضاحية عن الانسان والمجتمع . فالذى لامجال لانكاره هو أن الاسلام يولى الفرد عناية بالغة . يقصر عن ادراكها من يتصورون أن الفرد مقصود لذاته ، معزولا عن الجماعة التى تبدو في هذا التصور الوهمي ، أفرادا شتي مبعثرين ، كل مشغول بذاته ، لاشأن له بالاخرين ، مصداقا لما خطر على بال شاعر قديم ، سره أن نجا الى منزله من مطر منهمر فانشد :

فقل للسماء ارعدى وابرقى

فإنا رجعنا إلى المنزل

وحتى اليوم ، لا افهم وجه الفصل بين الفرد والجماعة في نظم حديثة ومذاهب وضعية ، يقال انها تتجه الى المجتمع على تفاوت بينها في موقفها من الفرد بين إهدار شخصيته والغاء ذاته ، او الاعتراف بها بقدر محدود . ويذكرون في ذلك ماكشفت عنه تجاربهم من خطا الغض من شخصية الفرد والتهوين منها ، والمحاولات المبذولة لتدارك هذا الخطا بما يعرف في مصطلح خبرائهم بحوافز الطموح .

الذى أود ان اوضحه هنا ، هو أن الاسلام الغى هذه الحواجز غير الطبيعية بين الفرد والجماعة ، فهما فيه لاينفصلان . وهو فى عنايته بالانسان فردا ، انما ينظر فيه الى اجتماعيته التى لايمكن تصور انسانيته بمعزل عنها ، كما لايمكن تصور أى كيان اجتماعى بغير افراد .

واحتاج هنا الى استطراد يسير ، ألتفت فيه إلى أصالة الذاتية الجماعية فى العرب أواخر الجاهلية ، فى القدر المعروف لنا منها ، إذ يحقق الفرد ذاته فى نطاق القبيلة غير منفصل عنها إلا أن يخرج على أعراف القبيلة ، فتخلعه إعلاما بانها لاتحمل عبئه ظالما او مظلوما .

أو أن يتمرد على قيودها فيخرج عليها ويهيم فى ارجاء الارض صعلوكا حرا فى ظاهر امره ، مشدود القلب الى قومه وداره واهله ، مشحون الوجدان بمواجع الفراق ومواجد الحنين .

وهذا ما اعطى شاعر القبيلة مكانته فيها قائدا سيدا . وان جهل هذا الوضع عامة الدارسين للشعر الجاهلى ، فلم يلتفتوا الى شعر القبيلة ممثلا اصيلا للجماعة فى انقى اصالتها وارهف حسها . بل أقاموا الدراسة على حضر وبدو ، ومنهم من غض من شان شاعر القبيلة ، فلم ير فيه سوى مجرد بوق لقومه .

وشهد تراث شعراء القبائل ، أن الشاعر منهم إذ يتكلم بلسان الجماعة ويفاخر بها ويدافع عن وجودها ، لم يلغ ذاتيته الخاصة بل هو الذى يقود القبيلة الى ما يستشرف لها من وجود حر ، وقد يشق عليها برفض اوضاع غير كريمة رضيت بها اوسكتت عليها . ويلهب وجدانها بحمم من كلماته الغاضبة ، لترفض مالاينبغى لها ان تسيغه من ضيم او هوان .

من اجل هذا عدلت فى دراستى لتراث الشعر الجاهلى عن التقسيم المالوف بين بدو وحضر ، وجعلت مدار التقسيم على : شاعر القبيلة ، والشاعر الصعلوك ، الشاعر المرتزق المتكسب بشعره ، فى رؤية جديدة ، أعطت قيما جديدة لادبنا القديم .

★ ★ ★

والاسلام فى رفضه لعصبية القبيلة ومقاومته نخوة التعاظم بالاباء والاجداد ، اتجه بهذه الذاتية الجماعية الاصيلة الى نطاقها الرحب فى الامة ، يحقق فيها الفرد ذاته ، ويستقيم أمر الجماعة بصلاح افرادها وشعوبها وقبائلها ، فى اندماج وثيق لاتنفصل فيه فردية عن جماعية ، مع اقراره حرمة الانساب للتعارف ، وايجاب حفظها لما يترتب عليها من أحكام تقوم بها الجماعة ، كالمواريث والمحارم ، والنكاح والرضاعة والشهادات والولاء .....

★ ★ ★

ويستفاد من تدبر القران الكريم والحديث الشريف أن الاسلام فى أصول العقيدة وقواعد الدين وفروض العبادات واحكام المعاملات ومنهاج السلوك ، ينظر الى الانسان من حيث هو اجتماعى بطبعه ، وليس فردية شاذة متوحشة .

التوحيد ، وهو جوهر الدين كله ، رفض للعبودية للبشر فى مختلف ضروبها واشكالها ، وتحرير للانسان من مهانة الاستعباد لغير خالقه ، ومن فتنة تقديس الزعماء والابطال والرؤساء والحكام ، ومن اغلال للخوف من الجبابرة والطغاة .

والعبادات ، فى الايمان المحض ، شعائر لا طقوس وحين لاتؤدى العبادة غايتها من صلاح الفرد والجماعة ، تقوى وخشوعا وتواضعا وتراحما وتكافلا ، فانها تتحول الى طقوس شكلية وافعال الية فقدت مغزاها وحكمتها ، وكان منها للمرائين اقنعة زيف وتمويه ، يشق بها على الناس أن يميزوا بين تقى وفاجر ، بين مؤمن خاشع ومنافق دجال .

والمعاملات ، تنظيم شرعى للحياة العملية وضبط العلاقات بين الافراد ، فى البيت والمجتمع بما يكفل العدل والاحسان والامن ، وتكافؤ الحقوق والواجبات ، وصيانة الحرمات الخاصة والعامة ، بحدود الله

واحكام القصاص فى القتل والتشويه والجروح ، تامين لحياة الجماعة (ولكم فى القصاص حياة ياأولى الالباب لعلكم تتقون)

وحدود الشرع فى مثل عقوبة الزنى ، والافك والسرقة ، والحرابة ، وشرب الخمر ، حماية للجماعة من شر المجرمين والمنحرفين من افرادها ، وردع عن الفساد فى الارض .

والامر كذلك فى السلوك : اذا اتجه فيه الاسلام الى الانسان ، فانما هو الفرد فى الجماعة تالفا وترابطا ووحدة وجهادا فى سبيل الحق ، ودعوة الى الخير وتواصيا بالمعروف وتناهيا عن المنكر وتعاونا على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان .. وذلك مايتسع له مجال رحب نرجو ان نفرغ له بمشيئة الله تعالى وعونه

ثم فلنتدبر : هل ينظر القران الى الانسان فردا وهو يامره بالعدل والاحسان والبر وصلة الرحم واداء الامانات الى أهلها والوفاء بالعهد والصدق والتواضع ، وينهاه عن العقوق والجور والبغى والفجور وقطع الارحام ، وعن

المن والربا والاذى والفساد فى الارض ؟

مثل هذه الاوامر والنواهى لاتتعلق بتعامل الانسان مع نفسه ، بل بالتعامل مع الناس . فليس الانسان بحيث يبر ويفى ويصدق ويعف .. او يخون ويفسق ويعق ويزور ويفجر ويعتدى ويطغى ويستكبر !.. فى نطاق فرديته الخاصة .

★ ★ ★

ويسمو القران بذاتية الانسان الجماعية الى المستوى الذى يكون فيه من التكذيب بالدين دع اليتيم وصده ، والنكوص عن تبعه التكافل والمرحمة ويحض الانسان على اقتحام العقبة لتحقيق الوجود الانسانى الحر ، فلا يستبعد مخلوقا مثله ، ولايفرط فى حق مسكين لايسال الناس الحافا ، ويتيم فى يوم مسغبة ، وحق الجماعة فى التواصى بالصبر على مشاق التكليف والتواصى بالمرحمة .

قال تعالى (ارأيت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيم . ولايحض على طعام المسكين .)

وقال عز وجل حضا للانسان :

« فلا اقتحم العقبة . وما ادراك ما العقبة . فك رقبة . أو اطعام فى يوم ذى مسغبة . يتيما ذا مقربة . او مسكينا ذا متربة . ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة . أولئك اصحاب الميمنة .)

....

فى (الموطا والصحيحين) من حديث ابى ايوب الانصارى رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لايحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث ليال ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » .

وعن « ابى الدرداء » رضى الله عنه من عدة طرق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

« دعوة المسلم لاخيه بظهر الغيب مستجابة .. »

وروى البخارى الحديث عن انس بن مالك رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

« انصر أخاك ظالما أو مظلوما . » قيل : يارسول الله ، ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ قال : « تمنعه من الظلم ، فذلك نصرك اياه » .

ولما نزلت اية الحجرات فى النهى عن الغيبة ، سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الغيبة ؟ قال : « ان تذكر اخاك فى غيبته بما يكره . » قيل : أرأيت يارسول الله ان كان فى اخى ما اقول؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « ان لم يكن فيه ماتقول فذلك البهتان » .

وفى (كتاب الايمان من الصحيحين) حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا اؤتمن خان . واذا حدث كذب . واذا عاهد غدر . واذا خاصم فجر » .

متفق عليه واللفظ لمسلم .

وفيهما حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : بينما نحن فى سفر مع النبى صلى الله عليه وسلم اذ جاء رجل على راحلة فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا ــ كمن يلتمس حاجة ــ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان معه فضل ظهر فليعد على من لاظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لازاد له .. »

ــ قال ابو سعيد : فذكر عليه الصلاة والسلام من اصناف المال ماذكر ، حتى رأينا انه لاحق لاحدنا فى فضل . »

الظهر : الراحلة للركوب . والفضل ما زاد على قدر الحاجة الضرورية

ذلك ومثله من الاعتبار فى الفرد بذاتيته الجماعية ، يوطىء للحديث غدا بمشيئة الله عن المجتمع الاسلامى :

(وعلى الله قصد السبيل) صدق الله العظيم.

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٩ / ٤ / ١٩٩٠

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ »

صدق الله العظيم

بقلم :
د . بنت الشاطئ
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة ـ جامعة القرويين

الدين والانسان واقع وآفاق

إنسانية المجتمع الاسلامى ومجتمع الحقد والغل والكراهية

غنى عن البيان . أن الماركسية تقوم على حتمية العنف الثورى . يوقد نيران العداوة والبغضاء بين طبقات المجتمع . ويعبىء الطبقة الكادحة من العمال والفلاحين لتؤجج هذه النيران بوقود من ملاك الارض وأصحاب العمل .

وأتحرج من القول فيها بغير علم . فانقل من نصوص أقوال أقطاب المذهب . في ترجمة أمينة ، قول ماركس :

[إن الثورة . والثورة وحدها . هي القوة المحركة للتاريخ . ولايمكن أن تقوم ثورة بدون عنف]

ويذكر شراح الماركسية . أنه ثار عندما حدثوه عن قصر مذهبه على الاصلاح الاجتماعى . [وذلك لانه يقرر أن مذهبه رياضي وحتمي . والقوانين التي يضوغها حتمية . ولابد من وقوعها . وهي لا تتعلق بالتواد والتراحم والتعاطف] .

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٩ / ٤ / ١٩٩٠

وكتب . إنجلز . : [إن العنف الثورى هو الاداة الوحيدة التي لاغنى عنهـا لتمهيـد الـطريق والفاس التي تهدم الاشكال الاخرى]

وقال . لينين . في (كراس الاشتراكية والحرب) : [نحن الماركسيين ندرك الصلة الحتمية التي تربط بين الحروب والصراع الطبقي في داخل البلاد . وندرك أنه يستـحيل النصر دون القضـاء على الطبقات . إننا نعترف بشرعية الحرب الاهلية وضرورتها وحتميتها]. وفي الجهر بشرعيـة العنف والتضاغن ، لامجال لما يكبح جماحها من شرع ، أو عرف إنساني وقانون أخلاقي . وذلك صريح قول . ماركس . في منشوره الشيوعي لشرعية الحرب الاهلية وحتمية الثورة الطبقية . حيـث تصـبح طبقات المجتمع بعضها لبعض عدو

[ويصبح الدين والقانون والاخلاق . مجرد ستائر تخفي مصالح الرأسمالية].

وهذه الحتمية التي يقررها . ماركس . تعطل إرادة الانسان وتشل طموحه وتفضي حتما إلى وقف مسيرة الحياة . فغير مستطاع [تصور أمر يقع مغايرا لها . فإن فعلت كان ذلك وهما وخيالا . ومؤلفو (أسس الماركسية اللينينية) يصرحون [بأن تطور الطبيعة وتطور المجتمعات الانسانية أيضا ، يحدثان طبقا لقوانين موضوعية لاتتوقف على إرادة الانسان . فالحتمية ـ عندهم ـ هـي المبـدأ الاساسي لكل تفكير علمي].

وسدا لباب الريح بالمتوقع من جدل مثقفينا الماركسيين . أرجو ألا يظنوا بي أنني لم أسمع مـا ابتدعه العلامة . روجيـة جـارودي . لتـأويل هـذه النصوص وأمثالها . بل طالعت معها كذلك ماكتبه أساتذة من كبار مفكرينا . في نقض ما أسموه (بـدع التـأويلات الجارودية)

★ ★ ★

ما علينا . الذي يعنينا هنا هو البيان لانسانية المجتمع الاسلامي : المـؤسس على الحـب والتآلف والتـكافل والدعوة إلى الخير والامر بالمعروف والنهي عـن المنـكر امتثالا لقول الله جل جلاله .

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا . واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلـوبكم فـاصبحتم بنعمته إخوانا . وكنتم على شفا حفرة من النـار فـانقذكم منها . كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتـدون . ولتـكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . وأولئك هم المفلحون) .

وتأخذ الزكاة موضعها الجليـل في الاسـلام ، ثـالثة قواعده الخمس . تحقيقا للتكافل الاجتماعي . كما تعبـر زكاة الفطر عن المشاركة الجماعية في فرحة عيد الفـطر . فضلا عما يؤتيه المسلمون من صدقات تزكيهم وتطهرهم . و (يمحق الله الربا ويربي الصدقات)

والاصل في الشريعة الاسلامية أن المال مال الله . جعل عباده مستخلفين فيه للقيام بحقه . فلا ينبغي أن يـكون (دولة بين الاغنياء) كما لايحل تعطيلة عن النفع العام . فذلك إثم كبير يشتد القرآن في الوعيد عليه . قال تعالى :

(والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها في نار جهنـم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هـذا مـا كنـزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) .

ثم لاتخلو سائر أركان الاسلام من الملحظ الجماعي : في إقامة الصلوات المكتوبة بالمساجد وصـلاة الجمعـة في الجوامع . وفي الصوم تحيي فيـه الأمـة شـهر القـرآن بشعائره الجامعة . وفي الملتقى السنوى للحجيج ساعين إلى البيت العتيق من كل فج عميق . ليتعارفوا ويتآلفـوا ويتذاكروا في مصالحهم وقضاياهم . ويشهدوا منافع لهم ..

والخروج على الجماعة إثم كبير . والفتنة أشـد مـن القتل . والنفاق داء عضال . والمنافقون حزب الشيطان ، لقي منهم المؤمنون في العهد المدني بلاء عظيما :

. وإذا لقوا الذين آمنوا قـالوا آمنـا وإذا خلـوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحـن مسـتهزئون . اللـه يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ...

★ ★ ★

وإذ لا أتعلق في هذه العجالة بتقصي الادلة والشـواهد لانسانية المجتمع الاسلامي . أقتصر اليوم على قدر مـن صحيح الحديث . يكفي شاهدا .

من جوامع الكلم قوله صلى الله عليه وسلم :

. ما فشا الغلول في قوم إلا ألقي في قلوبهم الرعب . ولافشا الزنى في قوم قط إلا كثر فيهم الموت . ولانقص قوم المكيال والميزان إلا قطع عنهم الرزق . ولاحكم قوم بغير الحق إلا فشا فيهم الدم . ولاختر قوم بالعهد إلا سلط اللـه عليهـم العدو . .

في (الصحيحين) من حديث . عبدالله بن عمر . رضي الله عنهما . أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قـال : . المسلم أخو المسلم . لايظلمه ولايسلمه ولايحقره . ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته . ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة .

وفيهما من حديث ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وفيهما ، عن النعمان بن بشير الأنصارى رضى الله عنه : قال النبى صلى الله عليه وسلم .

« ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذ اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى » .

وعن ابى سعيد الخدرى ، رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « إياكم والجلوس فى الطرقات » .

قالوا : مالنا منها بد يارسول الله ، إنما هى مجالسنا . فقال : « فإذا أبيتم فاعطوا الطريق حقه . قالوا : وماحقه ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر » .

....

وقد يجمل القول فى إنسانية المجتمع الاسلامى أن كل عمل ينفع الناس ، بعامة ، يتقبله الله ويزكيه ويبقيه . وأى عمل يضر الناس زبد يذهب جفاء . قال تعالى .

(فاما الزبد فيذهب جفاء وأماما ينفع الناس فيمكث فى الارض ، كذلك يضرب الله الامثال) .

(إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك يبور) .

★ ★ ★

وقد شهد التطبيق الواقعى لمبادىء الاسلام فى المجتمع ، ما لاعهد للدنيا بمثله فيما أعلم من استقبال الانصار للمهاجرين ، وإنزالهم من قلوبهم ودورهم وأموالهم منزل الاهل والعشيرة ، فيروى عن « أنس بن مالك » رضى الله عنه أن المهاجرين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، مارأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة وبذلا . كفونا المئونة وأشركونا فى دورهم وأموالهم حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالاجر كله . فقال عليه الصلاة والسلام : « لا ، ما أثنيتم عليهم ودعوتم لهم » .

وعن « عبدالله بن عمر » رضى الله عنهما ، قال : « لقد رايتنا وما الرجل المسلم باحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم » .

فهؤلاء الانصار هم الذين قال فيهم عز وجل

(يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) .

وكذلك كانت هجرة الاسلام من الاندلس إلى العدوة المغربية بعد تصدع معاقله وحصونه مثلا نبيلا للمجتمع الاسلامى فى تكافله وإيثاره . حفظ فيها المغرب الاسلام دينا دينا ودولة وعلما وحضارة وتراثا

★ ★ ★

ثم يرقى الاسلام بانسانيتنا فيستشرف بها إلى حيث تكون الرحمة بالحيوان الاعجم يعظم بها الأجر . والقسوة عليه من المهالك الموبقات .

فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه من عدة طرق ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بينما رجل يمشى بطريق إذا اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث ، ياكل التراب من العطش ، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى . فنزل البئر فملا خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له . قالوا : يارسول الله وإن لنا فى هذه البهائم لاجرا ؟ فقال « فى كل كبد رطبة أجر » .

(ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لايعلمون)

صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٣٠ / ٤ / ١٩٩٠

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ۞ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞»

صدق الله العظيم

بقلم :
د . بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة ـ جامعة القرويين

الدين والانسان واقع وآفاق

العقل فى عقيدتنا لب الانسان ومناط الرشد والتكليف

عودا على بدء . انظر فيما راج فينا من دعوة الى التعقل . والحذر من التاثر بالعاطفة . وقد مضى النظر فى التباس العاطفة بالهوى فى منطق دعاة التعقل . فضل ضلالا بعيدا .

وأراهم كذلك وضعوا العقل مقابل العاطفة وهذا أبعد فى الضلال . بما يعنى أنهما لايجتمعان فى إنسان . بمقتضى القاعدة الاصولية فى نفى اجتماع الضدين . كما يتساقط الدليلان فى المنطق إذا تعارضا .

فالانسان على ذلك . إما أن يكون حجرا صلدا أو قاصرا طائشا أو سفيها أحمق . فى مذهب من ياخذون علينا التاثر بالعواطف ويحرصون على أن يردوا علينا عقولنا .

وقد تبين من حديث البارحة . أن العاطفة رقة فى الوجدان ولين فى القلب . من العطف والتعاطف . والتجرد منها شذوذ ملسخ لانسانية البشر .

العقل فى لسان العرب : القيد والربط والامساك . ومنه العقال يقيد المعقول به عن الافلات والجموح . والمعقل : الحصن يمنع أهله . والاعتقال : يحجر على تصرف الانسان ويحدد إقامته وحريته .

وبهذه الدلالة نقل إلى عقل الانسان يضبط سلوكه وتصرفه ويمنعه مما لا ينبغي من خلل وسفه ، نقيضه الطيش والحمق واختلال الوعي واضطراب الذهن .

فهل نحن الشعوب المتدينة ، أمة بغير عقل ؟ ذلك ما رددته الماركسية بمقتضى مقولتها المشهورة في « الدين أفيون الشعوب » ونضالها العنيف للتبشير فينا . بيقظة عقولنا المعطلة بالتخدير .

ولا أتصور أن تجوز هذه المقولة على أي إنسان إلا أن يسقط وعيه بفتنة الحداثة وخلابة الاستهواء وزهو التفرنج . والصمم عما يجري على ألسنة الخلق مما هو من ميزان الحق : (العقل ، زينة) .

فلئن استنكف المتفرنجة من حكمة العوام . لم يؤثر ذلك فيما هو معلوم من الدين بالضرورة من أن العقل هو المعتبر به في بلوغ الرشد وتبعات التكليف : لا تكليف على قاصر أو سفيه أحمق أو مخبول مختل العقل . وترفع المسئولية عن القاصر حتى يرشد . وعن السفيه الأحمق والمعتوه حتى يبرأ . ويتولى أمره وصيه الشرعي بالمقرر من أحكام الوصاية . والمعروف للناس من شروطها وحرمتها .. وعلى ذلك جرت وتجري أحكامنا وأعرافنا . والقوانين الشرعية والوضعية في الشعوب والجماعات المتدينة . هذا إلى ما هو معلوم لتلاميذ المدرسة الاسلامية من شرط العقل في عدول الشهود والرواة وحملة العلم . وفي رفع الوصاية ورد الأهلية والاعتبار إلى المحجور عليه .

......

والعقل في البيان القرآني هو لب الانسان وفؤاده وقلبه . لم يأت في القرآن بغير هذه الكلمات الثلاث القلب بدلالته على العقل . ويكثر أن يجيء بدلالته على العواطف والأهواء . وكذلك الفؤاد والأفئدة .

وتتمحض « الألباب » للعقول . فأولو الألباب هم أولو العقول . باستقراء آياتها في القرآن وعددها ست عشرة آية . مع ملحظ من التوجيه فيها إلى ذوي العقول النيرة الرشيدة . المرجوين للتدبر والتذكر والتقوى والاعتبار :

(ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون)

(لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب)

(كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب)

(منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات . فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله . وما يعلم تأويله إلا الله . والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا . وما يذكر إلا أولو الألباب)

(هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب .) ونظائرها .

وفي كل حال . لم تأت في أي موضع منها بدلالتها الحسية العضوية . بل هي جميعا بدلالتها على معنويات الانسان وعقله وعواطفه وأهوائه . باستقراء آيات القلب « مفردا ومثنى وجمعا في اثنتين وثلاثين ومائة آية . والفؤاد والأفئدة في ست عشرة آية .

وكذلك الحواس . ليس منظورا إليها في الانسان بدلالتها العضوية مما يشاركه فيها عموم جنسه في الحيوان . بل هي فيه أدوات وعي وبصر وإدراك وتمييز ونطق وبيان

وما يعرض لها من خلل يعطل وظيفتها العضوية بعاهة خلقية أو علة ومرض . ليس بحيث يمس انسانية المصاب بها . وقد نزلت (سورة عبس) في ابن أم مكتوم الأعمى . رضي الله عنهما . كما نزلت (سورة يوسف) وفيها الآيات عن « يعقوب » عليه السلام وبنيه :

(وتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم)

والآيات عن يوسف عليه السلام وإخوته :

(اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين)

(فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا ..) الآيات .

★ ★ ★

وفي تاريخنا من أعيان الرجال وأئمة العلماء والفقهاء

والحفاظ ، من اشتهروا بالقاب عاهات فيهم فقلما نعرفهم الا بها . كالابح والابرش والاثرم والاحدب والاحنف والاحول والاشتر والاشج والاشعث والاصم والاعرج والاغشى والاعلم والاعمش والاغطش والاقرع والايسر والمقعد ، وأبي الدرداء وام الدرداء والخنساء .. في كثرة من الاعلام يعرفهم علماء الرجال . وأجاز علماء الاحكام تلقيبهم بها لقصد التعريف ، لا للمحظور من التنابز بالالقاب .

ولا حرج على المريض والاعمى والاعرج فيما لا يطيقون من التكليف إذا أخلصوا النصح لله تعالى ورسوله عليه السلام

إنما ينطفيء جوهر الانسان بتعطيل الوظيفة الانسانية للقلب بالفساد والقسوة والزيغ والنفاق وخبث الشهوة ، والغل والضغينة .. والعمى عمى البصيرة . والصمم صد عن دعاء الحق والهدى وغفلة عن ايات العظة والاعتبار . والبكم سكوت على منكر ونكوص عن أمانة التكليف بالدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . والساكت عن الحق شيطان أخرس .

★ ★ ★

وإذ كان العقل في البيان القراني لب الانسان ، اتجه إليه في تاييد الدين وترسيخ الايمان ، على ما تدبرنا انفا من الايات في أولى الالباب . شاهدة على انهم المرجون للتقوى والتدبر والاعتبار . والله تعالى يضرب الامثال ويصرف الايات لقوم يعقلون ، ويبصرون ويتفكرون ويفقهون ويتدبرون ، ويذكرون . كما يصرفها في سياق مماثل لقوم يؤمنون ويوقنون ، ويتقون ..

ومن اياته تعالى في إقرار أصحاب النار على أنفسهم في الاخرة .

(وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير)

وذكر علماء القران أن العقل منه مطبوع ومنه كسبي وان الاول أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل . وإلى الثاني أشار بقوله : . ماكسب أحد شيئا افضل من عقل يهديه إلى هدى ، أو يرده عن ردى .

قال . ابن حزم الاندلسي الظاهري الفقيه الاصولي الامام :

. من أبطل العقل فقد ابطل التوحيد إذ كتب شاهده عليه . إذ لولا العقل لم يعرف الله عزوجل أحد . الا ترى المجانين والاطفال لاتلزمهم شريعة لعدم عقولهم ؟ .

....

وأفهم ان يكون المتفرنجة من مثقفينا بمعزل عن كتبنا الصفراء ، يرونها

(أكفان موتى يفسد ريحها مناخ العصر) فهلا علموا ما يشهد به للاسلام مؤرخو العلم والاديان والحضارات : بانه من على الانسانية بحسمه الخصومة بين الدين والعقل حسما باتا بعد ان كلفت البشرية أفدح الخسائر والضحايا ؟

وأيا ما كان موقف الموكلين برد العقل الى شعوبنا المتدينة وايقاظها من خدر الافيون . فليس بحيث يسقط شهادة الواقع التاريخي . او يحجب الافاق العليا التي استشرف بها الانسان الدين في ختام رسالاته .

(فاعتبروا يا أولي الابصار)

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٣١ / ٤ / ١٩٩٠

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۞ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ۞ »

صدق الله العظيم

بقلم :
د . بنت الشاطىء
أستاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة ـ جامعة القرويين

الدين والانسان واقع وآفاق

العقلية الاسلامية والخرافة في صحيفة اتهام

غني عن البيان ماروجت له الماركسية من أصل مذهبها في اتهام العقلية الدينية بالخرافة ، وتعبئة دعاتها للتبشير بدعوة ماركس : إن سعادة الشعب الحقيقية تتطلب إلغاء الدين إلغاء تاما من نفوس المؤمنين لأنه يخايلهم بسعادة وهمية لاظل لها من الحقيقة .. إذ تكمن أصول الدين في النظريات المحدودة الجاهلية التي تنشأ في حالة الهمجية ..

......

وقد مضت عشرات سنين كانت كافية لكشف الزيف عن هذا المذهب المناقض لفطرة الانسان . لكن من مثقفينا العصريين من تغلبهم أخذة الاستهواء وخلابة التفرنج فلا يزالون يلوكون من فتات موائد أكل الدهر عليها وشرب ما لايدرون أنه قد ولى وراح . وأكثر مايظهرون فينا بالمكرر المعاد من هذه المبتذلات . حين تواجه الامة أزمة ضاغطة أو تنزل بها نازلة عمياء .. وتختلف الذرائع بالضرورة . بين وضع وآخر . بين مرحلة وأخرى ..

في مصر على سبيل المثال لما جرى ويجرى في اقطار وطننا الكبير – وكلنا في الهم شرق – حمل رواد اليقظة مستهل العصر الحديث . مشاعل النور لمقاومة الغزو الاستعماري . الفكرى والعسكرى . بمدد سخي من أصول حضارتنا التى طمسها جنود المستعمر وأشياعهم . فتصدت لاولئك الرواد فئة مدربة من تلاميذ الاستشراق الصليبي واليهودى ليخلعوا معلميهم المبشرين الاجانب الذين احبطهم وعي الامة لمناط وجودها . وأخذها بحدس الدفاع عن الذات . موقف الحذر من كلام الاجانب الغرباء في عقيدتها ولغتها وتاريخها .

ولم يقصر تلاميذهم في التصدى لرواد اليقظة . ولا تحرجوا من التهجم علانية على ديننا ولغتنا وتراثنا الحضاري . فسجلت الفترة أصوات مثقفين كبار مثل . شبلي شميل . وإسماعيل مظهر وسلامة موسى وأمثالهم من المتنورين الفرنجة في مدرسة المقتطف ووليدتها العصور . وفي أنديتهم الثقافية بالعواصم . تهوى كالمعول في قسوة واصرار على جذور أصالتنا وما أرسى رواد اليقظة من معابر واصلة بيننا وبين ماض لنا عريق ومجيد . طوته المحن في غيابة التخلف وحجبه الغزو الفكرى وشوه معالمه وطمس اثاره . فلم يتحرج أسماعيل مظهر مثلا من نشر مقالات له بالمقتطف مهداة الى أستاذه وصديقه يعقوب صروف في عالم الارواح .

يقول فيها

[لقد وطئت أقدام الجيش الفرنسوى أرض مصر وتركتها . واهل مصر في فجوة من كهف الزمان . أعمق فجواته . ماتحركت فيهم شاعرية ولا انفجر فيهم انفعال ولا اهتزت لهم مشاعر . لايعوزنا لاثبات هذه النظرية أى دليل (! !)]

واشتدت ضربات المعول على . السيد جمال الدين الافغاني . الذى [ميزه عن غيره من زعماء المتدينين – في رأى اسماعيل مظهر ورفاقه – انه أراد ان يتخذ من قوة الدين سبيلا للتاثير السياسى والدعوة السياسية القائمة حول فكرة استقلال الشعوب الاسلامية (كذا . نصا !) وإعداد العدة لمقاومة النفوذ الاوروبى في الشرق الاسلامى (كذا . نصا !) وقد تعلم السيد جمال الدين منتحيا الاساليب العلمية العتيقة للعرب في العصور الوسطى . فهو بذلك صورة مصغرة أو مكبرة لعصر من العصور البائدة في تاريخ الفكر الانساني .

ثم يوغل المعول بضرباته الحادة . في أعماق وجودنا في شخص السيد جمال الدين [وريث العرب بحق في علومهم وفلسفتهم . وقف من الرقي حيث وقفوا عند النظر الغيبي . وكان كل مادبجته يراعته وتحرك به لسانه من مباحث أسلافه ليخرج من مجموعها فلسفة هي عنوان مابلغ الفكر من تهويش وانحلال في القرون الوسطى .

ومعه . مما يشبه أن يكون من قبيل تجاوب الاصداء . ارتفع صوت . سلامة موسى . الذى لم ير في ماضينا قط إلا القبح والانحلال والتخلف . ولا وجد في تاريخ الحضارة الاسلامية كله . بذرة تصلح للبقاء . بل انه حين نشر كتابه (هؤلاء علموني) لم يسمح لاى مفكر أو معلم عربي أن ياخذ مكانا . ولو في ذيل الموكب الجليل لمعلمي سلامة موسى تولستوى وماركس وبافلوف ودستويفسكي . وفرويد وأدلر ويونج وهافلوك أليس .. إلى اخر القائمة الاجنبية التى لاموضع فيها لاى عربي او شرقي واحد .

ولم يكن عجبا ان لم يبلغوا من الامة مسمعا لما بشروا به من تنوير عصرى يتهجم على ديننا ولغتنا وتاريخنا .. ويريد ليخلعنا من جذور أصالتنا لينمينا إلى غير ابائنا أدعياء ملصقين . ويزدرى العقلية الدينية السياسية لرواد اتخذوا من قوة الدين سبيلا لمقاومة النفوذ الاوروبى

..... لكنهم خلفوا تلاميذ لهم مرهقين بالغربة في وطنهم وبين أهلهم لايجدون مايشفي غربتهم سوى الكفاح لتغريب الامة بنبذ قديمها كله الدين واللغة والتراث

وازدروا المثقفين من أبناء البلد . ونفوهم عن العصر . فبادلوهم ازدراء بازدراء . وتعالوا عليهم بشموخ الاصالة وعز الانتماء إلى بلدهم وشرف الولاء لعقيدتهم .

والتقينا ونلتقى في البلد الواحد وفي المجمع الواحد . ونحن فيما بيننا غرباء فكانت ظاهرة فقدان التعاصر بين مثقفي جيلنا . مما يثقل على الامة في صراع الوجود والمصير ومع هزات المرحلة بين يمين ويسار . وشرق وغرب . تعددت أزمتنا وتنافرت أنماطنا وأزياؤنا . تقاذفنا التهم

وفي النقع المثار من صدام الغرباء . ساحت الرؤية واضطربت الموازين واخذنا من دوار صدمة الهزيمة ماذهبت به الظنون في تفسيرها مذاهب شتى متناقضة متناكرة . وقد حملت العقلية الاسلامية النصيب الاوفى من المسئولية عن الهزيمة . لكن من الباحثين من ذهب إلى أن ادعاء فشل القومية العربية في مواجهة تحديات مابعد الهزيمة أفضى إلى ردة عقلية وثقافية . بالتاكيد المفرط على المد الاسلامى في الهجمة الثقافية التى

تستهدف القومية العربية بالذات . في عصر الردة الحالى .

وللدكتور . سمير بطرس أستاذ العلوم السياسية بجامعة وين ستيث . بالولايات المتحدة الامريكية . بحث مبسوط في هذا التوجيه . نشرته (مجلة الوحدة) ـ التى تصدر شهريا عن المجلس القومي للثقافة العربية

[منذ الستينيات وهذه الهجمة تتصاعد مع تصاعد الهجمتين العسكرية والسياسية . موجهة في المقام الاول إلى الفكر القومي العربي . أكثر ـ أو حتى : دون ـ مدرستين من مدارس الثورة العربية الماركسية والسلفية . وهذا لما يدركه المهاجمون من أصالة الفكر القومي ... ومن خصائص هذه الهجمة الثقافية على القومية العربية : أنها تتميز بخصيصتين : احداهما تصدق على كل هجمة موجهة إلى مد ثورى . والثانية تخص القومية العربية بالذات . بهجوم مسدد على الفكر الايديولوجي وبالتاكيد المفرط على المد الاسلامي وهو من أهم قنوات الهجمة الثقافية على القومية العربية . التى تميز عصر الردة الحالى ومفاد هذا التاكيد المفرط على المد الاسلامي . هو الادعاء بان القومية العربية قد أثبتت فشلها في مواجهة تحديات ما بعد نكسة سنة ١٩٦٧ . واذذاك تحولت الجماهير من القومية إلى الاصولية الاسلامية ملاذا لها من الاحباط ومصدرا للهوية والشرعية .

[وقد اتفقت . مع الاسف . على هذا المنطق الخاطىء الممسوخ . كثير من كتابات عربية وغربية . لوسايرتها أجهزة الاعلام في الغرب التى تصدت باسلوبها المضلل خدمة للمؤسسات الحاكمة التى تعمل لحسابها ..... وهم يفصلون ظاهرة المد الاسلامي عن النسيج التاريخي للصراع العربي ضد الامبريالية والصهيونية .

زعما منهم بان انحسار المد القومي قد أوجد ثغرة استطاع المد الاسلامي التسلل من خلالها ..

● ● ●

وليس بعجيب من مفارقات ما افرزته المرحلة من خليط فكرى . أن يكون التاكيد المفرط على المد الاسلامي من أهم القنوات التى تستهدف الهجمة الثقافية على القومية العربية . وأن تكون عقليتنا الخرافية التى حملوها وزر الهزيمة . موضع محاكمة لموقف السلفيين من نصر العاشر من شهر رمضان المبارك في (دراسات للعقلية العربية) اشترك فيها . ابراهيم بدران . وسلوى خماش . ونشرت في بيروت سنة ١٩٧٩ . وسجلا فيها على عقليتنا الخرافية أن تمثلنا يوم النصر أطياف البدريين في يومهم المشهود ـ السابع عشر من شهر رمضان للسنة الثانية من الهجرة ـ ولاحت لنا رؤاهم يباركون جندنا البواسل الذين دكوا سد العدوان والهزيمة والعار ..

ويدخل هذا الكتاب . في مراجع الدارسين لعقليتنا الخرافية . ومنها (دراسة ميدانية للذهنية الشبابية العربية المثقفة) أجراها السيد . نزار ابراهيم باحث سورى . ـ ونشرتها له (مجلة الوحدة) في عدد خاص عن الشباب العربي والمستقبل ـ ديسمبر سنة ١٩٨٧ ـ

[على عينة من مائة شاب مثقف . حاز على شهادة الدراسة الثانوية كحد أدنى للتحصيل . من أكثر من جنسية عربية]

[ومن أهم ماتتسم به هذه البنية الذهنية أنها مازالت حتى الآن بعيدة عن التفكير العلماني المتماسك مع الواقع . وبشكل عام نستطيع القول بان شبيبتنا المثقفة تتمسك بارث دينى وخرافي وغيبى

● ● ●

بيان ذلك يأتى غدا بمشيئة الله . مع عرض هذه الاقوال في عقليتنا الخرافية . على الأصول الموثقة للعقلية الاسلامية النقية . والله المستعان ـــــ

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٢ / ٤ / ١٩٩٠

حديث رمضان

بقلم :
د . بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة ـ جامعة القرويين

الدين والانسان واقع وآفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا * قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا * »

صدق الله العظيم

العقلية الاسلامية والخرافة
« هذا بلاغ للناس »

امس كان الحديث عن (العقلية الاسلامية والخرافة) في صحيفة اتهام . ممن بشروا فينا بيقظة من خدر الافيون ترد الينا عقولنا المعطلة .. وقد اشرت في نهاية الحديث الى [دراسة اجتماعية ميدانية للذهنية الشبابية العربية المثقفة] اجراها . نزار ابراهيم : باحث سوري . ونشرتها له (مجلة الوحدة التي تصدر شهريا عن المجلس القومي للثقافة العربية) في عدد خاص عن الشباب العربي والمستقبل ديسمبر ١٩٨٧ م .

التاريخ : ٢٢ / ٤ / ١٩٩٠

الدراسة اجريت على عينة من مائة شاب مثقف ، يحمل شهادة الدراسة الثانوية كحد أدنى للتحصيل العلمي ، من أكثر من جنسية عربية .. وزعت عليهم استمارات استبيان للعمق الايديولوجي والموقف من المعتقدات الوهمية الخرافية - كما جاء في بيان الباحث - واوضحت أن العقل القدري الايماني الغيبي الاستسلامي مازال له حضور كبير في العقل الشبابي لدى مثقفينا العرب (كذا بالجملة) وبشكل عام نستطيع القول بان شبيبتنا المثقفة تتمسك بارث ديني وخرافي وغيبي ..

[ان السمة العامة للشبيبة العربية المثقفة حسب التعريف الاجرائي - بالشهادة الثانوية حد ادنى للتحصيل العلمي - هي رجحان كفة الفكر اللاعلمي وغياب المنهجية العلمية في التفكير .. وان ذهنية ، كهذه ، بفكرها اللاعقلاني خاضعة لتاثير جملة من القيم الساقطة تاريخيا ، لهي شبيبة عاطلة عن الفعل الاجتماعي التقدمي الفعال شبيبة مشلولة مريضة مطواعة سهلة الانقياد ومما سجله الاستبيان] ان أحد عشر في المائة يؤمنون بالتنجيم والتبصير في محاولة خلق الجو المستقبلي الوهمي السعيد ، يحمل كل ما هو مفقود .. على أن الامر لم يقف عند هذا الحد - فكما قلت ليس للايمان الغيبي الخرافي حدود - بل ان ٤١٪ من افراد عينتنا المثقفة يؤمنون بوجود الكائنات اللامرئية ، الجان والعفاريت . ونلاحظ بوضوح أن النسبة هنا ارتفعت كثيرا . واعتقد أن مرد ذلك هو اقرار الديانات السماوية بوجود مثل هذه الكائنات تبنيها لها ولذلك تبقى امكانية رفضها او التشكيك بوجودها مسالة أكثر تعقيدا وتحتاج الى عقلية هي الى حد ما قادرة على الانفلات اكثر [من سطوة الثقافة الغيبية]

●●●

ومهما يكن من أمر هذه الدراسة ومستواها ، فما ينبغي لنا أن نغض من دلالتها على موقف رفض للدين ومسئوليته عن [العقلية الخرافية الاستسلامية الغيبية] تتجاوب بها الاصداء في اندية ومجلات وجمعيات ثقافية عصرية ذات عدد . فلنضف هذه الدراسة الى ما لا نراه عجبا من مفرزات المرحلة من فكر ديني متهافت متناثر ، أن تتجاوب المرحلة بهذه الاصداء . وأمثالها مضاعفة . مع (تفسير عصرى للقران) صدرت طبعته الاولى من القاهرة سنة ١٩٧٠ م ، ودقت له طبول الدعاية وأجراس الاعلان حتى اشتهر وذاع وملا الاسماع ، وهو يلف بالقراء ويدور حول المقرر من حظر الخوض في الغيب ، ليجرى في محظور الغيبيات ملء عنانه ، معلنا أن من اعجاز القران [انه يدلك على علوم لم تعلم بعد ، وينبئك عن غيب مطلسم لم يكشف الا لقلة من المخصوصين من أهل التصوف]

وقد وضع نفسه في هذه القلة المكشوف لها عن غيب مطلسم ، واحتج على [من زعم أنه لم ير الملائكة ولا الجن ولا الشياطين : فلماذا يلزم بها البشرية وفي هذه البشرية من رأى الجن والملائكة والشياطين وعلم الغيب شهودا ؟ هل الاعمى هو الذى يلزم المبصر ؟ أم أن حجة المبصر الواحد تقوم فتلزم ملايين العميان الذين لا يرون الشمس اذا راها مبصر واحد ؟ !]

واذ يقرر ان رؤية الغيب شهودا ، هي من مؤهلات المبصر (للسفارة الالهية ودخول منتدى الانبياء . يعلن من فهمه العصرى للقران : [ان جبريل يمكن أن ينزل الى الارض في اية صورة ويحمل الوحي الى اى نبى في اى عصر باى لغة]

ثم يمن على قارىء تفسيره العصرى بارشاده الى الوسيلة العصرية الى كشف محجوب الغيب ، فيقول ما نصه :

[ووعد الانجيل : (اطلبوا تجدوا ، دقوا الباب يفتح لكم) على أن يكون دق الباب بجماع القلب والهمة وانقطاع البال وخلوص النية ، وليس مجرد شقشقة لسان بدعاء تقليدى ، وحينئذ يتفضل عليك الله كما يتفضل على أحبابه واوليائه فيفتح بصيرتك لترى الملائكة شهودا وترى الغيب حضورا وتسمع ما لا اذن سمعت]

وتعاطى الناس ، خاصة وعامة ، هذه الجرعات ، ومثلت أمثالها في طبعات متوالية من فهم عصرى للقران .

وفي برامج (العلم والايمان) مذاعة من القاهرة ذات المآذن الالف ، وفيها مقرئون يتلون في الناس من ايات القران فيمن جحدوا بشرية الرسل :

(وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا . قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا)

(قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك إن أتبع الا ما يوحى إلى)

وقرأت وسمعت أخبارا عن الوف ذوى عدد في المجتمعات الاسلامية ، حواضرها ومدنها ، يحضرون الجن من عالمها السفلى لقضاء الحاجات البعيدة المنال ، وعن (كوديات) يعقدن حفلات الزار لنساء من الطبقة الراقية ومن قيعان المدن ، لاحضار (الاسياد) الذين يحلون في أجسادهن ، ومفاوضتهم على الخروج منها ، فما أدرى : هل يكون محضرو الجن وكوديات الزار ، اعضاء في [منتدى أحباء الله واوليائه ؟]

الأهرام
قطاع التنظيم والإدارة ونظم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٢ / ٤ / ١٩٩٠

مبلغ علمي أن لفظ الجن يأتي في البيان القراني مقابلا للانس . يطرد ذلك في كل ايات الانس وعددها ثماني عشرة اية . وملحظ الانسية فيها بما تعني من نقيض التوحش . هو المفهوم صراحة من مقابلتها بالجن في دلالتها أصلا على الخفاء . إشارة الى أجناس أخرى خفية مجهولة لا تنتمي الى عالم الانس ولا تحكمها نواميس حياته . وليس من الضروري أن يقتصر مفهوم الجن على مالوف إطلاقه على الاشباح التي لا تظهر الا في تهاويل الظلمة وتصورات الوهم . بل يتسع لفظ الجن بدلالته الاصلية على الخفاء ومقابلته بالانس . لاي جنس غير بشري يعيش في عوالم غير منظورة لنا ولا مدركة . ولا يخضع للسنن والنواميس التي تحكم حياتنا نحن الانس . وبهذا الفهم تنتفي شبهة الخرافة عن تصديقنا بالجن . سمعا . إذا قدرنا أن الكشوف العلمية الحديثة لا تنفي احتمال وجود كائنات غيرنا تعيش في عوالمها المجهولة .

ونصدق بالشياطين في الغيبيات السمعية . لا نعلم عنها إلا ما جاء في القران الكريم وصحيح الحديث . وصريح النص في القران . خطابا لبني ادم :

(انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) وإنما يؤثر في الانسان : بالوسوسة . والمس . والنزغ . والفتنة .. والاستهواء . وتزيين الضلال .. وأقرب ما نفهمه من استقراء هذه الايات وتدبر سياقها . أنه النفس الامارة بالسوء . ويؤنس الى هذا الفهم . حديث أبي هريرة رضي الله عنه . في (الصحيحين) عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال (ان الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به نفسها ما لم تعمل أو تتكلم به

وحديثه . رضي الله عنه . في (كتاب الايمان من صحيح مسلم) قال جاء أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به . قال . وقد وجدتموه ؟ . قالوا نعم . قال : ذاك صريح الايمان .

فإذا تجسد الشيطان . فالغالب أن يكون فيما تدبرنا من ايات القران فيه — من شياطين الانس . قبيل الشيطان . وأولياؤه وأصحابه . وحزبه ممن قال فيهم عز وجل :

(وإذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم انما نحن مستهزئون . الله يستهزيء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون) وقال جل جلاله :

(استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان . ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون)

وصريح نص القران الكريم في ايات الملائكة . أنهم سابقون على خلق ادم . الانسان الاول . فلسنا ندري كنههم . وهم رسل ربهم (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) يسبحون بحمده ويسجدون له وهم لا يستكبرون . وايات الجدل في بشرية الرسل . صريحة في أن الملائكة لا ينزلون الى الارض ليراهم المبصرون :

(وقالوا لولا أنزل عليه ملك . ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا)

● ● ●

وأتواضع لشيوخنا الائمة . علماء سلفنا الصالح . فيما أحفظ من قول الامام الشافعي رضي الله عنه . من القرن الثاني للهجرة :

(من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته) لانه إما كاذب فهو متهم في خلقه مجرح بكذبه . وإما صادق في زعمه فهو متهم في عقله :

فهل بلغت ؟ اللهم فاشهد

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٣ / ٤ / ١٩٩٠

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۞»

صدق الله العظيم

بقلم :
د . بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين والانسان واقع وآفاق

مع الحبيب المصطفى في ليلة القدر

في ليلة القدر المباركة ، احدى ليالي الوتر الفردية من ليالي الاعتكاف ، العشر الاواخر من شهرنا المعظم ، موعدنا مع الحبيب المصطفى في خلوته بغار حراء ، أحد جبال مكة الشامخة .

قلوبنا على تباعد الديار ومن مختلف الاجناس والاعراق والالوان ، تشرئب اليه ، تلتمس من نور الفجر الصادق ما يضيء غواشي الظلمات .

واسماعنا مشدودة اليه عبر الابعاد المترامية ، تنصت الى ايات الوحي الاول فجر الليلة المباركة :

متجددة أبدا في كل دورة سنوية للقمر ، مهيمنة على واقع التاريخ ، ومستشرفة بالانسان الى الافق الاعلى لكمال انسانيته أقرب ما يكون من الخالق عز وجل .

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

قبل الفجر . غشى الكون ليل ثقيل ولف أم القرى صمت مكدود لا يكاد يسمع فيه سوى أنفاس الليل مختلطة بهمهمة صلوات وثنية كانت لا تزال تتردد في حرم البيت العتيق . وقمر رمضان قد توارى واحتجب . فليس على الافق المعتم سوى ضوء شاحب تكاد تحجبه عن مكة جبالها الصخرية التي تبدو كانها كتل من ظلمات متكاثفة متراكمة .. ونامت الدنيا لا تلقي بالا الى رجل من بني هاشم . ابن امرأة من قريش تأكل القديد . قد أوى الى غار في جبل هناك يلتمس في العتمة الداجية شعاعا من نور الحق وينشد في خلوته أنس الهدى وراحة اليقين . وخواطره تحوم حول البيت العتيق الذي رفع ابراهيم القواعد منه واسماعيل . وطهره للطائفين والعاكفين والركع السجود . فلم يلبث أن صار مع تراخي الزمن مثوى لأوثان شائهة شتى لكل قبيلة من العرب صنمها تحج اليه وتطيف به وترفع اليه التلبية وتقدم القرابين .

وغير بعيد من غار حراء . هجعت مكة تجتر ذكريات مجدها الديني طوته وثنية عمياء . وتساورها من حين الى حين رجفة من قلق الوعي لا تلبث أن تهمد تحت وطأة الكابوس الجاثم على المجتمع المكي . لا يحسب حسابا لهذا المختلي في غار حراء . وقد ألفت مكة أن تراه ينسحب من زحام هذا المجتمع . عازفا عن تلك الاوثان التي يعبدها قومه لانهم وجدوا آباءهم لها عابدين .

★ ★ ★

وأوغل الليل قبل أن يطلع فجر هذه الليلة من شهر رمضان وينشر نوره البهي على القمم والسفوح والاودية والقيعان . فيضيء الظلمة الداجية .

ومع نور الفجر الصادق من الليلة المباركة تجلى الوحي على المختلي في الغار . وألقى اليه الكلمة (اقرأ) وما كان محمد بقارىء . وما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه .

وتلقاها ثانية (اقرأ) وما يدري ماذا يقرأ

(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم .)

وبدأ تاريخ جديد :

الرجل الذي سرى في الليل الى غار حراء على مألوف عادته منذ أنكر موضع الاصنام في البيت العتيق وأيقن أن حياة الناس لا يمكن أن تمضي هكذا على سفه وضلال . خرج مع الفجر من الغار . نبيا مبعوثا بختام رسالات الدين .

والكلمات الاولى التي تلقاها في تلك الليلة من وحي ربه كانت مستهل كتاب معجز . وآية نبي بشر . ولواء عقيدة وجهت التاريخ وحررت الانسان وصنعت أمة وقادت حضارة .

• • •

خرج المصطفى . صلوات الله عليه وسلامه . من الغار واتجهت به خطاه نحو بيته . والكون من حوله ساج خاشع . وعلى الافق الاعلى نور الفجر الصادق ينسخ ظلمات ليل طال . ويوشح البيت العتيق بسنى وضاء يكشف عما تكدس في رحابه من أصنام وأوثان . فتبدو على حقيقتها العارية شائهة بلهاء . وكان لها من ظلام الليل ستر كثيف أصم . يخدع البصر ويزيف الرؤية ..

• • •

النور ملء قلبه وبصيرته . والكلمات ملء وجدانه ومسمعه .

ولكنه في حيرة من أمره . يعييه أن يستوعب السر الاعظم الذي تجلى له . ويأخذه من جلالة ما لا يدري معه . ما اذا كان في وعي يقظته أم تلك رؤيا بصيرة ملهمة . أرهفها طول التأمل في آيات القدرة . وطول التطلع الى اجتلاء سر هذا الكون وخالقه ؟

وأحس وطأة العبء الثقيل حتى بلغ بيته مكدودا مرتعدا شاحبا . كأنه عائد من سفر شاق طويل . ووجد في انتظاره . خديجة . التي كانت له على مدى خمس عشرة سنة زوجا وأما . وملاذا وسكنا .

ودون تردد . أفضى اليها بما رأى وما سمع وهو يرنو الى ملامحها اذ تصغي اليه بسمعها وقلبها . محاولا أن يتبين وقع هذا الامر على أقرب أهله اليه وأعزهم عليه . وأصفاهم له ودا وأرشدهم نصحا ورأيا .

وقالتها على الفور . بيقين وثقة : (الله يرعانا يا أبا القاسم . أبشر يا ابن عم واثبت . فو الذي نفس خديجة بيده اني لأرجو أن تكون نبي هذه الامة . والله لا يخزيك الله أبدا . انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق) .

نفذ صوتها الواثق الى قلبه . فأحس راحة الامن والطمأنينة وهي تمضي به في رفق وحنان الى مضجعه . فتدثره وتبقى الى جانبه حانية عليه حتى ينام .

نبي هذه الامة ؟ !

ما الذي ألقى الى بال السيدة . خديجة بنت خويلد الاسدية القرشية . بتلك الكلمة الكبرى حين كانت الوثنية غالبة . والعرب قبائل شتى . وعالم الجاهلية دولا متناحرة وأمما متناكرة ؟

أهي من تعبير التاريخ الاسلامي عن ادراك . أم المؤمنين الاولى . رضي الله عنها . لجلال الامر . واستبصارها لما بعده ؟

أم كانت الكلمة الكبرى تعبيرا عن مطمح مرجو . في ظروف تؤنس اليه . وواقع مشهود تراءت أبعاده المترامية لام المؤمنين الاولى ؟

أيا ما كان الامر . فالكلمة لا تبدو غريبة على الموقف . فما كانت السيدة خديجة وهي من صميم قريش جيرة الحرم . بحيث يفوتها شيء مما راج في المنطقة قبيل المبعث من تطلعات الى تحول خطير . رنا اليه حكماء العرب وحنفاؤهم وشعراؤهم . ومن ارهاصات عن نبي حان مبعثه . تناقلها الرواة والاخباريون عن رهبان النصارى في نجران والشام والحبشة . وأحبار يهود في يثرب وما حوالها . شمالي الحجاز .

ومكة على الخصوص كانت المركز الذى تتلاقى فيه تلك التطلعات والارهاصات . وتتجمع روافدها من هنالك وهنالك نحو البيت العتيق فتحوم حول حي بني هاشم بن عبد مناف . وترنو الى . محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم .

ولا نجادل من يستريب من أبناء هذا الزمان في تلك المرويات ويحملها على منحولات الرواة واضافات السمار . غير أن الواقع التاريخي يؤكد أنها . على أى وجه رضيناه لها وحملناها عليه تكشف عن تطلع الحياة قبيل الاسلام الى تحول جديد وحاسم .

وتاريخ الاديان يعي تماما ما سبق ظهور الاسلام من بوادر تصدع آذنت بوشك عصر جديد لعالم يريد أن ينقض .

وقد كان لمكة من واقعها ورؤاها وذكرياتها ما تضيفه الى تلك الارهاصات الوافدة من شمال وجنوب وشرق

واذا كانت مكة قد استرجعت بفداء . عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي . ذكرى الفداء الأول لاسماعيل جد العرب العدنانية . فما كانت بحيث يفوتها غداة ليلة القدر أن تربط ما بين محمد بن عبد الله . واسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام . وقد صانت ذكرى الفداءين . وضنت بها على النسيان .

وتربطها . كذلك . في وعي السيدة خديجة . بما انست من شمائل زوجها المصطفى الامين وما عهدت من ميله الى التامل والخلوة في غار حراء وضيقه بموضع الاصنام في الحرم المكي . وحيرته في أمر قومه . كيف ضلت عنهم أحلامهم فنسوا أنهم الذين صنعوها بايديهم ثم جعلوها أربابا معبودة مع الخالق جل جلاله وسيلة اليه تعالى وزلفى !

في هذا كله كانت السيدة خديجة تفكر وهي تخرج صبح ليلة القدر . ساعية الى ابن عمها . ورقة بن نوفل . ترجو أن يكون لديه من علمه بالكتب والاديان . ما تطمئن الى حقيقة الفكرة الملهمة التي سيطرت على وعيها المرهف وبصيرتها الثاقبة : أن يكون زوجها الحبيب المصطفى نبي هذه الامة .

وقالها . ورقة بن نوفل . دون تردد . وقد كان من قبل لا ينفك يتمثل في مخايل . محمد بن عبد الله . وسيرته وشمائله . دلائل النبي المنتظر .

. قدوس قدوس . والذى نفس ورقة بيده لقد جاءه الناموس الاكبر الذى كان ياتي موسى وعيسى وانه لنبي هذه الامة فقولي له فليثبت .

وعادت الى المصطفى الحبيب بالبشرى . وليس في الدنيا يومئذ سواها . مؤمن بمبعثه صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر

(سلام هي حتى مطلع الفجر) صدق الله العظيم

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٤ / ٤ / ١٩٩٠

حديث رمضان

بقلم :
د . بنت الشاطيء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين والانسان واقع وآفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

« إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا »

صدق الله العظيم

الفجر الصادق ورشد الانسان

أدركت منذ وعيت ، أن الدين في ختام رسالاته ، رسالة إلى الانسان . ثم كان من عطاء التدبر لسورة الوحي الأولى ، مع طلاب الدراسات العليا بجامعة القرويين ، أن هذه السورة أقرب إلى أن تكون مدخلا لهذه الرسالة إلى الانسان ، في سيرته من المبتدأ إلى المنتهى : خلقه الله تعالى من علق كسائر البهم والدواب والحشرات ، وأكرمه عز وجل بخاصية التدين الحر وأهليته لكسب العلم التي استحق بها الخلافة في الارض . وهو معرض للغرور بما يحقق من وجوده وما يشعر به من مكانته في الكائنات ، فيطغى بوهم الاستغناء عن خالقه ، وينسى في زهو غروره أن إلى ربه الرجعى :

(كلا إن الانسان ليطغى . أن رآه استغنى . إن إلى ربك الرجعى)

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٤ / ٤ / ١٩٩٠

وهذا الانسان المخلوق من علق ومن نطفة كعامة جنسه في الحيوان . أكثر شيء جدلا . حتى إنه في رشده ليجادل خالقه كيف يحييه بعد الموت . قال تعالى :

(أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشاها أول مرة وهو بكل خلق عليم)

وأنا أتابع التدبر لهذا القرآن في جلوة التأمل وصفاء الذهن لليالي الاعتكاف . العشر الأواخر من رمضان . فيهدي إلى جديد من عطائه : لقد كان مبعث المصطفى صلى الله عليه وسلم بختام رسالات الدين . إيذانا برشد الانسان . بعد أن جاءت رسله تعالى تترى من الجيل الأول للبشرية الآدمية . تقودها على مدارج خطاها ومراقي نموها . وأيد الله تعالى رسله بما يلائم مستوى كل مرحلة . وما يحرر عقليتها من رواسب الشوائب الدخيلة على الدين . على فترات من الرسل . حتى شارفت مرحلة الرشد . فكانت أهلا لأن تؤمن برسول معجزته (كتاب) وآياته الأولى آيات الانسان والقراءة والقلم والعلم . ختمت به رسالات الدين .

(هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا . إنا خلقناه من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا . إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا)

ذلك ما اطمأننت إليه وعكفت على خدمته درسا وتدريسا للتفسير . وأراني اليوم أقبس من نور الفجر الصادق مغزى رشد الانسان بما يعني الرشد من احتمال تبعاته والأهلية لتكاليفه . على نحو المألوف من رفع الوصاية ببلوغ الرشد والأهلية للاستقلال والحرية وتحمل تبعاتها الثقال . وليس كالمفهوم الشائع للحرية من الافلات من كل قيد .

اليوم أتجه إلى رشد الانسان بما يعني من أهليته لحمل أمانة إنسانيته وتكاليف رشده . مسئولا عن عقيدته وسلوكه وأقواله وأفعاله محاسبا عليها .

وحمل الأمانة من أخص ما يميز دلالة الانسانية في البيان القرآني . وهي أمانة صعبة تصدى الانسان لحملها . دون سائر الكائنات المسيرة بمقتضى سنن ثابتة على وجه التسخير أو الامتثال . فليست كالانسان المسئول عن عمله المحاسب عليه ثوابا وعقابا . لا يحمل أحد عنه في رشده . تبعة كسبه ومسعاه . ويتعرض للابتلاء بتكاليف الرشد ومسئولية الأمانة وتبعاتها الثقال التي أشفقت منها السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها . وحملها الانسان بغرور جهله بمسئوليتها الصعبة :

وليست الجمادية في السموات والأرض والجبال هي مناط الاعتبار بها في آية الأمانة . بل المعتبر به فيها ضخامة أجرامها وطاقتها على الحمل والاحتمال . فالسموات الرحبة المرفوعة بغير عمد نراها . والأرض التي تحمل صلب الصخور وشاهق الجبال والمباني وملايين المخلوقات . والجبال التي تأخذ الأبصار بشموخها وصلابتها ورسوها ورسوخها . هذه جميعا أشفقت من الأمانة وأبت حملها . وحملها هذا الانسان بجرمه الضئيل وطاقته المحدودة بالقياس إلى السموات والأرض والجبال التي أعفاها التسخير من المسئولية والحساب فليست بحيث توصف بجهل وظلم أو تمتحن بنفاق وشرك . أو تتعرض كالانسان لجزاء من عقاب أو ثواب .

(ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات . ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما)

والإيذان برشد الانسان بختام رسالات الدين اقتضى أن يكون الاسلام مصدقا لسائر الرسالات قبله . أصلا من أصول العقيدة . وبهذا التصديق يكون القرآن بما

استصفى من جوهر الدين كله نقيا من الشوائب الدخيلة التي طرأت عليه . على فترات من الرسل . يستغني به الانسان عن جديد من رسالات الدين .

(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) الآية .

وإلزام الحجة بالدين إنما يكون بتبليغه بالحكمة والموعظة الحسنة والصبر على الجدال فيه التماسا للاقتناع وطمأنينة القلب . فلا حجة على الانسان إلا بعد التبليغ . بصريح الآيات البينات :

(وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه . أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) .

(ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت

بصيرا . قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) ونظائرها كثير

....

وغير متصور أن يحمل تبعات الرشد من لم تتحقق له أهليته بهدى الفطرة الانسانية ، واكتمال أدوات التعقل والسمع والبصر والنطق والبيان واللمس . منظورا فيها جميعا إلى الانسان بوظيفتها الانسانية ، قال تعالى :
(ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين . وهديناه النجدين)

ونظائرها كثير لايتسع المجال لاستقرائه وتقصيه .
فإذا تعطلت وظيفتها الانسانية جهلا وغفلة ، أو بالقسر والاكراه ، أو التضليل والتخدير والاستهواء ، ضاع رشد الانسان ومسخت بشريته إلى مادون الانعام والبهم والدواب . المسيرة بالغريزة والتسخير . فذلك قوله تعالى .

(إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون)
(لهم قلوب لايفقهون بها ولم أعين لايبصرون بها ولهم اذان لايسمعون بها . أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)

ويرقى الدين بالوظيفة الانسانية للقلب والحواس . إلى حيث تحمل مسئوليتها فيما يكسب الانسان من طريقها وفي (الصحيحين) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في (زنا الجوارح) قال . فزنا العين بالنظر ، وزنا اللسان بالنطق وزنا القلب بالتمني والشهوة . ثم يصدق الفعل هذا الزنا من الجوارح . وقال تعالى .

(ولا تقف ماليس لك به علم . إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)

★ ★ ★

ومن تحقيق القلب والحواس وظيفتها الانسانية ، ان تحمل يوم الحساب مسئولية الشهادة عما اقترف صاحبها من اثام . قال تعالى .

(يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون)

وقال في حشر أعداء الله إلى النار :
(حتى إذا جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الذى أنطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة وإليه ترجعون . وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولاجلودكم ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون) .

واستحى لعصرنا : ارتاد الفضاء وصعد إلى الاجرام السماوية العليا وجاب مسابح الافلاك . ولايزال فينا من ينكص عن تبعات رشده ويسوغ في منطقهم ما ساغ في منطق الوثنية الجاهلة وعبدة المال من اليهود الذين قال فيهم عز وجل .

(وقالوا لوشاء الله ما عبدناهم . مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون)

(وإذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قالوا أنطعم من لويشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين) .
صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٥ / ٤ / ١٩٩٠

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

صدق الله العظيم

بقلم :
د . بنت الشاطىء
أستاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين والانسان واقع وآفاق

رشد الانسان ، والتصديق بالغيب

شهرنا المعظم على وشك وداع . وقضايا الدين و الانسان تتزاحم فما أدرى ماذا اخذ منها لما بقى من الجمعة اليتيمة وماذا أدع . غير اني حريصة على النظر فى اتهام العقلية الاسلامية بالغيبية المعطلة - على ما مضى فى صحيفة اتهامها بالخرافة - وذلك لايكون إلا عن جهل أو ضلالة وافتراء تختلط فيها المفاهيم وتلتبس الدلالات فلا تفرق بين التصديق بالغيب و الفكر الغيبى . ويتشابه الأمر على الناس فيما يروج فيهم من بضاعة من يخوضون فى غيب الدنيا والآخرة بغير علم ويخرجون على الناس من [منتدى أحباب الله و أوليائه الذين تفضل عليهم برؤية الغيب شهودا] .. وبين من يبشرون فينا [بيقظة من غيبوبة التخدير لعقليتنا الغيبية المعطلة] .

قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٥ / ٤ / ١٩٩٠

....

الغيب في لسان عربيتنا يطلق على نقيض الحضور . ومنه في القران الكريم اية يوسف وامرأة العزيز : (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) .. واية النساء (فالصالحات قانتات حافظات للغيب) واية النمل في سليمان عليه السلام .. (وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين) .

على أن أكثر ما يطلق الغيب في المصطلح على ما يغيب عن عالم الانسان مما لايقع تحت الحواس ولايدركه العقل .

والايمان بالغيب من أصول العقيدة الاسلامية ، مرادا به ما استأثر الله تعالى بعلمه لم يطلع عليه أحداً من خلقه ولو كان من الملائكة (قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا) أو وصفوة الرسل عليهم السلام . وذلك ما حرص القران الكريم على ترسيخه في تقرير بشرية الرسل ، تقديرا لصعوبة التصديق بنبوة بشر رسول مع ما تحمله البشرية من رواسب ميراث الوثنية والشرك وتعدد الالهة ، وعبادة الرسل والابطال ، البديل التاريخي لعصر تعدد الالهة . قال تعالى ردا على من جادلوا في بشرية الرسل ، خطابا لخاتمهم :

(قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم إني ملك إن اتبع إلا مايوحى .. إلى)

(قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ماشاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء . إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) .

(ويقولون لولا أنزل عليه اية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين)

(وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو) ونظائرها كثير .

وهذا الذى استأثر الله بعلمه يحرم بإجماع الخوض فيه وقد قال تعالى خطابا لخاتم رسله عليهم السلام .

(يسالونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لايجليها لوقتها إلا هو ، ثقلت في السموات والارض لاتاتيكم إلا بغتة ، يسالونك كانك حفي عنها قل إنما علمها عند الله) .

(ويسالونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) :

★ ★ ★

وأما ما أوحى الله إلى رسله من الغيب فصريح النص ان ذلك لايكون إلا للصفوة الرسل عليهم السلام مع امرهم بتبليغه . قال تعالى :

(قل إن أدرى أقريب ماتوعدون أم يجعل له ربي أمدا . عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . إلا من ارتضى من رسول) الآيات . وفيها : (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) .

وذلك مما يجب الايمان به سماعا من حيث لاسبيل لنا إلى إدراكه . وقد صح النص بما ينبغي أن نعلمه ، وبما لايجوز الخوض فيه رجما بالغيب .

وحظر الخوض في الغيب من آيات رشد الانسان ، فلا يتصور أن يتكلم عاقل فيما لاعلم له به . وقد عد الاصوليون هذا الحظر من مقدمات البراهين الجامعة الموصلة إلى الحق : فالصبي الصغير تساله عما لم يسمع فيقول : لم اسمع . وتساله عما لايدرك فيقول لا ادركه . وتساله عما لايعلمه فيقول : لا أعلمه . قال « ابن حزم القرطبي الظاهرى الفقية الاصولي الامام » .

قال تعالى : (افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها) ؟ فهذه أوائل العقل التي لايختلف فيها ذو عقل ولا يطلب دليلا عليها إلا مجنون أو جاهل ومن الطفل أهدى منه . وهذا أمر يستوى في الإقرار به كبار جميع بني ادم

وصغارهم . إلا من غلط حسه وكابر عقله فيلحق بالمجانين) .

وإنما نؤمن بما أوحى الله تعالى إلى رسله فبلغوه . ويكثر في القران الكريم نفي علمهم بها قبل الوحي كما في الآيات البينات ، خطابا للمصطفى عليه السلام .

(ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون اقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون) سورة ال عمران .

(تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت .. ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) سورة هود .

(ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليه وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) سورة يوسف

(وما كنت بجانب الطور إذ ناديناولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون) القصص

(وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون) ونظائرها كثير .

★ ★ ★

واية رشد الانسان ، في ديننا وفي أصول المنهج الاسلامي ، ألا يخوض في غيب بغير علم ، وإنه لمحظور كذلك في العلم لأنه رجم بالظن فيما لاعلم له به (وإن الظن لايغني من الحق شيئا)

ولايتشابه الامر علينا ، فيما هو من المجهول الذي يكدح الانسان لاكتشافه وكسب العلم به فإذا اكتشفه ارتفع عنه الحظر الديني والعلمي ، إذ لم يعد الكلام فيه رجما بالغيب .

وبين ما هو من الغيبيات السمعية التي استأثر الله تعالى بعلمها نؤمن بها سمعا مما نزل من الوحي وصح به النص عن النبي صلى الله عليه وسلم . ولا يحل عقلا الخوض فيها ، وليست مجالا لنظر ولا مظنة كسب واجتهاد .

ونتلو من ايات الله البينات في نوح عليه السلام :

(فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين . قال رب اني أعوذ بك أن أسالك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين)

وسئل المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام فيما زعم ناس من ألوهيتهما من دون الله :

(قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ماليس لي بحق . إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ، إنك أنت علام الغيوب)

وقال تعالى لخاتم النبيين عليهم السلام :

(قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلى وما أنا إلا نذير مبين)

......

من هذه الايات البينات ، أخذت المدرسة الاسلامية أصول منهجها في حظر الرجم بالغيب ، وذلك ما يرفضه العلم .

ويأتي تفسير عصري يخايلنا في هذا الزمان بعجائب وغرائب من علمه بالغيب ، من قبيل ما صدر له من دار الافتاء العصرية في (مجلة صباح الخير القاهرية ، بتاريخ تاسع ابريل سنة ١٩٧٠) من فتوى بأن [كرسي الله هو قلب المؤمن ، والعقل هو العرش ، والجسد هو اللوح المحفوظ الذي يكتب الله عليه ، على الجينات الوراثية في خلية الجنين ، يكتب قدر المولود وحياته]

وفي فهمه العصري للقران ، افتى الناس بان [ناموس القيامة باختصار ، هو تجلي الله بذاته]

والملائكة حملة العرش الثمانية يوم القيامة في اية الحاقة ، تفسيرها العصري :

[لعلها قوى كهرو مغناطيسية هائلة ، ألا تمسك قوانين الجاذبية بالشمس والنجوم في فضاء الكون] ؟

......

تلك ومثله ، مما لايصح في عقل ولا دين ، فهل هو مما يصح في علوم الرياضيات والطبيعيات والتشريح ؟

(هذا بلاغ للناس ولينذروا به)

صدق الله العظيم

الأرشيف
وزارة [illegible]
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٦ / ٤ / ١٩٩٠

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا »

صدق الله العظيم

بقلم
د . بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة - جامعة القرويين

الدين والانسان واقع وآفاق

وقفة وداع للجمعة اليتيمة

لم يبق لنا من موسمنا الطيب سوى وقفة وداع ..
تشجينا وتحزننا ، وكان لم نحسب حسابا لحتم فراق
ويعسر علينا ان تنقضي الجمعة اليتيمة ، التي لا تتكرر ايامها ، لم نقض حق الشهر علينا ، ولا تزودنا من جمعته اليتيمة بما يؤنس وحشة الوداع ..
مضت سراعا ونحن في غبطة الأنس بها ، لا يهون علينا ان تشوبها هواجس الفراق ،
نحاول ان نزودها عن بالنا كيلا تعكر علينا صفو ما بقي لنا من ايام اللقاء .
والآفاق ترجع لتائيد الوداع لشهر القرآن وتواشيح الوجد به والحنين الى ما مضى من اياسه الطيبات ولياليه النيرات ، وهتاف النجوى لما بقي منها في جمعته اليتيمة ، على وشك رحيل ..

التاريخ : ٢٦ / ٤ / ١٩٩٠

وتهزنا نغمة اليتم نافذة من اسماعنا الى اعماق وجداننا ، فيصحو وعينا بالحس المرهف لامتنا ، جعلت من ليالي وداع رمضان جمعة يتيمة ، بما يحمل معنى اليتم في هذا الموقف ، من صفو الايمان ونقاء القلب ومحض الحب والولاء ، واشجان الفراق لمن رضى الله لنا ان يكون اصل وجودنا

ويتراءى لبصيرتي من منطق امتي ليتم الوداع لشهر القرآن ، لمحة مضيئة لابعاد التفسير الوجداني لتاريخ هذه الامة ، وشخصيتها

....

نودعه ، آخر يوم من الجمعة اليتيمة ، ويشجينا ان مرت ايامه الطيبات ولياليه النيرات سراعا ، فنحن من شجو الوداع واشجان الفراق يتامى ، لا نملك ان نستبقيه يوما او بعض يوم للتزود منه بما يؤنس وحشة الفراق ، والاعتذار اليه عما فرطنا فيه من امرنا ، بما قصرت عنه طاقتنا من الاستشراف لافاقه العليا للحق والخير والجمال ، تظل الانسانية كادحة اليها ابدا لتحقيق وجودها الكريم الحر ، ونضالها الدائب لرفض الظلم والذل والقهر والقبح والقذر ، ومقاومة نزائع التضليل والمسخ والاستلاب .

نودعه يتامى

وما اقسى اليتم على كهول منا وشيوخ امثالنا ، نتجلد في وقفة الوداع وقد طال علينا العمر ونال منا كر الغداة ومر العشي ، واثخنتنا جراح الايام والليالي لم تبق في كياننا المتعب موضعا لجرح ، ولا تركت في وجداننا نبض حياة

حتى اذا اذنت وقفة الوداع للجمعة اليتيمة برحيل ، هزتنا رجفة الشجن وعادت بنا الى صبانا ، اذ يرحل آباؤنا وشيوخنا رضى الله عنهم ، وقد زودونا عند الرحيل بوصاياهم ، وعهدوا الينا ان نحمل من بعدهم امانة الجهاد في سبيل ما قاتلوا له ، دفاعا عن شرف الانسان ، وتحقيقا لوعد نبينا المصطفى عليه افضل الصلاة وازكى التحية :

(لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم - وفي رواية من خذلهم - حتى يأتي امر الله وهم كذلك)

رواني هذا الحديث ، في (صحيح مسلم) فضيلة والدي العارف بالله العالم القدوة ، قبيل رحيله الى رحاب الله مع الصديقين والشهداء (وحسن اولئك رفيقا)

وامرني ، رضى الله عنه ، فتلوت الاية المحكمة .

(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا)

ويخفق قلبي لرجفة الشجن ، فاصغي الى نبض الروح فيما يبس من عروقي ووهن من عظامي وجف من حيويتي ، ويهتز وجداني على ايقاع شجو نجواي ، عودا على بدء :

كلما قلنا برئنا .

من جراح القهر بالياس العقيم . .

واسترحنا .

واستوى خير وشر

واستوى رفض وصبر .
حوّمت امتنا على اشباحنا
تنبش الانقاض عن جرح الهشيمْ
احيت الهامد من اشجاننا
فاستعرت ، موغلات في الصميمْ
وكلنا مليئسنا ،
وانطوينا ، وانتهينا

كلما قلنا اكتفينا ،
بالذى قد كان من وهم السراب
وبع التيه سرينا ،
في كهوف من ظلام وضباب
واستوى غيم وبدرُ
واستوى ليل وفجر
واستوى امن ونعرُ

عادت الروح فشدتْنا إليها
بـوثـاق من حنين وولاء
واتانا صوتها عبر الخواء
ملؤه شجو ولوم وعتابْ
فاشرابّت نحوها ارواحنا
وكانّا ما اغتربنا .
وانسحبنا ، وانتهينا

كلما قلنا : فرغنا
من معاناة اكتئاب وصراغ
واكاذيب الامانى
ودعاء لا يجاب
وتمزقنا خُطاما
إثر ما ولىّ وضاغ
وغفونا . او غفت اشلاؤنا
باكُفّ الموج في طىّ العباب
واستوى برُ وبحرُ

واستوى مدّ وجزرُ
لاح من عمق الديلجي طيفها
يجمع الاشلاء من يمّ الضياغ
وكانّا ما انحطمنا ،
وانسحقنا ، وانتهينا

كلما قلنا : جرعنا
كاسنا ، لم نبق قطره
واسفنا كل ما سيط بها
من نقيع السم ، من صابٍ وحنظلْ
وتداوينا منها بها ،
عللاً نجرعها بعد نَهَلْ
واستوى بحر ونهرُ
واستوى صحو وقبرُ
خابلتنا في دياجير الغلس
برؤى النبع الالهى المقدس
ثوب نور ونقاء ،
ورحيق لم يُدَنّسْ
وبها طافت على ابنائها
وسقتْهم جرعة من ترياقها
عوّذتهم برُقاها الخالدات
ان يسيغوا ما اسفنا من قذى
او يطيقوا ما اطقنا من عذابْ
جددت فيهم خلايا خصبها
وراثْ سحر صباها والشبابْ
وكانّا ما هرمنا
وذبلنا ، وانتهينا

● ● ●

فلا اوحش الله منك يا شهر الصيام
سلام انت ، حتى اخر الدهر ....

التاريخ : ١١ / ٦ / ١٩٩٠

علوم

يقدمه : صلاح جلال

درع جامعة قطر للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) لمشاركتها في الموسم الثقافي للخريجات

□□ في تطور ثقافي وعلمي اصبح لخريجات جامعة قطر مكتب للخريجات يصدر مجلة فصلية اسمها (الجامعية) صدر منها حتى الآن ١٨ عددا وترأس تحريرها لطيفة المناعي ونائبتها حصة المهندي . وشاركت الاستاذة الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) في الموسم الثقافي للجامعة . وقدم لها مدير الجامعة الدكتور عبد الله الكبيسي درع الجامعة تقديرا لدورها الثقافي البارز على امتداد الوطن العربي والاسلامي .



درع جامعة قطر من الدكتور عبد الله الكبيسي مدير الجامعة للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) .

□□ وفي قسم الدراسات العليا بكلية صيدلة القاهرة تعد الدكتورة زكية علي اند رسالة الدكتوراه عن « الرقابة الدوائية على المستحضرات الطبية » . والمهندسة شيخة ، عطلن الجابر تعد للدكتوراه في جامعة جورج واشنطن عن علوم الحاسب الالكتروني . وتعد شيخة المهندي رسالة الماجستير في الفيزياء النووية بجامعة الملك سعود .

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢ / ٧ / ١٩٩٠

رسالة العيد

من فتية الحجارة .. إلى حشود الحجيج

بقلم :

د . بنت الشاطىء

غير مجهول من تاريخ مكة الديني ، ان الحج اليها عبادة قديمة ، وإن شابته على المدى الطويل ، على فترة من الرسل ، شوائب دخيلة من رواسب الشرك والوثنية ، حتى جاء الاسلام خاتما للدين فحرره من تلك الرواسب والشوائب ، لتكون العبادة شعائر ، لا مجرد طقوس آلية صماء . وبالايمان والتقوى تفترق الشعائر عن الطقوس ، قال جل جلاله :

(ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب)

ولقد كانت حجة الاسلام الاولى في السنة العاشرة للهجرة ، بعد سنتين من فتح مكة في شهر رمضان المعظم من السنة الثامنة ، حيث اعتمر النبى صلى الله عليه وسلم في ذى القعدة من تلك السنة ، وحج بالناس ، عتاب بن أسيد القرشى الاموى ، من مسلمة الفتح ، والحج عامئذ مشترك بين المسلمين والمشركين

السنة التاسعة بعدها كانت سنة الوفود لقبائل العرب على دار الهجرة للبيعة ، ودخل الناس في دين الله افواجا ، فحج بالناس ، ابو بكر الصديق ، ولحق به ، على ، رضى الله عنهما ، فتلا على الناس مانزل من (سورة براءة) وابلغ الجمع ان لايحج الى البيت الحرام بعد ذلك العام مشرك ، ولايطوف به عريان . وبذلك خلص الحج للمسلمين في السنة العاشرة ، حيث شهده النبى صلى الله عليه وسلم في عشرات الوف من المسلمين ، فاراهم مناسكهم واعلمهم سنن حجهم وشعائر عبادتهم ، وخطبهم في منى خطبة الوداع ، وقد نزلت اية إكمال الدين واتمام النعمة بقوله عز وجل :

(اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا)

فكانت تلك الحجة ، حجة الاسلام ، وحجة البلاغ ، وحجة الوداع .

***

من تلك السنة العاشرة للهجرة ، الى هذه الايام المعلومات للحج فى عامنا هذا ، توالت مواسم الحج موحدة المناسك والشعائر متماثلة المواقف والمشاهد ، لافواج الحجيج ساعين من كل فج عميق ملبين محرمين . قد تجردوا من كل مظاهر الجاه ، وتماحت بينهم فروق الاجناس والاعراق والالوان وفواصل الطبقات والمناصب والدرجات .

وتساوى الخاصة والدهماء ، وانحنت هامات الملوك والرعايا ، للذى تعنو له كل الجباه .

يتكرر الموسم بمناسكه ومشاهده ومواقفه الموحدة ، ويظل الحج على توالى الاعوام يلبى حاجة الامة إلى متجدد الظروف وطوارىء النوازل ، ويجلو منطق الشعائر فى بصيرة الاجيال من ابنائها

اليوم ياخذ سلاح الحجارة موضعه فى موازين القوى لاحدث الاسلحة فى عصرنا الحديث ، موصولا فى رؤيتى لابعاد وجودنا بين ماض وحاضر ، بمناسك الحج فى شعيرة رمى رموز الطاغوت وحزبه واوليائه بالجمار ، رجما لاعداء البشر .

واستقبل العيد ، وفى وجدانى رجع صدى مردد معاد ، لرسالة الى حشود الحجيج من الفتية البواسل المرابطين على خط النار ، يبذلون حياتهم نضالا عن حرمات لامتهم لايحل ان تنتهك ، وفدية لشرف الانسان ..

اهلنا الحجاج من شرق ومغرب
ياضيوف الله فى ام القرى
وضيوف المصطفى فى روض يثرب
سلم الله عليكم ، وهنيئا عيدكم
فى حمى البيت الحرام

***

اهلنـــا ،
نحن ايضا كم وددنا ،
لتنا كنا هناك ،
محرمين طائفين عابدين ،
نجتلى نور الحرم
نرتوى من نبع زمزم ،
ثم نسعى زائرين
مرهفى الشوق الى مثوى الحبيب
صلوات الله عليه والسلام ..

اهلنا ، هذه الرحلة كانت
فى صبانا ملء رؤانا
قبل ان نبلغ تكليف الفريضة
قبل أن ندرك مغزاها عقيده
فى صبانا ، كم شجانا ، كل موسم
موكب الحجاج من اهل وجيره
ومراسيم الوداع ، وحشود الضارعين
يسالون الركب فى يوم الرحيل :
اذكرونا فى منى ،
وعلى عرفات لاتنسوا الدعاء
واذكرونا فى الحرم ،
واحملوا منا السلام
للحبيب المصطفى خير الانام

***

وبقينا فى انتظار
كلما قلنا متى نذهب صحبة ،
مع ركب المؤمنين ؟
قيل : صبرا ، انتم الآن صغار
وسياتى دوركم .. حقق الله مناكم
واتم النعمة الكبرى عليكم
نعمة الايمان ، نور دنياكم ودين ..

***

اهلنـــا ،
فى صبانا كم خرجنا من قرانا والبنادر
عندما تاتى البشائر
للقاء العائدين

التاريخ : ٢ / ٧ / ١٩٩٠

بالدفوف والطبول ، والمشاعل والمباخر ،
وملأنا الجو شدوا باغاريد الوصول
وسهرنا الليل نصغي ، بالقلوب والعقول
لحديث الحاج عن أنس القبول ..
والمشاهد والمواقف ، والمناسك والشعائر
وازدحمنا حوله نبغى القرى ،
من هدايا ونخائر :
لمحة من نور مكه ،
جرعة من ماء زمزم ،
نفحة من عطر طيبه ،
تمرة من نخل يثرب



ونقول : الله اكبر
ياهناه ، حقق الله مناه ، والحبيب قد دعاه
فمتى ننمو ونكبر ؟

***

رحلة كانت لنا حلم الصبا وعد الشباب
قبل ماساة الهزيمة ،
ووعينا فعرفناها عقيدة
عباتنا للجهاد دينا وعبادة ،
حشدتنا ههنا للمعركه
واماننيا فداء وشهادة

***

اهلنا الحجاج ،
معكم نحن وان كنا ههنا
نرجم الشيطان جمرا من حجارة
وعلى الجبهة رابطنا نلبى : الله اكبر
ونرد العار عن امتنا ،
حيث يختال صهيون ويزار
في حمى القدس ، والمهد ، ويافا ، والخليل
فوق جرزيم ، وجولان ، على سفح المكبر
قد نذرنا هدينا ، عندما آن الاوان
يوم عيد نحرنا ،
فاذكرونا اهلنا ،
نحن جند الله جيل المعركه
اذكرونا في منى ،
وعلى عرفات لاتنسوا الدعاء
بلغوا عنا الحبيب :
اننا نرعى حماه ، ونؤدي فرضنا
وسلاما اهلنا حجاج مكه
ياضيوف الله في ام القرى
وضيوف المصطفى خير الانام
صلوات الله عليه والسلام

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٣/ ٧ / ١٩٩٠

حديث الهجرة

تاريخ الإسلام

الهجرة التاريخية من مكة ، كانت في السنة الثالثة عشرة للمبعث ، و « يثرب ، دار الهجرة » قد فتحت بالقرآن ، وليس في الدنيا سواها دار إسلام ..

وهي مسبوقة بهجرة أولى إلى الحبشة ـ وكانت وقتئذ دار نصرانية ـ وقد اشتدت وطاة قريش على المسلمين الاولين ، فقال لهم عليه الصلاة والسلام : « لو خرجتم الى ارض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده احد ، وهي ارض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما انتم فيه . » فخرج منهم فوجان ، في اولهما عثمان بن عفان معه زوجه السيدة رقية بنت المصطفى ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، في عشرة من المسلمين الاولين رضي الله عنهم ، ثم لحق بهم جعفر بن ابي طالب ، معه زوجته اسماء بنت عميس الخثعمية ، في عشرات آخرين من المهاجرين .

وقد وجدوا هناك ، خير دار في خير جوار من النجاشي الذي امنهم على انفسهم ودينهم وعبادتهم ، وابى ان يصغي فيهم الى قول مبعوثين إليه من قريش ـ عمرو بن العاص وعبدالله بن ابي ربيعة ـ في طلب المهاجرين الذين تحدث اليهم في امر دينهم ونبيهم عليه السلام ، فلم ينكر من الامر شيئا ، وامر برد الهدايا التي قدمها عمرو وصاحبه .

وعلى صبر قريش لما تجد من صبر المؤمنين على الاذى والبلاء ، ففرضت عليهم وعلى من انحاز اليهم من بني هاشم حصارا اجتماعيا واقتصاديا شاقا ، لا يصهرون إليهم ولا يبيعونهم شيئا ولا يبتاعون منهم ، وسجلوا حلف الحصار في صحيفة علقوها في جوف الكعبة توثيقا لحرمتها وتوكيدا على انفسهم في التزامها ، واقاموا على ذلك زمنا ، نحو ثلاث سنين ، لقي فيها المسلمون والهاشميون من جهد الحصار ما لا يحتمل ، وحيل بينهم ـ وقد انحازوا إلى شعب ابي طالب ـ وبين اسواق مكة لشراء القوت من التجار الوافدين عليها في المواسم ، فبلغ من ضراوة الحصار ان اهتزت ضمائر نفر من رجال قريش انكروا الحلف المشئوم الذي تورطوا في إقراره مسايرة لقومهم ، وقاموا في نقضه وتمزيق صحيفته على مرأى من قريش ومسمع ، في السنة العاشرة للمبعث .

وانجلى غم الحصار ، ولم ينته البلاء تمحيصا للمؤمنين وامتحانا : في العاشر من شهر رمضان من تلك السنة العاشرة ، توفيت ، ام المؤمنين الاولى السيدة خديجة بنت خويلد : رضي الله عنها ، زوج المصطفى وسكنه ووزيره ، ثم « ابو طالب بن عبدالمطلب » عم المصطفى وكافله وصديقه وراعيه ، ومانعه من سفه قومه . فاحيا موتهما ما وهن من طمع المشركين في الاسلام ، وعادت وطاة الاضطهاد الى اشد مما كانت عليه قبل عام الحزن .

واحس المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وحشة الغربة في بيته ومهد مولده ومنزل ابائه ودار مبعثه ،

واشتد عليه الحزن لفقدهما وكان لم يعد له في أم القرى مكان . فمد بصره إلى ما وراءها يستوعب ابعاد الرؤية لما يحتمل من متجه الاحداث . ولم يكن حتى عام الحزن قد خرج بدعوته من دار مبعثه ، وإنما كان يلقى وفود القبائل عليها في الموسم ، فيعرض عليهم الاسلام ، وإنه ليحزنه ان يصد عنه قومه ، جيرة الحرم وسدنة البيت العتيق ..

وإذ وصلت الجولة المكية بين الاسلام والمشركين من قريش ، سدنة البيت العتيق إلى طريق مسدود ، فرضت الاوضاع التحرك الى موقع اخر ، فالى اين ؟

بدا صلى الله عليه وسلم بالخروج الى الطائف ، غير بعيد من مكة ، يرجو نصرة ثقيف على قريش التي تصدت بالمقاومة دعوته بغيا وعدوانا ، لكنه رجع اخر النهار محزونا يائسا من خير « ثقيف » ، فالى اين المتجه ؟

لم يدخل في الحساب قط ان تكون الحبشة دار هجرة للاسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام ، ولا كان في حساب مهاجرة الحبشة ـ ومازادوا على مائة ـ ان يقيموا بها إلا التماسا لمامن على دينهم ريثما ، يجعل الله لهم فرجا ، مما تسلطت به عليهم طواغيت المشركين بمكة من اذى وفتنة واضطهاد .

ويثرب ، حتى عام الحزن ، تبدا لظاهر الرؤية بعيدة عن مجرى الاحداث بمكة ، قد شغلت عنها بما نشب بين اهلها اليثربيين العرب ، الاوس والخزرج ، من فتن حالقة وحروب حاصدة ، توالت على مدى خمسة قرون ، منذ وطئتها فلول يهود ، فرارا من وطاة الرومان الساحقة ، فما لبثوا ان انشبوا مخالبهم في الارض الطيبة شمالي الحجاز ، وسيطروا على مواردها الاقتصادية واوضاعها الاجتماعية ، ورسخوا وجودهم المغتصب على حساب الوجود العربي الممزق بالعداوة والبغضاء بين الاوس والخزرج .

***

ومن حيث بدت الابواب كلها

موصدة في وجه الدعوة الاسلامية ظهرت «يثرب»، عاصمة الشمال، تجذب اليها الاحداث من دائرتها المغلقة في أم القرى.

لقد عاد المصطفى صلى الله عليه وسلم، من الطائف محزونا يائسا من خير ثقيف. والموسم قد استهل، فمضى على عادته يطوف بمنازل القبائل، واوشك الموسم ان ينتهي هذه السنة العاشرة للمبعث، بمثل ما انتهت اليه مواسم سابقات من صد القبائل عما صدت عنه قريش، لولا ان مر صلى الله عليه وسلم بنفر من الخزرج، ستة رجال او سبعة، جلس إليهم وعرض عليهم الاسلام وتلا فيهم آيات من القرآن فاستجابوا له، وعادوا إلى يثرب والاسلام معهم، دعاة اليه انصارا لله ورسوله، وفي الموسم التالي، لقى المصطفى عند العقبة اثنى عشر رجلا من الاوس والخزرج، بايعوه على الاسلام والنصرة، وعادوا وفي صحبتهم الصحابي الجليل، مصعب بن عمير بن هاشم العبدري، مبعوثا من النبي عليه الصلاة والسلام ليقرىء الأنصار القران ويفقههم في الدين، فما مضى الحول إلا وفي كل دار لعرب يثرب للاسلام أنصار.

في الموسم التالي، لاثنتي عشرة سنة من المبعث، شهده، مصعب بن عمير، مقرىء الأنصار، ومعه في الركب اليثربي ثلاثة وسبعون من الاوس والخزرج، فيهم سيدتان، لقوا النبي صلى الله على وسلم بالعقبة على موعد معه في ليلة من ليالي التشريق، فبايعوه البيعة الكبرى التي آذنت بحركة التحول الكبرى في تاريخ الاسلام، بعدها تتابعت الأحداث، وتوالى خروج المسلمين من مكة إلى يثرب حيث نزلوا على إخوانهم الأنصار الذين ألف الله تعالى بين قلوبهم، فاصبحوا بنعمته إخوانا، وكانوا على شفا حفرة من النار فانقذهم منها. لم يبق في مكة عامئذ من المسلمين مع المصطفى - غير من حبس او فتن - سوى، صاحبيه: الصديق ابي بكر، وعلي بن ابي طالب، رضي الله عنهما.

وفيما كانت قريش تحتشد لحسم الجولة المكية بضربة قاضية، خرج صلى الله عليه وسلم الى دار هجرته، يصحبه الصديق أبو بكر، والله معهما. وبدأ بحركة التحول إلى دار الهجرة، تاريخ جديد للاسلام وللتاريخ الانساني العام الديني والعلمي والحضاري.

استحدثت يثرب بالهجرة التاريخية، اسمها الاسلامي، المدينة المنورة، واخذت مكانها الجليل منزلا للمهاجرين والأنصار وقاعدة لحركة الاسلام في معركته الكبرى ضد اعداء الحق، ومركزا للرباط والتعبئة والجهاد، وقد أذن الوحي للمسلمين في القتال، بعد ان مضى العهد المكي كله يمتحنهم باشد البلاء، تمحيصا لايمانهم واصطفاء للكتيبة الاولى من جند الله الذين يحملون لواءه، لا يبالي احدهم، على أي جنب كان في الله مصرعه.

....

من مستهل الهجرة كذلك، اخذ المسجد النبوي موضعه الجليل ثاني الحرمين ودار مدرسة النبوة، واخذ الأنصار منزلتهم في الأمة، يعرف الله ورسوله والمؤمنون لهم ما بذلوا من نصرة، وقدموا من تضحيات واستبسلوا في حمل اللواء، وهم الذين أووا ونصروا، وآثروا المهاجرين على انفسهم فكانوا كما قال تعالى:

(يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ......). الآية وحفظها لهم نبي الاسلام في المتفق عليه من احاديثه صلى الله عليه وسلم في مناقبهم وفضائلهم.

وقد فتحت، مكة المكرمة، في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة، وغلب على الظن ان النبي صلى الله عليه وسلم وجد اهله، كما قال الأنصار - شهود الفتح - لما راوه يتألف قلوب المكيين مسلمة الفتح. فطلب الى، سعد بن عبادة الخزرجي، نقيب الأنصار ان يجمعهم له، وخطبهم خطبته المشهورة فقال فيما قال: (ما قالة بلغتني عنكم؟.. الم آتكم ضلالا فهداكم الله وعالة فاغناكم الله واعداء فألف بين قلوبكم؟

قالوا: بلى، لله ولرسوله الفضل والمنة.

قال: الا تجيبون يامعشر الأنصار؟ فسألوا: بماذا نجيبك يارسول الله؟ لله ولرسوله الفضل والمنة، فقال: أما والله لو شئتم لقلتم فاصدقتم ولصدقتم: اتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فاويناك وعائلا فاسيناك... اما ترضون يامعشر الأنصار ان يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله في رحالكم؟ والذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرا من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا وسلك الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار اللهم ارحم الانصار وابناء الأنصار وابناء أبناء الأنصار..

فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم وقالوا جميعا: رضينا برسول الله قسما وحظا، وكذلك عرفت مكة ان المصطفى يوشك ان يرجع الى دار الهجرة التي اصطفاها الله له منزلا ومقاما ومثوى.

....

وبقيت من بعده، مركز الخلافة الراشدة، ومنطلق كتائب الفتوح الاسلامية الكبرى التي رفعت اللواء الاغر على الدولة من اقصى المشرق إلى اقصى المغرب، قبل نهاية القرن الهجري الاول.

....

ذلك كله مما عرفه الصحابة لدار الهجرة حين احتاجت الدولة في عصر عمر بن الخطاب، ثاني الراشدين، إلى تقويم إسلامي فجمع رضي الله عنه اصحاب الشورى، وفيهم عثمان وعلي رضي الله عنهما، للنظر فيما يبدأون به تقويمهم. هل يكون بالمولد او بالمبعث او بالهجرة او الوفاة؟ واستبعدوا المولد للاختلاف في توقيته من عام الفيل، وكرهوا البدء بتاريخ الوفاة، اتقاء الذكرى الحزينة، واجمعوا على اختيار الهجرة بداية

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٤ / ٧ / ١٩٩٠

«أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝»

الاحداث ، مهما تنتقل من موضع الى اخر .

وما كانت الهجرة سهلة على المهاجرين ولا قطعت ما بينهم وبين ام القرى ، بل بقيت مهوى افئدتهم ، ما منهم من هاجر منها إلا وقلبه مثقل بالشجن ، وكانما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعبر عما يجدون جميعا ، يوم وقف ساعة الرحيل ، يستوعب معالمها بنظرة حزينه ويقول مودعا :

والله إنك لاحب ارض الله إلى الله ، وإنك لاحب ارض الله إلى ، ولولا ان اهلك اخرجوني منك ما خرجت

ورغم ما حفلت به الايام الاولى للهجرة من مراسم الترحيب والمؤاخاة بين المهاجرين والانصار ، وموادعة يهود ، وشواغل التنظيم للمجتمع الاسلامي في دار هجرته ، كانت وطاة الحنين ترهق اكثر المهاجرين فترهف حساسيتهم لتغير المناخ ، والم بكثير منهم سقم واجهدتهم الحمى ، فربما هذوا بالمكبوت من اشواقهم وحنينهم ، ويدعو المصطفى صلى الله عليه وسلم : (اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة او اشد ..)

***

حتى شعبان المكرم ، من السنة الثانية للهجرة ، كان المسلمون يصلون إلى القبلة الاولى بالقدس ، واستجاب الله لرسوله فنزلت اية تحويل القبلة الى المسجد الحرام ، ومكة وقتئذ ، وإلى عام الفتح ، دار شرك ليس للمسلمين إليها سبيل .

وفي السورة الاولى من الوحي المدني ، نزلت كذلك ايات شعائر الحج ومناسكه ، لتظل مكة ابدا مثابة حج

بقلم الدكتورة
د . بنت الشاطىء
أستاذ التفسير والدراسات العليا
بكلية الشريعة ـ جامعة القرويين

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢ / ١٠ / ١٩٩٠

حديث المولد :

معذرة إلى أمتي

د . بنت الشاطئ
استاذ الدراسات العليا
بكلية الشريعة جامعة القرويين

تأتي ذكرى المولد النبوي الأغر ، في ميعادها من شهر ربيع الأول ، قبل المبعث بأربعين سنة قمرية ، والأمة ممزقة قددا ، ممتحنة بأفدح كوارث الفتن وأضرى نوازل البغي ، والموقع الفكري ينكشف عن وباء تلوث يغشي مناخنا فيزيف الرؤية ، كما ينكشف الموقع الثقافي الإعلامي عن تفاحش آفة النسيان وغيبوبة الوعي ، فنصبح ونمسي على صرير المعاول تخرب ديارنا بأيدينا ، والحشود تسعى من جبهة مضادة للتي احتشدت لها البارحة ، وتدور بنا الريح - فيأخذنا من غشية الدوار ما لاندري معه أين كنا في الغداة وأين نحن في العشي ؟

....

وقد مضى شهران على كارثة الفتنة الحالقة ونازلة البغي المشئوم ، وليس على الأفق المعتم ما نلمح منه إلى أين المتجه والمسرى ، وقد تهاوت أحلامنا الهشة على مرأى ومسمع من عالم يتربص بنا الدوائر لحسم المشهد الفاجع لأمة انشطر كيانها فبعضها لبعض عدو .

وتتنافر أصوات أحزابنا وتتصادم فلول طوائفنا وفرقنا ، تتولد بيننا العداوة والبغضاء ، ليذوق بعضنا بأس بعض ..

....

فهل من سبيل إلى أن نقاوم اليوم آفة النسيان لنتدبر آية المولد وعبرة التاريخ ، ومنطق السنن الثابتة في الأمم والجماعات ؟

ألا يجدي علينا فيما نحن فيه من كرب وقهر وانكسار ، أن نلتمس قبسا من هداها يضيء لنا مسرانا في دجى ليلنا البهيم ؟

* * *

في مكة ، أم القرى ، كان مولده

وضعته أمه ، السيدة آمنة بنت وهب القرشية الزهرية ، في دار أبيه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، القرشي الهاشمي ، بجوار البيت العتيق - ونور الفجر يبشر بصبح جديد .

والدنيا تتأنق لموكب الشروق ، وتستقبل مع تنفس الصباح آلاف الوف من بني البشر ، ولدتهم أمهاتهم من مختلف الأجناس وشتى البقاع ، في تلك الليلة القمراء من شهر ربيع الأول

منهم من ولدوا في قصور مصر والشام وفارس والروم ... ومن ولدوا في مجاهل القفر ونجوع البوادي وأدغال الغابات وكهوف الجبال ..

تباعدت بهم الأصول والأعراق ، وتفاوتت الأنساب والدرجات والطبقات ، وجمعتهم بنوتهم للبشر ، وتماثلت فيهم آية الخلق ،

على ما بينهم من تفاوت بعيد بعيد ..

....

وما كان أحد ليلتفت إلى وليد منهم ، وضعته أمه يتيما في حي بني هاشم جيرة الحرم المكي ، في تلك الليلة القمراء التي بوركت به ، لولا أن حفت بمولده ظروف غير مألوفة ، جعلت أم القرى تتلقى البشرى بكثير من التأمل والتفكير ، ثم تحرص على أن تستوعب كل ما حف بها من ظروف وملابسات ، وأن تتابع سير الحياة بهذا الوليد الهاشمي ، إلى أن بلغ

اشده واصطفى خاتما للنبيين عليهم السلام .

الليلة من بينها كانت مقمرة واعدة ، ينيرها قمر اوشك أن يكتمل بدرا ، وتؤنسها اطياف ورؤى لبثت تتجلى للسيدة امنة طوال شهور حملها ، فمنذ حملت بهذا الجنين وهى لاتكف عن التفكير فيما كان من امرها وامره ، بعد ان مات ابوه زين الشباب الهاشمى ، عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم ، فى طريق اوبته إليها من رحلة الصيف الى بلاد الشام ، ولم يكن حين ودعها يتوجس خيفة من عائق يحول دون إيابه ، ولا كانت عروسه السيدة امنة فى هواجس وحشتها للفراق ، تتوقع امرا يحبسه عنها بعد الرحلة .

فى عنفوان فتوته وحيويته ونضرة شبابه مضى مع قافلة قريش إلى الشام ومكة لا تزال تتجاوب باصداء الاحتفال المشهود بعرسه عقب افتدائه من الذبح قربانا لرب الكعبة ، وفاء بنذر ابيه عبد المطلب بن هاشم .

وسهرت سمار البلدة المباركة تسترجع ذكرى قصة الذبيح الأول ، إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، الجد الاعلى لقريش والعرب العدنانية .

وقد ودع عبدالله عروسه بعد اشهر من الاحتفال بعرسهما ، لم يخطر لهما على بال انها رحلة بغير إياب ...

فى طريق العودة الم به وعكة طارئة اتخلف عن قافلة قريش فى دار اخوال ابيه ، بنى النجار ، بيثرب ، ريثما يسترد صحته وعافيته ، فلم يلبث إلا قليلا حتى غاله الموت ودفن هناك وترملت عروسه ، زهرة قريش وفى كفيها خضاب العرس .

من نبض حياة الجنين الغالى فى رحمها كانت تستمد إرادة الحياة ، إذ يعطى حادث فداء ابيه الراحل تفسيره ومنطقه ، ويمنح وجودها قيمة ومعنى .

وتوالت البشريات تترى ، حتى ونسمته فجر الليلة المقمرة من شهر ربيع الاول ، والافق مكة والجزيرة العربية تتجاوب بهتاف خلاص البلد الحرام والبيت العتيق ، من كيد ، ابرهة الاشرم ، وجنده اصحاب الفيل .

....

ومضى التاريخ العام لم يطل الوقوف بمكة مهد المولد . شغلته عنها وعن يتيمها الهاشمى احداث جسام كانت تجرى على مسرح الدنيا فى الثلث الاخير من القرن السادس لميلاد المسيح عليه السلام ، وراح يرصد نذر الانهيار فى عالم يريد ان ينقض ...

حتى بلغ اليتيم الهاشمى المكى الاربعين من عمره ، وتلقى ايات الوحى الاول فى شهر رمضان المعظم بعد ستة قرون ونحو عشر سنين من ميلاد المسيح عليه السلام . لعاد التاريخ فالتفت إلى مكة ، وتوقف برهة يجمع كل ما وعت ذاكرتها عن المصطفى ، ويصحبه من مولده الى مبعثه ثم يتبعه حيث سار ينسخ بنور الفجر الصادق ظلمات الجاهلية

* * *

معذرة الى امتى ان لا اجد ما احيى به ذكرى مولد الحبيب سوى رجع لنشيج قلبى تحت وطاة ما نكابده من مواجع ومواجد ، وما يقهرنا من الخذلان والتمزق والانكسار :

ليلة المولد جودى بعطائك
وامنحينا زادنا من عبرتك
اشرقى بالنور فى تيه سرانا
ذكرينا بالذى قاد الخطا
واجمعى اشلاءنا تحت لوائك

* * *

ليلة المولد فيضى بلمسنا
لنرى اين الطريق
فلقد ضاع الطريق

فانيرى فى دجانا دربنا
قبل ان نوبط فى القاع السحيق

* * *

ليلة المولد ما تاه الدليل
إنما تهنا واخطانا هداه
فانشرتنا حيارى تائهين
نخبط العشوا على غير سبيل
وانزلقنا للولا عن يسار ويمين
نمضغ الاوهام نستجدى الحياه

* * *

ملء دنيانا ركام من ضحايا
للمذابح والمجازر
والبقايا زادها قهر وحسره
فانسخى ياليلة النور الظلام
لا ترى خطبة فوق المنابر
ونشيدا فى الحناجر
دونما درس وعبره

ذكرينا بالذى قاد الخطا
وهدى الابصار منا والبصائر
رجعى فى ليلنا صوت الهدى
يوقظ الارواح منا والضمائر
واجمعى اشلاءنا تحت لوائك

* * *

اقول قولى هذا وما ادرى هل يبلغ من الواقعين بنا على حافة الجرب سمعا ؟ وإنما اعتبر بقوله تعالى فيمن حقت عليهم قبلنا كلمته جل جلاله :

(وإذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا ، قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون .)

صدق الله العظيم

التاريخ : ١ / ٣ / ١٩٩١

مراجعات

المراجعة هذه المرة مع الشاعر التونسى الشاب « ابى القاسم الشابى » فى كتابه (الخيال الشعرى عند العرب) عرفناه فى « مدرسة ابولو » شاعرا شابا واعدا ملهما ، اجهدته معاناته لمواجده ومواجعه فرحل عن دنيانا فى شبابه وقد تجاوز شعره حدود بلده فرجعت افاق الوطن العربى اناشيده واغانيه وابياته السائرة

وكنت اسمع عن كتاب له فى « الخيال الشعرى عند العرب » خلت منه اسواقنا بعد ظهوره فى طبعة محدودة بتونس . ولبثت افتقده حتى اعادت نشره فى سنة ١٩٦٣ م « الشركة القومية للنشر والتوزيع فى تونس) فاتاحت لى ان اعرف ماكابده الشاعر الشابى من صراع بين الثقافتين العربية والفرنجية مع ما كان يجهده من نضاله : شاعرا قوميا يهز الوجدان العام لقومه ويحدوهم الى الوجود الحر الكريم

وهذا الصراع يتصل من قرب بماساة الضياع الفكرى التى ترهق جيلا من شباب الامة وتضغطهم بين شقى الرحى ـ وقد داب نقاد منا على ان يتهموا كل ثائر على القديم بالمروق ويصموه بوصمة الانسلاخ من قوميته ، لكنى لاتصور ان احدا منهم يجرؤ على اتهام ابى القاسم بهذه الوصمة وهو الذى ناضل بإصرار وبسالة فى سبيل قوميته ومضى شهيدا من شهدائها

وهذا مايعطى كتابه [الخيال الشعرى عند العرب] قيمته من حيث هو مادة صادقة لازمة جيل من شباب العرب ، يكشف عنها شاعر لاترقى الى قوميته شبهة ولا تشوب اخلاصه لعربيته شائبة من شك او اتهام ..

والشابى فى كتابه واضح المنهج محدد الفكرة فى كل ماتناول من موضوعه فلقد مضى يلتمس الخيال الشعرى عند العرب فى اساطيرهم وفى نظرتهم الى الطبيعة والمراة كما ظهرت فى ادبهم ثم فى فنهم القصصى . فنظر إلى ادبهم وخيالهم الشعرى بعين تفتحت على الافق الغربى وعقلية تشبعت بقدر محدود من ينابيع ادبه بحيث لايخطىء القارىء فى اى فصل من فصول الكتاب اثر الانفعال المبهور بجمال الخيال الشعرى وحيويته وخصبه فى الآداب الاجنبية ، مقارنا بما بدا للشابى من عقم الخيال الشعرى وجفافه او صدئه فى ادبنا العربى .

بل اكاد اقول اننا من الفصل الاول الخاص بالخيال الشعرى فى الأساطير العربية ، ندرك مذهبه فى المقارنة واسلوبه فى التناول ويتضح لنا خط سيره الفكرى فيما يتلو من فصول الكتاب ونعرف مقدما ماسوف ينتهى اليه من نتائج

ونقدر اخلاص الشاعر وحماسه للدعوة الى التحرر من الجمود بمثل مانقدر بسالته فى ايقاظ قومه من فتور الغفوة وخدر النعاس ثم لانملك الا التاثر للمكابدة التى عاناها حين افتقد فى ارضه النبع الذى يرويه والجذور التى تنميه الى قديم له اصيل حى

ونقرا كل ماكتبه عن عقم خيالنا الشعرى فلا يخامرنا ريب فى ان الشاعر خاض المعركة بحماس صادق ليفتح افاقا رحبة امام جيل اليوم ، ويبشر بعصر جديد . ولم تكن ماساة الشاعر انقطاع صلته بماضى تراثه وجذور وجوده ، فالشابى من طلاب المدرسة العربية وحظه من ثقافتها وأدبها اوفى من حظه من الثقافة الغربية ، ولكن الماساه انه اطل على الأدب العربى من جانب مظلم وتصور انه وصل الى النبع فعاف ورده الآسن ، دون ان يدرى رحمه الله انه إنما وقف عند حفر راكدة ليس فيها من تراثنا الا مااختاره جامعون ينتمون الى عصور التخلف ذوقا ومزاجا . وهذه النصوص المدرسية المختارة التى لاتزال تقدم الى ابنائنا قد حجبت عن ابى القاسم النبع الصافى المغيب فى الظل

وليس ذنب الشابى أن وجد فى تلك النصوص البائسة عقم الخيال الشعرى عند العرب فالذى قراه من اساطيرنا لايعدو حقا ان يكون كما قال : [اصداء جامدة لم تتذوق لذة الخيال ، واوهاما شاردة لااثر فيها لنبض الحياة وحس الوجود] ص ٣٣ ـ ٤١

......

(٢)

والذى قراه من ادب الطبيعة يفسح له العذر فيما يؤكد [أن العرب كانوا واقفين امام مشاهد الكون لا وقفة المتهيب الخاشع المنتشى بنشوة الحس وسكرة الجمال بل وقفة الاخرس الذى لاينطق والاعمى الذى لايبصرضوء النهار] ص ٥٣

وقصائد الغزل ـ فيما وصل اليه من نصوص مدرسية مختاره للتلاميذ فى وطننا العربى ـ تعطيه الحق فى ان يقرر انها [لاتتحدث عن المراة الا بما يتحدث به الفاسق الفاجر من اوصاف جسدية ولاتمثل ـ عنده ـ الا الغدر واللؤم وخساسة الطبع وحطة النفس وخبث الضمير ، وقد اعياه ان يبصر ماوراء جسدها من حياة عذبة ساحرة وعالم شعرى جميل] ٧٥

......

وزاد فى قسوة الماساة ان ابا القاسم الشابى كان يتناول موضوعه تناولا خطابيا ويعانيه بمزاج شاعر ماخوذ ببضاعة غربية حديثة فاعوزه مايحتاج اليه الدارس الناقد من يقظة الذهن وطمانينة التامل واتزان الراى وضبط الفكرة من الجموح العاطفى والحماسة الخطابية . وجاءت احكامه حادة قاطعة مرسلة يشوبها الاطلاق والتعميم ، وشاعت فى اسلوبه الفاظ : كل ، وجميع ، وعلى الاطلاق ، ودون استثناء ، وامثال لها مما ينفر منه اسلوب الدرس الادبى ولاتحتمله طبيعة منهجه

من ذلك مثلا انه يرى ادب العرب على الاطلاق [مادى لاسمو فيه ولا الهام ولاتشوف الى المستقبل ولانظر الى صميم الاشياء ولباب الحقائق] ص ١٠٣

[والنظرة الدنيئة السافلة المنحطة الى المراة هى النظرة الشائعة فى الادب العربى كله والتى يتساوى فيها جميع شعراء العربية على اختلاف عصورهم وتباين طبقاتهم وتفاوت اوساطهم ، سواء فى ذلك عفهم وفاجرهم وأولهم وآخرهم] ص ٧٤

......

كما زاد فى قسوة المعاناة ان الشاعر ظل طوال حديثه النقدى عن الأدب العربى مشدود البصر الى النافذة الغربية مبهورا بما يلوح له على البعد من رؤى الجمال ، ففى كل فصل من فصول كتابه يقف ليتلو فى خشوع نماذج مما سحره وبهره ، ثم ينتفض من نشوته ليصيح فى ثورة حانق غاضب :

[نبئونى ياسادة هل تجدون فى العربية من يستطيع ان يحدثكم عن تلك العواطف العنيفة التى تهز الحياة هزا ؟ كلا .. ولكنكم واجدون من يستطيع ان ينضد لكم من المجازات الزائفة والكنايات المتكلفة ماتعجز عن بعضه جن سليمان]

[خبرونى ياسادة اى شاعر عربى يستطيع ان يحدثكم عن نشوة الحب وسكرة العواطف ومعنى الامومة ورحاب الامل او يريكم همسات القلوب وخلجاتها كلا .. ولكنكم واجدوه واكثر منه عند آداب الامم الاخرى] ص ١٠٧ ـ ١٠٩

......

ـ فهل كذلك كان ادبنا كله على الاطلاق ودون استثناء ؟

موعدى مع قرائى الشباب فى عدد قادم من مجلتهم الغراء لانشدهم نماذج مما لم يقرا الشابى ولعلهم كذلك لم يقراوه ، فإلى الملتقى بمشيئة الله ، وسلاما ودعاء ..

بقلم : الدكتورة عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطىء

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٧ / ٣ / ١٩٩١

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ
هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ
فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن
كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ
مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ
الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ
وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ
مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»

صدق الله العظيم

د . عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطئ

أمة الهلال والمو

تستقبل شعوب الامة الاسلامية هلال الشهر المعظم ، إيذانا بمستهل موسمها الديني الكبير ، وما تدرى ماذا يحمل إليها هلال هذا الموسم وإن تكن على يقين من أنه لن يخلفها موعده معها ، على العهد به فى كل دورة سنوية للقمر ، منذ احتفل المسلمون الاولون بشهود هلاله لاول مرة ، فى السنة الثانية للهجرة ، الرابعة عشرة للمبعث . وكانوا على سبق علم بفريضته . نزلت بها آيات تشريعه و أحكام صيامه فى شهر شعبان المكرم من تلك السنة الثانية ، لكيلا يفوتهم شهود هلاله فيصوموا لرؤيته .

التاريخ : ١٧ / ٣ / ١٩٩١

والمسلمون وقتئذ قلة : المهاجرون من مكة (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) والأنصار الأوس والخزرج ، عرب يثرب ، وهى وقتئذ مع ما حولها من الأرض السطحية شمالى الحجاز ، شبه مستعمرة لفلول يهود طرأوا عليها من أرض كنعان قبل خمسة قرون ، فرارا من وطأة الرومان الساحقة . فما لبثوا أن نشبوا هناك ورسخوا وجودهم الطارىء ، على حساب الوجود العربى الممزق بين أهلها العرب ، الأوس والخزرج بالفتنة والتآمر والحروب الحاصدة ..

الصحابة المهاجرون والأنصار ، رضى الله عنهم ، معروفون بأسمائهم و أنسابهم فى بطون قبائلهم ، يمكن تقدير عددهم بتقريب إذا ذكرنا أن عدد رجالهم الذين شهدوا يوم بدر مع النبى صلى الله عليه وسلم فى السابع عشر من شهر رمضان لتلك السنة الثانية الهجرية لم يزد على ثلاثمائة و أربعة عشر رجلا :

فى شهر رمضان المعظم من السنة الثامنة للهجرة شهد فتح مكة المكرمة مع النبى صلى الله عليه وسلم ، عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار ، و أسلم مشركو قريش يومئذ ، ثم كانت السنة التاسعة سنة الوفود الذين وفدوا من مختلف قبائل العرب إلى دار الهجرة . فبايعوا النبى صلى الله عليه وسلم (ودخل الناس فى دين الله أفواجا) يحتشدون لشهود الشهر المعظم الذى لم يخلفهم موعده يصومون لرؤيته ويفطرون لرؤية هلال شوال ، تاليه . فإن لم يروه ، لسحاب أو غيم ، أكملوا عدة الشهر ثلاثين يوما ، يحفظون فى ذلك حديث عبد الله بن عمر ، رضى الله عنهما ، قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فقال : « لاتصوموا حتى تروا الهلال ، ولا تفطروا حتى تروه . فإن غم عليكم فاقدروا له » متفق عليه .

معه الحديث المتفق عليه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « صوموا لرؤيته و أفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » .

وشهد حجة الوداع مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فى ذى الحجة من السنة العاشرة عشرات ألوف لايحصون عدا ، وهلال ذى الحجة ، كهلال شهر رمضان وهلال شوال ، على موعده مع أمته ، يعين لهم فى الحواضر والبوادى مواقيت عبادتهم ومناسك حجهم :

التاريخ : ١٧ / ٣ / ١٩٩١

عباس ، رضي الله عنهما ، عن النبي صلى اله عليه وسلم .

وتوالت العصور حافلة بجليل الاحداث وفادح الكروب وعمق النوازل ، وفي العصر الحديث غزا الانسان الفضاء وهبط على سطح القمر . وبقيت ايته القرانية فينا على العهد به .. نورا هاديا ومواقيت للناس والحج . لم تنسخها خطوات انسان العصر على سطحه واكتشاف كثافة جزيئية ، ولا عطلها علم الانسان بدروب القمر الصخرية وتضاريسه المعتمة .

على ذلك المدى الطويل ، من السنة الثانية للهجرة إلى ماض قريب ، لم يخلف هلال الشهر المعظم موعده قط مع أمته .

فماذا عن موعدها تلك ؟

إلى هذا الماضي القريب لم تخلف شعوب الأمة موعدها معه ، يتجلى في أفقه العالي بازغا من ظلمات المحاق ، تراها على عهده بها محتشدة لاستقباله في مواكب الرؤية ، قد عقدت العزم على الاحتفال به كما شرع الله لها ، صياما وتعبدا ورياضة ومجاهدة .

وقد نبغ فيها على ذلك المدى الطويل علماء في الرياضيات والفلك والطبيعة ، دون التاريخ العلمي للحضارة أسماءهم في سجل الرواد لافاق لم يستشرف لها من قبلهم . وقامت المراصد الفلكية على ساحة دولة الاسلام الكبرى من نيسابور وأصبهان وخراسان باقصى المشرق إلى مراكش وفاس وقرطبة

(يسالونك عن الأهلة ، قل هي مواقيت للناس والحج)

كما يعلمون بالمتاح المكافة من ايتي الليل والنهار ومنازل القمر ، أحكام شريعتهم وشئون دنياهم المتعلقة بالحساب الزمني للسنين والشهور . وحسابها حيثما جاءت في القران الكريم والسنة ، بالسنة القمرية وشهورها ، فذلك مما علمه الله تعالى أمتنا :

(هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ..) الآية .

قبل نهاية القرن الهجري الاول ــ والعصر عصر الصحابة وكبار التابعين رضي الله عنهم ــ بلغت الفتوح الاسلامية مدها التاريخي من الشرق الآسيوي إلى المغرب الاقصى والاندلس . والملايين من المسلمين أمة الهلال ، على موعد معه لم يخلفه قط .

تناءت الديار وتباعدت الاقطار ، فاختلفت مطالع الاهلة تبعا لاتساع دولة الاسلام الكبرى فكان ، لكل بلد رؤيته ، كما في (صحيح الامام مسلم) من حديث ابن

التاريخ : ١٧ / ٣ / ١٩٩١

واشبيليه وغرناطة بالمغرب الاقصى والاندلس ، فما تطاولت تلك المراصد إلى المآذن السامقة واصلة بين السماء والارض فى مئات ألوف الجوامع والمساجد والزوايا ، ولا عطلت كشوف علمائنا ، فى عصر الحضارة الاسلامية الرائدة القائدة ، مواكب الرؤية للهلال ولا أغرت شعوبنا باستبدال الرصد الفلكي لمولد هلاله ، بشهوده رؤية بصر ، تشهد الدنيا على أننا على عهده بنا فى موعدنا معه ، فالملايين من أبناء أمته تشرئب بابصارها وبصائرها إلى أفقه العالى فوق حواجز الحدود الاقليمية وسدود الفواصل السياسية والمذهبية وموانع التفرقة العنصرية والطبقية ، مصداقا لآية الله تعالى : (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)

لم تغفل شعوب أمته الواحدة ، عن آية عالمية الاسلام وخلوده ، فى اختلاف مطالع القمر تبعا لاختلاف المشارق والمغارب فى المجال الرحب لنوره ، ولا أعوزها من يمن عطائه مايرهف وعيها بآيته إذ تشهده بازغا من ظلمات المحاق إيذانا بشهر القرآن ، فتتماحى أماد الزمان بين شهود المسلمين الاولين لهلال رمضان لأول مرة ، فى السنة الثانية للهجرة ، وبين الأجيال المتعاقبة من أمته إلى عصر القمر . وفى مواكب الرؤية لهلاله تطوى فى بصيرة الملايين من أبناء أمته الابعاد المترامية بين مشرق ومغرب .

لم يحدث قط أن غض اباؤنا من مواكب الرؤية ، ولا ازدروا شهوده بالبصر فى عصور عزتهم ومنعتهم وحضارتهم وقد علموا من فقه دينهم القاعدة الاصولية : لما كانت رؤية الهلال عبادة تلزم الكافة لم يجز الحكم فيها بما لايعرفه إلا خاصة من الناس وليست متاحة للكافة فى كل زمان ومكان .

لايقل أحد إن المسلمين قادة الحضارة فى العصر الوسيط أهدروا قيمة الكشوف العلمية والمخترعات الآلية التى كان علماؤهم روادا لها . أو أنهم أنتصروا للدين على العلم ، وقد حسمت عقيدتهم الخصومة الوهمية بينهما .

مع ما يعمر وجدان أمته ، إذ يشهده أبناؤها رؤية بصر ، من وعى مرهف بإنسانية العلاقة الحميمة بين الهلال و أمته ، يصونهم من جمود الحس وتعطيل البصر بالرصد الآلى لمولد الهلال .

أفكذلك نحن ، على موعدنا معه ، فى هذا الزمان ؟

ذلك حديث ذو شجون . ورمضان كريم ..

الأهرام
مركز المعلومات والتوثيق
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٨ / ٣ / ١٩٩١

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ »

صدق الله العظيم

الدين والانسان لقاء الموسم

د . عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطئ

أمس كان موعد لقائي بقرائي الكرام في حديث رمضان لهذا الموسم ، فحيرتني ارحالته مشكلة ملحة الى اليوم ، كراهة ان استهل لقاءنا الموسمي في رحاب الشهر المعظم ، بهذه المراجعة لما فرطت من امرى فيما أحمل ، بغرور ، من امانة الكلمة ، وكاني لا انهيب فيها المقت الاكبر وقد قال الله جل جلاله (يا أيها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)

وكان بودى أن أعفى القراء الأصدقاء من مطالعة هذه المراجعة لولا ما أحتاج اليه من راحة الافضاء اليهم بهمي ونحن على وشك لقاء ، والعهد بنا فيما مضى من مواسم متواليات ، أن يكون لقائي بهم صحبة فكرية حميمة ومشاركة وجدانية غالية ، وتواصلا روحيا أتطلع اليه من عام الى عام ، ليجمعني بالقراء الأصدقاء على القرب والبعد ، ويجدد عهدى بمن تناءت بهم الديار وشط المزار ، وانقطعت بنا السبل فحالت دون صحبة القناها ، فما نلتقى الا مناجاة وحنينا ، ويجمعنا اللقاء باطياف من غابوا عنا من الاصحاب والاحباب في متاهة التغريب ومنافى التشريد

وكنت فيما مضى من مواسم ؛ أتشدد لهذا اللقاء قبل موعده بشهرين او ثلاثة ادخر له الزاد من مطالعاتي وتاملاتي ورؤاى على سعة من الوقت ورجاء الملتقى

في موسمنا هذا لبثت الشهور قبله لا أجد نفسي في دوامة الاعاصير البادرة ولا أستبصر متجها لتقلبنا في هوج الاعاصير حتى اقترب الموسم وليس على الأفق المعتم بادرة خلاص مما نحن فيه فكان أن جمعت شتات نفسي ورؤاى المبعثرة وتاملاتي المشردة ، لاكتب حديث اللقاء لهذا الموسم . ولم يبق بيننا وبين موعده سوى شهر أو بعض شهر

لقد مرت علينا الشهور السبعة قبل الموسم ، كل لحظة منها دهر طويل من ضغط الحيرة والقلق وهواجس الخوف والترقب وعالم اليوم كله مشغول بما حاق بأمتنا من داهية عمياء ، لم تكد شرارتها تلوح من الخليج منذرة بالكارثة حتى عجلت اليها جحافل العسكر من غرب وشرق وشمال وجنوب يؤججون لهب الشرارة المتوحشة ويلهبون ضرامها بما لا عهد للدنيا بمثله من اسلحة فتاكة متطورة واستعرت النار في صميم وطننا وما يدرى احد ماذا يبقى لنا نستقبل به شهر القرآن . ولا بأي وجه نلقاه في مشرق أو مغرب . وما من دقيقة مرت علينا قبيل مستهل هلاله لم توغل في حفر أعماقنا كاشفة عن قهرنا . وما من دقيقة من ليل أو نهار لم نكن فيه مشغلة أجهزة الاعلام الدولية . تتبارى في السبق الى اذاعة أنباء الحرب التي دارت رحاها فينا طاحنة ساحقة . يغشى وهجها ابصارنا فلا نكاد نميز بين أدنى الجار وأبعد الغرباء واستبقنا الى النار الموقدة نغذوها باهلنا وجيراننا وغشى افقنا دخان ذرى فتقاذفتنا أمواج السعير نخبط العشواء على غير هدى . وتلاطمت الأشلاء غرقى في دماء صرعى الملحمة . وقد تحول الخليج بمرأى منا ومسمع . الى أخدود رهيب اين منه ذلك الذي حفره في الجاهلية . تبع الحميري . وجدده اليهود أصحاب الأخدود . لنصارى نجران المؤمنين .

كان الهم يؤرقني مثلما يؤرق ضمير كل ذي وعي من قومي وأمتي ولا حيلة لنا في اطفاء نار السعير الموقدة في الخليج وما حوله من ديارنا . لم تلبث ان صارت الى أزمة وجود ومصير وقد تمزق شملنا وتفرقت كلمتنا فبعضنا لبعض عدو . نتقاذف بالتهم ونتبارى في الجدل وفليب المقدوني ليس على الأبواب ولا في داخلها كما كتب الاستاذ الكبير محمد حسنين هيكل - في رده على السؤال الشاغل حرب أو سلام - بل اوغل في أعماقنا على حين غفلة منا يطمس معالم وجودنا

ليغفر الله لي . مضت أشهر طوال على ما يسمونه . أزمة الخليج . لم اكتب كلمة واحدة عن تلك الجائحة العمياء . وحملت همنا يؤرق ليالي المسهدة الطوال . ويروعني بالدبار . حتى استجبت بعد صمت طويل لمن دعوني - عن حسن ظن بي - لاكون من الموقعين على بيان أعده جمع كرام من الكتاب والمفكرين (حتى نطفئ نار الفتنة)

ونفست بارتياح كمن انزاح عن صدره كابوس جاثم . وتخففت من وقر بات يثقل ينقض الظهر

عبر اني ماكدت أخنـو الى نفسي اللـوامة حتى استرجـعت ما كان من موقفي بين صمت نال . وهذا البيان المشترك الذى دعيت اليه ستعنيت . حتى لقرب من امرى نحسا

هل كان صمتي ايثارا للسلامة والعافية اتقاء ؟ فتنة القاعد فيها خيـر مـن القـائم نقائم فيها خير من الساعي . كما في صحيح حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

أو كنت اخذ موقف الحذر والتنبه . فـلا انحاز الى هـؤلاء أو هـؤلاء . ولى في كل مـن الفريقين أهل وأصحاب . وتلاميذ أبناء تلـد في اطيافهم وقد انقطعت بنا السـبل . فـلا ادرى أيـن هـم في متـاهة التشرد ومنـافي التغريب ؟

أو كنت ادنى الى الالتزام بما ينبغي لمثلى في وصل ما تفرق السياسة والاعلام بين شعوب امتنا الواحدة ؟

ثم ماجهلت ببيان مشترك اقتصر جهدى فيه على تثبيت اسمي مع السادة الكرام الموقعين عليه . لم اشترك في صياغته ولم أتجشم دعاية لـه . لانفس مرتاحة البال ؟

هل كنت بهذه الاستجابة الهينة اتوقع أن ينجح المسعى حيث خابت مساعي المـؤتمر الاسلامي والجامعة العربية والمنظمات الدولية واقطاب السياسة والحرب والسلم في عالم اليوم ؟

او كنت انما اتخلف من وقر المسئولية واحاول أن اصم سمعي عن صخب الاعلام الهوج . ودوى الملحمة الساحقة ؟

وينقل الهم علي . وهلال الشهر المعظم يوشك أن يبزغ من ظلمات المحاق . فاتطلع اليه وانا

اصغى الى نشيج قلبي يرجع نجواى
الى الموسم بالشهر الهدى
يوقظ الارواح في كهف الرقود
ويفك القيد عنها والوثاق
فانقذنا من غيابات الكرى

انطلقنا في سراح وانعتاق
نعبر الاسوار . نجتاز الحدود
لنرى ابعاد ماحاق بنا
حين تهنا بين ليل ونهار
وعلى مشكاة نور من هلالك
بازغا يحدو سرانا في الغلس
شارفت ارواحنا افق جلالك
ورأت فيك هداها والقبس
بعد أن ضلت خطاها
في سراديب الخواء

٭ ٭ ٭

اين يارمضان أنس الملتقى
في لياليك الخوالي النيرات ؟
أين منا القدس ويافا والخليل ؟
اين بغداد والبصرة منا ومساحل الكويت ؟
والضفاف الطيبات العامرات
والهضاب السامقات الشامخات ؟
أين مافيها جميعا . من قرانا
والمشاهد والمسامر
والمساجد . والمآذن والمنابر ؟
وحشود الساهرين العابدين ؟

٭ ٭ ٭

اين احلام الصبايا وأماني الشباب ؟
وفوانيس الصغار الهازجين السعداء
أين اهلونا بها . والنازحون الغرباء
في منافي الاغتراب . وخيام اللاجئين
اين اشلاء الضحايا
ورماة الجمر النبلاء الشهداء ؟

٭ ٭ ٭

هل ترى يجمعنا على نأى المزار
نورك البازغ من داجي المحاق
بنسخ الليل بآيات النهار
ويفك القيد عنا والوثاق
من رقى الوهم وغشيات الخمار ؟

٭ ٭ ٭

رمضـــــان كريــــم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٩ / ٣ / ١٩٩١

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ »

صدق الله العظيم

د. عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطئ

الدين والانسان

لايبعد ان يكون من قرائى الكرام من توقع ألا أتابع الكتابة فى (حديث رمضان) لهذا الموسم ، بعد الذى كتبت البارحة عن مراجعة نفسى اللوامة لما فرطت فيه من أمرى إذ أشفقت من أمانة الكلمة لما تشابهت السبل واختلطت المقاييس . ومنهم من تساءل ـ فيما يشبه التثبيط ـ عن جدوى الكتابة فيما نحن فيه من هم وكرب ، وهل بقى مجال لحديث أو مقال ودوى العاصفة يصك الآذان ويصم الاسماع ، والنقع المثار من هوج الاعاصير يغشى أفق شرقنا الاوسط ، والادنى والاقصى ، فيعشى الابصار وتتعذر الرؤية .. ؟

ويساورنى الاحباط ، فايا ماكان مصير الملحمة الداهية ، فقد قضى الامر فينا بعد أن سبقت النذر بما حاق بالذين ظلموا أنفسهم من بنى إسرائيل وكانوا يفسقون :

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٩ / ٣ / ١٩٩١

(وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون) الآية

وأحفظ صحيح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في (الساكت عن الحق شيطان أخرس) فالوذ بعفو الله ورحمته إذ تاهت السبل ، وأتاسى بشيخ الاسلام الامام القدوة « عبد الله بن المبارك الحنظلي ، مولاهم » المجمع على إمامته وعلمه ونبله ، لبث عمره الطويل (١١٨ : ١٨٤ هـ) لا ينقطع عن العبادة وكتابة العلم والرباط في الثغور مع السعي في الرزق ، فقيل له ، على جهة التعجب :
« إلى متى تكتب العلم ؟ » قال :
« مايدريني ، لعل الكلمة التي فيها نجاتي لم أكتبها بعد . »

وأتحدث عن الدين والانسان ، وإني لأخشى أن يكون جبروت المادية وعنفوان الآلية في عصر الالكترون والريموت والليزر والاقمار الصناعية ، على حساب إنسانيتنا ، فتتحجر قلوبنا وتجدب أرواحنا ويعقم وجداننا ، فننام على دوى الصواريخ وزئير الملحمة غير بعيد عنا ، بل دائرة فينا واصلة إلينا ، ونحن نتسلى في الشهر الكريم بما يروح عنا ، فلا يبعد أن نسلى ساعات الصوم بالطواف بالأسواق في سعي حثيث عن المخبوء لدى التجار من مشهيات الموائد الرمضانية . وأهلونا في الكويت والعراق هلكى جياع ، أنهكهم حصار صارم عنيد شهورا متطاولات . وغابت مأساة الملايين المحاصرين ، في أنس ليالينا الملاح وسهراتنا الترفيهية ، وإن أعيا الدوى الهادر لهوج الاعاصير وصخب الملاهي ، أن يغلب لهاث أطفال رضع وشهقات احتضار شيوخ مرضى وأنين أمهات حوامل وشبان جرحى .

ومهما تختلف مواقفنا شعوبا وأفرادا وحكومات مما يسمونه (أزمة الخليج) فهل بنا حاجة الى من يكشف لنا عن الواقع المروع فندرك أن تحرير الكويت ، اقتضى تدمير الكويت وصولا إلى تدمير العراق ؟ أو هل سقط وعينا بان الحصار المنهك المضروب على شعب العراق لايمكن أن يفلت منه شعب الكويت ، إن لم يكن أشد عليه وطاة وأفدح نكرا ؟

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٩ / ٣ / ١٩٩١

في غواشي النكبة المروعة ، يلوح وميض بقية من رجاء في إنسانيتنا ، إذ تذيع وكالات الأنباء العالمية خبر نجدات من الألبان والغذاء والدواء والأغطية ، تحملها مؤسسة الصليب الاحمر من سويسرا ، وتنوه بأن المبادرة الاولى لهذه النجدة كانت من إيران ، الحكومة والشعب ، بعد حرب ثماني سنين مع العراق ، يحتاج الانسان إلى مجاهدة صعبة لتجاوز ماتكلفت من ضحاياها وما خلفت من عواقبها واثارها وثاراتها ..

وفي النبا المذاع ، أن قرى إيران الغربية على حدود العراق ، كانت أسرع إلى النجدة ، ولعل الحرب الضروس لم تترك دارا فيها دون قتيل أو مشوه أو مفقود ، ولم تمر على بيت لم تخلف فيه أما ثكلى وصبية يتامى ، .... لعلها لم تدع ذرة من ثراها لم تنضح بدماء القتلى والجرحى ودموع الارامل والثكالى ..

وقد أبطأ وصول النجدة الايرانية إلى العراق ، إذ كان على مؤسسة الهلال الايرانية أن تستأذن من له الاذن في تنفيذ قرار المقاطعة والرقابة على الحصار ، وأن تبعث بها إلى العراق عبر المنظمة الدولية للصليب الاحمر في سويسرا ، لتكون هي المشرفة على إيصالها وتوزيعها ، فاعلنت عن وصولها في الاسبوع الاول من فبراير — الثالث من شهر رجب — بعد أن مر على المقاطعة والحصار ستة شهور كاملة ، عز فيها الغذاء والماء والدواء والوقود والكساء والغطاء ، في زمهرير شتاء قارس في كهوف المخابىء والملاجىء بين أنقاض الدمار ..

ومع النجدة الايرانية ، وصلت نجدة من الدماء تطوع بها أبناء المغرب ، ثم نجدة جزائرية أولى بفريق من الاطباء للخدمة في الجبهة الكويتية العراقية ، أعقبتها في الاسبوع الثاني من فبراير نجدة ثانية (بفريق من اثنين وثلاثين طبيبا للمساعدة في تشغيل المستشفيات هناك) وأعلن نقيب الاطباء بالجزائر أنهم من المتخصصين في الجراحة والتخدير ، والتجبير ..

بعدها ، في الثالث عشر من فبراير ، نشرت جريدة (الاهالي) خبرا لاحد محرريها ، صرح فيه أحد أعضاء مجلس نقابة الأطباء بمصر ، أن النقابة تنتظر موافقة دول النزاع في حرب الخليج على إرسال بعثات طبية لاغاثة ضحايا الحرب . وقال إن وفدا من ستة أطباء سافر إلى الاردن لبحث إجراءات سفر بعثات الاغاثة التي وافقت الحكومة الاردنية على استقبالها وترتيب شحن كميات من الأدوية تبرعت بها شركات الادوية ونقابة الصيادلة ، وشارك في تمويلها المواطنون بتبرعات تودع في حساب لجنة الاغاثة بنقابة الاطباء بمصر ،

★ ★

وآن لي ، والاحداث تتدافع متلاطمة ، أن أكف عن متابعة ما لايسمح الوقت بانتظاره من أنباء وصول هذه النجدات من أقطار المشرق والمغرب — وليست مواقف حكوماتها من أزمة الخليج سواء — تومض في غواشي النكبة ، فتستبقي إيماننا بضمير الانسان ، وإمكان تساميه على الاحقاد والثارات ، وترفعه على العصبيات والمذهبيات المتناحرة والمصالح والاهواء المتناكرة ...

وتتداعى الاحداث والمواقف في الرؤية الفكرية ، فأتذكر أول حصار في تاريخ الاسلام ، شدته قريش على المصطفى الهاشمي القرشي ، صلى الله عليه وسلم ، وعلى الذين معه من صحبه المكيين رضي الله عنهم ، ومن انحاز إليه من بني هاشم القرشيين ، آل المصطفى وعشيرته الاقربين .

القياس مع الفارق البعيد ، بين حصار اليوم لشعبي العراق والكويت ، بأسلحته العصرية المتطورة المدمرة ، وجيشه الكثيف المتربص بالمحاصرين ، وأسواره الصلدة العنيدة ، برا وبحرا وجوا ، يتجاوز أثره الكويت والعراق إلى أطراف عالم اليوم ، يستوي منهم قريب وبعيد ، ظالم ومظلوم ، مستغيث ومستغاث به ومستغاث منه ..

وبين حصار كان قبل الهجرة التاريخية ببضع سنين ، في أحد شعاب مكة وهي بلد حرام لايحل فيها قتال — إلا أن يكون فجارا — لم يطلق فيه نبل ، ولا التحم سيفان ، وإنما اشتدت وطاته بعصبية القبيلة وأعرافها الصارمة ، في بيئة محكومة بنظام القبيلة ، الحديث غدا بمشيئة الله وعونه ، عن ذلك الحصار الاول في تاريخ الاسلام .

....

« ربنا آتنا من لدنك رحمة
وهيىء لنا من أمرنا رشدا » .
صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

الاهرام المسائى
التاريخ : ١٩ / ٣ / ١٩٩١

د . بنت الشاطىء :

رمضان شهر للتأمل والتفكير
رحلة الايمان مع القران .. أبدا لا تنتهى

فى حياتنا العديد من أعلام الفكر والثقافة والأدب والفن .. لهم فى رمضان بصمات على الحياة التى نحياها ، كل يثرى جانبا من جوانبها ، ويضفى عليها لمسة من لمسات إبداعاته ، نتوقف معه لنتعرف على بعض الجوانب التى تشرك معه القارىء ، فى نمط التفكير والابداع .. وليرى معنا .. هؤلاء الاعلام كيف يكونون فى رمضان ؟ .



د . بنت الشاطىء

الاهرام المسائى التاريخ : ١٩ / ٣ / ١٩٩١

مركز الاهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
قطاع خدمات المعلومات

حوار اليوم مع الدكتورة عائشة عبدالرحمن المعروفة بـ « بنت الشاطىء » من اعلام الفكر الاسلامى ، واستاذة التفسير بجامعة القرويين بالضرب وهى تحدثنا عن رمضان فى حياتها .

والرحلة ابدا لا تنتهى

● كيف تكون رحلتك مع القران فى شهر القران ؟

● ● رحلتى مع كتاب الله الكريم لاتنتهى ، ولكننى احرص على مواصلتها بالاضافة الى قراءاتى الاخرى فى شهر رمضان ، واعتقد ان الذهن فى هذا الشهر الهادى يكون اصفى ، والقلب اكثر خشوعا ، والاستجابة الى معانى الكتاب الكريم اسرع واقرب .

من هنا فانا استعد قبل شهر رمضان بفترة كافية ، واعتبر ان كتاباتى حول القران خلال رمضان علامة مهمة فى طريق رحلتى مع القران والتى بدائها منذ سنوات وسنوات ، وهى رحلة لاتنتهى ..

الحاضر والماضى

● والاحتفال برمضان زمان .. والان ماهي ذكرياتك حوله ؟

● ● تقول الدكتورة بنت الشاطىء ، كل شيء تغير واحتفال الناس بشهر رمضان اليوم ، يختلف كثيرا عن احتفالهم به فى الاسرة .

فى الماضى كان التقارب والود بينهم اكبر واوضح ، وكانت تتجلى اجمل صوره حول موائد الافطار والسحور ، واجتماع العائلة بجميع افرادها صورة كانت لاتتكرر الا فى شهر رمضان وكنا ننتظرها كل عام .

بالنسبة لى - والحديث للدكتورة بنت الشاطىء - لم تكن مشاركة الناس احتفالاتهم الشعبية متاحة لى نظرا لطبيعة عمل ، ومواصلتي الدرس والبحث التى كانت تستغرق معظم وقتي ، ولكن مناخ التلاقى والالفة الذى يجمع بين المسلمين فى شهر رمضان كان يشعرني بكثير من المعانى الخاصة والجميلة . والتى ربما انعكست بصورة غير مباشرة فى اعمالى وكتاباتى حول شهر رمضان .

وتضيف الدكتورة عائشة عبد الرحمن بقولها وقد بدا ارتباطي بتعمق اكثر بهذا الشهر الكريم منذ اصبحت اهتم بالقران الكريم وتفسيره ، ودائما انطلع لان تتاح لى فرصة الاحتفال برمضان مع الناس وزيارة اقاربى على الاقل ! ولكن رمضان يشغلنى دائما عن رمضان .. اقصد عن الاحتفال به .

شهر مناسب ..

● ما هو برنامجك اليومى خلال رمضان ؟

● ● برنامجى فى رمضان لايتغير عن الاشهر الاخرى والذى يتغير بالفعل هو شهر شعبان خاصة النصف الاخير منه حيث ابدا فى الاعداد لصفحة رمضان « للاهرام » ، ويستغرق ذلك منى فترة طويلة فى تحديد الموضوع المناسب لنشره على حلقات طوال الشهر وهذا عمل شاق جدا ! ، بالاضافة الى معاناة كتابة ثلاثين حلقة متصلة . فانا اقضى معظم اليوم فى الاسابيع القليلة السابقة فى كتابة الحلقات الاولى من السلسلة الرمضانية ولا افضل - اطلاقا - ان تلاحقنى المطبعة ولذلك احرص دائما على استكمال كتابة كل الحلقات قبل حلول اليوم الاول من رمضان .

● ماذا تقرا الدكتورة بنت الشاطىء فى رمضان ؟

● ● بالنسبة لقراءاتى فهى قليلة منذ فترة طويلة ، سواء فى شهر رمضان او فى غيره ، وان كانت فى رمضان تقل الى حد .. ما نظرا لارهاقى وانشغالى بالحلقات التى انشرها يوميا فى الاهرام .

- وتستدرك الدكتورة بنت الشاطىء - لكن قراءة القران والتراث اكثفها بصورة ما فى شهر رمضان لانه شهر مناسب تماما لاستبصار المعانى الخاصة التى يحملها القران الكريم ، وكذلك فترات الخشوع والتعبد ، التى اكون حريصة على مواصلتها باستمرار طوال ليالى رمضان

وتضيف : ليس لى طقوس خاصة للقراءة او الكتابة وبرنامج الصوم والافطار والسحور لايغير كثيرا من الاوقات المفضلة لدى للقراءة والكتابة وان كان عدم الانشغال بالطعام والشراب ، الذى يوفره جو الصيام يساعد على زيادة المساحة المتاحة للتفكير والتامل فرمضان عندى شهر التامل الذى انتظره طوال العام .

وبطش بابن عمه سعيد . فقامت فاطمة لتذود عن زوجها فضربها عمر . وعندئذ قالت هي وزوجها في تحد وإصرار نعم . قد أسلمنا . وآمنا بالله ورسوله . فاصنع ما بدا لك .

قال عمر لأخته مأخوذا بهذا الإيمان أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرءون منها . أنظر ماذا جاء به محمد . فأبت عليه أن يمسها حتى تطهر . وقرأها عمر فبدا عليه الخشوع وقال : . ما أحسن هذا الكلام وأكرمه .

وخرج فمضى إلى الصفا فبايع النبي صلى الله عليه وسلم . وكبر المسلمون تكبيرة عرفت منها قريش أن عمر قد أسلم . وانطلق فاتخذ مجلسه قرب الكعبة مجاهرا بإسلامه . لا يباليهم وكان السابقون الى الإسلام قبله أربعين .

ولقد صبر قريش . فكان الحصار والمقاطعة محاولة متأخرة . مرجوة لأن تكون جولة حاسمة في الصراع المرير بين الجبهة القرشية المغترة بكثرتها وسلاحها . وبين القلة المسلمة العزلاء إلا من إيمانها .

ولاحت النذر بالحصار . فدعا أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم . عشيرته الهاشميين . إلى القيام في نصرة ابن أخيه ومنعه . فاستجابوا له جميعا . سوى أخيه أبي لهب . عبد العزى بن عبد المطلب .

وفي دار الندوة أجمعت قريش أمرها على أن تفرض على المسلمين . ومن انحاز إليهم من الهاشميين حصارا اقتصاديا واجتماعيا لا يرحم . وتعاهدوا على مقاطعتهم لا ينكحونهم ولا ينكحون إليهم . ولا يبيعونهم ولا يبتاعون منهم . وسجلوا حلف المقاطعة في صحيفة علقوها في جوف الكعبة . توثيقا لها وتوكيدا على أنفسهم بالتزامها

عندئذ انحاز النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه وعشيرته إلى شعب أبي طالب بظاهر مكة لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا . وأقام المشركون من قريش على ذلك الحصار المشئوم ثلاث سنين . لقي المحاصرون فيها من نهك المقاطعة ما لا يحتمل . وحيل بينهم وبين الطعام والكساء لا يشترونه من التجار الوافدين على أسواق مكة . فربما خرج أحد المحاصرين إلى سوق مكة يلتمس قوتا يشتريه لعياله . فيقوم . أبو لهب . ويصيح بالتجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا مما معكم شيئا . وقد علمتم مالي ووفاء ذمتي . فيزيد التجار ثمن السلعة أضعافا مضاعفة . ويرجع أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى أطفالهم يتضاغون وليس بأيديهم من القوت ما يسد رمقهم .

وبلغ منهم الجوع مبلغا قال فيه . سعد بن أبي وقاص الزهري - رضي الله عنه - بعد سنين من البلاء بالحصار . لقد جعت حتى إني وطئت ذات ليلة بقدمي شيئا رطبا فوضعته في فمي وبلعته . وما أدري ما هو إلى الآن . وكانت التمرة ربما وقعت لاثنين منهم يقتسمانها فيكون أحظاهما من وقعت النواة في فمه . يلوكها بقية يومه . وإنما كان طعامهم مما ترعى الإبل من عشب الصحراء وورق السمر . وما قد يتسلل به إليهم في الشعب . ذوو المروءة والنجدة خفية عن قومهم الساهرين على إحكام الحصار والرقابة على تنفيذ قرار المقاطعة

روى . ابن إسحاق . في السيرة النبوية . أن أبا جهل الحكم بن هشام المخزومي لقي حكيم بن حزام بن خويلد الأسدي . معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته السيدة خديجة بنت خويلد . أم المؤمنين الأولى رضي الله عنها . مع زوجها المصطفى عليه الصلاة والسلام في شعب أبي طالب . فتعلق به أبو جهل وقال

- أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ؟ والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة

ولحقهما ثالث من بني أسد - في الجبهة القرشية - فجاء يسأل أبا جهل مالك وله ؟ رد أبو جهل يحمل الطعام إلى بني هاشم فقال له وما في هذا ؟ طعام كان لعمته عنده . بعثت إليه فيه . أتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ خل سبيل الرجل . فرفض أبو جهل . وتشادا وضرب الأسدي أبا جهل ووطئه وطئا شديدا . . وحمزة بن عبد المطلب بن هاشم رضي الله عنه قريب منهما يرقب المشادة بينهما ويتأهب للبطش بأبي جهل وهم يكرهون مع هذا أن يبلغ مثل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأصحابه .

* * *

ذلك قد كان صبر المحاصرين على جهد البلاء وبلاء الحصار ؛

فكيف كان صبر المشركين من قريش على ما يلقى أهلوهم من وطأة المقاطعة ؟

للحديث بقية تأتي . والله المستعان

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢١ / ٣ / ١٩٩١

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝»

صدق الله العظيم

د. عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطئ

الدين والانسان بين ليل ونهار

لئن كان المسلمون الاولون صبروا على بلاء الحصار والمقاطعة ، لقد صبروا على ما هو أشد وأقسى مما أمتحنهم الله تعالى به ، تمحيصا لقلوبهم .

ولا يذكر تاريخ عصر المبعث ، فيما نعلم ، أن أحدا ممن حاصرتهم قريش إنفاذا لوثيقة المقاطعة قد حاول الافلات من نهك الحصار والرجوع إلى داره بمكة ، وليست منهم ببعيد ولا كان هناك حول المحاصرين في شعب أبي طالب مخافر مسلحة وأسوار مانعة على نحو ما نرى اليوم من الحصار المسلح برا وبحرا وجوا ، بالمدافع والدبابات ، والبوارج والغواصات ، وقاذفات الهلاك والدمار ، وراجمات الصواريخ ..

الحواجز والموانع في الحصار الاول . كانت رقابة صارمة من مشركي قريش الساهرين على احكام الحصار ،

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢١ / ٣ / ١٩٩١

فكيف كان صبر قريش على مالقى أهلوهم وذوو أرحامهم من جهد الحصار ووطأة المقاطعة ثلاث سنين شداد ؟

لم يكن الأمر هينا على ذوى المروءة والنجدة منهم . لقد سايروا قومهم نزولا على أعراف القبيلة ، وما كانوا يظنون أن الامر بالغ ما بلغ من القسوة ، فاما إذا تجاوز المدى فما حيلة الفرد منهم تجاه قرار الجماعة ؟ وسكتوا على مضض ، حتى ضاق احدهم بالموقف الصعب فقام يسعى فى نقض الصحفية ، فتهاوى الحصار بين ليل ونهار .

ذلك الرجل هو « هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث العامرى » روى ابن اسحاق فى (حديث نقض الصحيفة بالسيرة النبوية) أن أحدا لم يكن أحسن بلاء منه فى نقضها . وكانت تربطه ببنى هاشم صلة رحم فابوه عمرو أخو نضلة بن هاشم لأمه .. وكان هشام ذا شرف فى قومه . وقد دأب طوال سنوات الحصار الثلاث على نجدة المحاصرين فى الشعب ، فكان يلقى إبلا بالبعير قد أوقره طعاما حتى إذا بلغ به مدخل الشعب خلع خطامه ثم ضرب على جنبه فيدخل الشعب عليهم بما يحمل ، ثم يرجع الى هشام ، ليعود به محملا بالطعام والثياب ، مرة بعد أخرى .

فلما طال البلاء ، مشى هشام بن ربيعة إلى زهير بن أبى أمية .. بن المغيرة المخزومى — أمه عاتكة بنت عبد المطلب عمة المصطفى صلى الله عليه وسلم — فقال له :

— يا زهير ، أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء ، وأخوالك حيث علمت : لا يباعون ولا يبتاع منهم ولا ينكحون ولا ينكح إليهم ؟ أما إنى لاحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبى الحكم بن هشام — هو ابو جهل — ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم ، ما أجابك أبدا .

ففكر زهير مليا ثم قال :

— ويحك يا هشام ، فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معى رجل آخر لقمت فى نقض الصحيفة حتى أنقضها ،

قال هشام : قد وجدت رجلا . فساله زهير : من هو ؟ قال : أنا . فقال زهير : « ابغنا رجلا

(٣)

ثالثا فذهب هشام إلى « المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف القرشى ، من أشرافهم » فقال له :

« يا مطعم ، أقد رضيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف - بنو هاشم وبنو عبد المطلب - وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه ؟ أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعا . »

فكان جواب مطعم كجواب زهير .

ومضى هشام يبغى رجلا رابعا ، فذهب إلى ابى البخترى الاسدى - من عشيرة السيدة خديجة رضى الله عنها - فحدثه بمثل ما حدث به صاحبيه زهيرا ومطعما . فساله أبو البخترى : « هل اجد من يعين على هذا ؟ ذكر له هشام نفسه وصاحبيه ، فطلب اليه أن يبغى رجلا خامسا ، فذهب هشام إلى « زمعة بن الاسود بن عبد المطلب » فكلمه فى بنى هاشم وذكر له قرابتهم منه وحقهم عليه فأجاب زمعة .

وتواعد الخمسة على اللقاء ليلا بخطم الحجون - باعلى مكة - وهناك أجمعوا أمرهم وتعاهدوا على القيام فى نقض الصحيفة الظالمة . واتفقوا على أن يكون « زهير بن أبى أمية المخزومى » أول من يجاهر فى مجتمع قريش برفض الصحيفة . فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم بالحرم ، وغدا زهير عليه حلة ، فطاف بالبيت العتيق سبعا ثم أقبل على الناس فقال :

« يا أهل مكة ، أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يباع لهم ولا يبتاع منهم ؟ والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة ، رد عليه أبو جهل بن هشام المخزومى : كذبت ، والله لا تشق . فجاءه صوت زمعة بن الاسود ، قال :

- أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابتها حيث كتبت وأعقبه « أبو البخترى » قائلا .

- صدق زمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به وأيدهما مطعم بن عدى :

- صدقتما ، وكذب من قال غير ذلك . وانا نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها .

وتكلم هشام بن عمرو العامرى فقال نحو ما قالوا . عندئذ نقل أبو جهل عينيه بين هؤلاء الرجال الخمسة ، ثم صاح مستريبا :

- هذا أمر قضى فيه بليل تشور فيه بغير هذا المكان .

فلم يلقوا إليه بالا وقام المطعم ، على مرأى من القوم فانتزع الصحيفة من مكانها فى الكعبة لكى يشقها ، فإذا بالارضة قد أكلتها لم تترك منها سوى : (باسمك اللهم) !

وجمت قريش ، ونهض أبو طالب بن عبد المطلب الهاشمى فطاف بالبيت العتيق وانطلق ساعيا إلى من فى الشعب بالبشرى ، وقد ذكر وهو فى طريقه من البيت العتيق بنيه وذويه مهاجرة الحبشة ، فهتف يناجيهم منشدا ، وهو يرجو ان يبلغهم هناك من رجع نشيده :

آلا هل اتى بحرينا صنع ربنا
على نايهم والله بالناس أرود
فيخبرهم أن الصحيفة مزقت
وأن كل ما لم يرضه الله مفسد

......

جزى الله رهطا بالحجون تتابعوا
على ملأ يهدى لحزم ويرشد
قعودا لدى خطم الحجون كأنهم
مقاولة بل هم أعز وأمجد
قضوا ما قضوا فى ليلهم ثم أصبحوا
على مهل ، إذ سائر الناس رقد

وبلغ صوته كل المحاصرين فى الشعب فهللوا للبشرى وكبروا وسعوا الى البيت العتيق فطافوا به ملبين حامدين شاكرين لله تعالى أنعمه ، ثم ابوا الى دورهم فى أم القرى ، والافاق تتجاوب باصداء نقض صحيفة المقاطعة وانهيار الحصار .

وباتت قريش على جمر مسهدة بالذى كان ، لم تفتها دلالته ولا ارتابت فى أن لهذا الموقف ما بعده .

الصحيفة الممزقة ، كانت الارضة قد عاثت فيها وطمستها ، لم يبق من عقد المقاطعة سوى « باسمك اللهم » ...

والرجال الخمسة الذين قاموا فى نقضها كانوا جميعا وثنيين من الجبهة القرشية وقد بهت زعماء قومهم فما استطاعوا لما كان دفعا ..!؟

● ● ● ● ●

قد يستنكف عصريون منا التعذيل بذلك الموقف الانسانى النبيل لرجال مكيين فى عصر بداوة ، فلنذكر أننا أمة القرآن - مرجوون لأن نبرأ من بلادة الحس بما نتلو من ايات الله تعالى فى لعنة قسوة القلوب ، وما نحفظ من صحيح الحديث المتفق عليه عن نبينا صلى الله عليه وسلم قال :

(عذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار ، لا هى أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها ، ولا هى تركتها تاكل من خشاش الارض .)

● ● ● ● ● ● ● ● ●

(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .)

صدق الله العظيم

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٢ / ٣ / ١٩٩١

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ »

صدق الله العظيم

د. عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطىء

الدين والانسان في موازين القوى

فيما يشهد زماننا من التفوق الحاسم للسلاح الحربى الحديث يرسخ في عقولنا وبصائرنا انتصار الالة الحربية ـ باسلحته الرهيبة المتطورة واجهزتها العلمية الباهرة ـ على الانسان ويساورنا الريب فيما يحتمل ان يبقى لهذا الانسان في موازين القوى بعد تسخير التفوق العلمى والتكنولوجى المذهل لكسر الانسان واجهاض الحياة

ولعل من عبر (حرب الخليج وعاصفة الصحراء) انها ذكرت الغافلين منا بفاجعة هروشيما التى غابت اصداؤها زمانا وطمست معالمها من ذاكرة عصرنا الحديث وان لم تغب عن ذاكرة الانسان فيد يسجل شهود العصر :

نحن جيل ولد اباؤه على دوى مدافع البوارج الحربية تدك قلاع الصين بأقصى المشرق ، في حرب الافيون القذرة ..

وكتب شاهد العصر المؤرخ الفرنسى العلامة جوستاف لوبون في سياق عرضه لوحشية تمدن الغربيين مقارنا بحضارة العرب والشرق الاسلامى .

[وستكون قصة علاقة اوروبا المتمدنة بالصين في القرن التاسع عشر من أسوأ الصفحات في تاريخ مدنيتنا وقد يدعى احفادنا ذات يوم للتكفير عنها بثمن غال ، وكيف يفكر في المستقبل في امر حرب الافيون الدامية التى اكره الانجليز فيها – لحساب تجارهم اليهود – بلاد الصين بقوة المدافع على ادخال السم القاتل الذى ارادت حكومتها تحريمه لما راعها من اخطاره ، حقا ان فائدة انكلترة من تجارة الافيون مائة وخمسون مليونا من الجنيهات كل سنة . ولكن عدد الوفيات من الشعب الصينى بسبب تعاطى الافيون . ستمائة الف ضحية في احصاءات الدكتور كريستليب – في كتابه عن الجنس البشرى – وهنا نسأل : اليس من الحق ان يعلم الصينيون ابناءهم وصف الغربيين بالمتوحشين بعد ما رأوه من حرب الافيون القذرة الطاحنة وما انتهت اليه من اباحة تجارته قسرا ؟ لايكون جواب الشعب الصينى على المبشرين الانكليز عندما يحاولون تنصيرهم الا أن يقولوا « ياللعجب ! تكرهوننا على السم للقضاء علينا ثم تأتوننا لتعلمونا الفضيلة ؟] .

ولم يدرك الاستاذ جوستاف لوبون ما ادركه جيلنا الذى ولد على دوى انفجار القنبلة الذرية في تجربتها الاولى على اهل هيروشيما ونجازاكى ، تقتل الحياة لتقلب موازين القوى وترد على انتصار اليابان على الامريكان في (موقعه بيرل هاربر) بهزيمتهم الساحقة بقنبلة امريكانية واحدة دمرت مدينتين كاملتين واغتالت من السكان المدنيين عشرات الوف في ثوان معدودات كلمح البصر .

واكتهلنا على الاجتياح الصهيونى لارض الرسالات بوطأة قرصان وجبروت منتصر واصرار جهير على ان يكون له من وطننا ارض الميعاد من النيل الى الفرات

وجاءت الطامة الكبرى في حرب الخليج باسلحتها المروعة المتطورة تجرى تجاربها على شعوب المنطقة من شتى الجبهات ومختلف المواقع ومتفاوت المقاصد والمآرب ، لتقرر اصرار التفوق التكنولوجى المذهل على انسان هذا الزمان ..

في غفلة عن الريع الفكري الذي لبث على المدى الطويل يتلقى صدمات للوعي من سموم الاسرائيليات وذرائعها الماكرة والمتطورة تلو، عقليتنا بخليط من الخرافات الشائة والعلمانيات الفجة والمادية الالحادية المشوهة ، لتعيد بها صياغة فكرنا الديني صياغة شائهة ملوثة بجراثيم فقدان المناعة المكتسبة من دين الفطرة .

ومن الموقع الذي اطل على وجود أمتنا في رؤية مستوعبة للعاد المترامية بين ماض وحاضر فابصر مرموضع الانسان في موازين القوى ما يبقى على يماني بفاعليته المؤثرة في حركة التاريخ ومحاور الامم والحضارات .

ويحضرني مما علمت من سلفنا الصالح شيوخ المدرسة اسلامية ، تعريف الحافظ المؤرخ « شمس الدين السخاوي المصري » لعلم التاريخ بان موضوعه (الانسان والزمان) فيأخذني من حسه المرهف تقديمه (الانسان) في هذا التعريف إيماء الى كونه الذي يصنع التاريخ ماضيه وحاضره واتيه .. بمشيئة الله تعالى التي لا تتعلق بنقض سننه الثابتة في الكون والجماعات ..

وتفصلنا عن الحافظ السخاوي خمسة قرون مشحونة بعظائم الامور وتقلب الايام والليالي ولايزال تعريفه لموضوع علم التاريخ يصدق على الانسان في زماننا :

ولست في تقديري لموضع الانسان في حركة التاريخ وموازين القوى اغض من خطر العوامل المادية والاقتصادية والتفوق التقني والاسلحة الحربية التقليدية والمتطورة ، ولكني أعلم ان الانسان هو الذي يبدع الحضارة ويكتشف المجهول من خواص العناصر ومجاهل الكون والفضاء وهو الذي يخترع الآلات ويصمم الاجهزة اذ لا مجال لفاعلية اي سلاح تقليدي او متطور بغير الانسان ، ولا تعدو الاجهزة العصرية ان تكون الات صماء لأن الانسان هو الذي يديرها ويحركها وهو الذي يوجه العقول الالكترونية والربوت ويتحكم في الكهرباء والاثير والليزر ، ويغزو الفضاء ويرتاد الاجرام الفلكية في سابحها النائية ..

والانسان هو الذي يسخر التفوق العلمي المذهل لخير الانسانية ونفع الناس ، او يسخره على غير وجهه وطبيعته لتحقيق مآرب شيطانية ، منتشيا بشهوة التدمير ومرض العظمة وجموح مارد قرصان ..

على مسار التاريخ الطويل لم ينقطع تطور الاسلحة وتغير الاوضاع وتقلب الدول والنظم . والانسان يخوض معاركه الباسلة ضد الطاغوت مسلحا بما يحمل من امانة الانسان . وشهد التاريخ كتائب الفتوح الاسلامية تقهر في اقل من نصف قرن جيوش الاكاسرة والقياصرة والاباطرة وكانوا الاقوى عدة وسلاحا والاكثر عددا ، كما شهد جند الاسلام يغلبون عساكر الصليبيين وجحافل التتار وكانوا الاقوى عدة وسلاحا وعددا .

وبالانسان خاضت شعوب الشرق الكبير معارك التحرير الظافرة بارادة الوجود الحرب .

ولم نكن الاقل عددا وسلاحا حين ضاعت الاندلس ودالت دولتنا الكبرى التي رفع قواعدها آباؤنا الاميون وصرنا الى ما نحن فيه .

★ ★ ★

بما اتدبر من ايات الله في فطرة الانسان وثبات السنن الالهية ، امعن البصر في واقع الانسان والتاريخ فاوقن بان الانسان كان وسيظل ابدا العامل في صراع البقاء وتحديات الوجود والمصير .. فالامة لاتحقق امانتها الصعبة في تحقيق وجودها الحر الكريم الا بمقدار ما تملك من رصيد ذخيرتها البشرية قيمة ونوعا ، وان بدا في ظاهر الرؤية المهتزة بدوار الاعصار ان سباق التقدم والنصر محكوم باسباب القوى المادية والتفوق التقني ، وان صراع البقاء يحكمه فهمنا السطحي الساذج لمنطق شاعرنا العباسي « ابي تمام » في قصيدته البائية المشهورة يوم فتح « المعتصم بالله بن هارون الرشيد » مدينة عمورية » وكسر عسكر الروم ، وكانت كتبهم تاتيه منذرة بالهزيمة لو سار الى عمورية والفصل شتاء ثلجي قارس البرد ، وتنبأ المنجمون - من رصدهم لمواقع النجوم ومنازل ابراج الكواكب - بصدق ما انذرت به كتب الروم فقال ابو تمام يزف الى امة الاسلام نصر امير المؤمنين

السيف اصدق انباء من كتب ..
في حدة الحد بين الجد واللعب

نردد البيت والقصيدة وقد غاب عنا ان السيف هنا سيف المعتصم لا مجرد سيف ولا اي سيف . بل غاب عنا من منطق ابي تمام انه كان مع جند المعتصم يجاهد بشعره ويحدو الجند بحماسته بالتهوين من نبوءة المنجمين بصدق ما انذرت به كتب الروم .

وينفي الشاعر المجاهد ، خلل الموازين لموضع (الدين والانسان) في موازين القوى يوم عمورية :

الأهرام
مركز الأهرام والتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٣ / ٣ / ١٩٩١

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝»

صدق الله العظيم

د. عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطىء

الدين والانسان

وهذا الانسان وشريعة الغاب

كلما اشتد بنا البلاء واجهدنا ما نكابد من وطاة المحن وفوادح الكروب ، تلوت في خشوع كلمات الله عز وجل في (سورة محمد) عليه الصلاة والسلام .

(فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم . أولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى أبصارهم . أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)ولذت بتدبر آيات الخالق في الانسان والتاريخ ، في دين الفطرة وفي واقعنا المشهود ..

★ ★ ★

وتشغلني قضايا الانسان ، لكثرة ما نسمع في غـواشي الحـرب المدمرة من شعارات القيم الانسانية والاعتبارات الانسانية ، فيمـا نسمع ونشهد في حصاد رحاها ومجازرها ، من أشلاء البشر و أنقاض الدمار ، فيتساءل أبناؤنا في إنكار وسخط : أين هذه الانسانية في زمان محكوم بشريعة الغاب ؟!

و استبعد ـ ابتداء ـ تشبيه فوضى الأوضاع الهمجية والموازين المختلة ، بحكم شريعة الغاب . ولا أخوض فيما لا أدرى من علـم الحيوان و أنواعه وفصائله ، لكنى تعلمت من آيـات اللـه في ديـن الفطرة ، أن كل نوع وفصيلة محـكوم بسـنن ثـابتة لا تختـل ولا تنتقض ، و أطمع في أن أتحصن بآيات الله تعالى من فقدان المنـاعة العقلية الذى فشا في زماننا هذا ، فأتلو ما يضربه الخالق عز وجل من الأمثال لقوم يعقلون ، وما يفصله من آيات القدرة الالهيـة ، مـالا يعمى عنه ذوو الأبصار .

منها في سياق التذكير بنعم الخالق على العباد وآيات قدرته ، قوله عز وجل :

(و أوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى مـن كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا ، يخرج من بطونها شراب مختلف ألـوانه فيـه شـفاء للناس ، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ...)

ومن آيات الأمثال قوله تعالى :

(يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الـذباب شـيئا لا يستنقذوه منـه ، ضـعف الـطالب والمطلوب .)

......

وهذه الأمثال والآيات ، وأمثالها معها ، ممـا يدركه الانسان بفطرته السليمة ، لا يحتـاج فيه بالضرورة إلى دراسة علـم الحيـوان ، وليست مفروضة على المسلمين كافة ، ولا هى مما يتاح للناس جميعا في كل زمان ومـكان .. والمثل القرآنى مضروب للناس جميعا ..

(٣)

وبما نشهد في الواقع المدرك بالفطرة السوية ، نعلم بالضرورة انه لا يصح في شريعة الغاب أن الضبع - فضلا عن الصرصار - يتطاول إلى مكانة الاسد ، وأن البغل يلد حصانا ، وأن الصرصار يخرج عن طبيعته ويعيش في البحر لينتمي إلى الحيتان ، وأن يتطاول الغراب الى مملكة النسور .

ولم نسمع بذباب لحق بخلايا النحل ، ولا قملة ، اندست في مملكة النمل ، ولا عنكبوت نسجت حريرا :

ولا يحتاج الانسان الى دراية بعلم الاصوات ليعتبر باية لقمان في تحقير الاصوات المنكرة :

(ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ، إن الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد في مشيك واغضض من صوتك ، إن أنكر الاصوات لصوت الحمير .)

كما لا يحتاج الى من يعلمه العبرة من المثل القراني بالحمار يحمل أسفارا :

(مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) الاية

ولا يحتاج ، لكي يعتبر باستحالة ولوج الجمل في سم الخياط ، الا أن يسال طالب علم في الولوج بمعنى الدخول ، والسم بفتح السين الثقب ، والخياط . على وزن سراج الابرة تخيط . والاية :

(إن الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين .)

....

على هذه النواميس الثابتة تجرى الاحكام فيما نطلق عليه (شريعة الغاب) على سنن الحيوان بمختلف أجناسه وأنواعه وفصائله . والاميون من أمتنا لا يحتاجون الى علم العربية في دلالات صيغها القياسية لاصوات الحيوان : زئير الاسد وعواء الذئاب ، وصهيل الخيل ونهيق الحمير وخوار الثيران ونباح الكلاب ، ومواء القطط ونقيق الضفادع ، وزقزقة العصافير ونعيب الغراب ، ونوح الحمام ونعيق البوم ..

ويعرف من له أدنى حس بالعربية (أن تأنيث العنكبوت ، والنحلة والذبابة والبعوضة والذباب ، ليس تأنيثا بيولوجيا مما يدرس في علم الأحياء ، بل هو تأنيث لغوى يستوى في الواحد من نوعه ، المؤنث والمذكر .

كما يعني تماما ، مضرب المثل القرآني ببيت العنكبوت لأوهن البيوت في آية العنكبوت :

(مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون)

الذى نعجز عن فهمه ، ما جاءنا به مفسر عصرى للقرآن من علمه [بالحقائق البيولوجية المذهلة : أن القرآن إذ يقول (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) فذلك من الاعجاز العلمى لان العلم كشف مؤخرا أن أنثى العنكبوت هى التى تنسج البيت وليس الذكر ، وهى حقيقة بيولوجية لم تكن معلومة أيام نزول القرآن]

فهل كشف علمه بالبيولوجيا ، عن اسم العنكبوت الذكر

ثم يستطرد المفسر العصرى فيكشف لنا من علمه بديناميكا الصلب والحرير :

[الحقيقة العلمية ، وهى أن خيط العنكبوت أقوى من مثيله من الصلب ثلاث مرات ، وأقوى من بيت الحرير وأكثر مرونة]..

هذا (الفهم العصرى للقرآن) مما لا نعلمه يصح فى عقل ولا دين .. بل إنه لا يصح كذلك فى وصف همجية زماننا واختلال موازينه بشريعة الغاب ، وإنما هو من المسخ المعطل لعقلية الانسان ، يهبط ببشريته الى ما دون وحوش الغاب المحكومة بسنن الفطرة وهدى الغريزة ، فيصدق على الممسوخ قوله تعالى فى تعطيل العقل والبصر والوعى :

(إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) وقوله عز وجل :

(لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم اضل . أولئك هم الغافلون)

....

(وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) .
صدق الله العظيم .

الأهرام
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٤ / ٣ / ١٩٩١

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ»

صدق الله العظيم

د . عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطىء

الدين والانسان

هذا الانسان ، وبشرية الرسل

لا يكاد يوم يمضي دون ان نسمع عن الضمير الانساني المرجو لان يحتكم إليه شهود العصر ، و أبناؤنا يتساءلون في عجب ومرارة : أين هذا الضمير فيما نزل بنا من كوارث ، و آلة الحرب تدور فينا ساحقة مدمرة ، كأنها موكلة بقتل الحياة وتدمير كل رصيد الانسانية من قيم أخلاقية ومعالم حضارية ؟

ويوشك هذا الملحظ أن ينسينا ما صنعت أهوال الحروب بالانسان من قديم الزمان وعلى مر الدهور و الاحقاب ، وإن تكن آلتها الجهنمية تطورت لتصير أشد تدميرا و أسرع فتكا و أضرى ، و أقوى فعالية في قتل الحياة وإبادة الشعوب : فلئن كانت أهوال الحروب الصليبية وحروب التتار سابقة على زماننا ، إن يوم هيروشيما ونجازاكي ، وخامس يونيه المشئوم ، ليس منا ببعيد .

والانسان هو صانع الالة الحربية أمس واليوم ، وهو الذى قتل الحياة فى هيروشيما ونجازاكى ، ويقتلها اليوم فى شرقنا الأوسط ، والادنى والاقصى ، لم تنقض فواجع ماسيه وأهوال آلاته الجهنمية .

★ ★

تعريف شيوخنا موضوع التاريخ بانه (الانسان والزمان)

فما يكون هذا الانسان الذى نستفظع جرائمه إذ يجهر علانية بانه يجرب فى شعوبنا مكتشفاته ومخترعاته من آلات الحرب الساحقة ، فى زمان يحتفل كل عام بتقديم جائزة العالم السويدى « نوبل » للسلام تكفيرا عن أهوال الديناميت ؟

إن هذا الاحتفال السنوى المشهود بجائزة نوبل العالمية للسلام . يشبه أن يكون فيه ملحظ سخريه بالمشاعر الانسانية والضحك من الشعور بوقع الندم على ضمير الانسان ، إلا أن يكون الانسان قد تحول ببطء عن طبيعته وتبدل خلقا جديدا غير الذى كان .

هل كان فى وقت ما من الملائكة وهو اليوم أقرب إلى جبلة الشياطين ؟ سنظل فى حيرة من أمر هذا الانسان ، مالم نحدد دلالات الالفاظ . وإذ أتناول قضايا الدين والانسان بلسان العربية وبها نزل كتاب ديننا ، ألتفت الى أن الانسان اسم جنس دال على الجمع ، ولا مفرد له من لفظه ، فيدل على المفرد وعلى المثنى والجمع ، كما يدخل فيه المذكر والمؤنث .

وبهذا جرى البيان القرآني فى الانسان حيث جاء فى آياته الخمس والستين ، منها أربع وستون للانسان معرفا بحرف (ال) لعموم الجنس ، وجاء مرة واحدة نكرة ، مضافا الى (كل) فأفاد العموم . وذلك فى آية الاسراء فى مسئولية الانسان :

(وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا)

★ ★ ★

واشتقاق الانسان من مادة (أ ن س) بدلالتها على الانسية فى سائر صيغها : الانس

والانس والايناس والاستئناس .. نقيض الوحشية والتوحش والايحاش والاستيحاش .. .

فالانسان إنس، بجامع هذا الملحظ الدلالى المشترك ، من الانسية غير الوحشية .

فهل الانسان والانس سواء ؟

فى تعريفهما بكتاب (مفردات القرآن) : « الانس خلاف الجن ، والانس - بضم الهمزة - خلاف النفور . والانسان : قيل سمي بذلك لانه خلقته لا قوام لها إلا بانس بعضهم إلى بعض ، ولذلك قيل : الانسان مدني بالطبع من حيث أنه لا قوام لبعضهم إلا ببعض . »

قلت : لكن هذا التعريف باجتماعية الانسان بطبعه ، يصدق على الانسان والانس كليهما ، فهل يستويان ؟ القاعدة فى الاشتقاق أن العربية تغاير فى الصيغ المتعددة من المادة الواحدة لفروق الدلالات . وذلك ما يجلوه لنا القرآن الكريم باجلى بيان :

لفظ (الانس) ياتي مقابلا للجن ، فى كل آيات الانس وعددها ثماني عشرة آية .. وملحظ الانسية هنا ، بما تعطى من عدم التوحش ، هو المفهوم صراحة من مقابلتها بالجن فى دلالتها أصلا على الخفاء ، وهو من مظاهر التوحش . وبهذه الانسية يتميز جنسنا عن أجناس أخرى خفية مجهولة لا تنتمي إلينا ولا نحيا حياتنا .

وليس من الضرورى أن نقتصر مفهوم الجن على ما ألفنا إطلاقه على الاشباح التى لا تظهر إلا فى تهاويل الظلمة وتصورات الوهم ، وإنما يتسع اللفظ - بدلالته الاصلية على الخفاء ، وبمقابلته بالانس - لاى جنس غير بشرى يعيش فى عوالم غير منظورة ولا مدركة ، وراء عالمنا الذي نعيش فيه نحن الانس ، ولا يخضع للسنن والنواميس التى نخضع لها ، والتى توجه حياتنا وتحكمها . وبهذا المدلول الرحب تلتقى شبهة الخرافة عن الجن فى المفهوم الاسلامي ، نصدق بها سماعا ولا نحيا حياتها ، إذا قدرنا أن علم الاجناس لاينفي احتمال وجود أجناس غيرنا تعيش فى عوالم خفية عنا كالكواكب وأعماق البحار .

وأما الانسان فليس مناط إنسانيته مجرد ، كونه إنسا ، اجتماعيا بطبعه ، بل بخواص الانسانية وما يحمل الانسان من أمانتها الصعبة :

★ ★ ★

والانسان بشر لا ريب فى بشريته بحكم بنوتنا جميعا لآدم ، عليه السلام ، على تفاوت أشخاصنا وذواتنا وأنماط شخصياتنا واختلاف ألواننا ودرجاتنا ، يستوى فى هذه الادمية الرجال والأطفال ذكورا وإناثا ، العاقل منا والمجنون ، العالم والجاهل ، التقى والفاجر ، المؤمن والكافر .

وبهذه الدلالة على البشرية الادمية ، التى تاكل الطعام وتمشى فى الاسواق وتجوز عليها أعراض البشرية ، ورد لفظ (البشر) اسم جنس ، فى خمسة وثلاثين موضعا من القرآن الكريم ، منها خمسة وعشرون موضعا فى بشرية الرسل الانبياء عليهم السلام ، مع النص على المماثلة لسائر البشر فيما هو من ظواهر البشرية وأعراضها .

وفى بشرية الرسل جادل الكفار من أقوام الرسل جميعا :

(ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون . لاهية قلوبهم ، واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتاتون السحر وأنتم تبصرون) ؟ !

قالوها جميعا ، من كفار قوم نوح ، أو الرسل عليهم السلام ، (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا ..) الاية

إلى المشركين من قوم خاتم الرسل عليهم السلام :

(وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق ، لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا .) ورد عليهم رسلهم بالاقرار ببشريتهم : (قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) الاية

★ ★

ولا يستوى البشر والانسان ، كما لا يستوى الانس والانسان إذ ليس مناط انسانيته مجرد كونه من الانس كعامة جنسه ، ولا مجرد كونه بشرا كعامة بني آدم ، وأنما الانسانية فيه خواص مؤهلة لا لاستخلافه فى الارض ، مهيئة للقدرة على حمل امانة الانسان الصعبة :

(والعصر . إن الانسان لفى خسر إلا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

صدق الله العظيم

الأهرام
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٥ / ٣ / ١٩٩١

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا * قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا * »

صدق الله العظيم

د . عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطىء

الدين والانسان

لسنا ملائكة ومايبنغى لنا أن نكون

يكثر فى زماننا ان نفتقد البشر الملائكة فى غواشى مانحن فيه من محن وبلاء . ولسنا ملائكة ومايبنغى لنا ان نكون .. بهذا قضت مشيئة الله فينا ، لانحن منهم فى طبيعة جبلتنا ونواميس حياتنا ، ولا لنا طهرهم وطاعتهم « لايعصون الله ماامرهم ويفعلون مايؤمرون » .

ولم يغض ذلك عند الله تعالى من انسانيتنا ، ولا اسقط اهليتها للخلافة فى الارض .

من قبل استخلاف ابينا آدم ، الانسان الاول ، كان اعلام الخالق به فى الملائكة ، إيذانا بأن البشرية شارفت مرحلة الرشد المؤهلة للخلافة فى الارض ، وادراك خطر حرمتها وعظم تبعاتها .

ولاندرى كنه هؤلاء الملائكة فمحظور علينا ، علما ودينا ، الخوض فى غيبها بغير علم ، فلانتجاوز ماجاء عنها فى كتاب الاسلام ختام رسالات الدين ، وفيما صح من الحديث عن النبي ﷺ ونفهم من آية الخلافة ، أن الخالق عز وجل اعلم الملائكة بها من قبل استخلاف آدم ، مع سبق علمه تعالى بانه يفسد فى الارض ويسفك الدماء ، قال جل جلاله خطابا لخاتم الرسل عليهم السلام :

(وإذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني اعلم مالاتعلمون) .

ومقتضى الخلافة ، ان سخر الله له ما فى السموات وما فى الارض ومابينهما ، وامر ملائكته ان يسعوا فى هذا التسخير فاطاعوا ، وابى « ابليس » فحقت عليه اللعنة . ومن ثم بدأ الصراع الابدى فى معركة الانسان بين الشر والخير :

والبلاء قديم ، من عهد ابينا آدم عليه السلام ، لم يلبث أن نسى عهد الله واصغى الى وسوسة ابليس فيما زين له من معصية (وعصى آدم ربه فغوى) لتبدأ الانسانية معركتها بين النفس الامارة بالسوء والنفس اللوامة ، ومن الجيل الاول للبشرية كان الفساد فى الارض وسفك الدماء ، بان قتل احد ابنى آدم أخاه غيرة منه وحسدا ، وأمر الله تعالى خاتم رسله بان يتلو علينا النبا ، للعظة والاعتبار :

(واتل عليهم نبا ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدى إليك لاقتلك إني أخاف الله رب العالمين . انى اريد ان تبوء بإثمى وإثمك فتكون من اصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين ، فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه قال ياويلتا أعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فاصبح من النادمين) الآيات .

والآدمية ليست ملائكية ولا إبليسية . ليست جبرية تسليم وطاعة تسخير ، ولاهي محض شر وشهوة تمرد واصرار على الضلال وانما هي تجربة الابتلاء يتعرض فيها آدم للغواية فيغوى ، ثم تؤرقه النفس اللوامة فيندم ويتوب ، ويمضي ليمارس خلافته في الارض فلاتكون حياته كلها الا معركة متصلة بين الشر والخير يحتمل فيها تبعة عمله ومسئولية رشده ومسعاه .

وحين يشذ آدمي عن فطرته السوية ، فيقترف الشر شهوة ومتعة ، دون ان يردعه ضمير او يؤرقه ندم ، فإن هذا الشذوذ يخرج به عن طبيعة الآدمية ويمسخه شيطانا مريدا ، من اصحاب ابليس حزب الشيطان وذريته . ويوشك ان يكون الشيطان حيث جاء في البيان القرآني لشياطين البشر :

(واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون . الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون) .

(أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون)

ومن طموح الانسان ، بفطرته السوية ، الى التشبه بالملائكة في طهرها ونقائها وطاعتها ، جاء التصور للبشر الملائكة . وهو تصور قديم ، تكرر ذكره في مجادلة الكفار والمشركين في بشرية الرسل عليهم السلام ، وقال عز وجل :

(ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون) وقال تعالى : خطابا لخاتم رسله : (ومامنع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى الا ان قالوا أبعث الله بشرا رسولا . قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا ورسولا) .

وفي تقرير بشرية الرسل عليهم السلام ، اقروا جميعا بانهم ليسوا ملائكة قال تعالى خطابا لخاتم رسله عليهم السلام :

(قل لااقول لكم عندى خزائن الله ولاأعلم الغيب ولااقول لكم انى ملك ، ان اتبع الا مايوحى الى) الآية .

في صحيح الحديث عن رسول الله ﷺ قال :

(انما انا بشر ، وانكم لتختصمون الى ، فلعل بعضكم ان يكون ألحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو مااسمع ، فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذن منه شيئا ، فإنما أقطع له قطعة من نار) .

....

وبقى في ميراث البشرية تصور الانسان الطاهر النقى ملكا من الملائكة . فذلك قوله عز وجل في النسوة اللاتى استفظعن ان تراود امرأة العزيز فتاها يوسف عن نفسه :

(وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين . فلما سمعت بمكرهن ارسلت إليهن واعتدت لهن متكا وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن ، فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم . قالت فذلك الذى لمتنني فيه ..) الآيات .

لايبعد ان يكون هذا التصور بقية من ميراث الآدمية فيما وسوس به الشيطان لابوينا تزيينا واستهواء : (وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين او تكونا من الخالدين)

وباستقراء كل آيات الانسان في القرآن الكريم وتدبر سياقها الخاص في سورها وسياقها العام في القرآن الكريم ، نفهم ان الله تعالى اذ ينفى الملائكية عن البشر ولو كانوا الصفوة الرسل عليهم السلام ، فانه يوجه الى ان الانسان انما استخلف في الارض بخواص انسانيته المؤهلة للخلافة : العلم ، والبيان ، والبصر والوعى والتفكر والتذكر ، والتمييز بفطرته بين الخير والشر ، وذلك ومثله من جوهر انسانيته ، وبها يحمل امانة انسانيته ويحتمل تكاليف رشده وتبعات كسبه ومسعاه ومسئولية الثواب والعقاب .

ثم انه الذى يتعرض لتجربة الابتلاء ومحنة الغواية وفتنة الغرور ولعنة الطغيان ، ويظل ماعاش كادحا لمصيره محتملا هموم المكابدة وبلاء الامتحان .

وتفصيل الحديث عما يحمل الانسان من أمانته الصعبة ، بالغ الدقة والصعوبة ، رحب الآفاق واسع المجال ، فعسى ان يتسع لها هذا الموسم بمشيئة الله تعالى وعونه .

(وعلى الله قصد السبيل)

صدق الله العظيم

الأرشيف
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٦ / ٣ / ١٩٩١

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ »

صدق الله العظيم

د . عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطئ

الدين عاشر رمضان ، وسادس أكتوبر والانسان الاصيل .. والبديل

لاأستبعد من القائد النبيل ، الفريق يوسف صبرى ابوطالب ، وقد حظيت بلقائه فى مصر والمغرب - ان يكون قد اختار يومنا هذا لتحية جنودنا العائدين من (حرب درع الصحراء) وهو يذكر ليوم عاشر رمضان ، حقه التاريخى فى ايامنا المشهودات

ومن سنة (١٤٠٠هـ) على التحديد ، أخذ (حديث رمضان) يوم ذكرى العاشر منه ، اتجاها معينا لا أحيد عنه ، وان تعددت وجهات نظرى اليه وزوايا رؤيتى له فى ظل مايلم بنا من أحداث ونوازل . ذلك الاتجاه هو ما كان من استبدال سادس أكتوبر بالعاشر من شهر رمضان المعظم

التاريخ : ٢٦ / ٣ / ١٩٩١

كان همي أول ماتنبهت له ، أن أتساءل : فيم هـذا الاستبدال ؟ ولم ، ومتى .. ؟

ذلك لأن اليوم البديل تسلل إلينا في البداية خفية ، في احتفال رسمي غير مشهود يقام في سادس اكتوبر . بعد أن كان موعده السنوى الأصيل في العاشر من شهر رمضان المعظم . وسنة بعد سنة ، بدأ البديل يفرض علينا وجوده ، وقامت مدينة سادس أكتوبر وكوبرى سادس أكتوبر ومالا أحصى من مؤسسات سادس أكتوبر ، بعد أن سبقتها مدينة العاشر من رمضان ومؤسسات العاشر من رمضان ....

وشيئا فشيئا ، تبين لى أن البديل صار يأخذ موضع الاصيل ، فكتبت في حديث عاشر رمضان سنة ١٤٠٢هـ فاتح يوليو سنة ١٩٨٢ ـ ما أحتاج اليوم الى اعادته ، لاستبقى حسن ظن أبنائنا بآبائهم :

(لثالث موسم على التوالى من الشهر المعظم ، أكتب في مثل هذا اليوم حديث العاشر من رمضان ، لا أكف عن التساؤل : لماذا استبدلنا به سادس أكتوبر ؟

أقول هذا الكيلا يسبق الى ظن قارىء ، أنني كتمت السؤال لم أجهر به حتى رحل ، السيد الرئيس أنور السادات ، وقد كان رحمه الله هو الذى بدل وغير .

أخاف على جيل الشباب أن يسيء الظن بنا ويفقد الثقة في صدق الكلمة وأمانة من يحملونها ، يحسبهم جميعا يدورون مع الريح ويخشون في الله لومة لائم .)

وكرت السنون ، وفي كل سنة أدير بصرى من الموقع الفكرى لعلى ألمح لهذا الاستبدال علة أو سببا فلا أجد ، وارهف سمعي لعلى التقط رجع صدى لما سألت عنه فيرتد رجع صدى صوتى الى ، دون رد أو جواب .

وماكتبته سنتئذ في سياق ازمة الفكر الديني برياح التغيير ، أنظر اليه هذه السنة الحاضرة ، من جهة أزمتنا بفقدان المناعة العقلية المكتسبة من ديننا القيم ، فما عدنا نميز بين أصيل وبديل طارىء دخيل .

فليس بمستبعد أن تطمس رياح التغيير معالم تاريخنا الكبرى ، فيظهر فينا من يؤرخ ليوم الهجرة بالسادس والعشرين من يوليو سنة ٦٢٢ ويوم بدر بالسادس والعشرين من فبراير سنة ٦٢٣ ، ويوم أحد بسابع عشر مارس سنة ٦٢٤ ، وفتح مكة بفاتح يناير سنة ٦٣٠ ، وبداية عصر الراشدين بالسابع والعشرين من مايو سنة ٦٢٢ ، والعصر الاموى بسابع مايو سنة ٦٦١ ، والعصر العباسى الأول بفاتح يناير سنة ٧٥٠م .

★ ★

ذهب مع الريح كذلك ، تساؤلى عاما بعد عام : لماذا أبدلونا سادس أكتوبر بعاشر رمضان ؟

وقلت وأقول : ان تاريخ يومنا المشهود بالعاشر من رمضان هو الذى يعطى النصر مناخه ومغزاه

اليوم بدأ فى أوله لايكاد يختلف فى ظاهره عن أيام سبقته ، توالت وطالت سبع سنين ،

لم تملك لنا الا كبت قهرنا ومعالجة جراحنا بالتخدير .

أو هذا ماحسبناه ونحن نرصد المناخ الفكرى لما بعد اليوم الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ المشئوم :

اجهزة الاعلام تشاغلنا بما يخرجنا من دوامة التفكير العقيم فى الهزيمة الساحقة لعلنا نكف عن بؤس الاجترار لفواجعها .

واقلق وطننا من الخليج الثائر الى المحيط الهادر ، ترجع اغانى الطرب واقانين التسلية الفجة والمرفهات الرخيصة

وعلماء التفسير العصرى يتلون فينا من بدع التاويل الضال ، مايشغل عقليتنا بعجائب الدجل وغرائب الاباطيل تريحنا من هموم اليقظة والوعى .

حتى جاء يوم عاشر رمضان من سنة ١٣٩٣هـ والناس على ماكانوا عليه فيما سبق من أيام الصيام

فجاة ارتجت الدنيا على النبأ المذاع من القاهرة ، حملته أمواج الأثير الى أرجاء الدنيا فاسمع من به صمم ، وتوالت الأنباء ، بلاغا بعد بلاغ ، من مركز القيادة لجبهة القتال .

جنودنا البواسل عبروا القنال الى سيناء ، ودكوا مع (سور بارليف) أسوار الانكسار والقهر والاحباط . ورفعوا راية الكنانة عالية منتصرة

هتافهم : الله أكبر .. وشعارهم .. يوم كيوم بدر

وعلى رمال سيناء المشبعة بدماء اخوتهم ضحايا رحلة الموت فى خامس يونيه المشئوم ، أقاموا الصلاة ، وأفطروا هناك اخر النهار .

وافطرت الامة معهم ، من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب ، ورجعت عشرات الالوف من الجوامع والمساجد بديار الاسلام هتاف النصر ودعاء الفتح

فى ضمير الامة شعوبها وجندها ، ارتبط النصر باليوم العاشر من شهر رمضان المعظم اية من عطائه لاتعرفه إلا به .

وكذلك هو فى تاريخها المعاصر يوم كيوم بدر ، وأيام مثله غراء فى تاريخ الاسلام بمواقيتها الاسلامية ، وتتداعى ذكريات النصر حافزة ملهمة موجهة ، وتتراءى المشاهد والمواقف التاريخية نابضة بالحياة فكيف هان علينا أن نستبدل باليوم الذى هو خير ، بديلا شائها أصم ؟

كاننا من حيث ندرى ولاندرى ، نتعلق بالتقويم الفرنجي الرومانى لينقلنا الى عصر الالكترون والذرة والريموت ويلحقنا برواد القمر والمريخ :

او كاننا نحسب حسابا لمن يظنون بنا الظنون ويرون فى حسنا الدينى المرهف ، رواسب رجعية متخلفة ، يحملونها وزر مالقينا ونلقى من تخلف وهوان .

فلننظر الى أين آل بنا الحال بعد أن تاه يوم النصر فى رجة الأعاصير مدخلا لتمزق الشمل واحتلال الجولان وتهويد القدس ، وما تاكل من ديار الاسلام وتقوض من بنياننا بايدينا فى حروب اليمن والبنغال والصحراء المغربية وايران والعراق ثم فى اعصار الخليج

وبعد فيكفى يوم سادس أكتوبر أن تاسست باسمه مدينة سادس أكتوبر شاهدا على جديد عمراننا ومثالا قدوة لجهود (وزارة الاسكان والتعمير) ولنترك ليوم عاشر رمضان حقه التاريخى فى ذكرى النصر .

« والسلام على من اتبع الهدى » .

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٦ / ٣ / ١٩٩١

ذكرياتهم في رمضان

■ اديبة الفقهاء وفقيهة الادباء الدكتورة بنت الشاطىء :

كنا في رمضان نحف صغارا بمجلس الذكر ونردد معهم ما تيسر لنا حفظه !



د. بنت الشاطىء

سامي دياب

هل استطيع أن أعيد قمة من قمم الفكر إلى عهد الصبا ؟ !

هل استطيع أن اقنع من أثرت المكتبة العربية بعشرات الكتب والابحاث والدراسات بأن تطل من شرفة شيخوختها على مغاني الطفولة ؟ !

هل استطيع أن أجهد حافظة اديبتنا وعالمتنا لتروي لنا ذكرياتها الرمضانية في طفولتها وصباها ؟ !

اتجاسر و أطرح سؤالي على أستاذتنا الدكتورة بنت الشاطىء .

الصمت يلف المكان .

ملكرتنا الكبيرة تعود بذاكرتها إلى الامس البعيد .

أساريرها تكشف عن حنين جارف يغزوها .

ـ سؤالك عن ذكريات الشهر المعظم في طفولتي وصباي يشجيني .. إنك تعيدني إلى الماضي إذ الشمل مجتمع والبال خلي والحياة طيبة والفطرة على سجيتها لم تمسخ ولم تشوه !

لقد بعد مابيني وبين عهد صباي في حساب الزمان اكثر من نصف قرن ، ثم ما كدت تسألني عن ذكرياته حتى وجدتها ملء وعيي لم تته في زحام دنيانا ، ولا غيبها صخب ضجيج عصرنا الالكتروني . ودون حاجة الى مسجل او « ريموت » . الفيت حافظتي قد ضنت بها عن متاهة الضياع وغيابه النسيان !

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٦ / ٣ / ١٩٩١

بيئة فريدة بين دمياط وشبرابخوم !

أراني في صباي مع الذكريات تتنازعني جوانب بيئتي الفريدة بين دمياط مهد مولدي ومولد أمي وخئولتي ، ومقر المعهد الديني في جامع البحر ، حيث كان شيوخ دراستي الإسلامية المبكرة - في دارنا - والدي وزملاؤه مشايخ المعهد .

وبين قرية شبرابخوم من ريف المنوفية ، وفيها موالد أبي وعمومتي ، وبها كتاب سيدنا الشيخ مرسي عبد العزيز الذي أقرأني القرآن الكريم تلاوة وحفظا ، فكان لي كنز العمر ونبراس الطريق وزاد الحياة .

تسترسل أستاذتنا الدكتورة بنت الشاطئ في ذكرياتها ..

- في ربوع دمياط العريقة وشطوطها الساحرة والـ... ماضيها العتيق ، كنا نمضي أوائل الشهر المعظم . فـ... المدينة أجمع قد احتشدت من شهر شعبان لانتظاره . شيوخها وشبابها وصبيتها .. الرجال والنساء من مختلف الطبقات وشتى الحرف .. علماؤها وتجارها وصناعها

آباؤنا يستعدون لشهود الهلال ، وسوق التجار عامرة بمنصات منصوبة لعرض أطايب الفطرة .. النقل والحلوى الرمضانية ، والسمكرية جادون في إبداع فوانيس رمضان ، والمخابز تعرض باكورة خبزها المطيب بالسمسم والحبة السوداء !

الدروب الخلفية وعربات أصحاب الحرف !

كنت في طريقي ما بين جامع البحر ودارنا على شط النيل عبر سوق التجار والقنطرة وشارع الخليج أعرج إلى الدروب الخلفية المتفرعة من الطريق العامة لأتفرج على فئات أخرى من الصناع في ورش ومقاه موسمية يتفننون في إعداد عربات أصحاب الحرف التي تسير في الموكب الشعبي للرؤية ، ويحرصون على حجبها عن الأنظار لتفاجئ بأنماطها المبتكرة وزينتها الرمزية في موكب الرؤية الذي تحتشد الجموع لتزفه بالتهليل والتكبير !

وترتسم البسمة على وجه الأديبة المفكرة العالمة ..

- في تلك الليالي الأولى من رمضان كنا نتعجل الإفطار بعد ضرب المدفع ، وكل طبقة من الأهل في شغل بأمرها .. الآباء يخرجون في شغل المساجد يعمرونها بالذكر والصلاة .. والأمهات مشغولات بإعداد مدخرات رمضان من أطايب الزاد .. ونحن الصبية إلى تجمع أبناء الحي نحمل فوانيسنا البراقة الزاهية مضاءة بالشموع ، ونطوف بالدروب والحارات والأزقة لتهنئة الأقارب والجيران هازجين بأناشيدنا إذ نتقبل هدايانا الموسمية من الفاكهة والحلوى !

وربما مضينا في مواكبنا نهزج ونهلل حتى يزاحمنا المسحراتي بدقات طبوله التقليدية وأناشيده المرتلة فنسرع إلى دورنا لنشارك في طعام السحور وصلاة الفجر !

كتاب الشيخ مرسي من الضحى حتى العصر !

ومن الأسبوع الثاني للشهر المعظم حتى أيام عيد الفطر كنا نشد الرحال إلى قرية شبرابخوم من ريف المنوفية في عطلة رمضانية من الأزهر ومعاهده لشيوخه وطلابه يمضونها في بلدانهم وقراهم لإحياء ليالي الشهر المعظم

في النهار كنت أسعى إلى ، كتاب سيدنا الشيخ مرسي ، من الضحى حتى العصر .

لم يكن الرجال يتناولون طعام الإفطار والسحور مع أهليهم داخل الدور ، بل في المناظر وهي قاعات الضيوف بمداخل الدور حيث تقام موائد الإفطار تستقبل من يشاء من الضيوف يفطرون ويصلون المغرب والعشاء ، ثم يحيون الليالي بطولها في الذكر وسماع تلاوة القرآن الكريم من شيخ القراء يتحرى أهلنا الاتفاق معه قبل الموسم بشهر ، كما يشتركون في تواشيح دينية وأناشيد صوفية ، ونساء الدار مشغولات بإعداد وجبة السحور ، ونحن الصغار نحف بمجلس الذكر ونردد معهم ما تيسر لنا حفظه إلى أن يؤذن الشيخ بعد السحور للفجر !

وتـ...ـرد الدكتورة بنت الشاطئ من رحلتها إلى الماضي وترمقني ..

- أرى بك شوقا إلى مزيد من الذكريات !

يكفيك ما رويته !

ويكفيني ما أثرته من شجوني ومواجدي !

الأهرام
قرار التنظيم والإدارة والإعلام
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٧ / ٣ /١٩٩١

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۞ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ »

صدق الله العظيم

د . عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطىء

الدين والانسان

الأمانة الصعبة ، آية الانسان

سبق لى أن تناولت موضوع الامانة الصعبة ، فى موضعها من (القران وقضايا الانسان) . وأتناولها اليوم بمزيد تدبر فى سياقها من (قضايا الدين والانسان) موصولة بجديد ماطرأ على الفكر الاسلامى من شوائب فيما حمله دعاة التنوير العصرى من مقولات جازت على عوام المثقفين فى غيبة الوعى بتهافت هذه المقولات وشذوذها عن منطق الفطرة السوية . .

وتوطئة للحديث عنها ، ينبغى لى التنبيه على أننى إذ أتحدث فيها عن الدين بإطلاق ، فلست أدعى خبرة بكل دين أو ملة ونحلة ، بل أركز النظر على ختام رسالات الدين ، بما تفرض علينا من وجوب التصديق برسل الله تعالى قبله ، امتثالا لقوله عز وجل :

(أمن الرسول بما أنزل إليه من ربه و المؤمنون ، كل أمن بالله و ملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) . الآية

تصديقنا بها ـ نحن المسلمين ـ متعلق بما جاء عنها فى القرآن الكريم موثقا مبرأ من الشوائب الدخيلة التى طرأت عليها على فترة من الرسل ، والتصديق كذلك بما نتلو فى القرآن من نبأ الاولين ، عبدة الاوثان والصابئة عبدة النجوم ، ومن اتخذوا أبطالهم وأصنامهم أربابا آلهة مع الله .

وهذا القدر الموثق من أنبائها هو مايجب علينا التصديق به سمعا ، لا أتجاوزه الى مالاعلم لى به من نسخ الاناجيل واسفار التوراه المتداول منها وغيره ، وأقوال شراحها وتعاليم رهبانها وأحبارها ..

وكما لايختلط الامر علينا فى قضية التصديق بين ماجاءنا منها موثقا يلزمنا التصديق به ، وبين جملة نسخ أهل الكتاب وشروح علمائهم وأحبارهم ، لايختلط الامر علينا كذلك بين عموم وحدة الدين ، وخصوصية كل أمة برسولها وكتابها وشرعتها ومنهاجها .

الدين كله لله ، ولم يأت أديان وديانات بصيغة الجمع فى القرآن قط ، وإنما هو ، بصيغة المفرد ، دين واحد من إله واحد ، على مانتلو من آية التوحيد المحض فى قوله تعالى خطابا لخاتم رسله عليهم السلام :

(قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون .)

ومع وحدة الاصل العام فى التوحيد ، جوهر الدين كله ، تنفرد كل رسالة برسولها وكتابها وشرعتها ومنهاجها ، كما يتبين من قوله تعالى خطابا لنبينا عليه الصلاة والسلام فى عموم الاصل وخصوصية الرسالات :

(وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ....) الآية

★ ★ ★

الانسان كذلك حيث جاء فى القرآن الكريم ، فبعموم مطلق ، وأداة التعريف (أل) فيه لعموم الجنس لا لمعهود خاص .

هو إنس ، اجتماعى بفطرة إنسيته ، مدنى بطبعه ، وهو بشر بادميته ، ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق وتجوز عليه أعراض البشرية وأهواؤها ، يلتقى فيها كل البشر

وإنما يتميز الانسان بخواص إنسانيته لابمجرد كونه إنسا بإنسيته ، بشرا بادميته .

وذلك مايستفاد من الدلالات القرآنية ، للانس والبشر والانسان ، استقراء وتدبرا لسياقها .

(٣)

الانسان هو المهيا لكسب العلم ، المزود بادوات العقل والادراك والبصر والوعى ، المؤهل للذكر والعظة والاعتبار ، مع مايلابس ذلك كله من ابتلاء بالشر والخير ، وفتنة الغرور بما يحس من تميزه ومايزدهيه من الشعور بمنزلته فى عامة جنسه من الحيوان ، وفى الكائنات الحية والجماد ...

★ ★ ★

بخواص إنسانيته ومؤهلاتها ، حمل الانسان أمانته التى انفرد بحملها دون سائر الكائنات ، فكانت اية إنسانيته .

والامانة فى اللغة مقابل الخيانة ، وقد جاءت فى القرآن بهذه الدلالة الاصلية فى أداء الامانات ، مع ملحظ من دلالة مادتها على الامن والأمان والايمان ، فى الحسيات من الامانات مصرحا فيها بتقوى الله كما فى اية كتابة الدين — من الديون — :

(فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ، ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) وفى رعاية المؤمنين عهد الله تعالى والرسول عليه الصلاة والسلام ، ومابينهم من عهود وأمانات ، مع تصريح مقابلتها بالخيانة فى اية الانفال .

(ياأيها الذين امنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون)

وانفردت الامانة التى حملها الانسان ، بمجيئها مفردة معرفة بأداة التعريف (ال) للعهد والاختصاص ، فما هذه الامانة التى انفرد الانسان — مطلق الانسان — بحملها فكانت اية انسانيته ؟

تعددت أقوال المفسرين فى تأويلها

وتوشك أن تكون أقوالهم متقاربة وإن تعددت ، وكذلك أقوالهم فى التحمل ، بمعنى الاباء ، والنكوص ، والتورط بجهالة فى خيانتها .

واضح أن الحمل فى اية الامانة من الحمل المجازى ومن نظائره فى القرآن الكريم ، قوله تعالى فى الآيات ، البينات :

(مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ...)

(ربنا ولاتحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا) ونظائرها ...

واضح كذلك أن عرض هذه الامانة على السموات والارض والجبال ، وإبائها واشفاقها منها إنما هو على سبيل المجاز ، بيانا لصعوبتها وشدة حملها الباهظ .

وليست الجمادية فى السموات والارض والجبال ، هى مناط العبرة فى عجزها عن حمل الامانة كما ذهب بعض من تاولوها ، بل مناطها مانرى من ضخامة أجرامها ومشهود طاقتها على الحمل والتحمل والاحتمال . فالسموات الرحبة على علوها الشاهق يرتد عنه البصر ، والمرفوعة بغير عمد تراها ، والارض المتسعة لحمل مالايحصى من ملايين البشر . وتحمل صم الجبال وكتل المبانى والصروح ، والجبال بشموخها وصلابتها وصخريتها ... هذه جميعا أشفقت من الامانة وأبين أن يحملنها ، وحملها هذا الانسان بضالة جرمه وضعف بشريته ومحدود طاقته وأين هو بالقياس إلى السموات والارض والجبال ؟

الذى اطمأننت إليه ، بطول التدبر ، أن الامانة ، اية الانسانية ، هى الابتلاء بتبعات التكليف ومسئولية الرشد . كل الكائنات ، عدا الانسان ، مسيرة بمقتضى سنن ثابتة ، تحكمها على وجه الامتثال والطاعة أو التسخير والالهام؛ دون تحمل لتبعات المسئولية والمحاسبة على ماتعمل ، فلو أن السموات قذفت الارض والناس بالصواعق أو لو أنها جادت بالغيث فأحيا به الارض بعد موتها .

ولو أن الارض زلزلت فدمرت العمران وقتلت الحياة ، وقذفت براكينها بالحمم فاهلكت الحرث والنسل ، أو لو أنها أخرجت من باطنها ثمين المعادن ومخبوء الكنوز .

ولو أن الجبال تصدعت وانقضت فاهلكت بلدانا وجماعات كانت آمنة مطمئنة . أو لو أنها سخت بثمين الاحجار ، والمعادن ،

لما حملت السموات والارض والجبال تبعة كسب ومسئولية عمل ، ولاحوسبت على خير أو شر ، ثوابا أو عقابا ..

فلنتابع الحديث بمشيئة الله ، عن هذه الامانة الصعبة التى انفرد الانسان بحملها فكانت اية إنسانيته ، والله المستعان .

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٨ / ٣ / ١٩٩١

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« هَلْ أَتَى عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا * »

صدق الله العظيم

د. عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطىء

الدين والانسان

الامانة الصعبة ، وحرية العقيدة

بعقلية الجماعة المحكومة بنظام القبيلة وتقاليدها الصارمة تحمي بها وجودها وبقاءها .. ظلت قريش تقاوم الاسلام لم تفتر يوما عن الدفاع عن دينها الموروث : كانت الوثنية على فترات من الرسل تشخيصا للاله المعبود ورمزا لميراثها الديني من رسالات الله . ثم لما

تاه الرمز وعبدت الرموز كانت عبادتها اعلانا عن تشبثهم بما مضى عليه الاباء وفرارا من الفراغ من العقيدة . وتصدى مجتمع القبيلة لعداوة الاسلام عجزا عن ادراك الوحدانية ، ومضى العهد المكي كله ، وهم لايكفون عن تكذيب وجدل عن الهتهم وانهم مع ذلك ليقولون (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)

فلما كانت الهجرة ، في السنة الثانية عشرة من المبعث أذن الله تعالى لعباده المؤمنين الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، في أن يقاتلوا دفاعا عن حرية عقيدتهم ، وجهادا في سبيل دينهم الحق ، وغضبا لحرمات لهم لايحل ان تنتهك أو تمس .

وقد خاضت قريش بعقلية الجماعة جولات معركتها الخاسرة مع دين التوحيد ، من يوم بدر في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة الى يوم فتح مكة في شهر رمضان من السنة الثامنة فلئن طالت المعركة واستغرقت سنين عددا لقد ظلت الجبهة الاسلامية تتلقى تباعا مددا من جبهة قريش لحقوا بحزب الله فرادى استنكافا من ان يعبدوا مع الله اصناما شائهة بلهاء . فبلغ بهم عدد الذين شهدوا الفتح مع النبى صلى الله عليه وسلم عشرة الاف من المهاجرين والانصار وقد كان عدد الذين شهدوا يوم بدر . بضع مئات .

وفتحت أم القرى قلبها للمصطفى الهاشمي ومن معه من أبنائها المهاجرين واخوانهم الانصار ، ولم يدر يومها قتال ، وكانما عاشت أم القرى في انتظار هذا اليوم التاريخي لتتحرر من أغلال الوثنية وتتطهر من رجس عارها . وأسلم أهلها جميعا ، جيرة الحرم الاقدس ، وكانهم كانوا يتطلعون الى اليوم الذى يكفون فيه عن حرب عقيم ، وينبذون الاوثان التي حاربوا من أجلها فما أغنت عن نفسها ، فضلا عن أن تغني عنهم شيئا . وانتهى عثر الوثنية بعد ليل بهيم .

انهارت الاصنام جذاذا مهينة تحت مواطىء أقدام المؤمنين ، وأعز الله قريشا بالاسلام وقد أعزها من قبل باصطفاء خاتم رسله منها . وأعز الاسلام بها فتتابعت وفود القبائل العربية الى دار الهجرة ، فبايعت النبي صلى الله عليه وسلم عن قبائلها في سنة الوفود . التاسعة للهجرة

× × ×

وان للانسانية أن تحمل رسالة التوحيد جوهر الدين كله . في مدرسة النبوة حفظ الجيل الاسلامي الاول ، كتاب الاسلام خاتما لكتب الله تعالى ، ومصدقا لها ومهيمنا عليها بما استصفى من جوهر الدين كله . فاستقاموا بالتوحيد الى ادراك ما أعيا البشرية من تمثل التجريد المطلق للاله الواحد الفرد الصمد ، المنزه عن تشخيص وتجسيد . وفي منتصف القرن الماضي ، سجل الاستاذ الفرنسى

« جوستاف لوبون » مما استوعب وتقصى من شهادات لمؤرخي الحضارة والاديان والاخلاق :(للاسلام كل الحق في ان يمن على الانسانية المتدينة ، بالتوحيد النقي المحض)

وان للانسان المكلف بتبعات أمانته ورشده ، أن يحمل مسئولية عقيدته بارادته الكسبية غير مكره عليها ، وقد ختمت رسالات الدين وتبين الرشد من الغي

والاسلام في اقراره لحرية التدين يفرضها على المؤمنين تكليفا ، ويلزمهم بها تجاه غيرهم دينا وسلوكا ، لا لمجرد التسامح والمجاملة أو المسالمة

وتقديرا لما في فطرة البشر الرسول من حرص على أن يؤمن قومه ، والناس جميعا ، بدأ القرآن فاخذه بمبدأ مسئوليتهم عن ضلالهم بعد أن بلغهم رسالة الحق وبين لهم الهدى ، لأن العقيدة لاتكون عقيدة حتى تصدر عن اعتقاد حر ، والايمان لايكون ايمانا حتى يرسخ في القلب والضمير عن رضى خالص وطمأنينة لايشوبها قلق وارتياب او مسايرة ومراءاة .

في العهد المكي ، عهد التمحيص والامتحان ، نزل من الآيات في اقرار مبدأ مسئولية الانسان المكلف عن دينه ، وتسفيه من ينكص عن تبعه رشده .

(ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا ، أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ؟

(وقال الذين أشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولاحرمنا من دونه من شيء ، كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين) ؟

(والذين اتخذوا من دونه أولياء ، الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل)

ومن آيات الايناس للمصطفى عليه الصلاة والسلام

(قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون ، ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ماكذبوا وأودوا حتى أتاهم نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين ، وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء فتاتيهم باية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين)

(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ، ان ربك أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ، وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، واصبر وماصبرك الا بالله ولاتحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون)

× × ×

في مستهل العهد المدني ، نزلت الآية الجامعة بلاغا بحظر الاكراه في الدين (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم)

واذ كان الاسلام شهادة باللسان وعملا بالجوارح طاعة للاوامر واجتنابا للنواهي . زاد عليها الدين ان جعل الايمان منوطا بالقلوب . قال تعالى :

(قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم)الآية

ثم كان على النبي صلى الله عليه وسلم فيما كلف به من البلاغ المبين ، ان يفصل ما أجمل القرآن منه وأن يراقب أصحابه ــ تلاميذ مدرسة النبوة ــ في سلوكهم تطبيقا لمبدأ حظر الاكراه في الدين . فبلغ به صلى الله عليه وسلم أن جعل ضمير الانسان منطقة حراما لايحل اقتحامها والحكم على مسلم بما يخفي صدره ويضمر قلبه فذلك وحده للخالق عز وجل

في كتاب الايمان من صحيح الامام مسلم ، من حديث « اسامة بن زيد بن حارثة) رضى الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في سرية الى الحرقة من أرض جهينة ، فادرك « أسامة » رجلا منهم اشتدت وطاته على المسلمين ، فلما رفع عليه السلاح قال :لا إله الا الله فظن أسامة أنه يتعوذ بها من القتل ، وقتله في رواية أنه قدع على النبي صلى الله عليه وسلم في رواية أنه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بما كان .

وفي رواية أن الخبر كان قد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قبل مقدم زيد فساله : (أقال لا اله الا الله ، وقتلته ؟ قال زيد : قلت يارسول الله ، انما قالها متعوذا من السلاح : قال : (افلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟) قلت لقد اوجع في المسلمين وقتل فلانا وفلانا . فقال (وما تصنع بلا اله الا الله ؟ قلت : استغفر لي يارسول الله . فمازال يكرر (وما تصنع بلا اله الا الله) لايزيد عليها حتى تمنيت انى لم اكن أسلمت قبل ذلك اليوم

●●

فانظروا ماذا صنع عصرنا بضمير الانسان وكيف اقتحمه قسرا باجهزته الالكترونية وقد جعله الاسلام منذ خمسة عشر قرنا ، منطقة حراما ؟ واستغفر الله لي ولكم .

الأهرام
وزارة الثقافة والإعلام
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٩ / ٣ / ١٩٩١

حديث رمضان

« وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ۝ »

سورة الإسراء

د . عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطىء

الدين والانسان

أمانة العقل والحواس والجوارح

اشرت فى حديث البارحة إلى الوظيفة الانسانية للقلب والحواس والجوارح ، وضاق المجال عن الاستدلال بالشواهد الموضحة لهذه الوظيفة الانسانية ، من حيث هى فى الانسان ادوات عقل ورشد ووعى ، وليست مجرد اجهزة عضوية لايختص بها إنسان دون وحش ودابة وبهيمة عجماء . وإذ ترك الاسلام اعضاء الجسم البشرى ووظائفها العضوية لاهل العلم بها ، فرض كفاية ، من علماء التشريح والطب والعلاج والدواء ، ترك لهم كذلك علاج امراضها بما يكسبون كل يوم من جديد علم بخواصها واعراضها ، وما يخترعون من اجهزة للكشف والتشخيص والفحص ، لم يكن لسلفهم علم بها .

واما وظيفتها الانسانية وعيا ورشدا وتمييزا ، وما يعرض لها من زيغ ومرض وتعطل ، فهذا ما يتعلق بامانتها الصعبة ، انفرد الانسان بحملها دون سائر الكائنات ، وإذا فرط في تكاليفها ونكص عن تبعاتها خان امانته وهي اية إنسانيته ، ومناط ما يحمله من تبعات التكليف ومسئولية الرشد . فيعفى منها القاصر حتى يرشد ، والسفيه حتى يبرأ من حماقة سفهه ، والمجنون حتى يبرأ من اختلال عقله .

والقلب في القران لب الانسان وموضع الفقه والوعي والرشد ومواطن العقيدة والايمان والتقوى ، أو الكفر والعمى والاثم والنفاق ، يحمل الانسان امانتها ، وكذلك الصمم والبكم والعمى ، بما يعرض للحواس من مرض وظيفتها الانسانية ، لا العضوية ، بصريح الايات .

(افانت تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين) ؟ .

(إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون)

ونظائرها .

ويفصل الله تعالى من آيات هذا المسخ لبشرية الانسان بتعطيل وظيفتها الانسانية ، قال تعالى :

(ومن الناس من يقول امنا بالله واليوم الاخر وما هم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا انفسهم وما يشعرون . في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون .)

(وإذا لقوا الذين امنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون . الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون . اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين . مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لايبصرون . صم بكم عمى فهم لايرجعون) .

(لهم قلوب لايفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها ، اولئك كالأنعام بل هم اضل ، اولئك هم الغافلون)

وينفى القران الكريم الموت عن الموتى الاحياء كالذين قتلوا مجاهدين في سبيل الحق : قال تعالى : (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لاتشعرون)

كما يثبت الموت لمحسوب على الاحياء وقد تعطل وعيه بخيانة امانة رشده ، فقال تعالى خطابا لخاتم رسله عليهم السلام :
(إنك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء) .

(إن الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور)

ويبلغ القرآن بالوظيفة الانسانية للقلب والحواس والجوارح - أدوات رشد وعقل - ان يحمل الانسان امانتها بما يقترف من اوزار وآثام بزيغها فيأتي القلب مسندا إليه الاثم في آية الشهادة على كتابة الديون :

(ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه)

كما يسند إليه الزيغ والاشمئزاز والعمى والقسوة ، في هذه الآيات ونظائرها .

(وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالاخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون)
(افلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)
(فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ، أولئك في ضلال مبين) كما يسند القرآن إليها التقوى والايمان والخشوع ، ونحوها من افعال القلوب والحس الانساني المرهف ، كما في هذه الآيات ونظائرها .
(الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله)
وفي السيرة النبوية لابن إسحاق ، خبر وفد نصارى نجران إلى النبي صلى الله عليه وسلم : وتأثرهم بما سمعوا من آيات القرآن ، وفيهم قال تعالى :
(ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون . وإذا سمعوا ما انزل إلى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين)

ليس هذا فحسب ، بل إن أدوات الرشد : العقل والحواس والجوارح ، تحمل امانة وظيفتها الانسانية فضلا عما يحمل الانسان من امانتها ، وذلك من الملاحظ البيانية الدقيقة في الامانة الصعبة .

وحديث زنى الجوارح مشهور ، رواه الامام احمد في مسنده والطبراني في معجمه الكبير بسند جيد إلى عبدالله بن مسعود ، رضي الله عنه .

★ ★ ★ ★ ★ ★

ولنتدبر هذه الآيات البينات فيمن خاضوا في حديث الافك زورا وبهتانا : (إذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ، ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا ، سبحانك هذا بهتان عظيم)

وآية (يس) في اصحاب الجحيم وشهادة جوارحهم عليهم :
(اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون وآيات (فصلت) في اعداء الله وشهادة حواسهم عليهم :

(ويوم يحشر اعداء الله إلى النار فهم يوزعون . حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون - وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الذى انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة وإليه ترجعون، وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ، ولكن ظننتم ان الله لايعلم كثيرا مما كنتم تعلمون وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من (الخاسرين)

في الموطا والصحيحين عن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه)

★ ★ ★ ★

واستغفر الله لي ولكم :
(ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم)

الاهرام
مركز الاستعلامات والمعلومات
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٣٠ / ٣ / ١٩٩١

حديث رمضان

"وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"

د. عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطئ

الدين والانسان

أمانة الانسان والأمانة العامة

فيما قدمت من قضايا أمانة الانسان ، يبدو الاتجاه فيها إلى الانسان فردا . وهذه الفردية مما خاض فيه دعاة التنوير العصرى وعدوها من ماخذهم على فكرنا الاسلامى .

وليس بغريب أن يجهلوا ذاتية الانسان الاجتماعية في الاسلام ، ولا أن يغيب عنهم أن الانسان حيث جاء في لغتنا وفي كتاب ديننا ، فبدلالة مطلقة للمفرد والمثنى والجمع ، المذكر والمؤنث . ولكنهم لهجوا بتعريف الانسان بانه مدنى بطبعه ، فهلا التفتوا إلى أنه بإنسيته فضلا عن إنسانيته ، اجتماعى بالفطرة ؟

ولسنا بحيث ننكر اهتمام الاسلام بالفرد وعنايته البالغة بامانة رشده وتهذيب ضميره وخلقه وتوجيه سلوكه . وهى عناية قد يسىء المحدثون فهمها فيما يرصدون من اتجاه المذاهب العصرية الى المجتمع على تفاوت بينها فى مواقفها من الفرد : بين إهدار شخصيته أو الاعتراف بها بقدر محدود وقد يعلمون ما كشفت عنه التجربة من خطا الغض شخصية الفرد والتهوين منها والمحاولات المبذولة لتدارك الخطا وتفادى عواقبه بما يعرف بحوافز الطموح .

الذى أود ايضاحه هنا هو أن الاسلام ألغى هذه الحواجز غير الطبيعية بين الفرد والجماعة فهما فيه لاينفصلان . وهو فى عنايته بالانسان فردا إنما ينظر فيه إلى اجتماعيته التى لايمكن تصور إنسانيته بمعزل عنها

وفى الحق إن الذاتية الجماعية أصيلة فى العرب ، عرفت فى نطاق القبيلة يحقق فيها الفرد ذاته غير منفصل عنها وهذا ما أعطى شاعر القبيلة مكانته قائدا سيدا وإن جهل هذا الوضع عامة الدارسين للشعر الجاهلى فلم يلتفتوا فيما أعلم إلى شاعر القبيلة ممثلا أصيلا للحياة العربية فى الجاهلية ومنهم من غض من شان شاعر القبيلة فلم ير فيه أكثر من بوق لقبيلته .

والاسلام فى رفضه لعصبية القبيلة ، اتجه بهذه الذاتية الجماعية الاصيلة فى الانسان إلى مجالها الرحب فى الامة يحقق فيها الفرد ذاته ويستقيم أمر الجماعة بصلاح أفرادها فى اندماج وثيق لاتنفصل فيه فردية عن جماعية . ولا اتحرج بعد طول عكوفى على الدراسات القرانية ، من القول بان الاسلام فى أصول العقيدة وفروض العبادات وأحكام المعاملات وكل التوجيهات لسلوك الانسان إنما ينظر إلى إنسانيته من حيث هو إجتماعى بالضرورة وليست فردية متوحشة وهل ينظر القران إلى الانسان فردا وهو يامره بالعدل والاحسان والبر وصلة الرحم وأداء الامانات إلى أهلها والوفاء بالعهد والصدق والتواضع وينهاه عن العقوق والجور والبغى والفجور وقطع الارحام والرياء والفساد فى الارض ؟

مثل هذه الاوامر والنواهى لاتتعلق بتعامل الانسان مع نفسه ، وإنما هو التعامل مع الناس ، فليس الانسان بحيث يعف ويؤدى الامانات ويفى بالعهود .. أو يخون ويفسق ويعق ويظلم ويغش وينافق ويزور ويعتدى ويطغى ويفجر .. و .. فى نطاق فرديته الخاصة ؟

وتفشو الامراض الجماعية بكثرة المرضى من أفراد الجماعة فتصير إلى وباء مهلك وفى صحيح الحديث المتفق عليه عن أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش رضى الله عنها أنها سالت النبى صلى الله عليه وسلم : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : (نعم إذا كثر الخبث) .

التاريخ : ٣٠ / ٣ / ١٩٩١

(٣)

وعنه صلى الله عليه وسلم قال :

(ما ظهر الغلول الخيانة في قوم قط إلا ألقى في قلوبهم الرعب ولا فشا الزنى في قوم قط إلا كثر فيهم الموت ولانقص قوم المكيال والميزان إلا قطع عنهم الرزق ولا حكم قوم بغير الحق إلا فشا فيهم الدم ولا ختر قوم بالعهد إلا سلط الله عليهم العدو .

وكثيرا ما يتاصل الداء في الجماعة فيعصى على العلاج ويصير طبيعة فيها وسجية كقوله تعالى في قساة القلوب من بني إسرائيل :

(ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله) .

ومع تاصل الوباء بفشو الخبث وتفسد الامكنة والديار فيسند الخبث إليها وإلى القرية بمعنى أهلها والعتو والظلم كقوم لوط وقريتهم (التى كانت تعمل الخبائث)

وكاين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا) .

ومع تقرير الذاتية الاجتماعية فيما يحمل الانسان من أمانته فردا في قومه ومجتمعه يهون على المجتمع التفريط في رقابته على سلوك أفراده فيخون أمانته العامة ويحمل مسئولية ما فرط فيه .

وكذلك تحمل الجماعة أمانتها العامة تبعات تكليف عام في الدفاع عن حرمات للامة لايحل أن تستباح أو تنتهك . وغير مجهول من تاريخ عصر المبعث أن المسلمين الأولين مضى عليهم العهد المكى كله لقوا فيه من مشركي قريش بمكة أشد الأذى والاضطهاد والحصار دون أن يؤذن لهم في قتال تمحيصا لقلوبهم وامتحانا لايمانهم فلما كانت الهجرة أذن الله تعالى لهم في القتال دفاعا عن حرماتهم وتقريرا لمبدأ الإسلام في أمانة المكلفين بمسئوليتهم عن عقيدتهم والزاما بمسئولية الجهاد في دفع الظلم والطغيان . فذلك قوله تعالى :

(أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) الآية

وروى ابن إسحاق في السيرة النبوية ماكان من غيظ يهود يثرب لما رأوا من حال أهلها العرب الاوس والخزرج جمع بينهم الاسلام بعد حروب حاصدة فكان أن دس اليهود في جمع من الانصار الاوس والخزرج من أنشدهم أشعارهم يوم بعاث فهاجت الفتنة وتداعوا الى القتال وتواعدوا على أن يلتقوا في يومهم ذاك بموضع الحرة واندفعوا يتصايحون : السلاح السلاح ، ووجمت دار الهجرة لما سمعت صيحة الحرب . وجاء النبى صلى الله عليه وسلم في جمع من صحابته رضى الله عنهم فادرك القوم في الحرة وقد هموا بقتال فقال عليه الصلاة والسلام : « يامعشر المسلمين الله الله . أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للاسلام واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم ؟) فعرف القوم أنها مكيدة عدوهم وبكوا وعانق الرجال بعضهم بعضا .

وبطل سم هذه الفتنة التى أوشكت أن تضلهم عن مسئوليتهم العامة عن وحدة الجماعة وخاب كيد يهود وفيهم نزلت ايات الاعتصام تذكرة وعبرة بامانة هذه الامة .

(يا أيها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم أياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) .

الآيات من سورة ال عمران . وهى من الوحى المدنى المبكر بعد الهجرة .

وإلى أواخر عصر المبعث ظلت هذه الامانة العامة للامة مشغلة نبينا المصطفى عليه الصلاة والسلام . ففى السنة العاشرة للهجرة حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وفيها علم المسلمين مناسك حجهم وخطب فيهم خطبة الوداع وصيته إلى أمته قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه .

(أيها الناس اسمعوا قولى فإنى لا أدرى لعلى لاألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا . أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا وإنكم ستلقون ربكم فيسالكم عن أعمالكم ..

وبعد أن ذكرهم بوجوب أداء الامانات وتحريم الربا ووضع كل دم كان لهم في الجاهلية وإبطال النسىء أوصى بالنساء خيرا ثم ختم خطبة الوداع بقوله .

(وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا : أمرا بينا ، كتاب الله وسنة نبيه . أيها الناس اسمعوا قولى واعقلوه .. أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم اللهم هل بلغت ؟ قالوا جميعا : اللهم نعم .

فقال عليه الصلاة والسلام : اللهم فاشهد)

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٣١ / ٣ / ١٩٩١

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ »

صدق الله العظيم

د . عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطىء

الدين والانسان

الأمانة العامة ، وتبعات القدوة

من الأمانة العامة ، ما تقوم به طائفة أو أخرى من أبنائها ، فرض كفاية ، لتجد الأمة فى كل موقع من مواقع وجودها من يكفيها عبء أمانته ، فيسقط الفرض عن الكافة . من ذلك قوله تعالى فى فريضة الجهاد :

(وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون .)

التاريخ : ٣١ / ٣ / ١٩٩١

وفي أحكام صلاة الخوف ، شرع الاسلام للمؤمنين أن يقصروا من الصلاة إن خافوا عدوهم : وقال عز وجل خطابا للنبي عليه الصلاة والسلام :
(وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) الآية .
وفي المتفق عليه من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كلكم راع فمسئول عن رعيته : فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عنهم ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم ، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) .

هذا الحديث يوشك أن يضع كل فرد من الجماعة في موضع المسئولية من الأمير وولي الأمر إلى المولى والأجير والخادم . وتتفاوت تبعاتهم بتفاوت مناصبهم ومراكزهم من ولاية الأمور العامة وبها تأخذ القدوة حرمتها في الاسلام ويتقرر جزاؤها مضاعفا ثوابا وعقوبة بما يحمل القدوة من تبعة من يرعاهم ومن يقتدون به .
الرسل عليهم السلام قادة قدوة قال تعالى خطابا لأمة المصطفى والسلام :
(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) .
ونساء النبي كذلك . في موضع القدوة فمسئوليتهن مضاعفة وتبعتها مضاعفة مرتين .

★ ★

ويؤخذ قادة الكفار وطواغيتهم بإثمهم وإثم من اتبعوهم ضلالا وإضلالا :
(ليحملوا أوزارهم يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ، ألا ساء مايزرون .)
دون أن يعفى الذين ضلوا بهم من التبعة ، بل إن هؤلاء الضالين لن يلبثوا أن يضلوا غيرهم فيحملوا الأوزار مضاعفة بتتابع ميراث الضلال من خلف إلى سلف حتى يوم الحساب للضالين المضلين ودخول الجحيم :
(كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا

هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لاتعلمون)

فى الموطا وصحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى تبعات القدوة :
(ما من داع يدعو إلى هدى إلا كان له مثل أجر من اتبعه لاينقص ذلك من أجورهم شىء . وما من داع يدعو إلى ضلالة إلا كان عليه مثل أوزارهم ، لاينقص ذلك من أوزارهم شىء) .

★ ★

والامارة ولاية عامة جليلة الخطر بما يحمل الأمراء الولاة من مسئوليتهم ومسئولية رعاياهم . وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به ، ومن ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه) .

وفى ترجمة « بربرة » مولاة أم المؤمنين السيدة عائشة « رضى الله عنهما جاء فى الاصابة نقلا عن الحافظ أبى عمر أبن عبدالبر بالاستيعاب حديث عبدالملك بن مروان رضى الله عنه ، قال : (كنت أجالس بريرة بالمدينة ـ قبل العصر الاموى ـ فكانت تقول لى : ياعبد الملك إنى أرى فيك خصالا وإنك لخليق أن تلى هذا الأمر فإن وليته فاحذر الدماء فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر إليه ، بملء محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق) .

وفى الخطبة الأولى للولاية العامة قال « أبوبكر الصديق » رضى الله عنه يوم بويع بالخلافة بعد أن حمد الله وأثنى عليه .
(أيها الناس لقد وليت عليكم ولست بخيركم ألا إن أصبت فاعينونى وإن أسأت فقومونى . أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإن عصيت فلا طاعة لى عليكم . ألا وإن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم) .

★ ★ ★

والعلماء فى مركز القيادة والقدوة يحملون الامانة الصعبة بما رفع الله من درجاتهم وقصر خشيته عليهم فقال تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وبما صح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (العلماء ورثة الانبياء) فيقول الامام مالك رضى الله عنه فى ثقل تبعتهم وعظم مسئوليتهم : (بلغنى أن العلماء يسالون يوم القيامة عما يسال عنه الانبياء) .

★ ★ ★

والقضاء أمانة صعبة ومسئولية عظمى يكفى لبيان خطرها حديث أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها فى الموطا والصحيحين ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
(إنما أنا بشر وإنكم لتختصمون إلى فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشىء من حق أخيه فلا ياخذن منه شيئا فإنما أقطع له قطعة من النار .

من هدى القرآن والسنة النبوية ، كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى « أبى موسى الأشعرى » رضى الله عنهما رسالة القضاء التى أجمل فيها منهاج القضاء وسلوك القضاة فى شريعة الاسلام وممن رواها الامام الدار قطنى فى سننه والحافظ أبوبكر البيهقى فى السنن الكبرى
كتب عمر :

(بسم الله الرحمن الرحيم
من عبدالله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، إلى عبدالله ابن قيس سلام عليك .
(أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم إذا أدلى إليك فإنه لاينفع تكلم بحق لانفاذ له :
أس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لايطمع شريف فى حيفك ولاييأس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أوحرم حلالا .

(لايمنعنك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه إلى رشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل .
(الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولاسنة ثم اعرف الاشباه والامثال فقس الأمور عند ذلك واعمد الى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق .
(واجعل لمن يدعى حقا غائبا أو بينة ، أمدا ينتهى إليه ، فإن أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا استحللت عليه القضية فانه أنفى للشك وأجلى للعمى .

(المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا فى حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا فى ولاء ونسب فإن الله تولى منكم السرائر ودرأ الحدود بالشبهات .
(وإياك والغلق والضجر والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات فإن الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الاجر ويحسن الذخر .
فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس . ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله ، فما ظنك بثواب عند الله عز وجل فى عاجل رزقه وخزائن رحمته ؟ والسلام) .

★ ★ ★

(والسلام على من اتبع الهدى)

صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١ / ٤ / ١٩٩١

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۞ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ۞»

صدق الله العظيم

د . عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطئ :

الدين والانسان

الأمانة العامة والشعراء

لا يهون على فيما اكتب عن قضايا أمانة الانسان ، أن أغفل تبعات الشعراء فى مركز القيادة الوجدانى للجماعة ، فالشاعر الانسان اذ ينفس عن مواجعه ومواجده ، ويعبر عن هواجسه و أمانيه ، فليست ذاتيته الانسانية فردية متوحشة ، بل هو وجدان مجتمعه فى ارهف حساسيته ومشاعره ، المستشرف لما يتطلع اليه من أمانى طموحه ، والمعبر عن همرم واقعه .

وقد غبرنا زمانا ونحن فى حيرة من أمر هذا الشعر وموضعه فى وجودنا ما بين الجاهلية والاسلام ، قد غلبت علينا فيه أقوال وأحكام للنقاد القدامى ، ظلت تتناسخ من جيل الى جيل حتى وصلت الينا مثقلة بما أضافه النقاد على تعاقب الأجيال من شروحها وتفسيرها وبراهينها ، فنشبت فى فكرنا لا نكاد نملك منها فكاكا . وتناقلناها تراثا محتوما خلفا عن سلف ، مع حيرتنا بها :

نردد مع قدامى النقاد ما جاء فى كتابه (العمدة) لابن رشيق القيروانى) عن الشعر الجاهلى : (الشعر تجارة العرب) ويقول القدر الموثق من تراث الشعر الجاهلى : (الشعر فى المجتمع العربي سيادة وقيادة ، وشاعر القبيلة الممثل لوجدانها العام ، لم يكن قط تاجرا ولامتسولا ، ولاكان قط مجرد بوق لها اصم . وحفظنا فى قضية الاسلام والشعر

كلمة عن الاصمعى : (الشعر نكد بابه الشر فاذا دخل فى الخير ضعف ولان .

وما جاء فى كتاب (طبقات الشعراء لابن سلام)

[كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم اصح منه ، فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد ، وغزوا فارس والروم ، ولهيت عن الشعر وروايته] .

وراج فينا القول بعداء الاسلام للشعر ، فنعجب لما يقتضيه ذلك من تعطل وجدانهم وتبلد أحساسهم ، بمجرد مجيء الاسلام وأن يعقم بيانهم فجاة ، وهو من اخص امانة الانسان ، وجوهر انسانيته الناطقة .

ونتلو فى كتاب الاسلام أية البيان :

(الرحمن . علم القران . خلق الانسان علمه البيان)

ويقول تراثنا ، فى القدر المحفوظ منه : ان الشعر كان سلاحا من أمضى الاسلحة فى المعركة بين المسلمين والمشركين والاعداء من يهود ، وأنه ظل محتفظا بسلطانه على الوجدان الاسلامى لم يعطله اشتغالهم بالفتوح ، ولم يفقد البيان مكانته فى قوم امنوا بدين ، معجزته بيانية باهرة ..

ونقرا فى السيرة النبوية وتاريخ عصر المبعث مواقف للنبى صلى الله عليه وسلم من الشعر والشعراء ، يستنشدهم فى الحرم المدني ويستنفرهم للجهاد فى سبيل الله بالسنتهم كما نصروه باسيافهم . ثم كانت الفتوح الكبرى بقيادة أمراء من الصحابة

وحاولت فى دراساتى المبكرة لقضية الاسلام والشعر أن أخلص من حيرتى بها ، فكان قصارى ما استطعته ، أن وضعت ما

الأهرام
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١ / ٤ / ١٩٩١

نردد من أحكام رائجة فيها وأحكام متداولة ، موضع نظر نقدي كتسف عن تهافتها وتساقطها ، ونبه الى (قيم جديدة للأدب العربي ، القديم والمعاصر) حاضرت بها في معهد الدراسات العربية العالية ، وفي جامعة عين شمس ، وفي زياراتي لجامعات دمشق والاردن وبغداد وأم درمان الاسلامية والخرطوم ، والجزائر وتونس ، فلما نشرتها دار المعارف بالقاهرة ، شغلت عنها بدراساتي القرانية وعلوم الحديث ، وظلت مع ذلك تشاغلني من حين الى آخر ، فيما أحرص عليه من ترسيخ الصلة الوثيقة بين علوم العربية وعلوم الإسلام ، بعد أن عزلنا بينهما في دراساتنا الحديثة . فجارت علينا هذه العزلة .

فحدث أن اتجه اليها أحد أبنائي الاصحاب ، الاستاذ الدكتور محمد الراوندي من شباب علماء القرويين الذين حظيت بصحبتهم في دراساتهم الجامعية لدبلوم الدراسات الاسلامية العليا ، ودكتوراه الدولة في علوم الاسلام . فكانت دراسته للقضية في (الصحابة الشعراء ، رضي الله عنهم) على أدق الضوابط المنهجية ، فتحا جديدا أرجو أن اقدمه الى قرائي الاصدقاء الذين تربطهم بي صحبة فكرية حميمة .

وأعرض اليوم للقضية ، في سياق قضايا الامانة الصعبة ، من وجهة نظر الاسلام الى الشعر ودوره في القيادة الوجدانية للجماعة ، لاخطر مرحلة من تاريخنا الاسلامي ـ والتاريخ الانساني العام ـ انطلاقا من تصحيح خطأ تورطنا فيه على غفلة منا ، حين نظرنا الى القضية من حيث هي قضية شعرية أدبية ، أحتكمنا فيها الى أقوال علماء الشعر ونقاده ، القدامي والمحدثين ، وفاتنا أننا حين نقول : « الاسلام والشعر » فالقضية اسلامية ، ثم شعرية . وليست قضية أدبية محضة كما تناولها النقاد القدامي والمحدثون ، عدا المستشرقين ـ اليهود منهم بخاصة ـ فانهم نظروا الى جانبها الاسلامي بعين الهوى والتعصب المقيت ، فكاننا جميعا نظرنا اليها بعين حولاء ، ومع سيطرة الأحكام النقدية لعلماء الشعر العربي ونقاده المستشرقين ، زاغت أبصارنا فاختلت الموازين واضطربت المقاييس ، وضلت الاحكام ضلالا بعيدا ، وكان ينبغي لدرسها متكاملة ، أن تعرض كل الاقوال والاحكام الرائجة فينا ، على الاصول الاسلامية ثم يبدأ النظر اليها بموقف النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس مثله من يقضي فيها ، ثم تراث الصحابة الشعراء تلاميذ مدرسة النبوة رضي الله عنهم ، والجيل الاسلامي الاول الذي يمثل موقف الاسلام من الشعر ، ومكانة الشعراء في المناصب القيادية للوجدان العام ، فرض كفاية .

فكان أن تتابعنا على دراسة القضية ، استيفاء لمصادرها من كتب علماء الشعر ونقاده ، واكتفينا من أصولها الاسلامية ، على شواهد ملتقطة من فهم سطحي لآيات الشعراء ، وبضعة أحاديث في الشعر ، دون عناء تخريجها لنعلم أنها أطراف مبتورة من سياقها في الاحاديث كاملة ، ودون تنبه الى ما ينفي الاحكام الملتقطة من أطرافها ، بما صح من أحاديث نبوية في فضيلة الشعر ، ومن مواقف للنبي صلى الله عليه وسلم في استنفار الشعراء الانصار للجهاد بشعرهم والشهادة للشعر بان وقعه على المشركين أشد من وقع النبل ، واستنشاده حسان بن ثابت : « قل وروح القدس معك » . واستدعائه حسان ليرد على شعراء وفد تميم ، وخلعه بردته على كعب بن زهير ، بعد انشاده قصيدته الاسلامية المشهورة . بانت سعاد . ودعائه صلى الله عليه وسلم للنابغة الجعدي ـ بعد انشاده قصيدته الرائية : « لا يفضض الله فاك » . وفاتنا اذ نقف في الصحابة الشعراء على من ترددت أسماؤهم في السيرة النبوية ، وأنهم ليسوا سوى قلة من كثرة بلغت بها الدراسة المنهجية . (للصحابة الشعراء) ستمائة شاعر

وما كنا ، لولا الاستهواء بالاحكام الشائعة والاقوال الرائجة ، ليفوتنا واضح التهافت فيها ، ولما غاب عنا أننا اذ درسنا القضية حولاء ، أن علماء الشعر ونقاده قلما يعنيهم التصريح بكون الشاعر صحابيا ، بل طبقته في الشعراء ، وأن علماء الصحابة ، لا يشغلهم سوى التثبت من صحة الصحبة ورتبة الصحابي ـ ما بين السابقين الاولين والمؤلفة قلوبهم من مسلمة الفتح ، شعراء ، أو غير شعراء ، فغاب عنا بضع مئات من الصحابة الشعراء ، وأكثر من عشرين صحابية شاعرة !

بوعي ماخوذ بالاستهواء والغفلة ، جاز علينا القول بتعطيل دين الفطرة لآية البيان ، وما يعني هذا التعطيل من بلادة الحس وعقم الوجدان ..

* * *

تدبر ايات الشعراء ، يهدي إلى أنها أعلنت عداء الاسلام لشعر النفاق والكذب والتضليل والاغواء ، وأصلت قيما يرضاها الاسلام لشعراء أمته ، ليأخذوا مكانتهم القيادية أمانة صعبة وتكليفا مفروضا وهم الموكلون بالوجدان العام لئلا يصدأ ، وضمير الجماعة لئلا يتحجر ، وحسها الانساني كيلا يتبلد .

استدراك :

وقع سهوا في آية (آل عمران ١٠٤) مع حديث الامس ، سقوط الواو من قوله تعالى : (وأولئك هم المصلحون) صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢ / ٤ / ١٩٩١

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ *»

صدق الله العظيم

د. عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطئ :

في ذكرى يوم بدر
الصوت الآخر

في حساب التاريخ أن المواجهة الاولى بين الاسلام ومشركي قريش في مكة . تختلف تماما عما واجهه في دار هجرته من معركة معقدة بينه وبين أعدائه في ميدان ذي جبهات ثلاث . يلقى فيها حشود قريش في قتال مسلح لاول مرة ، والاعداء اليهود في أوكارهم الخطرة شمالي الحجاز ، وجيوب المنافقين من أهل المدينة . الذين حالفوا يهود ..

وتتداخل هذه الجبهات زمانا ومكانا فيزداد الموقف تعقيدا وصعوبة . من حيث لايستطيع المؤمنون أن يتفرغوا للجهاد في إحدى الجبهات حتى يفرغوا منها فينتقلوا إلى جبهة أخرى .

ويمكن القول مع ذلك ، إن الجبهة اليهودية بدأت تشحذ أسلحتها المسمومة لحرب الاسلام من أول يوم للهجرة ، وان كرهت أن تواجه الاسلام في معركة مكشوفة ، وتريثت ريثما يتحدد مصير القتال مع مشركي مكة ، وقد بدأ في السنة الثانية للهجرة .

و أما المنافقون فتاخر ظهور جيوبهم الخطرة ريثما سرى سم الشيطان فيها بطيئا خفيا لم يكد يلحظ إلا بعد أن ضرى واستشرى يهدد الوجود الاسلامى بدار هجرته ، فى أحرج المواقف .

ذلك كله مما كان يدخل فى حساب التاريخ والسنن الثابتة ، حين بدا الظاهر الرؤية القريبة أن مكة وحدها هى مركز الخطر على الاسلام وأن له فى دار هجرته مامنا من كل خطر .

● ● ●

على ساحة ماء بدر ، كانت أولى جولات المعركة بين المسلمين والمشركين من قريش .

لم تات هذه الجولة فجاة بل سبقتها نذر تراكمت على أفق الحجاز مابين دار المبعث ودار الهجرة معلنة عن حتمية الحرب بين الاسلام والوثنية القرشية ، إذ ليس من طبيعة الاشياء أن يتهادن حق وباطل .

وقد أذن للمسلمين فى القتال بعد طول صبر وبلاء وامتحان . لكنه لم يبدأ مع ذلك فى عام الهجرة الاول الذى مضى كله تعبئة للجهاد وتنظيما للمجتمع الاسلامى فى مركزه بالمدينة ، واكتشافا لابعاد الميدان فى منطقة كانت حتى المبعث ، ولمدى خمسة قرون قبله ، شبه مستعمرة لليهود الطارئين عليها من جنوبى الشام فرارا من وطاة الرومان الساحقة

من مطلع السنة الثانية للهجرة ، بدا المصطفى صلى الله عليه وسلم يخرج فى غزوات قصار إلى مناطق قريبة تدريبا لجنده وإقرارا لهيبة الاسلام فى موقعه الجديد . كما بدأ عليه الصلاة والسلام يبعث سراياه تجوب المنطقة ما بين مكة مركز طواغيت قريش ، والمدينة دار الاسلام فى مهاجره . ولم تكن هذه السرايا قاصدة إلى قتال ، بل كانت دوريات استطلاع لترصد أنباء قريش فى منطقة الحجاز .

أولى السرايا ، سرية ، عبيدة بن الحارث بن المطلب القرشى الهاشمى ، إلى مشارف الحجاز ، وقد لقى جمعا من قريش فلم ينشب بينهم قتال ، سوى أن ، سعد بن أبي وقاص الزهرى ، ـ من جنود السرية ـ رمى سهما فكان أول سهم رمى به فى الاسلام ، فيقول سعد ، رضى الله عنه معتزا بسابقته :

ألا هل أتى رسول الله أنى
حميت صحابتى بصدور نبلى ؟
فما يعتد رام فى عدو
بسهم ، يارسول الله ، مثلى

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢ / ٤ / ١٩٩١

بعد سرية . عبيدة بن الحارث . رضى الله عنه . بعث المصطفى عليه الصلاة والسلام سرية عمه . حمزة بن عبد المطلب . إلى سيف البحر في ثلاثين راكبا من المهاجرين . ثم تلتها سرية . سعد بن أبى وقاص . فبلغت غايتها في أرض الحجاز ثم عادت سالمة لم تلق كيدا .

بعدها كانت سرية , عبد الله بن جحش الاسدى . ـ ـ ابن عمة المصطفى اميمة بنت عبد المطلب ـ ومن هذه السرية اندلع التمرد الذى اوقد الضرام الكامن فتوهج مشتعلا على ماء بدر .

خرج عبد الله بن جحش في ثمانية من المهاجرين , في أوائل رجب من السنة الثانية للهجرة , ورجب من الاشهر الاربعة الحرم التى لايحل فيها قتال . وكانت أوامر المصطفى أن يمضى عبد الله بن جحش بالسرية حتى ينزل بموضع نخلة . مابين مكة والطائف . فيترصد قريشا ويستطلع اخبارها . وحدث في مرحلة من الطريق أن خرج , سعد بن ابى وقاص , وعتبة بن غزوان . ينشدان بعيرا لهما ضل . ثم تخلفا لم يرجعا إلى منزل السرية . وبدا أن قريشا أخذتهما على غرة فاسرتهما . ومضى أمير السرية بمن بقى معه من المهاجرين حتى نزل بنخلة . فمرت عير تجارية لقريش . فيها . عمرو بن الحضرمى . وتحاشى المسلمون القتال حفاظا على حرمة الشهر الحرام . لكن تجنب الصدام مع المواجهة لم يكن مستطاعا . وأطلق . واقد بن عبد الله . رضى الله عنه سهما ـ أصاب ابن الحضرمى فقتله وعندئذ فرت قريش عن عيرها وقتيلها وعن أسيرين منها . وعادت السرية إلى المدينة بالمغانم والاسيرين وهى ترجو أن يفتدى بهما سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان . غير انها قوبلت في المدينة بوجوم ذهب بفرحة النصر , وقال المصطفى عليه الصلاة والسلام (ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام) ثم اعرض عما جاءت به السرية من مغانم , ونحى الاسيرين القرشيين انتظارا لامر الله فيهما . فظن عبد الله وصحبه أنهم هلكوا . واشتد المهاجرون والانصار في لومهم ونقلوا إليهم ماتقوله قريش في مكة : لقد استحل محمد وأصحابه حرمة الشهر الحرام ...

وارجفت يهود بالحرب .

حتى حسم القران ذلك الموقف الصعب المعقد وأنهى كل جدل فيه بكلمات الله البينات .

(يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه , قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام , وإخراج أهله منه أكبر عند الله , والفتنة أشد من القتل ...) الآية

واسترد جند السرية طمانينة قلوبهم

بعد شهرين إثنين , في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة , كانت غزوة بدر الكبرى التى وجهت مسار الاحداث وقررت موازين القوى , لا بين الاسلام والوثنية فحسب . بل في كل صراع كذلك . بين حق وباطل .

وبلغ المسلمين أن قريشا خرجت إليهم بجموعها مزهوة بعددها وعدتها تريد القضاء على الاسلام في دار هجرته . وهى ترى الامر هينا يسيرا . كانها خارجة في رحلة صيد .

ماذا كان من امر المسلمين حين جاءهم النبا ؟

جمع المصطفى صلى الله عليه وسلم صحابته المهاجرين والانصار , وعرض عليهم الموقف من مختلف جوانبه ثم قال يطلب مشورتهم :

(أشيروا على أيها الناس .)

فقام أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب فتحدثا رضى الله عنهما بما رضى لهما إيمانهما , عن فريضة الجهاد والثقة في النصر . ثم قام , المقداد بن عمرو القرشى ـ فدنا من المصطفى عليه الصلاة والسلام . وقال رضى الله عنه :

يارسول الله . امض لما أراك الله فنحن معك . والله لانقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى , عليه السلام (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد ـ باقصى الجنوب ـ لجالدنا معك دونه حتى تبلغه .

دعا له المصطفى بخير . ثم التفت صلى الله عليه وسلم إلى الانصار ـ ولم يكن أحد منهم تكلم بعد ـ وقال : (اشيروا على . ايها الناس)

قال نقيبهم . سعد بن معاذ النهشلى .

ـ والله لكانك تريدنا يارسول الله ؟ قال : (نعم)

فقال سعد . رضى الله عنه يرى أن قومه الانصار لم يكونوا في حاجة إلى كلام

(فقد امنا بك وصدقناك وشهدنا أن ماجئت به الحق . وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة . فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك . فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك . ماتخلف منا رجل واحد .. ومانكره أن نلقى عدونا غدا . لعل الله يريك منا ماتقر به عينك . فيسر بنا على بركة الله)

وسار بهم المصطفى صلى الله عليه وسلم . على بركة الله . حتى نزل بهم على ماء بدر ..

● ● ●

واعطى يوم بدر من عبرته ماهو معروف لنا من انتصار القلة المؤمنة على الكثرة الباغية الكافرة . وغاب عنا من عبرته . حرص النبى صلى الله عليه وسلم على أن يسمع صوت الانصار في حرب على مشارف مدينتهم فطلب المشورة . فتكلم ثلاثة من كبار المهاجرين متعاقبين ولم يقل الانصار كلمتهم ولعلهم أولى بها . فالمدينة دارهم . وهى للمهاجرين من مكة دار هجرة . وما كان أحد يرتاب في استجابة الانصار رضى الله عنهم للجهاد . وهم الذين اووا ونصروا واثروا إخوتهم المهاجرين على انفسهم وأنزلوهم من دورهم واهليهم أكرم منزل . ولا كانوا هم مظنة الحاجة إلى أن يصرحوا بالاستجابة للجهاد . وقد صارت يثرب بهم دار إسلام . ليس له وقتئذ في الدنيا سواها دار . لكن النبى عليه الصلاة والسلام طلب المشورة من أصحابه البدريين رضى الله عنهم . فتكلم المهاجرون وبقى أن يسمع صوت الانصار . إقرارا لمبدأ الشورى وإلزاما بحقها .

وسجلت السيرة النبوية من دروس يوم بدر , حرص النبى صلى الله عليه وسلم على أن يسمع الصوت الآخر . وإن غلب على الظن أنه ما كان في حاجة إلى أن يسمعه

فاعتبروا يا اولى الابصار) صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٣ / ٤ / ١٩٩١

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ * وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ *»

صدق الله العظيم

د. عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطىء

الدين من عبرة الأيام درس من أحد والانسان ورسالة من شهيد

ذكرت في احتفالنا بذكرى النصر يوم بدر الاغر، ما نبهني إليه زميل من أبنائي النبلاء شباب علماء القرويين في مذاكراتنا فيما فرطنا فيه من أمرنا . أننا جرينا على أن نحتفل بأعياد النصر في ذكرى أيامنا التاريخية المشهودات . وقلما نذكر أيام الهزيمة والانكسار . وهي أحق بالعظة وأولى بالاعتبار .

وعدت على بدء استحضر مافاتنا من عبر الايام والليالي . وكان في العزم أن اقدمها في (حديث رمضان) لهذا الموسم لولا شواغل ضاغطة حالت دون تفرغ لها على سعة من الوقت وراحة بال .

التاريخ : ٣ / ٤ / ١٩٩١

(٢)

في الرؤية القريبة الماثلة لذكرى يوم بدر الاغر ، اذكر معه ماكان من عواقبه التي فرطنا في الاعتبار بها ، فقلما ذكرنا يوم أحد مع يوم بدر ، ولا يوم حنين الذى ابتلى فيه المؤمنون إذ أعجبتهم كثرتهم فلم تغن عنهم شيئا وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ... وغابت عنا أيام أخرى كثيرة ، ماكان أشدها وأقساها ، فاضعنا درسها وعبرتها .

فلنتحدث في ذكرى يوم بدر ، عما نسيناه من عبرة النصر ، فكان الدرس يوم أحد أليما موجعا عصيبا .

ما أيهظ أعباء النصر

وما أسرع مايتعرض للضياع بادنى بادرة من تهاون أو تفريط يستمرىء فيها المنتصر فرحته فيغفل عن موقعه تجاه عدوه ويتهاون في تقدير طاقة التحدى في طالب الثار المهزوم !

والنصر يوم بدر قد حمل المسلمين تبعاته وتكاليفه بقدر ما أثقل على قريش بخزى العار وعبأها لاسترجاع شرفها الضائع ، والثار لقتلاها المجندلين على ساحة بدر . وقد احتاجوا الى سنة كاملة ريثما عبأوا قواهم واحتشدوا لمعركة الثار

وخرجوا من مكة . وخرجت معهم نساؤهم يضربن الدفوف على صوت « هند بنت عتبه » :

ويها بنى عبد الدار ويها حماة الادبار
ضربا بكل بتار

إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

ولم تكن هند قد نامت عن ثارها قط ، وفي قتلى بدر السبعين : حنظلة ابن زوجها أبى سفيان ، وأبوها عتبة بن ربيعه بن عبد شمس ، وأخوها الوليد بن عتبة ، وعمها ، شيبة بن ربيعه ، ثلاثة ممن لقوا مصارعهم بسيف الفارس الهاشمى حمزة بن عبد المطلب .

....

حتى إذا دنوا من المدينة خرج إليهم المصطفى عليه الصلاة والسلام في ألف من المسلمين لم يلبثوا أن نقصوا بضع مئات من المنافقين : قبل أن يلتقى الجمعان عند جبل أحد ، في منتصف شوال من السنة الثالثة للهجرة .

والتحم الجمعان ، ولم تختل موازين القوى التي تقررت من قبل يوم بدر : كان النصر في أحد للمسلمين أول الأمر ... لكن [illegible] ، وقد كشفوا الكثرة المشركين عن عسكرهم فولوا الادبار تاركين لواءهم على الساحة مهزوما .

التاريخ : ٣ / ٤ / ١٩٩١

لكن المسلمين تعجلوا الموقف فتركوا مواقعهم في الميدان وأسرعوا يهجمون عسكر قريش بعد انكشافهم عنه .

وتركوا القائد المصطفى حيث هو في قلب الجبهة ، ليس معه سوى نفر قليل ثبتوا في مواقعهم حوله . ولاحت الفرصة لخالد بن الوليد المخزومي وكان يترقبها بنظرة ثاقبة فهجم بغتة بكتيبة خيل قريش من الثغرة التي كشفها المسلمون . وكرت فلول قريش راجعة الى الميدان الذي سيطر عليه خالد ، وبادرت إحدى نسائهم فالتقطت لواءهم ورفعته لهم .

....

وكان ما لابد أن يكون تغير وجه المعركة وضاع النصر من المسلمين وقد كان لهم دون ريب . ولولا ثبات القائد المصطفى والنفر القليل من أصحابه معه لكانت الكارثة .

واطردت المقاييس لم تتخلف :

استرد المسلمون وعيهم للموقف بعد أن ساورهم اليأس منه حين ارجف المشركون بان محمدا قد قتل . لكنه صلى الله عليه وسلم كان هناك جريحا مخضب الوجه بالدماء يوجه جنده من موقعه في قلب الجبهة ومن حوله النفر المؤمنون قد جعلوا من أجسادهم دروعا لقائدهم المصطفى . وما إن صاح أحدهم ببشرى حياته صلى الله عليه وسلم حتى عاد المسلمون جميعا فاخذوا مواقعهم هناك وتقهقر . جيش المشركين قانعا بالنصر المخطوف وابتدروا الطريق عائدين الى مكة لايكادون يصدقون ماكان .

وفرغ المسلمون لقتلاهم الشهداء . ومضى المصطفى يلتمس عمه الفارس الشهيد ، حمزة بن عبد المطلب . فوجده هناك ببطن الوادي قد صرعته حربة غادرة سددها إليه ، وحشي ، مولى جبير بن مطعم القرشي ، بتحريض ، هند بنت عتبة ، التي جاءت فرقصت على مصرع الفارس الشهيد ومثلت بجسده الطاهر فبقرت بطنه عن كبده فلاكتها ثم لفظتها . وجدعت انفه وأذنيه فتخذت منها حليا بدلا من حليها التي دفعتها الى وحشي من ثمن الصفقة الغادرة .

قال عليه الصلاة والسلام حين رأى عمه حمزة :

(لن أصاب بمثلك أبدا . وما وقفت موقفا قط اغيظ الى من هذا) وأمر صلى الله عليه وسلم فسجوا ببردته حمزة ، وصلى عليه مكبرا سبع تكبيرات .

ثم جيء بالشهداء فكانوا يوضعون واحدا بعد الاخر الى جانب حمزة فيصلي النبي عليهم وعليه حتى بلغت مرات الصلاة على سيد الشهداء اثنتين وسبعين صلاة . بعدد الشهداء يوم احد .

وتجاوبت أرجاء الحجاز مابين أم القرى ودار الهجرة . باصداء المعركة في نقائض الشعراء من الحزبين . يستهلها . عبد الله بن الزبعرى السهمي) من كبار شعراء قريش .

والاصداء تتلاقى وتتصادم . كاشفة في وهج الملحمة عن أبعاد الميدان وأسلحته . لمعركة طويلة المدى

★ ★ ★

في ذلك اليوم العصيب افتقد المصطفى صلى عليه وسلم صاحبه . سعد بن الربيع الانصاري ، ـ أحد النقباء في بيعة العقبة الكبرى ـ فقال لمن حوله

(من رجل ينظر لي مافعل سعد بن الربيع ، أفي الاحياء هو أم في الاموات ؟) .

فذهب رجل من الانصار ينظر لرسول الله صلى الله عليه وسلم مافعل سعد ، فالفاه غير بعيد من ساحة القتال جريحا وبه رمق ، فخبره عما كان من افتقاد المصطفى له وسؤاله عنه فجمع . سعد . مابقي له من رمق المحتضر وقال رضي الله عنه لرسول المصطفى إليه :

(أبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عني السلام . وقل له ان سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خير ماجزى نبيا عن أمته

(وأبلغ قومك مني السلام وقل لهم إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لاعذر لكم عند الله إن خلص العدو إلى نبيكم صلى الله عليه وسلم . وفيكم عين تطرف) .

وأسلم الروح مطمئنا بعد ان بعث رسالته الى الحبيب المصطفى والى قومه الانصار .

ولم ينس الصحابة رضي الله عنهم . شهيدهم سعد بن الربيع ورسالته وفي الخبر ـ بالسيرة النبوية ـ أن رجلا دخل على أبي بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم . وقد ضم طفلة صغيرة الى صدره وأقبل عليها يلاعبها ويقبلها . فسأل الرجل من هذه ؟

أجاب الصديق أبو بكر (هذه بنت رجل خير مني سعد بن الربيع . كان من نقباء العقبة وشهد بدرا واستشهد يوم أحد)

كذلك لم ينس تاريخ الاسلام رسالة سعد . الجندي الشهيد . بل استوعب مغزاها ودلالتها ورصد موقعها من نفوس المؤمنين تزيدهم ثباتا واستبسالا . ومن نفوس اعدائهم . تهز ثقتهم في جدوى معركة خاسرة بلا ريب . يخوضونها مع أمثال هؤلاء الجند المؤمنين الذين يرون الموت في سبيل عقيدتهم حياة وانتصارا . فما يبالي احد منهم حين يقتل في سبيل الله

الأهرام
مركز الدراسات والتنظيم والأرشيف
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٤ / ٤ / ١٩٩١

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إنى ملك ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم إنى إذا لمن الظالمين ﴾

صدق الله العظيم

د. عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطئ

الدين والانسان الأمانة الصعبة ، وحقوق الانسان

حديثي السابق عن الامانة العامة للامة تكليفا ، أو لطوائف منها ، فرض كفاية كالامراء والولاة والعلماء والقضاة . ذلك الحديث يصلح لان يكون توطئة لما استقبل من حديث عن حقوق الانسان ، من حيث هى أمانة عامة للامة نضالا عن كرامة إنسانيتها ووعى رشدها .

وأقطار وطننا الكبير تحتفل سنويا بذكرى إعلان حقوق الانسان من هيئة الامم المتحدة بامريكا قبيل منتصف هذا القرن الحالى . وغير مستبعد أن يكون لامة أو لأخرى احتفالها الخاص بعيدها لحقوق الانسان ، لكن ليس على النطاق العالمي لوثيقة الامم المتحدة التى يبدو أنها حجبت ماعداها ، اللهم إلا أن نذكر إعلان شعار الثورة الفرنسية المشهور (الحرية والاخاء والمساواة) أواخر القرن الثامن عشر .

(٢)

★ ★ ★

فيما يتعلق بالاسلام وحقوق الانسان ، ظهر منذ ثماني سنين مقال لفضيلة الاستاذ ، الدكتور يوسف القرضاوي ، عميد كلية الشريعة بجامعة قطر ، كشف فيه عن اقدم ونيقة لاعلان حقوق الانسان ، سبقت في التاريخ إعلان الثورة الفرنسية .

ونشر المقال في (الكتاب التذكاري للعيد الالفي للازهر ، الذي صدر في جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ ، مارس ١٩٨٣ م عن الامانة العامة للاحتفال بعيد الازهر الالفي ، باللغة العربية والترجمة الى الانجليزية .

عنوان المقال : (رسالة الازهر بين امس واليوم والغد) قال فيه يؤرخ لهذه الرسالة في أواخر العصر المملوكي الثاني - ومقاومة الحملة الفرنسية :

وإني لاحس بالنشوة والفخر كلما قرأت تاريخ تلك الحقبة ووجدت الازهر هو العقل المدبر واليد المحركة لتلك الحركات الثورية . استمع معي إلى هذه الفقرة عن ثورة أكتوبر سنة ١٧٩٨ ، أي بعد ثلاثة اشهر من الاحتلال الفرنسي : ، وشكلت لجنة قيادة الثورة بجعلت الازهر مقرا لها ، وانتخب الشيخ السادات رئيسا لها ، ونظمت كتائب المتطوعين وزودتها بالاسلحة ....

[ولم يكن الأزهر قائد الكفاح ضد الاحتلال الاجنبي فقط ، ولكنه كان قائد الكفاح الدستوري ضد الاستبداد الداخلي كذلك . ففي سنة ١٧٩٥ قبل الحملة الفرنسية ، اضطربت الامور من طغيان المماليك . وعلى رأسهم مراد وابراهيم ، فنهض وفد من العلماء في مقدمتهم السيد عمر مكرم للدفاع عن الحريات العامة ومناهضة الاستبداد . وألزموا الطاغيتين بشروط سجلت في وثيقة تعهدوا فيها بإقامة العدل والتوبة من العدوان . ويعدون بالقيام بالواجبات التي يفرضها عليهم الشرع والعرف من صرف الأموال على مستحقيها ورفع الضرائب المستحدثة ، ويتكفلون بكف أتباعهم عن امتداد أيديهم إلى الاموال ، وأن يسيروا في الحكم سيرة حسنة]

[هذه الوثيقة التي استخلصها العلماء من الحكام ، تعد أقدم وثيقة لاعلان حقوق الانسان ، فقد سبقت في التاريخ إعلان حقوق ..

الأهرام
قطاع خدمات المعلومات
التاريخ : ٤ / ٤ / ١٩٩١

الانسان في اعقاب ثورة فرنسا سنة ١٧٩٨ . سجل علماء الاسلام هذه الوثيقة في عصر عرف بالتاخر العلمي والركود الادبي والانحطاط العام في حياة المسلمين] .

وأغلب الظن أن هذه الوثيقة الهامة حجبت كذلك عن التداول العام ، فيما حجب من ثورات محلية اقليمية ضد الظلم والاستبداد . والكتاب التذكاري محدود مجال التوزيع ، ولم أطلع على المصدر الذي اثبته فضيلة الدكتور القرضاوي ، على هامشه للمادة التاريخية .

ـ (كتاب كفاح الشعب للسيد محمود أمين حسونة ، بتصرف ، وانظر الازهر في ألف عام للدكتور أحمد عوني) .

ومهما يكن حظ هذه الوثيقة من التوثيق ، فما ينبغي ان تمر شهادة فضيلة الدكتور القرضاوي لها ، دون نظر أو تعقيب نظرا لمكانته في الفكر الاسلامي الحديث ، وانتمائه أصلا الى الازهر الشريف

فضيلة الاستاذ الدكتور ، من المرجوين لان يبلغوا الناس أن تاريخ شعوبنا ، قبل وبعد هذه الوثيقة المستخلصة من الحكام المماليك في سنة ١٧٩٥ م ، حافل بثوراتها الباسلة على الرق الجماعي بالاستعمار ، ورفض الظلم والطغيان والفساد .

ولعل فضيلته اراد بشهادته لهذه الوثيقة التي استخلصها علماء الاسلام من الحكام في اواخر العصر الثاني للمماليك ، التركيز في العيد الالفي للازهر ، على دور علماء الاسلام (في الكفاح القومي ضد الاحتلال الاجنبي ، وضد الاستبداد الداخلي) والتنبيه على أن تاريخ الوثيقة المملوكية ، أسبق من الحملة الفرنسية على مصر بثلاث سنوات أو اربع

فلنقل إن هذه الوثيقة شهادة لمصر بانها لم تنم على ضيم في أحلك فترة من تاريخ عصر المماليك ، وشهادة بانهم استجابوا لتوجيه علماء الاسلام ، وأصغوا الى كلمتهم ، فلم ينكروا عليهم ما حملوا من أمانة النصيحة في الدين ، قياما بتكليف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وطاعة لله تعالى

وفي الحديث المتفق عليه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(الدين النصيحة) قيل لمن قال (لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم)

قال شراح الحديث . وأما النصيحة لائمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به . والمراد بائمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بامور المسلمين من أصحاب الولايات . وأما نصيحة عامة المسلمين ، وهم من عدا ولاة الامور ، فارشادهم لمصالحهم في اخرتهم ودنياهم . .

وقد أرى أن في تعبئة علماء الاسلام الشعب لمقاومة الاحتلال الفرنسي حيث كان الازهر مركزا لهذه التعبئة ، شاهدا على أن مصر لم تكن ، حتى أواخر عصر المماليك ، نائمة عن وجودها الحر في انتظار الحملة الفرنسية لتهز مضاجعها بطلقات المدافع تدك قلاع الاسكندرية ، وتوقظها من نومها كي تستقبل مطلع عصرها الحديث !

فلنقل كذلك إن كفاح مصر ضد الاستبداد ومقاومتها الاحتلال الفرنسي أواخر القرن الثامن عشر للميلاد ، يدخل في حساب التاريخ العام ، لا الاسلامي فحسب ، كجولة من جولات معركة طويلة باسلة لنضال الانسان ـ منذ كان ـ من أجل الحرية والكرامة والعدل .. وبضيق المجال عن ذكر ما يحضرني من تاريخ جولات هذه المعركة النبيلة فحسبي أن أذكر الغافلين منا ان الرسل جميعا ، من عهد أولهم سيدنا نوح ، إلى المصطفى خاتمهم عليهم السلام ، كانوا دعاة تحرير لاممهم من مهانة العبودية لغير خالقهم ، والخلاص من طاغوت الجبابرة . لا أحتاج في الاستدلال لذلك الى مراجعة مصادر التاريخ الديني لامم أولئك الرسل ، منهم من قص علينا القرآن أنباءهم ، ومنهم من لم يقصص . يكفي أن نتلو في القرآن الكريم من أنباء الاولين ، هذه الايات البينات من رسالة نوح عليه السلام (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم اليم .. فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين . قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون .. ويا قوم لا أسالكم عليه مالا إن أجري إلا على الله ، وما أنا بطارد الذين آمنوا . إنهم ملاقو ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون .. وياقوم من ينصرني من الله إن طردتهم ، أفلا تذكرون .. ولا أقول لكم عندي خزائن الله ...) الايات .

وهذه الايات مما يتلوه المسلمون كافة أو يتلى عليهم وان لم يعلموا بالضرورة أن نوحا ، عليه السلام أول الرسل ، فتكون الايات ـ ونظائرها شاهدا على أن البشرية قديمة عهد باعلان التوحيد والمساواة . والغض من كبرياء الاكابر الذين تزدري أعينهم أراذل يفضلونهم بالايمان ..

ثم تظل القضية مجالا لبيان مطالب حقوق الانسان في الاسلام ، على وجه نلقى به أبناءنا في هذا الزمان الذي نحتفل فيه سنويا بعيد حقوق الانسان ، تكليفا من المنظمة الدولية للامم المتحدة أو مجاراة لاعضائها من الدول العظمى .

(فذكر إن نفعت الذكرى . سيذكر من يخشى ★)

صدق الله العظيم

استدراك

سقط هذا الشطر من ختام حديث الامس :

★ على اى جنب كان في الله مصرعه ★

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٥ / ٤ / ١٩٩١

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ
كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ
إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا
وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا
مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا
فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ »

صدق الله العظيم

د . عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطىء

الدين والانسان

حقوق الانسان والاسلام الحرية .. والرق

فى حديث الامس عن وثيقة لعلماء الازهر ضد الظلم والفساد أواخر العصر المملوكى ، قبل الحملة الفرنسية على مصر ـ سنة ١٧٩٨ ـ جرى ذكر شعار الثورة الفرنسية فالتبس تاريخها ـ سنة ١٧٨٩م ـ بتاريخ الحملة ، فوجب التنبيه .

واتحدث عن الاسلام فاذكر : انني لا أجد فيه حقوقا للانسان بالمفهوم الشائع ، بل هى فيه من أمانة انسانيته : تبعة تكليف ومسئولية رشد . وفرق بعيد بين حق للانسان لا حرج عليه فى أن يتنازل عنه ، او يطلبه ممن بيده المنح والمنع ، وبين تكليف دينى لا يملك الانسان أن يفرط فيه أو يتنازل عنه ، ولا هو بمتروك لسواه ، ان شاء منح واذا شاء منع .

التاريخ : ٥ / ٤ / ١٩٩١

فاذا جرى القلم واطلقنا عليها صفة حقوق للانسان ، فعلى سبيل التجوز والتسمح في التفاهم بلغة العصر .

في حقوق الحرية ، لسنا أحرارا في أن نعبد غير خالقنا وحده ، ولا أن نفرط في أمانة العقل بالالغاء او التعطيل والمصادرة ، كما لسنا احرارا في تعطيل حرية الرأى فندخل في زمرة من سماهم النبي عليه الصلاة والسلام الشياطين الخرس ، ولا نحن أحرارا في التخلى عن مسئولية اعمالنا وكسبنا ومسعانا .

ومطالب الحرية اصل لما نطلق عليه (حقوق الانسان) واذا كان من المتعذر تناول قضية الحرية في مجالها العام الذى يلم باطرافها ويلتمس رصيد الانسانية فيما حملت من أمانتها ، فكذلك يبدو من العسير تناولها في مجالها الاسلامي الرحب بما هي أهل له من امعان النظر والتدبر ، وفاء ببعض حقها .

والقضية ذات شعب ، منها ما يتصل بالحرية العامة من الرق ، ثم حرية الاعتقاد وحرية الفكر والرأى ، وحرية الارادة فيما هو من كسبنا ومسعانا .

وايرادها على هذا الترتيب ، ملحوظ فيه ان حرية الانسان المنافية للرق ، مقررة له بمجرد مولده إنسانا ، بشرا سويا . ثم تاتي حرية الاعتقاد والفكر ، من لوازم إنسانيته وتكاليف رشده . ثم حرية الارادة الكسبية مع (الايمان بالقدر خيره وشره) وهي أصعب مطالب الحرية . وإن كانت الاساس الذى يقوم عليه حمل الانسان ومسئولية عن عمران الارض أمانة التكليف .

وفي الحق إن الحرية (كل) لا يتجزأ . فان تكن البشرية قد وصلت بعد كفاحها دهورا وأحقابا الى اعلان تحرير الانسان من الرق ، فلا يزال عليها أن تكافح طويلا ضد الاسترقاق الجماعي للشعوب بالاحتلال العسكرى وبدائله العصرية ، دون أن تكف لحظة عن المجاهدة والجهاد في سبيل تحقيق وجودها الكريم ، نضالا عن حرية العقيدة والضمير والعقل والفكر والرأى والارادة الكسبية ، مدركة أن حرية الانسان كل لا يتجزأ ، وأى مساس بجانب منها عدوان على كرامة الانسان وتعطيل لمسئولية أمانته .

ولعلنا في حاجة كذلك الى أن تناضل لتحرير مفهوم الحرية من شوائب المسخ كيلا تلتبس بالفوضى والانحلال ، ولكي يرسخ اليقين بان

هذه الحرية ليست منحة أو عطاء من مخلوق مثلنا يمن بها علينا أو يمنعها ويصادرها . بل هي فرض تكليف على كل قادر على حمل تبعاتها . أهل للاضطلاع بمسئوليتها الصعبة .

فلننظر بعد هذه التوطئة العامة الى موقف الاسلام من الحرية والرق . والحديث عنه يطول ويتشعب ، فتكفى الاشارة الى المبادىء .

مبدأ الحرية من الرق ، يتقرر للانسان اصلا في دين الفطرة بمولده بشرا سويا . كما يتقرر اصلا بالتوحيد جوهر الدين كله ، لا يعبد الانسان سوى خالقه وحده . لا يشرك بعبادته مخلوقا بشرا مثله . واذا كانت البشرية قبل الاسلام قد تورطت في شبهة تقديس القادة والحكماء ، اثرا من رواسب ميراثها من عصر عبادة الابطال البديل عن عصر تعدد الآلهة . فان كتاب الاسلام فيما استصفى من جوهر الدين كله في الرسالات التي جاء خاتما لها ومصدقا بها ومهيمنا عليها . قد أعلن المبدأ الأصل لكلمة التوحيد

في قوله تعالى لخاتم رسله عليهم السلام (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله . فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون)

ومع تقرير مبدأ التوحيد المنافي لعبودية الانسان غير خالقه ، واسترقاق مخلوق لمخلوق مثله . واجه الاسلام في زمن المبعث مجتمعا متصدعا بطبقية تقوم على استرقاق الأحرار للموالي من الأسرى والعبيد . وبدت المشكلة معقدة عصية على الحل الواقعي الذي يقوض فجاة كيانا اجتماعيا بأوضاع رسختها تقاليد موروثة واعراف مقررة دون أن يشرع لوضع هذه الطبقة المسترقة . في مجتمع إسلامي قوامه التوحيد .

وما ينبغي لي أن أتعلق بشهادة كتاب منا ومن الأجانب . بان وضع الرق في الاسلام أهون من وضعه في أمم سابقة كالرومان واليونان والفرس . فليست القضية مقارنة بين أوضاع للرق سابقة ولاحقة . بل مشكلة وجود رقيق في مجتمع إسلامي قوامه التوحيد . ومهما يكن من رسوخ وضع الرقيق في المجتمع العربي وتفشيه ، فليس كرسوخ الشرك فيهم . نقضه الاسلام من أساسه . ودين الفطرة يقدر بلا ريب أن حساسية الانسان لعبادته . اقوى من حساسيته لوضع طبقي .

والحق أن الاسلام في مواجهته مشكلة الرق . عمد إلى إغلاق منفذ الاسترقاق لاسرى الحرب والقتال . كما عمد إلى تصفية الرق القائم . من حيث هم طبقة . أو أفراد . فأما عن إغلاق منفذ الاسترقاق للاسرى فقد نزل فيه الحكم بتخيير المسلمين فيهم بعد انتهاء القتال بالنصر . بين المن عليهم باطلاقهم من الاسر . أو قبول الفدية فيهم . قال تعالى (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) الآية .

وفي تصفية الرق القائم . عهد بمسئولية تحرير (الرقاب) من حيث هم طبقة . الى الجماعة وولي الأمر . والعبء فيها على بيت مال المسلمين . حيث حدد مصارف بيت المال فجعلها ثمانية . خامسها لتحرير الرقاب .

وأما تحرير رقبة . في الحالات الفردية . فمسئولية المؤمنين افرادا . احتمالا لاساءة الانسان (سورة القيامة) وكفارة عن عدد من الذنوب كالحنث في اليمين . والقتل خطا والظهار بان يجعل الرجل زوجته محرمة عليه كظهر أمه . ثم يريد العودة اليها . كما شرع الاسلام (المكاتبة) منفذا اخر لتصفية الرق القائم . فاذا رغب العبد في فك رقبته مقابل مبلغ معين من المال يكتبه على نفسه . فالحكم الشرعي أن يجاب الى رغبته وعلى الذين اتاهم الله من ماله أن يؤتوهم من مال الله

(.. والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا . وأتوهم من مال الله الذي آتاكم) ..

والى أن تتم التصفية . شرع الاسلام الاحكام الخاصة بالرقيق رجالا ونساء . تامينا لهم من الضياع . ولئلا يتركوا للهوى

وإذا كان المجتمع الاسلامي قد بقي فيه رقيق في العهد النبوي والخلافة الراشدة . فقد كانت بلا ريب بقية في طريقها الى الحرية . لولا ما طرأ على الأمة الاسلامية بعد عصر الخلافة الراشدة من ظروف وأوضاع ضيعت على الانسانية ما أتاحه لها الاسلام مبكرا لخلاصها من مهانة الرق . قال تعالى

ويبقى ضمير المؤمن نفسه اللوامة . تابى عليه أن يستعبد إنسانا لعله أقرب الى الله منه . وتظل الانسانية كادحة أبدا لتحقيق وجودها الحر الكريم . بما نتلو من كلماته عز وجل في رفض عبودية بشر لبشر مثله . ولو كان نبيا رسولا

(ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة . ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله) صدق الله العظيم

الأهرام
مركز الدراسات والوثائق
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٦ / ٤ / ١٩٩١

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ »

صدق الله العظيم

د . عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطىء

الدين والانسان

حقوق الانسان ، والاسلام
فطرة التدين ، وحرية العقيدة | ١

تاخذ حريه العقيدة مكانها الاسمى فى أمانة الانسان من حيث تتعلق باخص ما يميزه عن سائر الكائنات وهو التدين فطرة ، والتعبد الاختيارى بارادة كسبية ، لافيما هو مقدور عليه لا إرادة له فيه قال تعالى (ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها)

السجود فى أصل معناه اللغوى الخضوع وهو فى الاية كما ذهب علماء القران والاصول عام فى المخلوقات جميعا خضوعا للنواميس الالهية ، لايخرج عنها الملائكة والشياطين ، الانس والجن والبشر ، المؤمن والضال والكافر ، النبات والجماد ، قالوا (وذلك ضربان سجود باختيار وليس ذلك إلا للانسان وحده وبه يستحق الثواب ويسجود بتسخير لسائر الكائنات

وقوله تعالى (ولله يسجد ما في السماوات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لايستكبرون) يدخل فيه النوعان من السجود الاختيارى ، وذلك للانسان ، والسجود بالتسخير ، ويدخل فيه مع الانسان سائر الكائنات وكذلك قوله تعالى
(تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم) .
الكائنات كلها تسبح بحمده شاهدة على القدرة الالهية ، مسيرة بنواميس الهية دالة على حكمة الخالق في التسخير لما يقوم به الوجود وتحقق المصالح ودفع المضار وبقاء النوع ، لايخرج اى كائن على سنن النظام الكوني المحكمة .

قال علماؤنا (والاشياء كلها تسبح له شاهدة على حكيم صنعه ، وتسجد له بخضوعها جميعا لنواميس السنن الثابتة ، والتسبيح بمعنى تنزيه الله تعالى ، كالسجود عبادة ، من الانسان خضوعا لفطرته واختيارا بكسبه ، ولاخلاف في أن السموات والارض والدواب ، مسبحات من حيث أن احوالها تدل على حكمته)
ولا أعلم بينهم خلافا في أن الانسان متدين بطبعه ، فما كان من سجيته وفطرته فلا عتاب عليه ولاملامة ، وما كان من كسبه فعليه مسئوليته ، تقليدا كان او اختيارا . في (الموطا والصحيحين) عن أبى هريرة رضي الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه)

حتى إذا عاش فبلغ رشده ، حمل تبعة عقيدته اختيارا ، قال تعالى في الوصية بالوالدين إحسانا (وإن جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلى) وقال تعالى
(حتى إذا بلغ أشده وبلغ اربعين سنة قال رب أوزعني ان اشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وان أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين ، أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن

ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة . وعد الصدق الذى كانوا يوعدون . والذى قال لوالديه أف لكما أتعداننى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى . وهما يستغيثان الله ويلك امن إن وعد الله حق . فيقول ما هذا إلا أساطير الاولين) الايات

وكون الانسان مولودا على الفطرة . متدينا بطبعه . نقل فيه شيخ الاسلام . الحافظ ابن حجر . فى الفتح . قول من تأولوا الفطرة بالاسلام . وأراهم نظروا فيه إلى كون الدين الاسلامى خاتما لرسالات الدين . المصدق بها والمهيمن عليها بما استصفى من جوهر الدين فى كلمة التوحيد :

(قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله . فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) الاية

واية (فطرة الله التى فطر الناس عليها) يدخل فيها بعمومها فى الناس . الدين كله

وجوهره التوحيد ـ كما يمكن أن تدخل سائر الملل والنحل التى عليها الناس . متدينين بفطرتهم لايمكن ان يعيشوا فى فراغ من العقيدة (وما من قرية إلا خلا فيها نذير)

وقد أعيا البشرية من قديم . أن تدرك التجريد المطلق للاله الواحد الفرد الصمد . منزها عن التجسيد والتشخيص . فالتمست على فترات من الرسل معبودات تجسد لها فكرة غامضة عن الاله الخالق الفرد وتشخصه فى ايات قدرته وحكمته ونعمائه لكنها لاتلبث مع تطاول الزمن وتعاقب الاجيال ان تنسى الرمزية وتعبد الرموز شريكة للخالق او مجسدة له .. وبقى فى أعماق الوجدان الانسانى قبس لاينطفىء من نور الله الذى دعا اليه رسله عليهم السلام . فيريبه من الاصنام الصماء البلهاء أن يصنعها عابدها . وأن يكسرها احد العباد فلاتملك لنفسها نفعا ولاضرا وعبد الانسان القمر والشمس والنجوم . وقد يعرض لها خسوف وكسوف وأفول . وعبد الانهار وهى قد تغيض وتجف

ذلك أمر مريب من حيث لايجوز على الاله الخالق المعبود . أن يعرض له أى عارض مما يعرض لمخلوقاته .

مثل هذا القبس من الوعى والقلق المرتاب . لايصح عادة لعامة الناس . بل ليس من شانه كذلك أن يصح لكثرة من خاصتهم . بل يكفى ان يتوهج فى فرد يمثل الضمير الانسانى فى أرهف حساسيته . ارهاصا بحركة تحول مستشرفة الى عصر جديد . مثلما صح هذا الوعى لابراهيم فى عصر الوثنية ـ قبل مبعثه عليه السلام بشيرا برسالات الدين الكبرى

فمضى بطيل التأمل فى آفاق الكون حوله . قلقا مرتابا يلتمس الها يعبده غير تلك التماثيل البلهاء الصماء البكماء التى وجد آباءه وقومه لها عابدين واصطفاه الله تعالى نبيا رسولا خليلا . وتلقى هو وابنه اسماعيل عليهما السلام رسالة الخالق عز وجل . أن يرفعا القواعد من البيت العتيق ويطهراه للطائفين والعاكفين والركع السجود . ومن وقتئذ عرف العرب مناسك حجهم وعمرتهم . واقاموا على الحنيفية ـ دين ابراهيم عليه السلام ـ زمانا . فلما كثر بنو اسماعيل بمكة . زاحمهم بنو خئولتهم من جرهم . فتفسحوا فى البلاد واخرج بعضهم بعضا وكان الذى سلخ بهم الى عبادة الاوثان والحجارة . أنه كان لايظعن من مكة ظاعن الا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصبابة بمكة . فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا ونهما بها وصبابة بالحرم وحبا له . وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على إرث ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ثم مضى ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره . فعبدوا الاوثان وصاروا الى ما كان عليه الامم قبلهم على ارث ما بقى فيهم ; وفيهم على ذلك من عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فيتنسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة ومزدلفة واهداء البدن والاهلال بالحج والعمرة مع إدخالهم فيه ما ليس منه)

فى هؤلاء . كان مبعث المصطفى عليه الصلاة والسلام خاتما لرسالات الدين . ايذانا برشد الانسانية وأهليتها لحمل أمانة عقيدتها . وإن أعياها أن تدرك التجريد المطلق للاله الخالق الواحد الفرد الصمد . وأعياها كذلك ان تحيا فى فراغ من العقيدة . فلنتابع مسيرتها فى عصر رشد الانسان (وعلى الله قصد السبيل)

صدق الله العظيم

الرئاسة
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٧ / ٤ / ١٩٩١

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ»

صدق الله العظيم

د . عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطىء

الدين والانسان

فطرة التدين ، ومنطق الوثنية والشرك

فى مكة ام القرى كان مولد المصطفى الهاشمى القرشى ومنزل عشيرته الهاشمية وقبيلته القرشية صفوة العرب العدنانية ، صريح ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام .

ولم تكن مكة حين المبعث تشكو فراغا من العقيدة وفيها بقية الحنيفية ، دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وهى الحاضرة الدينية الكبرى للعرب ، مهوى أفئدتهم ومثابة حجهم منذ خرج ابرهيم عليه السلام بولده اسماعيل وليدا وأمه هاجر المصرية فتركهما فى جيرة البيت العتيق ، ومكة وقتئذ مقفرة خلاء ، بواد أجرد غير ذى زرع . ورجع عليه السلام الى داره بارض كنعان وهو يدعو :

(٢)

(ربنا انى أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) واستجاب الله لدعائه ، وكان من لطفة تعالى بام اسماعيل ووليدها الرضيع أن انبثق نبع زمزم ودبت الحياة فى الوادى القفر . وشب اسماعيل فى جيرة البيت العتيق وأصهر الى جرهم من عرب الجنوب العاربة ... وتلقى مع أبيه رسالة الله : (أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) .

الوجود الدينى لمكة اقدم من ذلك العهد بزمن بعيد . تسللت فيه الوثنية الى البيت العتيق فدنسته حتى طهره ابرهيم واسماعيل للطائفين والعاكفين والركع السجود ، وأذن ابراهيم فى الناس بالحج .

وبدأت مرحلة جديدة من تاريخ البلد العتيق وتاريخنا الدينى : عمرت مكة باجيال من بنى اسماعيل وزاحمتهم جرهم - وفيهم خئولة ولد اسماعيل . فكان ما أشرنا اليه فى حديث البارحة ، من أنهم تفسحوا فى البلاد فكان لايظعن من مكة ظاعن منهم الا حمل حجارة من حرمها فحيثما حلوا او ارتحلوا نصبوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة إعظاما لها وصبابة بالحرم . فلما تطاول الزمن خلفت أجيال نسيت رمزية التعظيم للبيت العتيق فى أثر منه ، وعبدت الله فى الرموز ، أو عبدتها معه ، عجزا عن ادراك التجريد المطلق لله الواحد المنزه عن التشخيص والتجسيد .

وظل فيهم مع ذلك بقية من ميراثهم الدينى فى قلة من الحنفاء على دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، وفى تعظيم العرب جميعا للبيت العتيق والحج اليه وأداء مناسك حجهم على الحنيفية ، مشوبة بالوثنية والشرك ، كلما طال عليها الأمد ازدادت رسوخا وحرمة . ويشهد لقدم عهد العرب بها قبل زمن ابراهيم واسماعيل عليها السلام ، أن عهد الله إليهما فى تطهير بيته للطائفين والعاكفين والركع السجود ، كما يشهد لهذا القدم أن كانت أسماء أصنام للعرب فى جاهليتها الاخيرة ، مسماة باسماء أصنام للكفار من قوم نوح عصر ماقبل الطوفان ، نبانا القرآن الكريم عنها فى سورة نوح .

(وقال نوح رب إنهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا . ومكروا مكرا كبارا . وقالوا لاتذرن الهتكم ولاتذرن ودا ولا

(٣)

سواعا ولايغوث ويعوق ونسرا) . الايات .

في كتاب الاصنام لأبي النضر هشام بن محمد بن السائب الكلبي) تفصيل الخبر عن أصنام بهذه الأسماء كانت للعرب في أواخر الجاهلية ، وجاء الاسلام وهم عليها .

في العرب كانت كذلك ، أواخر الجاهلية ، بقية من الصابئة عبدة الشمس والقمر والنجوم ، مثلت لهم ايات عظمة الله وقدرته وكريم نعمائه فعبدوه فيها ـ عجزا عن إدراك التجريد المطلق لله ثم عبدوها ..

وما كانت قريش ـ وقد اصطفى الله خاتم رسله منها وبعثه فيها ـ لتجهل سفاهة التعبد لأصنامها الشائهة وإنما استنكفت الغض مما مضى عليه اباؤها العظام وأنكرت أن يمسها أحد بسوء . وإنهم مع ذلك ليقولون : « مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » ، قال تعالى :

(ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وقال تعالى في الصابئة منهم :

(ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله ...) (ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون .)

ولم يطيقوا مع ذلك سب أصنامهم حمية لأبائهم ، ولعلهم ما أنكروا على الاسلام شيئا قدر أن عاب أصنامهم وسفه عقول ابائهم ، وأجمعوا أمرهم على مقاومته من قبل أن تلوح على الأفق بادرة نذير بقتال ، بل من قبل أن يتجاوز عدد الذين امنوا به بضعة عشر رجلا وامرأة .

روى ، ابن اسحاق ، في السيرة النبوية ، أنه لما دنا أول موسم للحج بعد المبعث ، وان وفود القبائل على مكة ، اجتمع زعماء قريش في دار الندوة ـ حيث كانت تعقد ندواتهم للمشاورة في كل أمر ذي بال ـ وقام فيهم ، الوليد بن المغيرة المخزومي ، وكان ذا سن وشرف فيهم ، فقال : يامعشر قريش ، إن وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بأمر صاحبكم ، فأجمعوا فيه رأيا واحدا ولاتختلفوا فيه فيكذب بعضكم بعضا ، وطالت مداولاتهم واشتدت حيرتهم ، حتى أجمعوا اخر الأمر على رأي للوليد أن يترصدوا للوفود على مداخل مكة فيأخذوا سبل الناس لايمر بهم أحد إلا حذروه من سماع مايتلو محمد من كلام هو السحر ..

ثم كان هذا المشهد لمن أجمعوا على صد العرب عن سماع هذا القران :

سجى الليل وهجعت مكة ، والمصطفى صلى الله عليه وسلم في بيته ، قائما لربه يتهجد بالقرآن حتى انبلج الفجر فصلى .

وغير بعيد من بيته التقى ثلاثة من زعماء قريش على غير موعد : « أبو سفيان بن حرب بن امية القرشي الاموي ، وأبو الحكم ـ هو أبو جهل ـ بن هشام بن المغيرة المخزومي ، والاخنس بن شريق الثقفي » ، وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون : فيم الخروج في هذا الوقت ؟ وإذا كل واحد منهم قد تسلل في الليل متسترا بالظلام فبات ليلته يستمع مايتلو محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ من القران . فتلاوموا وتعاهدوا على ألا يعودوا إلى مثلها لئلا يراهم بعض السفهاء فيوقعوا في نفسه شيئا من الريبة .

حتى إذا كانت الليلة التالية عاد كل منهم خفية إلى مجلسه قريبا من بيت المصطفى ، وفي حسابه أن صاحبيه على عهدهما أن لايعودا ، حتى طلع الفجر فجمعهم الطريق فتلاوموا وانصرفوا على مثل عهدهم الأول .

فلما كانت الليلة الثالثة تسللوا فرادى إلى حيث أخذ كل منهم مجلسه يستمع القران حتى مطلع الفجر لايدري أحد منهم بمكان صاحبيه إلى أن جمعهم الطريق فتلاوموا وتناكروا ، ثم لم يبرحوا مكانهم إلا على عهد موثق : أن لا يعودوا لمثلها أبدا ...

●● ومضت قريش على مقاومة الاسلام عنادا واستكبارا وحمية لدين ابائهم . يشهد لذلك أنهم في مفاوضاتهم ومساوماتهم مع المصطفى عليه الصلاة والسلام ومع عمه أبي طالب بن عبد المطلب ، عرضوا أن يرضوا منه بأي شيء يرضيه ، على أن يكف عن عيب دينهم وتسفيه أبائهم . فلما عصى على المساومة تسلطوا على المسلمين الاولين بالاذى والفتنة والاضطهاد والمقاومة والحصار ، فما زادوهم إلا صبرا وثباتا .

ولقي المشركون من أمرهم نصبا : كلما انكشف بالقران ودعوته إلى التوحيد الخالص ، زيف عبادتهم وسفه ابائهم ، مضت قريش في غيها غضبا لأصنامهم وحمية لأبائهم ، والنبي عليه الصلاة والسلام يتلو :

(وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الألهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب . وانطلق الملا منهم أن امشوا واصبروا على الهتكم إن هذا لشيء يراد . ماسمعنا بهذا في الملة الأخرة إن هذا إلا اختلاق . أألقي عليه الذكر من بيننا . بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب .)

صدق الله العظيم .

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٨ / ٤ / ١٩٩١

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم»

صدق الله العظيم

الدين والانسان

د . عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطىء

الأمانة الصعبة ، وحرية العقيدة

بعقلية الجماعة المحكومة بنظام القبيلة وتقاليدها الصارمة تحمي بها وجودها وبقاءها .. لبثت قريش تقاوم الاسلام لم تفتر يوما عن الدفاع عن دينها الموروث : كانت الوثنية على فترات من الرسل تشخيصا للاله المعبود ورمزا لميراثها الديني من رسالات الله . ثم لما تاه الرمز وعبدت الرموز كانت عبادتها اعلانا عن تشبثهم بما مضى عليه الآباء وفرارا من الفراغ من العقيدة . وتصدى مجتمع القبيلة لعداوة الاسلام عجزا عن ادراك الوحدانية . ومضى العهد المكي كله . وهم لايكفون عن تكذيب وجدل عن آلهتهم وانهم مع ذلك ليقولون (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)

وقد خاضت قريش بعقلية الجماعة جولات معركتها الخاسرة مع دين التوحيد . من يوم بدر في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة الى يوم فتح مكة في شهر رمضان من السنة الثامنة . فلئن طالت المعركة واستغرقت سنين عددا . مع يقينها من عقم ما تحارب لاجله . لقد ظلت الجبهة الاسلامية تتلقى تباعا بددا من جبهة قريش ومن والاها . لحقوا بحزب الله فرادى استنكافا من أن يعبدوا مع الله اصناما شائهة بلهاء فبلغ بهم عدد الذين شهدوا الفتح مع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف من المهاجرين والانصار . وقد كان عدد الذين شهدوا يوم بدر . بضع مئات .

وفتحت أم القرى قلبها للمصطفى الهاشمي ومن معه من ابنائها المهاجرين واخوانهم الانصار . ولم يدر يومها قتال . وكانما عاشت أم القرى في انتظار هذا اليوم التاريخي لتتحرر من أغلال الوثنية وتتطهر من رجس عارها . واسلم أهلها جميعا . جيرة الحرم الاقدس . وكانهم كانوا يتطلعون الى اليوم الذي يكفون فيه عن حرب عقيم . وينبذون الاوثان التي حاربوا من أجلها فما اغنت عن نفسها . وانتهى عصر الوثنية بعد ليل بهيم

انهارت الاصنام جذذا مهينة تحت مواطىء اقدام المؤمنين . وأعز الله قريشا بالاسلام وقد أعزها من قبل باصطفاء خاتم رسله منها . وأعز الاسلام بها فتتابعت وفود القبائل العربية الى دار الهجرة . فبايعت النبي صلى الله عليه وسلم عن قبائلها في سنة الوفود . التاسعة للهجرة

وكتب . ابن اسحاق . مؤرخ عصر المبعث في (السيرة النبوية)

(وانما كانت العرب تتربص بالاسلام امر هذا الحي من قريش – جيرة الحرم المكي – وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن قريشا كانوا إمام الناس وأهل البيت الحرام وصريح ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقادة العرب . لاينكر ذلك منكر منهم وكانت هي التي عبات لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملت لواءها فلما افتتح مكة ودانت له قريش دخلوا في دين الله افواجا) .

وان للانسانية ان تحمل رسالة التوحيد في مدرسة النبوة حفظ الجيل الاسلامي الاول . كتاب الاسلام خاتما لكتب الله تعالى . ومصدقا لها ومهيمنا عليها بما استصفى من جوهر الدين كله . فاستشرفوا بالتوحيد الى

ادراك ما اعيا البشرية من تعقل التجريد المطلق للاله الواحد الفرد الصمد . المنزه عن تشخيص وتجسيد . وفي منتصف القرن الماضي . سجل الأستاذ الفرنسي . جوستاف لوبون . بما استوعب وتقصى من شهادات لمؤرخي الحضارة والاديان والاخلاق (للاسلام كل الحق في ان يمن على الانسانية المتدينة . بالتوحيد النقي المحض)

وان للانسان المكلف بتبعات امانته ورشده . أن يحمل مسئولية عقيدته بارادته الكسبية غير مكره عليها . وقد ختمت رسالات الدين وتبين الرشد من الغي

والاسلام في اقراره لحرية التدين يفرضها على المؤمنين تكليفا . ويلزمهم بها تجاه غيرهم دينا وسلوكا . لا لمجرد التسامح والمجاملة أو المسالمة

وتقديرا لما في فطرة البشر الرسول من حرص على أن يؤمن قومه . والناس جميعا . بدأ القرآن فاخذه بمبدأ مسئوليتهم عن ضلالهم بعد أن بلغهم رسالة الحق وبين لهم الهدى . لأن العقيدة لاتكون عقيدة حتى تصدر عن اعتقاد حر . والايمان لايكون ايمانا حتى يرسخ في القلب والضمير عن رضى خالص وطمانينة لايشوبها قلق وارتياب او مسايرة ومراءاة

في العهد المكي . عهد التمحيص والامتحان . نزل من الايات في اقرار مبدأ مسئولية الانسان المكلف عن دينه . وتسفيه من ينكص عن تبعه رشده

(ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا . أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)

(وقال الذين أشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولاحرمنا من دونه من شيء . كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين)

ومن ايات الايناس للمصطفى عليه الصلاة والسلام

(قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون . ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ماكذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا . ولا مبدل لكلمات الله . ولقد جاءك من نبأ المرسلين . وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء فتاتيهم باية . ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين)

(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن . ان ربك اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين)

في مستهل العهد المدني . نزلت الاية الحاسمة بلا لبس تحظر الاكراه في الدين (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم)

واذ كان الاسلام شهادة باللسان وعملا بالجوارح طاعة للاوامر واجتنابا للنواهي زاد علينا الدين ان جعل الايمان منوطا بالقلوب قال تعالى

(قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم)الاية

ثم كان على النبي صلى الله عليه وسلم فيما كلف به من البلاغ المبين . ان يفصل ما أجمل القرآن منه وان يراقب أصحابه - تلاميذ مدرسة النبوة - في سلوكهم تطبيقا لمبدأ حظر الاكراه في الدين . فبلغ به صلى الله عليه وسلم أن جعل ضمير الانسان منطقة حراما لايحل اقتحامها والحكم على مسلم بما يخفي صدره ويضمر قلبه فذلك للخالق وحده

في كتاب الايمان من صحيح الامام مسلم من حديث . اسامة بن زيد بن حارثة (رضي الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في سرية الى جماعة من جهينة . فادرك . أسامة . رجلا منهم اشتدت نكايته على المسلمين . فلما رفع عليه السلاح قال لا إله الا الله . فظن أسامة أنه يتعوذ بها من القتل . وقتله في رواية أنه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بما كان وفي رواية أن الخبر كان قد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قبل مقدم اسامة فسأله (اقال لا اله الا الله . وقتلته ؟ قال اسامة قلت يارسول الله . انما قالها متعوذا من السلاح قال (افلا شققت عن قلبه حتى تعلم اقالها أم لا ؟) قلت لقد اوجع في المسلمين وقتل فلانا وفلانا فقال (وما تصنع بلا اله الا الله ؟ قلت استغفر لي يارسول الله فمازال يكرر (وما تصنع بلا اله الا الله) لايزيد عليها حتى تمنيت اني لم اكن أسلمت قبل ذلك اليوم

●●

فانظروا ماذا صنع عصرنا بضمير الانسان وكيف اقتحمه قسرا باجهزته الالكترونية وطرقه الشيطانية وقد جعله الاسلام منذ خمسة عشر قرنا . منطقة حراما لايحل ان تنتهك أو تستباح واستغفر الله لي ولكم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٩ / ٤ / ١٩٩١

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝.

صدق الله العظيم

الدين والانسان

د. عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطىء

فطرة التدين، وتحديات العصر (١)
المادية الالحادية ومنجزات التقدم العلمي

في عشر الاعتكاف، أواخر الشهر المعظم، أطيل التأمل في قضايا شاغلة للموقع الفكري من وجود أمتنا، يضل فيها مسرانا بغير دليل من نور الفجر الصادق، يعصمنا من الاستهواء بما يروج في أسواقنا من بضاعة تحمل بطاقات عصرية منتحلة، يبشر بها دعاة تنوير بالمتاح لهم من أجهزة النشر ووسائل الاعلام، مقروءة ومسموعة ومرئية.

حديث اليوم عن الفكر المادية الالحادية اقتحمت ثغورنا مدسوسة في بضاعة انفتاح عصري تستهوي المتفرنجة من أبنائنا، ثم لا نكاد نفحص البضاعة حتى ينكشف لنا زيف عصريتها، ويتبين بيقين أنها رجعية وثنية، رجع صدى لما قاله الوثنيون في الدهر الغابر، عصر ما قبل الطوفان.

ولعل من السادة القراء من يستغرب أن أكتب اليوم عن المادية الإلحادية بعد هزة . جورباتشوف . التي كانت موضوع (حديث رمضان) للموسم الماضي كله . رصدا لما تصدع من صروح للشيوعية كان ظن معتنقيها أنها لن تبيد أبدا . فهل تعجلت الحكم عليها بالانهيار والسقوط . قبل انتظار ما تكشف عنه التجربة من آثار ونتائج ؟

لا أراني تعجلت الحكم ، ولا كنت في غفلة عن المتوقع من اصطدامها ببقايا الشيوعية . إذ ليس من طبيعة الأشياء أن تنقض صروحها دون أن تترك بقاياها ورواسبها . إلا أن يشذ الوضع فينهار بنيان قارب عمره قرنا ونصف قرن . دون أنقاض و أشلاء ..

ولعلي توقعت كذلك أن يتعجل عملاق المادية الرأسمالية فيكشف القناع عن مآربه ومراميه . ويتطلع إلى أن يرث رصيد قرن ونصف قرن من كفاح الشيوعية لنشر تعاليمها . ونضالها المثير لتأصيل مكانتها الدولية . إحدى دولتين عظميين في عصرنا — لتنفرد الرأسمالية بموضع القمة وتستأثر بالسيطرة على عالم اليوم . والتحكم في مصاير شعوبه واستغلال موارد ثروته . واستنزاف عرق جماهيرها الكادحة . حتى إذا أشرفت على الهلاك عجل العملاق بإسعافها بما يمسك عليها رمقها . لتظل مسخرة في قضاء مآربه

وبناء عليّ أي حال من الهموم والهواجس والمواجع ما يشغلنا عن ذبول الصراع بين الدولتين العظميين في السباق المحموم على مناطق النفوذ . لولا أننا نحن مناطق النفوذ و (الأحجار على رقعة الشطرنج) في لعبة السيطرة على مراكز القوى

والقضية الشاغلة من ظواهر أزمة فكرنا الديني هي أن فينا من لا يزالون يلهجون بعصرية المادية الإلحادية والتنويه بما حققت لروسيا الحديثة من مكانة دولية عظمى . والمثابرة على التبشير فينا بهذه العصرية التقدمية . في غيبة الوعي بأن أقطاب الشيوعية تنبهوا إلى خطر التحدي لفطرة التدين . وعقم المحاولة لإحلال (المذاهب) بديلا من العقيدة الدينية

في عنفوان المد الشيوعي الجانح . لم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٩ / ٤ / ١٩٩١

يخذلني إيماني بحتمية سقوطه . وقبل ان أقرا بيانه (المانيفستو) وكتب فلاسفة المذهب وشراحه ادركت انه مناقض لفطرة الانسان . ثم تبين لى . بطول النظر الى المذهب ومناظرة من لقيت من اقطابه . أنه يحمل فى صميمه عناصر فشله وسقوطه بالتناقض الواضح بين مبادئه . . وتهافت قواعده فيما قرأت وعلمت

وأتقى الاستطراد إلى ما ليس لى من نظر نقدى فى المذهب . لاذكر أننى فى عنفوان المد الشيوعى أيضا . تتبعت بوادر الفشل لمحاولة إحلال المذهب بديلا لما أطلقوا عليه (افيون الشعوب) ومضى على تلك المحاولة قرن كامل . لتكتشف عجزها عن إعطاء أى بديل من العقيدة الدينية . وتوقن أن إنسان العصر الذى اكتشف ما اكتشف من مجهول العناصر والقوى واستخدمها فى معجزات التكنولوجيا والطموح إلى ارتياد افاق رحبة للمجهول من علم بالكون والحياة لايمكن قهره على ان يعيش فى فراغ من العقيدة . وان أى جديد من النظم الوضعية والمذاهب العصرية مصيره حتما إلى فشل وسقوط . إن ظل يتجاهل حقيقة أن الانسان ليس مادة صماء . وهو قد يعيش فى ظل أحدث النظم والاوضاع . وعالمه النفسى منسوج بعواطف ونوازع وهواجس ومواجد . لاتستجيب لاى تفسير مادى . ووجوده المعنوى محكوم باسرار خفية معقدة . لاتحلها ادق المعادلات الرياضية

وقرن كامل ليس وقتا قصيرا فى امتحان تجربة إحلال المذهب بديلا من الدين .

والقياس الزمنى لعالم القرن العشرين . لابد أن تدخل فيه الأبعاد المترامية لعصرنا فى جراة اقتحامه لافاق المجهول . وسرعة تقدمه وامتداد أبعاد طموحه

فكان أن دونت فى سجل (شهادتى للعصر) مالاح لى على الافق الرحب للعالم الانسانى . من بوادر الوعى المدرك لعقم أى محاولة لقهر فطرة التدين وفشل إحلال المذهب بديلا من العقيدة

من منتصف هذا القرن العشرين . ظهرت محاولات مصالحة بين الدين والمذهب . تمنح الانسان سلامة النفسى وتريحه من ضغط الانسحاق بين العقيدة والمذهب . وفى سنة ١٩٥٨ أوفد (الفاتيكان) بعثة سلام من كبار رجال الدين فى زيارة رسمية للاتحاد السوفييتى حيث تم الاتفاق على العمل المشترك من أجل السلام . وفى شهر ابريل من عام (١٩٦٦) استقبل البابا بولس السادس . اندريه جروميكو وزير الخارجية . وفى شهر ابريل من العام نفسه . اذيعت انباء عن مفاوضات تجرى فى براغ بين . الكاردينال فرانز كونيج . ممثلا للبابا . وبين حكومة تشيكوسلوفاكيا لاعادة العلاقات الدبلوماسية ـ بعد قطيعة عشرين عاما ـ وذلك بعد ان نجحت جهود سابقة مع المجر ويوغوسلافيا . فى قبول حق الكنيسة فى التوجيه الدينى لرعاياها الكاثوليك فى هذه الدول الشيوعية . دون أن يتعارض ذلك مع السلطة السياسية .

وارتبطت هذه البوادر ـ فيما رصدت ـ بوصية . بالميرو توليانى : الزعيم السابق للحزب الشيوعى الايطالى . أوصى فيها قبل رحيله . بضرورة تقدير الحزب للواقع الايطالى الذى يغلب عليه التدين . ونصح بوجوب اتقاء أى تعارض او اصطدام للحزب مع الدين .

وكتبت وقتئذ ما أنقله من سجل . شاهدة عصر . . لا استبعد أن يكون التطور المنتظر للشيوعية . هو التراجع عن موقفها ضد الدين .

اليوم . تحت ضغط القهر والاحباط المسلح أرقب من مرصدى بالموقع الذى . ظاهرة إلحاح على الموقع بما حققت روسيا الحديثة من مكانة دولية تدين بها للمادية الالحادية التى أيقظتها من خدر الافيون

وتروج هذه المقولة . مموهة بصدفة عصرية . يكفى أبناءنا للكشف عن زيف عصريتها. أن ينصتوا لما يتلى عليهم من ايات الذكر الحكيم . فى جدل الوثنيين من ثمود فى الزمن الغابر. بعد هلاك الكفار من قوم نوح بالطوفان

(ثم أنشأنا من بعدهم قرنا اخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون . وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون إن هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين . أن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين .

صدق الله العظيم

الأهرام
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٠ / ٤ / ١٩٩١

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ • أَزِفَتِ الْآزِفَةُ • لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ • أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ • وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ • وَأَنتُمْ سَامِدُونَ • فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا •»

صدق الله العظيم

الدين والانسان

د . عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطئ :

فطرة التدين ، وتحديات العصر (٢)

المادية الالحادية ، ومنجزات التقدم العلمي

كان من مظاهر الخلط بين المادية الالحادية والمكانة الدولية لروسيا الحديثة . أن شاع فينا كذلك الربط بين الماركسية والتقدم العلمي ، بشهادة المنجزات العلمية والتقنية الباهرة التي حققها الاتحاد السوفيتي المعاصر . ولاجدال في أن لهذا التقدم صلة بالمذهب لكنه ليس مرتبطا به بالضرورة ، ارتباط سببية . لو لاه لما كان تقدم يشهد لنفي هذه السببية أن شاركت امريكا ـ عدو الشيوعية اللدود ـ في السباق العلمي إبان حربها للشيوعية ولم يقل أحد ان دولا شيوعية كالبانيا وبلغاريا ويوجوسلافيا ارقى علميا من دول غير شيوعية كالمانيا وانجلترا واليابان

الشبيبة للعلم التجريبي والحاحها في مطاردة العلماء بالمحاكمات والطرد والحرمان . كان علماء الإسلام في العصر الذهبي للحضارة الإسلامية . ينطلقون في طمأنينة وأمنه من تأييد عقيدتهم للدين وإكبارها العلماء . ينظرون في الظواهر الكونية بعقلية جديدة متحررة . ويمارسون التجارب المعملية لإثبات النظريات العلمية والكشف عن جديد منها . فقدموا جديدا أصيلا من العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية ودخلوا التاريخ العلمي روادا لآفاق لم يسبقهم إليها من قبلهم فكانوا هم الذين أصلوا المنهج التجريبي . وقدموا إلى التاريخ العلمي أوليات الكشف العلمية في الطب والتشريح والصيدلة والكيمياء والطبيعة والفلك والملاحة والجغرافية وقدموا معها مخترعاتهم من أجهزة التجربة المعملية والرصد الفلكي والخرد الجغرافية والملاحية حرروا المنهج العلمي .

وغير مجهول أن عطاء الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي الرائد كان منطلقا إلى عصر العلم الحديث . والزاد الذي تزودت به حركة « الرينسانس » في مسراها من العصور الوسطى إلى عصرها الحديث

فلئن كانت الماركسية عجلت بجحد الدين ومناصبته العداء . لقد كان احتشادها لحرب الدين في معركة الخلاص من « أفيون الشعوب » والتبشير بالبطولة من تخديره . شاهدا على إدراكها سلطان الدين على الشعوب ورسوخ التدين في فطرة الإنسان مثلما كانت محاولتها إحلال « المذهب » بديلا من العقيدة الدينية . **شاهدا على وعيها** باستحالة أن يحيا الإنسان في فراغ من العقيدة فلما خاب مسعاها لإحلال هذا البديل اتجهت محاولتها من منتصف هذا القرن الحالي . إلى مصالحة الدين في الوقت الذي تنطلق فيه روسيا في سباق التقدم العلمي وحققت فيه جولات رائدة ظافرة . تساءلت الأمر مسبقا على كثرة من مثقفيها الماركسيين ينسبونها إلى المذهب وفسروها بالبطولة من خدر أفيون الشعوب وغاب عنهم منطقيا من تقدير انطلاق المذهب الفطرية التدين والعجز عن إحلال المذهب بديلا من العقيدة

من هذا الربط الخاطئ بين المادية الإلحادية والتقدم العلمي الباهر لروسيا المعاصرة تعقدت « أزمة الفكر الديني المعاصر » بما يكاد يساويها من صعقة المعاناة الناشئة بين رسوخ التدين في فطرتهم . وجبروت المادية وعنفوان الجيل الجديد من معجزات « التكنولوجيا »

المتطورة وأسلحتها الرهيبة المدمرة

الإنسانية في مسيرتها الكادحة إلى مراقي طموحها سجلت عصورا زاهرة للتقدم العلمي . كعصر البخار وعصر الكهرباء والاتصال السلكي واللاسلكي وعصر الطيران . وعصر الترانزستور وأعجب لحفاء الجسيرة النيرة لأمتنا نذكر ما تحقق من عصور التقدم العلمي بإعجاب خالص لما حقق الإنسان من انتصاره بالعلم . حتى إذا جئنا إلى العصر الحديث . أثمرت تقدمه العلمي المذهل في وعينا بمآسي الحروب الساحقة ومجازرها الحاصدة وأسلحتها الفتاكة فاختراع القنبلة الذرية لا ينفصل في وعي شهود العصر عن تجربتها الفاجعة في هيروشيما ونجازاكي

ونذكر تطور الأسلحة تكنولوجيا الطيران الحربي بعد منتصف هذا القرن العشرين . مقترنا في وعينا بحرب الساعات الست من خامس يونيو المشئوم سنة ١٩٦٧ . استطاع فيها ... الطائرات المتطورة بين أمريكا وإسرائيل ... سلاحنا الجوي . وتحصد ... الألوف من جندنا . في جولة خاطفة ساحقة

واستغرقت « حرب إيران — والعراق » بالأسلحة التقليدية ثماني سنين

ولم تستغرق « حرب عاصفة الصحراء » لتحرير الكويت أكثر من شهر وبعض شهر بأسلحة متطورة أثبتت فعاليتها المذهلة في سجل إحصائي رهيب لمئات ألوف القتلى اختلطت أشلاؤهم بأنقاض الدمار وأطلال العمران . وخلفت ملايين الضحايا أشباحا هائمة بين الخرائب والأطلال

ربما لا يستغرق تنظيف أرض الخليج من أشلاء القتلى وأنقاض الدمار وإطفاء حرائق آبار البترول . ثلاث سنين أو أكثر وستولد أجيال مشوهة معوقة من الضحايا مع أجيال متطورة من معجزات التكنولوجيا ومكتشفات

خواص أشعة الليزر والموجات الصوتية

● ● هل يصير الإنسان الذي حقق هذه المعجزات الباهرة على تجارب جديدة لإطوار متطورة من أسلحة متطورة تحقق الأجنة في بطون أمهاتها . وتخلف أجيالا مشوهة مشوهة . وتقذف بقايا الأحياء الموتى أشباحا هائمة في تيه الخراب ؟

لا ارتياب في أن الإنسان لن يصبر طويلا على فحش استغلال العلم لتشويه إنسانيته وإعتبالها . وتسخير الدين لتشويه العقل

قد يعجز جيل عن حمل هذه الأمانة الصعبة فيخلف جيل ليسوا أمثالها قال تعالى « وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » صدق الله العظيم

وقد ارى بشهادة الواقع والمنطق ان التقدم العلمي لروسيا الحديثه . اقرب الى أن يحسب لانتصارها على سلطة رجال دين من أمثال . راسبوتين . الراهب الدجال . لا على الدين وفطرة التدين

وكان القرن التاسع عشر قد شهد توترا حادا في الخصومه بين المذهب المادى وبين الفلسفه المثالية من ناحية والعقلية الكهنوتية من جهة اخرى وبلغ التوتر وضع الازمة عندما أعلن ماركس . في سنة ١٨٤٨ تفسيره المادى للتاريخ . وبيانه الشيوعي فهز صرح الكهنوت بتحدد الاديان ثم لم تمض عشر سنين حتى نشر . داروين في سنه ١٨٥٩ كتابه (اصل الانواع) فقدمت نظريته في نشوء الانواع وتطورها بالانتخاب الطبيعي . تفسيرا بيولوجيا للغيبيات اللاهوتيه وقال فانلون بامكان تفسير كل شيء في الكون بالمادة والقوة فاتسعت الهوة الفاصلة بينهم وبين رجال الدين الى مدى جعل احتمال التفاهم او التقارب عسيرا . ان لم يكن متعذرا

وازدادت الازمه حدة وتعقيدا ولم يبق من رجاء الا في أن يتمالك الانسان رشده واتزانه بعد ان اخذه دوار الاعصار وهو امل بدا أشبه بسراب لكن الانسانيه تعلقت به لادراكها الواثق أنه اذا كان من المستحيل تصور امكان تحقيق وجودها بغير علم . فمن المستحيل عليها كذلك ان تحيا بغير عقيدة

غير ان الماركسيه لم تشد نموى وتشتد في صراعها مع الكنيسه حتى عملت باخراج الدين من المعاد . ولعلها لم تواجه في حركتها عقبه أصعب واخطر من عداوتها للدين فسرت بوهم الخلاص مما وصفته بأفيون الشعوب فكان احتشادها لمعركة تحرير الشعوب من خدر افيونها نكسه عقليه وحضاريه الى ما كانت البشريه من خصومه عنيفه بين العلم والدين كان المرجو ان يكون الدين في خاتم رسالاته قد استطاعها لمناقضتها دين الفطرة

معجزة الإسلام الخالدة نسأل آياته الاولى آيات الإنسان والقراءة والقلم والعلم الكسبي . والعلم مناط تكريم الإنسان وعنصر جوهرى من عناصر انسانيته والعلم في القرآن الكريم قرين الإيمان وقد قصر الله خشيته على العلماء ورثة الأنبياء

وحين كان الغرب الاوروبي يتخبط في ظلمات عصوره الوسطى ويمضي باضطهاد

الأهرام
مركز الدراسات والمعلومات
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١١ / ٤ / ١٩٩١

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۝ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ۝

صدق الله العظيم

د. عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطئ

الدين والانسان

أزمة الفكر الدينى وتحديات العصر

صدمة التفوق العلمى والتقنى للغرب المعاصر

كما لاتقاس الحروب الصليبية ـ التى عبأت كل قوى المسيحية الاوروبية ، لاكثر من عشر سنين ، من أجل القدس ـ بحرب (عاصفة الصحراء من أجل تحرير الكويت ، التى حشدت لها أمريكا نصف مليون جندى من الامريكان ، وأهلوهم يصلون للرب من أجل سلامتهم والمجامع المسيحية على اختلاف طوائفها ترفع الدعاء لتدويل القدس التى هودتها إسرائيل .

أقول : كما لاتقاس بهذه تلك ، لاتقاس صدمة الشرق الاسلامى بعد مغيب حضارته القائدة الرائدة ، بالتفوق العلمى والعسكرى للغرب الأوروبى بعد عصر النهضة الى مطلع العصر الحديث ، بصدمة تفوقه الباهر فى النصف الثانى من القرن العشرين : ففى أقل من بضع عشرات سنين ، فجر الذرة وأطلق القمر الصناعى وتحكم فى موجات الاثير وهبط على سطح القمر والمريخ ، وسيطر على الاشعة والاليكترون ..

الأهرام
مركز المعلومات والتنظيم والبحوث
قطاع خدمات المعلومات

ولقد تصدت للصدمة السابقة ، كتائب عصر اليقظة ، تقاسموا فيما بينهم مزايع الوجود الحيوى لاصلاح الحياة بالدين فى شتى الميادين الاجتماعية واللغوية والسياسية والاقتصادية والثقافية . وكذلك فعل تلاميذهم شيوخنا واساتذتنا رضي الله عنهم ، لم يخل أى موقع ممن يحملون عبئه فرض كفاية ، وأخرجت الامة علماء نوابغ فى الطبيعيات والرياضيات ، والطب والهندسة والقانون ، مشهودا لهم عالميا بالتفوق والنبوغ .

ولامر ما ، انكشف موقع الفكر الديني لانماط متنافرة ، بالغة الغرابة والشذوذ ، واجهوا ويواجهون الصدمة المعاصرة ، بمخدرات تخايل الناس باننا سبقنا الى كل ما اكتشف العصر وماسوف يكتشف حتى اليوم الاخر ، لنطمئن الى ما نحن فيه ، وأن ليس من الامكان أبدع مما كان .

قبيل عصر القمر وفيما يشبه ايذانا به ، أطلق الروس اول قمر صناعى ، فكان تعليق ابن البلد بنكتته الذكية اللاذعة وفكاهته الساخرة البارعة صادق التعبير عن حالنا . قال لمن عجبوا لاطلاق الروس القمر الصناعى (وايه يعنى ؟ نحن جئنا بالقمر على الباب . وانطلق يرجع أغنية فايزة احمد

يامه القمر ع الباب نور أناديله
يامه أرد الباب ولا أنادى له

وبادر مثقف ممن ظهروا فينا بتفاسير عصرية فاعلن ان القران سبق الى هذا الحدث الخطير باية (الرحمن) يامعشر الجن والانس إن استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان) وصدق الله العظيم

واستقبلنا عصر القمر ونحن نسير حثيثا الى كارثة الهزيمة الساحقة يوم خامس يونيه المشئوم سنة ١٩٦٧ بمقتضى قانون العلل والاسباب ، من السنن الالهية الثابتة التى لاتتعلق مشيئته العليا بنقضها ، لكن الهزيمة جاءت فى منطق المرحلة ، من بغتة المفاجات وعجيب المصادفات .

وفى غشية دوار الصدمة ، زفت الينا سوق الطباعة والاعلان والنشر ، من بضاعة الفكر

الأهرام
قطاع الخدمات الصحفية والمعلومات
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١١ / ٤ / ١٩٩١

الديني ما يريح الناس من مهانة الاحساس الباهظ بتفوق سلاح الطيران الحربي الاسرائيلي باجهزته الامريكية المتطورة ، وعار انكسارنا العدو لم يمض ربع قرن على قيام دولته فيما اغتصب من ديارنا .

مما تعاطيناه من مخدرات الافيون العصري . ان القران سبق [فصحح الخطا الذي وقع فيه دارون لانه لم ير يد الخالق المهندس وهي تهندس وتخلق . إن القران يزودنا باكثر من كل ما قاله العلم فيطلعنا على بعض الغيب . على ما حدث في الملكوت الاعلى قبل الخلق الارضي لادم (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين) وهي هاوية التيه المادي . الى طين المستنقعات . الى نقطة اولى من الصفر] .

★★★

بعد عودة . جاجارين . رائد الفضاء من رحلته الظافرة التي اذنت بوشك الوصول الى عصر القمر فما بعده . دعته مصر للاحتفال به . وكنت فيمن استقبلوه من اعضاء

المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب ـ هو الان المجلس الاعلى للثقافة ـ واتصل الحوار بيني وبينه . حرصا مني على تدوين هذا اللقاء في شهادتي للعصر حتى خطر لي أن . أساله عما إذا كان حقا ما أذيع من قوله او زميل له عقب هبوطه من مركبة الفضاء . إنه بحث عن الاله في الملكوت الاعلى فلم يعثر له على أثر ؟ فتبسم ضاحكا من سؤالي . يتحاشى الجواب عنه . وانتهى الحوار بيننا . وقد فهمت أن رائد الفضاء الحليم . عجز عن إدراك التجريد المطلق لله جل جلاله . فتصوره جسدا ماثلا متخصا . (سبحانه وتعالى عما يصفون)

وانفض الاحتفال وأنا اتذكر قول فرعون موسى لهامان كبير مهندسيه . من الاف سنين . فيما اتلو من الذكر الحكيم .

(وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب . اسباب السموات فاطلع الى اله موسى وإني لاظنه كاذبا ..) الاية

وسجلت المرحلة . في أعقاب الهزيمة . مما تعاطاه الناس من جرعات الافيون العصري المريح من هموم الاخرة وهول الموقف والحساب . رجما بغيب الاخرة

[إن كل ما جاء عن الجنة والجحيم ما هو الا الوان من ضرب المثال والوان من الرمز ... وأما ما في القران عن العذاب في الجحيم [فمعاذ الله أن يعذب خلقه ... وما فيه من صلصلة ألفاظ العذاب واهواله . ليس سوى

نوع من التخويف . مثل تخويفك لابنك حينما تحذره من اهمال تنظيم اسنانه : إذا لم تنظف اسنانك بالفرشاة كل يوم فسوف تاكل الفيران أسنانك . وبالطبع لن تاكل الفيران اسنانه]! ؟

★★★

ووصلت . أبولو . الى القمر

وهذه البضاعة هي الرائجة في اسواقنا . **وإن ظهر معها قول لبعض المشايخ ينكر فرية الاقتحام الجرىء لملكوت السماء . ويفتى بتكفير من قالوا ومن صدقوا ان الانسان هبط على سطح القمر ! !**

ثم كان من رد الفعل لهذا التشويه العقلي . **ان طبع في بيروت كتاب (الخرافة في العقلية العربية) للسيدة خماش والدكتور ابراهيم بركات . بلغا فيه المدى في السخرية من عقليتنا والهزء بتخريفنا . حتى انكرا علينا ما يجوز على الناس جميعا من بشرية الرؤى والاحلام . ونجوى الاطياف . فلم اعجب ان ظهر كتاب في (نقد الفكر الديني للدكتور جلال العظيم ـ طبع بيروت) معبرا في صدق وامانة . عن معاناة مثقفي المرحلة العصريين . من أزمة الفكر الديني بصدمة التفوق العلمي الحديث . إذ يسال**

[هل يحق لي أن استمر في قبول هذه القناعات التي توصلت اليها دون ان أخون مبدأ الامانة الفكرية ، ودون ان أضحي بوحدة وتماسك افكاري بعضها مع بعض ؟ كيف يكون موقف الانسان الذي تعرض للثقافة العلمية وتاثر بها جذريا . من المعتقدات الدينية التقليدية والمؤسسات التي تتجسد فيها ؟ كيف يكون موقف الانسان الذي نشا نشاة دينية وتقبلها جملة وتفصيلا من النظرة الطبيعية للحياة والكون والانسان ؟]

ومع صدق تاثري لمعاناته وتقديري لامانته الفكرية . أراه يتكلم عن الفكر الديني فلا يميز بين ما هو من اصله النقي وما هو دخيل مدسوس عليه أو عارض طارىء

فهل الخطا في أصل الفكر الديني أو في سوء فهمه والجهل به . وفحش استغلاله ؟

◎◎ حديث قبض العلم مشهور متفق عليه في كتاب العلم من الصحيحين . (إن الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العلماء . ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا سالوهم فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا)

وسلام عليكم

الأهرام
وزارة الثقافة والإعلام
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٢ / ٤ / ١٩٩١

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ * »

صدق الله العظيم

د . عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطىء

الدين والانسان

مع المصطفى عليه الصلاة والسلام في ليلة القدر ، سلام هى حتى مطلع الفجر

قبل المبعث باربعين سنة . ولدته امه ، السيدة امنة بنت وهب الزهرية القرشية . في دار ابيه الراحل عبدالله بن عبدالمطلب الهاشمي ، بحي بني هاشم من قريش . جيرة الحرم المكي وصفوة العرب العدنانية صريح ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام .

ولدته يتيما ، مات ابوه في طريق عودته من رحلة الصيف الى الشام ، وتركه جنينا في رحم أمه التي ترملت في كفيها خضاب العرس .

ولم يطل التاريخ الوقوف بمكة . شغلته عنها وعن وليدها اليتيم الهاشمي . أحداث جسام كانت تجرى على مسرح الدنيا في الثلث الاخير من القرن السادس للميلاد . وراح يرصد نذر الانهيار لعالم يريد ان ينقض . ويتابع الجولات الاخيرة . للصراع بين قطبي ذلك العالم القديم . حيث كانت دولتا الفرس والرومان تخوضان حربا طاحنة على مراكز السلطة والاستغلال والنفوذ . واحداهما قد أعشت نار المجوسية بصرها فما يعنيها سوى ان تجعل من ساحة الشرق كله معبدا لنارها تصلاها شعوب المنطقة بالعسف والاكراه .

والاخرى قد اثخنتها جراح الحرب وهدتها امراض الشيخوخة واستنزفت بقاياها محنة الصراع الطائفي فتهاوى النسر الروماني على الارض جاثما على انفاس عباد الله . يتسلط على مستعمراته بالارهاب والطغيان في محاولة يائسة تستبقي له من الهيبة مايستر وهنه .

حتى بلغ ذلك اليتيم الهاشمي المكي الاربعين من عمره . وتلقى رسالة الوحي في شهر رمضان بعد مولد السيد المسيح بستة قرون وعشر سنين فالتفت التاريخ إلى مكة . وتوقف برهة ليجمع كل ما وعت ذاكرة الزمان عن ذلك المصطفى وابائه وعشيرته وبيته وبلده . ويستحضر خطوات مسيرته من مهد مولده الى غار حراء . ويصغي الى المرويات التي حفظت حركاته وكلماته وما كان من مواقفه . لكي يكتب بها الصفحات الاولى من سيرة ذلك المصطفى الذي بدأ من ليلة القدر يوجه سير التاريخ ويملي عليه فيكتب -

★ ★ ★

غشى الكون ليل ثقيل . ولف أم القرى صمت مكدود لايسمع فيه سوى انفاس الليل مختلطة بهمهمة تلبيات وثنية كانت لاتزال تتسلل من البيت العتيق

وقمر رمضان قد توارى واختجب فليس على الافق المعتم سوى ضوء شاحب تكاد تحجبه عن مكة جبالها الصخرية التي تبدو كانها كتل ضخمة ماردة من ظلمات متراكبة .

ونامت الدنيا . لاتلقي بالا الى رجل من بني هاشم . ابن امرأة من قريش تاكل القديد . قد أوى الى غار هناك مستغرقا في تامل يلتمس في العتمة الداجية شعاعا من نور الحق وينشد في خلوته انس الهدى وراحة اليقين . وخواطره تحوم حول البيت العتيق الذى رفع ابراهيم القواعد منه واسماعيل . وطهراه للطائفين والعاكفين والركع السجود . فلم يلبث أن صار مع الزمن مثوى لاوثان ممسوخة . لكل قبيلة وثنها الذى تحج اليه وتطوف به وتلبي له

وغير بعيد من غار حراء . هجعت مكة تجتر ذكريات مجدها الديني الغابر . قد طوته وثنية عمياء وتساورها من حين الى حين رجفة من قلق الوعي لاتلبث ان تهمد تحت وطأة الكابوس الباهظة . لاتحسب حسابا لهذا المختلي في غار حراء وقد ألفت أن تراه ينسحب اليه من ضجيج المجتمع المكي . عازفا عن تلك الاوثان التي

يعبدها قومه لانهم وجدوا اباءهم لها عابدين .

و أوغل الليل قبل أن يطلع فجر هذه الليلة من الشهر المعظم وينشر نوره على القمم و السفوح و القيعان فيضيء الظلمة الداجية .

ومع نور الفجر من الليلة الغـراء ، تجلى الوحي للمصطفي عليه الصلاة و السلام و ألقى اليه الكلمة : (أقرأ) وما كان محمد بقارىء ، وما كان يتلو من قبله مـن كتـاب ولايخـطه بيمينه :

(أقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان مـن علق ، اقرأ وربك الاكرام ، الذى علم بـالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم)

وبدأ تاريخ جديد .

الرجل الذى سرى اول الليل الى غار حـراء ، على مالوف عادته منذ انكر موضع الاصـنام فى البيت الحرام و أيقن ان حياة الناس لايمـكن ان تمضى هكذا على سفه وضلال ، خرج مع الفجـر من الغار ، نبيا رسولا مبعوثا بختام رسـالات الدين و الكلمات الاولى التي تلقاها فى تلك الليلة من وحى ربه ، كانت مستهل كتاب عربى معجز ، و اية نبى بشر ، ولواء عقيدة وجهت التـاريخ وحررت الانسـان وصـنعت أمـة و أبـدعت حضارة .

خرج المصطفى من الغار و اتجهت به خـطاه نحو بيته و الكون من حوله ساج خاشع ، وعلى الافق الاعلى نور الفجر الصادق ينسخ ظلمـات ليل طال ، ويوشح البيت العتيق بسنى وضاء ، يكشف عما تكدس فى حرمه من أصنام و أوثان ، فتبدو على حقيقتها شائهة بلهاء . وكان لها مـن ظلام الليل قنـاع كثيف أصـم يخـدع البصر

النور ملء قلبه وبصيرته .

و الكلمات ملء فكره ومسمعه

ولكنه فى حيرة من الأمر يعييه ان يسـتوعب السر الاعظم الذى انبلج له ، ويأخذه من جلاله وروعته ما لاعهد له به ، فيكاد لفـرط دهشـته لايدرى ما إذا كان فى وعي يقظته ، أم انهـا رؤى خايلته لطول ما تامل فى أيات القدرة يحـاول ان يجلى سر هذا الكون وخالقه

واحس وطاة العبء الثقيل تجهده وتـرهقه حتى بلغ بيته مجهدا مرتعدا شاحبا كانه عـائد من سفر طويل شاق .

و ألفاها هناك فى انتظاره ،، خديجة التـى كانت له على مدى خمس عشرة سـنة ، زوجـا وصديقة و أما وكانت له ملاذا وسكنا .

ودون تردد ، ألفى نفسه يفضى إليها بما رأى وما سمع ، وهو يرنو الى مـلامحها اذ تصـغى إليه ، محاولا ان يتبين وقع هذا الامر على أقرب اهله اليه و أعزهم عليه ، و أصـفاهم لـه ودا و أرشدهم رأيا ..

وقالتها على الفور ، فى صوت مفعم باليقين :

(الله يرعانا يا أبا القاسم ، أبشر يا ابـن عـم

واثبت . فوالذى نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبى هذه الامة والله لايخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق) .

أحس راحة الأمن والطمأنينة ، وهي تدثره وتظل حانية عليه حتى نام ..

(نبى هذه الامة) ؟ !

ما الذى القى الى بال السيدة خديجة وعلى لسانها بتلك الكلمة الكبرى حين كانت الوثنية غاشية والعرب قبائل شتى ؟

أهي من تعبير التاريخ الاسلامي عن إدراك أم المؤمنين الاولى ان لهذا الامر ما بعده ؟

لا أرى الكلمة غريبة على الموقف ، فما كانت السيدة خديجة ، وهي من صميم قريش جيرة الحرم ، بحيث يفوتها شيء مما ماجت به بيئتها قبيل المبعث من تطلعات الى تحول خطير رنا اليه شعراء العرب وحكماؤهم ، وإرهاصات لكهانهم وحنفائهم عن نبى حان مبعثه ، وتنبؤات برسالة سماوية جديدة ، تناقلها الرواة عن رهبان النصارى وأحبار يهود

ومكة على الخصوص كانت المركز الذى تتلاقى فيه تلك التطلعات والارهاصات ، وتتجمع روافدها من هناك ومن هنالك متجهة الى البيت العتيق ، وتحوم حول حى بنى هاشم ، رانية الى « محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم .

وتيقن الاصطفاء ، ونزلت آيات الوحى تباعا على مدى اثنتين وعشرين سنة قمرية ، حتى نزلت فى حجة الوداع ، السنة العاشرة للهجرة . آية إكمال الدين وإتمام النعمة :

(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) ..

وسجل تاريخنا الدينى :

أصبحت مكة غداة ليلة القدر ، وليس فى الدنيا كلها مع المصطفى صلى الله عليه وسلم ، سوى زوجه السيدة خديجة ، أم المؤمنين الاولى ، رضى الله عنها .

ولحق المصطفى بالرفيق الاعلى وقد دخل الناس فى دين الله افواجا ، فلم يبق فى الجزيرة العربية غير مسلم ومسلمة

وقبل أن ينتهى القرن الهجرى الاول ، كان الاسلام لواء دولته الكبرى من الهند والسند الى المغرب الاقصى والاندلس

وسجل التاريخ الانسانى

آيات الوحى الأولى مستهل كتاب الاسلام ، اجملت قصة الانسان ـ بعموم مطلق ـ من البداية الى النهاية .

خلقه الله من علق كسائر الحيوان : البهائم والطير والزواحف والحشرات : كلها من علق .

وإنما خص الانسان بالذكر لأن التدين فطرته ، وإليه يتجه الاسلام بكتابه القرآن وهو وحده الذى يعرف القراءة والكتابة ويدرى ما القلم ، ويختص بكسب العلم

ثم هو الذى يغتر بعلمه وجاهه ومنزلته فى الكائنات ، فيتورط فى الطغيان ، بوهم الاستغناء عن خالقه ، وينسى ان إلى الخالق مصيره ورجعاه .

(كلا إن الانسان ليطغى . أن رآه استغنى . إن إلى ربك الرجعى) صدق الله العظيم

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٣ / ٤ / ١٩٩١

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون»

صدق الله العظيم

د. عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطىء

الدين والانسان — أزمة الفكر الدينى واختلاط المواقع بين الفكر والسياسة والاعلام [١]

من بضع سنوات، فى جلسة ثقافية رسمية، برئاسة الوزير الاستاذ الزميل، الدكتور احمد هيكل، عرض علينا تقرير شعبة العلوم الاجتماعية عن ترشيح إحدى الكليات لاستاذ التاريخ الاسلامي بها لجائزة المغفور له الملك فيصل الإسلامية. وبخالص التقدير والمودة للاستاذ الزميل المرشح، استفسرت عن وجه العدول فى تقرير هذا الترشيح عن شعبة الشريعة والقانون الى شعبة العلوم الاجتماعية، فكان الرد ان الجائزة مخصصة ـ فى تلك السنة ـ للعلاقات الدولية وليست الدراسات فى القران والحديث. ونبهنى استاذ كبير الى حرج موقفى لاحتمال ان اكون مرشحة للجائزة. فلم أعلق على المناقشة حول سؤالى، بغير ما اضطررت الى اعلانه، بانى احد الاعضاء الفاحصين لمؤهلات الترشيح للجائزة واختيار المرشح لها.. وأضفت انه قد سبق ترشيحى للجائزة مرتين، من المجلس الاعلى للثقافة ومن جامعة عين شمس، فاعتذرت عن عدم استيفاء (ملف الترشيح)، باننى جاوزت هذه المرحلة، بكونى فاحصة لمؤهلات الترشيح، لا معروضة للفحص

وانتهى الحوار وأنا أعجب لصريح العزل بين العلاقات الدولية والدراسات المتخصصة فى القران والحديث . كان لاعلاقة لهما إطلاقا بعلاقات دولية فى السلم والحرب والاسرى والهدنة والصلح ! ! ؟

ذكرنى بهذا الموقف . أن تكرر التساؤل حول ما قدمت فى (حديث رمضان) لهذا الموسم من قضايا (الدين والانسان) . كثرة من الزملاء يرون لى الا أشغل فى الحديث عن الدين بالسياسة . وقلة من صفوة الشباب ـ . يرون لى ان اكتب فى (الدين والسياسة) إذ الموسم عامر . والحمد لله . بمن يكتبون ويتحدثون عن الشئون الدينية المباشرة . من جلة العلماء المشايخ . والاساتذة . مع اخرين ليس لهم أدنى حظ من علوم الاسلام . يشحذ الشهر المعظم شهيتهم لوجبات من (الفكر الدينى) ينقلونها عشوائيا من كتب لايدرون ما هى . ويحركونها من موضعها فى كتب العلم . لتنشر وتذاع باسمائهم ...

ما علينا . القضية الشاغلة للموقع الفكرى الاسلامى . هى ما نشهد من اختلاط المواقع . تتماحى فيها المعالم المميزة فتبدو متداخلة

وظاهرة الخلط . ليست جديدة ولا طارئة . قد تنبه إليها شيوخنا فى المدرسة الاسلامية وحذرونا منها بان لانبدأ البحث فى اى مسالة دون تعريف بحدها تعريفا جامعا لما يدخل فيها . مانعا لما لايتعلق بها . مع تحديد دلالات الالفاظ فى مصطلح علماء الاختصاص بالرجوع الى مصادرها فى الاصول التى نتزود بها ـ نحن طلاب العلم ـ تدريجيا لخزانتنا الخاصة والتى يطرد نموها كلما تقدمنا شوطا من مراحل الطلب . وتبعا لشعب التخصص فى الدراسات العليا حيث نتعلم ان دوائر العلوم على اختلافها . نقلية وعقلية نظرية وتجريبية . تتماس وتتواصل . دون ان تتماحى الحدود المميزة لكل علم منها

الأهرام
قطاع خدمات المعلومات
التاريخ : ١٣ / ٤ / ١٩٩١

بالنسبة الى قضية خلط المواقع بين الفكر والسياسة والاعلام ، نتوارد عليها ، نحن المشتغلين بها جميعا ، ونحمل همها ، ونتواصل ونتعاون ، لاغنى لفريق منا عما يقدمه الاخرون في مجال تخصصهم

فلا يتصور ، مثلا أن ينجو المفكر من ضجيج المجتمع وأحداث الوقت والساعة ، واتجاهات السياسة ومواقف القادة والاحزاب وتقارير المراقبين والمعلقين والخبراء ، وأنباء الاعلام تذاع من شتى عواصم العالم . الا أن يتجرد من إنسانيته ويعطل سمعه وبصره ويلغى تفكيره .

• •

غير أننا مع هذا التواصل والاشتراك في التوارد على الحدث الواحد والمشغلة به وحمل همه . نفترق في زوايا الرؤية وأبعاد النظر وطرق التناول وقدر الملابسة ومجالها وفي مرامى المقاصد ، والوسائل والغايات ..

المفكر ينظر الى الاحداث من حيث يرابط في موقعه . يمعن النظر في مقدماتها ماضيا بها إلى أسس قريب وبعيد أو ماض موغل في القدم . ويطيل التامل في متجه الاحداث الى غد قريب وبعيد ، في رؤية شاملة مستوعبة لمسار الاحداث بمقتضى قانون الاسباب والنتائج ، من السنن الالهية الثابتة التى لاتتعلق المشيئة العليا بنقضها .

وهو يمد بصره الى الاحداث من مختلف اتجاهاتها وزواياها . لكنه يطل عليها من افق واسع . يتقى تزاحمها وتراكبها في غابة من الجزئيات الشكلية والاضافات الزخرفية والحشويات المقحمة ، ويتجاوز الشخوص المضللة والمعالم المموهة .

وهو لايبرح موقعه ليتنقل مع أقطاب السياسة ولقاء صانعى الاحداث او المشاركين فيها لجهله بما يدور في (الكواليس) والجلسات السرية والخاصة التى يعقدها الساسة والقادة قبل أن يلقوا الاعلاميين بالمتفق على إعلانه والاعلام به ..

وليس المفكر كالاعلاميين يلهثون وراء مواقع الاحداث من نيويورك الى موسكو وحفر الباطن وبغداد والكويت ومن باريس ولندن وبروكسل الى انقره ونيقوسيا وطهران وجيبوتى وليبيا ، والقاهرة ودمشق والرياض وعمان . ويتجشمون للانتقال اليها واقتحام حدودها واسوارها ، مايشبه المغامرات ، ويحتالون على المحظور منها بما يبيحه لهم السبق الاعلامى من ذرائع ، وما يسمح بتامين ما انفرد به أحدهم ، بكتمانه عن أقرب الزملاء وأخلص الاصفياء

وليس كذلك وضع المفكر في إيثاره البعد عن ضجيج الاحداث في مواقعها تامينا لصفاء الرؤية الشاملة ، وحرصه على الاحتجاب عن المواكب والحفلات والمهرجانات الرسمية ، حذرا من ان تلقى على بصيرته النافذة حجبا يموه الواقع ويخدع البصر ويخطف العين ، فيلتبس السراب بالماء ويتشابه ما هو من الحيل والخدع المموهة ، وما هو من الواقع .

والاعلامى قلما يتلبث تجاه الحدث ليفكر فيما كان قبله وما يحتمل ان يكون بعده ، لانه إن فعل فاته من تتبع الاحداث ما لايستدرك ، وما هو مظنة التاثير على مكانته .

على حين يتلقى المفكر سرعة البحث وتعجل النظر ، فربما امضى السنوات ذات العدد وهو عاكف على قضية فكرية بجمع وثائقها ويستحضر الميسور من مراجعها ويتقصى ماسبق للدارسين فيها وقراءة مدوناتها قراءة بحث ونظر .

ولايبعد ان يعود إليها بعد ان فرغ منها ونشرها ، لاستدراك فوات او تصحيح خطا او تلافى تقصير ، او إضافة ماجد في القضية بعد دراستها الاولى ، وربما عهد بذلك الاستدراك والاستيفاء ، إلى من يراد اهلا للوفاء به من خواص اصحابه وتلاميذه ، على نحو مانفعل ، نحن الاساتذة الجامعيين ، مع صفوة تلاميذنا الذين نعتز بتقديمهم الى الحياة العلمية والفكرية .

واعود على بدء حيث السؤال عن الدين والسياسة ، فلا احتاج الى التاكيد باننى في كل ماكتبت او شاركت في دراسته من قضايا الدين والانسان ، إنما اتناولها من حيث أرابط في الموقع الفكرى ، لا في اى موقع اخر ، سياسى او إعلامى ، لا احسنه ولا أصلح له ، فما ينبغى لى أن اخوض فيه بغير علم

وإنما احتاج الى التبليغ بان السياسة من صميم الدين ، شريعة ومنهاجا ، لايكاد يخرج عنه اى امر من أمور دنيانا .

★ ★ ★

في (الصحيحين) الحديث المتفق عليه عن ابى حميد الساعدى ، رضى الله عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استعمل عاملا فجاءه العامل حين فرغ من عمله فقال يارسول الله ، هذا لكم ، وهذا أهدى إلى فقال له (أفلا قعدت في بيت أبيك وامك فنظرت أيهدى لك أم لا ؟)

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية بعد الصلاة فتشهد واثنى على الله بما هو اهله ثم قال (أما بعد ، فما بال العامل استعمله فياتينا فيقول هذا من عملكم وهذا اهدى إلى . أفلا قعد في بيت ابيه وامه فنظر هل يهدى له أم لا ؟ فوالذى نفس محمد بيده ، لايغل احدكم منها شيئا إلا جاء به يوم القيامة على عنقه) الحديث .

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٤ / ٤ / ١٩٩١

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من ديركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ۝ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من ديركم وظهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ۝ »

صدق الله العظيم

د. عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطئ

الدين والانسان
أزمة الفكر الديني باختلاط المواقع [٢]
الاسلام والسياسة

حديث اليوم موصول بحديث البارحة عن عزل الفكر الاسلامي عن السياسة تجنبا لمتاعبها وهمومها . والتواصي بالتفرغ للكتابة في شئون الدين والحياة . وكأن السياسة ليست من الدين والحياة !..

القضية فيما أرى أكبر وأشد تعقيدا وتشعبا من هذه الجزئية الفرعية تبدو في ظاهرها مسألة اختلاط في المواقع تتلاحى فيه الحدود المميزة لكل موقع من مواقع وجود الأمة . والوظائف المنوطة بشاغليها . فيلتبس الفكر والعلم بالمواعظ والخطب والأناشيد الحماسية . وقد يوكل إلى العلماء أو يناط بهم توعية الجماهير بأخطار ما يسمونه الارهاب الديني (؟ !) والانفجار السكاني في بلد كمصر ثلث سكانه في القاهرة وعدد سكان الحي الواحد من أحيائها يعادل سكان قطر من الأقطار العربية .

كما يلتبس الاعلام عن السياسة ـ التي هي تدبير أمور الرعية والسهر على أمنها ومصالحها والدفاع عن الوطن وتأمين استقلاله وحماية ثغوره ـ بتسجيل المواقف المعلنة للرؤساء والقيادات السياسية والحزبية . ومحاضر جلسات المؤتمرات والمجالس البرلمانية والندوات الحزبية والظهور في المحافل الدولية . وتقارير الخبراء عن لقاء الاقطاب . وربما نيط بالاعلاميين في الموقع السياسي التقاط ما تيسر من اسرار الدهاليز السياسية ، ومعرفة ما يمكن الوصول اليه بوسيلة او باخرى ، من مناقشات القادة في الجلسات المغلقة ...

ولو كانت القضية هكذا الحال يكفي فيها ما كتبته في حديث البارحة من أن المفكرين والاعلاميين السياسيين يتواردون على الحدث الواحد ويشتركون في رصد أسبابه ونتائجه المباشرة ، مع اختلاف زوايا الرؤية وأبعاد النظر ، وتفاوت الوسائل والاساليب ، ومرامي المقاصد والغايات

غير أن القضية تتشعب مسالكها فتتكشف ، من الموقع الفكري ، عن جوانب شبه متباعدة . منها ما هو منظور أو يكاد ومنها مالا يظهر للرؤية القريبة والنظر السطحي إلا عندما تلتقي الشعب من هنا وهناك عند مرمى (فصل الدين عن السياسة) او العلمانية في إحدى صيغها .

من شعبها المنظورة مقولة التنوير العصري أثرا لما شهد الغرب المسيحي من تنازع السلطة بين الكنيسة والسياسة (دعوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله) وذلك في الفكر الاسلامي النقي مردود بأن ما لقيصر ولغير قيصر داخل فيما لله تعالى لا يخرج عن ملكوته سبحانه (اليه يرجع الامر كله)

ومنها في الطرف المقابل ـ وليس محله الاخذ بمقولة الفرنجة ـ كلمة مشهورة للشيخ الامام محمد عبده . وهو من رواد اليقظة لاصلاح المجتمع بالدين (لعن الله

السياسة ومشتقاتها : ساس يسوس فهو سائس وهي مسوسة ..) لم يعن بها مفهومها المتبادر من ابعاد الدين عن السياسة بل الشكوى من أفاعيل السياسة وما يلقى العلماء من ثقل عبئها الباهظ فيما هم مكلفون به شرعا من الرقابة على سياسة الحكام في الرعية . ولا يبعد أن تكون لعنة السياسة على نحو ما يؤثر عن فقهاء أئمة من محاولة الهروب او التهرب من ولاية القضاء اشفاقا من عظم خطره وثقل تبعاته . وهم يحفظون في ذلك الحديث المتفق عليه عن النبي صلى الله عليه وسلم في (النهي عن طلب الامارة وعن الحرص عليها) .

★ ومن شعب القضية غير الظاهرة ما يتورط فيه من يخوضون في علوم القرآن والحديث بغير علم . ولا دراية لهم بقوانين المنهج الاستقرائي لدلالات الالفاظ القرآنية . فلعلهم راجعوا (المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم) - وما أجل فوائده وأعظم جدواه - فلم يجدوا فيه لفظ السياسة فتعجلوا الحكم بان السياسة ليست من علوم القرآن كتاب الاسلام وغاب عنهم انها داخلة في احكام البيعة والولاية والامارة . وفي كثرة لا نحصي من آيات الاحكام والاخبار المتعلقة بالملوك والحكام والولاة والامراء والعمال .. كما ذكر ما يعرف في النظم الوضعية بالعلاقات الدولية في آيات الاحكام للسلم والحرب والاسرى والمن او الفداء والهدنة والشروط والفيء والغنائم والجزية والموالاة والتعايش السلمي . وما لا احصيه عدا .

وأما في كتب الحديث والسنن المصنفة على أبواب الفقه والاحكام كالموطأ والصحيحين وكتب السنن فلا يخلو كتاب منها من أبواب الامارة والجهاد والقتال والهدنة والشروط والاقضية والعهود والمواثيق .. وأكثر هذه الابواب قد ألفت فيه كتب خاصة . ولنذكر منها في هذه العجالة ان السيرة النبوية . هي عهد الحكم النبوي تدبيرا لسياسة الجماعة . ومدرسة تلقى فيها الصحابة تعاليم الاسلام في السياسة والحكم والاقضية دينا ودنيا تولاها الخلفاء الراشدون وفقهاء الصحابة ثم فقهاء التابعين الائمة حكاما للمسلمين في شئون دينهم ودنياهم .

وقد ألفت كتب خاصة مستقلة في الاموال والمغازي والوثائق السياسية والاقضية والجهاد والمعاهدات والحلال والحرام . وكتب عامة في السياسة . للفقهاء الاصوليين على المذاهب الفقهية !

★ ★ ★

على أن أدق ما في قضية (الدين والسياسة) هو المأثور عن علماء السلف الائمة من كراهة دخول علماء الاسلام على السلاطين . وهي قضية لا تفهم على وجهها الصحيح اذا اتجهت الى فصل الدين عن السياسة . وقد حررها حافظ المغرب . أبو عمر ابن عبد البر . المالكي الثقة الحجة . في كتابه (جامع بيان العلم وفضله) بان الخلاف بين الائمة في دخول العلماء على السلطان . انما هو متعلق بالسلطان الجائر : منهم من تشدد في الكراهية لئلا يتأيد السلطان الجائر . بظهور العالم في حاشيته ولاتقاء مظنة الفتنة بجاه السلطان . ومواطأته على سياسته بتأويل النصوص الشرعية لتزكية مواقفه الضالة وأفعاله الجائرة . ومنهم من قالوا بضرورة الدخول على السلطان الجائر للقيام بفريضة النصيحة في الدين والتكليف بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد سئل الامام مالك رضي الله عنه في ذلك فقال لسائله (رحمك الله . وأين التكلم بالحق ؟)

قال الفقيه الحافظ أبو عمر ابن عبد البر . ومعنى هذا الباب كله في السلطان الجائر الفاسق فاما العدل منهم الفاضل فمداخلته وعونه على الصلاح من أفضل القربات وأعمال البر) وروى باسناده الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : [صنفان من أمتي اذا صلحا صلحت الامة واذا فسدا فسدت الامة [الامراء والعلماء]

واشتهرت كلمة . الفضيل بن عياض ابي علي الخراساني . الحافظ العابد الورع قال (لو أن لي دعوة مجابة لجعلتها في الامام)

★ ★ ★

وبعد وقبل فهل يخرج هذا الذي أكتبه في الدين والسياسة عن الموقع الديني ليقحمني على الموقع السياسي والاعلامي ؟ !

وهل يتصور القول بفصل الدين عن السياسة في شريعة تحكم كل معاملاتنا وأموالنا ومنهاج سلوكنا وأخلاقنا . وتدخل في طعامنا وشرابنا وملابسنا وتراقب سرنا وسكناتنا . وما نسر وما نعلن .

ذلك أمر مريب

(والى الله ترجع الامور) صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٥ / ٤ / ١٩٩١

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

صدق الله العظيم

د . عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطىء

حديث الوداع
لا أوحش الله منك ياشهر الصيام

لم يبق إلا وداع ،
اذنت به لياليك اليتيمات ، لاتتكرر ليلة منها فى الاسبوع التالى إلا وقد ودعتنا وخلفتنا من بعدك كاليتامى ..
وكان (الجمعة اليتيمة) مهلة تروضنا على وشك وداع ، قبل ان يحين فراق .
وماندرى ، نحن ابناء امتك ، من منا يعيش ليشهد مستهل قدومك فى العام القادم ، ولا أين يكون وكيف يكون :
(وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس باى ارض تموت)
فلا اوحش الله منك ياشهر الصيام .

لم يبق إلا وداع
تشجينا مواجده وإننا لعلى يقين من اننا إذ نمضى كما مضى اباؤنا واجدادنا من قبل ، فإن امتنا تبقى أبدا على موعد لقاء بك ومعك ، فى كل موسم من مواسمك الطيبات ، لتستقبلك فى موكب الرؤية لهلال شهرك المعظم كلما دار عام القمر دورته .

وقد من الله علينا بان هون علينا وحشة فراقك فجعل شهود هلال شوال المؤذن بختم فراق ، عيد فطر لنا نستقبله بالتواصل والتراحم . وبالصلاة والدعاء والتكبير ، شكرا لله تعالى على ما هدانا ، وما يسر لنا لاكمال عدة شهر الصيام :
(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون)
فلا أوحش الله منك ياشهر الصيام

★ ★ ★

فى أشد المحن والكروب وأفدح الكوارث والخطوب لم تحرمنا يمن عطائك :
جمعت وفود الدول العربية فى رحابك ، فى مشهد حضارى جدير بامتك ، فلم ينتصف شهرك المعظم حتى كانوا جميعا فى مؤتمر جامعة الدول العربية بعاصمة الكنانة . لم يتخلف منهم وفد أى بلد . والعهد قريب بكارثة الفتنة التى قطعت أوصالنا ، وأهلكت مئات الالوف من ضحايا مجازرها الحاصدة .
التقوا هنا ، قد تناسوا ما بينهم من عداوات وثارات يحتاج تجاوزها الى مجاهدة صعبة أعانهم الله تعالى على معاناتها فى رحابك ، وتعلق رجاؤنا فى أن تصفو النفوس وتلتقى القلوب على مودة ، وماذلك على الله تعالى بعزيز
(عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ، والله قدير والله غفور رحيم)
ويؤنسنا إلى هذا الرجاء العزيز ، ما من به الله تعالى على الحبيب المصطفى صلوات الله عليه وسلم ، قال عز وجل
(هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ، إنه عزيز حكيم)
فلا أوحش الله منك ياشهر الصيام ..

★ ★ ★

فيما نكابد من أشجان وأحزان لفراق الراحلين من أحبابنا ، لم تحرمنا موصول

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٥ / ٤ / ١٩٩١

عطائك : تجمعنا لياليك النيرات باطيافهم ، لايغيبون عنا فى ذكريات أنسنا بك والشمل مجتمع والحياة صفو وحب وتواصل ومواساة . لايحظى أحدنا بنعمة إلا كانت نعمتنا جميعا . ولا يلم باحد أذى او شكاة إلا تداعينا له جميعا بالمشاركة الحميمة . وكنا كما قال فينا الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التحية : (كالجسد الواحد . إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى)

حتى إذا رحلوا عن دنيانا . بقيت لنا تعمر قلوبنا بذكراهم وتؤنس ليالينا باطيافهم . وتزودنا بالصبر على قضاء الله فينا . وتعزينا عن فراقهم بيقين اللقاء فى رحاب الله تعالى والمامول من رحمته ورضوانه للمؤمنين الصابرين الاتقياء من عباده . ووعده الحق بجمعهم ومن صلح من ابائهم وأزواجهم وذرياتهم . فى الدار الاخرة

(سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)

فلا أوحش الله منك ياشهر الصيام ..

★★★

وفيما نقاسى من مواجد الفراق لاصحاب، اصدقاء لم تحرمنا فيض عطائك :

فيك تصفو رؤانا فتجمعنا بمن ألفنا ان نلتقى فى مواسمك الطيبات على الود المحض. والبر والايثار . نعمر ايامك بمجالسنا العلمية ومذاكراتنا الفكرية . ثم لما مزقت شملنا الفتنة العشواء تناءت بنا الديار وشط المزار . وانقطعت بنا السبل وعز اللقاء . لايدرى أحد منا ماذا ألم بالصحب الزملاء الاصدقاء . ولا ماصنعت بهم الايام والليالى ؟ ولا أين هم فى تيه التشرد ومنافى التغريب .؟

وبقى لنا نورك

تصفو به رؤانا فنلتقى والمزار بعيد بعيد . ونجتمع والنوى حتم وقدر .. ونتذاكر على العهد بنا فى ايات هداك . وتخشع قلوبنا لما نسترجع من ذكريات أمسياتنا العامرة . حتى مطلع الفجر . بما نتدبر من الذكر الحكيم الذى لولاه لما التقينا ولا تعارفنا . ولا تعلمنا من الكتاب والحكمة ما يعطى وجودنا كله قيمة ومعنى مما من به الله تعالى على أمتنا

(لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة . وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين)

فلا أوحش الله منك ياشهر القران ..

★★★

لم يبق إلا وداع . وأتمثل هنا موقف الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام فى حجة الوداع . السنة العاشرة للهجرة : يخطب فى عشرات الالوف من المسلمين خطبة الوداع . وصيته : الاخيرة صلى الله عليه وسلم لامته . فيستهلها بقوله بعد حمد الله تعالى والثناء عليه :

(أيها الناس . اسمعوا قولى فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا . أيها الناس . إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا . وإنكم ستلقون ربكم فيسالكم عن أعمالكم وقد بلغت . فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها . وإن كل ربا موضوع ولكن لكم رءوس أموالكم لاتظلمون ولاتظلمون . قضى الله أنه لاربا . وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله . وإن كل دم كان فى الجاهلية موضوع . وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ــ وكان مسترضعا فى بنى ليث فقتلته هذيل ــ فهو اول ما ابدأ به من دماء الجاهلية .

وبعد أن بين المصطفى إبطال الاسلام للنسىء ــ بتاجيل حرمة القتال فى احد الاشهر الاربعة الحرم الى شهر غير حرام ــ أوصى بالنساء خيرا ثم ختم خطبة الوداع بقوله :

(وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا ابدا : أمرا بينا كتاب الله وسنة نبيه . أيها الناس . اسمعوا قولى واعقلوه . تعلمن ان كل مسلم أخ للمسلم . وأن المسلمين إخوة . فلا يحل لامرىء من اخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه . فلا تظلمن انفسكم . فهل بلغت ؟)

اجاب عشرات الالوف ممن شهدوا حجة الوداع : اللهم نعم . فقال عليه الصلاة والسلام : (اللهم فاشهد) ثم عاد المصطفى فاقام بالمدينة بقية ذى الحجة وشهرى المحرم وصفر وأوائل ربيع الأول . ولحق بالرفيق الاعلى .. بعد ان أتم رسالته . وترك للمؤمنين من بعده أن ينشروها فى الافاق . وأن يحملوا (القران) لواء الى المشرق والمغرب . لواء امة . ومنار حضارة . ودليل مسرى فى ظلمات المحن وعصيب الكروب .

★★★

اليوم أتمثل موقفه هذا . صلى الله عليه وسلم . فاختم الموسم بحديث الاعتصام . وصية الى أمتى وأنا على وشك رحيل . لا أدرى لعلى لا ألقى الموسم بعد عامى هذا

ولا أوحش الله منك ياشهر القران

وسلام على أمتى .

وسلام هى معك . وبك الى يوم البعث .

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٦ / ٤ / ١٩٩١

حديث العيد

بسم الله الرحمن الرحيم

«لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ»

صدق الله العظيم

د. عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطئ

« هذه الأمة لا تجمع على ضلالة »

حديث عيد الفطر موصول - تشريعا وسياقا وتوقيتا . بحديث الوداع للشهر المعظم - لا أوحش الله منه - ذكرت فيه وصيتي لامتي مجملة في (حديث الاعتصام) ، في خطبة الوداع ، الوصية الاخيرة لنبينا عليه الصلاة والسلام الى أمته بعد أن بلغ رسالته .

(ولقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا ابدا ، كتاب الله وسنة نبيه) صلوات الله عليه وسلامه .

وبقيت لنا هذه الوصية . منار هدى ودليل مسيرة ، وعاصما من الضلال في مدلهم الدياجي وعصيب المحن . مثلما كانت على مسار تاريخنا الطويل من الفجر الصادق ، تعطيه تفسيره ، ويعطينا منطق حتميته فيما نحن فيه ، وما يتوقع من نتائج مقدماتها ، ولم يحدث قط ، ان اخطأ تاريخنا خطر العامل الديني وموضعه في موازين القوى يستقطب سائر العوامل الاخرى في تفاعل مؤثر لايغض من شان اى عامل منها ، وإن اخذ دور القيادة والتوجيه مهيمنا عليها .

التاريخ : ١٦ / ٤ / ١٩٩١

أفكذلك هو ، فيما نحن فيه من هم وكرب اذ نستقبل عيد فطرنا لهذه السنة الحادية عشرة من القرن الخامس عشر للهجرة ، وبنا ما بنا من تصدع وانكسار يحمل ابناءنا على القنوط؟ ولو قد عرفوا ان لامتنا من زاد الحكمة والبصيرة الملهمة ، ما لاتجمع معه على ضلالة – كما صح الحديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام – ولاطمأنوا الى ان ما يروعهم من واقعنا المتصدع بما ينسلط عليه من وطأة شرسة لطاغوت هذا الزمان ، وما تحتشد له كتائب الغزو الفكرى والاعلامى – سافرة مكشوفة او ماكرة مقنعة – انما هو فى الرؤية الثاقبة والبصيرة النيرة ، شاهد على ان موضع الاسلام فى موازين القوى المعاصرة ، لم يتزحزح قيد شعرة عن موضعه من مستهل المبعث فى ليلة القدر ، (سلام هى حتى مطلع الفجر) ولو قد علموا من ماضى تاريخ هذه الامة ، ما ألم بها من الدواهى ، وما تسلط على الموقع الدينى ، حصنها المنيع ، من ذرائع الكيد والتضليل والاحباط ، لاطمأنوا الى قدرتها على مقاومة ما تلقى اليوم من افاعيل طاغوت هذا الزمان .

على مسار تاريخنا الطويل ، تعددت موجات الغزو وحملات الضغط على الموقع الدينى وارتدت هذه الحملات الشرسة خائبة لان القرآن كان لواء الجهاد ونور البصائر ، ومعه المدد الذى لاينقطع من ذخيرة الايمان وزاد الحكمة ، يسهر على حراسة الموقع الدينى ، ويصد عنه الغزاة من كل جنس وملة

فان يكن الاستعمار العسكرى قد حسمته معركة التحرير الكبرى من أقصى المشرق الى أقصى المغرب ، فليست أمتنا بحيث يخونها الوعى ببدائله العصرية ، ولا هى بحيث تفقد رشدها فى النقع المثار من ويلات الحروب باسلحتها المتطورة ، تحجب عن الغافلين منا ما يدور فى الساحة من صراع المذهبيات

المتناكرة والعصبيات المتناحرة والاهواء المتصادمة .. بل ان ذلك كله ، وأمثاله معه ، شاهد على سلامة وعي الامة . وذخيرتها من حديث الاعتصام . فليست بحيث تضل مسراها في تيه المرحلة ، ولاهي بحيث لاتميز بحكمتها ذرائع الضغط على ثغورها نفاذا الى الموقع الديني

★ ★ ★

فلله تعالى الحمد والمنة . اصطفى منا خاتم رسله عليهم السلام . فبعثه فينا يتلو علينا اياته ويعلمنا الكتاب والحكمة . نعمة من بها على أمتنا . وذكرنا بها . وهي مما انعم الله به على رسله الانبياء عليهم السلام ، وكذلك أنعم بها على الصفوة من عباده سبحانه (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا)

لله تعالى ولرسوله الحمد والمنة

تعلمنا من الحكمة ايات بينات لجوهر التاريخ في عبر الايام والليالي . تستخلص لنا من حكمة الزمن فيما مضى من تجارب الامم .

قدرا متاحا للكافة من أمة القران .

هذا القدر المصون من الضياع علم الامة من تاريخ القرون الخالية والامم الغابرة ماهو مناط اعتبار بمصارع الطغاة ومكايد اولياء الشيطان ، ومصاير الدول التي ابتليت بالفجور وفعل الفواحش والتي أنهكها الترف وافسدها البغي والظلم . والطغيان تبصرة بما هو مناط الاعتبار . ومايتوقع من نتائج الاحداث بمقتضي السنن الثابتة . يهتدى اليها من أوتي الحكمة بفطنته الزكية وفطرته السوية وبصيرته الملهمة . والحدس الصادق للمعتبر من المقدمات والنتائج فيما يطرد من السنن الثابتة التي لاتتعلق المشيئة العليا بنقضها

(فهل ينظرون إلا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا)

كما حفظ لنا الكتاب ما لاينبغي لمسلم ان يجهله من احداث كبار وايام مشهودات عصر المبعث . ونقها نزول الوحي بها ، وبينت السنة في السيرة النبوية ـ تاريخ عصر المبعث ـ مواقف النبي صلى الله عليه وسلم منها . واقضيته فيها . وما علمنا من حكمتها . توجيها للامة الى حفظ تاريخها من

الضياع . اذ في ضياعه ضياع للذات وطمس لملامح شخصيتها وجوهر اصالتها واهدار لتجارب عمرها الطويل .

وخص القران بالعناية قدرا من احداث تاريخنا الكبرى . فجعل ايامها المشهودات اعيادا دينية وشرع لنا الكتاب والسنة شعائر الاحتفال بها جامعة موحدة غير متروكة لعبث الاهواء وتقلب الامزجة ومحدثات البدع .

واول ذلك القران الكريم : عين وقت نزوله في ليلة القدر من شهرنا المعظم ، وجعل صيامه ركنا من اركان الاسلام الخمسة ، وشرع لنا شعائر الاحتفال بشهود هلاله ايذانا بموسمنا الديني الكبير ، صياما ورياضة ومجاهدة ، كما شرع الاحتفال بعيد الفطر ، شكرا لله على مايسر لنا من إكمال عدة شهر الصيام .

واعود فاقول لابنائنا الذى روعهم (ما احدث غزو العراق للكويت من صدع عميق في العالم العربي ، انعكست اثاره فما نشهد من ارادة عالم اليوم ـ الموجه من امريكا ـ لاعادة صياغة هذه المنطقة لحساب بني اسرائيل) اقول لابنائنا ، ان ذلك ومثله معه ، ما كان ليروعهم ويظنوا بامتنا القهر والهوان ، لو أنهم انصتوا لما يتلى عليهم في القران الكريم من ايات بينات في التاريخ على وجهه الصحيح . الذى يستخلص لهم الدرس والعبرة

وانما قراوه في كتب التاريخ المدرسية المشوبة بالحشويات المقحمة والسلطيات التافهة . او في مترجمات لصنف من كتب الفرنجة فسرت التاريخ على هو اهم . او في دراسات لنا ـ غفر الله لنا ـ ركزنا النظر فيها على أمجاد ماضينا وانتصاراته . ظنا منا اننا بذلك نحمي ابناءنا من لعنة القنوط .

فليكن مما نتعلم من عبرة واقعنا البائس ، ان العلم بما مر بالامة في تاريخها الطويل من دواهي الكوارث وماكر الذرائع . هو الذى يحمي شبابنا من القنوط ويحفظ عليهم ايمانهم بان ما نشهد من صدع في كيان الشرق الاوسط ـ والادنى والاقصى ـ ومكر الانتصار باعادة صياغة مستقبله ، يعطيهم شاهدا على ادراك العالم المعاصر لوعي امتنا . وخيرته من أمرها . ولاطمانوا الى ان ما بكياننا من شرخ عميق انما هو اثر حتمي لمنطق الحكمة ، لامة لاتجمع على ضلالة

(الحمد لله . وسلام على عباده الذين اصطفى) صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢١ / ٦ / ١٩٩١

حديث
الوقفة

بسم الله الرحمن الرحيم

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ »

صدق الله العظيم

د . عائشة عبد الرحمن
بنت الشاطئ

اليوم وقفة عرفة والحج عرفة

اليوم . تاسع ذى الحجة . يسميه اهلونا بالمشرق والمغرب (يوم الوقفة) ايماء الى وقفة عرفة وهم يعلمون من دينهم بالضرورة ، ان هذا اليوم داخل فى ايام الحج المعدودات . من فاته ادراكه لم يقض حجه . وليس كذلك يوم وقفة عيد الفطر بما يشوبها من شجن الوداع للشهر المعظم . وليست محسوبة من عيد الفطر . بل ينتهى يومها بمغيب الشمس وشهود هلال شوال . ايذانا بعيد الفطر المبارك .

اليوم وقفة عرفة . القى فيها قرائى الكرام فأجدد عهدى بهم واصل ما انقطع من لقائنا فى حديث الشهر المعظم . ولا يغيب عن بالى ان من ابناء الجيل العصريين من يستقبلون احاديثى الموسمية بشىء من الصد والجفاء مثل ما يستقبلون به مقالات المناسبات العابرة التى يتجرعونها على مضض . وليس هذا بعجيب من الموازين النقدية التى لا تفرق بين مقالات المناسبات الاعلانية الفجة . وبين الأحاديث الموسمية تستبصر العبرة والدرس من مشاهدنا التاريخية وتزود الحاضر بذخيرة من تجارب ماضى امتنا العريقة .

* * *

ولله الحمد والمنة ، حمى امتنا من ذرائع التشويه والمسخ . فشرع لها من الدين ما يصون اصالتها . وجعل أيامها التاريخية المشهودة أعيادا دينية . وفرض الاحتفال بها على المنهاج الشرعى ، لكيلا تطمس ذاكرة الامة فيتعطل وعيها لذاتها وتكون عرضة لفقدان المناعة النفسية والعقلية المكتسبة من اصيل هويتها وقيمها الدينية . لا تكون بدونها ـ ولا بغيرها ـ امة اسلامية .

وغير مستبعد فى رجة الأحداث العصيبة لازمة العصر والتاريخ الاسلامى . ان يغشى الافراد منا والجماعات من اخذة الدوار وهول الصدمة . ما يضلل الرؤية فتفقد القدرة على البصر بمنطق الاحداث فى درامتها العنيفة

ويبقى للامة من نفاذ البصيرة وصفاء الرؤية ما يحفظ عليها ارادة البقاء . ويبصرها بمزالق العثار فى أزمات الوجود وتحديات المصير .

ولا يمتنع ان تبلغ وطاة الازمات ومكر الذرائع وتراكم الغواش ، ما يعم به الكرب فتتشابه السبل وتختلط عمايات الدروب ، لكن الامة تظل قادرة على مقاومة دواعى القنوط والاحباط . بحدس الدفاع عن الذات . لا تخطىء منار هداها ، ودليل مسراها بليل حالك الظلمة . وتلتمس من مواسمها الدينية الكبرى ما يرهف وعيها بالمذخور من حيويتها وعراقة وجودها .

على انه مهما يبلغ من اخذة الافراد بما يغشاهم من دوار الصدمات . فان قبسا من نور الله يبقى ابدا فى اعماق وجدانهم وضمائرهم هيهات ان ينطفىء . ومهما تضللهم الغفلة عن تمويه السراب ومصايد التمويه . فهيهات ان ينقطع رجاؤهم فى رحمة الله وهداه وقد قال عز وجل :

(واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان . فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون)

وهم يستجيبون للخالق جل جلاله ، فيقيمون من العبادات ما هو فرض عين على الكافة ويحفظون القدر المعلوم للكافة بالضرورة من دينهم القيم ، وليس يضيرهم ان يغيب عنهم ما ليس متاحا للكافة ، فليس مفروضا الا على اهل العلم به والقيام عليه . فرض كفاية

التاريخ : ٢١ / ٦ / ١٩٩١

* * *

الى البيت العتيق تسعى حشود الحجيج من فجاج الارض . وهم يعلمون من دينهم بالضرورة أن حج البيت لمن استطاع اليه سبيلا . من قواعد الاسلام الخمس ، وان لم يعلم عامتهم بالضرورة . فقه شعائر العبادات وحكمة المناسك .

يعلمون جميعا ان البيت الحرام كعبة الامة وقبلتها الجامعة ، ومثابة حج ابنائها ومهوى افئدتهم . ويعلمون من شرف البيت العتيق انه اول بيت وضع لعبادة الله في الارض . ولا يخلو مجتمع مسلم من ذكر المرويات في حرمة هذا البيت ورفعته وكرامته ، وان لم يعلموا بالضرورة وجه تشريف هذه البقعة الجرداء بهذا الاصطفاء فالله عز وجل يصطفى من الاماكن والأزمنة مثلما يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس . سبحانه ، يختص برحمته من يشاء من عباده .

وحجاج الموسم ، وكل موسم ، يأتون متفرقين من جهات متباعدة . فاذا بلغوا موافيت الاحرام المحددة لأهل كل ناحية والوافدين من طريقها للحج او العمرة ، تطهروا ولبسوا زى الاحرام واهلوا بالتلبية . وقد علموا انهم في طريقهم الى البيت الحرام والموقف بعرفة ، متجردين من كل ما يتمايز به الناس من زى ومظهر وجاه يلتقون جميعا ، مهللين مكبرين داعين ضارعين ، خاشعين لجلال الموقف اقرب ما يكونون الى الافق الأعلى ، قد تساوى فيه الخاصة والدهماء ، وتماثل العوام والرؤساء ، وتقارب السادة والاتباع :
كلهم عبيد الله وعباده ، لا يتفاضلون الا بالتقوى ، تطبيقا عمليا لاية الاعلان القرانى منذ أكثر من اربعة عشر قرنا ، للمساواة بين الناس ، كلهم لاب واحد وام واحدة ، لا يتفاضلون الا بالتقوى . قال عز وجل :

(يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير)

* * *

في هذا الملتقى الجامع يوم عرفة ، لا يغيب عن وفود الحجيج ان موسم الحج في أيامه المعدودات من اشهره المعلومات ، ملتقى موسمى لابناء الأمة من مختلف الشعوب والبلدان ، يتعارفون ويتواصلون ويتراحمون . ويتذاكرون فيما يشغلهم من قضايا الأمة ونوازل الوقت ، وانهم ليحفظون آية الاعتصام ، ويفقهون قوله تعالى في آية (المؤمنين)

(وان هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاتقون)

ويحفظون معها الحديث المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ، مثل امتى في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ،

وهم بحيث يذكرون في موقفهم الجامع بعرفة ، من وصية الحبيب المصطفى لامته في حجة الوداع : ان « لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض »

وقد عاشوا جميعا ازمة العصر . و ما هي في الواقع المشهود الا ازمة الوعي العربي والضمير الاسلامي ، وسمعوا بلا ريب ما بثته اجهزة الاعلام مرئية ومسموعة ومقروءة من اقوال كل حزب وحلف ، وتعليقات الخبراء والمحققين ، ونحن جميعا شهود على ما تعرضت له ديارنا واهلونا من حرب غشوم باسلحة فتاكة متطورة مدمرة ، ليست باضر من اسلحة التغرير والتمويه والتضليل والتخدير والاستدراج الى متاهة سراب عقيم .

وهذا ملتقاهم الجامع في حمى الحرم الامين ، يستبصرون نور الهدى ومعالم الطريق ، ويتواصون بالبر والحق ، وترميم ما تصدع من بنياننا وما تاكل من خلايا كياننا ، لحساب بني اسرائيل أعداء البشر .

الامة كلها مع حجاجها في وقفتهم بعرفات اذ يتصل الحاضر بالماضي عبر السنين والقرون ، منذ حج المصطفى صلى الله عليه وسلم بالمسلمين الاولين حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة ، في مثل هذا اليوم منذ اربعة عشر الف سنة قمرية ، لم ينقطع فيها المشهد المهيب للنبي المصطفى الحبيب ، يعلم المسلمين مناسك حجهم وشعائر عبادتهم ، ويختم وصية وداعه بقوله : « ولقد تركت فيكم ما ان استمسكتم به فلن تضلوا ابدا : كتاب الله وسنة رسوله »

في ملتقى عرفات ، يوقن المؤمنون اننا نحمل من تكاليف وجود امتنا ما لا يحل التفريط فيه بالتخلي لسادة هذا الزمان البائس ، عن قرار وجودنا وصياغة مستقبل امتنا ، وفينا كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى خاتم المرسلين عليهم السلام ، منارا ودليلا ..

وسلام عليهم ساعين من فجاج الارض الى مثابة حجنا وقبلة امتنا ، واقفين على عرفات محرمين خاشعين ، قد تماحت بينهم كل الفروق ، في حمى البيت العتيق وانحنت هام الرعايا والملوك ، للذى تعنوله كل الجباه ، واليه ، في علاه ، رفعوا النجوى دعاء وابتهالا وصلاه ربنا لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لاشريك لك

وغير بعيد من موقفهم المهيب في عرفات ، يتراءى القدس حزين السمات ، يصغي الى صدى دعاء يتردد من ذرا عرفات الى سفح المكبر
الله اكبر الله أكبر الله اكبر :
أعلى مسرى محمد ؟ بجوار المهد في أرض السلام ؟
ينشر الطاغوت اعلام الظلام ، ويعربد ؟! □

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٣ / ٧ / ١٩٩١

فى ذكرى الهجرة

تاريخ الاسلام ، والتقويم الهجرى

د . عائشة عبدالرحمن
(بنت الشاطىء)

اليوم تحتفل امتنا فى مشارق الارض ومغاربها بمستهل السنة الهجرية ، على العهد بها فى مثل هذا اليوم من كل دورة لعام القمر . والمسلمون كافة يعلمون بالضرورة انه احتفال بذكرى هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة الى « يثرب » التى استحدثت بالهجرة التاريخية اسمها الاسلامى الشريف : « المدينة المنورة » وأنهم ليعلمون من دينهم بالضرورة ان تاريخ الاسلام بدا من فجر ليلة القدر المباركة فى غار حراء بمكة المكرمة .

ومع هذا المعلوم بالضرورة للمسلمين كافة ، يقع التباس خطير يتوهم ان تاريخ الاسلام بدا بالهجرة التاريخية التى يؤرخ بها لدولة الاسلام من عهد ، امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ثانى الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم .

وجه الخطر انه يطمس تاريخ الامة ، بما يوهم الاسقاط او البتر للعهد المكى عصر المبعث - من اول الاسلام ليلة القدر ، إلى وقت الهجرة النبوية - بما حفل به ذلك العهد الاول من معالم الاحداث ، وما نزل فيه من الوحى المكى : اكثر القرآن .

وغير مجهول من تاريخ الاسلام الموثق ، ان الهجرة النبوية كانت فى شهر ربيع الاول من السنة الثالثة عشرة للمبعث ، واما التاريخ بها فى التقويم الاسلامى ، فلم يبدا إلا فى عهد ، عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، فى السنة السابعة عشرة للهجرة ، فقد ان مضى على بدء تاريخ الاسلام ليلة القدر ، ثلاثون سنة قمرية ، كان المسلمون فيها يؤرخون بالاحداث الكبرى قبل الهجرة وبعدها إلى حجة الوداع فى العاشرة ، ووفاة المصطفى عليه الصلاة والسلام بالمدينة فى شهر ربيع الاول من السنة الحادية عشرة .

ومضوا على ذلك يؤرخون بالاحداث الكبرى فى عهد ابى بكر الصديق اول الراشدين رضى الله عنهم ، ثم فى السنوات الخمس الاولى من عهد عمر ، حيث اتسعت ، دولة الاسلام ، بالفتوح وإسلام شعوب عريقة فى التمدن لكل منها تقويمها السنوى ؛ فبدت الحاجة الى تقويم اسلامى للدولة يؤرخ بالشهور والسنين القمرية ، فجمع ، عمر ، وجوه الصحابة اهل الشورى رضى الله عنهم فالتفتوا الى أن المبعث قد تكفل الله تعالى بتكريمه وتخليد ذكره وفرض الصيام فى شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن ، قاعدة من قواعد الاسلام الخمس ، وشرف مكة المكرمة دار المبعث بالبيت العتيق ، قبلة المسلمين ومثابة حجهم ومهوى افئدتهم .

فكان ان اتفقوا على التاريخ لدولة الاسلام بالهجرة إعظاما لجلال موضعها من تاريخ الاسلام ، قاعدة لدولته ومركز التعبئة لجند الاسلام فى عصر المبعث ، ومنطلق كتائبهم فى الفتوح الكبرى ، وذكروا لدار الهجرة ما حفظ الله تعالى من فضل لاهلها الانصار الذين اووا ونصروا : ولم ينسوا ما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مناقب الانصار وحب الانصار ودعاء للانصار . وابناء الانصار .

ذلك ، ومثله معه ، مما دخل فى تقدير وجوه الصحابة حين اتفقوا على الهجرة للتاريخ بها فى التقويم الاسلامى . وإذ كانت الهجرة النبوية فى شهر ربيع الاول . باتفاق ، نقلوا التاريخ بها إلى مستهل الشهر المحرم ، اول السنة القمرية .

لم يخطر على بال وجوه الصحابة ، ولا دخل في حساب التاريخ ، ان الهجرة الى المدينة على جلال قدرها ، عزلت مكة المكرمة عن مسرح الاحداث وهي دار المبعث وفيها البيت العتيق ، بل تظل مكة في صميم الصراع الدائر بين الاسلام واعدائه عصر المبعث ، وتبقى ابدا ، كما اراد لها الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام : العاصمة الدينية الكبرى للاسلام ، وقبلة امة ومثابة حجهم ومهوى افئدتهم :

في السورة الاولى من الوحي المدني بعد الهجرة ، نزلت احكام فريضة الحج إلى البيت العتيق ، من قواعد الاسلام الخمس ، والمسلمون الأولون وقتئذ في دار هجرتهم ، وابواب مكة من دونهم موصدة .

وفيها استجاب الله تعالى لرسوله في القبلة التى يرضاها لامته ، وكانوا يتجهون في صلاتهم إلى بيت المقدس ، حتى نزلت في السورة الاولى من الوحي المدني ، آية تحويل القبلة :

(قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ...) الآيـة .

فاستقبل المسلمون ، المهاجرون والانصار ، المسجد الحرام في صلاتهم ، وهم في دار هجرتهم ، ليس في الدنيا وقتئذ دار إسلام غيرها .

ذلك كله مما لا ينبغي ان يجهله من له ادنى معرفة بتاريخ الاسلام والسيرة النبوية . ولا يخلو اى مجتمع اسلامى في ريف او بادية او حضر ، ممن يحدث الناس به في مواسمنا الدينية العامرة بدور العبادة ومحافل الذكر .

فمن أين جاء الالتباس الخطير بين بدء تاريخ الاسلام من فجر ليلة القدر قبل الهجرة بثلاث عشرة سنة ، وبين التاريخ بالهجرة في التقويم الاسلامي ؟

قد يتبادر الى الظن ان عوام المسلمين الاميين هم الذين يتورطون في هذا الخلط ، لكن الرؤية البصيرة للموقع الفكرى من وجودنا الحديث والمعاصر تشهد بان ذلك الخلط انما يفشو في الخاصة ممن تستهويهم مقولات رائجة للفرنجة في الاسلام وتاريخه .

من اواخر القرن الماضي ، كان مما نفثت الصهيونية العالمية في عقلية صنيعتها البهائية البلهاء . [أن دورة الدين المحمدى بدات بالهجرة وانتهت بظهور البهائية في القرن التاسع عشر للميلاد] وعبثا حاولت البهائية باسلوبها الشائه ومنطقها المختل وتاويلاتها السفيهة ، ان تبث هذه المقولة في مناخنا الفكرى . وحملها نفر من مستشرقى اليهود فكانوا امكر حيلة وادهى مدخلا : منهم المستشرق المجرى ، جولد تسيهر ، الذى بشر بهذه الدعوة الجريئة الزائفة في محاضرات له باوروبا ، نشرت مجموعة في كتابه (تاريخ تطور العقيدة والشريعة في الاسلام) وقد ظل بعيدا عنا من سنة طبعه ١٩١٢ ؟ الى سنة ١٩٤٤م حيث نشرت دار الكاتب المصرى بالقاهرة) ترجمة عربية للكتاب ، اشترك فيها ثلاثة من المشايخ الازهريين نالوا الدكتوراه من اوروبا .

البحث الاول من الكتاب عنوانه (محمد والاسلام) تجرد فيه لتاييد مزعمه ان الاسلام لم يكن دينا حتى هاجر الى يثرب اليهودية ! قال بعد ان هون من العهد المكى للاسلام :

[وسوف لا اقص هنا تاريخ نجاحه وفشله ، انما اذكر ان عام ٦٢٢م ـ الهجرة ـ كان مستهل تاريخ الاسلام .... من اجل ذلك ، لنا ان نقول إنه في المدينة على الأحرى كان مولد الاسلام]

وقبل ان تظهر فينا سنة ١٩٤٤م طبعة (دار الكاتب المصرى) للترجمة العربية للكتاب ، كان من اوائل من بشروا فينا بهذه المقولة الزائفة ، اسرائيل ولفنسون ابو ذؤيب ، الذى طرأ على كلية الاداب بالجامعة المصرية ، استاذا محاضرا للغات السامية . فانجز اثناء ذلك رسالته للدكتوراه من الكلية باشراف استاذنا العميد ، في (تاريخ اليهود في جزيرة العرب) وبادرت الى طبعها ونشرها لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، والكتاب يؤصل للوجود اليهودى في جزيرة العرب من قديم ، ويقدم لاحداث عصر المبعث ، تفسيرا يهوديا بالغ النكر والمكر مع التهافت والخلل ، من ذلك قوله في يهودية يثرب وتاثر الاسلام بها :

[يحتمل ان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد اتصل باليهود منذ حداثته ، لاسيما بعد ان اشتغل بالتجارة لزوجته السيدة خديجة]

وبمثل هذا الاحتمال الخائر ، اطلق الحكم بإجماع المستشرقين على دعواه الفاحشة قال :

[من هذا يستنتج المستشرقون ان النبى الجديد قد ظهر بمظهر الأنبياء الاسرائيليين كي يثبت صحة رسالته] .

واطال الكلام عن تاثر الانصار بيهود يثرب قبل الهجرة ، ليقف طويلا عند بيعة العقبة الكبرى ليقول [ان هذه البيعة كانت اولى من الهجرة بأن تكون بداية تاريخ الاسلام] .

قاتلهم الله ، ما اجراهم على التاريخ الموثق ! يسقطون من تاريخ الاسلام العهد المكى للمبعث ، وفيـه كانـت ليـلة القـدر ، والمقاطعة والحصار ، والهجرة الى الحبشة ، وعام الحزن ، والاسراء ، وبيعات العقبة !

وفي العهد المكى ، نزلت قبل الهجرة ست وثمانون سورة من سور القرآن ، ثم نزل منه بالمدينة بعد الهجرة ثمان وعشرون سورة :

وبعد فلقد اوجزت الاشارة الى مقولاتهم حيث يضيق المجال هنا عما ينبغي من نقضها وبيان بؤس تهافتها وفحش تزويرها ، ولم اتجه فيما اوجزت الاشارة إليه ، الى غير ماحمل الينا من بضاعتهم ، وروجت له فينا فتنة الاستهواء .

على انه مهما يبلغ من فشو هذا الخلط بين الخاصة ، فان الأمة مبراة من زيغ الاستهواء .

في مستهل شهر رمضان المعظم ، من كل سنة قمرية ، يحيى المسلمون كافة شهر القرآن الكريم صياما ونسكا ورياضة ومجاهدة .

وفي فاتح المحرم ، يحتفل المسلمون في مشارق الارض ومغاربها بذكرى الهجرة التى يؤرخ بها لدولة الاسلام من عهد ، عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه .

(فاعتبروا يا اولى الابصار)

صدق الله العظيم

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٣ / ٩ / ١٩٩١

نجاة بنت الشاطيء من حادث سيارة



د . عائشة عبدالرحمن

★ فى طريق عودتها من قرينبا وعند مدخل طريق الاسماعيلية القاهرة انقلبت السيارة التى كانت تقل الكاتبة والمفكرة الاسلامية الكبيرة بالأهرام الدكتورة عائشة عبدالرحمن « بنت الشاطيء » وذلك على اثر انفجار اطار السيارة الامامى من الناحية اليمنى.

ولم تصب الكاتبة الكبيرة الا برضوض خفيفة فى يدها اليمنى وبعض اجزاء من جسمها.

وتم نقل بنت الشاطيء الى مستشفى هليوبوليس بمصر الجديدة.

واسرة تحرير « الاهرام » تتمنى للكاتبة الكبيرة الشفاء العاجل.

★★

الأهرام
وزارة الثقافة والإعلام
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٥ / ٩ / ١٩٩١

سيرة ذاتية

بنت الشاطىء والطموح العلمى

قصة طويلة من الكفاح والطموح والنضال العلمى .. قصة فتاة بدأت من السفح لتصل الى القمة ، ولتصير رابع اربعة من العباقرة فى العالم كله ، منهم من مصر بنت الشاطىء ، كما ذكرت ذلك منظمة عالمية للاحصاء .. وحياتها كلها اشبه بالاسطورة ، او بالخرافة ، تبدأ بما تلقته فى بيئتها على والدها وزملائه العلماء والمشايخ ، وما حصلته باجتهادها وذكائها من مواد الدراسة لكفاءة المعلمات والقسم الاضافى ، وبلغت اقصى الشوط فى ذلك الاتجاه ، ثم استدارت لتأخذ طريقها الى الجامعة حيث ان الطريق الذى سلكته ابعدها عنها ، فنالت الابتدائية من المدرسة السنية الابتدائية من المنزل ، ثم تقدمت بعد علم - لامتحان الثانوية قسم اول من المنزل ايضا ، مع اشتغالها بتدريس اربع وثلاثين حصة فى الاسبوع الى جانب الاعمال الاضافية التى تثقل كاهل معلم المدرسة الاولية ، ونالت كذلك الثانوية قسم ثان من المنزل ، وصارت موظفة بكلية البنات بالجيزة ، واتصلت عرى المعرفة بينها وبين السيدة لبيبة احمد صاحبة مجلة النهضة النسائية ، وصارت من اشهر محرريها ، ثم صار لها الاشراف الكامل عليها ، ونشر لها الاهرام مقالاتها فى الصفحة الاولى ، وإختارت لنفسها لقب بنت الشاطىء ..

وصلت بعد سبع سنوات من المكابدة والعناء من الباب الموصد لمدرسة المعلمات بالمنصورة الى باب الجامعة ، حيث تقدمت بشهادتها (البكالوريا ادبى) الى اداب جامعة فؤاد الاول (جامعة القاهرة فيما بعد) ، واخذت طريقها بتفوقها العلمى الى الدراسات العليا ، واخذ بيدها استاذها امين الخولى الى اعلى الدرجات العلمية ، وصارت إحدى اعضاء هيئة التدريس فى الكلية ، بل صارت إحدى العبقريات فى الحياة الجامعية فى مصر والعالم العربى ، ونالت الجوائز وشهادات التقدير والشهادات الفخرية من كل مكان ، وشاهدت كل المهرجانات والمؤتمرات الكبيرة فى مصر ومختلف دول العالم .

بنت الشاطىء اثبتت جدارة المصرية للنبوغ فى المجال العلمى والادبى والصحفى ، وهى مفخرة من مفاخرنا المعاصرة ، وإحدى معالم مصر المعاصرة .

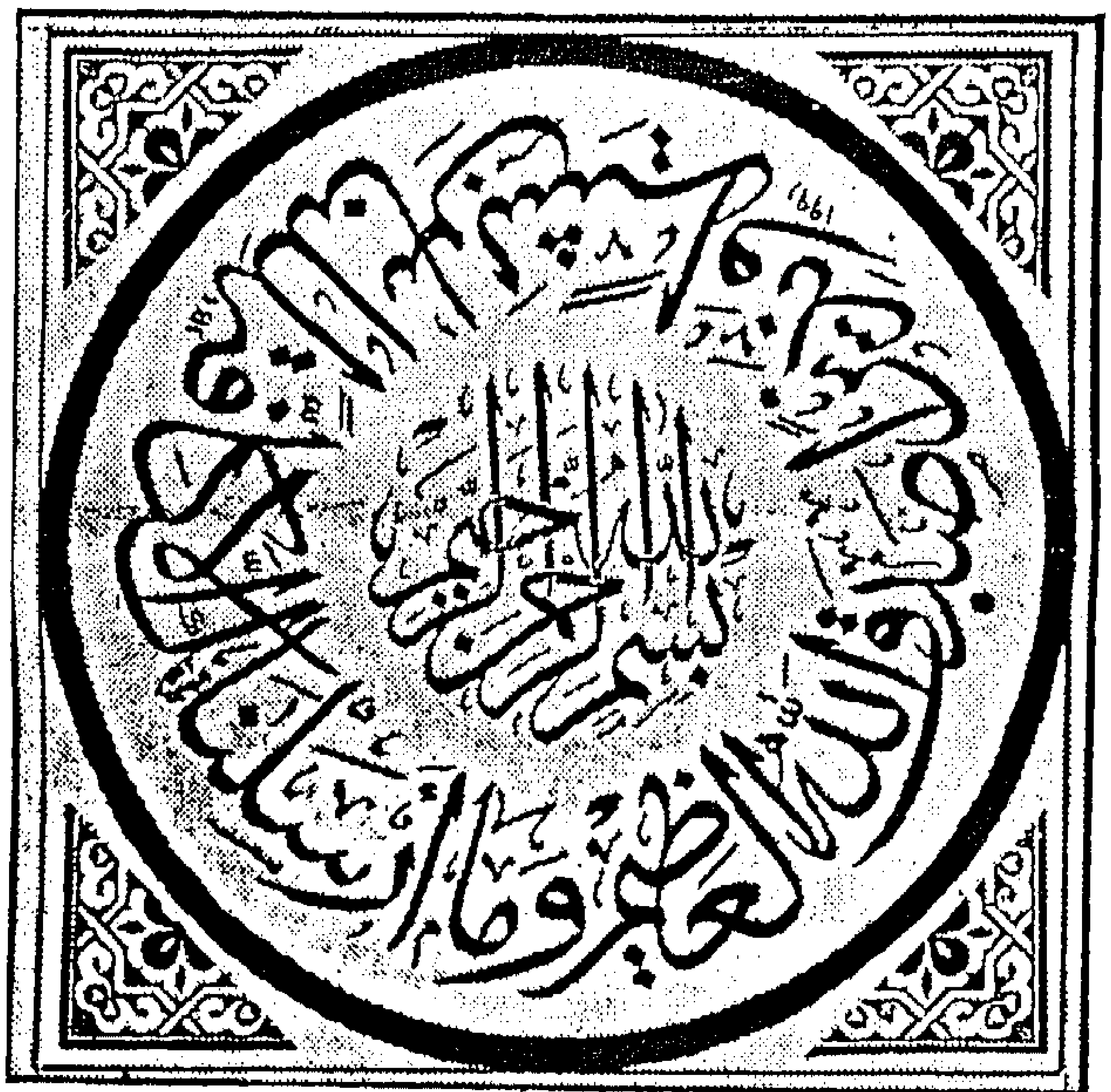
لقد كتبت الدكتورة بنت الشاطىء قصة حياتها الاولى حتى دخولها الجامعة ، وتعرفها إلى استاذها امين الخولى ، واخذها عنه ، وتلمذتها عليه ، فى كتاب من اخطر كتب السيرة الذاتية اطلقت عليه اسم « على الجسر » وهو سيرة فى نمط فذ ، تروى قصة حياة علمية خصبة من حيث تقف على الجسر بين الحياة والموت إثر رحيل استاذها العظيم .



الكتاب وثيقة من وثائق التربية والتعليم فى بلدنا طيلة ثلث قرن ، وهو كذلك من اكبر كتب الدكتورة خطرا وإثارة وإمتاعا ، ثم هو من اجمل اساليب الكتابة والبيان فى ادبنا ، وفيه صور صادقة عن الحياة المصرية ، فى جميع الوانها ومظاهرها ، فى الريف وفى المدينة ، فى الكتاب والمدرسة الاولية والجامعة ، فى مكانة الفتاة فى المجتمع والاسرة ... إلخ .

لقد ظفر الادب بكاتبة وبكاتب وباستاذة كبيرة صارت اليوم إحدى مفاخر مصر الحديثة . ■

د . محمد عبد المنعم خفاجى



بريشة الفنان : حسين أمين

د . بنت الشاطىء

استاذ التفسير والدراسات العليا سابقا بكلية الشريعة ، جامعة القرويين

مع الحبيب المصطفى في ذكرى مولده

لله تعالى الحمد والمنة ، استجاب لدعائي أن يكون حديثي في ذكرى المولد النبوى الاغر اول ما تخطه يمناى اذ امضى فترة نقاهة من جراحة دقيقة حرجة تجلت لى فيها رحمة الله عز وجل فيما هيا لى من صفوة اطباء جراحين حكماء وممرضين من جبرواكسر ذراعى ، فى رعاية مثالية .

ثم كان الله معي ، يشد ازرى بمن احاطوا بى فى الايام الدقيقة الحرجة ، من الصحب الكرام والاخوة الزملاء ، وابنائى التلاميذ والقراء بالمشرق والمغرب الذين جددوا عهد تواصلنا فى صحبة علمية وفكرية حميمة ، بعد ان نات بنا الديار وشط المزار .

اليهم جميعا تحية العرفان بجميل ما اسدوا لى ، لاستقبل مع امتى ذكرى مولد الحبيب المصطفى باول ما تخطه يمناى بعد الازمة الصحية ، كما تمنيت على الله عز وجل فيما كنت بين الحياة والموت ، انطويت على نفسى استرجع مافات من عمرى واشفق مما فرطت فيه من امرى ، فوجدتنى الوذ بمثل ما لاذ به صحابى جليل ، حدثوا فى الصحيح انه اكثر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السؤال عن الحياة الاخرى ، حتى ساله الرسول عليه الصلاة والسلام (ماذا اعددت لها) فقال والله يارسول الله ما اعددت لها كثير صلاة ولا زكاة وصوم ولكنى احب الله ورسوله فقال عليه الصلاة والسلام فانت مع من تحب .

ومضت بي رؤياى مع من احب الى مشاهد مولده الاغر، وما حف به من بشريات وايات ودلائل في مكة ام القرى كان مولده ، واهلها يحتفلون بنجاة بيتها العتيق من اصحاب الفيل وضعته امه ، سيدة الامهات ، امنة بنت وهب ، القرشية الزهرية ، في دار ابيه الذبيح الراحل عبد الله بن عبد المطلب القرشي الهاشمي بجوار البيت العتيق الذى شهد اية فداء عبد الله من النحر وفاء بنذر لابيه عبد المطلب لئن ولد له عشرة بنين وبلغوا معه بحيث يمنعونه ، لينحرن احدهم قربانا لرب الكعبة وتوالى بنوه عشرة ، اصغرهم عبد الله الذى اختير للذبح ثم للفداء واحتفلت مكة بعرسه يوم فدائه وهى تذكر به اية فداء جده الاعلى اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام

بعد ايام من العرس لحق عبد الله بقافلة قريش في رحلة الصيف الى الشام ، وفي طريق الاياب المت به وعكة فتخلف بيثرب عند اخوال ابيه بنى النجار ريثما يبرا من وعكته ، لكن الموت عاجله هناك ولم يقبل فيه هذه المرة اى فداء

وترملت عروسه ، امنة ، وفي كفيها خضاب العرس ، وفي رحمها ابن الذبيحين ، يعطي وجودها كله قيمة ومعنى ، كما يعطى حادث الفداء تفسيره ومنطقه

وانستها ، طوال اشهر الحمل بشريات الهواتف والرؤى ، حتى وضعته في الليلة المقمرة من شهر ربيع الاول عام الفيل ، ونور الفجر يبشر بصبح جديد ، ويستقبل مع انفاس الصباح انفاس الوف الوف من بنى البشر ، ولدتهم امهاتهم من مختلف الاجناس وشتى البقاع منهم من ولدوا في قصور مصر والشام وفارس والروم واليمن واخرون منهم ولدوا في مجاهل القفر ونجوع البوادى وادغال الغابات وكهوف الجبال ، تباعدت بهم الاصول والاعراق وتفاوتت الاجناس والالوان وتناءت الطبقات والدرجات ، وجمعتهم بنوتهم للبشر ، وتماثلت فيهم اية الخلق وتشابهت تجارب الحمل والمخاض ، على مابينهم من تفاوت بعيد

وما كان احد ليلتفت الى وليد منهم وضعته امه يتيما في حى بنى هاشم جيرة الحرم المكى في تلك الليلة المقمرة التى بوركت به ، لولا ان حفت بمولده ظروف غير مالوفة ، جعلت ام القرى تتلقى بشرى المولد بكثير من التامل والتفكير ، ثم تحرص على ان تستوعب كل ماحف بها من ظروف ، وان تتابع سير الحياة بهذا الوليد الى ان بلغ اشده واصطفاه الله خاتما للنبيين عليهم السلام .

واما التاريخ العام فلم يطل الوقوف بمكة مهد المولد ، الا ريثما القى سمعه الى ماكانت الجزيرة العربية تموج به من تطلعات الى تحول خطير رنا اليه شعراؤها وحكماؤها ، مع ماتناقله الرواة من ارهاصات لكهانهم وحنفائهم عن نبى جديد حان مبعثه ، وتنبؤات برسالة جديدة تناقلها الرواة والسمار عن رهبان النصارى في الشام ونجران ، واحبار يهود شمال الحجاز .

ومكة على الخصوص كانت المركز الذى تتلاقى فيه تلك التطلعات والارهاصات ، وتتجمع روافدها من هنا ومن هناك ، لتصب حول البيت العتيق وتحوم حول حى بعينه من احياء قريش ، وهو حى بنى هاشم وترنو الى شخص بذاته ، هو ابن الذبيحين ، ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ،

على ان التاريخ لم يلبث ان شغلته عن مكة ووليدها اليتيم الهاشمي ، احداث جسام كانت تجرى على مسرح الدنيا في الثلث الاخير من القرن السادس لميلاد المسيح عليه السلام .

ومضى يرصد نذر الانهيار في عالم يريد ان ينقض ، ويتابع الجولات الاخيرة بين قطبي ذلك العالم القديم . حيث كانت دولتا الفرس والرومان تخوضان حربا طاحنة على مراكز السلطة والنفوذ والاستغلال .

حتى بلغ اليتيم الهاشمي المكى الاربعين من عمره وتلقى الكلمات الاولى من ختام رسالات الدين بعد مولد المسيح عليه السلام بستة قرون وعشر سنين . فالتفت التاريخ الى مكة . يجمع كل ما وعته

ذاكرة الزمان عن ذلك المصطفى وابائه وعشيرته ، وبيته ودار مبعثه .

ويظل التاريخ معه يستبصر كل ماتركت خطاه على درب الحياة ويصغى الى المرويات من حركاته وكلماته ويستوعب ماكان من مواقفه ودلائله وسجاياه ، لكي يدون منها الصفحات الاولى من سيرة ذلك المصطفى الذى بدا من فجر مبعثه بوجه سير التاريخ ويملى عليه فيكتب ...

فى عزلتى ، تتراءى لبصيرتى مشاهد مغازية صلى الله عليه وسلم ومواقفه وسجاياه وشمائله ، موصولة بكتائب الفتوح الكبرى التى حملت اللواء الاغر فبلغت به مابين وديان السند والرافدين والنيل ، الى اقصى المغرب . حيث رفعته على قمم الاطلسى قبل نهاية القرن الاول للهجرة ، فاتساءل فى خلوة النقاهة : اين نحن فى واقعنا المهين شعوبا نامية متخلفة ، من عصور العزة والمنعة ؟

وتاخذنى رجفة القهر لما نحن فيه : وقد مزقتنا العداوة والبغضاء والاهواء والاطماع ودارت فينا حروب البغى الحاصدة ، ومعارك الفتن الساحقة ، بعضنا لبعض عدو ، وباسنا بيننا شديد غير انى لا البث ان استرد نفسى من اخذة القهر ، حين تتراءى لى حشود الملايين من المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها يحتفلون بذكرى المولد النبوى ، فى دور العبادة ومحافل الذكر وتشرئب بصائرهم الى نور فجر جديد ، ينسخ ظلمات ليل طال ، ويشهدون الدنيا على ان هذه الامة لا تجمع على ضلالة : ويخفق قلبى بالرجاء ، فاشد وبنشيد المولد :

ليلة المولد جودى بعطائك
وامنحينا زادنا من عبرتك
اشرقى بالنور فى تيه سرانا
ذكرينا بالذى قاد الخطا
واجمعى اشلاءنا ، تحت لوائك

★ ★ ★

ليلة المولد فيضى بالسنا
لنرى اين الطريق
فلقد ضاع الطريق
وضباع الغاب تعوى حولنا
وقوى الشيطان تعدو اثرنا
فانيرى فى دجانا دربنا
قبل ان نهبط فى اليم السحيق

★ ★ ★

ليلة المولد ماتاه الدليل
قائد الركب الى شط النجاه
انما تهنا واخطانا هداه
فتشردنا حيارى ضائعين
وتمزقنا فلولا عن يسار ويمين
نمضغ الاوهام ، ونستجدى الحياة

★ ★ ★

ملء دنيانا ركام
من ضحايا للمذابح والمجازر
والبقايا زادها قهر وحسره
فانسخى ياليلة النور الظلام
لاتمرى خطبة فوق المنابر
ونشيدا فى الحناجر
دون مادرس وعبره
ذكرينا بالذى قاد الخطا
وهدى الابصار منا والبصائر
رجعى فى ليلنا صوت الهدى
يوقظ الارواح منا والضمائر
واجمعى اشلاءنا تحت لوائك .

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٥ / ٣ / ١٩٩٣

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»

صدق الله العظيم

بنت الشاطىء
أستاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

قبس من نوره بين محاق وهلال

عند الله تعالى أحتسب ولدي الذي ثكلت ، وشقيقي الذي فقدت وأياه عز وجل أستعين على ماينبغي لي من الرضا بما رضي لي ، والتجلد لما أكابد لأتابع المسير إلى نهاية المقدور على من خطاي .

وباسمه جل جلاله ، استقبل مع أمتي هلال الشهر المعظم وأحييه معها ، بعد طول انتظار له روعتنا فيه أحداث جسام منذ ودعناه في لياليه اليتيمات من السنة القمرية الماضية ، واشتدت وطأة محن صعبة ونوازل كريهة المدخل عصية على المخرج ، مانكاد نلتقط أنفاسنا من رجة زلزال ودوامة إعصار .

وتوالت علينا جائحات المحن ودارت رحى الحرب على ساحة وطننا الكبير من وادي الرافدين وماوراء النهر إلى الصحراء المغربية ، طاحنة ساحقة ، على مرأى ومسمع من عدو لدود ضج عالمنا في (عاصفة الخليج) بما روجت له أجهزة الاعلام الدولية عن امتثاله الطبيب لمشورة ناصحيه بأن يطول صبره علينا ، ويترك لنا قرار إعفائه من الحرب يتربص بنا ريثما تدور علينا الدوائر فينشب مخالبه الأخطبوطية في صميم وجودنا المعنوي ويسطو بجبروت قرصان وخيلاء مستعمر أشلاء شعوب مسحوقة بحروب البغي العشواء والفتن الحالقة ، وتوالت على فلولها في شرقنا الأسيوي الافريقي كوارث المجاعات والأوبئة ، واجتاحها الطوفان غرقا وتشريدا ، وألقت ببقاياها مكايد طواغيت هذا الزمان ، وقودا لنار الحريق .

وبلغ بنا ، نحن بقايا البقايا ، أن اصابتنا رجة الزلزال بالصمم . فانكفأنا على حواف الأخدود نلهو ونتفرج ونتسلى عن فواجعنا ، بالتهالك على أفانين لاتتناهى من الأفراح والليالي الملاح ، لانخشع لديار لنا في كل دار منها مأتم . ولانخجل من الزهو بمكانتنا المحترمة في عالم لايعرفنا تصنيفه الدولي إلا شعوبا متخلفة نامية ودولا من العالم الثالث

وأخذنا من هوج الأعاصير دوار فاختل اتزاننا وتاه مسيرنا ومسرانا ، وتعدد الأدلاء يتجاذبوننا ذات يمين وشمال وشرق وغرب وشمال وجنوب ، أشتاتا مبعثرة في تيه المحاق ، وتضج أصواتهم بالهتاف والتهليل والتبريك ، متنافرة متعارضة متساقطة ، وأجهزة الاعلام الدولية تذيع من أنبائنا وتقارير خبرائها عن أوضاعنا وأحوالنا ، شهود عيان للأحداث في مواقعها ، ماينبه الغافلين منا إلى أن عالم عصرنا لم يعد قرية صغيرة كالعهد به في أمس القريب ، التستر فيها مستطاع بإيصاد أبوابها ومنافذها وحراسة مداخلها ومخارجها ، بل هو أشبه ما يكون بغرفة مكشوفة بغير ستار في بيت من زجاج ، لايخفى منها خافية على العين السحرية لأجهزة التكنولوجيا المتطورة ، ولايقع حادث في أخفى ركن منها أو زاوية ، إلا طار إليها الاعلاميون الخبراء من أقاصي الأرض بأجهزة الرصد والتسجيل شهود رؤية للواقع بأدق تفاصيله وأخفى زواياه .

وأراني مع ذلك ، كنت على مابي من هم ، مع أمتي في همومها الكبار ، لم يصرفني ما أنا فيه من كرب شاغل وحزن راسخ ، عن تتبع مانسجله مراصدنا ومنابرنا من رجة الزلزال وأصداء النذر . ورجعت البصر فيما يبدو للرؤية القريبة من غفلتنا عن واقعنا البائس ، لاذا بي أهتدي إلى مالايجوز على أمتنا من غفلة الوعي وقصر البصر والبصيرة .

لم يخلفها هلال موعده معها في ميقاته المعلوم ، رغم اكتشاف إنسان العصر كثافة جرم القمر وصخرية تضاريسه وظلمات كهوفه ، ولم تنسخ آية العلم الحديث بالقمر ، آيته القرآنية فيما نتلو من قول الخالق عز وجل :

(هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ماخلق الله ذلك إلا بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون)

هلاله يتجلى على الأفق بازغا من ظلمات المحاق فيرى أمته على عهده بها محتشدة لشهوده في مواكب الرؤية ، لم تخلفه موعدها معه رغم ما ألم بها من كوارث جائحة وفتن حالقة ، ولاحملها بؤس الوقت على أن تتعلل لإخلاف الموعد بما نزلت من مئات الوف أبنائها في (الفتنة الكبرى) وما لقيت من فداحة الوطأة الرهيبة على شعوب منها أهلكها البغي ، وديار كانت عامرة من فجر التاريخ فصارت خرابا يبابا .

على أطلال الديار الخراب وركام الأنقاض والأشلاء ، يطل هلال الشهر من أفقه العالي فيمسح مابين شعوب أمته من أضغان وأحقاد ، ويمحق ، شئنا أو أبينا ، مارسخته فينا الأهواء والمطامع من تناكر وتناحر ، فبعضنا لبعض عدو ، ونحن فيما بيننا ، في البيت الواحد ، غرباء .

قبس من نوره ، يجوس خلال ديارنا بالمشرق والمغرب لنشهد على أنفسنا فيما فرطنا فيه من أمرنا : تمزقنا شيعا وأحزابا (كل حزب بما لديهم فرحون) وضل مسعانا نلهث وراء السماسرة وتجار الأسلحة ، ونستجدي مانشتريه منهم بالثمن الفاحش والدين الباهظ ، فما أغنت عنا شيئا في حرب الخليج بين جار وجار ، تزوغ فيها الأبصار فما ندري أين العدو ولا من يكون !

(٣)

قبس من نوره ، يجلو أبصارنا لتشهد علينا بما غفلنا عنه من موازين القوى ، حسبناها بالرجال والمال والذخيرة الحربية تقليدية ومتطورة ، واشتعلت الحرب فحصدت الرجال والأطفال والأجنة في بطون أمهاتهم ، وأكلت المال ودمرت السلاح لم تبق على شيء .

قبس من نوره ، يكشف الغشاوة عن بصرنا وسمعنا ، فنتذكر ماسبقت به النذر إذ يرصد لنا راصد من أهلنا لايكذب أهله ، مايراه (من قريب) من مزالق العثار ومظان التهلكة وفخاخ الاستدراج .

وتسجل لنا (ذاكرة التاريخ) أحداث المرحلة في رؤية مستشار مؤتمن ، شاهد عيان لما ، حدث لعالمنا العربي من أثر كارثة الخليج التي ضربت جذورها في كل بيت ، وما انعكس على عالمنا الاسلامي من ضيق وقهر ومرارة .. » .

وتتوالى النذر بما كان من ملابسات (الفتنة الكبرى ، وعاصفة الخليج ، ومابعد العاصفة) من دروس وعبر ، ومايتوقع أن يكون بمقتضى حتمية قانون الأسباب والعواقب في السنن الثابتة في الكون والحياة ، اعتبارا بقول الخالق عز وجل (فهل ينظرون الا سنة الاولين ، فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنته تحويلا) الآية

ورمضان كريم

في مجال نوره الرحب ، فوق الحدود والسدود ، نتراءى له أمة واحدة .

وتشرئب مآذن الجوامع والمساجد والزوايا في كل حي وزقاق ودار للاسلام ، حواضره وبواديه وقراه ونجوعه ، الى أعالي السماء ، واصلة بين أرض لنا تئن من وطأة الطاغوت وبين الآفاق العليا للحق والخير ، ترجع أذان الصلاة الذى لم يغب قط عن سمع الزمان منذ أذن به للصلاة من المسجد النبوى قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة قمرية .

وفي سمع عالم اليوم صدى نبأ أذاعته » لندن « يوم الجمعة التاسع عشر من شهر رجب الماضي ـ الرابع والعشرين من فبراير ـ وتناقلته وكالات للأنباء ، عن إدانة محكمة إسرائيلية بالقدس المحتلة ـ رد الله غربتها ـ مؤذنا لمسجد بها اتهم بإزعاج مستوطنين يهود برفع صوته بالأذان وبخاصة فجر أيام السبت !

سبحان الله ، الله أكبر الله اكبر ..

اسرائيل المحروسة بأحدث الأسلحة المتطورة والتي تهيمن على أمريكا المهيمنة على عالم اليوم ، يؤرقها صوت مؤذن متواضع ، أعزل إلا من كلمات تصعد الى الله تعالى على معارج من نور ، يؤذن بها للصلاة في أهله بديارهم المغتصبة وحماهم المستباح غير بعيد من المفاعل الذرى في ديمونة » .

رمضان كريم .

وسلام على أمتي في شهرها المعظم

(شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان)

صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٦ / ٣ / ١٩٩٣

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا »

صدق الله العظيم

بنت الشاطيء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادىء الكلية للأخلاق

عبرة الأيام وحديث الموسم

ما أعجب المقادير ! كنت منذ اكتهلت واستغرقتني تكاليف المرابطة في الموقع العلمي والفكري من وجود أمتنا ، أحرص على المذاكرة مع ولدي المهندس الشاب « أكمل أمين الخولي » فيما يشغلنا من قضايا أمتنا ، ألتمس لديه الرؤية العصرية الثاقبة لما غاب عني من حياتنا المعاصرة ، على ضيق الوقت بما يشغل كلا منا من شئون حياته الخاصة ودنياه .

ولا أذكر أنه سبق لنا قط مجال ذو سعة للمذاكرة والحوار ، كالذي أتيح لنا طوال فترة علاجي في مستشفى هليوبوليس من حادث كسر لمرفق ذراعي اليمنى صيف عامنا هذا . لم نكد نفترق في تلك الفترة إلا لماما .

وربما تاثرنا في هذا الحوار بمن تفضلوا بعيادتي والكتابة الى ، وفيهم اصدقاء باعدت بيني وبينهم الايام وتناءت الديار وشط المزار ، واخرون من أطباء المستشفى ونزلائه الكرام ، لم يسبق لنا قط تعارف أو لقاء ، ولاكان لي علم بما بيننا من صحبة فكرية حميمة .

امتدت المذاكرة بيننا والحوار يلف بنا ويدور حول ما امتحنت به أمتنا في عامنا هذا من فتنة مدمرة وحرب ساحقة لاعهد لنا بمثلها من قبل ضراوة وفتكا ، ونوازل صماء عمياء المدخل تائهة المخرج ، فتواجهنا قضية (الاخلاق والاسلام) تستقطب ظواهر الازمات السياسية والاقتصادية في الصراع المحموم على مراكز السلطة ومناطق النفوذ ، يتوهج ضرامه بما يلقى في أتونه بين يوم وآخر من أطنان الافيون وشحنات المورفين وأنقاض المصارف المفلسة والمباني المنهارة ، والذمم الخربة في سوق المال والاستثمار ، وأكداس البضاعة الحاضرة من الرشاوى والعمولات والمقامرات والمساومات وعامة ماتقتات به المرحلة من أنباء وأحداث وأسمار ، تبدو للرؤية القريبة من مباغتات الطوارىء وعشوائية الحظوظ وبدع المصادفات والمتغيرات ..

واتصل الحوار حيا سخيا بيني وبين ولدى حتى امتحنت بثكله ، نضر الله وجهه وطيب مثواه ، عقب امتحاني بما كان من لطف الله بي في حادث كسر مرفقي ، تذكيرا بآية الله عز وجل فينا وفيمن مضى قبلنا ومن يأتي بعدنا :

(أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) .

واحتسبته عند الله عز وجل والموسم يقترب ، ودنياى عامرة بطيف من أحببت وثكلت ، وخواطري تحوم حول ما من به الله علينا من صحبة حميمة قبيل رحيله كأنها زاد لوشك فراق ، وفكري يتتبع بما عمر صحبتنا من حوار سخي في قضايا أخلاقية شاغلة ، تنفي الشذوذ عما يجيء به من عجائب وغرائب ، وترفض القول بعشوائية المصادفات عن مسار الاحداث السائرة بنا على السنن الثابتة وقد قال عز وجل :

(سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) .

وغير مستبعد أن يرى القراء المحدثون من أبناء اليوم ، أن اختيارى موضوع الاخلاق لحديث الموسم دقة قديمة ونغمة نشاز في إيقاع هذا الزمان ، وكأني لم أقرأ البحوث التي اختارها « الاهرام » نماذج لرؤية عالمية لمستقبل الشرق الاوسط ، في نظر اثنى عشر سياسيا ومفكرا بارزا من أوروبا وأمريكا والشرق الأوسط .. أصدرها مركز الترجمة والنشر بالاهرام .

(٣)

ولقد قرأته ووعيته ونقلت منه بطاقات فى مدوناتى (شاهدة عصر) اضافة الى مادونت قبلها عن (حرب الخليج) وماتلاها من حوار ذكى للاستاذ الزميل محمد حسنين هيكل مع الزميل الراحل فيليب جلاب . ثم تابعت الرصد لاحداث الجزائر - الله لها - وليبيا والسودان وايران وباكستان والعراق والصومال ، ومسار (مساعي السلام) في الشرق الاوسط خطوة خطوة ، وتحريك وفودها على الرقعة العجيبة مابين مدريد وواشنطن وموسكو على نية توزيعها في الحركة التالية على رقعة أوسع وأعجب ، عودا إلى موسكو وواشنطن ، وامتدادا إلى بروكسل ولارناكا وتركيا ومصر ..

وآفاق العالم تتجاوب باصداء مايقع في الاقطار الاسلامية ومايؤرق القادة العظام من أحوالنا وأوضاعنا ، شاهدة له وقع الاسلام في موازين القوى لعالم اليوم ، وصفقات الأسلحة لاتزال تمارس نشاطها المشبوه في المنطقة المنكوبة بآثار الحرب المدمرة ، المثقلة بأعباء الديون وفوائدها الباهظة .

وأحاول جاهدة أن أفهم منطلق الاحداث لواقعنا البائس ، ومفهوم العصر الجديد لحرمة العهود والمواثيق الدولية . وأخلاق عالم الكبار في تنمية عالمنا الثالث . فاسمع مع العالم كله اعلان رئيس وزراء اسرائيل بسان دولته غير ملتزمة باتفاقيتي كامب ديفيد سنة ١٩٧٨ ، فيما يتعلق بالبنود التي لاتراها ملائمة لها ، وبخاصة مايتعلق بفلسطين والحكم الذاتي ..

واقرأ في الصفحة الاولى من أهرام يوم السبت الثامن من فبراير ١٩٩٢ - الرابع من شعبان المكرم - أن مجلة [الايكونومست البريطانية نشرت أمس نص مذكرة سرية للبنك الدولى تقترح أن يتولى البنك تشجيع تصدير الصناعات القذرة من الدول الصناعية المتقدمة الى بلدان العالم الثالث - ونحن منه - وقالت المجلة ان لورنس سمرز كبير الخبراء الاقتصاديين في البنك الدولى هو الذى اعد المذكرة ، وأضافت ان سمرز قال في مذكرته [إن أغلب مناطق افريقيا ، على سبيل المثال ، أقل تلوثا من لوس أنجلوس] .

....

* * *

وأرانى بعدما راجعت مدوناتي لوثائق المرحلة وما سجلت من أصدائها ، لا أرى وجها للعدول عن الحديث في قضايا الاخلاق والاسلام ، لما أقدر أنها تستقطب غيرها من قضايانا الشاغلة وماطرأ عليها من تغيرات عصر جديد بدأ بعاصفة الصحراء وحرب الخليج نافذا إلى أقطار العالم كله ، وإن رأى بعض مثقفينا المحدثين أن اختياري موضوع الاخلاق لحديث الموسم ، دقة قديمة ونغمة نشاز في إيقاع العصر .

وأتلو من كلمات ربي هذا الدعاء القرآني :
(وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) .
صدق الله العظيم .

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات
التاريخ : ٧ / ٣/ ١٩٩٢

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا * وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا * »

صدق الله العظيم

بنت الشاطىء

استاذة د . التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادىء الكلية للأخلاق

الآداب والأخلاق فى الإسلام (١)

سبق لى أن تناولت قضية الآداب فى المنهاج الاسلامى للسلوك . فى بحوث ومقالات وكتب لى ذات عدد . أذكر منها كتب (مقال فى الانسان . والقران وقضايا الانسان . والشخصية الاسلامية) ... وهى تقوم على أسس ثلاثة

أولها : الاستقراء الدقيق الكامل لآيات الانسان فى القران الكريم . تشهد بأنه إلى جانب كونه بشرا يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وتجوز عليه أعراض البشرية . وكونه كذلك من أفراد الانس بدلالة انسيته على نقيض التوحش . فان الانسانية فيه ارتقاء إلى الرتبة التى تؤهله للخلافة فى الارض وحمل تبعات الحرية وتكاليف الرشد . ومخاطر الامانة الصعبة لانسانيته . بما اختص به دون سائر الكائنات من العلم الكسبى والبيان والعقل . مع مايلابس ذلك من كثرة الجدل والتعرض للابتلاء بالخير والشر . وفتنة الغرور بما يحس من امتيازه . وزهو الشعور بتفوقه ومكانته فى الرتبة العليا للكائنات بحيث ينسى فى نشوة غروره وكبرياء زهوه . انه المخلوق الضعيف الذى يعبر رحلة حياته الدنيا على الجسر المفضى حتما الى ضجعة القبر والمصير إلى الحياة الاخرة : قال تعالى :

(كلا أن الانسان ليطغى . أن راه استغنى . إن إلى ربك الرجعى)
(أم للانسان ماتمنى . فلله الاخرة والاولى)

الأساس الثاني لما قدمته من دراسات للمنهاج الاسلامي للسلوك . تدبر ماق القران الكريم والسنة النبوية . قولا وفعلا واقرارا . من نصوص محكمة شاهدة لكون الاداب في منهاجه للسلوك . ليست من قبيل العادات والتقاليد والاعراف تتفاوت بتفاوت البينات والجماعات . ولاهي من قوانين الدساتير الوضعية تختلف باختلاف المستويات وتتغير بتغير النظم والاوضاع وتبدل الحكام . بل هي من شعب الايمان والتكاليف الشرعية المنصوص عليها في سور كاملة منها (المؤمنون والاحزاب والحجرات ولقمان والنور والتوبة) . فضلا عما لاتكاد تخلو منه سائر السور من توجيهات للسلوك وضرب الامثال و ايات الاعتبار بانباء الاولين .

كما تاخذ اداب المنهاج الاسلامي للسلوك موضعها الجليل في كتب الحديث والفقه والأصول . ومنها ـ ككتاب الطهارة ـ ماياتى في كتب الحديث والسنن المصنفة على الابواب قبل كتب (الصلاة والزكاة والصوم والحج) من قواعد الاسلام الخمس .

الأساس الثالث أن الاسلام في عنايته البينة بالسلوك الفردى . إنما ينظر فيه إلى ذاتيته الانسانية الاجتماعية بفطرته . هيهات أن يحقق وجود الفردى بمعزل عن الجماعة . كما يستحيل تصور وجود الجماعة مستقلة عن أفرادها .

وموجز القول في الاداب الاسلامية أنها تتحرى توجيه سلوك الفرد في ذاته غير منفصل عن الاخرين في توحش ضد طبيعته . فتستوعب ادابه في سره وعلانيته . في هواجسه ومخاوفه وأمانيه . في نظافته وطهارته وماكله ومشربه ولباسه وزينته وزيه وسمته ومشيته ومجلسه . وفي معاملته للاخرين من أهله وولده وأولى الأرحام وذوى القربى وفي قومه وأمته . وسلوكه مع أهل الذمة من أهل الكتاب في ديار الأسلام . واداب الحرب والسلام .. وسائرها يقصر عنه العد والاحصاء .

واتساءل هل بقى في موضوع اداب المنهاج الاسلامي للسلوك مجال للقول بعد الذى قدمته على المدى الطويل من بحوث ودراسات ؟

رمضان كريم . وعطاء القرآن الكريم غير مقطوع ولاممنوع .

* * *

راجعت ماسبق لى ان قدمته في الموضوع وفي ظنى أن الامر لايعدو استصفاء خلاصة منه تستجيب لما يشغلنا من قضايا الوقت ومتغيرات نوازله . غير أنى لم ألبث أن تيقنت أن الموضوع أدق تناولا وأرحب افاقا مما قدرت . ذلك أنني فيما مضى تناولت قضية الاخلاق في المنهاج الاسلامي للسلوك . مدرجة في قضايا الاداب الاسلامية . منظورا فيها الى الذاتية الانسانية للشخصية الإسلامية .

واحتاج اليوم الى الاستيناس بموقف السلف الائمة من دمج الاخلاق العامة في منهاج سلوك الافراد . وهذا الموقف مظنه أن يظهر بوضوح في الكتب التى أفردوها لاداب السلوك في الاسلام . ولهم في نسق تصنيفها اتجاهان الاول يهتم بتجريد المرويات من الحديث والسنن في توجيه اداب السلوك ويمثل هذا الاتجاه (كتاب الادب المفرد للامام ابى عبدالله البخارى صاحب كتاب الصحيح الامام) المتوفى سنة ٢٥٦ هـ

والاتجاه الاخر يشتغل بخدمة أبواب الاداب الاسلامية مستمدة أصلا من الكتاب والسنة . مع الاستئناس بغيرها من أقوال الحكماء والشعراء . والأمثال السائرة . ويمثل هذا الاتجاه عندى (كتاب أدب الدنيا والدين لابى الحسن الماوردى الشافعى الفقيه الاصولى الامام . المتوفى في منتصف القرن الخامس للهجرة) .

* * *

قسم الامام البخارى كتابه (الادب المفرد) فى تسعة أجزاء ، مجموع أبوابها يقرب من ستمائة باب . وهذا العدد يكفى لبيان سعة المجال الموضوعى لاداب السلوك فى كتاب الامام البخارى ، من حيث هى تكاليف شرعية وتوجيهات دينية ملزمة وليست ادابا اختيارية متروكة لمشيئة الافراد ، ولاتشريعات وضعية عرضة للتغير والتبديل تبعا لتغير النظم والاوضاع ، وتنفيذا لمشيئة الحكام .

(الادب المفرد) كتاب حديث ، وهو فى جملته جامع لكثير مما فى صحاح الحديث والسنن من كتب الايمان ، والعلم ، والاشربة والاطعمة ، واللباس والزينة ، والسلام والفتن ، والبر والصلة والاداب ، والذكر والدعاء ، والتوبة والاستغفار .. الى جانب مالا تخلو منه كتب الطهارة والعبادات ، والمعاملات والامارة والجهاد ، من توجيهات للسلوك ، شاهدة للذاتية الانسانية الاجتماعية للشخصية الاسلامية حتى فيما يكون من سلوك الفرد فى خلوته ، لا رقيب عليه سوى نفسه اللوامة وخالقه ..

وأما (كتاب أدب الدنيا والدين ، لابى الحسن الماوردى الفقيه الشافعى الاصولى) فاقرب الى أن يكون كتاب تربية وتعليم ، وليس فى مجاله الموضوعى بمثل السعة لكتاب الامام البخارى ، وإن توسع أبوالحسن الماوردي فى خدمة موضوعه وايضاح أبوابه وفصوله بشواهد من القران الكريم ، ومن الحديث احيانا ، فى كثرة من الحكم والمواعظ والامثال السائرة ، شعرا ونثرا ..

وموضع النظر فى الكتابين ، هو تداخل اداب السلوك الفردى فى الاداب العامة ، بحيث يشق ، إن لم يتعذر الفصل بينهما فى شاهد من الكتاب والسنة

* * *

على هذا النهج سار علماؤنا فيما صنفوا من كتب جامعة لاداب المنهاج العام للسلوك أو متخصصة فى شعب منها ، أو خاصة بفئات معينة ، مثل (اداب البحث والمناظرة ، أدب الجدل ، أدب الخواص ، أدب العالم والمتعلم ، أدب المفتى والمستفتى ، أدب القضاة ، أدب الشهود ، أدب الصحبة ، أدب المريض والعائد أدب الكاتب ، اداب الغرباء ، اداب الخلوة ، اداب الصوفية ، اداب المريدين ، الاداب الشرعية والمصالح المرعية ، اداب السياسة ، اداب الملوك ، اداب الوزراء والكتاب ..) فى كثرة من كتب الادب والادباء سجلتها معاجم الكتب العربية وفهارسها المشهورة

واضح هنا عادة استعمال عنوان الادب وللاداب على مصنفاتهم فى مناهج السلوك سواء منها ماهو من اداب السلوك الفردى ، وما هو من الاداب والاخلاق العامة للامة ، أو لفئات منها

فهل الاداب والاخلاق فى منهاج السلوك سواء ؟

فى ذلك نظر نرجو تدبره غدا بمشيئة الله

(وعلى الله قصد السبيل)

صدق الله العظيم

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ »

صدق الله العظيم

د. بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادىء الكلية للأخلاق

الآداب والأخلاق فى الاسلام (٢)

على كثرة دراساتى القرانية على المنهج الاستقرائى لفروق الدلالات، لم اشغل بالنظر فى الفرق بين الآداب والاخلاق ، لما يبدو من تواردهما على الموضع الواحد من اداب المنهاج الاسلامي للسلوك .

ولبثت أمدا لا أكاد أفرق بينهما ، وإن كان فى النفس شىء من الظن بترادفهما مع اختلاف مادة الادب عن مادة الخلق ، وهو ممنوع فى (مقاييس اللغة) وفيما اشتغل به على المدى الطويل من تدبر فروق الالفاظ والدلالات على المنهج الاستقرائى لدلالات الألفاظ القرانية ، لا يقوم لفظ منها مقام لفظ اخر فى موضعه وسياقه ، ومن هنا كان عجز العرب الذين نزل فيهم القرآن الكريم ، عن الاتيان بسورة من مثله مع التحدى والمعاجزة ، والعربية لغتهم والبيان طوع ألسنتهم . وذلك ماتجردت له فى دراستى لقضية (الاعجاز البيانى للقرآن الكريم) .

حتى حظيت بالاشتراك فى الندوة الجامعة للصحوة الاسلامية ، التى عقدت بالدار البيضاء فى الصيف الماضى ، وكان موضوعها (التربية فى الاسلام) شارك فيها جمع من العلماء والباحثين ذوى الاختصاص ، على اختلاف مناهجهم ومدارسهم وتفاوت أنماط شخصياتهم ، قدموا بحوثهم المفيدة فى موضوع الندوة الحافلة ، فما انتهت حتى تبين لى ان الموضوع أوسع من أن يستوعبه ما أعددنا له من بحوث ، فما من آية قرآنية تخلو من توجيه تربوى للسلوك بالاوامر والنواهى .

وبما يضرب الله لنا في القرآن من أمثال ، ومايفصل من أنباء الأولين مما هو مناط العظة والاعتبار .

ومضيت أحاول استحضار شواهد من آيات بينات جامعة في التربية الاسلامية وآداب السلوك ، فتنبهت لما غفلت عنه طويلاً ، من خلو معجم ألفاظ القرآن من كلمة الأدب على الاطلاق ، بأي استعمال لها أو صيغة من صيغها مع كثرة ورودها في كتب الحديث وغلبتها على مصنفات علمائنا في آداب منهاج السلوك والتربية الاسلامية ، على ماسبق بيانه بمزيد تفصيل في حديث البارحة .

واقتضى ذلك الملحظ الاستقرائي اللافت الى خلو معجم الألفاظ القرآنية من مادة (أدب) على الاطلاق ، مراجعة مابه من مادة (خلق) وقد كثر مجيئها فيه بصيغ عدة في أوجه مختلفة من استعمالها : في الخلق والخلقة ، وفي الخلق من الأخلاق ، وفي الاختلاق بمعنى الكذب والافتراء : وأفاد الاستقراء للمادة في القرآن ، ان الخلق .

والخالق فيها جميعا هو الله سبحانه (أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) ، (ذلكم الله ربكم خالق كل شيء) (بلى وهو الخلاق العليم) .

وجاء الخلق مسندا الى غير الخالق عز وجل سبع مرات ، على سبيل النفي والانكار وافحام الخصم الكافر والمشرك .

وجاء مرتين مسندا إلى المسيح عليه السلام في آية من معجزاته . والخلق في الآيتين مقيد بإذن الله عز وجل : آية آل عمران في مبعثه نبيا .

(ورسولا الى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله ...

وعلماء الفروق يميزون بين ماهو من خلق البشر بمعنى التقدير والمحاكاة على مثال ، وبين ماهو من الخلق إنشاء وابداعا على غير مثال ودون احتذاء ، وذلك ماليس الا لله عز وجل : (أفمن يخلق كمن لايخلق ، أفلا تذكرون) سبحانه (يبدأ الخلق ثم يعيده) (فتبارك الله أحسن الخالقين) .

ويتشابه الأمر على الوثنيين فيما يخلقون من أوثان ، كما في آية محاجة ابراهيم عليه السلام للوثنيين من قومه :

(إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا) وقوله عز وجل : (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم) وفي المشركين من قريش : (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ، فقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الالهة الها واحدا إن هذا لشيء عجاب . وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على الهتكم إن هذا لشيء يراد . ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق).

قال علماؤنا : (كل موضع جاء فيه الخلق في وصف الكلام فالمراد به الكذب والاختلاق) وجاء منه (خلق الاولين) ـ بضم أوله وثانيه ، بمعنى اختلاق الرسل الاولين في قوله تعالى في (عاد) :

(قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين . إن هذا الا خلق الأولين . ومانحن بمعذبين . فكذبوه فاهلكناهم) الآيات .

وفي غير هذا السياق ، جاء خلق ـ بضمتين ـ بمعنى السجية في قوله تعالى خطابا للمصطفى خاتم رسله عليهم السلام :

(وإنك لعلى خلق عظيم) .

* * *

هذا الاشتراك في بنية المادة بين الخلق بفتح أوله وإسكان ثانيه ، والخلق بضمتين ، يوجه إلى مانحتاج إليه من ملحظ دلالة الأخلاق على ماخلق عليه الانسان بفطرته وماهو مجبول عليه بطبعه . فيقال فلان مخلوق لكذا ، اى ميسر له بسجيته ، وأمتنا خليقة باباء الضيم جديرة به سجية

في تعريف الخلق اصطلاحا قال الشريف الجرجاني : (هو هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الافعال بسهولة ويسر ـ تلقائيا ـ من غير حاجة الى فكر وروية ، فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلا وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا ، وان كانت تصدرعنها الافعال القبيحة سميت خلقا سيئا . وانما قلنا : راسخة لان من يصدر منه بذل مال بحالة عارضة كالنذر والتبرع لايقال خلقه السخاء مالم يرسخ ذلك في نفسه ، وكذلك من تكلف السكوت عند الغضب ، لايقال : خلقه الحلم

وهذا التعريف على اطلاقه ، يصدق على بعض مصنفات علمائنا دون بعض ، فمنها ماهو من المبادىء الأخلاقية الكلية في منهاج السلوك الاسلامي ، وما هو من نظريات الاخلاقيين الفلاسفة .

من مصنفات علمائنا في الاخلاق بمعنى السجايا (مكارم الاخلاق لأبى بكر الخرائطي ، ومساوىء الاخلاق) له (ت سنة ٣٢٧ هـ) .

(أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم) للحافظ النظار ابن حبان ، ابي حاتم البستي ٣٥٤ هـ (أخلاق الملوك للجاحظ) ت ٢٥٥هـ (أخلاق الابرار ، لحجة الاسلام أبي حامد الغزالي) ت ٥٠٥هـ .

ويلحق بها من قرب : كتب المناقب والفضائل ، والمؤلفات في (الذرية الطاهرة ، وأنساب الاشراف ، وسير أعلام النبلاء ، ومناقب الاولياء .

وقد تلحق بها ، من بعد ، فضائل أقطار وبلدان اشتهر أهلها بسجايا معينة ، والمصنفات فيها كثير .

* * *

إلى هنا ، يبدو لي ـ والله أعلم ـ أن موجز القول في الفرق بين الآداب والاخلاق ، أن الادب تربية وتوجيه وتهذيب ، يكسبه الانسان بالتعليم والتدريب ، وفيه صحيح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

« أدبني ربي فاحسن تاديبي » .

وأما الخلق فسجية فطرية ، تستجيب تلقائيا لما يكون الانسان ميسرا له ، وتتبع توجيهات السلوك وتكاليف الرشد في سهولة ويسر ، وفيها الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

« بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » .

بقي النظر في (علم الاخلاق والاسلام) والحديث فيه يطول ، فموعدنا معه غدا إذا يسر الله وأعان . وأتلو من ايات الخالق جل جلاله :

(فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لاتبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لايعلمون) صدق الله العظيم

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ »

صدق الله العظيم

د. بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادىء الكلية للأخلاق

علم الأخلاق والاسلام ١

خطر على بالى و أنا عاكفة على النظر فى قضايا الاسلام والاخلاق أن استاذ الجيل ، استاذنا الجليل « أحمد لطفي السيد » طيب الله ثراه ، ذهب فى مذاكراتي معه فى (علم الاخلاق) إلى أن هذا العلم ، يقينا ، من تراث الفلسفة اليونانية ، وقد غاب عن مدارسنا ومعاهدنا الدينية ، حتى الربع الاول من هذا القرن العشرين ، وكان لاستاذنا فضل الدعوة الى تلافى هذا القصور المعيب .

ورجعت بى الذكرى إلى عهد تلمذتى الخرة على كبار الاساتذة و الشيوخ بعد تخرجى فى الدراسات الجامعية العليا ، من قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة القاهرة ، وكان مما قرأت على استاذنا الجليل ترجمته الرائعة لكتاب « أرسطوطاليس » (علم الأخلاق إلى نيقوماخوس) عن ترجمته الفرنسية للعلامة « بارتلمى سانتهلير ، أستاذ الفلسفة اليونانية فى « الكوليج دى فرانس » وقد أهدانى أستاذنا ترجمته إلى العربية فى طبعتها المتقنة غاية الاتقان ، بدار الكتب المصرية (سنة ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٤ م) .

ويحملني شيئو الذكرى إلى مخطوطة الصخبة للكتاب / فالتمسته في خزانتي فإذا هوامش نسختي منه حافلة بالحواشي والتعليقات مما قيدت على نسختي في مجالس القراءة والسماع . وماكان من مراجعاتي فيها لأستاذنا الجليل رحمه الله ، وبخاصة في تصديره الحافل الممتع لترجمته العربية عن سانتهلير .. وفيها يقول أستاذ الجيل

[لما اتجهت الميول العامة منذ زمان الى ادخال التعاليم الفلسفية في مدارسنا ومعاهدنا الدينية إرضاء لأطماع الطلبة العلمية وإتماما لبرامج التربية المصرية ، فكرت في أى مذاهب الفلسفة يمكن الابتداء به بحيث لا يصادم العقائد القومية ولاينافر التعاليم الدينية . فظننت ان اولى مذاهب الفلسفة بالقبول عندنا الان واسرعها تمثلا في الافهام وأبعدها عن التضاد الصريح للمالوف من منازعنا والراسخ في عقائدنا ، هي فلسفة أرسطوطاليس . وماكان المعلم الاول جديدا في معاهدنا الدينية بل ان ذكره مالوف عند طلبة المنطق الذين يوسعون معارفهم بقراءة رسائل الفارابى أو بعض مختصرات ابن رشد .

[إننا إذا شئنا أن تكون لنا فلسفة مصرية تاتلف ومعلوماتنا . وجب علينا ان نجدد الفلسفة العربية التي فقدت أعيانها ولم تبق الا اثارها ، أو بطريقة أقرب : أن ندرس فلسفة أرسطوطاليس . فإن الفلسفة العربية هي في مجموعها فلسفة أرسطوطاليس ...] .

وبعد أن أوجز القول في حركة الترجمة للكتب اليونانية في المشرق والمغرب حيث ازدهرت في زمن المامون قال : [ومع أن نقل كتب الفلسفة لم يقتصر على فلسفة أرسطوطاليس ، فإنها التى غلبت على الفلسفة العربية وطبعتها بطابعها . ومهما يكن السبب في ذلك فالواقع ان الفلسفة العربية ليست شيئا أخر غير فسفة أرسطوطاليس ، طبعت بالطابع العربى وسميت الفلسفة العربية ..

[وكما أن النهضة الاوروبية الحديثة عمدت إلى فلسفة أرسطو ، فكانت مفتاحا للتفكير العصرى الذى أخرج كثيرا من المذاهب الفلسفية الحديثة ، فلا جرم أن نتخذ نحن فلسفة أرسطو – واكرر انها اشد المذاهب اتفاقا مع مالوفاتنا الحالية – الطريق الاقرب إلى نقل العلم إلى بلادنا وأقلمته فيها ، رجاء أن ينتج في النهضة الشرقية مثل ما أنتج في النهضة الاوروبية .. "

[وفي الحق ان ارسطوطاليس لم يكن كغيره معلما في نوع خاص دون سواه ، بل هو معلم في الفلسفة ، معلم في العلوم ، معلم في الآداب .. فهو كما لقبته العرب : المعلم الاول . على الاطلاق .. قد استوى في الاخذ عنه أهل الدين وأهل الالحاد وعلماء الطبيعيات ، وما بعد الطبيعة وعلماء الاجتماع وعلماء الآداب .. "

* * *

لم أقرأ على أستاذنا من (كتاب علم الاخلاق) لارسطو ، سوى المجلد الاول ، ويستغرق تصديره لترجمته خمسين صفحة من القطع الكبير ، ثم مقدمة المترجم – سانتهلير – في مائة وست وستين صفحة ، يليها الكتاب الاول في (نظرية الخير والسعادة) في أحد عشر بابا ، والكتاب الثاني في (نظرية الفضيلة) في تسعة أبواب ، ثم الكتاب الثالث في (بقية نظرية الفضيلة – في الشجاعة والاعتدال) في ثلاثة عشر بابا .

وأجاز لي أستاذنا ، وهو يتبسم ، قراءة المجلد الثاني ، وفيه :

(الكتاب الرابع) في تحليل الفضائل المختلفة ، في تسعة أبواب : السخاء والسرف ، الاريحية ، المروءة ، الوسط القويم بينهما وبين أضدادها ، الحلم ، روح الاجتماع ، الصدق والصراحة ، المزاح ، الحياء والخجل .

(الكتاب الخامس) في نظرية العدل .

(السادس) في الفضائل العقلية .

(السابع) في عدم الاعتدال واللذة .

(الثامن والتاسع) في الصداقة .

ثم (الكتاب العاشر) في اللذة وفي السعادة الحقة .

* * *

أين كنت من هذا كله ، بين دراستي في الجامعة ، وماحملته من مدرستي الاسلامية الأساس ؟

لقد كانت الفلسفة الحديثة واليونانية مقررة لعهدي على جميع طلبة كلية الآداب في السنة الاولى قبل توزعهم على شعب التخصص ، حيث كان المنطق والفلسفة الاسلامية ، من المقررات علينا في قسم اللغة العربية وادابها ، اضافة الى اللغة اللاتينية المقررة على طلبة الامتياز ، وبها قرأت على استاذنا العميد ، الأستاذ الدكتور طه حسين ، في دراستي للماجستير كتاب « لوكريس » في (طبيعة الاشياء) غير أني لم أتجه إلى التخصص في الفلسفة ، وأراني مع ذلك فيما دونت على نسختي من (علم الاخلاق ، لارسطوطاليس) قد أكثرت من مراجعاتي للاستاذ فيما قرأته عليه ، فهل كنت فيها متأثرة بما حملت من موقف مدرستي الاولى من الفلسفة وعدائها المرير للفلاسفة والمتفلسفة ؟ غير بعيد ..

وتداعت خواطري بأصداء ما مر بي عبر نصف قرن من الدرس والتجربة والمجاهدة .

فكأني نفرت في شبابي من التوجه الى (علم الاخلاق) رغم اعجابي به وتقديري له ، متأثرة بادراجه في اقسام الفلسفة ، واليوم ما أزال أسمع أصداء مقولات لمدرسة المثقفين المحدثين ، جحدوا أن يكون في الاسلام (علم للاخلاق) وأفسحوا وجه العذر لمن يدرسون من شباب الامة هذا العلم في جامعات غربية فاذا عادوا إلى وطننا العربي الاسلامي ضجوا بالشكوى من عقمه البائس ، يزين له أن يزيف فلسفة أرسطو ويسميها فلسفة عربية ، وأن ينتحل (علم الاخلاق) وبضاعته منه لاتعدو أن تكون مأثورات متفرقة من الاداب والحكم والمواعظ والامثال .

ولست أتوهم ، فقد خرج النظر في هذه القضية من نطاق المباحث الاسلامية للاصوليين وعلماء القرآن والحديث ، إلى النظريات الفلسفية للاخلاقيين المنتمين إلى مدرسة المعلم الاول متأثرين بالمقولة الرائجة في اتهام نسب الفلسفة العربية .

وتشابه الامر عليهم في حرص الكلاميين على صياغة مقولاتهم صياغة اسلامية ، يظنها المتفلسفة المحدثون محاولة تلفيق للفكر الاسلامي ومانقلته اليه حركة الترجمة من تراث المعلم الاول والفلسفة اليونانية .

وما أريد على أي حال ، أن اخرج بحديث رمضان إلى الخصومة العنيدة بين الفلسفة وعلماء المدرسة الاسلامية ، والجدل الكلامي في مباحثهم لعلم الاخلاق ، وإنما أنظر الى القضية من وجهة نظر اسلامية رحبة ، مزودة بمباحث شيوخنا الائمة في المبادىء الكلية للاخلاق في الاسلام ، معتمدة أساسا على القرآن الكريم والسنة .

(والله يقول الحق وهو يهدى السبيل) صدق الله العظيم .

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٠ / ٣ / ١٩٩٢

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ * قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ *»

صدق الله العظيم

د. بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
بكلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادىء الكلية للأخلاق :

علم الأخلاق والاسلام (٢)

دعوة أستاذنا « أستاذ الجيل » أحمد لطفي السيد الى إدخال فلسفة أرسطو وعلم الاخلاق إلى برامجنا الدراسية لم تذهب عبثا : لقد كان حين دعا إليها (سنة ١٩٢٤) مديرا لدار الكتب المصرية أيام عزها، ثم ولى بعدها منصب مدير الجامعة المصرية الحديثة ـ القاهرة ـ حيث كان للفلسفة لعهده بها، قسم متميز بكلية الاداب، كما أفسحت كلية أصول الدين بجامعة الأزهر صدرها لمحاضرات فى علم الأخلاق، حاضر بها أستاذنا الجليل الشيخ أمين الخولى لعدة مواسم دراسية .

وكان من حسن حظى أن درست الفلسفة الاسلامية على أستاذنا النبيل « الشيخ مصطفى عبد الرازق، أحد من أدين لهم بالفضل فى مجاهدتى الصعبة بين جديد علم الجامعة، وما حملته معى من مدرستى الاسلامية الأولى التى أعتز بالانتماء إليها .

ولست أراني بالقدر الذى حصلته من الفلسفة فى دراستى الجامعية ، مؤهلة لتناول قضية الاسلام وعلم الأخلاق من وجهة نظر فلسفية ، بل لعلى أقرب إلى أن أمثل فيها المدرسة الإسلامية الأصيلة وهى تدرك بيقين أن الأخلاقيين الفلاسفة كانوا على مر العصور أساتذة لفئات خاصة من تلاميذهم ، بعيدا عن التأثير فى الوجدان العام للشعوب و أخلاق الجماعات ولايزال فينا حتى اليوم ، أثر من الشكوى المرة العقيم للمعلم الأول ، فيما سجل فى ختام كتابه الجليل (علم الأخلاق) من [ندم على ما بذل من تفكير وما سهر من ليال فى كتاب ما كان ليقرأه من الناس إلا القليل ولاينتفع به إلا الأقل ..]

ومهما تكن محاولات الفلسفة فى العصور المتأخرة للنزول إلى مستوى العقلية العامة للشعوب والتأثير فى أخلاق الجماهير ، فإن المدرسة الاسلامية تقدر بيقين كذلك ، أن القرآن الكريم من حيث هو المصدر الاساسى للأخلاق الاسلامية ، ينفرد بالتأثير النافذ على وجدان شعوب أمته وضميرها وفكرها ، منذ نزل به الوحي — مطلع الفجر الصادق ليلة القدر — على خاتم الرسل الأنبياء معلمى البشرية وهداتها من عهد أول الرسل عليهم السلام ، ولهم تدين البشرية بما هدوا خطاها على مدارج نموها من مرحلة بدائيتها الاولى حتى شارفت عصر الانسان المؤهل لحمل تبعات رشده وتكاليف وعيه وأمانة انسانيته ، فختمت رسالات الدين بكتاب مصدق لها جميعا ، بما استصفى من قيم الدين الواحد خلاصة نقية من الشوائب الدخيلة التى طرأت على التدين ، على فترات من الرسل عليهم السلام . ومنه تعلمت الأمة الكتاب والحكمة ، تاركا المجال مفتوحا أمام الانسان إلى الأبد ، لما يكسبه من جديد كشوفه ومتطور مخترعاته لايعطل مسعاه الكادح لتحقيق اية خلافته فى الأرض بأهليته لكسب العلم ولايقيد عقله بنظريات كسبية محددة بمستوى عصر بعينه وبيئته بذاتها ، تعصى على السنن الالهية الثابتة للتغيير و التبديل ، ولا يوقف ترقيه على معارج طموحه بما يحد أفاق انطلاقه لكشف المجهول مما سخره له الخالق : السموات والأرض ومابينهما ، بل يبارك الدين مسعاه مستشرفا به إلى الافاق العليا للحق والخير والجمال ويهدى خطاه بما يصون فطرته من التشويه والمسخ ، وعقله وحواسه من العمى والتبلد ، وضميره وقلبه من التحجر ، وسلوكه من الغى والانحراف والضلال ..

* * *

ولم تنتظر البشرية ملايين سنين معصوبة البصر صماء الحس والوعى معطلة العقل والفكر فى انتظار المعلم الاول يفك اغلالها ويخرجها من القمقم المسحور ، بل لم تنقطع محاولاتها المضنية منذ كانت ، لفهم ظواهر الكون والحياة وكسب المعرفة فى ظروف بالغة العنت . واتصلت هذه المحاولات لم تتوقف ، وشاركت فيها جماعات و أمم من أجناس شتى على امتداد الزمان . فكان رصيد جهودها تراثا انسانيا مشتركا ، وقد تطورت وسائل كسب المعرفة وطرق البحث بتطور البشرية كل مرحلة من الطريق تنتفع بجهود سابقتها ثم تتقدم بها خطوة ، وتترك لما بعدها حصيلة تجاربها واماني طموحها التى قصرت وسائلها عن تحقيقها .

وللفلسفة اليونانية مكانها الهام بلا ريب فى تاريخ المعرفة ، ولأرسطو منزلته : رائد مرحلة بالنسبة الى عصره ، وان كان الفكر اليونانى مسبوقا بلا ريب ، بكل جهد العقل الانسانى من عهد أبينا آدم ، الانسان الاول الذى استخلف فى الأرض بأهليته لكسب

العلم . فالعلم الكسبي ايه الانسان الاول والرسل عليهم السلام كانوا معلمي البشرية منذ كانت يزكونها ويهدونها سواء السبيل .

من هذه المراحل ماهو مجهول لنا فى غيابة ماقبل التاريخ ، ومنها المعروف فيما جاء به القرآن الكريم من أنباء أمم غابرة سبقت اليونان إلى المدنية والعمران بآلاف سنين .

وشرقنا القديم مهد المعرفة ، بما هو مهد الرسالات الدينية فيما نقرأ من الكتاب المحكم الموثق ،اذ الرسل الذين سماهم بأسمائهم كانوا مبعوثين فى اقوامهم بالشرق ، من قوم نوح ، وعاد قوم هود ، وثمود قوم صالح .. إلى يعقوب ويوسف وابراهيم ولوط وشعيب وموسى وعيسى ومحمد ، عليهم جميعا أزكى السلام والتحية

وعراقة الحضارة الشرقية ، مادية ومعنوية وسبقها على الفكر اليونانى ، ثابت بشهادة الواقع التاريخى ، مؤيد بكشوف أثرية لشعوب ذات قدم وعراقة فى التمدن ، مثل (مصر وبابل وآشور وفينيقية والبربر وسبا واليمن والهند والصين) ..

واتصال فلاسفة اليونان بشرقنا القديم ثابت كذلك بشهادة مؤرخيهم .. والمعلم الاول لم يبدأ من نقطة الصفر ، لا بالنسبة الى تاريخ الانسانية فى الشرق القديم مهد الحضارات والاديان ، ولا بالنسبة الى المدارس اليونانية قبل أرسطو كالمدرسة الطبيعية ومدرسة فيثاغورس الرياضية ومدرسة سولون التشريعية والمدرسة السوفسطائية ومدرسة السقراطيين الكبار : سقراط وأفلاطون وأرسطو طاليس الذى تزود بتراث سابقيه وخطا به خطوة جليلة لم تقف البشرية عندها ، بل تابعت المسير مهتدية بالتوراة والانجيل ، ثم بالقران الكريم ... رسالات الدين كله ، المصدق لما وثقه من التاريخ الدينى للبشرية ..

....

أريد من هذا العرض الموجز لمسيرة الانسان الكادحة لتحقيق وجوده الكريم أن أوطىء لما أنا بسبيله من تناول لقضايا الاسلام والاخلاق لا أقصد بها إلى تأليف كتاب فى (علم الاخلاق) على النهج الفلسفى ، فذلك متروك لأهل التخصص بما صح لهم من الدراية بنظرياته ومصادره ، وانما اتجه مباشرة إلى القرآن الكريم والحديث النبوى ، مع مراجعة المباحث الإخلاقية لسلفنا الائمة .

ناظرة فى لقائى هذا بقرائى الاصدقاء إلى أن القران الكريم مصدرنا الاصل للشريعة ومنهاج السلوك ، هو كتابهم جميعا على تفاوت مستوياتهم الثقافية وتعدد مذاهبهم ومدارسهم . وإليه يئول علماؤنا ، شيوخ المدرسة الاسلامية ، فيما استنبطوا من قواعد منهجه للبحث والنظر ، فى مباحثهم الاخلاقية فى علم الاصول . مثلما الوا اليه فى مناهجهم التطبيقية للعلوم النقلية ، وعلوم الطبيعيات والرياضيات ، عصر الحضارة الاسلامية القائدة الرائدة .

وأتلو من ايات أولى الرسالات الى البشرية وما سبقت اليه من هداية وتعليم واعتبار بمصير الظالمين ، قوله تعالى فى نبأ الطوفان :

(وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا . إنهم مغرقون .)

صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١١ / ٣ / ١٩٩٢

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد * وثمود الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون ذي الأوتاد * الذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد * فصب عليهم ربك سوط عذاب * إن ربك لبالمرصاد * »

صدق الله العظيم

د. بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادىء الكلية للأخلاق :

علم الاخلاق ، والحكمة

لاجدال فى أن العرب المسلمين تعلقوا من عصر مبكر ، بنقل تراث الدول القديمة الفكرى والفلسفى ، وفى الخبر أن حركة الترجمة بدأت فى نطاق فردى ، أواخر القرن الاول للهجرة ، بعالم بنى أمية ، خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ـ ٩٠ هـ ، وأنهم تابعوا السعى إلى التماسها وبلغ من حرص الدولة العباسية الاولى على استكمالها ، أن كان أسرى الروم فى عصر هارون الرشيد يفتدون باحياء كتبهم القديمة فى الحكمة حتى بلغت حركة الترجمة دروة نشاطها فى عصر المامون (١٩٨ ـ ٢١٧ هـ) . وتسجل فهارسنا القديمة للكتب ، كفهرست ابن النديم ـ ٣٧٠ هـ ما عرف إلى عهده من مترجمات تراث الفلسفة اليونانية وغيرها حتى منتصف القرن الرابع للهجرة .

والفكر اليونانى قد ترك أثره الواضح فى علماء الكلام ، وعرفت له مكانته فى مدارس اسلامية بالمشرق والمغرب قبل أن يتصدى له علماء السلف المحافظون بالتجريح والانكار والدعوة إلى نبذه ، حماية للفكر الاسلامى النقى مما ظهر لهم غزوا فكريا بشوائب النظريات الفلسفية ، لم يستثنوا منها نظريات (علم الاخلاق لارسطو المعلم الأول) ومن ثم وضعوا الاجيال من تلاميذهم فى

المدرسة الإسلامية ، في موقف شديد الحرج ، بين ما استحسنوه من بضاعة الفكر الاجنبي وعلوم فلسفته ، ومارسخ فى وجدانهم وضمائرهم من ميراث رفضه ونبذه . فمنهم من حصلها ثم غير وبدل واتجه الى (احياء علوم الدين) كحجة الاسلام الامام الغزالى (ت سنة ٥٠٥ هـ) ومنهم من تطلع اليها وهم بتحصيلها كالحافظ الفقيه تقى الدين ابن الصلاح ـ (٥٧٧ ـ ٦٤٣ هـ) ثم صد عنها واستجاب لنصح شيخه فيها « الكمال ابن يونس الموصلى « ٥٥١ ـ ٦٣٩ هـ) أن ينصرف عنها إلى ماهو ميسر له من علوم الفقه والحديث ، يستبقى بها حسن ظن الناس به واعتقادهم فيه اصلاح والخير ويتقى اتهامهم من يشتغل بهذا الفن ـ الحكمة والفلسفة ـ بفساد الاعتقاد .

ولم يمنع ذلك من ظهور فلاسفة عظام ، مشارقة ومغاربة ، غلب على مباحثهم عنوان الحكمة ولم ينفصلوا قط عن الاصول الاسلامية فى الاحتجاج والاستدلال والنظر ، ودخل أعلامهم فى (طبقات الحكماء) كالشيخ الرئيس أبى على ابن سينا (٤٢٧ هـ) فى كتابه الأخلاق ، وفى الشفا ، وفى مباحثه فى الالهيات بعنوان (الاشارات والتنبيهات فى المنطق والحكمة) وفيه للمنطق عشرة مناهج وللحكمة عشرة انماط فى الأجسام ، والجهات ، والنفوس ، والابداع ، وفى الغايات والمبادىء وفى التجريد ، والسعادة ، ومقامات العارفين ، وأسرار الايات : وقال فى خطبته بعد حمد الله تعالى على حسن توفيقه : أيها الحريص على تحقيق الحق ، إنى مهدت اليك فيه أصولا من الحكمة إن أخذت الفطانة بيدك سهل عليك تفريعها وتفصيلها .

ومن شروحه وهى كثيرة : شرح للفخر الرازى ـ ٦٠٦ هـ ـ غلب فيه النقد والرد على صاحبه ، ولخصه فى (لباب الاشارات) فى سنة ٥٩٧ هـ على ترتيب الأصل فى المنطقيات والطبيعيات والالهيات ، وعقب عليهما « نصير الدين الطوسى ٦٧٩ هـ » فى شرح كبير عنوانه (حل مشكلات الاشارات) صدره بحمد الله الذى وفقنا لافتتاح المقال بتحميده واثنى على الرئيس ابن سيناء الذى كان مؤيدا بالنظر الثاقب .

ثم أعقبه العلامة قطب الدين الرازى فى كتابه المشهور (المحاكمات) أواخر سنة ٧٥٥ هـ ، وكثرت من بعده الشروح والمحاكمات .

وقضية امتحان « ابن رشد الحفيد ، ابى الوليد محمد بن ابى القاسم احمد بن أبى الوليد محمد القرطبى ، ٥٢٠ ـ ٥٩٥ هـ » واتهامه بالمروق من الدين بمحاولته التوفيق بين الشريعة والفلسفة ، وشروحه الكبار لنظريات فلسفة أرسطو ، هذه القضية مشهورة معروفة خاض فيها الملا من اهل قرطبة وشغل بها المغرب والاندلس زمانا .

وسبقت الاشارة الى أن غلبة عنوان الحكمة على المباحث الكلامية والمصنفات الفلسفية ادخل علماءها فى (طبقات الحكماء) كما أدخلوا (علم الاخلاق) على هذا الوضع ، فى أقسام الحكمة العملية وعرفوه بانه علم بالفضائل وكيفية اقتنائها لتتحلى النفس بها ، وبالرذائل وكيفية توقيها لتتخلى النفس عنها ، فموضوعه الاخلاق والنفس الناطقة من حيث الانصاف بها) . قالوا : وههنا تدخل شبهة قوية ، وهى أن فائدة هذا العلم إنما تتحقق إذا كانت الاخلاق قابلة للتبديل

والتغيير ، والظاهر خلافه كما يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام : « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام » الحديث ، وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : « اذا سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدقوا وإذا سمعتم برجل زال عن خلقه فلا تصدقوا . » . الحديث ، رواه الامام أحمد في مسنده لأبى الدرداء رضى الله عنه

والجواب عن هذه الشبهة أن الخلق ملكة يصدر بها الفعل عن النفس بسهولة من غير فكر وروية ، والملكة راسخة في النفس لاتزول بسرعة . وهى قسمان : طبيعية بالفطرة ، وعادية مكتسبة بان يزاول المرء في الابتداء فعلا باختياره ، ثم بتكرره والتمرن عليه يصير ملكة .. ففائدة هذا العلم بالقياس إلى الملكة الطبيعية ابراز ماهو كامن في النفس منها ، وبالقياس ألى الثانية تحصيل الملكة وكسبها ، وإلى هذا يشير ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم : (بعثت لاتمم مكارم الأخلاق) ولهذا قيل : إن الشريعة قضت الوطر عن أقسام الحكمة العملية على أكمل وجه وأتم تفصيل .

وبهذه المحاولة للتوفيق بين علم الاخلاق في النظر الكلامي وبين الشريعة الاسلامية ، أدرج مفهرس (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) في مصنفاتهم في علم الاخلاق ، ماهو من السجايا والشمائل والسلوك مثل : أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخلاق الابرار ، وأخلاق الاتقياء ، وصفات الأصفياء ، وأخلاق الأخيار ، وأخلاق العلماء .. وماهو من المباحث النظرية للاخلاقيين المسلمين ككتاب الاخلاق للشيخ الرئيس أبى على ابن سينا ويقال له : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، والأخلاق للفخر الرازى ٦٠٦ هـ ، والاخلاق للعضد الايجى الشيرازى ٧٥٦ هـ ..

....

والصنف الأول ، تدخل فيه الاخلاق الاسلامية ممثلة في صفوة من أفراد الامة وفئات من خاصة اعيانها لا في عامة ابنائها ....

والصنف الثانى يشغل به الاخلاقيون من المتكلمين والفلاسفة ، لا عامة الأمة ولايتعلق باخلاق وأعراق متميزة للامم .

والربط بين الاخلاق والاعراق مبدأ أقره علم الانسان والأخلاق في الغرب الحديث ، اذ اثبت ان عروق البشر مفترقة في اختلافها كافتراق انواع الحيوان ، فيجب عد العرق مرادفا للنوع ، فالأمة جماعة من الناس ينسبون في الغالب الى عروق عدة ، لا يأتلف منها عرق متجانس الا بعد ان تستقر فيها أخلاق متماثلة وصفات جثمانية متماثلة بفعل البيئة والتوالد والوراثة . وقد توقع العلامة الفرنسى الاستاذ جوستاف لوبون - وهو ممن تحمسوا لهذه النظرية وله فيها كتب وبحوث منشورة - انه سياتى يوم تكون فيه السجايا الخلقية التى أغفلها (علم الانسان) الحديث اساسا لتقسيم العروق .

* * *

ولست أميل إلى تكلف ربط هذه النظرية في علم الاخلاق والأعراق بالقرآن الكريم ، وإن لم يغب عنى ما كثر فيه من تفصيل الايات وضرب الامثال بما هو مناط الاعتبار بمصاير أمم خلت فسدت أخلاقها ، وأقوام : حقت عليهم اللعنة .

(ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ماكانوا يفعلون) .

صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٢ / ٣ / ١٩٩٢

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب»

صدق الله العظيم

د. بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادىء الكلية للأخلاق :

الحكمة والأخلاق الزكية فى فهم مدرسة النبوة

اصطفى الله تعالى مكة المكرمة ـ العاصمة الدينية الكبرى للعرب ـ منزلا للوحى ، واصطفى منها محمدا بن عبد الله بن عبد المطلب القرشى الهاشمى ، خاتما للرسل عليهم السلام ، وبعثه فى الاميين رسولا منهم (يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) .

فماذا كان قومه فى عصر المبعث وقبله ، يعرفون عن الحكمة والأخلاق الزكية ؟

الحكمة بمعناها القريب من الفطنة والفراسة وذكاء البديهة والسداد فى الحكم ، لم تكن مجهولة للعرب فى جاهليتهم المعروفة لنا ، وقد اشتهر منهم حكماء كانوا المرجع فى الخصومات والمنافرات والمعضلات ، وممن ادركوا الجاهلية الاخيرة منهم حنفاء على مابقى من ملة ابراهيم عليه السلام ومعهم حكماء من الخطباء والشعراء ، أرهصوا بحتم تغير الاوضاع الفاسدة ، وآذنوا بأن حياة القوم لايمكن ان تمضى على ماكانوا عليه من سفه وضلال .

وكانت تقام لهم فى الموسم بعكاظ ، قباب مرفوعة ، يقصد اليها القبائل والافراد فى المنازعات والمنافرات ، ولسماع مايلقى الحكماء من عظات وعبر ..

وآخرون من ابناء القبائل حفظوا تراث شعرهم وتداولوا روايته .. فكان ديوان ايامهم المشهودات ، وسجل مفاخرهم

ودخلت المرويات الموثقة منها ، في السيرة النبوية مع بشريات المبعث وأعلام النبوة ، فضلا عما جمع منها في كتب مفردة لائمة من علماء السيرة وحفاظ الحديث .

وخبر « قس بن ساعدة الايادى » في السيرة النبوية مشهور متواتر ، وفيه أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل وفد قومه ايهم يعرفه ؟ قالوا : كلنا يعرفه يارسول الله « وكان عليه الصلاة والسلام قد شهده بسوق عكاظ قبل المبعث ، فاراد ان يستحضر كلاما سمعه منه ، قال : « لست أنساه بسوق عكاظ على جمل اورق وهو يتكلم بكلام ما أظن أني احفظه » فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه : يارسول الله فإني احفظه ، كنت حاضرا بسوق عكاظ يقول ـ فذكر خطبته الوعظية ، وفيها يقول :

« إن في السماء لخبرا وان في الأرض لعبرا .. مالي أرى الناس يذهبون ولايرجعون ؟ أرضوا بالمقام فاقاموا ؟ أم تركوا هناك فناموا ! أقسم قس قسما لاحانثا فيه ولا آثما . ان لله دينا هو أحب الى من دينكم الذى أنتم عليه ثم انشا يقول :

في الذاهبين الاولين — من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا — للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها — يمضي الاصاغر والاكابر
أيقنت أني لا محا — لة حيث صار القوم صائر

كذلك كان لأمم الشرق القديم في جاهليتهم حكماء يفتونهم في المعضلات ويهدونهم في مسراهم مثل « بزر جمهر الحكيم » و « زرادشت » الذى ترجمت تعاليمه حديثا الى العربية بعنوان (هكذا قال زرادشت) وأقرب الحكماء القدامى الينا « لقمان الحكيم » على اختلاف في نسبه ، وفي (تفسير ابن عطية) رواية عن سعيد بن المسيب ـ من سادات التابعين الحفاظ وأول فقهاء المدينة السبعة ـ ان لقمان كان اسود من سودان مصر ، اعطاه الله تعالى الحكمة ومنعه النبوة « وعلى هذا جمهور اهل التأويل .. وروى من حديث عبدالله بن عمر ، رضي الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لم يكن لقمان نبيا ولكنه كان عبدا كثير التفكير حسن اليقين ، أحب الله فأحبه فمن عليه بالحكمة .. « الحديث

ويستفاد من الحديث الشريف أن الحكمة في المجال الدينى أضافت كثرة التأمل وحب الله تعالى ورضاه ، الى معناها المتداول في المعروف عن الحكماء القدامى من الفطنة وذكاء البديهة والألمعية وسداد الرأى .

ومن ثم ارتبطت الحكمة بالأخلاق ثم أعطاها القرآن الكريم حرمة بالغة ، بان جاء الحكيم وحكيم في سبع وتسعين آية منها اثنتان وتسعون ، الحكيم فيها وحكيم ، من أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته ، والخمس الباقيات لامره تعالى ، ووحيه ، والقرآن الكريم وهو الكتاب الحكيم ، والذكر الحكيم .

ومن المادة ، جاء استعمالها في الحكم بمعنى القضاء ، بصيغ الفعل الثلاث والمصدر ، الحكم في اكثرها لله عز وجل ، وبصيغة التفضيل على الحاكمين ، (فتبارك الله أحسن الحاكمين) وأما الحكام أولو الأمر ، فجاءت في النهى عن أكل أموال الناس بالباطل ، للادلاء بها الى الحكام ، رشوة .

وفي الأحكام بمعني الاتقان ، جاء الفعل مسندا الى الله تعالى في احكام آياته وخلقه ، وجاءت (سورة محكمة) و (آيات محكمات) غير متشابهات .

وفى التحاكم ، جاءت الآية فيمن (يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا أن يكفروا به) وفى التحكيم قوله تعالى : (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) ومنه جاء الحكم فى قوله تعالى : (أفغير الله ابتغى حكما) وفى آية النساء فى التحكيم بين الزوجين : (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من اهله وحكماً من اهلها .

وتدبر سياق الايات فى هذا الاستقراء يشهد بما للحكيم والحكم من حرمة بالغة ، ولدلالة الاحكام على كمال الاتقان ودقة التدبير ، ولما ينبغي للحكم فى القضاء ، من عدل ونزاهة .

وتقوى هذه الدلالة فيما نتدبر من (الحكمة) فى القرآن الكريم ، وقد جاءت فى عشرين اية ، مما يمن به الله تعالى على عباده من نعمة وخير ، وفيما اتى صفوة خلقه من الكتاب والحكم والنبوة ومنها سبع آيات فى تذكير المؤمنين وامهات المؤمنين بما يتلى عليهم من آيات الله والحكمة ، وفيما يمن الله به على الأميين ، ان (بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) الاية ، ونظائرها .

الحكمة هنا داخلة فى رسالة النبي عليه الصلاة والسلام ، وهى فى أكثر الآيات معطوفة على الكتاب ، والعطف يقتضى المغايرة إذ لايعطف الشىء على مثله .

وقد ذهب بعض المفسرين - فيما نقل القرطبى فى (الجامع لاحكام القرآن) - إلى أن الكتاب فى مثل هذا السياق هو القران ، وأن الحكمة مراد بها السنة .

وفى قول انها طاعة الله والاخلاص ، أو يعلمهم الخير فيفعلوه والشر فيجتنبوه

ولا أراه قريبا ، فالسنة لا تستقل عن الكتاب بتعليم الطاعة والاخلاص او الخير والشر . ثم إن نبينا عليه الصلاة والسلام لم ينفرد بمبعثه فى أمته يتلو عليهم آيات الله ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، بل سبقه بها فيما يتلو من قوله عز وجل : (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة ..) الآية . وقوله عز وجل فيما من به على عيسى عليه السلام : (وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ..) وقوله تعالى فيما آتى النبين عامة :

(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ..) الاية

وهذا العموم المطلق يمكن ان يستفاد منه ما بعث به النبيون فى أقوامهم ، يتلون عليهم آيات قدرة الله تعالى ودلائل وحدانيته ، ويبصرونهم بتدبر هذه الايات فى أنفسهم وفى اطراد سننه تعالى فى الخلق والكون ، ليوقنوا أن شيئا من ذلك كله لايمكن أن يكون عبثا عقيما أو ان يحدث بالمصادفة العشواء كما يعلمونهم ما فى كتب الله من شرائع و أحكام ، بلاغا وبيانا ، ويعلمونهم الحكمة بالتامل فيما هدى الله اليه من سبل الخير والحق والفضيلة ومظان الشر والضلال . وليكن لهم فى رسلهم الأسوة الحسنة والمثال القدوة

يصدق هذا على النبيين جميعا فى أممهم على تفاوت بيئاتهم وعصورهم ومستويات اممهم : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) انتهاء بالمصطفى المبعوث بختام رسالات الدين ، يزكى اخلاق امته ويطهرها من دنس الشرك وشوائب الرجس التى طرأت على الدين ، على فترات من الرسل عليهم السلام ، وليتم ماهدوا اليه من مكارم الاخلاق فذلك قوله عليه الصلاة والسلام :

(انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق)

وسبحان الخالق جل جلاله :

(يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ، وما يذكر الا أولو الالباب) صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات
التاريخ : ١٣ / ٣ / ١٩٩٢

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا »

صدق الله العظيم

د. بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادىء الكلية للأخلاق

« إنما الأعمال بالنيات » (١)

علماء الحديث يبدأون اقسام الصحيح ـ باعتبار ما خرجه الائمة فى مصنفاتهم ـ بما اخرجه الشيخان ، البخارى ومسلم ، فى صحيحيهما ، وهذا القسم هو اعلى اقسامه رتبة ، والذى يقول فيه اهل الحديث متفق عليه يليه ما انفرد به الامام البخارى عن الامام مسلم ، ثم ما انفرد به مسلم عن البخارى . يليه صحيح على شرطهما لم يخرجاه ، ثم صحيح على شرط البخارى لم يخرجه ، ثم صحيح على شرط مسلم لم يخرجه ، ثم صحيح عند غيرهما وليس على شرط احد منهما .

وفيما اقدمه من المبادىء الكلية للأخلاق فى الاسلام ، ابدأ بما بدأ به الامام البخارى جامعه الصحيح ، وهو حديث (انما الاعمال بالنيات) استهل به بعد البسملة مباشرة ، ثم شرع فى الكتاب الاول كيف كان بدء الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ابواب كتاب الايمان ، فكتاب العلم ، يليه كتاب الطهارة ، ثم ابواب كتب العبادات ، ثم المعاملات .. الى آخر الصحيح .

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات
التاريخ : ١٣ / ٣ / ١٩٩٢

هذا الاستهلال بحديث النيات . غير مسبوق بخطبة للكتاب على عادة المصنفين . اعتبر الحفاظ الأئمة الحديث فيه قائما مقام الخطبة . وليس على مجرد التبرك . وقال ابو محمد ابن حزم الاندلسي الفقيه الحافظ [illegible] في جوابه على البخاري ان احسن مايجاب به هنا ان يقال لعله قصد ان يجعل لكتابه صدرا على ماذهب اليه من يستفتحون كتبهم بخطب لبيان معاني ماذهبوا اليه . فكانه ابتدأ كتابه بنية رد علمها الى الله . فان علم منه انه اراد شيئا من اغراض الدنيا فسيجزيه بنيته .)

وأرجو ألا اشق على قرائي الكرام بتقديم خلاصة من قضية هذا الحديث ــ الذي شغل اجيالا من الحفاظ والنظار ــ تعطينا فكرة عن خلق العلماء في المنهاج الاسلامي للسلوك ، وحرمة ضوابطهم للمنهج النقلي . وما آل اليه حالنا في هذا الزمان .

والمشهور ان حديث النيات . قاله النبي صلى الله عليه وسلم في رجل بعينه . اشتهر بلقبه « مهاجر ام قيس » اذ هاجر الى المدينة المنورة يريد فضيلة الهجرة في الظاهر . ثم كانه هاجر على نية الزواج من امرأة تدعى « ام قيس » والعبرة على اى حال بعموم لفظ الحديث لابخصوص السبب الذي قيل فيه .

وقد « تواتر النقل عن الائمة في تعظيم قدر هذا الحديث . واتفق منهم الأئمة الشافعي واحمد ابن حنبل والدارقطني . في آخرين غير قليل ، على ان هذا الحديث « ثلث الدين . بمعنى الاعتبار بالنية في ثلثه . وقال « الامام الشافعي » انه يدخل في سبعين بابا من ابواب العلم . ومنهم من ذهب الى انه ربع الدين وقال الحافظ الحجة « عبدالرحمن بن مهدى » : ينبغي ان يجعل هذا الحديث رأس كل باب » . ووجه الامام ابوبكر البيهقي الشافعي الفقيه الحافظ « قول الامام الشافعي انه ثلث الدين . بأن كسب العبد يقع بقلبه ولسانه وجوارحه . فالنية احد الاقسام الثلاثة وارجحها . . .

الحديث بهذه المنزلة والجلالة . من افراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول

« انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى . فمن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او الى امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » .

وكونه من افراد عمر . رضي الله عنه ، لايعنون انه انفرد به دون سائر الصحابة رضي الله عنهم . بل يقيدون التفرد . بما صح على شروطهم . بهذا الاسناد . تفرد به كذلك علقمة بن وقاص عن عمر . ومحمد بن ابراهيم عن علقمة بن وقاص الليثي التابعي . وتفرد به يحيى بن سعيد عن محمد بن ابراهيم التيمي . ومن طريق يحيى اشتهر الحديث فرواه عنه من لايحصون عدا . وملأ الدنيا وشغل الناس .

انما القضية عند علماء الحديث الائمة . هي تفرد اربعة من رجال اسناده . ينفرد فيه راو عن راو عن راو . عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . تفرد به عن النبي صلى الله عليه وسلم . ولم يضر هذا التفرد الحديث عند ائمة الحفاظ لجلالة عمر رضي الله عنه ، ولصحة اسناده والثقة في رواته ، على ادق شروط اهل الحديث .

والذي يشغلنا من امره ، ان نتتبع مسار الحديث من افراد عمر رضي الله عنه . مع النقاد الحفاظ الذين تواردوا على النظر فيه طبقة بعد طبقة . ثم فلننظره في آخر رواية له بثتها اذاعة « ماسبيرو » العصرية ، وصدرتها من القاهرة الى اذاعات الشرق

العربى ، حلقة اولى من مسلسلات شبرنا المعظم ، شاهدة لاهدار ما عرف منهاج [illegible] الاسلامي من [illegible] العلماء [illegible] قوانين الرواية فى منهجهم النقلى . وشاهدة فى الوقت نفسه على ما الت اليه فى سلوك علماء ماسبيرو عصر الموجات الصوتية والاقمار الصناعية .

● ● ●

فى النصف الثانى من القرن الثالث للهجرة ، تم تدوين صحاح الحديث فى مصنفات الحفاظ الائمة : الصحيحين وكتب السنن الاربعة ، بعد ان سبقها موطأ الامام مالك ومسند ابى داود الطيالسى ومسند الامام احمد واجزاء حديثية مبكرة .

وقد عاصر حركة التدوين للحديث ، ظهور كتب تؤرخ لكل من روى حديثا ، وان لم يزد على حديث واحد ، ممن اخرج لهم الائمة .

وتسجل اقوال النقاد النظار فيهم جرحا وتعديلا ، كما نشطت كذلك مصنفات النقاد النظار فى (علل الحديث)

واركز على حديث (انما الاعمال بالنيات) من افراد عمر ، رضى الله عنه . فيما شغل النقاد النظار من تفرده مع المشهور من تواتره . فصححوا وهم القول بتواتره عن عمر رضى الله عنه ، وانما تواتر من رواية يحيى بن سعيد الانصارى ، تفرد به عن محمد بن ابراهيم التيمى ، تفرد به عن علقمة الليثى ، تفرد به عن عمر رضى الله عنه ، تفرد به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى الخبر عن الحافظ ابى سعيد النقاش ان هذا الحديث رواه عن يحيى بن سعيد مائتان وخمسون . وسرد الحافظ ابو القاسم ابن منده اسماء رواة الحديث عن يحيى بن سعيد فبلغ بهم ثلاثمائة واربعين . وروى الحافظ ابو موسى المدينى عن بعض مشايخه ، مذاكرة عن الحافظ ابى اسماعيل الهروى قال : كتبته من حديث سبعمائة من اصحاب يحيى " . ولعل هذا العدد من المبالغة فى الكثرة وفيه يقول شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر : " وأنا استبعد هذا العدد فقد تتبعت طرقه من الروايات المشهورة والاجزاء المنثورة منذ طلبت الحديث الى وقتى هذا (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ) فما قدرت على تكميل المائة . وتتبعت غير المشهور فزادت على ما نقل عمن سبق . "

● ● ●

ومن عصر الحفاظ الائمة حتى القرن العاشر للهجرة فما بعده ، شغل الحفاظ والنقاد بتقصى ما فى مدونات الحديث من روايات له من غير طريق عمر ، رضى الله عنه ، بالاسناد المشهور عنه ، فوقفوا من ذلك على عشر روايات عن الصحابة رضى الله عنهم عكف عليها النظار الائمة يفحصون متونها واسانيدها ورجالها وعللها . من طبقة ابى عيسى الترمذى وابى سليمان الخطابى وابى الحسن الدارقطنى وابى عبدالله الحاكم ، الى طبقة شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر وتلاميذه فى القرنين التاسع والعاشر ، مرورا بابى عمر ابن عبد البر حافظ المغرب وابى بكر الخطيب البغدادى حافظ المشرق ، والحافظ تقى الدين ابن الصلاح ، وشيوخ الاسلام الائمة النووى وابن دقيق العيد والسراج البلقينى ، والحافظ زين الدين العراقى ..

وانتهوا الى ان الحديث كما جاء فى الصحيحين من افراد عمر رضى الله عنه .

● ● ●

للحديث بقية نوجزها غدا بمشيئة الله ، لننظر بعدها فيما آلت اليه رواية هذا الحديث فى عصرنا .

والله المستعان

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا * فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ * »

صدق الله العظيم

د . بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادىء الكلية للأخلاق

« إنما الأعمال بالنيات » (٢)

لاحيلة لى فيما اشق به على قرائى الكرام ، من الحديث عن الخلق العلمى لسلفنا العلماء ، وتفانيهم فى الرقابة النقدية على رواية الحديث ، تطبيقا لما تقرر عندهم من قوانين محكمة صارمة للمنهج النقلى . فنحن فى زمان تاهت فيه المعالم واختلطت السبل فما عاد اكثر المتحدثين من منابر عامة يبالون الرجم بالظن فيما لاعلم لهم به ، ويذيعون من أوهامهم مايروج لمقولات فجة عن عقم بضاعتنا الهزيلة من العلم والمنهج .

وعلى رجاء ان يعذرنى القراء الكرام فيما اتناول من قضايا منهجية صعبة من علم الحديث والمصطلح - غابت عنا مناهجها وفقدت حرمتها لدى من يخوضون فى كل علم بغير علم اتابع العرض الموجز لقضية حديث (إنما الاعمال بالنيات) الذى بلغ من علو قدره أن عده انمتنا الكبار « ثلث الدين » وذهب بعضهم الى انه جدير بأن يجعل عنوانا لكل باب من العلم » .

والحديث على جلالته من أفراد عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثم تفرد به علقمة الليثى عن عمر .

واصل ما وقفت عنده من حديث أمس ، فاذكر ان اتفاق الائمة الكبار على ان الحديث انما صح على شروطهم من افراد عمر ، لم يمنع النقاد والنظار من الرد على القول بتفرده ، وقد رواه عن النبي عليه الصلاة والسلام جماعة من الصحابة كما نبهوا كذلك على ان الحديث رواه عن عمر اخرون غير علقمة ورواه عن علقمة اخرون غير التيمي ذكرهم ابن منده في (المستخرج)

وروى « الدارقطني » الحديث في (احاديث مالك التي ليست في الموطأ) ونظر في طرقه من غير طريق عمر ثم قال في (العلل) : واصحاب اصحاب مالك الحفاظ فرووه عن : مالك عن يحيى بن سعيد عن التيمي عن علقمة عن عمر . وهو الصواب »

واما الصحابة الذين ذكر ابن منده انهم رووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يذكر الاسانيد حتى ينظر فيها النقاد وقالوا : ولايحفظ لها سند الا ما كان من الحديث عن انس بن مالك ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لايقبل الله قولا الا بعمل ولا يقبل قولا ولا عملا الا بنية ولا يقبل قولا ولا عملا بنية ، الا باصابة السنة »

وذكروا ان الحديث ورد في عدة احاديث صحت في مطلق النية ، كحديث عائشة وام سلمة رضي الله عنهما ، في صحيح مسلم : « يبعثون على نياتهم » وحديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما : « لكن جهاد ونية » ، وحديث ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » متفق عليهما .. وحديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعا : « رب قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته » اخرجه الامام احمد في المسند . وحديث عبادة بن الصامت الانصاري رضي الله عنه ، مرفوعا « من غزا وهو لاينوي الا عقالا يصيبه . فله ما نوى »

ثم كان ان شغلتني هذه القضية فيما يسر الله لي من تحقيق الذخيرة الغالية لعلوم الحديث : (مقدمة ابن الصلاح) وعليها (محاسن الاصطلاح) لشيخ الاسلام السراج البلقيني مجدد المائة الثامنة للهجرة فتزودت منهما ومن المصنفات عليهما بما وصلني بالقضية في مجالها الرحب حتى جعلتها من [illegible] موضوعها [illegible] والمذاكرة مع ابنائي علماء الشريعة والحديث الذين حظيت بصحبتهم في الدراسات العليا بجامعة القرويين العريقة . وامضينا في دراسة القضية موسما كاملا كان همنا فيه ان نصل الى معرفة العلل التي تعقبها النظار في كل طريق لحديث (انما الاعمال بالنيات) غير طريقه المعتبرة عند الائمة : من افراد عمر رضي الله عنه . وقدرنا ان العطاء السخي لذلك الموسم . اضافة قيمة الى ما أقيده في مدوناتي عن (الرقابة النقدية على رواية الحديث في المنهج النقلي لعلمائه)

وتواصينا وفتند بان نتخير من صفوة تلاميذنا من نراهم اهلا لحمل امانة هذا العلم والرباط في الموقع الجليل الذي تفاني سلفنا الائمة في حراسته وكانوا القدوة في خلقهم العلمي ومنهجهم النقلي .

وودعتهم ورجعت الى وطني كنانة الله في الارض ، وموسم الشهر المعظم قد اقترب ومايخطر لي قط على بال انني على موعد مع المشهد الختامي الاخير لحديث « انما الاعمال بالنيات » في اخراج عصري لمن افرزتهم المرحلة من علماء ناسبيرو وعوالمها .

التاريخ : ١٤ / ٣ / ١٩٩٢ .

موعدى مع المشهد كان على مائدة الافطار . مغرب اليوم الاول من شهر رمضان الكريم ، اذ سمعت اذاعة القاهرة . عاصمة الكنانة ، تذيع مقدمة لما اعدته من برامج حافلة لبضاعتها احتفالا بشهر القرآن على الطريقة العصرية . والتقط سمعي اول العرض ، مسلسلا من ثلاثين حلقة تقدمه الاخت الفاضلة السيدة صفية المهندس ، المدير العام للاذاعة والتليفزيون وقتئذ ، بعنوان (قالت عائشة) فاغراني العنوان بالانتظار حتى اسمع (قالت عائشة) واعرف من تكون عائشة هذه ؟ وتمهلت ريثما سمعت الحلقة الاولى ، وتبدأ بمقدمة موسيقية غنائية ، تؤديها ابنتي المطربة « ياسمين الخيام » فتغني بصوتها الشجي على ايقاع النغم :

قالت عائشة وقد صدقت . قولا عن سيد خلق الله

قالت فاستمعوا الضيائى . يعطى للناس هدى وحياة

ثم ماذا قالت عائشة عن سيد خلق الله ؟

قالت : (انما الاعمال بالنيات) !!

غفرانك ياذا الجلال والاكرام .

بعد كل تلك المجاهدة الصعبة لاجيال من علمائنا النبلاء في خدمة حديث شريف من افراد عمر رضي الله عنه. عده الائمة ثلث الدين وارتضاه الامام البخارى فاتحة يستهل بها جامعه الصحيح ،

يئول الحديث الى هذه الرواية المطربة على ايقاع الموسيقا تذاع من القاهرة احتفالا بالشهر الطيب وبضاعة تصدر الى الاذاعات العربية في اقطار الشرق والغرب ، بالعملة الصعبة ؟

ربما كانت كثرة من (سادتي المستمعين الكرام) تؤثر هذا الاداء المساير لحركة تطورنا — لما لم تقله السيدة عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها ، ولا يسمع به اى عربي يجد حس لغته وذوق بيانها وصحة قواعدها — على رواية سلفية من طريق شيوخ حفاظ اكل عليهم الدهر وشرب ..

لكن ماذنب ابنائنا الشباب ابناء اليوم واصحاب الغد . فيما يبث فيهم من لوثة انحراف خلقي يهدر حرمة العلم وكرامة سلفهم العلماء ويستبيح العبث باشرف ميراثنا الخلقي والعلمي ؟

من لى بمن يزكيهم بسلوكنا الخلقي ، ويبلغهم ان قوانينهم لرواية الحديث التزمت بالمنهج النقلي المستوى الذى يتقاصر جهدنا عن تمثله والاستشراف اليه فضلا عن بلوغه واستيعابه والطموح الى تجاوزه ؟

فهل يكفي بيانا لدقة منهجهم وصرامة ضوابطه ، انهم بلغوا بعلوم الحديث سبعين علما لابد من معرفتها لتمييز الحديث الصحيح الذى لم يزد تعريفه في مصطلحهم على هذه الفقرة :

(الحديث الصحيح هو ما اتصل اسناده برواية العدل الضابط عن العدل الضابط الى منتهاه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم — من غير شذوذ ولا علة)

ثم اضافوا بعد هذا العناء كله بتحصيل سبعين علما : (قولنا حديث صحيح لايعني انه صحيح في ذاته . بل يعني انه صح على شروطنا . وكذلك قولنا حديث غير صحيح يعني انه لم يصح على شروطنا . لا انه غير صحيح في ذاته . والله اعلم)

(الحمد لله . وسلام على عباده الذين اصطفى) صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات
التاريخ : ١٥/ ٣ / ١٩٩٢

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ»

صدق الله العظيم

د. بنت الشاطئ
استاذ التفسير والدراسات العليا .
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادىء الكلية للأخلاق

التوحيد جوهر الدين كله

التوحيد جوهر الدين كله ، والقرآن الكريم فيما يوثق من مجمل التاريخ الديني للبشرية ، يعلمنا أنها تدينت بفطرتها منذ كانت . وإذ اعياها في بدائيتها الموغلة في القدم أن تتمثل التجريد المطلق للألوهية ، اتخذت لها أصناما أربابا عكفت على عبادتها من عصر ما قبل الطوفان ، كيلا تعيش ضد طبيعتها في فراغ من العقيدة .

ويعلمنا القرآن كذلك ، أنها على المدى الطويل من اقدم المجتمعات البشرية حتى الجاهلية الاخيرة ، جاءتها رسالات الله تترى تدعوها الى التوحيد فما امن بها إلا قليل

[illegible] قوم نوح جاءهم نوح عليه السلام رسولا ونذيرا ، (قال ياقوم انى لكم نذير مبين . ان اعبدوا الله واتقوه وأطيعون .)

وكرر النذير : (ان لاتعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم أليم ، فقال الملأ الذين كفروا من قومه مانراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل ان نظنكم اكاذبين) .

ولبث فيهم زمانا يدعوهم ليلا ونهارا فما زادهم دعاؤه الا فرارا ، واصروا واستكبروا استكبارا ، وزينوا للناس عبادة الهتهم الاصنام . حتى اغرقهم الطوفان .
(وقيل بعدا للقوم الظالمين .)
وتركوا ميراثهم من الوثنية حتى نشب في « عاد » فارسل الله اخاهم هودا هاديا ونذيرا :
(قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ان انتم الا مفترون)
فكذبوه وعصوه (قالوا ياهود ماجئتنا ببينة وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين)،(وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد . واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ، الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود)
وطال الامد على المؤمنين منهم ، وفشت الوثنية في ثمود ، فارسل الله تعالى اليهم اخاهم صالحا برسالة التوحيد :
(قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب . قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا واننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب)
ثم كان مصيرهم أن نجى الله صالحا والذين معه (واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين . كان لم يغنوا فيها ، الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود)
كان التوحيد كذلك ، رسالة ابراهيم الخليل عليه السلام ، بعد ان رفض عبادة الاصنام مع ابيه وقومه ، ولبث طويلا قلقا مشغول البال ، يلتمس الاله الخالق فتمثله في ايات قدرته وعظمته : الكواكب والقمر والشمس ، ثم رابه من امرها ان الكوكب يافل ويغيب ، والقمر يخسف ويغيب في ظلمات المحاق ، والشمس تكسف وتغرب في دجى الليل ، فايقن بوجود خالق عظيم لايجوز عليه افول او خسوف وكسوف .
واصطفاه الله نبيا رسولا . قال تعالى :

. (ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون . قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم و اباؤكم في ضلال مبين . قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين . قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين)
وارادوا به كيدا فجعلهم الله الاخسرين . وذهبوا كما ذهب قوم لوط عبرة ومثلا

والى مدين ارسل الله اخاهم شعيبا ، عليه السلام ، داعيا الى التوحيد ، ونذيرا :

(قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولاتنقصوا المكيال والميزان ، انى اراكم بخير وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط) .

(قالوا يا شعيب اصلاتك تامرك ان نترك مايعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء ، انك لانت الحليم الرشيد)
وانذرهم ان يصيبهم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم صالح وما قوم لوط منهم ببعيد ، ونصح لهم ان : استغفروا الله ثم توبوا اليه انه رحيم ودود .

(قالوا ياشعيب مانفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز . قال ياقوم ارهطى اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربى بما تعملون محيط)
ثم كانت العاقبة :

(ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين . كان لم يغنوا فيها ، الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود)

والى التوحيد دعا موسى وعيسى وخاتم النبيين عليهم السلام . وسائر الرسل بوجه عام . من نتلو فى القرآن انباءهم ومن لم يتل علينا نبأ عنهم ، وسواء منهم امم لاتزال قائمة ، وامم بادت وكانت حصيدا .
يشهد لهذا العموم قوله تعالى خطابا لخاتم الرسل عليهم السلام :

(ذلك من انباء القرى نقصه عليك منهم قائم وحصيد . وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم الهتهم التى يدعون من دون الله من شىء وما زادوهم غير تتبيب ، وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهى ظالمة . ان اخذه اليم شديد) وقال عز وجل
وما ارسلنا من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون)

• • •

هكذا جاءت رسل الله تترى على فترات منهم ، داعية الى التوحيد ، والبشرية قاصرة عن تمثل التجريد المطلق لالاله الخالق المعبود ، فجسدته فى اصنام تخلقها لتكون قريبة منها ، تلوذ بها فيما يلم بها من مصائب وكوارث ، ثم جسدت الخالق فى مظاهر عظمته وايات قدرته وفيض عطائه ، فعبدت الكواكب النيرات والقمر والشمس والانهار والنار . رموزا للخالق . وعلى مر الزمن غابت الرمزية فى المعبودات . فاتخذوا الرموز ذاتها الهة معبودة . ثم كان عصر عبادة الابطال والقادة الرسل والزعماء والاباء ، بديلا من عصر تعدد الالهة الذى يأباه دين الفطرة ، قال تعالى :
(وما كان معه من اله ، اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون)

• • •

هذا العرض الموجز يشهد ان البشرية لم تستطع قط ان تعيش فى فراغ من العقيدة . فلئن كانت قد اعياها تمثل التجريد المطلق للوحدانية لقد بقى فى اعماق ضميرها قبس من نور الله لم ينطفىء قط .

ولئن تكن رواسب الوثنية رسخها القدم واعطاها من حرمة العتاقة ما عطل الوعى بعقمها وقبحها ، لقد بقى للبشرية ايضا من ميراث التوحيد فى دعوة الرسل جميعا ، ما استشرف بها الى التوحيد المحض ، يحدو مسراها فى الليل البهيم بدعاء الحق والخير والجمال ، مؤذنا بمطلع فجر صادق يمحق الوثنية الشائهة العقيم ، ويحرر الانسان من مهانة العبودية لغير خالقه ليحمل تبعات رشده وتكاليف امانة انسانيته ومسئولية سلوكه وضميره . وليخوض نضاله الباسل فى المعركة الابدية بين الخير والشر ، دفاعا عن كرامة الادمية وشرف الانسان .

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٦ / ٣ / ١٩٩٢

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ»

صدق الله العظيم

د. بنت الشاطىء
استاذ التفسير و الدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادىء الكلية للأخلاق
التوحيد المحض ودين الفطرة

حديث الامس كان عن (التوحيد جوهر الدين كله) دعت اليه كل رسالات الدين ، استقراء لما وثق القرآن الكريم من انباء الرسل عليهم السلام ، من عهد نوح عصر ماقبل الطوفان حتى ختام رسالات الدين ، بعموم مطلق تشهد به اية (الانبياء) ـ ونظائرها فى القرآن **كثيرة** ـ خطابا لخاتم الرسل عليهم السلام فى قوله تعالى

(وما إرسلنا من رسول إلا نوحى اليه انه لا إله إلا انا فاعبدون)

• • •

مؤرخو الحضارة من علماء (الاديان والاخلاق) يقدمون فى هذه القضية ـ اعنى عموم الدعوة الى التوحيد ـ مذهبا اخر ، قد يبدو فى ظاهره مخالفا لما استقرأنا من ايات شاهدة لدعوة الرسل كافة الى عبادة الله وحده .

الذى ذهب اليه صفوة من مؤرخى الحضارة علماء (الاديان والاخلاق) الغربيين فيما نقل عنهم العلامة الفرنسى (الاستاذ جوستاف لوبون) ان الاسلام وان كان مصدقا للمسيحية قبله [فانه يختلف عنها مع ذلك فى كثير من الاصول ولاسيما فى التوحيد المطلق الذى هو اصل اساسى لعقيدة الاسلام فيما دعا اليه من إله واحد مهيمن على كل شىء .. وللاسلام وحده كل الفخار بانه اول دين ادخل الى العالم التوحيد المحض] .

وغير متصور ان يتهموا في هذه السيادة بالتعصب لغير دينهم او الجهل بان عامة الرسل قبل الاسلام دعوا الى عبادة الله وحده . وانما يشيدون للاسلام بالتوحيد المطلق (المحض) غير مشوب برواسب من مخلفات عصور الوثنية والشرك علقت بالتدين . كما وثق القرآن الكريم ماسبقه من دعوة الرسل الى التوحيد ، مع ما لاشبهة فيه من الواقع التاريخي لمسيرة البشرية المتدينة . كل مرحلة منها تلقت رواسب متخلفة عما قبلها . وتركت بقايا منه فيما بعدها . مثلما [illegible]

وكما كانت عبادة الاصنام وعبادة مظاهر القدرة الالهية وشواهد عظمتها وايات نورها وعطائها . شاهدا على ان البشرية المتدينة لم تكن لتحتمل الفراغ من عقيدتها ضد طبيعتها . وكان قبس من الوعي في اعماقها تدرك به عقم العبادة للاصنام وللاجرام السماوية النيرة .

وليس من طبيعة الاشياء ان تؤمن الكثرة بما جاء به رسلها عن الاله الواحد الفرد الصمد . بل غلبت عليها الغفلة فما أمن بالرسل منها الا قليل لكن من هذه القلة المؤمنة . من بقي على ميراث النبوة بما صح له من الوعي المرهف بعقم الوثنية وضلالها .

وفيما يتلو علينا القرآن الكريم من رشد . ابراهيم . قبل اصطفائه للنبوة . رفضه وثنية ابيه وقومه . ثم ارتيابه في الاجرام السماوية النيرات العليا لما اعتراها من افول ومحاق وغروب وخسوف وكسوف . مما لايجوز على الخالق المعبود .

مثل هذا الوعي الرشيد المرهف ليس بحيث يصح للعامة ولا لكثرة منها . بل يكفي ان يتوهج في بصيرة فرد منها . يمثل الضمير السري في ارهف حساسيته لعصره وبيئته واعلى مستوى لعقلية اهله . ومن ثم تبدأ به مرحلة متقدمة لمسيرة البشرية المتدينة على هدى رسالات الدين .

• • •

ولقد جاء الاسلام وفي العرب — كما في غيرهم — رواسب من مخلفات وثنية غابرة . ترتد بهم في جاهليتهم الاخيرة الى اقدم الوثنيات المعروفة لنا [illegible] باسماء أصنام عبدها الكفار من قوم نوح (ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر) ذكرها القرآن الكريم من انباء الجاهلية الاولى . وتناسخت في اجيال العرب . حتى مبعث خاتم الرسل عليهم السلام .

كما كان فيهم بقايا من وثنية الصابئة عبدة الشمس والقمر والنجوم . واثار من عبادة الابطال في تقديس الاباء غلبت على عقولهم .

وفيهم مع ذلك كله . بقية من الحنيفية ملة ابراهيم وولده اسماعيل جد العرب العدنانية ومنها قريش صفوة بني عدنان . وبنو هاشم صفوة قريش .

وكانت قريش جيرة الحرم المكي مثابة حج العرب ومهوى افئدتهم . وفي قريش كانت الوظائف الدينية الكبرى لمكة المكرمة . المركز الديني للقبائل العربية . ومجمع مواسمهم الدينية على مابقي فيهم من الحنيفية ملة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام . مشوبة برواسب من طقوس وثنية الشرك . وبما نشب فيهم على مر الزمان من عبادة الابطال ممثلة في ظاهرة تقديس الاباء . التي تستحق ان نفرد لها حديثا خاصا .

دون ان يطمس ذلك كله قبسا من الوعي في فطرتهم ، اعتمد عليه دين الفطرة في الجدل الحكيم ، تبصيرا بما هم عليه من سفه وضلال . وقد كشفت ايات الجدل مع ابراهيم قبل مبعثه عن عقم مخاطبة عقولهم وقد غلبهم عليها نسوب عبادة الاباء دون ان يغيب عنهم ان اصنامهم التي يعبدون صماء بكماء لاتملك لنفسها ـ فضلا عن ان تملك لهم ـ ضرا ولا نفعا ، اذ اقسم ابراهيم ليكيدن لاصنامهم على غفلة منهم فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون .

(قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين ، قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم . قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم . قال بل فعله كبيرهم فاسالوهم ان كانوا ينطقون . فرجعوا الى انفسهم فقالوا لقد علمت ماهؤلاء ينطقون . قال افتعبدون من دون الله ما لاينفعكم ولايضركم . اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون . قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين) .

ولقد اتجه دين الفطرة الى عقول المشركين من قريش فما استجاب له منهم الا قليل ، واقام اكثرهم على شركهم بغيا وعنادا وفتنة بعبادة الأباء ، واتجه الى فطرتهم باسئلة كانت انفذ فيهم واجدى معهم .

● ● ●

فلانترك بقية حديث اليوم لأيات من هذه الأسئلة الصادعة الدامغة بقوله عز وجل :

(ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله)

(ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله . قل الحمد لله ، بل اكثرهم لايعقلون)

(ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله ، فانى يؤفكون)

(قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون لله قل افلا تذكرون)

(قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، سيقولون الله ، قل افلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون . سيقولون الله فانى تسحرون) الأيات

ولزمتهم الحجة ، وقال تعالى الزاما لهم بالتوحيد المحض

(الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم في ماهم فيه يختلفون . ان الله لايهدى من هو كاذب كفار)

وقال جل جلاله :

(ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون)

● ● ●

(والله يقول الحق وهو يهدى السبيل)

صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات
التاريخ : ١٧ / ٣ / ١٩٩٢

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ»

صدق الله العظيم

د . بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

-الاسلام والمبادىء الكلية للأخلاق

لانفرق بين أحد من رسله

هذا بلاغ للناس فى زمان لايميز بين الغيرة على الدين والارهاب

الشهادة للاسلام ـ فيما نقل العلامة الفرنسى الاستاذ جوستاف لوبون عن صفوة من علماء الغرب الحديث ـ بأن (له وحده كل الفخار بانه اول دين يمن على العالم بالتوحيد المحض)

هذه الشهادة منظور فيها كما بينت فى حديث سابق ، الى ان الاسلام مصدق لما سبقه من رسالات الدين ، ما من رسالة منها الا دعت الى التوحيد ، بشهادة آيات القرآن على وجه الاستقراء . وانما التوحيد المحض تصديق بما وثق من انباء الرسل قبلنا ، وما قدم من خلاصة لجوهر الدين كله ، غير مشوب برواسب علقت به على فترات من الرسل ، وتوارثت البشرية المتدينة مخلفاتها على المدى الطويل من جاهليتها القديمة ، عصر ما قبل الطوفان الى عصر تعدد الالهة ثم عصر عبادة الابطال والقادة الزعماء والاباء .

■ ■ ■

شهادة الاسلام : (ان تشهد ان لا اله الا الله ، وان محمدا عبده ورسوله). ومن المعلوم للمسلمين كافة من دينهم بالضرورة . ان هذه الشهادة اولى القواعد الخمس التى بنى عليها الاسلام .

شهد بها المسلمون الاولون عصر المبعث والذين جاءوا من بعدهم ممن دخلوا فى دين الاسلام طواعية على امتداد الزمان والمكان .

وبها تتجاوب افاق العالم الاسلامي الرحب في كل اذان للصلاة . وبها نختتم كل صلاة مفروضة او سنة ونافلة بالتشهد نُشهد فيه ان لاإله إلا الله ، وان محمداً عبده ورسوله .

ما ألتفت اليه اليوم هو أن الشهادتين بالوهية الله وحده ، وبمحمد عبده ورسوله . متكاملتان من حيث هما معا القاعدة الاولى من قواعد الاسلام الخمس ، لاتنفرد كل منهما بقاعدة فيكون عدد القواعد ستا خلافا لنص العدد في الاصل المتفق عليه من (كتاب الايمان في الصحيحين) باب بني الاسلام على خمس : « شهادة ان لا إله الا الله وان محمدا رسول الله . واقام الصلاة . وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » .

وبشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله تنتفي كل شائبة عن التوحيد المحض ، وينتفي كل لبس في اصطفاء نبي الاسلام عبدا لله ورسوله ، ويغلق كل منفذ للشرك بالله سبحانه ، هو الخالق المعبود وحده لاشريك له . اياه نعبد واياه نستعين .

وبشهادة التوحيد المحض ، تتقرر بشرية الرسل عليهم السلام ، اصلا من اصول العقيدة الاسلامية ، على وجه المماثلة لبشرية الناس ، يأكلون الطعام ويمشون في الاسواق ، وتجوز عليهم اعراض البشرية من يتم وثكل وفرح وغبطة وحزن ، وألم ومرض وموت ، مصداقا لايات الله تعالى في بشرية رسله جميعا ، وقد كانت هذه البشرية فتنة لمن جحدوا ان يبعث الله بشرا رسولا .

(وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق) الاية : وقال تعالى : (وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا)

مثلما كانت فتنة لبعض من آمنوا بهم ، فعجبوا ان يجوز عليهم الموت كما يجوز على كل نفس وقال الخالق الحي الباقي :

(وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل . افئن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين)

وفي (باب سجود السهو) في الصحيحين من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد نسيها في صلاته :

(انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون ، فاذا نسيت فذكروني ..) الحديث

وفي الموطأ والصحيحين من حديث ام المؤمنين ام سلمة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« انما انا بشر وانكم لتختصمون الى فلعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض ، فاقضي له على نحو ماسمعت ، فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا يأخذن منه شيئا فانما اقتطع له قطعة من النار » .

■ ■ ■

وافرغ فيما بقي لي من حديث اليوم ، لآيتين في ختام سورة البقرة اول الوحي المدني ، اكثر من تلاوتهما واطيل التفكير فيهما بعد ان من الله على بخدمتهما في عام سبق ، في دروس التفسير لطلاب الدراسات العليا بكلية الشريعة بجامعة القرويين . فما بلغت منهما الا دون ما يأخذني من جلالهما واعجاز بيانهما

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات
التاريخ : ١٧ / ٣ / ١٩٩٢

وشمولهما لمبادىء كلية من اصول شريعتنا ومنهاجها الاخلاقي للسلوك .

انقلهما هنا معاً ، تبيانا لسياقهما المحكم في قوله عزل وجل :

(آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله ، وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ، لايكلف الله نفسا الا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا او اخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولاتحملنا مالا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)

من اصول العقيدة في الاية الاولى ، التوحيد المحض ، إيماناً بالله تعالى وبما انزل من الوحي على خاتم رسله عليهم السلام .

ومن الايمان بالله التصديق بغيب الملائكة – وبالغيب عامة – والتصديق بكل الرسل قبل ختام النبوة ، وماجاء في القرآن من انبائهم ورسالاتهم ، لا نتجاوزه الى مانسخه الله من الشرائع قبلنا ولا إلى غير ما جاء في القرآن عنهم ، مما لم يرد لنا الله تعالى ان نتعلق به .

مع الايمان بان لكل امة كتابها الذى تدعى اليه ورسولها الشهيد على ماحملت من رسالته قال عز وجل : (كل امة تدعى الى كتابها) .

وقال خطابا لخاتم رسله عليهم السلام :

(فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا)

★ ★

وقوله تعالى ، عن المؤمنين الموحدين :

(لانفرق بين احد من رسله) اصل من اصول عقيدتنا ومنهاجها في السلوك . وهذا النفي للتفريق بينهم يتعلق بكونهم الذين تفضل الله تعالى فاصطفاهم رسلا له لهداية البشر – والله يمن على من يشاء من عباده – لا من حيث شرائعهم وترتيب درجاتهم ودلائل نبوتهم ، واختلاف الامم التى بعثوا فيها ، فذلك قول الله عز وجل ..

(لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)

وقال رسول الله ، عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع وصيته الاخيرة لامته : " ولقد تركت فيكم ما ان تمسكتم به فلن تضلوا ابدا كتاب الله وسنة رسوله " .

ومما يوجه اليه قوله تعالى عنية (لانفرق بين احد من رسله) من المبادىء الكلية لمنهاج السلوك ، ما ينبغي لنا من التسامح مع اهل الكتاب الذين لايدينون بديننا . وما اوجبه علينا الاسلام من تصديق بالرسل جميعا وعدم التفريق بينهم من حيث هم رسل الله تعالى الى خلقه . وليغفر الله لمن فرطوا في هذا المبدأ ، فكانهم يؤمنون ببعض الكتاب المحكم ويكفرون ببعض ، وانما قول المؤمنين (سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) ايمانا بيقين البعث والمصير الى الله تعالى . يحمى الانسان في رحلة حياته الشاقة المضنية من عقم العبثية ولعنة العدمية المدمرة لارادة الحياة ، ويعيننا على المجاهدة في المقدور لنا من العمر

■ ■ ■

موعدنا غدا بمشيئة الله مع الاية الخاتمة للسورة الاولى من الوحي المدنى

(والسلام على من اتبع الهدى)

صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات
التاريخ : ١٨ / ٣ / ١٩٩٢

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا
لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا
وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى
الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ
لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا
وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

صدق الله العظيم

د . بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادىء الكلية للأخلاق

دين الفطرة ، ودعاء المؤمنين

حديث اليوم موصول بحديث الامس فى الآيتين المحكمتين اخر (سورة البقرة) أول الوحى المدنى ، تدبرا لما جمعتا من أصول العقيدة ومنهاج السلوك ، ومنها ماسبق أمس فى أولى الآيتين : الايمان بالله وبما أوحى الى خاتم رسله ، والتصديق بغيب الملائكة سماعا ، فى عامة مايعرف فى الدين بالسمعيات الغيبية ـ نصدق بها سماعا ولا نخوض فيما استأثر الله تعالى به من علم غيبها ، والتصديق بكتب الله ورسله (لانفرق بين أحد من رسله) من حيث هم جميعا رسل الله تعالى إلى عباده ، مع الايمان بان لكل أمة كتابها الذى تسال عنه ورسولها الشهيد على ماحملت من رسالته وشريعته ، اعتبارا بقول الله عزوجل : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وأصلا من أصول عقيدتنا فى سماحتها ونبلها ، ومنهاج سلوكها الأخلاقى فى معاملة أهل الكتاب : اليهود والنصارى ، وآية نقدمها إلى عصرنا يقذف الله بها الحق بالباطل فيدمغه فاذا هو زاهق .

ولعلها تبلغ سمع الذين يروجون فى زماننا لما يعرف فى مصطلح الوقت بالارهاب الاسلامي ، ويرجفون بما سموه (قنبلة اسلامية) مرهوبة مرعبة ، يحتمل أن يملكها بلد إسلامي فى مشرق أو مغرب .

ولم تحمل المسيحية تبعة الإرهاب المفزع فى ايرلندا الشمالية ، ولاحملت اليهودية إصر الارهاب الاسرائيلى بقنابلها الذرية والعنقودية وما تنتج برامجها النووية المشتركة مع الولايات المتحدة الامريكية ،

* * *

موعدنا اليوم مع أخرى الأيتين فى ختام السورة الأولى من الوحى المدنى ، تجلو ملامح الشخصية الاسلامية السوية النقية ، وتؤصل فى منهاج سلوكها فضيلة التواضع للخالق عز وجل ، والسمع والطاعة لأوامره ونواهيه ، والخشوع لأياته وكلماته ، لانؤمن ببعض ونكفر ببعض . وتكبح جماح غرورنا ، بما يجوز على بشريتنا جميعا من نسيان وخطأ ، ولعلها تغض من كبرياء من يزين لهم أشياعهم أنهم قادة الدنيا وسادة البشر ، المعصومون من الخطأ والضلال ، قوله تعالى :

(لايكلف الله نفسا الا وسعها . لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت) تبدأ بها آية دعاء المؤمنين ، بأن الله جل جلاله لايكلف نفسا إلا وسعها ، أصلا من أصول الشريعة ، يقرر حكمته تعالى ورحمته بعباده ، ويقدر طاقة بشريتنا وقصورها عن التكليف بما ليس فى الوسع ، ويسقط العذر عن عدم الطاعة للتكليف بما فى الوسع .

وكل الرخص الشرعية منظور فيها الى رفع العنت والمشقة ، قال تعالى : فى رخص الافطار فى شهر رمضان : (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر) الآية . وقال بمن على المؤمنين بما وصف به الرسول عليه السلام :

(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) .

وترتيبا على هذا الأصل من نفى التكليف بما ليس فى الوسع ، قال تعالى : (لايكلف الله نفسا الا وسعها ، لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت) تقريرا للحساب والجزاء ثوابا وعقابا ، بما يحمى الانسان من جموح الهوى وشطط السلوك وضلال السعى ، ويقرر مسئوليته عن الاعمال الكسبية لا على ماليس فى طاقته ووسعه ، فلا ينكص المكلف عن تبعات كسبه ورشده ، بأن يقول كما قال المشركون فيما نتلو من آيات الله

(وقال الذين أشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شىء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شىء ، كذلك فعل الذين من قبلهم ، فهل على الرسل الا البلاغ المبين) ؟

(وإذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله ، قال الذين كفروا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم الا فى ضلال مبين) .

أو يتنصل من المسئولية عن عمله بأن يلقيها على من أضلوه : ويقول يوم الحساب : (ربنا هؤلاء اضلونا ..) الاية .

والاصل فى الشريعة : (كل نفس بما كسبت رهينة) (وان ليس للانسان الا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى) .

وعفو الله مرجو لمن استغفره تعالى وتاب وأناب ، وهو دعاء المؤمنين فى الاية :

(ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطانا ، ربنا ولاتحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) .

أول الدعاء فيها (ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو اخطانا) وفيه من الفقهيات الدقيقة ، ماهو معروف من تجاوز الله تعالى للعباد عن السهو والخطأ ، فذلك مما يجوز على بشريتهم ، وقد صح الحديث المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ان الله رفع عن أمتي – وفي رواية : وضع عن أمتي – الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » – اخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ، على شرط الشيخين – فما وجه الاعتذار عما هو موضوع عن الأمة اصلا ؟ .

ثم ان الشريعة لم تعف عن فوائت الفرائض سهوا ونسيانا ، بل حكمت بقضاء الفوائت في سجود السهو ، وفي فائت الصلاة عن وقتها ، بل حكمت كذلك بقضاء فوائت صوم رمضان برخصة شرعية فمن افطر لعذر من مرض أو سفر ، (فعدة من أيام أخر) بعدد الأيام التي أفطر فيها ، وشرع الله الفدية ، طعام مسكين ، لمن يستفرغ الصوم طاقته كالشيخ المسن والضعيف خلقة أو لمرض مزمن .

وكذلك القتل الخطأ ، لم يرفع الله عن القاتل حكمه ، بل قضى فيه بالدية والكفارة .

والجواب عن هذا ، أن النسيان عن سهو يرفع المأثم ولايرفع اصل الحكم ، قال تعالى : (فاقم الصلاة لذكري) وقال : (واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا) فإليه يتجه الدعاء والاستغفار .

وفي الصحيحين من حديث « انس بن مالك » رضي الله عنه ، عن النبي عليه الصلاة والسلام ، قال : « من نسي صلاة فليصل اذا ذكرها ، ولاكفارة لها إلا ذلك » وفيهما من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال وقد سها في صلاته : (انما انا بشر مثلكم أنسى كما تنسون ، فإذا نسيت فذكروني) الحديث .

كذلك الامر في القتل خطأ يرفع المأثم عن القاتل ولايرفع الحكم في اصل الشرع ، بل يقضي عليه بالدية والكفارة . والى هذا يتجه المروي عن الامام احمد رضي الله عنه ، قال : « من زعم ان الخطأ والنسيان مرفوع ، فقد خالف الكتاب والسنة » يعني من زعم ارتفاعهما على العموم ، في اصل التكليف .

(ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنا به) أي ما يشتد ويثقل من التكليف ، جاز ان يعبر عنه بما لايطيق ، كقولك ، ما أطيق كلام فلان ولا أقدر أن أراه ، لايراد به نفي الطاقة والقدرة ، بل المراد أنه يثقل عليك كلامه ورؤيته .

واختتم دعاء المؤمنين في الآية :

(واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) .

قال علماؤنا : خرج الدعاء في الآية مخرج التعليم للعباد كيف يدعون . وروى عن « معاذ بن جبل » رضي الله عنه أنه كان إذا فرغ من قراءة هذه السورة قال : آمين » .

وعن الامام « علي كرم الله وجهه » ، في الآيتين الاخيرتين منها ، قال : « ما أظن ان احدا عقل وأدرك الاسلام ، ينام حتى يقرأهما » .

وأخرج الامام مسلم في (باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة) من صحيحه ، حديث أبي مسعود الانصاري ، رضي الله عنه ، من عدة طرق ، قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قرأ هاتين الآيتين من اخر سورة البقرة قبل أن ينام ، كفتاه) أي كانتا كافيتين له من قيام الليل ، وقيل : من وسوسة النفس الامارة بالسوء .

(والسلام على من اتبع الهدى)

صدق الله العظيم .

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٩ / ٣ / ١٩٩٢

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ * أَزِفَتِ الْآزِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ * أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنتُمْ سَامِدُونَ * فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾

صدق الله العظيم

د . بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادىء الكلية للأخلاق

قضايا المنهاج الاسلامى للسلوك فى شتات الاغتراب والتغريب

ما من قضية من قضايا المنهاج الاسلامي للسلوك اتجه إلى عرضها ، الا رأيتها قد شابها لبس غير هين ، ينبغى تداركه ليصح لنا فهم المبادىء الكلية للأخلاق فى الاسلام .

من ذلك مثلا ، قضية التوحيد المحض وما تستلزم من محق العبودية لغير الله وحده ـ وقد كانت موضوع حديث الامس ـ تلتبس بقضية الرق والاستعباد باى وجه وعلى أى شكل ونمط .

وقضية حرية العقيدة وحظر الاكراه فى الدين . تلتبس بقضية الردة التى يشغل بها عالمنا المعاصر ويناقش فيها (الرأى ، والرأى الاخر) كانها مما للرأى فيه مجال ؟

وقضية العلم والدين لاتزال تتلقى مفرزات المرحلة من مقولات العلمانيين ومنتحلى الكلام فى العلم والدين بما لايصح فى عقل ولا علم ولادين ؟ .

وقضية حرية الرأى ومبدأ الشورى . معطلة بديمقراطية هذا الزمان . يستقل فيها الحزب الحاكم بسلطة أخذ القرار . وقد يكون وصل الى السلطة بثورة أو انقلاب عسكرى . فيشكل حزبه ويضع دستوره ونظامه . وينفذ قراراته بينما ديمقراطية تعدد الأحزاب . الرأى فيها رأى الأغلبية والقرار لها .

الى اخر مايقصر عنه الحصر في هذا المجال . ممايقتضي إمعان النظر في علل هذا اللبس في الفكر الاسلامي المعاصر . لتخف عن أبنائنا . شباب اليوم و أصحاب الغد . وطأة الضغط الباهظ لأزمة الفكر الديني على عقولهم وضمائرهم وسلوكهم ..

وعلى كثرة ماتلقت منابر الاعلام وسوق النشر من بضاعة الفكر الديني للمرحلة الحاضرة الحرجة . وفنون الاجتهاد في تشخيص عللها ومحاولات علاجها . ارانا مازلنا على ماكنا عليه . محكومين بقاعدة (محلك سر) إن لم تكن ظواهر الأزمة قد فشت وتكاثرت . وعللها قد تراكمت وتضخمت أشبه ما تكون بالأورام السرطانية . فيما بين هزيمة يونيه سنة ١٩٦٧ م وبين يومنا هذا في عملية (مساعي السلام) وتحريكها المريب خطوة خطوة . على رقعة الشطرنج الأسطورية مابين (مدريد ـ واشنطن ـ موسكو) ثم عودة الى واشنطن في انتظار خطوة تالية لا ندرى متى . أو الى اين ؟

والذى دفعته امتنا كلها من ثمن باهظ لحرب الخليج . وفي الحساب انه فدية النصر وأمن المنطقة . لم يلبث أن انكشف عن وضع معقد غامض رهيب . جعل من حرب الخليج بداية حروب مترامية الابعاد والاطراف والجبهات . لا أول لها ولا أخر ...

في أعقاب هزيمة خامس يونيو المشئوم سنة ١٩٦٧ الشاغلة لعالم اليوم في مساعي السلام بين العرب واسرائيل . تهيمن عليها أمريكا الموجهة بجماعات الضغط اليهودية . وباشراف مجلس الامن الدولى وهيئة الامم المتحدة ومجلس الاتحاد الاوروبي وبقايا مايعرف في مصطلح الوقت من (انقاض ما كان يعرف بالاتحاد السوفييتي) إضافة إلى مايعرف في مصطلحهم بالمجال المتوقع للقنبلة الاسلامية في الشرق الاسيوى الافريقي . ومايتراءى من قريب وبعيد من ظهور قوة صاعدة في الشرق الأسيوى الأقصى .

أقول : في اعقاب هزيمة يونيه سنة ١٩٦٧ مشغلة عالم الوقت . اطلت التفكير فيما قيدت في مدوناتي : (شاهدة عصر) مانصه :

« من ايماني الراسخ بقيمة الانسان في موازين القوى . أخشى أن نكون في غشية الدوار من صدمة الهزيمة . قد زاغت ابصارنا وتاهت منا عبرتها . وفاتنا درسها . وإذ أطيل التفكير فيما تتعرض له ديار العالم الاسلامي من تاكل وتصدع . وماتمتحن به شعوب أمتنا من مذابح ومجازر . يصك مسمعي مايتردد في أفقنا من أصوات الشك في صلاحية انسان هذه الأمة للبقاء . مع جمود شخصيته ورجعية تفكيره . وتخلف عقليته الغيبية المعطلة للأسباب .

« وتحت الضغط الباهظ للهزيمة . يهتز اقتناع الشباب بالبضاعة الحاضرة للفكر الديني فما عادوا يحتملون في عصر الوصول الى القمر والمريخ . أن تخايلهم ألاعيب السحرة الذين يقدمون لهم من نصوص الدين كل علوم الدنيا . و أسرار الكون ما اكتشف منها . وما لم يكتشف بعد . وكل المحجوب من غيب الاخرة وعلم الساعة .

وكذلك ما عادوا يفهمون في زمن الالكترون . منطق رجعية متحجرة لعقليات تعمى على قانون التغيير . وترتد راجعة الى كهوفها الاسطورية وراء الزمان ..

« و أقرأ مايكتبه الشباب الحائر . و أصغى

إلى أصداء مغالبتهم الباهظة بخلاص الفهد والعطف . فاسأل من واقع رؤيتي لتاريخنا بين ماض وحاضر : هل الخطأ في أصل الفكر الديني . أو في سوء فهمه والجهل به والانحراف عنه والتاويل الغبى الفج لنصوصه ؟

« بعبارة اخرى : هل تكون الشخصية الاسلامية بطبيعة فكرها الديني غير صالحة للبقاء ؟ أو أن هذه الشخصية تعرضت لذرائع تشويه فادح يجعلها غير قادرة على الانسجام مع قانون التطور والتغيير والاستجابة لثوابت السنن الكونية للحياة والانسان ؟

« اننا نتكلم عن الفكر الديني دون أن نميز فيه ماهو من أصله النقي وماهو دخيل مدسوس عليه أو عارض طارىء .

ونتحدث عن شخصية الانسان المسلم ولاندري على التحقيق مانعني بها . وفي المجتمعات الاسلامية اليوم انماط متباينة متنافرة .

« ومع التسليم بان كل انسان منا عالم وحده . إلا أن هذا التمايز ليس بحيث يطمس ملامح شخصية عامة تنميه إلى أهله وقومه وأمته . فما تكون هذه الشخصية الاسلامية التي يصح بها النظر في فكرها وعقليتها ووجدانها وأخلاقها . وموقفها من الكون والحياة والانسان . ليصح من ثم الحكم عليها بالقدرة أو العجز عن الاستجابة لنبض الحياة ، والصلاحية أو عدم الصلاحية للبقاء .

« لقد بعد العهد بماضينا في عصور السيادة والعزة والمنعة . والحضارة القائدة الرائدة . لنواجه العصر الحديث بمخلفات ليل الاستعمار . وتركته المشحونة بمخلفات غزو معنوى ألح على شخصيتنا بالمسخ والتشويه . وكان من أوضح اثاره فقدان التعاصر بين أبناء الجيل الواحد والبيت الواحد . نلتقي فيه ونحن فيما بيننا غرباء . وحسبنا أننا بهذا الكيان الممزق بالغربة المتصدع بالتنافر . نستطيع ان نتابع الحياة . وشغلنا ترف الصراع الايديولوجي وفتنة الخصومة الحزبية . حتى أخذنا العدو على غرة . فلم يجد فينا صبر بضع ساعات يصبر على مثلها وأكثر منها . لقاء فريقين في ملعب كرة من فرق الأندية الرياضية أو من صبية الأزقة والزنقات والحارات .

« وقيل فيما قيل . قدر مكتوب علينا لاحيلة فيه ولاراد له . ومن ثم القى الشباب أصر الهزيمة على شخصيتنا بهذه العقلية المعطلة للاسباب . ومنطق تفكيرها المجافي لسنة الله في الحياة . ومنطق العصر وروح العلم .. » .

اليوم وبعد ربع قرن من الزمان - ما كان أطول أيامه ولياليه ! - اطل على وجودنا في هذه المرحلة البائسة فارى الزمان قد جار علينا . أو بعبارة أصح : أزانا جرنا على أنفسنا فاضفنا إلى أبعاد شتاتنا المبعثر في تيه الغربة . صراعا متناحرا بين أصول أعراقنا وشرعية انتمائنا الى ابائنا وأجدادنا وبين هويتنا المحدثة الطارئة . وزادت الازمة حدة وتعقيدا بتعدد انماط هذه الهوية وتلك . وتشابهت الاقنعة والذرائع فانتقل الصراع من مجاله المحدود بين دعاة التنوير والمحافظين الاصلاء . موغلا في أعماق كياننا متلبسا باوضاع سياسية وحزبية ومطالب أمنية يزوغ فيها البصر ويحار فيها الدليل . فيصبح أهلنا من هؤلاء وهؤلاء منبوذين في أوطانهم هنا وهنك وهنالك ، غرباء في دورهم وديارهم .

وفيما تحتشد اسرائيل لغرس مستوطناتها السكنية في أرض فلسطين المغتصبة وتشريد أهلها في مخيمات اللاجئين ومنافي الاغتراب . تغيب عنا محنة التغريب في ديارنا بين أهلنا وذوى القربى من أترابنا وزملائنا ..

ومازال للحديث شجون وشئون ، والله المستعان .

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٣٠ / ٣ / ١٩٩٢

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم * إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون *»

صدق الله العظيم

د. بنت الشاطىء

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادىء الكلية للأخلاق

الاسلام والايمان فى ختام رسالات الدين

قضية (الاسلام والايمان) هى المدخل الى كثير من قضايانا الشاغلة من ديننا شرعة ومنهاجا ، واخص بالذكر منها قضية حرية العقيدة ومبدأ حظر الاكراه فى الدين ، وقضية الردة ، وحكم النفاق ، وشرعية القتال ، وفرض الجزية على من بقى على دينه من أهل الكتاب فى حركة الفتوح الكبرى التى رفعت لواء الاسلام على الساحة الرحبة من وادى السند الى مطل جبال الأطلس على بحر الظلمات - المحيط الاطلسى - قبل نهاية القرن الأول من الهجرة .

والمسلمون كافة ، يعلمون من دينهم بالضرورة أن (شهادة أن لا إله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله) أولى القواعد الخمس التى بنى عليها الاسلام ، ولعلهم يعرفون كذلك أن الايمان اخص من الاسلام ..

لكن القضية على مايبدو من يسرها قد شابها لبس كثير فى فهم أبناء اليوم ، لايجوز اغفاله وتركه مباحا لبدع التأويل وشبهات المبطلين .

وأول ماينبغى التنبه اليه ، هو مايغلب على الفهم العام لهذا الزمان ، اننا حين نقول : الاسلام والايمان ، فذلك على وجه المقابلة والتضاد : وهذا لبس خطير يوهم أن الايمان يغنى فيه الاعتقاد بالقلب عن النطق بالشهادة ومشاق التكليف بأركان الاسلام ، جهلا بحقيقة الايمان ، وأنه ليس نقيض الاسلام بل هو تمامه ، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا .

وبحس مرهف ندرك ان الاسلام حيثما اطلق فانه يتجه الى شهادته نطقا واقرارا ، مع العمل باركان الدين ، وأن الايمان يزيد الإعتقاد بالقلب على الاقرار بالشهادة نطقا والقيام بالأركان عملا . وإذ كان الايمان منوطا بالقلب . لم يعتبر شرطا فى شهادة الاسلام لأن ذلك يقتضى الحكم بالنيات والسرائر ، خلافا للأصل المقرر فى العقيدة الاسلامية ، أن العلم بالسرائر والقلوب ، موكول الى الله وحده ، هو الذى (يعلم السر وأخفى) ، (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) الى كثير من النظائر ..

وبما استأثر الله تعالى به من علم القلوب والسرائر ، صح ان نقول : دين الاسلام ، ونبى الاسلام ، وكتاب الاسلام ، وشريعة الاسلام ، وعلوم الاسلام ، ومنهاج الاسلام للسلوك ، وتاريخ الاسلام ، وفتوح الاسلام ، وحضارة الاسلام ، ولم يجز اضافة شىء من هذا كله ، وأمثاله معه ، الى الايمان لما فى ذلك من مجافاة للفطرة السوية بالخلط بين ماهو لله تعالى وحده من العلم بغيب السرائر وماتخفى الصدور ، وماهو فى نطاق ادراكنا وعلمنا .

وأقرب ماينشا من هذا اللبس ، تورط بعض المتدينين ، غفر الله لى ولهم ، فى اثم تكفير المسلمين حكما عليهم بسرائرهم ، ولايكتفون بالحكم على الأعمال أو الاقوال بالمخالفة للشريعة .. وفى صحيح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ان الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وان الرجل ليعمل عمل اهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة » متفق عليه .

ثم من يدرى ماذا تكسب نفس غدا ، والله تعالى يقول : (وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس بأى ارض تموت ، ان الله عليم خبير) .

وقد صح الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم بعمل أهل النار ، وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له بعمل أهل الجنة » متفق عليه .

وفى (الموطأ والصحيحين) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينا رجل يمشى بطريق اذ اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب وخرج ، فاذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل - فى نفسه : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى بلغ منى فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له ، قالوا : يارسول الله وان لنا فى البهائم لأجرا ؟ فقال : « فى كل ذات كبد رطبة أجر » والحديث المشهور عن النبى صلى الله عليه وسلم « عذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار ، لاهى اطعمتها وسقتها اذ حبستها ، ولاهى تركتها تاكل من خشاش الأرض » أى من حشراتها وهوامها » .

والايمان منوط بالقلب . والقلب في القرآن الكريم لاياتي بدلالته العضوية التي لكافة أنواع جنسنا الحيواني . بل هو فيه موضع الايمان واليقين والتقوى والطهر والخشوع .. كما انه موضع الريبة والحسرة والهوى وموضع الزيغ والنفاق والقسوة . وسائر افعال القلوب التي لايعلمها الا الله جل جلاله . كلنا مسلمون . والله وحده يعلم من يكتفي منا بمجرد الانتماء الرسمي الى الاسلام أو بمارسه قولا وشكلا ومظهرا .

ويعلم (الذين أمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله . ألا بذكر الله تطمئن القلوب)

(اولئك الذين كتب في قلوبهم الأيمان وايدهم بروح منه) .

(ولكن الله حبب إليكم الايمان وزينه في قلوبكم ..) .

وبالايمان تفترق الشعائر عن الطقوس . قال تعالى : (ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) .

التوحيد . وهو جوهر الدين كله . ننطق بشهادته والله يعلم من منا لايدين بالعبودية لغيره . وهو سبحانه يعلم الذين اسلموا ولما يدخل الايمان في قلوبهم . (من الذين قالوا أمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم) .

(يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم وأكثرهم فاسقون) .

ونقيم الصلاة خشوعا وايمانا وتقوى . وويل للمصلين (الذين هم عن صلاتهم ساهون) غافلون عن كونها قياما بين يدى الخالق عز وجل . تنهى عن الفحشاء والمنكر .

ونؤتي الزكاة طواعية . تكافلا وتعاونا على الخير العام . فنجد في ايتائها من غبطة الايمان وأريحية البذل وشكر النعمة مالا يجده أندى يؤدى ضريبة المال مكرها . ويمحق الله الربا ويربى الصدقات .

ونصوم شهر رمضان تقوى ومجاهدة لارقيب علينا الا الله والنفس اللوامة .. واذا لم تعصم الصائم تقواه من كلمة سوء يقولها أو عمل واجب يعطله أو أمانة يفرط فيها . فليس لله تعالى حاجة الى ان يمسك هذا العبد عن طعامه وشرابه . ويحج الى البيت العتيق من يستطيع الى الحج سبيلا . فنؤدي مناسك حجنا شعائر عبادة من تقوى القلوب . ونلتقي في الموسم الجامع أبناء امة واحدة . وقد تماحت بينهم كل الفروق فليسوا على اختلاف اجناسهم وألوانهم وديارهم ودرجاتهم ومستوياتهم . سوى عباد الله سعوا إلى البيت ضارعين واستجابوا له ملبين . وهو سبحانه يعلم المؤمنين منهم والمرائين . ولن يناله من مناسك حجنا . إلا التقوى منا .

(لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) .

هذا الايمان موكول الى ضمير الانسان . أو « النفس اللوامة » بالتعبير القرآني هي التي تفرض عليه أن يذكر الله في كل أمره . وعليها يعتمد الاسلام أساسا فيما يأخذ به أمته شعائر من العبادات وتكاليف الدين ومنهاجه للسلوك . كل مؤمن رقيب على نفسه خاضع لمحكمة ضميره . وهو ادرى بما يفرط فيه ومايندم عليه ويستغفر الله له . وقد يفلت من محاسبة المجتمع ولايفلت من حساب هذه النفس اللوامة . وكل قوانين الشرائع الوضعية عاجزة عن ان تحكم الضمير الا بالقسر والاغتصاب .. والتزوير والتصنت على طريقة أحدث اذاعة امريكية (سى إن إن) ..

(ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة . انك أنت الوهاب) .

صدق الله العظيم .

التاريخ : ٢١ / ٣ / ١٩٩٣

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝

صدق الله العظيم

د . بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادىء الكلية للأخلاق

القتال يوم بدر كان رفضاً للظلم ودفاعاً عن حرية العقيدة ودور العبادة وحرمات الانسان

على الرغم من محاولات مدعى العصرية طمس تاريخنا الاسلامي والغض منه والتندر بتقويمنا الهجرى على الشهور القمرية ، لم تنس امتنا يوم بدر في موعده من الشهر المعظم في السنة الثانية للهجرة ، ولاحال ضجيج الوقت وصخب الاحداث وهموم المرحلة ، بينها وبين الاحتشاد للاحتفال بذكرى النصر الحاسم في أولى المعارك الحربية في تاريخ الاسلام .

وكنت فيما مضى أكره لقومي أن يقتصروا في إحياء الذكرى على سرادق يقام ومقالات تنشر وأناشيد ترتل وأغنيات تلحن وتذاع ، ثم ينفض السامر وتودع مسجلات الأناشيد والأغاني في مستودعات « ماسبيرو » في انتظار الموعد التالى لذكرى بدر ، لم نأخذ منها درسا ولا عبرة ، (وكأننا يابدر لا رحنا ولا جينا) .

اليوم يخشع قلبي لما شهدته في سنوات مضت ، فأرى في مراسم الاحتفال على اختلاف أنماطها ، تقليدية أو عصرية ، ما يؤنس وحشتنا في هذا الزمان الشقي البائس ، بأن شعوب أمتنا لم تنس أيامها التاريخية على تطاول الاماد وتنائى الابعاد .

فهل يكون موقفي هذا في الرضى بما كرهت من قبل ، أثرا لتواضع الطموح يحملني على القناعة بأقل القليل ؟

أو هو من التقدير لما في الاحتفال بالذكرى على أي وجه ، من تحدى الأمة لما يراد بها من نسيان أيامها التاريخية والانفصال عن تقويمها الهجرى القمرى الذى يؤرخ لكل ما مضى من تاريخها الاسلامى من ليلة القدر إلى مطلع العصر الحديث ؟

كلا الامرين غير مستبعد ..

القتال يوم بدر كان في مثل يومنا هذا السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ، الخامسة عشرة للمبعث ، وقد مضى العهد المكي كله ، استنفدت فيه قريش كل ما لديها من وسائل المقاومة للاسلام تكذيبا به وصدا عنه ، واضطهادا للمسلمين الأولين والالحاح عليهم بالفتنة والتعذيب وبالحصار المنهك لثلاث سنين بعد أن فشلت محاولات المفاوضة والمساومة .. اتقاء صدام مسلح في البلد الحرام ، منزل قريش ومثابة حج العرب ومركز مواسمها الدينية والتجارية

والمسلمون يزدادون على الاذى والاضطهاد والمقاطعة صبرا واحتمالا وثباتا على عقيدتهم ، وقد هاجر عشرات منهم الى الحبشة في سبيل دينهم الحق ، فلم تصبر عليهم قريش ، وساءها أن يجدوا مامنا في جوار نجاشي الحبشة وليسوا على دينه ، فطاردتهم في مهاجرهم ، وأوفدت الى النجاشي رجلين من دهاتها ، لحمله على أن يردهم الى قومهم فهم أدرى بهم . وخابت الوفادة ، فجن غيظ قريش واشتدت وطأتها على المسلمين في عام الحزن ، العاشر من الهجرة الذى ماتت فيه السيدة خديجة أم المؤمنين الاولى رضى الله عنها : زوج النبى عليه الصلاة والسلام ووزيره وربة بيته وأم عياله .

ومات بعدها شيخ الهاشميين « ابوطالب بن عبدالمطلب بن هاشم » عم المصطفى وكافله وصديقه ومانعه من قومه قريش .

ولم يكن ، صلى الله عليه وسلم حتى ذلك العام قد خرج بدعوته من أم القرى ، منزل الوحى ومهد المولد ، إلا أن يلقى وفود القبائل في الموسم فيدعوهم إلى الاسلام ، ففي مكة قبل سواها كان ينبغى أن تستقر الدعوة بحكم التاريخ الدينى العريق للبلد الحرام والبيت العتيق . لكن عشر سنين من الصراع المرير بين الاسلام والوثنية القرشية ، بلغت بالجولة المكية ذروة تعقدها وفرضت ان تاخذ الأحداث متجها أخر ..

وخرج صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه .. خرج وحده ، فلما انتهى الى الطائف اتجه الى ثلاثة اخوة ، هم يومئذ سادة ثقيف ، وكان أحدهم زوجا لقرشية من بنى جمح ، فردوه ردا قبيحا » فانصرف صلى الله عليه وسلم عنهم ، وقد يئس من خير ثقيف ، وأقصى ما طمع فيه منهم أن يستجيبوا لرجائه أن يكتموا أمرهم معه ، كيلا تزداد قريش جرأة عليه ، لكنهم أغروا به سفهاءهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس ، فالجؤوه الى بستان هناك لاخوين من بنى ثقيف ، ريثما ينصرف عنه الناس .

ورجع المصطفى الى مكة محزونا والموسم قد استهل ، فمضى على عادته يعرض الاسلام على وفود القبائل العربية ، وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه والصدعنه ، الا قليلا ممن امن به .

ومضت الجولة في أولها ، مدعاة إلى قنوط كسابقاتها . ومن حيث بدت الابواب كلها موصدة في وجه الدعوة ، ظهرت « يثرب » على الأفق شمالي الحجاز تجذب إليها الأحداث من دائرته المغلقة في أم القرى » .

ردته وفود القبائل ، وبلغ العقبة في آخر جولته تلك فلقي رهطا من حجاج يثرب ، عرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن ، فاجابوه وقالوا : إنا تركنا قومنا - الأوس والخزرج - ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى ما أجبناك اليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك . . .

ثم أخذوا طريقهم عائدين إلى يثرب دعاة الى الاسلام أنصارا لله ورسوله .

بعد سنتين اثنتين، كانت بيعة العقبة الكبرى إيذانا بتحول حاسم في حركة الدعوة الاسلامية . فتحت يثرب بالقرآن ، واستقبلت الهجرة التاريخية التي اختارها أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » ثاني الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، بداية للتقويم الاسلامي . .

ونزل المهاجرون على اخوانهم الانصار - الأوس والخزرج - رضي الله عنهم جميعا ، بيثرب التي استحدثت بالهجرة اسمها الاسلامي الجليل : « المدينة المنورة » ، وأغلقت دور المهاجرين بمكة المكرمة دار المبعث ومنزل الوحي ، وتركت مهجورة موحشة خلاء ..

لم تكن الهجرة الأولى الى الحبشة ضنا بحياة ذلك الرهط من المسلمين الاولين ، وانما كانت هجرة في سبيل العقيدة بذلا واحتمالا ، وسلاحا شهروه في وجه الوثنية الغاشمة ، لتدرك مدى مايطيق المؤمنون احتماله في سبيل ما آمنوا به .

و أما الهجرة التاريخية الى المدينة المنورة فلم تكن بذلا و احتمالا فحسب ، بل كانت كذلك تحركا الى موقع خطير على حافة الحرب ، بعد أن مضى العهد المكي كله لم يؤذن لهم فيه بقتال ، والمصطفى عليه الصلاة والسلام يدعو الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويواجه الوثنية القرشية العتيقة بكلمات من وحي الله ، كانت على المدى الطويل السلاح الذي شهره في وجهها ..

ولم تكن الهجرة من مكة هينة عليهم وفيها منزل الوحي والبيت العتيق ، ولا كان سهلا عليهم ان يفارقوا مهد مولدهم ومغنى صباهم بل ظلت مكة المكرمة ، كما كانت ، مهوى أفئدتهم وقبلة أمتهم ، فما فيهم من فارقها إلا وقلبه مثقل بالشجن ، وكانما كان المصطفى عليه الصلاة والسلام يعبر عن مواجعهم ومواجدهم ، حين وقف ساعة خروجه للهجرة ، يطل من علية في دار صاحبه الصديق أبي بكر ، فيستوعب ربوع مكة بنظرة حزينة ويقول مودعا :

« والله إنك لاحب أرض الله إلى الله ، وإنك لاحب أرض الله إلى ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ماخرجت .

في آيات الاذن لهم في القتال ، دفاعا عن حرية عقيدتهم وحرمات انسانيتهم ، وعن دور العبادة للمسلمين وأهل الكتاب ، وعد الله بيقين النصر لمن نصروه ، ليحملوا رسالة الايمان ومكارم الاخلاق ، قال عز وجل :

(الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور .)

صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات
التاريخ : ٢٢ / ٣ / ١٩٩٢

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ»

صدق الله العظيم

د. بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادىء الكلية للأخلاق

الايمان والبدريون فى موازين القوى ورسالة الأمة بعد النصر

فى حساب التاريخ أن المواجهة الأولى بين الاسلام والوثنية القرشية فى دار المبعث ، تختلف تماما عما كان يواجهه فى دار الهجرة من معركة بينه وبين أعدائه فى ميدان ذى جبهات ثلاث . يلقى فيه حشود قريش فى صدام مسلح ، وعصابات يهود فى مستعمراتهم الناشبة فى يثرب وما حولها شمالى الحجاز ، وجيوب المنافقين الذين حالفوا الاعداء من يهود .

وتتداخل هذه الجبهات زمانا ومكانا فيزداد الموقف صعوبة وحرجا وتعقيدا ، من حيث لايستطيع المؤمنون أن يتفرغوا للقتال فى إحدى الجبهات ثم ينتقلوا إلى الثانية فالثالثة ، فيكون الأمر أخف عبئا وأيسر مشقة .

ذلك ما كان فى حساب التاريخ ، حين بدا فى ظاهر الأمر أن الاسلام وجد فى دار هجرته ملاذا ومأمنا من كل خطر

فى أى الجبهات الثلاث يبدأ الصدام المسلح الذى لم يكن منه بد لتأمين الوجود الاسلامى وحماية حرية عقيدته ؟

ليس مع اليهود قطعا ، فما هو من طبيعتهم ولا فى إمكانهم ، وقد وادعهم النبى صلى الله عليه وسلم عقب مقدمه إلى المدينة ، فيكفيهم أن يقاتلوه بأسلحتهم المعروفة ، الكيد والفتنة والتواطؤ والجدل المعنت ، وهم آمنون على وجودهم فى ظل وثيقة الموادعة .

وليس مع المنافقين كذلك ، وقد تاخر ظهور جيوبهم الخطرة ريثما سرى فيها سم الشيطان بطيئا لم يكد يلحظ الا بعد أن ضرى واستشرى .

واخذت الجبهة القرشية البادرة الأولى للقتال على المكشوف ، يوم بدر .

لكنه تأخر الى مابعد منتصف السنة الثانية للهجرة ، ريثما تحدد مجاله مابين مكة والمدينة ، وتم التاهب والاحتشاد له .

ولم يات القتال يوم بدر فجاة ، بل سبقت به بوادر ونذر اذنت بحتمية الصدام المسلح بين الاسلام والمشركين من قريش التى خرجت جموعها من مكة مزهوة بعددها وعدتها للقضاء على المسلمين فى دار هجرتهم وهى ترى الامر هينا كانها خارجة لرحلة صيد .

ولم يؤخذ المسلمون على غرة ، فما كان خروج مثل هذا الجيش الزاحف من مكة فى طريقه الى المدينة ، بحيث يخفى ويكتم ، فجمع النبى صلى الله عليه وسلم ، صحابته من المهاجرين والانصار ، وعرض عليهم الموقف الصعب ثم قال يطلب مشورتهم : « أشيروا على أيها الناس » فقام ابوبكر الصديق ثم عمر بن الخطاب فتحدثا ما شاء لهما ايمانهما عن فريضة الجهاد واليقين من وعد النصر . ثم قام « المقداد بن عمرو الكندى حليف بنى زهرة » ـ وكان قد لحق بالمسلمين مهاجرا ـ فقال : « يارسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك . والله لانقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام : (اذهب انت وربك فقاتلا أنا ههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد ـ باقصى الجنوب ـ لجالدنا معك دونه حتى تبلغه . »

دعا له المصطفى بخير ، ثم التفت الى الانصار ـ ولم يكن أحد منهم قد تكلم بعد ـ وقال عليه الصلاة والسلام : « أشيروا على أيها الناس » .

سال نقيبهم « سعد بن معاذ » : والله لكانك تريدنا يارسول الله ؟ قال : « نعم » فقال سعد : « فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ماجئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر لخضناه معك ماتخلف منا رجل واحد ، وما نكره ان نلقى عدونا غدا ، إنا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء ، فسربنا على بركة الله . » .

وسار بهم المصطفى على بركة الله ، حتى نزل على ماء بدر ، ليسمع ان فى جيش المشركين بالعدوة القصوى صناديد قريش ، ثم لمح جموعهم تندفع من وراء كثيب هناك هادرة بزئير الوعيد ، ثملة بنشوة الخيلاء ومتعة الصيد . فرفع ، صلى الله عليه وسلم ، وجهه الى السماء وقال يدعو ربه :

« اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك . اللهم نصرك الذى وعدتنى ، اللهم أحنهم الغداة .. »

كان عدد المشركين الزاحفين من مكة ، الف مقاتل كاملى العدة والسلاح ، أو يزيدون . ومعهم كتيبة فرسان على مائة فرس ، بقيادة خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى .

وتجاههم بالعدوة الدنيا كان جند المصطفى ثلاثمائة واربعة عشر رجلا لايزيدون ، من المهاجرين ثلاثة وثمانون ، ومن الانصار الأوس والخزرج مائتان وواحد وثلاثون . ومعهم من الخيل ثلاثة افراس فحسب .

والتقى الجمعان على ماء بدر ، وحميت المعركة والتفت المصطفى القائد الى جنده وقال : « شدوا » .

وشدوا على عدوهم شدة صادقة ، فتركوهم بين قتيل واسير ، وهارب يلتمس النجاة بعار الفرار .

أحصى علماء السيرة النبوية قتلى قريش : سبعين رجلا ، وأسراهم ستة وستين ، والباقون من الجيش المغلوب لاذوا بالفرار .

واستشهد من البدريين اربعة عشر شهيدا : ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار ، بذلوا أنفسهم فداء عقيدتهم وحرماتهم **رضى الله عنهم ورضوا عنه .**

* * *

ولم يكن النصر عجيبا ولا شاذا فى منطق السنن الثابتة ، فالقتال يوم بدر لم يكن بين فئتين متكافئتين : من حيث العدد والسلاح كان المشركون يزيدون اضعافا مضاعفة ، ولكن المعركة لم تكن متكافئة كذلك من حيث القوى المعنوية والسجايا الخلقية : المشركون خرجوا للقتال بطرا ورئاء الناس وإمعانا فى البغى والعدوان وتامينا لطريق تجارتهم الى الشام ، وانتقاما من المصطفى والذين هاجروا معه ، ومن الذين أووا ونصروا ، لا يبالون غضب قريش .

والبدريون خرجوا الى الملحمة دفاعا عن حرية عقيدتهم وغضبا لما بشيموا من أذى وظلم واضطهاد وتعذيب وحصار . ومتى كان القتال بين حق وباطل ، فإن القلة المؤمنة تغلب الكثرة الكافرة ..

وتحددت ببدر موازين القوى فلم يكن القتال فيها بين كثرة وقلة فحسب ، بل بين كثرة يعوزها الايمان بوثنيتها الشائهة البلهاء : فليس فيها من يقاتل الا للسمعة والمغنم وحماية للجاه الموروث .

وبين قلة مؤمنة صابرة مستبسلة تدافع عن حقها فى حرية العقيدة ، وترى الموت فى سبيل دينها الحق ، حياة وشهادة وانتصارا .

فى صحيح الحديث عن ابى موسى الاشعرى ، رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ـ فقال : الرجل منا يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل فى سبيل الذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن فى سبيل الله ؟ فقال : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » متفق عليه .

وفى سبيل الله قاتل البدريون رضى الله عنهم ورضوا عنه ، لايبالى احدهم كيف مصرعه اذا قتل وهو على دين الاسلام ، كما قال

ولست ابالى حين أقتل مسلما
على أى اى جنب كان فى الله مصرعى

قال الله عز وجل : فى رسالة الأمة بعهد النصر :

(الذين إن مكناهم فى الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور)
صدق الله العظيم

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا»

صدق الله العظيم

د . بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية التربية جامعة القرويين

الاسلام والمبادىء الكلية للأخلاق

ضمير الانسان منطقة حرام

« هذا بلاغ للناس فى عصر حقوق الانسان »

يشتد القران الكريم والحديث الشريف فى تقرير مبدأ الحكم بالظاهر، صيانة لحرمة السرائر بحظر الحكم على الانسان بمضمر النيات وسرائر القلوب . فذلك مما لاينبغى لأحد غير الله عز وجل .

الاسلام بتاصيل هذا المبدأ شرعة ومنهاجا ، يجعل ضمير الانسان منطقة حراما لايحل انتهاكها . وقد اتجه فى ترسيخ هذا المبدأ الى رياضة المسلمين الاولين عصر المبعث ، على اتقاء الحكم بالظن و لأخذ بالشبهات . ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، يتلو عيهم ايات الله ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة .

ذلك لانهم كانوا فى صدر الاسلام وبعد ان شرع القتال جهادا فى سبيل الله ، ربما تولوا قول المشرك « لا إله الا الله » على أنه انما

قالها متعوذا أو خوفا من الموت . فنهاهم الله تعالى ورسوله عن ذلك ، تأصيلا للمبدأ المقرر : الله وحده ، هو الذى يعلم مضمرات النيات وسرائر القلوب ، وكان لهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل والقدوة : من قال من الكفار . لا إله الا الله . فقد عصم منه ماله ونفسه » وحسابه على الله » .

وقد سبق الحديث المتفق عليه عن « عمر رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (انما الأعمال بالنيات) تمامه فى الصحيحين واللفظ لمسلم . (ولكل امرىء مانوى . فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ماهاجر اليه) .

ويدخل معه فى الحكم على الهجرة بظاهر الاقران لا بالنية ، قضية نساء من قريش هاجرن الى المسلمين فى دار الهجرة بغير اذن أزواجهن ، وصلح هدنة (الحديبية) بين النبى صلى الله عليه وسلم وقريش قائم ، ومن شروطه « ان من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم » لم يستثن النساء .

ولم يكن من المستبعد ان يكون من المهاجرات من خرجت من قريش لغير فضيلة الهجرة ، وحسم القرآن القضية بآية (الممتحنة) : يمتحنهن المؤمنون فيم جئن ، ويكتفى منهن بظاهر قولهن دون تعرض للنيات . فالله أعلم بإيمانهن قال تعالى :

(يأيها الذين أمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن ، فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن) ، الآية .

●●●

من النوازل فى عصر المبعث حديث « اسامة بن زيد بن حارثة ، رضى الله عنهما ، خرج فى سرية الى رهط من المشركين فأدرك رجلا منهم أمعن فى جند السرية قتلا . فلما رفع « اسامة » السيف عليه ، قال « لا اله الا الله . فلم ينج بها .

فى رواية بالصحيح عن اسامة . قال : « فوقع فى نفسي من ذلك فذكرته للنبى صلى الله عليه وسلم فقال « أقال : لا إله الا الله وقتلته ؟ » قلت : يارسول الله ، انما قالها خوفا من القتل . قال « أفلا شققت عن قلبه لتعلم أقالها أم لا ؟ » فما زال صلى الله عليه وسلم يكررها حتى تمنيت انى اسلمت يومئذ »

وفى رواية ان البشير جاء النبى عليه الصلاة والسلام بخبر السرية ، فما زال يسأله حتى أخبره خبر الرجل الذى قتله اسامة ، فدعاه فسأله « لم قتلته ؟ » قال : « يارسول الله ، أوجع فى المسلمين وقتل فلانا وفلانا - وسمى له نفرا - وانى حملت عليه فلما رأى السيف قال : لا إله الا الله . قال صلى الله عليه وسلم : « وقتلته ؟ » قال : نعم . قال : « فكيف تصنع بلا إله الا الله اذا جاءت يوم القيامة ؟ » قال : يارسول الله ، استغفر لى . فجعل لايزيده على أن يقول : « فكيف تصنع بلا إله الا الله ؟ » . فيروى فى اسباب النزول أن الاية التالية نزلت فى هذه الواقعة ، توجب عليهم التثبت ، وتذكرهم بانهم كانوا كذلك من قبل يخفون ايمانهم عن قومهم ، حتى من الله عليهم باعزاز الدين » .

الآية اعلى المقال

الحكم فى الآية عام ، اعتبارا بعموم لفظها لا بخصوص السبب الذى نزلت فيه . قال علماؤنا : « وفى هذا من الفقه باب عظيم وهو أن الأحكام تناط بالظواهر ، لا على القطع واطلاع السرائر » .

●●●

واخرى من النوازل التي قضى الله تعالى ورسوله فيها بالنهى عن أخذ الناس بالظن والشبهة دون تبين وتثبت ، مع للتحذير من عواقبه لو لم يتداركه النبي عليه الصلاة والسلام . قال تعالى في النبأ يجيء به فاسق يزعم غير الحق :

(ياأيها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين . واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ، ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ، اولئك هم الراشدون) .

المرويات في اسباب النزول متقاربة . مجملها ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث « الوليد بن عقبة الاموي » الى بني المصطلق - أصهاره صلى الله عليه وسلم - بعد اسلامهم ، ليأتي بصدقاتهم في موعد متفق عليه . فلما دنا الوليد من ديار القوم . لمحهم مجتمعين لاستقبال رسول المصطفى عليه الصلاة والسلام اليهم فخاف الوليد وظن أنهم مقاتلوه ، ورجع دون أن يلقاهم وأنبأ النبي صلى الله عليه وسلم أنهم ارتدوا واجتمعوا لقتاله . فبعث اليهم « خالد بن الوليد المخزومي » وأمره أن يتثبت ولايعجل . فاتاهم ليلا وبث عيونه ليأتوه بخبرهم فسمعوا اذانهم وصلاتهم . فاقبل خالد عليهم في الصبح فرأى ما أعجبه ، فرجع رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم فشهد لهم بما رأى .

وأخرج الامام احمد في (مسنده) من حديث « الحارث بن ابي ضرار الخزاعي » سيد بني المصطلق ووالد السيدة جويرية أم المؤمنين رضي الله عنهما - أنه لما حل الموعد ولم يأت رسول المصطفى إليهم ، خشي الحارث أن يكون ذلك لسخطة من الله تعالى ورسوله عليهم . فجمع سروات قومه وخرج بهم الى المدينة المنورة حيث لقي النبي فقال له صلى الله عليه وسلم « منعت الزكاة وأردت قتل رسولي ؟ » فقال الحارث رضي الله عنه . لا والذى بعثك بالحق ، مارأيته ولا أتاني ، وما أقبلت الاحين احتبس علي ، خشيت أن يكون ذلك لسخطة على من الله ورسوله » . فنزلت الآية .

قالوا في تفسير « فاسق » ان الفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير ، وأكثر مايقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقر به ، ثم أخل باحكامه . وإذا قيل للكافر ، فاسق ، فلأنه أخل بحكم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة .

والشرط بحرف (إن) في : (إن جاءكم) يفيد الاستبعاد ، وإذ وقع من صحابي ، على ندرة ذلك وبعده ، فوصفه بفاسق مشهد على خطر الأمر فيه ، مما يوجب التبين والحذر من عواقبه : (ان يصيبوا قوما بجهالة) اى بغير علم فيصبحوا على مافعلوا نادمين .

الندم الحسرة على امر فات هيهات أن يسترجع أو يستدرك ، يود النادم لو لم يكن فرط منه ، ويتعذر عليه نسيانه أو استدراكه ، فكانه نديمه .

★★★

وقوله تعالى : (ان جاءكم فاسق بنبأ) أفاد عموم الحكم بوقوعه نكرة في سياق الشرط ، ولا خلاف - أعلمه - بين علماء الأحكام في ايجاب التثبت من خبر الفاسق والنهي عن قبول قوله والعمل به بعد تبين فسقه . وعمموا ذلك في رواة الحديث ونقلة الأخبار والشهود .

●●●

(ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) . صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٤ / ٣ / ١٩٩٢

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * »

صدق الله العظيم

د. بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادىء الكلية للأخلاق

من منهاج السلوك فى مدرسة النبوة

« هذا بلاغ للناس ، فى زمان اختلت فيه الموازين »

الأيتان أعلى المقال من (سورة الحجرات) من اواسط الوحى المدنى ، وهى من السور الجامعة لمبادىء المنهاج الاسلامى للسلوك . خالصة له من أولها الى أواخرها ، بدءا بالنهى عما لاينبغى من تجاوز أوامر الله تعالى ورسوله ، بتقديم ما حقه التاخير فى الشرع . قال تعالى :

(يا أيها الذين أمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسوله ، واتقوا الله ، ان الله سميع عليم) ـ الاية .

والمعتبر به عند علماء الأحكام ، عموم الاية فى النهى عن سبق الله تعالى ورسوله بقول أو فعل ، ويدخل فى عموم الحكم ماله مواقيت شرعية من العبادات و الطاعات . لأن كل عبادة منها لايجوز تقديمها على ميقاتها ، كالصلاة والصوم والحج . واختلفوا فى الزكاة اذ هى عبادة مالية لسد حاجة الفقير ، منهم من أجاز التقديم اليسير فيها عند الضرورة . وقال اخرون « لايجوز تقديمها على الحول ـ أى السنة ـ لحظة ، كما لايجوز تقديم الصلاة » .

بعدها هذه الاية – فيما ينبغي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من توقير ومهابة :
(يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون) الاية .

تعددت المرويات في أسباب النزول بتعدد الصحابة الذين خافوا ان تكون نزلت فيهم

منهم الصحابي الجليل ، قيس بن ثابت الأنصاري ، رضي الله عنه ، كان جهير الصوت لضعف في سمعه . فلما نزلت الآية انقطع في بيته وأغلق عليه بابه حتى تفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عما يحبسه ، فقال : أنا رجل شديد الصوت أخاف أن يكون حبط عملي . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « لست منهم . بل تعيش حميدا وتموت شهيدا » . **فيروى عن انس بن مالك – رضي الله عنه ، قال : « كنا نراه يعيش بيننا ، نراه من اهل الجنة »** .
ومات ثابت رضي الله عنه شهيدا باليمامة . في قتال « مسيلمة الكذاب » .

ومن المرويات في أسباب النزول . عن الامام علي كرم الله وجهه . قال « نزل قوله تعالى : (لاترفعوا اصواتكم) فينا لما ارتفعت اصواتنا – أنا وجعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة – نتنازع ابنة حمزة بن عبدالمطلب – شهيد أحد – رضي الله عنه . لما جاء بها زيد من مكة . فقضى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لجعفر لأن خالتها عنده » – وحديث هذا التنازع على حضانة « أمامة بنت حمزة » رضي الله عنهما ، اخرجه البخاري في صحيحه .

وفي رواية أن الآية نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، حين قدم وفد تميم لمبايعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة الوفود . وفي الوفد « الأقرع بن حابس التميمي » فقال أبوبكر : يارسول الله ، استعمله على قومه . فقال عمر : لاتستعمله يارسول الله . وتكلما في ذلك حتى ارتفعت اصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم ،

وقيل فيما قيل « كاد الخيران أن يهلكا ، رفعا اصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه وفد تميم .

ثم كان ان ابا بكر – فيما رووا عنه – اذا كلم النبي صلى الله عليه وسلم خفض صوته مما يكاد يسمع . وكان عمر يحرص على غض **صوته حتى يستفهمه النبي – ﷺ –**

وهذه المرويات على تعددها . مما يحتمله نص الآية في سياقها مع الآية بعدها :
(ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، لهم مغفرة وأجر عظيم) .

وفي جميع المرويات عن اسباب نزولها شواهد لمنهاج السلوك في مدرسة النبوة ، وحرمة مجلسه صلى الله عليه وسلم وما ينبغي له من توقير ومهابة : لايرفع احدهم صوته فوق صوت النبي عليه الصلاة والسلام . ولايجهروا له بالقول كما اعتادوا في الخطاب فيما بينهم :
(ان تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون) .

الحبط الاهدار . يقال : حبط دم القتيل ذهب هدرا . وحبط عمله بطل وأهدر ، وأحبطه غيره أبطله وأهدره . ولم تأت المادة في القرآن الكريم الا في حبط الأعمال واحباطها : بالكفر والردة ، والشرك ، والتكذيب بآيات الله ولقاء الآخرة . وانفردت آية الحجرات بأنها في الذين آمنوا . والحبط

فيها على جهة التحذير لا التقرير . ويستفاد من قوله تعالى (وأنتم لاتشعرون) انتفاء القصد والعمد . وهو المفهوم من المرويات فيمن نزلت فيهم الآية من الصحابة رضى الله عنهم : لم يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم عمدا . وليسوا مظنة الجرأة عليه في الجهر له بالقول ، إلا على نحو ما اعتادوا عليه في مجتمعهم من رفع الصوت وجهر بعضهم لبعض بالقول . فنهاهم الله تعالى عن ذلك وحذرهم من التورط فيما يحبط اعمالهم من حيث لايشعرون . ونظيره قوله تعالى في اية النور : (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) .

أى لاتخاطبوه كما يخاطب بعضكم بعضا ولاتدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا .

وغض المؤمنين أبصارهم عند رسول الله .. هو من التوقير والتهيبة والاجلال (اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) تمحيصا لها . وقيل : شرحها للتقوى . وقيل : تخليصها من الشهوات . وهى معان متقاربة في تمحيص القلوب لمحض التقوى .

والمعتبر في الآيتين عموم الحكم فيما ينبغى للنبى صلى الله عليه وسلم من توقير . وذهب علماء الاحكام الى ايجاب توقيره صلى الله عليه وسلم حيا وميتا ، فلا نرفع الصوت عند قبره الشريف ، ولاندعوه باسمه كدعاء بعضنا بعضا . رووا عن الامام مالك رضى الله عنه . أن الخليفة أباجعفر المنصور ناظره في المسجد النبوى فرفع صوته ، فقال له : ياأمير المؤمنين ، لاترفع صوتك في هذا المسجد ، فان الله تعالى أدب قوما فقال (لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) ومدح قوما فقال : (ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) وذم قوما فقال : (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون) وان حرمته ميتا كحرمته حيا .

قالوا : « فاستكان له أبوجعفر » .

ثم انهم كرهوا كذلك رفع الصوت في مجالس العلماء تشريفا لهم بما هم ورثة الانبياء . وقرروا ذلك في اداب مجالس العلم . قال الحافظ ابو عمرو بن الصلاح : « والقدوة في ذلك الامام مالك : كان اذا اراد أن يحدث توضا وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة وقال : أحب ان أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم » فان رفع احد صوته في مجلسه زجره وتلا اية الحجرات ثم قال : من رفع صوته عند حديث رسول الله صلى الله علية وسلم فكانما رفع صوته فوق صوت النبى صلى الله عليه وسلم .

وعم الحكم اداب المؤمنين فيما يجب عليهم من توقير الكبار ورعاية حرمتهم . لأن الآية وان كانت نزلت في تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم وايجاب الفرق بينه وبين سائر الامة ، فان فيها تدريبا لنا فيمن يلزمنا تعظيمه ، من والد وعالم وولى أمر قائم بأمر الدين وذى سن وصلاح ، ونحو ذلك ، اذ أن تعظيمه بهذا القدر من ترك الجهر بالقول عنده ورفع الصوت عليه مقرر شرعا بمقتضى ايات محكمات وأحاديث صحاح في بر الوالدين ورعاية حرمة الكبار سنا ومقاما .

(وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف ولاتنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) .

صدق الله العظيم .

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات
التاريخ : ٢٥ / ٣ / ١٩٩٢

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»

صدق الله العظيم

د . بنت الشاطىء
استاذ التفسير و الدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادىء الكلية للأخلاق

حسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه

حديث شريف

الاية الكريمة أعلى حديث اليوم ، من سورة الحجرات ، من أواسط الوحى المدنى . وهى من السور الجامعة لمبادىء كلية لمنهاج السلوك . وهذه الاية مسبوقة بايات بينات فيما ينبغى للنبى ـ عليه الصلاة و السلام ـ من توقير وإكبار ، وفى ايجاب التبين و التثبت اذا جاء فاسق بنبأ وفى احكام القتال بين طائفتين من المؤمنين وبغى احداهما على الاخرى .

والمرويات فى اسباب النزول لاية النهى عن السخرية متعددة منها أنها نزلت فى وفد سادات بنى تميم على النبى ـ عليه الصلاة و السلام ـ للبيعة . استهزأوا بالصحابة الموالى مثل عمار بن ياسر ، وبلال بن حمامة وصهيب سابق الروم ، وسلمان الفارسى سابق الفرس « رضى الله عنهم . لما رأوا من رثاثة حالهم ومظهرهم . وقيل ان الاية الكريمة نزلت فى « عكرمة بن ابى جهل المخزومى » رضى الله عنه ، قدم المدينة مهاجرا فعيره بعضهم بابيه . وفى رواية عن الحسن البصرى قال : كان اليهودى أو النصرانى يسلم فيقال له يايهودى يانصرانى ، فنهاهم الله تعالى عن ذلك ..

والعبرة على أى حال بعموم لفظ الاية ، لابخصوص السبب الذى نزلت فيه الاية ، وانما تعطينا المرويات فى (اسباب النزول) — وهى من علوم القران — الظروف والأحوال التى لابست نزول الاية أو السورة ، وتوجه الى مجال الاستئناس بها فيما قررت الاية ونظائرها من احكام الشريعة ومنهاج السلوك .

• • •

من ايات القران فى السخرية ، قوله تعالى فى الكفار من قوم نوح :

(ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون)

وقوله تعالى فى الذين كفروا :

(زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين امنوا) الاية .

وسياقها ، ونظائرها فى الذين كفروا والمنافقين ، شاهد على خطر سخرية اخ من أخيه ، واشعار بقبحه والزجر عنه كما يستفاد ذلك من دلالة السخرية ، لغة ، على قبح الاستهزاء ، ومنه : السخرة — بضم السين وفتح الخاء الذى هو موضع سخرية الناس ، والسخرة ، بسكون الخاء : الذى يكره على التسخير لحقارته وهوانه على من يسخرونه .

والقوم — فى اللغة — الجماعة المتجانسة لوحدة العرق والنسب والعصبية ، وهو اسم جمع لامفرد له من لفظه .

و أكثر مايطلق على الرجال والنساء ، على قاعدة التغليب ، نحو ، قوم نوح وقوم هود ، وقوم صالح ، وقوم يونس وقوم ابراهيم ، وقوم لوط وقوم موسى ، وقوم فرعون .. ، ومثل اطلاق : أهل ، وأمة ، وبشر وانسان .. على الجمع من الرجال والنساء ، وكذلك : الذين امنوا واصحاب الجنة ، والذين كفروا ، واصحاب النار ، وعامة مافى القران من ذلك ، الا ان يفرد النساء بالذكر ، واكثر مايكون ذلك فى مقام التكليف والاحكام ومنهاج السلوك ، تنبيها على أن الحكم يعمهن ، على الأصل المقرر : (كل نفس بما كسبت رهينة) فليست النساء فيه توابع لرجالهن .

• • •

وقوله تعالى : (ولاتلمزوا أنفسكم)

اللمز العيب والتجريح ، لمز غيره يلمزه فهو لامز ، واللماز صيغة مبالغة من لامز ، فاذا دأب على لمز الناس وتتبع عوراتهم فهو لمزة ، ومنه الاية : (ويل لكل همزة لمزة) .

ويفهم من تدبر الايات فى الهمز واللمز ، أن اللمز يكون مواجهة وتعريضا ، والهمز يكون تجريحا وعيبا من وراء المهموز نميمة وغيبة ، ولمزهم انفسهم ، قيل فى تفسيره : أن يعيبوا الناس فيعيبهم الناس ، لأن من تتبع عورات الناس تتبعوا عورته ، وفسر كذلك بما هو اولى واقرب الى السياق ان المؤمنين اخوة ، فمن عاب أخاه ولمزه فقد لمز نفسه .

ويؤنس الى هذا الفهم قوله تعالى : (ولاتقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما) وقوله عز وجل : (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم ، تحية من عند الله مباركة) الاية ، والحديث المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » — متفق عليه .

والتنابز بالألقاب التداعى بها ، ولايكون النهى عنه الا بما هو مكروه من الالقاب ، كتعيير مسلم بعاهة فيه خلقة ، أو بلقب وصم به بعض ابائه ولاذنب له فيه ، أو بما وصم به

التاريخ : ٢٥ / ٣ / ١٩٩٢

هو نفسه قبل توبته منه او قبل اسلامه (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) لان مثل هذا التنابز بالمكروه من الالقاب يحبط الايمان ، بالتورط في الفسوق بعد الايمان . (ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون) يظلمون أنفسهم بلمزهم أنفهسم ونبز بعضهم بعضا بالمكروه من الالقاب .

شرعت هذه اية من الاحكام . قواعد من المنهاج الاخلاقي في سلوك المؤمنين فيما بينهم . وفيه الحديث الجامع عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم . قال : « المسلم أخو المسلم . لايظلمه ولايحقره ولايسلمه . ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته . ومن فرج عن أخيه كربة فرج الله كربته يوم القيامة .. ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » .

وعن ابى هريرة - رضي الله عنه - قال صلى الله عليه وسلم : « كل المسلم على المسلم حرام : ماله وعرضه ودمه . حسب امرىء من الشر ان يحقر أخاه » يحقره بالسخرية منه . لكونه زرى الهيئة أو متضع الحال أو نحو ذلك . لايدرى الساخر لعل من يحقره أفضل منه عند الخالق عز وجل .

و أجمعوا على أن السخرية بمثل هذا أو بما هو من العاهات خلقة محظور . وتعرضوا لما يكون من ظاهر أمر المسلم من تفريط أو بخل أو نقص في المروءة ونحو ذلك فاحتجوا لمنعه بما أخرجه الامام مسلم في صحيحه من حديث ابى هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، قال :

« ان الله لاينظر الى صوركم و أموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم و أعمالكم » .فليس لأحد ان يقطع بالظاهر من حاله . فلعل من رأينا عليه تفريطا يعلم الله من قلبه مايقربه اليه عز وجل . فالأعمال أمارات ظنية لا ادلة قطعية .

ويترتب على ذلك عدم الغلو في في تعظيم من رأينا منه أعمالا صالحة . وعدم الاحتقار والازدراء لمسلم رأينا عليه أعمالا سيئة بل تحتقر تلك الحالة السيئة . لا الذات المسيئة .

وتشددوا في التنابز بالمكروه من الالقاب . وبخاصة ماكان منها تعبيرا باب أو أم أو لون أو لقب كان لمسلم قبل اسلامه . ولخاطىء قبل توبته .

على أنهم استثنوا من القاب الخلقة ما غلب على رجال لا يكادون يعرفون الا بها . مثل « الأعرج . عبدالرحمن بن هرمز » الفقيه شيخ الامام مالك . و « الزنجي . مسلم بن خالد » الفقيه المكى . من شيوخ الامام الشافعي . و« الأعور . الحارث بن عبدالله الهمداني » من كبار أصحاب الامام على كرم الله وجهه ... والحفاظ الأعلام « الاعمش سليمان بن مهران الكوفى » و« الأحول عاصم بن سليمان البصرى » و« الأحدب واصل بن حيان الأسدى » و« الاصم ابى العباس النيسابورى » .. فهذه الالقاب وأمثالها مما جوزه العلماء لشهرتها . وتداولوه في مصنفاتهم . وفي (كتاب الأدب لابى عبدالله البخارى (باب مايجوز من نحو قولهم : الطويل والقصير . لايراد به شين الرجل) .

قال المحققون من الأصوليين : « ان الذى نهى عنه الله تعالى في اية الحجرات . هو عيب من لايستحق ان يعاب على وجه الاحتقار له والغض منه . لأن ذلك هو معنى السخرية . و أخبر تعالى ان الساخر وان كان ارفع حالا في الدنيا . فعسى ان يكون المسخور منه خيرا عند الله تعالى » .

وكفارة هذا الفسوق . التوبة منه توبة نصوحا :

(ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون)

صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم

قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٦ / ٣ / ١٩٩٢

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ»

صدق الله العظيم

د. بنت الشاطىء

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادىء الكلية للأخلاق

هذا بلاغ للناس فى زمان راجت فيه تجارة المخدرات والأطعمة الفاسدة والصناعات القذرة وأسرار التصنت

أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه

مازلت مع (سورة الحجرات) احدى السور الجامعة لاحكام الشرع فى منهاج سلوكنا وهذه الاية موضوع حديث اليوم . تالية للاية قبلها . موضوع حديث الامس

(يا أيها الذين امنوا لايسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن . ولاتلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان . ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون)

والمشهور من المرويات فى سبب النزول لاية الامر باجتناب كثير من الظن . أنها نزلت فى رجلين من الصحابة رضى الله عنهم . وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سافر ضم المحتاج من أصحابه الى اثنين من الموسع عليهم فى الرزق . يخدمهما وينفقان عليه . فحدث ذات مرة ان ضم « سلمان الفارسى » الى رجلين موسرين فغلبه النوم ولم يهيىء لهما طعاما . فامراد ان ينطلق فيأتيهما بطعام و ادام من عند رسول الله . فامرد عليه الصلاة و السلام أن يذهب الى « اسامة بن زيد بن حارثة -

وكان الخازن للمؤنة - فيطلب اليه ان يعطيه طعاما ان كان لديه فضل منه . فذهب سلمان الى أسامة . رضى الله عنهما . فاعتذر اليه وقال ماعندى شيء . ولما عاد سلمان إلى صاحبيه بغير طعام ظنا باسامه البخل . وانطلقا يتحسسان هل عنده من الطعام شيء فراهما النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهما « مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما ؟ قالا : يا نبى الله . والله ما أكلنا فى يومنا هذا لحما ولا غيره . فقال عليه الصلاة والسلام « ولكنكما ظللتما تاكلان لحم سلمان واسامة » . ونزلت الاية .

والعبرة بعموم لفظ الاية . لاتخص من نزلت فيهما . دون عامة من يظنون باخوانهم المؤمنين ظن السوء . ويتجسسون عليهم ويغتابونهم .

الظن ما ليس بيقين . منه ما يكون واجبا للتيقن من أمر له آمارات قوية على صدقه .

ومن الظن مايكون توقعا لما يستقبل المرء من امره . لا حرج فيه اذا اقترن بصدق النية على تحرى الحق باقامة حدود الله . قال تعالى فى احكام النكاح بعد طلاق بات بائناً : فان طلقها فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره . فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله) الاية .

الظن الذى لاينبغى للمؤمنين . هو ما يعرض لبعضهم فيما يبتليهم الله به من عصيب المحن كما فى اية الاحزاب

(اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا) ..

ومما يأثم به المؤمنون ان يخوضوا فى اى شيء بغير علم رجما بالظن (وان الظن لايغنى من الحق شيئا) ومن هذا القبيل سوء ظن المؤمنين باخوة لهم بأن يلقوا سمعهم إلى مفتريات لا علم لهم بها وذلك افك مبين ..

والظن فى اية الحجرات التهمة بالباطل . نهى عنه الله تعالى لئلا يجترىء احد على ظن دون بينة ..

(ولاتجسسوا ولايغتب بعضكم بعضا) معه الحديث المتفق عليه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال

« اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث . ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولاتنافسوا ولاتناجشوا . وكونوا عباد الله اخواناً .. » .

قال شراح الحديث فى التجسس . بالجيم . البحث عن مستور العورات . ومنه الجاسوس . والتحسس بالحاء تلمس الأخبار بالحواس . السمع والبصر واللمس والشم والذوق . والتناجش ان يزيد فى ثمن السلعة وهو لايريد شراءها . بل ليوقع غيره فيها ..

والمراد النهى عن تتبع عورات المسلمين . والاستكشاف لما ستروه . كما بينه الحديث الذى اخرجه ابو داود والترمذى والامام أحمد وغيرهم . عن عدد من الصحابة رضى الله عنهم . ان النبى صلى الله عليه وسلم « خطبهم فرفع صوته حتى أسمع العوانق فى خدورهن . قال يا معشر من امن بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه . لاتغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فان من يتبع عورات - وفى رواية عورة - اخيه يتبع الله عورته . ومن يتبع الله عورته يفضحه فى جوف بيته » .

والغيبة ذكر الناس بسوء فى غيبتهم يقال غابه واغتابه غيبة واغتياباً ، والمنهى عنه فى الآية

ان يغتاب الذين امنوا بعضهم بعضا بذكر عيوبهم في غيبتهم . واما عيبهم بما ليس فيهم فذلك هو البهتان

في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " أتدرون ما الغيبة " . قالوا الله ورسوله اعلم . قال " ذكرك اخاك بما يكره " قيل افرأيت يا رسول الله ان كان في اخي ما أقول " قال " ان لم يكن فيه - ماتقول - فقد بهته " .

ويروى عن الحسن البصري . من سادات التابعين أنه قال الغيبة ثلاثة اوجه . كلها في كتاب الله تعالى الغيبة . والافك . والبهتان . فاما الغيبة فان تقول في اخيك ماهو فيه . واما الافك فان تقول فيه ما بلغك عنه . واما البهتان فان تقول ماليس فيه " .

من الوجه الأول في القران الكريم . اية الحجرات ، ومن الوجه الثاني آية النور في الافك : (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين)

ومن الوجه الثالث قوله تعالى في اية الاحزاب

(والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا)

●●●

وقوله تعالى

(ايحب احدكم ان ياكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) من مالوف العربية التعبير مجازا عن الغيبة باكل اللحم . وقد عابه العرب على من ياكل لحم اهله وان جاروا عليه . وعف عنه ذوو المروءة والحمية منهم . قال المقنع الكندي . من شعراء الدولة الاموية

فان اكلوا لحمي وفرت لحومهم
وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

فاما ان ياكل اخ (لحم اخيه ميتا) فذلك غاية ما يبلغه البيان المعجز في التنفير والتقبيح وعقب عليه تعالى بقوله (فكرهتموه) تقريرا لنفور الذين أمنوا منه .

من الاحكام في الاية ذكر علماؤنا ان الذي يميز الظنون الواجب اجتنابها شرعا . عما سواها ، ان كل ظن سيىء لم تعرف له امارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب اذا كان المظنون به مستورا ظاهر الصلاح

ونهى الذين امنوا عن ان يتجسس بعضهم على بعض . فلا يدخل في الحكم التجسس على عدو او خائن كما لا مجال للنهي عن التجسس على فاجر معلن بفجوره . ولاغيبة لفاجر ، كما في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال " اذكروا الفاجر بما فيه يحذره الناس "

ويدخل في المستثنى من الحظر . الغيبة وذكر العيب في التظلم والعلم والشهادة . والاستفتاء والنصيحة .

وجمهور العلماء على ان كفارة التائب من ظلم اخيه . ان يستغفر له ويتحلله منه واحتجوا بالحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال . من كانت له مظلمة لاخيه فليتحلله منها قبل ان ياتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم . ان كان له عمل صالح اخذ منه بمقدار مظلمة اخيه . وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات اخيه فحمل عليه " .

من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه . بلفظ الامام البخاري " اللهم من اذيته فاجعله له زكاة ورحمة " .

وبلفظ الامام مسلم " اللهم فايما مؤمن سببته فاجعل ذلك قربة له واليك يوم القيامة " وقال تعالى

" قد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر . وذكر الله كثيرا .)

صدق الله العظيم

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ * »

صدق الله العظيم

د. بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

القرآن والمبادىء الكلية للأخلاق

وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم

حديث الامس كان لاية الحجرات في الامر باجتناب التهمة الباطلة رجما بالظن ونهي الذين امنوا عن التجسس وان يغتاب بعضهم بعضا ((ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا ، فكرهتموه) وفي تفسير الغيبة ، ماروى عن « الحسن البصرى » من أن « الغيبة على ثلاثة أوجه كلها في كتاب الله تعالى : وان يغتاب بعضهم بعضا ((ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا ، فكرهتموه) وفي تفسير الغيبة ، ماروى عن « الحسن البصرى » من أن « الغيبة على ثلاثة أوجه كلها في كتاب الله تعالى : الغيبة والافك والبهتان : فاما الغيبة فهي أن تقول في غيبة أخيك ماهو فيه ، وأما الافك فان تقول مابلغك عنه ، وأما البهتان فأن تقول ماليس فيه . »

* *

ذكرتني اية الحجرات بما صنع الله لنا نحن بنات حواء ، اذ برأنا من تهمة تطاردنا من زمان أمنا المتهمة بانها بدأت حياتها بالغي والاغواء وكانت ذريعة ابليس لاغواء أبينا آدم حتى أخرجته من الجنة :

وكتاب الله فينا ، نتلو منه أو يتلى علينا صباح مساء قوله تعالى :
(ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ، واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس أبى . فقلنا يا ادم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . إن لك الا تجوع فيها ولاتعرى . وانك لاتظما فيها ولاتضحى فوسوس إليه الشيطان قال : ياآدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لايبلى . فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى . قال اهبطا منها جميعا ..) الآيات .

العهد كان لادم فنسى ، والوسوسة كانت من ابليس الى آدم (قال يادم هل أدلك على شجرة الخلد) ولم يقل : ياحواء قولى لادم (وعصى ادم ربه فغوى) ولم تغوه حواء ، وأكلت معه من الشجرة المحرمة فحمل كل منهما تبعته ، لايعفى منها بنو آدم لتحملها كلها بنات حواء .

● ● ●

واخرى مما صنع الله تعالى لنا ، له الحمد والمنة .. أن حمى شرفنا نحن المؤمنات الغافلات .. من فرية الافك وزور البهتان ، يخوض فيها أهلنا المسلمون بغير علم ، ويتسلون بتناقل آخر الاسرار عن فلانة وفلان ، بايسر مما يتشاغلون به من جنون أسعار الطماطم والأحذية والشعر المزيف المستعار . غافلين عن ان اخرين امثالهم يخوضون فى فرية الافك فى نساء من اهلهم ، لاتعدو إحداهن ان تكون زوجة لرجل أو ابنته او أخته . يحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ، لما فيه من تلويث سمعة النساء وشرف الامة ، وفساد المجتمع وانحلال خلاياه والتجاحد فى الانساب ..

فكان من لطف الله تعالى بنا ورحمته أن شرع حد الافك على من يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء ـ شهود رؤية ومعاينة ـ وشرع حكم اللعان فيمن يرمون أزواجهم وليس لهم شهداء الا أنفسهم . قال تعالى بعد ذكر حد الافك .

(والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا انفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين . والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين . ويدرأ عنها العذاب أن تشهد اربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين . والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين) .

وقضى رسول الله عليه الصلاة والسلام بالتفريق بين المتلاعنين فلا تحل له ابدا ، فان كانت حاملا لاتدعى الولد لأنه ولم يدع لأبيه ، كما قضى صلى الله عليه وسلم بان من رماها او رمى ولدها فعليه الحد .

★ ★

بعد اية اللعان ، جاءت الآيات البينات فى شدة غضب الله تعالى على عصبة جاءوا بالافك زوراً وبهتانا فى ام المؤمنين السيدة عائشة بنت أبى بكر رضى الله عنهما . والذين خاضوا فيه لغواً وافكا يحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ، حتى حسمها الله بايات النور فى براءة ام المؤمنين السيدة عائشة بنت الصديق ابى بكر ، رضى الله عنهما .. من فرية الافك وزور البهتان ، وغيرته تعالى عليها وعلى المصطفى عليه الصلاة والسلام . بعد أن هز الافك المجتمع الاسلامى بالمدينة ، نحو شهر طويل كانه دهر .

حديث النازلة بتفصيل فى السيرة النبوية والصحيحين من حديث الامام الزهرى عن السيدة عائشة رضى الله عنها . ولايتسع

المجال لايراده ههنا وقد يشفع لنا عن هذا القصور ان آيات النور لم تصرح باسم السيدة عائشة ليعم النص كل من يفترون على المحصنات زورا وبهتانا ، وكل من يخوضون فى مفترياتهم افكا وجهالة . وفى الايات البينات غنى عن مزيد بيان .

قال تعالى :

(إن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم ، لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم ، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم . لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين . لولا جاءوا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون . ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والاخرة لمسكم فى ما افضتم فيه عذاب عظيم . اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم . ولولا اذ سمعتموه قلتم مايكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم . يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان **كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين امنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة ، والله يعلم وانتم لاتعلمون)**

إلى قوله عز وجل :

(ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والإخرة ولهم عذاب عظيم . يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون . يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ، ويعلمون ان الله هو الحق المبين) الايات .

ووقع الحد على من وقعوا فى الافك

● ● ●

فى حديث الزهرى عن السيدة عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها : ان ايات الوحى ببراءتها نزلت فى بيت أبيها على المصطفى فسرى عنه صلى الله عليه وسلم . وكان اول ماتكلم به ان قال . . « ابشرى ياعائشة إن الله عز وجل فقد برأك »

فتقول عائشة : قالت لى امى : قومى اليه فقلت والله لا اقوم ولا احمد الا الله عز وجل هو الذى انزل براءتى »

● ● ●

كان الذى تولى كبر هذا الافك « عبد الله بن ابى ابن سلول الخزرجى » كبير منافقى المدينة ، وروج له مواليه من يهود . واراد الله تعالى لنا خيرا فيما حسبوه شرا للمؤمنين : صنع لنا . له الحمد والمنة . ان مضى حكمه بلعنة كل من يرمون الغافلات المؤمنات افكا وبهتانا . وكان من غيرته على المؤمنات ورحمته ولطفه بالامة ، ان احاط سمعتنا وشرفنا بسياج من حدود الله

ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)

صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٨ / ٣ / ١٩٩٢

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستئذنوك
للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن
تقتلون معى عدوا إنكم رضيتم بالقعود
أول مرة فاقعدوا مع الخالفين * ولا تصل
على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على
قبره إنهم كفروا بالله ورسوله
وماتوا وهم فاسقون * »

صدق الله العظيم

د . بنت الشاطىء
استاذ التفسير و الدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادىء الكلية للأخلاق

قضية النفاق وحكم الاسلام فيه بين الظاهر من أعراضه ، والمضمر فى السرائر (١)

فى حديث الافك بالصحيحين ومسند الامام احمد و السيرة النبوية . ان الذى تولى كبره من منافقى المدينة ، كبيرهم « عبدالله بن أبى ابن سلول الخزرجى » وقضيته تحتاج الى أمعان النظر فيما يشوبها من لبس يصعب معه فهم موقف الاسلام من المنافقين ، وهم يكتمون نفاقهم ويسرون مالا يعلنون

فكيف لنا ان نحكم عليهم بما يكتمون من نفاقهم مع المقرر فى اصول الشريعة من حظر الحكم على السرائر وضمير الانسان منطقة حرام لايحل لأحد أن ينتهكها بالحكم عليه بما يضمر ؟ انما لنا « الحكم بالظاهر » والله يتولى السرائر » كما صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكما كان موقفه من « اسامة بن زيد » رضى الله عنه ، اذ أدرك مشركا أمعن فى جند الاسلام قتلا ، فلما رفع أسامة عليه السيف قال : « أشهد ان لا إله الا الله » فظن اسامة أنه ماقالها الا لتعصمه من القتل ، وقال النبى عليه الصلاة و السلام : « هلا شققت عن قلبه لتعلم هل قالها أو لا ؟ »

وقع خطا غير مقصود فى كلمة من الآية الكريمة المنشورة يوم السبت ٢٨ مارس الجارى بأعلى مقال قضية النفاق وصحتها (ولن تقاتلوا معى عدوا) التوبة ٨٣ مما وجب استدراكه والتنبيه عليه .

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات
التاريخ : ٢٨ / ٣ / ١٩٩٢

ثم ، ألم يكن في ظاهر امرهم وسلوكهم ما يسوغ اخراجهم من الملة ويبرر الحكم عليهم بالردة ؟

ومن حيث تبدو القضية متشابكة معقدة ، رجوت الله عز وجل ان يعينني على خدمتها في هذه الليالي من (الجمعة اليتيمة) استشرافا للآفاق الرحبة لمنهاج السلوك في الاسلام .

والنبي على الصلاة والسلام قد دل على المنافقين بوجه عام في الحديث المتفق عليه « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا أؤتمن خان » زاد في رواية خصلة رابعة في المنافق الخالص : « واذا خاصم فجر »

فاما « عبدالله بن أبي ابن سلول » فلم يكن امره ليخفى على احد من المهاجرين والانصار ولاحاول هو ان يكتم حقده على النبي صلى الله عليه وسلم من يوم مقدمه الى دار هجرته . وكان اشقى المؤمنين به ولده الصحابي الجليل « عبدالله بن عبدالله بن ابي ابن سلول » الذى شهد بدرا والمشاهد كلها مع النبي عليه الصلاة والسلام ، وكان من الذين كتبوا له . واستشهد رضى الله عنه باليمامة ، في حروب الردة ، وقد لبث ما عاش يعاني من عقدة موقفه الصعب بين صدق ايمانه ، وصدق بره بأبيه .

من مستهل الهجرة لم يكتم « ابن سلول » حقده على المصطفى عليه الصلاة والسلام ، أن بايعه الانصار جميعا وصارت يثرب (مدينته المنورة) وكان ابن سلول على وشك ان يتوج على أهلها العرب ، الاوس والخزرج ، ولم يبق الا ان ينظم له تاجه ، صاغة يثرب اليهود ..

ورفق به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتمادى في غيه معتزا بجاهه وشرفه في قومه وبالحلف بينه وبين بطون اليهود شمالى الحجاز ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد وادع اليهود اول الهجرة ، وأعطاهم الأمان على أموالهم وانفسهم وعبادتهم ومواليهم ، واشترط عليهم أن لا يظاهروا عليه عدوا وان يكونوا معه على كل من دهم يثرب ، فلما كان يوم بدر غاظ اليهود انتصار المسلمين فجرؤ حي منهم في صميم المدينة على نقض العهد والاستهزاء بالمسلمين ، فحاصرهم المصطفى حتى أمكنه الله منهم ونزلوا على حكمه ، فمازال عبدالله بن أبي يقول للمصطفى عليه السلام احسن الى في موالي حتي ضاق به وقال : هم لك ..

ثم لما كان زحف جموع المشركين من مكة الى المدينة ليوم احد ، واستشار النبي عليه الصلاة والسلام اصحابه في الموقف كان من رأى ابن ابى ان يبقوا في المدينة قائلا : أقم بالمدينة يارسول الله لاتخرج اليهم ، فو الله ما خرجنا منها الى عدو لنا قط الا أصاب منا ، ولا دخلها علينا الا أصبنا منه .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يؤثر ذلك ، لكنه استجاب للرأى الاخر ، فبلغ من حنق ابن ابى ان انخذل بمن معه عن النبي

وكذلك كان موقفهم يوم الاحزاب ، تخاذلا وتخذيلا والله من ورائهم محيط

وفي شهر شعبان سنة ست من الهجرة بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان بني المصطلق يجمعون له فخرج اليهم واقتتلوا فكان النصر للمسلمين ، وحدث ان تنازع رجل من الانصار واخر من المهاجرين على ماء هناك فصاح كل منهما يستغيث بقومه . فغضب « ابن ابى » وعنده رهط من قومه . وقال او قد فعلوها ؟ اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الأذل ، وبلغت قالته رسول الله صلى الله عليه وسلم

وجاء ابن ابي فحلف بالله ما قال ذلك ولاتكلم به .. وتشاغلوا عما كان ليلتين ، ونزل الوحي بقوله تعالى

(يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون) :

في (السيرة النبوية) ان « عبدالله بن عبدالله بن ابي » لما سمع بما كان من أمر ابيه ، قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، انه بلغني انك تريد قتل عبدالله بن ابي فيما بلغك عنه ، فان كنت لابد فاعلا فمرني به فانا احمل اليك رأسه . فو الله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل ابر بوالده مني ، واني اخشى ان تامر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي انظر الى قاتل عبدالله بن ابي يمشي في الناس فاقتله ، فاقتل مؤمنا بكافر .. قال عليه الصلاة والسلام : « بل تترفق به وتحسن صحبته ما بقي معنا » .

بعدها كان حديث الافك الذي خاض فيه المنافقون ووضعوا ، وكان الذى تولى كبره منهم كبيرهم « عبدالله بن ابي سلول » وحسم القرآن فرية الافك بآيات (النور) البينات ، وشرع حد الافك فوقع على من خاضوا فيه ، ولم يحكم على احد منهم بالخروج من الملة وانما الحكم على ما اجترح من اثم الافك المبين والبهتان العظيم

هكذا على مدى السنين الطوال ، الى مابعد فتح مكة في العشر الاواخر من شهر رمضان المعظم سنة ثمان من الهجرة توالت النذر بخطر النفاق ، لقي فيها المؤمنون من كيد المنافقين مالقوا ، والأمر فيهم على ما مضى من امر النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عبد الله بن ابي ابن سلول ، وقد ساله ان كان لابيه ان يقتل فليكن هو قاتله . فقال عليه الصلاة والسلام : « بل تترفق به وتحسن معاملته مابقي معنا »

وبقوا معهم ، منبثين في مجتمع المدينة مخالطين لأهله محسوبين عليهم ، حتى كانت (غزوة تبوك) هي التي ادنت بحسم الداء ..

امر صلى الله عليه وسلم اصحابه بالتجهز للخروج معه ، وذلك في صيف حار ، وبدأ المنافقون ينتحلون اعذارا للتخلف ، فيأذن لهم المصطفى بظاهر اعذارهم ويستغفر لهم . وتركهم ينبثون في احياء المدينة مخذلين مرجفين برسول الله والذين معه وتظهر كبيرهم بالتاهب للخروج ، وجمع اليه حشدا ممن معه وعسكر بهم على حدة وانتظر حتى تمت التعبئة للجهاد وخرج النبي بجنده . وتحرك ابن سلول فانحاز بعسكره من أسفل المدينة ،

وصبر عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يملله ان ينفيه من المسلمين . وبلغ من امره معه ان مرض ابن سلول بعد اوبة المجاهدين من تبوك سالمين ، وفي (الصحيحين) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، انه لما مات جاء ابنه عبدالله فسأل النبي صلى الله عليه وسلم ان يعطيه قميصه ليكفن اباه فيه ، فاستجاب له المصطفى وقام معه فجهزه وصلى عليه وشيعه الى قبره ، فاستكبر ذلك عمر رضي الله عنه وقال : تصلي على منافق ؟

ثم كان الله تعالى هو الذى قضى بنفيهم من الاسلام احياء وامواتا ، فقال في (سورة التوبة ، الفاضحة للمنافقين ، خطابا للنبي

(فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع القاعدين . ولاتصل على احد منهم مات ابدا ولاتقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٩ / ٣ / ١٩٩٢

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ *»

صدق الله العظيم

د . بنت الشاطىء
أستاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادىء الكلية للأخلاق

قضية النفاق بين ظاهر أعراضه والمضمر من السرائر (٢)

وثيقة الاتهام من الوحى ، وقضاء الهى بالحكم

غير مجهول مالقى المسلمون من كيد المنافقين طوال العهد المدنى من عصر المبعث ، وقد صبر عليهم النبى صلى الله عليه وسلم مابقوا فى المسلمين وان كانت أفعالهم من منكر الاثام . وقد مضى الحديث ، أمس ، عما سجله تاريخ الاسلام منها فى دار هجرته ، وشهد عليهم بها القرآن الكريم والحديث الشريف . ولبثت قضيتهم مع ذلك معلقة حتى السنة التاسعة للهجرة حيث حسمها الوحى فى (سورة التوبة ، الفاضحة) لما مردوا عليه من نفاق تمكن من قلوبهم فما يرجى له شفاء . فقضى الله بتطهير المجتمع الاسلامى من وبائهم بان نفاهم عن الاسلام أحياء وأمواتا .

مايبدو للنظر القريب من موضع اشكال في القضية هو أن سورة التوبة ، الفاضحة الدامغة ، هي من اواخر الوحي ، لم ينزل بعدها سوى (سورة النصر) ، وليس فيها أي ذكر للمنافقين الذين تجردت لهم (سورة التوبة) . والمسلمون قد كانوا على علم بحزب المنافقين وماثمهم من مستهل الهجرة حتى السنة التاسعة التي نزلت فيها سورة التوبة ، فإن كان الحكم عليهم لم يحسم إلا بهذه السورة الفاضحة فماذا عما نتلوا في القرآن من آيات سابقة كلها على نزول سورة التوبة ، تحكم عليهم بانهم كاذبون فيما ينطقون به ، تقية ، من شهادة الاسلام ، وتقضي في أمرهم بالخداع والكفر والتربص والريبة ، وتتوعدهم بالمصير الى (الدرك الاسفل من النار) والعياذ بالله .

وليس سوى القرآن الكريم مايجلو هذا اللبس ويزيح الاشكال بالحجة القاطعة والبيان الاعلى .

جاء النفاق بصريح لفظه في سبعة وثلاثين موضعا اتسع المجال الزمني لنزولها من السور الثلاث الأولى من الوحي المدني ، حتى (سورة التوبة) قبل السورة الاخيرة من الوحي ، وهي سورة النصر .

وسياقها صريح فيما لابس نزولها من احداث جسام ونوازل صعبة ، كان للمنافقين فيها ظهور فاجر مما أنبا به القرآن الكريم ، وشهده الصحابة على امتداد العهد المدني .

وشهد الاستقراء للآيات فيهم ، مع تدبر سياقها ان الحكم فيها جميعا على المنافقين إنما كان الله وحده ، وان الاخبار عن خبث سرائرهم وأسرار نجواهم ، من الله وحده ، يطرد ذلك حيثما جاء ذكرهم في القرآن الكريم ولاينعكس ، فليس فيها على الاطلاق مايفيد الحكم على سرائرهم لغير الخالق عز وجل :

أقول هذا وقد أمضيت عمرا في خدمة موضوع (السيرة النبوية من القرآن الكريم) بما يبيح لي ان اقول إن كل الاحداث **والنوازل في جبهة المنافقين بدار الهجرة ، قد فصلها الذكر الحكيم وإليه ارجع فيما يبين من ملابسات القضية إذ توالت الآيات فيها طوال العهد المدني وبقيت معلقة حتى اواخره .**

فعلى ذلك المدى الطويل ، لم ينزل الوحي بالبت في أمرهم ، بل مرت القضية بمراحل سابقة على البت فيها :

أولاها ، تنبيه المؤمنين لياخذوا حذرهم من المنافقين ، وتحذير المنافقين انفسهم بان الله تعالى يعلم مايسرون وما يعلنون عسى أن يرجعوا عن غيهم .

ومع شدة النذير لم ينقطع الرجاء في أن يتوبوا إلى الله فيتوب عليهم ، وصرحت آياته بقصد التمحيص والابتلاء بالموقف الحرج كقوله تعالى فيمن تخاذلوا (يوم أحد) العصيب وفيهم كما قال تعالى : (وطائفة قد اهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء ، قل إن الامر كله لله ، يخفون في أنفسهم مالايبدون لك ، يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا ، قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله مافي صدوركم وليمحص مافي قلوبكم والله عليم بذات الصدور) ــ آل عمران .

وربما اقترن التحذير بما يوشك أن يكون توجيها إلى التوقف عن الحكم عليهم بظاهر كيدهم وما كشف الله من خبث نواياهم ، يشاهد من الآيات البينات من الوحي المدني المبكر

(وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا . فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم

التاريخ : ٢٩ / ٣ / ١٩٩٢م

ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا . أولئك الذين يعلم الله ماف قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا . وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ، ولو أنهم إذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما (النساء) .

ولم يؤمر المؤمنون فى هذه المرحلة المبكرة بمقاطعة المنافقين وعدم غشيانهم فى مجالسهم التى قلما تخلو من كفر بايات الله واستهزاء بها ، بل النهى عن أن يقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وإلا كانوا مثلهم . قال تعالى فى منافقى المدينة ومن والوهم من الكفار :

(بشر المنافقين بان لهم عذابا أليما . الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا . وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، إنكم إذا مثلهم ، إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا) ـ النساء

واشتد الوعيد فيها مع تفاحش الداء والعدوى بالتواطؤ مع الأعداء من كفار يهود يثرب قال تعالى : (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها الا قليلا) . ـ الاحزاب .

ومع ذلك التفاحش فى الوباء ، تصاعد الوعيد والنذير فى مرحلة تالية أواسط العهد المدنى ، إلى النذير الصادع بيقين العذاب فى الاخرة ، ونزلت (المنافقون) فاذنت بوشك الحسم لهذه القضية التى طال بها العنت والعناء . ثم نزلت اية (التحريم) بداية لمرحلة الحسم ، بقوله عزوجل :

(يايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبئس المصير .)

وبعدها ، نزلت قبيل ختام الوحى براءة من الله ورسوله (من المشركين)وقضاء حاسم على المنافقين بعد أن طال امهال هؤلاء وهؤلاء ، فاهتدى منهم من اهتدوا وبقى طواغيتهم على الغى والضلال .

نزلت فى السنة التاسعة من الهجرة ، بعد غزوة تبوك وكان ، أبو بكر الصديق ، رضى الله عنه قد خرج إلى مكة ليحج بالمسلمين لومايزال الموسم خليطاً بينهم وبين المشركين ، يحجون على طقوس عبادتهم . فبعث المصطفى على أثره ، على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، ليتلو (براءة) أذانا من الله فى يوم الحج الاكبر بالقضاء نهائيا على الشرك . والبت فى قضية النفاق .

وقدمت (السورة الفاضحة) بيانا مفصلا من الوحى بما كان منهم فى (غزوة تبوك) لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . مع الحكم عليهم بامر الله ، بنفيهم عن المسلمين أحياء وأمواتا . قال عزوجل :

(ولاتصل على أحد منهم مات أبدا ولاتقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) . وجاء فى وثيقة الاتهام وقرار الحكم مايفيد انه أمر الله فيهم نافذ بات لا راد له ولا معقب عليه ولاشفيع يطاع : قال تعالى خطابا لرسوله عليه الصلاة والسلام :

« استغفر لهم أو لاتستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ، ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله ، والله لايهدى القوم الفاسقين . »

صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات
التاريخ : ٣٠ / ٣ / ١٩٩٣

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ * فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ * »

صدق الله العظيم

د . بنت الشاطىء
أستاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادىء الكلية للأخلاق

هذه ليلتنا (سلام هى حتى مطلع الفجر)

هذه ليلتنا
فيها بزغ نور الفجر الصادق . ينسخ ظلمات ليل الجاهلية البهيم . ويهدى السارين باذان مطلع عصر الانسان : خلقه الله تعالى من علق . وكذلك خلق الدواب والحشرات والديدان . من علق . وخص الانسان بشرف التدين وأهليته لكسب العلم .

وإليه وجه ختام رسالاته . مفتتحة بايات ربه الأكرم الذى خلقه من علق . وميزه على سائر الكائنات بان علمه الله القراءة والقلم والعلم : والبيان :

(اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم :)

هذه ليلتنا ،
تؤذن بمطلع الفجر الصادق لعصر الانسان الذى يحمل تبعات رشده وتكاليف أمانة الانسان الكريم الحر ، لايدين بالعبودية لغير خالقه ، ويظل ما عاش كادحا الى ربه ، يخوض معركته الباسلة بين الخير والشر ، ويناضل عن شرف اهليته لتكاليف امانته الصعبة التى اشفقت منها السموات على علوها ورحابة آفاقها وابعادها ، والأرض على سعتها وطاقتها الفذة على تحمل وطأة من عليها وما عليها ، والجبال على ضخامتها وصلابتها ، بالقياس الى الانسان الذى حمل الامانة على ضآلة جرمه وضعف حيلته . واحتمل مسئوليتها الصعبة ، واعفيت منها سائر الكائنات المسيرة بالتسخير أو الغريزة : قال تعالى :
(انا عرضنا الامانة على السموات والارض **والجبال فابين انه يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا)**

●●●

هذه ليلتنا
ليلة الانسان فى شعوب امتنا المصنفة دوليا بالعالم الثالث ، والمتصدعة بنوازل الفتن الحالقة وحروب البغى الصاعقة ، الممتحنة بضغط المجاعات والأوبئة الحاصدة ، المرهقة بذل الديون الثقيلة وفوائدها الباهظة وشروطها المهينة تساومها على كسرة الخبز وجرعة الدواء وسراب الأمن ، بكرامة ادميتها وحرمة انسانيتها ، ثم لاتتورع من عقد الصفقات فى الاسواق العصرية السود ، على ماتختار لعالمنا الثالث من نظم واوضاع وماتورد الى عالمنا الثالث من نفايا المعامل الذرية والصناعات القذرة والاطعمة الفاسدة والادوية الملوثة .

فى ليلتنا ، ترنو شعوبنا الى النور البازغ من الافق الأعلى . غير محجوب عنها بغواشى الظلمات وعربدة الطاغوت ، فترفع الدعاء إلى الخالق عز وجل :
(ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) .

وهذه ليلتنا
ليلة الملايين من ابناء الامة فى مشرق ومغرب فى الحواضر وقرى الريف ونجوع البوادى ومنعزل البرارى ، فى الأحياء الراقية بالعواصم وفى قيعان المدن .
فى الابراج الفخمة الشامخة تخطف الاعين بعلوها الشاهق وبريقها الساطع ، وفى الأحياء السكنية بالمقابر على رفات موتانا .
فى مجالس الأنس وملاهى الليل الساهرة حتى وجبة السحور .
وفى دور العبادة بالجوامع والمساجد والزوايا . .

ليلتهم جميعا : ليس المبتلون بالمعاصى والذنوب باحوج الى الدعاء من العاكفين فى المساجد العابدين الركع السجود ، ولا الزاهدون القانعون بالكفاف الراضون بما يمسك الرمق باحوج الى لطف الله ورحمته من المزهوين بخيلاء الجاه والترف . كلنا فقراء إلى الله تعالى ، وفى المأثور من دعاء المصطفى عليه الصلاة والسلام « انه كان يتعوذ من جهد البلاء ودرك الشقاء وشماتة الاعداء وفتنة المحيا والممات » ـ متفق عليه .

وكان صلى الله عليه وسلم يكثر من الدعاء القرآنى :
(ربنا هب لنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من امرنا رشدا) .

التاريخ : ٣٠ / ٣ / ١٩٩٢

* * *

هذه ليلتنا جميعا .
فيها يستجاب الدعاء ، وهى مرجوة لأن تحفظ على ابنائنا شباب الامة ايمانهم بنعمة الدين ينأى بهم عن اوكار المخدرات المسقطة للوعى ، والاستهواء بحملة جراثيم فقدان المناعة الفكرية والوجدانية المكتسبة من فطرة التدين ، وعسى أن يعتصموا بايات الله لايغلبهم عليها ضجيج الأصوات الصاخبة فى ملاهى الليل وليالى التليفزيون .
(ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما) .

●●●

وهذه ليلتنا
ساهرة مع الملايين من ابناء الامة فى مخيمات اللاجئين المشردين فى تيه هذا الزمان تلفظهم الأرض فى كل ملجأ وكان ليس لهم عليها مكان .
وفى خيام الايواء لعشرات الملايين من المسلمين على حواف القرن الافريقى وعلى حدود بنجلاديش الهاربين من المذابح الجماعية لهم فى بورما ، تطاردهم عشرات الالوف من الجنود المدججين بالسلاح
وفى منافى التغريب وقهر الغربة فى دورهم واوطانهم
ليلة البؤساء المحرومين والمنبوذين ممن **يستجدون القدرة على احتمال الحياة الكريهة المرة ويتسولون لمسة رحمة .**
يتطلعون الى نورها يقبسون منه نفحة امل ورجاء ، وتشرئب ابصارهم وقلوبهم الى مطلع نورها غير محجوب عنهم بشائك الاسوار ومسالح الحدود وقلاع الذخيرة .

ويؤنسهم ان لكل واحد منهم أن يتمنى على الله ، ورب اشعث اغبر لو تمنى على الله **لابره .**
ويتجاوب الملأ الأعلى بضراعة ابتهالهم ، بدعاء ايوب عليه السلام .
(إذ نادى ربه أنى مسنى الضر و أنت أرحم الراحمين .)

* * *

وهذه ليلتنا
ليلة الملايين من الثكالى والأرامل والايتام والمساكين ، وكل مكروب ومحزون ومحروم ومقهور ، وهائم فى دنياد القفر بين الخرائب والأطلال .
كلنا على موعد معها ، نرفع الى الله شكوانا ونجوانا
بكلماتنا تصير بها دعاء وعزاء
أشجاننا تتحول بها الى وجد وشجو
ونحيب قلوبنا يفيض عليه سناها فيجعل منه خفق ذكرى ونبض حياة
وتحجر ماقينا يرد منهلها فيصدر عنه دموع حنان وراحة افضاء .
واشلاؤنا تتماسك وتأتلف مع النائين والراحلين من أحبابنا ، فتصير مواجعنا مواجد ، وحرماننا زاد حنين ونجوى
ويؤنس وحشتنا ان لكل منا مع النور فى ليلة القدر موعدا .
تعرج اليه أرواحنا وقلوبنا ليس بينه وبينها حجاب .
ويصعد اليه دعاؤنا بكلماته عز وجل :
(واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) .

صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٣١ / ٣ / ١٩٩٢

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»

صدق الله العظيم

د . بنت الشاطئ
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادىء الكلية للأخلاق

(إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ١

هذا بيان للناس غداة ليلة القدر ، في زمان التصنيف الدولي لعالم أول وثان وثالث ، بين سادة وعبيد .

تاخذ اية المساواة والتفاضل موضعها في سياق ماقدمنا من ايات المنهاج الاسلامي للسلوك في (سورة الحجرات) من أواسط الوحي المدني ، قبل أربعة عشر قرنا .

وكان الاية الكريمة ، بلاغ للناس غداة ليلة القدر ، في زمان التصنيف الدولي لعالم أول وثان وثالث ، بين سادة وعبيد ..

الآية الكريمة مسبوقة باثنتي عشرة اية معها من سورة الحجرات ، في أحكام الشرع لمنهاجنا في السلوك . وهذه الايات السابقة كلها ، موجهة إلى الذين امنوا ، حيث تبدأ كل اية منها بقوله تعالى : (يايها الذين امنوا) .

تليها اية المساواة والتفاضل ، موجهة إلى الناس كافة ، مبدوءة بقوله تعالى : (يايها الناس) إشعارا بعموم الدعوة في ختام رسالات الدين ، ومناسبة لحكم الاية في المساواة بين الناس جميعا من حيث هم ادميون خلقهم الله لاب واحد وأم واحدة ، على ما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ـ بعد أن تلا الاية « كلكم لادم وادم من تراب » الحديث ، وياتى في سياقه مما يلى .

المرويات في أسباب نزول الاية متقاربة على تعددها بتعدد الأشخاص الذين يحتمل أن تكون نزلت فيهم . منها ما أخرجه « أبوداود » في كتابه (المراسيل) من حديث الزهرى ، أنها نزلت في « أبى هند الحجام ، مولى بني بياضة الانصار . وكان رضى الله عنه من أتقى الناس ، فخطب ابنة لهم فابوا أن ينكحوه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « يابنى بياضة انكحوا اباهند .. » الحديث

وفي رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أنه لما كان يوم فتح مكة أمر النبى عليه الصلاة والسلام مؤذنه بلالا فاذن على ظهر الكعبة ، فتكلم فيه ثلاثة من القرشيين مسلمة الفتح وقال قائل منهم : « أما وجد محمد غير هذا الغراب مؤذنا ؟ ففيهم نزلت الاية .

وعن « ابن أبى مليكة التيمى » من كبار التابعين ، عن يزيد بن عبدالله بن الشخير العامرى ، رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم مر في سوق المدينة فرأى غلاما أسود يقول : من اشترانى فعلى شرط أن لايمنعنى عن الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاشتراه رجل على هذا الشرط فكان النبى عليه الصلاة والسلام يراه عند كل صلاة . ففقده يوما فسال عنه صاحبه فقال إنه محموم . فعاده المصطفى ثم سال عنه بعد ثلاثة أيام فقيل إنه يحتضر ، فجاء النبى عليه الصلاة والسلام فقام على غسله وصلى عليه ودفنه . فدخل على بعضهم من ذلك أمر عظيم ، لما اثر به النبى عليه الصلاة والسلام هذا الغلام .

والعبرة بعموم لفظ الاية ، غير مصرح فيها باسماء من نزلت فيهم ، والخطاب فيها للناس كافة .

(يايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ....) تقريرا لوحدة الأصل ، كل الناس لأب واحد وأم واحدة .

وشعوب : جمع شعب بفتح أوله ، وهى الجماعات تتشعب من أصل واحد . كالشعاب جمع شعب ، بالكسر ، ماتشعب من أطراف الوادى . والشعب بضم وفتح جمع شعبة ، الفرق والاقسام المتشعبة من أصل مجموع .

وقبائل : جمع قبيلة : الجماعة يقبل بعضها على بعض . وأشهر الأقوال فيها أن الشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التي عليها العرب : الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة أو الاحياء والعشائر .

والتعارف : أن يعرف بعضهم بعضا فلا تختلط الانساب والقرابات ولايدعى أحد لغير أبيه وعشيرته .

ولام التعليل في (لتعارفوا) دلت على أن الله تعالى جعل الناس شعوبا وقبائل لأجل التعارف لا لغير ذلك من تفاخر بالقبائل ومباهاة بالآباء والأجداد وإنما التفاضل بالتقوى .

(إن أكرمكم عند الله أتقاكم ..)

وفي صحيح الحديث عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس بمكة يوم الفتح فقال بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه :

« يايها الناس ، إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاظمها بابائها ، فالناس رجلان : رجل بر تقى كريم على الله تعالى ، ورجل فاجر شقى هين على الله تعالى . إن الله تعالى يقول : (يايها الناس إنا خلقناكم من

ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، أن أكرمكم عند الله أتقاكم)

★★★

وعلى الاية المحكمة والحديث الصحيح ، مدار احتجاج العلماء لأصل المساواة وضوابط التفاضل .

والخطاب في الاية الكريمة صريح في أن أصل المساواة بين الناس ، إنما هو من حيث هم أدميون لأب واحد وأم واحدة ، لايتفاوتون إطلاقا من هذه الجهة الجامعة للأخيار منهم والاشرار ، وفصلت الايات المحكمات هذا الأصل للمساواة من جهة الادمية ، على ماتقرر من بدء هبوط ادم وزوجه إلى الأرض ، قال تعالى بعد ذكر الخطيئة الأولى والتوبة منها :

(يابنى ادم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ...) الاية .

فوقعت الفتنة ، لأول جيل من ذرية ادم فكان أحد ابنيه قاتلا واخوه مقتولا ، قال تعالى :

(واتل عليهم نبأ ابنى ادم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين ..) الآيات وعلى ذلك الأصل المقرر للمساواة مضت الأجيال من ذرية ادم ، فحيث ذكروا في القران جمعت الادمية بينهم على وجه المماثلة ، وإن تفاوتوا تفاوتا بعيدا ...

قال تعالى بعد ذكر عدد من الصفوة النبيين ، في سورة مريم :

(أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية ادم ..) وقال بعدهم :

(فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا . إلا من تاب وأمن النناس وعمل صالحا) فكذلك الناس من حيث هم آدميون ، تجمعهم بنوتهم لأب واحد وام واحدة ، ويتفاوتون . فمنهم الاتقياء والفجار ، بصريح السياق في هذه الآيات من سورة البقرة :

(ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على مافي قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد .

(ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ، والله رءوف بالعباد) .

ويضرب الله الأمثال للناس جميعا ، ويفصل الآيات للناس ، ويحمل كل منهم تبعة رشده او غيه ، وجزاء كسبه ومسعاه . قال عز وجل :

والله تعالى « رب الناس » وهو (جامع الناس ليوم لاريب فيه ، (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) .

وتقرير أصل المساواة بين الناس في أية (الحجرات) متلو مباشرة بالمبدأ الكلى العلى للتفاضل ، أجمله الله تعالى في قوله (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

التقوى من أفعال القلوب ، وأصلها من الوقاية وهى حفظ النفس مما يضر ، واتقاء أذى أو سوء .. وفي تعارف الشرع حفظ النفس عما يؤثم وذلك بترك المحظور ، واتقاء ماهو مظنة شبهة ، وتمام التقوى أن يذكر المؤمن خالقه تعالى في كل ماياخذ ومايدع ، يبتغي مرضاته ويحذر غضبه ، وذلك جامع للاقوال في تفسير (كلمة التقوى) في آية الفتح .

(فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها) .

وبالتقوى تتميز شعائر العبادات من شكلية الطقوس :

(ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) .

صدق الله العظيم

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۞ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۞»

صدق الله العظيم

د . بنت الشاطىء
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادىء الكلية للأخلاق

(إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (٢)

المساواة وموازين التفاضل

هذا بلاغ للناس في زمان التصنيف الدولي لعالم أول وثان وثالث ، بين سادة وعبيد

بقى لنا من (الجمعة اليتيمة) ليلة او ليلتان فحسب ، ثم يكون وداع .

ومازلت مع اية المساواة والتفاضل التى قررت المبدا الاصلى للمساواة بين الناس جميعاً من حيث هم آدميون لأب واحد وأم واحدة متلوة بالمبدا الكلى لوجوه التفاضل .

(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)

ربما يتندر مدعو العصرية بسذاجة عقولنا وقصور تفكيرنا نحن تلاميذ المدرسة القرآنية اذ نتعلق باية من بضع كلمات نتصور أنها تغنى عن اعلان حقوق الانسان فى منتصف هذا القرن العشرين . عصر غزو الفضاء ورحلات الرواد الأمريكان والروس الى الاجرام السماوية العليا .

وهذه جهالة منهم فلسنا نتعلق بالعاء ونيقة دولية فى زمان التصنيف الدولى المعاصر لعالم أول وثان وثالث . بين سادة وعبيد . ولا نأخذ من اية الحجرات تفصيل ضوابط المساواة والتفاضل . بل ضبطنا المساواة بين الناس باستقراء كل الآيات المحكمة وصحيح السنة . فى الناس وبنى ادمونية [illegible] يتساوون جميعا فى حيث هم ادميون خلقهم الله من ذكر و أنثى لأب واحد وأم واحدة . وفيهم التقى والفاجر . النبيون وحزب الشيطان . المصلحون والمفسدون فى الأرض .

* * *

ونقدم اليوم قواعد التفاضل :

من الجيل الأول للبشرية . تقرر الاصلان معا لا يتعارضان . فى (ابنى ادم) فهما سواء فى بنوتهما لأدم وزوجه ليس فى الدنيا ـ وقتئذ ـ سواهما . ويتفاوتان تفاوتا بعيدا بين تقى وآثم خاسر . بين مقتول وقاتل . قال تعالى

(وأتل عليهم نبأ ابنى أدم إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين) .

ولم يرتدع الأخ الظالم عن إثمه .

(فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين)

فكونهما (ابنى أدم) لا ينتقض بالتفاوت بينهما ، ولا تفاضل بينهما فى البنوة لأدم . كما أن هذه المساواة فى الاصل ، لا تتجاوز آدميتهما إلى ما بينهما من تفاوت بعيد ..

* *

وعلى هذين المبدأين مضت الاجيال من الناس يتساوون من جهة كونهم ذرية أدم ، ويتفاوتون فيما بينهم تفاوتا قد يصل الى تضاد النقيضين . كتفاوت الظلمات والنور .

منه فى القرآن الكريم . التفاوت بين الايمان والكفر . بين الهدى والضلال . بين الاصلاح والفساد فى الأرض . بين الأحياء وموتى الأحياء . بين المتقين والفجار . بين المؤمنين والمشركين والمنافقين .

بشواهد من صريح الآيات فيهم ونظائرها :

(أم نجعل الذين أمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض . أم نجعل المتقين كالفجار) ؟

(أم نجعل المسلمين كالمجرمين . مالكم كيف تحكمون) ؟

(أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم) ؟

(وما يستوى الأحياء ولا الأموات . إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور)

(قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور) ؟

(أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا

جرف هار فانهار به في نار جهنم ، والله لا يهدي القوم الظالمين)
(الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) .
(والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، والله سريع الحساب . أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض أذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)
(لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة) ؟
(يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم ، قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب . ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور . فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ، مأواكم النار هي مثواكم وبئس المصير)

ونظائر هذه الآيات المحكمات لا تكاد تحصى ، ومناط التفاوت فيها بين الايمان والكفر . هو التفاوت بين الطيب والخبيث . في الآية الكريمة
(قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله ياأولي الألباب لكلم تتقون

ثم لا يستوي المؤمنون بل هم درجات : بصريح الآيات البينات :

(لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسني ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما)
(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ، والله بما تعملون خبير)
(واضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه ، أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) ؟!
(ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم)
(أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولو الألباب) .
(نرفع درجات من نشاء ، وفوق كل ذي علم عليم)
(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة)
(ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم يوم القيامة وهم لا يظلمون)
ومناط ذلك التفاضل . التقوى
(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)
(أم نجعل المتقين كالفجار) ؟

لايزال للحديث بقية ، وينفد القول ولا تنفد كلمات ربي
(قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا)
صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢ / ٤ / ١٩٩٢

حديث رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

«محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود»

صدق الله العظيم

د. بنت الشاطئ
استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

الاسلام والمبادىء الكلية للأخلاق

(إن أكرمكم عند الله أتقاكم) [٣]

المساواة والتفاضل ، بين المبادىء والتطبيق

هذا بيان للناس فى زمان التصنيف الدولى لعالم أول وثان وثالث ، بين سادة وعبيد

امتد المجال الزمنى **لآيات** المساواة والتفاضل مع امتداد الوحى . من آيته الأولى فى الانسان خلقه الله من علق كسائر جنسه العام . وأكرمه بفطرة التدين وأهليته لكسب العلم . إلى سورة التوبة قبيل ختام الوحى . وفيها آيات ذات عدد فى موازين المساواة والتفاضل

والمسلمون ليسوا سواء فى القدر الذى يحفظونه من كتاب دينهم . لكنهم جميعا يحفظون القدر الكافى لاقامة فرائض صلواتهم وسننها خمس مرات فى اليوم . يفتتحون كل ركعة منها بسورة (الفاتحة) وفى آياتها الأولى اقرار بالتوحيد ويوم الدين (الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين) .

متلوة بايات في المبدأ الكلي للتفاضل بهذا الدعاء (اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم . ولا الضالين) .

كما يفتتح المسلمون (بسورة الفاتحة) شعائر عباداتهم . وإجراءات معاملاتهم تعبيرا عن صدق الاخلاص في النية ورجاء التوفيق والهداية من رب العالمين . اياد نعبد واياد نستعين . مثل بدء عقد خطبة النكاح والبيوع بقراءة (الفاتحة) وبها يترحم على الراحلين إلى رحمة الله من أحبابنا.

هذا الاتساع الزمني لسور الوحي . والاتساع الموضوعي في القدر المشترك بالضرورة بين المسلمين كافة . يتلون فيه الفاتحة على مر الساعات والايام والسنين والعصور . يتجاوز بالقضية مجال الاداب والمواعظ والاعتبار . إلى تاصيلها في الاخلاق . وترسيخها رسوخ الخلقة والسجية بحيث تصير عنصرا جوهريا في انسانية الشخصية الاسلامية لاتنال منها ذرائع المسخ ولاتجور عليها محدثات البدع الشائنة والموازين الضالة للازمنة الفاسدة ...

★ ★ ★

من فجر البعث غداة ليلة القدر . أخذت المبادىء مجراها في التطبيق العملي لمنهاج السلوك . فتقرر تقديم الصحابة — رضي الله عنهم — على سائر المسلمين . بما لهم من شرف الصحبة وكونهم الطبقة الأولى من تلاميذ مدرسة النبوة . واختصوا بالاجماع على عدالتهم بنص الكتاب والسنة . قال تعالى مبينا وجوه فضلهم

(محمد رسول الله . والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم . تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا . سيماهم في وجوههم من أثر السجود)

ومع هذا التساوي في شرف الصحبة . تفاوتوا بحسب منزلتهم في الصحبة .

وعلى هذا المبدأ . رتبت طبقاتهم بتقديم العشرة المبشرين بالجنة . والسابقين الأولين . وذوي الهجرتين إلى الحبشة والمدينة . وأصحاب بيعات العقبة . والمهاجرين والانصار . والبدريين . ومن شهدوا غزوة أحد . والمشاهد جميعا . وأصحاب بيعة الرضوان تحت الشجرة بالحديبية . إلى مسلمة الفتح فمن بعدهم .

من ايات المفاضلة بينهم من هذه الجهة . قوله تعالى في المهاجرين والانصار أصحاب بيعات العقبة قبل الهجرة :

(للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله . أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولايجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) .

وفي أصحاب بيعة الرضوان

(لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا)

وفيمن ثبتوا يوم الاحزاب

(ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله . وصدق الله ورسوله . وما زادهم إلا ايمانا وتسليما . من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا

تبديلا) . وفيمن جاهدوا من قبل الفتح ومن جاهدوا من بعده .

(لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل . أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى . والله بما تعملون خبير) .

وقال عز وجل فى تفضيل ال بيت النبوة

(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم **تطهيراً**) .

وتفاضلوا كذلك فى حفظ القرآن . وفى رواية الحديث . وفى الفقه والفتوى

وتفاضلوا كذلك أفرادا . رجالا ونساء على الموازين الاسلامية للتفاضل فافضلهم على الاطلاق . أبوبكر الصديق ثاني اثنين إذ هما فى الغار . والله معهما . ثم الفاروق عمر . ثم عثمان ذو النورين . ثم الامام على . ثم سائر العشرة المبشرين بالجنة ... سعد بن أبى وقاص الزهرى وطلحة بن عبيدالله التيمى . والزبير بن العوام الاسدى . وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى . وأبو عبيدة بن الجراح الفهرى . وعبدالرحمن بن عوف الزهرى .

وافضل نساء الامة السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين الاولى . وسيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين . ...

ولكل منهم ومنهن فضل . مما تتسع له كتب كاملة فى فضائل الصحابة ومناقبهم

فى صحيح الحديث عن أنس رضى الله عنه . عن النبى صلى الله عليه وسلم قال

(أرحم أمتى بامتى أبوبكر . وأشدهم فى امر الله عمر . وأصدقهم حياء عثمان **واقرؤهم** لكتاب الله أبى بن كعب . وافرضهم زيد بن ثابت . وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل . ولكل أمة أمين . وأمين هذه الامة أبو عبيدة ابن الجراح) .

وفى مؤاخاة النبى صلى الله عليه وسلم بين أصحابه المهاجرين والانصار عقب مقدمه إلى دار هجرته . روى الحافظ أبو الفتح اليعمرى فى سيرته الكبرى (عيون الاثر) حديث أنس بن مالك رضى الله عنه . قال قال المهاجرون يارسول الله . ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة فى قليل ولا أحسن بذلا من كثير كفونا المؤنة وأشركونا فى المهنا حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالاجر كله . قال (لا . ما أثنيتم عليهم)

وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما فيما كان من كرم الانصار ومروءتهم لقد رأيتنا وما الرجل المسلم باحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم المعلم القدوة لاصحابه وأمته فى تطبيق المنهاج الاسلامى للتفاضل . وفى المتفق عليه من حديثه أبواب فى كثرة دعائه للانصار . وأبناء **الانصار وذكرهم بالحب والثناء ، ووصيته بهم** أصحابه أن يثنوا عليهم ويدعوا لهم . وأن يقبلوا من محسنهم ويعفوا عن مسيئهم

وفى باب خير دور الانصار بالصحيحين . ذكر صلى الله عليه وسلم أربع دور منها ثم قال

" وفى كل دور الانصار خير " .

وكذلك نقول وفى كل الصحابة خير . وفيهم الطبقة الاولى من العلماء ورثة خاتم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهم حملة القرآن عنه . ورواة الصحاح من حديثه . ونقلة شريعته ومنهاجها فى السلوك .

وهم جند الاسلام الاولون وحملة لوائه الاغر فى فتوحه الكبرى

(رضى الله عنهم ورضوا عنه)

صدق الله العظيم

حديث الوداع

بسم الله الرحمن الرحيم

«عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم * لا ينهكم الله عن الذين لم يقتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين * إنما ينهكم الله عن الذين قتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظلمون *»

صدق الله العظيم

د . بنت الشاطىء
أستاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

حديـــث ذو شجـــون

لم يبق غير وداع ، يشجينا فيه ان مرت ايامه الطيبات ولياليه النيرات سراعا لم نحسب حسابا لو شك فراق .

نودعه ، وفى وجداننا رجع صدى من شجو شاعرنا شرف الدين البوصيرى فى موقف وداع :

ماحسبنا لفراق حسابا ... أنما أغرى بنا الوجد أنا

نودعه ، وماقمنا ببعض حقه علينا ، ولا وفينا بما ينبغى له من رعاية حرمته ، وقضاء واجب الشكر لما فاض علينا من خيره وبركته ، ويساورنا الندم أن لم نكن اهلا لما تحمل امة القرآن من أمانتها الصعبة التى ناطها بها الله عز وجل فى آيته المحكمة :

(ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، و أولئك هم المفلحون) .

نودعه ، وبنا من رجفة الشجن أن أطل من افقه العالى على الأبعاد المتراميه بين ماض من الزمان وحاضر ،

شاهدا لما رأى من موضعنا فى عصور العزة والسيادة والمنعة ، وما نحن فيه اليوم من بؤس وضيم ، نرجع بكائية شاعر جرهم من الزمن الغابر ، حين أخرجهم البغى من الحرم المكى الآمن .

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ... انيس ، ولم يسمر بمكة سامر

نودعه ، وبنا من فرط الأسى استحياء ان ترفع اليه شكوانا ونجوانا ، وقد نعلم أنه لم يشهد أمته على مثل ماشهدها فى عامنا هذا من تصدع وقهر ، اذ تدور فينا رحى حروب الفتن طاحنة ساحقة ، وسعار المطامع والأهواء يفرى اشلاءنا ، وتناحر النظم والاحزاب يمزقنا طرائق قددا ، بعضنا لبعض عدو ،! وكأننا نسينا ايات الله جل جلاله فينا :

(وان هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاتقون).

ونجأر بالضراعة :

(ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) .

فيتداركنا الله تعالى بلطفه ورحمته ، فنتلو ايته :

(قل ياعبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) .

ومن حيث لانحتسب ، ينكشف لبصيرتنا فى ساعات الوداع لشهر القرآن ، من كرم عطائه ما غاب عنا فى غواشى الهموم والكروب . وكان هذا العطاء من السخاء بقدر ما نحن فى حاجة اليه ، فيما امتحنت به أمتنا من بلاء :

ففى شهرنا هذا الكريم ، انكشف لنا ماكان يراد بامتنا من عاصفة الصحراء وحرب الخليج ، لم نتجشم عناء البحث عنها بل كشفها طاغوت هذا الزمان فى جرأة علنية وقحة تذيع فى أرجاء المعمور أنها لم تكن قط معركة تحرير للخليج بل كانت دعوى التحرير ذريعة للنفاذ الى السيطرة على عالم اليوم ، ومدخلا ماكرا للهيمنة التامة على عالمنا الثالث ، والتحكم فى شرقنا الأسيوى الافريقي ، تحكم السادة فى العبيد .

وقبل أن يسدل الستار على مابقى من أطلال العراق و أنفاس شعبه ، تطاولت مخالب الاخطبوط وامتدت ذات يمين وشمال وجنوب ومشرق ومغرب ، متجهة الى ليبيا واليمن والسودان وباكستان لتفعل بها مثل ما فعلت بمنطقة الخليج ، وتقتحم وجودها وتنتهك حماها ، بجبروت طاغية وخيلاء مستعمر ..

وفى نور شهر الهدى ، انكشف لبصيرتنا ما غاب عنا من فخاخ الديون الباهظة و أغلال فوائدها الفاحشة . فى صفقة لئيمة تبيع لنا كسرة الخبز مغموسة بالهوان وملوثة بغبار ارصفة الشوارع والحارات ، بما استنزفت من خيراتنا وثرواتنا ، حتى اذا لم تعد تكفيها ، ساومتنا قسرا على انفتاح لبضاعة استهلاك استفزازى فى شعب يتزاحم على شراء ارغفة الخبز من فوق ارصفة الطرقات ، ويغض من انسانيته قيام الابراج الشامخة الشاهقة ، على حواف الأحياء السكنية بالمقابر فى عاصمة الكنانة ، مصر أم الدنيا .

وفيه ، فى شهرنا المعظم لهذه السنة القمرية تعقد الصفقات العلنية اللئيمة للاتجار بالانسان فى اسواق المساومة على مخلفات انقاض الاتحاد السوفيتى من علماء الذرة والاسلحة النووية وخبراء تكنولوجيا الفضاء ، مثلما تعقد الصفقات فى (سوبر ماركت) بضاعة الموت ، وتوريد حملة (ميكروب الايدز) وحاملاته وتهريب الاف الاطنان من المخدرات وشحنات الأطعمة الفاسدة والادوية المسمومة الى عالمنا الثالث .

★★★

وفيه اعلنت الوثيقة السرية للبنك الدولى يوصى فيها كبير خبرائه بضرورة بيع الصناعات القذرة الى عالمنا الثالث ، ورفع الستار عن مسارح الدمى ، لايبالى الممسكون بالخيوط المحركة للدمى ومحركو الاحجار

التاريخ : ٣ / ٤ / ١٩٩٢

على رقعة الشطرنج ، ماكانوا يبالونه قبل هذا الزمان من غضب شعوب عريقة في التاريخ والحضارة ، عراقة المعروف لنا من تاريخ الانسانية .

....

وفيه يبلغ اسماعنا مايهذى به عالم اليوم من حكايا أمريكية عن (نهاية التاريخ واخر رجل) وعن اصرار اخر انسان على ممارسة هيمنته على عالمنا فيما يشبه رجعة وثنية ينتحل صفة الربوبية : يحيي ويميت ويعز ويذل . ويرفع ويضع . ويرزق ويمنع ..

ومن بيوتنا ودورنا وجوامعنا ومساجدنا وزوايانا ، تعلو اية الله ذى الجلال والاكرام .

(الم تر الى الذى حاج ابراهيم في ربه ان أتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذى يحيي ويميت قال انا احيي واميت ، قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لايحب القوم الظالمين) .

★★★

فلا اوحش الله منك ياشهر الصيام ، ماكان اجل نعمته تعالى علينا بك ، اذ يمن علينا وعلينا قبيل وداعك بلقاء رئيسي جمهوريتي مصر وسوريا في عاصمة الكنانة واعلانهما عن (معارضة مصر وسوريا لاى عمل عسكرى ضد العراق وفرض عقوبات ضد ليبيا دون محاكمة عادلة) .

في نفس اليوم الذى اذاعت فيه مصر من عاصمة الكنانة أنه (لايمكن عرض قضية الحدود بيننا وبين السودان في ظل العلاقة الازلية بين البلدين) .

وما ذلك على الله بعزيز ، ونحن وأهلنا جنوبي وادى النيل ، نتلو من آيات كتابنا المحكم :

(عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم) .

فلا أوحش الله منك ياشهر القرآن نودعك مزودين بهذا المدد من يمن عطائك ، ويؤنس وحشة الوداع يقيننا بأنك على موعد مع أمتك في الموسم المقبل من السنة القمرية وفيما يليه من مواسم باذن الله تعالى ، تجدد حيويتها بزاد من هدى القرآن ... وان على وعي ابنائها من ... الغفلة ، ويتلو مسارها الحائرين منهم في تيه العصر ومتراهم في غواشى الظلمات ، ويحصن شعوبها بمناعة ضد وباء فقدان المناعة المعنوية المكتسبة من دين الفطرة .

★★★

وبعودة الأيام ياشهر رمضان

يرحل الراحلون منا وتبقى أطيافهم تحوم حول الحمى ، وتتعاقب الأجيال وأنت على موعد مع أمتك لن تخلفه بمشيئة الله ، اذ يطل عليها هلالك من افقه العالي في ميقاته ، فوق فواصل الحدود وحواجز التفرقة وتنائي الأبعاد وتطاول الآماد واصلا مابين ماض وحاضر وآت الى ماشاء الله .

وتخبو الاضواء الساطعة ببريق الدنيا ، ويتعاظم الطغاة ويتفاحش الطاغوت .

ونور الله في بصائرنا لاينطفىء ، والقرآن فينا منار هدى ودليل مسار ومسرى ، وبلاغا الى الناس في هذا الزمان وكل زمان .

(يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب) .

صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٤ / ٤ / ١٩٩٢

حديث العيد

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ

صدق الله العظيم

د. بنت الشاطىء

استاذ التفسير والدراسات العليا
كلية الشريعة جامعة القرويين

عيد فطرنا ، زكاة ودعاء وصلاة

التقط انفاسى المجهدة ، لاكون مع أمتى فى عيد فطرها ، لايتخلف عنه محزون ولامكروب ولامقهور ..

العيد ياخذ اسمه وموضعه فى أعيادنا الكبرى ، من شهر الصيام الذى يعطى هذا العيد اسمه . كما يعطيه حكمته ومغزاه ، فلا يقام عيد فطر الا بشهود هلال شوال بعده ، ايذانا بتمام شهر الصيام .

وقد شرع لنا الدين شعائر الاحتفال بشهر القرآن صياما ورياضة ومجاهدة ، وقياما وتعبدا وتهجدا ، وجعل صيامه قاعدة من قواعد الاسلام الخمس . المعروفة للمسلمين كافة من دينهم بالضرورة ، تكريما للشهر الذى اثره الله تعالى بنزول القرآن فى ليلة القدر منه ، واعظاما له كيلا تترك شعائره لنوازع الاهواء ومتغيرات النظم والاوضاع وبدع المحدثات .

كما شرع لنا شعائر الاحتفال بعيد فطرنا منه : زكاة وتكبيرا ودعاء وصلاة ، وترويحا للنفس بالمباح من الطيبات الحلال » فهذه سنة عيد فطرنا » كما فى الحديث المتفق عليه ، عن رسول الله عليه صلوات الله وسلامه ، ولعلنا نشكر لله عزوجل ان اتم علينا نعمته بقضاء فريضة الصوم ، ويسرها على ذوى الاعذار منا بالرخص الشرعية للافطار ، فجعل قضاءها دينا علينا لله جل جلاله ، ووفاؤه موكول الى ضمائرنا وتقوانا ، بصيام

أيام آخر بعد الشهر ، بعدد الأيام التي افطرناها منه برخصة شرعية ، لعذر من مرض أو سفر ونحوهما ، كما شرع الفدية ، طعام مسكين من اوسط ما يطعمه من يستنفد الصيام طاقته لشيخوخة أو مرض عضال ، يخشى معه أن لايقوى على صيام القضاء ، فيفدى عن كل يوم أفطر فيه ، والأمر في ذلك كله منوط بتقوى المؤمن ، لارقيب عليه في صيام أو فطر وقضاء أو فدية ، غير نفسه اللوامة وخالقه سبحانه وتعالى .

ووصل القرآن الكريم شعائر عيد الفطر ، بأحكام الصيام ، فجاء بها في الآية الجامعة المحكمة :

(شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام اخر ، يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ، ولعلكم تشكرون) .

بشهود هلال شوال يبدأ عيد الفطر على السنن العملية المتواترة منذ شرع لنا الدين في شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة ، صيام شهر رمضان ، وشعائر عيد الفطر ، وفيه فرضت زكاة الفطر يؤديها المسلمون جميعا :

ومع الفجر يسعون الى ساحات العيد متطهرين في خير ثيابهم ، فلا يزالون يهللون ويكبرون ويرتلون دعاء العيد ، حتى يتقدمهم امامهم فيخطب خطبة العيد ثم يقيم لهم الصلاة بغير أذان ولا اقامة ، وهم جميعا خلفه مؤتمين به حتى يتم صلاته بهم ، ثم لاينصرف احد منهم قبل انصراف الامام .

يستوى في ذلك الملوك والرعايا ، الرؤساء والعامة السراة الوجهاء والدهماء ، الأثرياء والمعوذون . فهامنا ، وحيثما اقيمت صلاة جامعة ، كلهم عباد الله وعبيده ، اكرمهم الائمة بما يقيمون للناس من شعائر دينهم ويتلون عليهم من ايات الكتاب والحكمة .

بقية من باقياتنا الصالحات ، لم يطمس بهاءها وجلالها مر الايام والليالى وكر الغداة والعشى ، لاكثر من أربعة عشر قرنا .

وبلاغا الى الناس في زمان التصنيف الدولى لعالم أول وثان وثالث ، بين سادة وعبيد .
(والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا) .

نحتفل به تحديا لمن ظنوا ان جوهر اصالتنا قد أزرى به صدأ العتاقة ، وان ملامح هويتنا قد جارت عليها فتنة الاستهواء بمحدثات البدع ، والحت عليها ذرائع المسخ والتشويه والاستلاب ، فهان علينا أن يجوز لطاغوت بغير هوية ولا تاريخ ، أن يستعبد أصل الامم هوية وأعرقها تاريخا وعلما وحضارة .

●●●

ولكن ان احتفالنا بالعيد امتدادا لشهر الصيام وموصولا به ، قد طرأ عليه جديد هذا الزمان ــ الذى يوصف بانه عصر التنوير والانفتاح على افاق الكمبيوتر والبث الاذاعي بالاقمار الصناعية ــ وما استحدث لنا من أحياء رمضان والعيد على الطريقة العصرية فيما سجله شاهد ثقة في رؤيته الثاقبة (من

قريب) لمباذل (كرنفال عصرى فى رمضان) تحول بها الشهر تدريجيا فى مصر خلال السنوات الاخيرة ، الى شهر للاحتفالات والليالى الملاح ، يتصل مباشرة بالتطور الذى تفرضه الطبقات الجديدة على الحياة فى مصر .. يتحول بها الدين على يديها الى مظهر اجتماعى للرياء والابهة .

ليكن هذا واضعافه معه من افلام الجنس والجريمة وبرامج الاذاعة والتليفزيون الفجة للتثقيف والتسلية المبتذلة ، مع مئات الأطنان من المخدرات تتدفق على اسواقنا للبضاعة الحاضرة ، الا يرى الاستاذ الزميل سلامة احمد سلامة ، (من قريب) ان هذا الذى رصده ويرصده لنا من علل حياتنا الحاضرة ، قد افضى الى عواقبه الحتمية فى مثل ، فتاة العتبة ، التى اعتدى عليها الذئاب وسط الزحام بالملأ من قومنا فى قلب عاصمة الكنانة ، ذات ليلة مقمرة من ليالى البدر لشهرنا المعظم ؟ ثم قبل ان تنفض المناحة الصحافية عليها . ويفرغ منها المحللون والمعقبون ، نشرت صحفنا فى ليلة القدر ، نبا عشرة ذئاب من منطقة الدبابة ببولاق الدكرور ، على مشارف العاصمة ، اختطفوا زوجة كانت تسير مع زوجها أو صديق له ، وساقوها الى مبنى تحت الانشاء حيث تناوبوا الاعتداء عليها لمدة ثلاث ساعات رهيبة مفزعة .

فهل بقى علينا أن ننتظر مزيد درس وعبرة لعواقب مانحن فيه لنؤمن بثبات السنن الحتمية للعلل والعواقب ، للاسباب والنتائج ؟ الله تعالى يقول ، وقوله الحق : (فهل ينظرون الا سنة الاولين ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) .

....

والايام تمضي ، وبنا ما بنا من حزن وقهر ونحيي مع أمتنا شهر صيامها وعيد فطرها . فريضة محكمة وسنة ثابتة متواترة . لا تنسخها عوادى الزمان وفوادح الكوارث والملمات . فذلك امر الله تعالى : لله الامر من قبل ومن بعد . فيما يبلو به عباده من الشر والخير فتنة ، تمحيصا لقلوبهم والزاما لهم بكلمة التقوى ، ليتميز من هم احق بها وأهلها ، ومن هم كالعبد الخسيس اللئيم . اذا شبع تزلف ومدح وشكر . واذا جاع هجا وفجر وكفر . قال تعالى : (احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امناً وهم لايفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) .

ونظل نحتفل بعيد الفطر . من باقيات صالحاتنا ، يؤنس وحشة المحزونين . والمغتربين باطياف من يحبون . ويجددون العهد بهم ومعهم ، برا وتواصلا ورحمة . وصحبة حميمة لذكرى عهود خلت . كانت الديار بهم أهلة ومحافل العيد بهم عامرة .

....

وفى ساحات العيد فى مشارق الارض ومغاربها يحتشد ملايين المسلمين لاقامة عيد فطرهم مهللين مكبرين بدعاء التوحيد المحض والتواضع لله عز وجل .

(اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه . والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ، ومكر أولئك هو يبور)

صدق الله العظيم

مراجعات

بسم الله الرحمن الرحيم

« أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ »

صدق الله العظيم

د . بنت الشاطىء

الدواهى والملاهى ...

اراني بعد ان ودّعت الموسم في حاجة الى ان اصل ما انقطع من لقائي بالقراء الاصدقاء في (حديث رمضان) ولست ادرى ما اذا كنت في شعورى بحاجتي الى لقائهم مدفوعة بهواجس الكهولة وفتور الرجاء في تجدد اللقاء وانا هامة اليوم او غد ؟ ام هى الحاجة الى زاد من انس الصحبة يعين على ما نلقى وتلقى امتنا من نكد الايام وويلات الخطوب ودواهي القوارع ؟ لقد احاول احيانا ان الوذ في وحشة الوداع براحة الصمت والسكوت والتمس من الرقاد فتور تجاهل وهجوع ، ثم لا البث ان اتبين ان ذلك ومثله تتجاوزه ويلات المرحلة التي تهد الحيل وتنقض الظهر ، فلا الصمت يخلصنا من شواغل الهواجس ، ولا تكلف الرقاد يعفينا من اضغاث الاحلام وهذيان الارق والسهاد ، ولا صمم التجاهل يلهينا عن تباريح الهموم وكآبة الظنون . فلم يبق الا ان نتمثل بقول الشاعر المكروب :

ولابد من شكوى لذى مودة ... يواسيك او يسليك او يتوجع

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٤ / ٤ / ١٩٩٢

وهو ما التمسه من وصل ما انقطع من لقائى بالقراء الاصدقاء فى (حديث رمضان) لا اوحش الله منه .

الحوار مقطوع بطبيعة الحال بينى وبين من يرون للمفكر او الاديب ان يحتفظ لنفسه بهمومه ويعفى القراء من المكابدة بأحزانه والبوح بمواجعه . وفى ذلك - فيما اقدر - من الجحد لانسانية المواساة وراحة البوح والافضاء ، ما لا يكون الا من قسوة القلب وبلادة الوجدان وتحجر الضمير . واعلم مما يهدى اليه دين الفطرة من ايات الكتاب والحكمة ان البشرية عرضة لمسخ يهبط بها الى ما دون بهيمية الدواب العجماء إذا تعطل العقل الذى هو جوهر انسانيتنا وتعطلت الوظيفة الانسانية للحواس بما هى وسائل بصر وتمييز وادراك قال تعالى :(إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) [لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها ، اولئك كالانعام بل هم اضل ، اولئك هم الغافلون] .

واما القسوة فالمسخ بها افدح وارذل ، اذ تخرج بالانسان عن حيوانية جنسه ونوعه الى جمادية الحجر او اشد قسوة فذلك قوله تعالى خطابا لكفار بنى اسرائيل : (ثم قست قلوبكم فهى كالحجارة او اشد قسوة ، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الانهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وان منها لما يهبط من خشية الله) .

★

انما الحوار مع قراء لى اصدقاء تربطنى بهم صحبة فكرية غالية ومشاركة وجدانية حميمة ، مراجعة معهم لما ضاق عنه حديث الموسم من ملاحقة لمتغيرات الاحداث وطوارىء النوازل فى الموقع الفكرى ، وتعليقا على ما استدركوه على وحالت ظروف النشر دون مراجعته .

عدد غير قليل من القراء الكرام اشفقوا على من غلبة طابع الأسى والشجن على ما كتبت لهذا الموسم ، وذلك ما لا انفيه ، فما انا سوى بشر ، ولم يبلغ بى الغرور ان ابرا من ضعف انسانيتى وقد قال فينا خالقنا عز وجل :

(يريد الله ان يخفف عنكم ، وخلق الانسان ضعيفا) ثم لا اكتم قرائى الاصدقاء ، اننى فى معاناتى لهموم حياتى ووحشة دنياى وهواجس كهولتى ، مرهفة الحساسية بماسى اهل بلدنا وهموم امتنا فى هذه المرحلة الصعبة وما تواجه من نوازل عمياء المدخل تائهة المخرج ، فلا تبلغ بنا البلادة ان نتلهى بما تقدم أجهزة الترفيه من فنون التسلية .. الفجة

والملاهى الملهية يؤمها ناس منا ملهاة عن بؤس المرحلة ، غافلين عن عواقبها القريبة فيما تحمل من اوزار ضياع الشباب ورواج سوق المخدرات وفشو جرائم القتل والاغتصاب والحرابة والسرقة ، طلبا لثمن (الكيف) او تحت تاثير تخديره .

★★★

وتمضى دنيانا بخير فى اعين من يرون ان (ليس فى الامكان ابدع مما هو كائن) ، لم نسمع ان قناة تليفزيونية او ركنا اذاعيا او ملهى من ليالى الليل او دارا للسينما ، غيرت برامج سهراتها الممتعة ولياليها الساهرة حتى مطلع الفجر ، لتشارك الشعب فى كارثة من الكوارث القواصم .

كلا ، ولا سمعنا ان برامج ملاهينا اكترثت ذات ليلة او اخرى لما تكابد شعوب - يقال انها شقيقة - من نهك الحصار ووطاة الطاغوت ، وللملايين من ضحايا التصحر والجفاف والمجاعات والاوبئة والحروب الأهلية الحاصدة .

وما يتدفق على اسواق عالمنا الثالث من صناعات قذرة ونفايا نووية وصفقات اسلحة تنتظر دورها لتجارب قانون القوة الحاكمة لعالم القرن الحادى والعشرين .

★★

وما ينبغى لنا مع هذا ان نجحد فضل ما اجدى علينا البلاء من تمحيص قلوبنا وما ارهف من وعينا لحصاد (الفتنة الكبرى) ورموز (عاصفة الصحراء) ومرامى (حرب الخليج واوهام القوة والنصر) وما انكشف لبصيرتنا من سراب الأمن فى وثائق لو اننا انفقنا كل ما نملك لما وصلنا اليها .

فلئن كان رواج سوق المخدرات وعمار ملاهينا الساهرة شاهدا على ادمان تعاطيها والتلهى بها ، لقد يكون فى رفض الضمير العام لمقولة (ليس فى الامكان ابدع مما هو كائن) شاهدا على حصانته من (ميكروب) فقدان المناعة المعنوية المكتسبة من دين الفطرة فى زمان فشا فيه الوباء وعصى على الطب والدواء .

(فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين) صدق الله العظيم .

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١ / ٥ / ١٩٩٢

مراجعات (٢)

بذاك محض الايمان

د . بنت الشاطىء

لعل اراجع نفسى فى مراجعتى لقراء كرام ، ذكرونى فى مواساتهم اياى فيمن شكلت وفقدت بما سبق لى ان واسيتهم به من مجاهدة الحزن على مالا يسترجع والصبر على ما نلقى من مكابدة الهموم ، مع الحساسية المفرطة لما يلم بامتنا من عصيب المحن وقوارع الكوارث .

والتواصى بالصر من كمال الايمان فيما نتلو من (اية البلد) فى تكاليف عقبة وجودنا الانسانى الكريم ، بدءا بالتحرير من الرق ، والرحمة باليتامى والمساكين فى المجاعات :

(ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة)

واية (العصر) فى الانسان والخسر :

(إلا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

التواصى بالصبر فى الايتين ليس على إطلاقه بل معه فيهما التواصى بالمرحمة والتواصى بالحق ، فينتفى التواصى بالقسوة وبالباطل .

وكذلك عشرات الايات فى الحث على الصبر والامر به والاجر عليه : « والله مع الصابرين » « والله يحب الصابرين » « وبشر الصابرين » ليس الصبر فيها بعموم مطلق بل منه الصبر على المصاب والبلاء نقيض الجزع . ومنه الصبر فى النوائب نقيض الضجر . ومنه صبر المؤمنين على مشاق العبادات وتكاليف امانة الانسان ، ونقيضه التفريط والخيانة ، ومنه صبر الرسل اولى العزم عليهم السلام على اعباء رسالاتهم ، وصبر المؤمنين المجاهدين فى القتال شجاعة وثباتا ونقيضه الجبن والفرار ..

فى هؤلاء المؤمنين الصابرين قوله تعالى فيما لهم من اجر وحسن ماب فى الاخرة :

(سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)

> بسم الله الرحمن الرحيم
>
> بسم الله الرحمن الرحيم
> « والعصر . ان الانسان لفى خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »
> صدق الله العظيم
>
> صدق الله العظيم

على ان من الصبر كذلك ما هو صبر على الضلال وجراة على الباطل والتواصي به واستهزاء بالرسل وبوعيد الاخرة وقولهم : (إن كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها)

(وانطلق الملا منهم ان امشوا واصبروا على الهتكم ..)

وقوله تعالى في الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة : (فما اصبرهم على النار)

وليس في القرآن الكريم وصحيح الحديث فيما اعلم ـ ما ينفي الحزن عن الصبر فضلا عن ان يناقضه ، اذ ليس الحزن باختيارنا حتى نكف عنه او نتواصى به . ولقد يكون من لطف الله تعالى بعباده ان يستروح المؤمن الى حزنه وينفس عن مواجعه ومواجده بالبكاء . ولو كان الحزن يجرح الايمان لكان الصفوة الرسل عليهم السلام اولى بان يتجنبوه لو استطاعوا ، فكيف والقرآن فينا نتلو من اياته في حزن رسله عليهم السلام ما ينبغي ان نعتبر به .

منها في يعقوب عليه السلام وبنيه اخوة يوسف :

(اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون)

(وتولى عنهم وقال يا اسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم)

(قال انما اشكو بثي وحزني الى الله ..)

وفي موسى وامه عليهما السلام .

واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فإذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ..)

(فرددناك الى امك كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق) ..

وفي مريم وابنها المسيح عيسى بن مريم)

فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت (يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ، فناداها من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا) .

وفي المصطفى خاتم النبيين عليهم السلام :

(قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون)

(يايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) ... وفيها وفي نظائرها قال علماؤنا في دخول « لا الناهية » ههنا : وقوله تعالى : « ولا تحزنوا » ، « فلا تحزن » « لا يحزنك » ليس على وجه النهى عن الحزن فالحزن ليس يحصل بالاختيار ، ولكن النهي عن تعاطي ما يورث الحزن ، وحث الانسان على تصور ان هذه هي حال الدنيا ، فلا تبغته النوائب .

واما نفي الحزن عن المؤمنين فذلك حيث جاء في القرآن الكريم ، من البشرى لهم في الآخرة ، بان (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

وقد زكى الله عز وجل الحزن النبيل للبكائين الذين ارادوا الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك

وهم سبعة رجال من الصحابة رضى الله عنهم ، ارادوا الخروج ولم يكن لديهم ما ينفقون فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجدوا لديه ما يحملهم عليه فتولوا محزونين باكين ، وفيهم نزلت اية التوبة فيمن لا حرج عليهم من المتخلفين :

(ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ، ما على المحسنين من سبيل ، والله غفور رحيم . ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون) .

ومشهور من شمائل المصطفى عليه الصلاة والسلام ورقة قلبه ، حديث انس ابن مالك رضى الله عنه ، فى دخول النبى فى عدد من الصحابة على ولده ابراهيم عليه السلام وهو يجود بنفسه فجعلت عيناه صلى الله عليه وسلم تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف : وانت يا رسول الله ؟ فقال له : (يا عبد الرحمن بن عوف ، انها رحمة) ثم قال : (ان العين لتدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضى ربنا .. وانا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون) متفق عليه .

★ ★

وذكرنى زميل صديق قريب عهد بثكل ولده ، بما قلته فى مراجعة سبقت : إن المحزون قد يلوذ بالصبر طاعة واحتسابا وتجملا ثم لا يامن فى اخذة المصاب الفاجع من هذيان الوسلوس وهواجس الظنون .

ولا باس علينا منها ان شاء الله ، فرحمته تعالى مرجوة لمن يضنيهم الاسى ويتجملون بالصبر ، وفى ، كتاب الايمان من صحيح مسلم ، عن ابى هريرة رضى الله عنه ان ناسا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم سالوه : انا نجد فى انفسنا ما يتعاظم احدنا ان يتكلم به . قال : (وقد وجدتموه ؟) قالوا : نعم . قال : (ذاك صريح الايمان) وفى رواية عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : قال : سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة فقال : (تلك محض الايمان)

والله مع من بر واتقى .

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٨ / ٥ / ١٩٩٢

مراجعات (٣)

أهكذا نحن ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

«فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۞ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ۞ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ۞»

صدق الله العظيم

من حيث لا احتسب ، جاءتني في غواشي الكرب والاسى رسالة من المغرب الاقصى ، واخرى من نجد تلقيتهما معا غداة ليلة القدر ، فجادت مقلتاى بدمع تحجر فيهما واحتبس .

في الرسالتين من كريم المواساة ولطف التراحم ، ان ابنائي المغاربة ، من شباب علماء القرويين ، تلقوا العزاء في ولدى الذى تكلته ، وقراوا ختمة قران على روحه الطاهرة في جامع القرويين . وكذلك كانت مواساة بنات لى من طليعة الجامعيات السعوديات : ختمة قرئت على روح فقيدى في الحرم المكى .

وفرج عنى هذا التراحم بيننا على بعد ما بين المشرق والمغرب ، بعد شهور طالت على ، كنت خلالها أرجع البصر من اطلال دنياى القفر ووجودى العقيم الى البقايا الممزقة لعالمنا الاسلامى المنكوب بنا فالمح العدو يتربص بها واحدة بعد الاخرى . واليد الخبيثة تدور حولها في حركة التفاف ماكرة ، من صحراء المغرب والجزائر والشمال الافريقي الى الخليج وافغانستان ، ومن منابع الرافدين الى اليمن ووادى النيل والقرن الافريقي لا ندرى على اي بلد منها ياتى الدور التالى ليقع في قبضة الطاغوت ..

د . بنت الشاطىء

وتتوالى النذر جرينة سافرة ، لم تعد تتلى ما كانت تحذره في الماضي القريب من غضبنا لحرماتنا ، وقد غرها ما يبدو للرؤية القريبة من تمزق امتنا شيعا متناكرة واحزابا متناحرة ، اطمعت الطاغوت في إمكان ترويضها لتلهو بصليل اغلال الديون ودقات طبول الحرب وفحيح نار الفتنة ، وتسير بتوجيه الطاغوت على الرمال المتحركة ما يخايلها من سراب الامن ، مشغولة به عن مصاب اخ وصديق ، وعن المرحمة لشعب جار شقيق يسام اضرى ويلات الحصار المنهك ، والتفجع لشعوب منا تغص بحشرجة النصر الدامي ...

فهل هكذا نحن ؟

هل هكذا يلهينا صليل الاغلال ودقات الطبول ورنين الأجراس وفحيح النار عما يجرى غير بعيد منا لاهل لنا وجيران من نهك الحصار وكيد الشيطان وسطوة الارهاب ..

او هكذا نحن لا نبالى مصارع البغى وضحايا الطاغوت في مسيرتنا العمياء على الرمال المتحركة الى سراب الامان ، لناخذ دورنا على قائمة الانتظار للملهاة الشيطانية الفاجعة ؟

من قديم تعاقب علينا الطغاة من رومان ويونان وصليبيين وتتار ، ومد لهم الزمان في طغيانهم ، وبقينا نحن نحن لم نغب لحظة عن مجرى الاحداث ، وهلكوا كما هلكت جبابرة قبلهم(هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا) ؟

من قديم كذلك ، تجمعنا الاحزان والمحن على القرب والبعد ، اكثر مما تجمعنا الافراح والليالى الملاح ، وقد يكون لهذه الظاهرة الاجتماعية اسبابها الغائرة في اعماق وجودنا التاريخى وما شهد على مساره الطويل من تعرضنا لملاجم الاهواء والمطامع الجامحة على اختلاف اشكالها والويتها وتطور اسمائها واسلحتها ، من هجمات الرعاة الهكسوس الى اجتياح استعمارى رومانى ويونانى ، ثم احتلال عسكرى اوروبى تصدت له الامة بالرفض والمقاومة في معارك التحرير الباسلة على امتداد شرقنا العريق من اقصى المغرب الى اقصى المشرق ، فكان ان جرى عليه قانون التطور فاستحدثت له الشرعية الدولية الامريكية في السياسة المعاصرة ، مبدا نجدة المستضعفين من الاصدقاء والحلفاء ، لم يلبث ان اتجه الى مساومة على سراب الأمن يتقاضانا افدح الاثمان ....

اقول : قد يكون لظاهرة تجمعنا في المحن والاحزان عللها الغائرة في اعماق وجودنا التاريخى ، ثم لا يمتنع ان تختلف صور التعبير عنها ، وان تتظاهر الشواهد لغلبة الحزن على مزاجنا العام في مواويلنا الحزينة وامثالنا الشعبية السائرة ، وفي احتفال تراثنا بالمراثى والبكائيات كما لم يحتفل بفن اخر من فنون القول : جمعا ورواية وتدوينا وتناقلت الاجيال على مر الزمان بكائيات شعراء الامم والدول الخالية والشعوب والجماعات المقهورة ، من قديم العرب البائدة الى بكائيات سقوط بغداد وضياع الاندلس واغتصاب فلسطين ، تشجينا على تنائى الابعاد وتطاول الاماد ...

ولقد يعرف المسلمون كافة من ظواهر التراحم بينهم المشاركة في الصلاة على

الموتى وتشييع جنائزهم وليسوا من ذوى رحمهم . ويعلمون من السيرة النبوية ان المجتمع الاسلامى الاول عرف المآتم العامة للشهداء وذوى الاقدار من اعلام الامة ، وقد بلغ من حزن النبى عليه الصلاة والسلام وحزن اصحابه جميعا على وفاة ، السيدة خديجة ام المؤمنين الاولى ، رضى الله عنها ، ووفاة ، ابى طالب ، عم المصطفى وكافله ومانعه من قومه ، ان سمى عام وفاتهما عام الحزن .

وفى السيرة النبوية والطبقات الكبرى لابن سعد ، من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ـ وقد مر الركب النبوى بقرية الابواء فى عمرة الحديبية سنة سبع من الهجرة ـ قال : خرج النبى صلى الله عليه وسلم وخرجنا معه حتى انتهينا الى المقابر فامرنا فجلسنا ، ثم تخطى القبور حتى انتهى الى قبر منها فاصلحه وجلس إليه فناجاه طويلا ثم ارتفع صوته ينتحب باكيا فبكينا لبكائه ، ثم اقبل علينا فتلقاه عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، فقال : ما الذى ابكاك يارسول الله فقد ابكانا وافزعنا ؟ فاخذ صلى الله عليه وسلم بيد عمر ثم اوما إلينا فاتيناه فقال : (افزعكم بكائى ؟ ، فقلنا : نعم يارسول الله . فقال ذلك مرتين او ثلاثا ثم قال : وإن القبر الذى رايتمونى اناجيه قبر امى امنة بنت وهب ، وإنى استاذنت ربى فى زيارتها فاذن لى .)

وفى رواية لمسلم فى (الصحيح ، انه قال : (ادركتنى رحمتها فبكيت .)

اجهش بالبكاء عليها وهو فى الثامنة والخمسين من عمره ، وقد طواها الثرى فى الابواء قبل ان يكمل السابعة من عمره ، عند مرجعها به من رحلتهما الى يثرب لتزيره قبر ابيه الثاوى هناك ، قد ادركته المنية شابا ، وتركها عروسا فى الاشهر الاولى من حملها بوحيدهما اليتيم الهاشمى .

وبكاها معه كل من كان فى الركب النبوى من المهاجرين والانصار ، ولعل اكثرهم لم يكن قد ولد حين توفيت بالابواء قبل اكثر من نصف قرن .

وما نزال على العهد بنا من قديم الزمان نتراحم فى الكروب ونتفجع لما يلم باهلنا وجيراننا من محن وكوارث فإن تكن . جوائح المرحلة قد افرزت دواهيها ما يبدو للرؤية القريبة من تقاطعنا واوقدت بيننا سعار الفتن ، فذلك ما قد يصدق على الاحزاب المتناكرة والنظم والحكومات تحت ضغط النوازل واحكام الضرورات ، دون ان يتجاوزها الى ما بين شعوب الامة من اواصر القربى ، وما رسخ فى ضميرها ووجدانها من منهاج السلوك للامة فى تراحمها وتواصلها وتعاطفها . وفى الصحيحين من حديث المصطفى عليه افضل الصلاة وازكى التحية : (ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى .)

وكنت على نية الانتظار بشهادتى للعصر الى اليوم الثامن عشر من يونية القريب ، لكن حدث ان مررت منذ اسبوع على المركز الطبى للاهرام ، فى مراجعة دورية لطبيبى الصديق ، الدكتور بكرى شريف ، الذى احظى برعايته فى فترة نقاهة طويلة صعبة مثقلة بالاحزان والهموم . فسمعته بعد اجراء الكشف علىّ ، يقول فى حيرة بين التساؤل والاشفاق ، وهو يتكلف ابتسامة حزينة :

الضغط تسعون على خمسين .. النبض اثنان واربعون .. لابد من راحة ..

ودعته شاكرة وانصرفت الى مكتبى غير بعيد من المركز الطبى ، وليس فى خاطرى جواب عن تساؤل طبيبى الحكيم ، سوى كلمة طالما سمعتها تتردد فى مدرستى الاسلامية عن شيوخها السلف النبلاء ردا على من يشفق عليهم من مواصلة الدرس والمجاهدة على كبر السن ووهن القوى : « مايدرينى ؟ لعل الكلمة التى فيها خلاصى ، لم اقلها بعد » ..

ودخلت هذه الكلمة فى مأثورات المدرسة الاسلامية ، لمبادىء سلوك علمائها ، فما نحتاج الى نسبتها الى فرد منهم بعينه ..

ولبثت يومى كله ، واياما بعده ، اردد كلمة شيوخنا النبلاء فلا اكف عن تساؤل : استريح ؟ كيف ، ولعل الكلمة التى فيها راحتى لم اقلها بعد ؟

وانى لمثلى ان تستريح ، وعالم اليوم لايشغله شاغل مثلما تشغله خطر تحديات الاسلام ، ومطاردة الاسلاميين والاخذ بشبهة الانتماء اليهم فيما لايتصور عقلا وشرعا وقانونا ، انهم اقترفوه بوصفهم اسلاميين ؟

★★★

لم اكن قد انتهيت بعد من قراءة كتاب الرئيس الأمريكي المستقبل « ريتشارد نيكسون » ، عما تواجه الولايات المتحدة الامريكية من خطر الاسلام الذى ينبغى ان تفرغ له ، بعد ان فرغت من تصفية الشيوعية ووراثة مخلفات دولته الكبرى من النفوذ والسلاح والرجال ..

اقول : لم اكن انتهيت من مطالعة هذا الكتاب ، حتى صدر احدث كتاب للاستاذ الكبير « محمد حسنين هيكل » عن (حرب الخليج ، اوهام القوة والنصر) فشدنى اليه ماكشف عنه من وثائق لما يتردد فى الافق الدولى من سبق التخطيط الامريكى لحرب الخليج ، ومازيف هذا التخطيط من شرعية دولية لخدمة ماربها ، وشعار صليبى لمعركة الصحراء ..

وقدم كتابنا السياسيون والمعلقون الدوليون ، ما لا يستهان بقيمته من تحليل شهود المرحلة لاحداث عاصفة الخليج ، ورؤيتهم الثاقبة ، من قريب ، لما وبعد العاصفة من صريح

النذر بفرض الشرعية الدولية الامريكية لتامين الهيمنة على عالم «مابعد حرب الخليج» بمواجهة خطر تحديات الاسلام وتصفية قواعد قواه العسكرية والاقتصادية والبشرية، المعروف منها وما هو محتمل او متوقع على سبيل الظن والشبهة، وفحص ماتسجل اجهزة التنصت العصرية لأسرار الحكام وخطط القادة.

من احدث ماحملته إلينا انباء اليوم التاسع والعشرين من شهر ابريل الماضي، بلاغ من واشنطن عن «ندوة غريبة في امريكا تبحث ماتصفه بخطر الاسلام في التسعينات» ترجمة «مكتب الاهرام» وقدم له بفقرة نصها :

في ظل اهتمام عالمي بالاسلام ودوره في المستقبل، والذى اصبح من الموضوعات الرئيسية التي تشغل بال الادارة الامريكية والصحافة والراى العام، نظم «المعهد الامريكي لدراسات الشرق الاوسط» ندوة حول هذا الموضوع، عنوانها (امريكا والاسلام وتحديات التسعينات) وجاءت هذه الندوة التى اختلطت فيها المفاهيم عن الاسلام وهذه التحديات، استكمالا لتوصيات «لجنة العمل الامريكية الاسرائيلية : الايباك» التي حذرت فيها مما يسمى بالخطر الاسلامي وتهديده للحضارة الغربية. واستهدفت اللجنة التحذير من الخطر النووى والكيماوى والبيولوجي الذى يمكن ان تمثله الدول الاسلامية، باعتبار ان التركيز على مايسمى بالتطرف الديني قد يهدد النظم في دول الشرق الاسلامي، بينما يهدد امتلاكه للسلاح النووى الحضارة الغربية ..

واجهدنى التتبع لما في هذه الوثيقة عن مكايد حلف الشيطان، فاودعتها في ملف وثائقي ومدوناتي لشاهدة عصر، غداة نصح لى طبيبي الحكيم بضرورة الراحة، فاحاول الانصراف عما انفر منه بطبيعتي من صخب السياسة

الدولية ، وحصر رؤيتي في افقنا القريب للعالم الاسلامي مشرقه ومغربه ، فتلقاني مشاهد مروعة لاحتفالات النصر الدامي في « سراييفو » وامثالها ، توشك ان تتحول الى ماتم فاجعة ، والانباء تترى عن المجازر الرهيبة والحروب الاهلية الحاصدة ، من الجزائر والصومال والقرن الافريقي الى المشرق الاسيوي ، فياخذني الرعب لما اسمع واشهد من مصارع القتلى وحصاد المجاعات ، وكاني اطلع على اهل الكهف واتلو من ايتهم قوله تعالى :

(لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا وملئت منهم رعبا) ...

واحاول الفرار منهم وانهم لمن جيراننا واشقائنا ، لاصبح وامسى على ماتذيعه اجهزة الاعلام عن الصدام المفروض على المنطقة العربية بين الشرعية الدولية الامريكية لتقرير مصيرنا في عالمها الجديد ، وبين ماندمله من تبعات رشدنا وتكاليف الوعي بامانة انسانيتنا ، تاخذنا فيه الصيحات من هنا وهناك وهنالك الا نقحم الدين فيما لاشان له به من امور الدنيا وسياستها وشرائعها ، وهذه صياغة تزيف العصرية لما هو رجع صدى للمبدا الروماني القديم : « دع مالقيصر لقيصر وما لله لله » وذلك مالايجوز على امة تدين بان قيصر وكل ما لقيصر ولغير قيصر ، لله عز وجل ، فكان ان اسفرت وجوه علمانية عن دعوة الى تنوير يحذف من الدستور المادة التي تنص على ان الاسلام ديننا ، واستبعاد مايتعلق بهذه المادة من قوانين ولوائح ومؤسسات ..

فلماذا لايبشرون بمثل هذا التنوير الضال في دول غير اسلامية ، ويعطلون به بعثات التبشير الديني ومؤسساتها المبثوثة في طول الديار الاسلامية وعرضها ؟!.. يسوغ في منطق المبشرين فينا بهذا التنوير العصري الشائه ، ان يدين من شاء بغير الاسلام فلا يدخل في مجال نشاطهم ، كما لايدخل في النطاق المحدد بقانون الشرعية الدولية لمطاردة الاسلاميين ، واخذهم بشبهة الانتماء الى الاسلام ، تدس عليهم من ليس منهم ، وتنسب اليهم الاتهام بجرائم يمحقها الاسلام شريعة ومنهاجا ، ويعلم المسلمون كافة ، انها من الحرام البين ..

ونشا عن هذا الخلط بين العلمانية والتنوير ، بين الشرعية الدولية وتطويعها لمآرب امريكية صهيونية ، بين الاسلام وما ليس من شريعته ، بين الغيرة على الدين ومفرزات المرحلة من ظواهر الارهاب والحرابة والعنف العدواني ، اضطراب في موازين القوى وموازين القيم ، التبست فيه العصرية بذرائع المسخ والتشويه ، كما التبست الرؤية السياسية لنوازل المرحلة ، بالرؤية الفكرية بابعادها المترامية ، فيما نسمع من حظر تدخل الدين فيما لايخصه من شئون السياسة والحرب والمال .. وذلك ضلال بعيد ...

(والسلام على من اتبع الهدى ..)

صدق الله العظيم

الأهرام
وزارة الثقافة والإعلام
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢١ / ٥ / ١٩٦٢

شاهدة عصر .. ٢

قضايا وآراء

د. بنت الشاطىء

القيم فى موازين القوى بين ماض وحاضر

الحدود والمواقع بين التواصل والتمايز

علمونى فى مدرسة البيت من صغرى ، ان اعرف حدى فاقف عنده لا اتجاوزه : اتعجل امرا فيقال لى : ليس هذا وقته ، واطلب شيئا بعد وقته فيقال لى : فات اوانه ، واتعلق بثوب يعجبنى فيقال لى : ليس على قدك . ونقضى عطلة الصيف فى ريف المنوفية ونروح الى الغيط فيكون اول ما اتعرف عليه الحدود الفاصلة بين ارض لنا واراض لجيراننا فيما يلى من الحد الشرقى والحد الغربى ، والحد البحرى والحد القبلى ..

ولم اكن فى شىء من ذلك ومثله اشعر باننى اتلقى دروسا ومواعظ بل هو التنبيه الى ما ادركه بفطرتى تلقائيا بمجرد التذكير به مع ما اشاهد من سلوك الاهل : نلبس الزى المناسب لنا ونعيش على قد حالنا ونعرف حدودنا فلا نتطاول الى مالا ينبغى لامثالنا فى ظروفنا ومستوانا . والمجتمع من حولنا يغض ممن يتجاوز حده . وتجرى على الالسن فى الدور والطرقات والمجامع الامثال السائرة والمأثورات فى التندر بعجوز يتصابى ، شايب وعايب ، وايش تعمل الماشطة فى الوجه العكر ، والشىء فى اوانه لايعاب ، وعلى قد لحافك مد رجليك ، والشىء اذا جاوز حده انقلب الى ضده ..

وكبرنا وكبرت معنا الحدود فى السلوك نلزم فيه حد الادب وحدود الشريعة فى المواقيت والاماكن لما كان من تكاليف الشرع مقيدا بزمان او مكان او نصاب ومقدار وفى حدود الله فى العلاقة الزوجية وبين . الابناء والاباء وذوى الرحم والقربى وفى المعاملات والاقضية والاحكام والشهادات (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) وفى الاداب الشرعية للسلوك فى الماكل والمشرب والملبس والزينة . فى الخلوة وفى الجماعة ..

ومع ادراكنا لدقة الحد وحرمته ، كنا نسمعهم يقولون كذلك ؟ خذ الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق ، ومن جاور الحداد انكوى بناره . فنفهم ذلك بالمشاهدة لما تتعرض له دار بتصدع جدار ، لجار وما ينتقل الى زراعة من افات فى زراعة مجاورة وفى العدوى تنتقل من مريض الى مخالط او مجاور ، كما نفهمه من حرص الاهل على كرم الجوار وطيب الرفقة والحذر من جار السوء وتحاشى السكن فى دار مجروحة من مطل عليها للجيران من نافذة او شرفة ، وما يجرى على السنة العامة من امثال فى الطيور على اشكالها تقع وشبيه الشىء منجذب اليه والوحدة خير من جليس السوء

دون ان تتماحى الحدود بهذا التاثر او تتعطل وظيفتها فى التمييز بين متجاورين والفصل بين متنازعين ..

• • •

واعاننا ذلك على مانتلقى فى المدرسة الاسلامية من علوم يبدا درس كل علم منها وكل مبحث ومطلب ، بحدود تعريفه لغة واصطلاحا . ثم مازلنا مع الحدود فيما نتعلم من الحد المنطقى الجامع المانع والحد الجامع غير المانع وعكسه ، حتى تاهلنا فى الدراسات العليا لادراك مصطلح علمائنا الشيوخ رضى الله عنهم فى مصطلح الكلاميين والاصوليين للدلالات والادلة ومصطلح علماء الاحكام فى تعدد الادلة وفى الترجيح والاستحسان وما للراى والاجتهاد فيه مجال . ومصطلح علماء الحديث فيما تعددت فيه الروايات .

• • •

وارانى اطل على الحياة العامة لامتى من موقع الفكر الاسلامى الذى وجهتنى اليه فطرتى ونشاتى ومدرستى فلا انفك التمس حدود هذا الموقع متصلا بالمواقع الاخرى لوجود الامة مع الادراك لتمايزها بخصوصيتها لايجور عليه اتصالها بسائر المواقع

اجهزة الاعلام العصرية المتطورة تاتينا بانباء اللحظة والدقيقة والساعة . والاعلاميون المدربون الثقات يتبارون فى معرفة ملابساتها والتعليق على مايكشفون من تفاصيلها ومحجوب دوافعها وسرعة تنقلهم وراء الاحداث حيث تقع فى اى اطراف الدنيا مشارقها ومغاربها وشماليها والجنوب

ونتوارد جميعا على هذه الانباء يشغل كل منا بما يختص بموقعه

ويمعن النظر فى فحصه ومقابلته بالاشباه والنظائر او بالاضداد ويمد البصر الى نطاق التواصل بينه وبين سائر المواقع بما لايزوغ منه البصر ويضلل الرؤية

• • •

ولقد لبثت زمانا ارصد احداث العصر من موقع الفكر الاسلامى الذى ارابط فيه فارى العامل الدينى يلقانى حيثما نظرت وانى اتجهت يستقطب العوامل الاخرى فى تفاعل مؤثر فيعطى تاريخنا تفسيره ومنطقه . دون ان يغض من شان اى عامل منها . وجعلني ذلك فى حاجة الى النظر فى العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية والاعلامية من حيث صلتها بموقع الفكر الاسلامى . ولم استغن عن الرجوع الى اساتذة القانون كاستاذنا الجليل المغفور له الدكتور عبدالرزاق السنهورى فى دور الصهيونية فى اسقاط الخلافة العثمانية والاساتذة الدكتور محمد حلمى مراد فى السياسة الحزبية والقانون والدكتور محمد توفيق الشاوى فى الشورى والاستشارة بين الشريعة والدستور الوضعى ، والدكتور محمد سليم العوا فى الازمة السياسية والدستورية فى مصر فى زماننا هذا ، وفى محفوظاته القانونية لمراحل قضية الدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية والرجوع الى الدكتور جمال حمدان فى كتابيه عن (شخصية مصر) و (استراتيجية الاستعمار والتحرير) .

وسائر ماوصل الى مطبوعات المرحلة

• • •

وطوفت بالافاق من شرق وغرب القى علماء الاستشراق من مختلف الملل والنحل والمذهبيات واستكمل مافى خزانتى من منشورات المستشرقين عن الاسلام وفتوحه الكبرى وحضارته وماشوه المتعصبون من تاريخه وزيفوا من تفسيره

كل هذا واضعافه معه وما استقصيت الشواهد على رؤيتى للاسلام فى موازين القوى

حتى دارت بنا حرب الخليج وعاصفة الصحراء ومابعد العاصفة فاضافت الى رؤيتى هذه ابعادا غفلت عنها فيما مضى . منها ان الموقع الواحد من مواقع الوجود الحيوى للامة لا يستقل برؤية موحدة بل تتعدد مواقف المشاركين فيه وليسوا جميعا سواء فتختلف رؤيتهم للموقع باختلاف انماط شخصياتهم وتفاوت عقلياتهم ومذاهبهم واساليبهم . وذلك ماينبغى ان يؤخذ فى الاعتبار ليتسع مجال الرؤية لمختلف المواقف فى الموقع المشترك دون مطالبة احد بالخلط بين رؤيته ورؤية غيره او بان ينظر بعينيه ضد سنن الفطرة وطبيعة الاشياء

افهم مثلا ان يكتب كاتب سياسى محقق رؤيته لاحداث المرحلة من موقع اختصاصه ، فتختلف بالضرورة عن رؤية من يشاركونه فى رصد هذا الموقع فضلا عن اخرين من مواقع اخرى ، ليس لديهم مصادره ووثائقه واتصاله الوثيق بالقادة والساسة فى مراكز صنع القرار

قد اخالف الكاتب السياسى فى رؤيته للحدث لكنى لا اهون من شانها بل اقدر ما قدم من وثائق شاهد رؤية لاغنى عنها لمن يرصدون تفاعلها مع سائر العوامل فى المواقع المنوطة باختصاصهم وتتكامل جهود شهود الوقت من قريب وتودع فى ذاكرة التاريخ تتعاقب الاجيال من الدارسين النقاد على فحصها ومقابلتها وتمحيصها لتاخذ موضعها من مسيرة الامة بين ماض وحاضر استبصارا لمنطق الحتمية التاريخية فيما يتوقع من عواقب الاحداث وملامح الغد

• •

من حرب الخليج وعاصفة الصحراء وما بعد العاصفة ، تنبهت كذلك الى ان العبرة كانت دائما لموضع القيم فى موازين القوى ذخيرة الشعوب فى نضالها الباسل عن وجودها الحر الكريم لاتكسرها اسلحة متطورة وجيوش كثيفة مدربة ، ولا يسقط وعيها تمويه الذرائع ولايسرى عليها قرار شرعية دولية امريكية بحشد القوى لحتمية المواجهة لتحديات الاسلام لعالمهم الجديد !

• •

على هذه القيم اركز الرؤية من موقع الفكر الاسلامي فالمح بوادر ماكرة لملهاة سيناريو لوس انجلوس وهوليوود وكاليفورنيا والى تحريك التشكيلات لوفودنا على الرقعة الغامضة من مدريد وواشنطن الى روما وبروكسل واوتاوا ولاهاى وفيينا ، فالى واشنطن ومنها سعيا وراء اوهام السلام فما ادرى اهى غفلة من مراكز القوى عن ذخيرة الاسلام من القيم ، ام هى من ذرائع التمويه تستدرجنا الى مصايد الطاغوت ؟

• •

قصارى مايبلغه مد بصرى وقد وهن العظم منى واشتعل الراس شيبا هو ان امعن النظر فى مصاير نظم وقادة وحكام من كابول الى بلجراد وموسكو وتيرانا تعلقوا بمراكز قوى تصدعت وتزايلت فهلكوا واتلو من ايات ربى

« وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا ؟! »
صدق الله العظيم□

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ٢٨ / ٥ / ١٩٩٣

شاهدة عصر ٣

د . بنت الشاطىء

الأصالة والأصوليون بين أمس واليوم

ايام زمان لم يكن لاهلنا ما يعتبرون به فى موازين الناس قدر الاعتبار بكرم الاصل ، متى قالوا ، ابن اصل ، اتجه إدراكنا بالفطرة الى عز العراقة وطيب المنبت وكرم السجايا ، وفهمنا ان مثله يعف عن الدنايا وخوارم المروءة . ومتى قالوا فى أخر : عديم الاصل او قليل الأصل فذلك اقسى مايوصم به وضيع من الخسة والدناءة . ولم نكن فى هذا الادراك الفطرى المبكر نشغل بالسؤال عن الاصول والانساب ونحن نرى قومنا ينظرون فى الاصيل الى مكارم الاخلاق ونبل السجايا، وفى عديم الاصل الى خبث الافعال ودناءة الطبع .

ثم لما وعينا اية الحجرات :

(يايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم)

اتسع إدراكنا لموازين القيم وما اوجبه دين الفطرة من ضرورة حفظ الانساب حتى لاتختلط الاصول وتتشابه القرابات والارحام وتتعطل احكام الشريعة فيما يتعلق بالانساب كتحريم الزواج من المحارم والمواريث وان يدعى احد لغير ابيه او ينتمى الى غير اله وقومه .

وتعلمنا فى مدرسة النبوة ان الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام . واصغينا إلى السيرة النبوية تبدا بسياق النسب الزكي لأبائه وامهاته صلى الله عليه وسلم وما كان من اعتزازه بطهر منبته وكرم اعراقه ، فى مثل الحديث المشهور عنه صلى الله عليه وعلى اله وسلم قال : لم يزل الله تعالى ينقلنى من الاصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة لاتتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما ؟ فقدرنا ما اشتهر عن ابائنا واجدادنا من

الأهرام
مركز الدراسات والمعلومات
قطاع خدمات المعلومات

الحرص في المصاهرة على كرم الاصول وطيب المنبت . ومع الاعتبار بالقيم الاسلامية في المساواة والتفاضل : ان: اكرمكم عند الله اتقاكم ، فيقول الشاعر الرياشي لبنيه يذكرهم بسابق فضله عليهم بالوالدة التى اختارها لهم اما :

واول إحساني إليكم تخيرى
لماجدة الاعراق باد عفافها

وربما رجعنا معه صدى من قول شاعر النيل : :

الام مدرسة إذا اعددتها
اعددت شعبا طيب الاعراق

والقران الكريم معنا يرهف وعينا بطيب المنبت بمثل قوله عز وجل : (والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لايخرج الا نكدا) وقوله تعالى : (الخبيثات ، للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات)

★★★

ورسخت قيمة الأصالة في وعي الناس يغضون من محدث النعمة ، غني حرب ، وممن ينسى اصله (من فات قديمه تاه) ومن تزيي بغير زيه وادعى ماليس له كالصلعاء (القرعا تتباهى بشعر بنت اختها) وسالوا البغل من ابوه ؟ فقال : ، الحصان خالى ،

وتقدمت خطاى على الطريق طامحة الى غاية مايطمح إليه طالب علم في المدرسة الاسلامية وهي ان يتاهل لعلم الاصول ويقرا على الشيوخ كتب الاصوليين في اللغة كمقاييس اللغة لابن فارس ، و، اصول النحو ، لابن السراج ، وصولا الى علم اصول الفقه في كتب ائمة الاصوليين من فقهاء المذاهب الاربعة والظاهرية ، فاما اصول الدين في علم الكلام فلم ياذن لنا شيوخنا في قراءة كتب ائمة الاصوليين من علماء الكلام لدقتها البالغة وصعوبتها على غير اهل الكلام الراسخين في العلم بمصطلح القوم واساليب تنظيرهم ومقاصد مباحثهم ، وإنما قراتها بعد تخرجي بزمن طويل على شيخى الاستاذ امين الخولى ، واذكر انني حظيت بقراءتي عليه نسخ التحقيق للمجلدين السادس عشر والسابع عشر من كتاب (المغنى : في ابواب التوحيد والعدل للقاضى عبد الجبار) من ائمة الاصوليين المعتزلة ، وهما في إعجاز القران ، قد امضيت ثلاث سنين في صحبة استاذى مع هذين المجلدين اثناء تحقيقه لهما بقراءتي عليه قراءة بحث ونظر ومذاكرة ، رانى شيخى مؤهلة لها بما سبق من تحقيقى معجم ، المحكم لابن سيده ، احد الاصول الكبار للعربية ، ثم تخصصى في دراسة البيان القرانى وإعجازه

★★★

على المدى الطويل قبل قراءتي لعلماء الكلام الاصوليين ، تنقلت من دمياط مهد مولدى ودار اجدادى لامي الى قرية شبرا بخوم من ريف المنوفية دار ابي واهله ، ثم نزحنا الى العاصمة بانتقال والدى من معهد دمياط الدينى الى مكتبة الازهر الشريف ، وتفاوتت بنا البيئات والاعراف والمقاييس ، وظلت قيمة الاصالة ثابتة لاتتغير ، يميز بها المجتمع هنا وهناك وهنالك وحيثما طوفنا بارجاء الكنانة ، بين الأصيل والدعى ، بين العريق والمحدث بين الصميم والدخيل ، ولا يكفون عن التنكيت ، بالبضاعة الأمريكانى ، مثلا لكل محدث رخيص ، وبالغراب يتزين بريش الطاووس . وغالوا في ثمن الأصيل ونبذ المقلد الزائف الرخيص ودخل في موازينهم للقيم ان (الغالى ثمنه فيه) وبلغ من تقديرهم لابن الأصول ان جعلوه (ابن ناس) نفيا لمن لا اصل له عن جنس الناس ، فليس عديم الأصل محسوبا من الناس !

★★★

وعلى ذلك المدى الطويل لم اعهد قومى ابناء الناس يقيسون الرجال بجاه وسلطة او ثراء ، وقد ارى الاثرياء من اعيان دمياط يوقرون علماء معهدها الدينى الشيوخ ، وعهدى بالسيد المهندس الوزير ، سليمان متولى ، ـ حفظه الله ـ حين كان محافظا للمنوفية لايفوته ان يزور والدى رضى الله عنه في دارنا

مركز الاهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ٢٨ / ٥ / ١٩٩٣

المتواضعة بريف المنوفية بين اسبوع واخر ، ويسأله صالح الدعاء .

وعهدى بمدن الكنانة وقراها عامرة بمزارات شعبية لاولياء الله الفقراء الصالحين منهم فى دمياط - وهى من المدن العريقة فى الصناعة والتجارة ومن ثغور الغزو الصليبى - حرفيون وعلماء وسادة شيوخ وشهداء، اذكر منهم : سيدى على السقا ، وسيدى على الصياد ، وسيدى المتبولى ، وسيدى الرفاعى ، والشيخ ضرغام والشيخ المتبولى وسيدى التابعى وسيدى المظلوم ، رضى الله عنهم ، يحيطون بالثغر كانهم حراس للوجدان الشعبى من البلادة والصدا ، وقلما يفوت شعوب امتنا المسلمة مغزى القيمة الاسلامية لشهود السلاطين والملوك والحكام صلاة الجماعة حيث يتخلون عند ابواب الجوامع عن مظاهر ابهة الجاه والسلطة ، ويصطفون خاشعين خلف ائمة من افقر رعاياهم ويأتمون بهم ، ويضعون الى ما ختم به الامام خطبة الجمعة او العيد بالدعاء للسلطان بالصلاح والتوفيق والنصر على الاعداء ، وان يعينه الله تعالى على مسئوليته الصعبة عن الرعية

★★★

على هذا التقدير لقيمة الاصالة وتوقير علمائنا الاصوليين جرينا على مبادىء المنهاج الاسلامى للسلوك إلى امس القريب ، حتى دارت بنا الايام وجار علينا الزمان لنصبح ونمسى فى يومنا هذا والدنيا تغلى بالاصوليين الاسلاميين كانهم جحافل التتار التى اندفعت مما وراء النهر سنة ٦١٦هـ واجتاحت الشرق الاسلامى كاعصار مارد مدمر ، فما مضت سنتان حتى كتب مؤرخ الاسلام ابو عبد الله الذهبى فى حولياته : (واستهلت سنة ٦١٨هـ والدنيا تغلى بالتتار)

ذكرنى بها غليان دنيانا بالاصوليين الاسلاميين فى أعقاب حرب الخليج ، قد تجاوز الصدام الحزبى الى خصومة عنيفة بين العلمانية والاصولية الاسلامية مازالت تستعر حتى غشى الافاق دخان من نقعها المثار ضلل الرؤية فإذا الاصولية مسئولة عن جرائم الارهاب تتجه اليها اجهزة الامن والاعلام

حيثما وقعت جريمة عنف إرهابى يهدد امن الدولة قبل ان يبدا التحقيق فيها لمعرفة ما إذا كان من المتهمين الاصوليين من يعلم من الدين بالضرورة ان الفساد فى الارض إثم كبير حقت به اللعنة على المفسدين وان الفتنة اشد من القتل (وانه من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا ...) الاية .

وضلت المقاييس فنسب الارهاب الى الدين وراجت مقولة الارهاب الدينى فى إلحاح مريب يعطل وعى الشباب بتزوير هذه النسبة الى الدين ، اى دين ، تبث فى المناخ الفكرى لهذا الزمان جرثومة فقدان المناعة المكتسبة من دين الفطرة تشويها للاصولية فى امة تؤمن شعوبها بقيمة الاصالة بما تعنى فى المفهوم الاسلامى من كرم الاصل وطيب المنبت وبها تنفى جمهرة الشعوب عن الناس من ليسوا من الاصلاء (ابناء الناس) ويوقرون الاصوليين الائمة علماء اصول الفقه واصول الدين ، ويرعون مقامات الناس بموازين القيم الاسلامية من التقوى والعلم والنبل ومكارم الاخلاق امتثالا لامر الله ورسوله عليه الصلاة والسلام فيما روى الامام مسلم فى مقدمة الصحيح من حديث ام المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها عن النبى عليه الصلاة والسلام قال : (انزلوا الناس منازلهم) .

★★★

الا ليتنا نعتبر بالتوقيت المريب لمحاولة ترويج القول بإرهاب دينى يسقط وعى الشباب بشرف انتمائهم الى دين يحصنهم بالمناعة من وباء هذا الزمان .

فى الوقت الذى تتدفق فيه اطنان المخدرات السامة من ثغورنا بما تحمل من جراثيم فقدان المناعة الحسية المكتسبة بالفطرة السوية .

والعالم يغلى بالاسلام حتى لقد بت اخشى ان لو قد وقعت جريمة إرهاب فى ركن من اركان المعمور او مجهل من مجاهل الكون لوجدت من يلقى على الاسلاميين وزرها ...

لقد امسكت انفاسى فى ليلتى البارحة وانا اسمع إذاعة لندن تذيع فى العشية نبا مصرع رجلين من فرقة سيرك رومانية بالكويت برصاص ملثمين مسلحين أطلقوه على العربة التى كانت تقل الفرقة، خشيت ان يعقب النبا تعليق دولى من امريكا بمشروع قرار دولى بضم الجريمة الى السجل المفتوح لجرائم الارهاب الدينى لكن الاذاعة استطردت تذيع انباء حرب لشعب البوسنة والهرسك تدور رحاها على ستة ملايين من المسلمين طاحنة ساحقة :

« ومانقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد »

صدق الله العظيم

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٩٩٢/٦/٤

شاهدة عصر

د . بنت الشاطىء

(٤)

« هذا نذير من النذر الأولى »

لولا ما اعرفه بحكم الزمالة الطويلة ، عن الاستاذ الكبير « ابراهيم نافع » من هدوء الطبع لعجبت كيف كتب (بهدوء) مقاله الاسبوعي لعدد الجمعة الماضى من (الاهرام) عن (محنة المسلمين فى العالم : الا من نهاية ؟) وما كنت لاديم النظر فى هذا التقرير لولا ان وعيت منه نذيرا لامتنا ينبغى الا اغفله فى مدوناتى ، شاهدة عصر ، ترجع الى المراقبين للموقع السياسى ، فيما لاسبيل لها اليه،من تحليلهم للاحداث ، ووثائقهم نها .

الاستاذ الكبير « ابراهيم نافع » فى مقاله « الوثيقة » عن (محنة المسلمين فى العالم) بعيد النظر ثاقب الرؤية ، يمد البصر من معركة إبادة مسلمى البلقان ، موصولة بحرب الخليج ، لابد ، واصلة الى ابعادها ومراميها ومآربها من (مسلمى العالم) قبل ان تواجه امريكا ويهودها ، تحديات الاسلام لعالمهم الجديد .

المقال الوثيقة ، منشور فى صفحة كاملة من اهرام يوم الجمعة الماضى ، اذكر به من لعلهم طالعوه على عجل ، فغاب عنهم النذير ، وشغلهم عن وعيه شواغلنا وماسينا ، فى زمان شعار الدولة فيه : (ليس فى الامكان ابدع مما هو كائن الا ما سوف يكون فى المستقبل المشرق لحاضرنا البديع) !

اذكر قومى به ، ثم لاانقل منه سوى فقرة من الرؤية الثاقبة لمتجه الاحداث ، والقائمة الاولى من حصاد هذه الجولة من حرب الابادة لمسلمى البلقان والتدمير لمعالم الشخصيه الاسلامية لعاصمتهم « سراييفو » .

(بهدوء) كتب الزميل الكبير الاستاذ رئيس تحرير الاهرام ، فى مقدماته لهذه القائمة الاولى من الحصاد المشئوم :

فى ظل غياب الدور الاسلامى والعربى عن الساحة الدولية بعد حالة التمزق التى اصابت العالم العربي والاسلامى فى اعقاب حرب الخليج وانهيار الاتحاد السوفيتي وانفراد الولايات المتحدة الامريكية برياسة العالم عسكريا واقتصاديا وسياسيا .. يعيش المسلمون الآن محنة حقيقية ، ليس فى يوجوسلافيا وحدها ـ حيث تدك مدافع الصرب والكروات مدن وقرى جمهورية البوسنة والهرسك ، المسلمة ليل نهار فتشرد نحو مليون مسلم وتقتل نحو ثلاثة عشر الف مسلم ـ ولكن فى سبع وثلاثين دولة يتعرض فيها الآن ، حسب احصائيات المنظمات الدولية ، نحو عشرة ملايين مسلم للطرد والذبح والقتل والتشريد .

والمحنة التى يتعرض لها المسلمون فى البوسنة والهرسك ، نموذج صارخ لمحنتهم فى الدول الاخرى لان مايجرى الآن جهارا نهارا تحت سمع وبصر العالم فيها ، ماهو الا حملة شرسه بالحديد والنار لطمس الوجود الاسلامى فى شبه جزيرة البلقان كلها ... وازعم ، ومعى المراقبون السياسيون ، ان الهدف من هذه المذابح وعمليات الابادة الجماعية

للمسلمين هو ضرب الاسلام حتى لاتقوم له قائمة في اوروبا ، بوصفه - كما يزعمون ويروجون - الخطر الاكبر الذى يهدد الحضارة الغربية ، والمارد الذى خرج من قمقمه ليلتهم كل مابناه الغرب من حضارة وديمقراطية وتقدم ، كما تروج « الميديا » الصهيونية المنتشرة في كل عواصم الغرب ، مستغلة في ذلك بكل براعة ، صورة قلة من النظم الحاكمة والجماعات السياسية التى ترفع راية الاسلام وتمارس باسمه تصرفات متعصبة وحمقاء لكى يحرضوا ساسة الغرب ضد كل ماهو مسلم باعتبار ان الانسان المسلم - كما يقولون ويدعون - ماهو الا ارهابى متخلف ، وهذا مايفسر الحملات في الصحف والاذاعات والمحطات التليفزيونية ومراكز توجيه وقياس الراى العام ، وفي المدارس والجامعات ، ضد الاسلام والمسلمين . ابتداء من واشنطن ومرورا بباريس ولندن .. ونهاية بمانيلا ، ومروا برانجون في بورما حيث شردوا اكثر من مليونى مسلم هربوا من حملات الذبح الجماعى والطرد من الوظائف والمساكن والاغتصاب لحرمات النساء المسلمات .. ! !

وهذه هى (القائمة الاولى لحصاد حرب الابادة والتدمير) الى يوم كتابة المقال (بهدوء) قبل اسبوع واحد من يومنا هذا :

(١) تدمير ٨٠ مسجدا في جمهورية البوسنة والهرسك

(٢) قصف الادارة العليا للمسلمين في البلقان بالصواريخ ، ومقرها سراييفو العاصمة

(٣) تدمير مسجد البيك في سراييفو ، وهو اكبر مساجد البلقان ومن اقدم المساجد في اوروبا كلها .

(٤) تدمير جميع المساجد في منطقة « نوتشا » ورفع علم الصرب فوق مآذن المساجد عند احتلالها .

(٥) قصف مسجدى علاء باشا وامين بك بالصواريخ ، ونهب كل الآثار والمخطوطات والكتب الاسلامية والمصاحف التى لاتقدر بثمن

(٦) تدمير مسجد (كاراجور) الشهير الذى اقيم في القرن الخامس عشر ، ويدخل في المعالم التاريخية التى تشرف عليها اليونسكو

(٧) هدم عشرات المزارات الاسلامية والتكايا والآثار العريقة في منطقة « موستار »

(٨) تفجير مسجد اثرى في مدينة « شابلينا » عن طريق شحنات متفجرة بالتحكم من البعد اثناء اقامة الصلاة ، ومصرع كل من فيه وهم بين يدى الله .

(٩) منع الاذان والصلاة فيما تبقى من بيوت الله ، وعلى الخصوص صلاة الجمعة .

(١٠) تشريد نحو مليون مسلم حتى الآن ، من البوسنة (الهرسك) .

[ان نظرة مدققة على هذه القائمة الاولى للمناطق التى تم تدميرها ، تكشف عن انها قد اختيرت بعناية ، من المواريث الرمزية والتاريخية الاسلامية هناك ، فحرب الابادة تريد تجريد الذاكرة الجماعية لشعب البوسنة والهرسك ، من رموز الهوية والانجاز الحضارى الذى نشا عن الفكر والعقيدة الاسلامية ..]

★ ★ ★

هذه قائمة اولى للحصاد المشئوم لحرب الابادة والتدمير ، ولا تزال مفتوحة حتى يجاب عن السؤال في عنوان المقال الوثيقة : [محنة المسلمين في العالم ، الا من نهاية ؟]

واسال معه : اليس في القدر الذى نقلته هنا انفا من المقال الوثيقة ، نذيرا صادعا بوشك نهاية حتمية بمقتضى السنن الثابتة لعواقب مانحن فيه ؟

لو لم تكن كذلك لكان الامر متروكا لعشوائية الصدف وبغتة المفاجآت ، خلافا لما يوقن به الاصوليون من ان المشيئة العليا لاتتعلق بنقض ثوابت سننه تعالى في الاسباب والنتائج ، في

المقدمات والعواقب . وقد قال عزوجل في آيات الاعتبار بمن قبلنا :
(فهل ينظرون إلا سنة الاولين ، فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا)

....

بهذا اليقين بحتمية الاسباب والعواقب ، اعى النذير في القلق الوثيقة ، فالمح نذر النهاية لهذه الجولة الشرسة ، حين لاتجد نار الحرب المشئومة مايغذوها من فلول المسلمين واطلال مساجدهم وديارهم ، حيث لايجدى عندئذ الف قرار دولى بردع السفاحين المتحضرين ، وحين لاتجد البعثات الطبية اى عمل لهامع اشباح الموتى واشلاء القتلى ، ولاتجد نجدات التبرع بالغذاء ، مجالا للاسعاف بين الخرائب والاطلال ...

★ ★ ★

واما مابعد هذه الجولة المكشوفة ، فاذا كان لدى ما اضيفه الى القائمة الاولى لحصادها المشئوم ، فذلك مااحتاج الى التمهيد له بتاكيد إقرارى الجهير بانني لست من اهل السياسة التي انفر منها بطبعي ، ولم اشارك يوما في اى حزب من احزابها ، وكل ماشاركت فيه من المجالس والمؤسسات الوطنية الحكومية ، كاللجنة التحضيرية ومؤتمرها للقوى الشعبية ، والمجلس الاول لمحافظة القاهرة - انما كان بالتعيين بصفتي ممثلة لجامعة عين شمس ، وليس بالترشيح والانتخاب .

إنما انا ربيبة شيوخ ميراثا ونشاة وتربية ، طالبة علم في المدرسة الاسلامية . ومن موقع الفكر الاسلامي الذى ارابط فيه منذ وعيت ، اطل على ابعاد مابعد الجولة الاولى لمحنة (مسلمى العالم) فأرانا قد اعفينا ، الميديا الامريكية ، من معركة اخرى ، بعد ان حققت ماربها بإبادة شعب البوسنة والهرسك وتدمير اثار الوجود الاسلامي هناك ، مابعد هذه الجولة المتحضرة المسعورة ، متروك لنا نحن ، بغفلتنا عن الموقع الفكرى الاسلامي ، يعيث فيه دعاة تنوير موكلون بمهمة طمس معالم وجودنا الاسلامي ، وتشويه قيمه ومبادئه ، واخرون منهم موكلون بترويج بضاعة الجنس والجريمة في اخبث صورها واحط اساليبها ، مع عملاء مدربين على الافلات من حراس الحدود وحماة الثغور باطنان من مخدرات يغرون الشباب بتعاطيها ثم يتركون للادمان اسقاط وعيهم الحسى باستدراجهم الى الخلاص من افيون الدين ، والهجرة عن عالمنا الموبوء تمنحهم رقية سحرية بالهروب من اوبئة الاحباط والقهر والعار ، والمجاز الموصل الى الفردوس المفقود ..

واجهزة الامن مشغولة عن حملة جرائيم فقدان المناعة المكتسبة من الفطرة السوية ، بمطاردة من تستريب في (اصوليتهم وإسلاميتهم) واجهزة الاعلام تتبارى في التحذير من الارهاب الديني للاصولية الاسلامية في المشرق والمغرب ، يسقط الاعلاميون بذلك التحذير من الارهاب الاسلامي ، وعى الشباب بزيف نسبة الارهاب الى دين يحظر الاكراه في الدين ويمحق الفساد في الارض وينهى عن الفحشاء والمنكر .

ومنابر الصحف الرسمية ، وواجهات الصوت والضوء ، مباحة لادعياء العصرية اعداء الاصالة والاصوليين ، يلوثون مناخنا الفكرى الاسلامي بمقولاتهم الخاسرة ، ويبشرون فينا .. بتنوير عصرى يحررنا من خدر الافيون ويستهزئون بالتدين والمتدينين ، ويسخرون من قيم اسلامية يرونها من حفريات زمان عبر ..

★ ★ ★

واتلو من آيات كتابنا المحكم ، بلاغا للناس في هذا الزمان :
(هذا نذير من النذر الاولى . ازفت الازفة ليس لها من دون الله كاشفة . افمن هذا الحديث تعجبون . وتضحكون ولاتبكون . وانتم سامدون . فاسجدوا لله واعبدوا .)
صدق الله العظيم

الأهرام
وزارة الشئون والتخطيط
قطاع ندوات المعلومات
التاريخ : ١١/٦/١٩٩٢

شاهدة عصر ٥

د . بنت الشاطىء

فى عيدنا الكبير :
أتحدث عن عيد الأم

تتوالى الاعوام والقرون وتتعاقب الأجيال والعصور ، والتاريخ مشدود الى مشهد حشود الحجيج ، يسعون الى البيت العتيق محرمين متطهرين خاشعين للتين ، قد تجردوا من كل زينة وجاه وزهو ، وطرحوا عنهم مايتفاخر به الناس من ازياء والقاب ومراتب ومناصب ، وتخففوا من الثقل المادية التى تشد روح الانسان وتخنق فيه هيامه الفطرى بالحق والخير والجمال ..

وجاءوا بيت الله فى زى الاحرام المتماثل ، قد تماحت بينهم فروق الاجناس والعناصر والالوان والطبقات والدرجات ،

واستوى الملوك والرعايا

واستوى الامراء والدهماء ،

واستوى الرؤساء والاتباع

فليسوا جميعا سوى عباد الله عز وجل لايتفاضلون الا بالتقوى

وتتجلى فيهم ولهم ، ايته المحكمة : (يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ..)

يمحق بها الدين فى ختام رسالاته ، ماسى التفرقة العنصرية وجرائم الاضطهاد المذهبى ولعنة الاكراه فى الدين ، ويمسخ التصنيف الدولى لعالم اول وثان وثالث ، بين سادة وعبيد ....

وفى حرم البيت العتيق ، يعلو هتاف مليونى مسلم ، يشهدون الموسم هذا العام

لبيك اللهم لبيك
لاشريك لك لبيك

ان الحمد والنعمة لك والملك ،
لاشريك لك

يصدع كبرياء ، الجبابرة ، ويؤرق اعداء الانسان اوثان هذا الزمان : (يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)

***

وعلى المدى مد البصر ، تلوح للرؤية الثاقبة معالم تاريخ عريق ، تصل الحاضر المشهود بالماضى البعيد . ويريد الله تعالى ، له الحمد والمنة ، ان تكون ايام تاريخنا الدينى اعيادا لنا جامعة على تنائى الأبعاد والآماد ، تذكرنا بما بين شعوب امتنا من وحدة وجود ومصير ، وتحمى ذاكرة الاجيال المتعاقبة من افة النسيان ، وتتحدى ذرائع التضليل التى ما انفكت تحاول مسخ قيمنا وتزييف تاريخنا ، طمسا لشخصية الامة

ولقد مرت بها على المدى الطويل نوازل صعبة ومحن عصيبة ، دون ان تتخلف عن الاحتفال باعيادها ومواسمها الدينية ، تتزود منها بما يعينها على مقاومة دواعى الاحباط والقنوط

ولكل زمان عبرته ، ولكل عصر شهوده يرصدون مايتعرض له وجودنا العريق من محاولات الطمس والتزييف . ويأتى العيد الكبير لهذا الموسم الجامع ، وامتنا قريبة عهد بذكرى كارثة يوم خامس يونية المشئوم - سنة ١٩٦٧م - وما اعقبه من جولات الصراع المحتوم بين الامة وطاغوت هذا الزمان ، على الساحة الكبرى للعالم الاسلامى مشرقه ومغربه ، وكابدت الامة ما كابدت من ويلات الحروب الساحقة والفتن الحالقة ، ولم تفرط فيما شرع لها الدين القيم من احياء اعيادها التاريخية الدينية ، والاحتفال بها على ماشرع لها الدين من شعائر ، غير متروكة لزيغ البدع وعبث الاهواء ومحدثات الترفيه العصرى باسفافه الماجن ومسلياته الفجة المبتذلة ، تلهينا عما يتعرض له وجودنا المعنوى من حملات مسعورة لمن

اعياهم ان يفتنوا الامة بشتى الذرائع وامكر الوسائل عن دينها القيم ، وهى تحفظ حديث الاعتصام عن نبيها المصطفى صلوات الله عليه وسلامه ، فى وصيته الاخيرة لامته ، فى حجة الوداع سنة عشر للهجرة ، قال :

(ولقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا ابدا .. امرا بينا ، كتاب الله وسنة رسوله)

واذ لم تنفع مع الامة محاولات التشويه لقيمها وتجريد الشعائر من قيمتها ومغزاها لتبدو فى نظر هذا الجيل طقوسا الية صماء ، اخرج لها (مصنع الشيطان) بدائل ممسوخة شائهة من اصيل شعائرها المصونة بحرمتها الدينية من الدنس والعبث .

عن (عيد الام) اتحدث فى موسمنا هذا ، وقد احتسبت عند الله تعالى ولدى الوحيد الذى ثكلته وتحتسب امتى عنده عز وجل ، من اضافت الى السجل المفتوح لشهدائها الابرار ، جند الاسلام بالمشرق والمغرب ، وفتية حماس رماة الطاغوت بالحجارة ، ومئات الالوف من مسلمى البوسنة والهرسك ، ورجال امثالهم من المؤمنين :

(صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا)

اتحدث عن (عيد الام) فى عيدنا الكبير ، فى اوثق مصادره : القران الكريم وكتاب (احاديث الانبياء ، من صحيح البخارى) مع المرويات الموثقة للسيرة النبوية واخبار مكة وخطط مصر والقاهرة .

فى رواية البخارى لحديث ابن عباس رضى الله عنهما ، ان ابراهيم الخليل ، عليه السلام ، صحب زوجه سارة فى رحلته الى مصر ، فندب الملك لخدمتها فتاة من اسرة قبطية عريقة ، اصلها من بلدة « حفن » بالبر الشرقى للنيل تجاه الاشمونين من صعيد مصر - وفى رواية ان الفتاة هاجر ، ابنة ملك من ملوك القبط ضاع ملكه ، ونقلت ابنته الى قصر الملك وصيفة به - ورجع ابراهيم عليه السلام وزوجته سارة الى ارض كنعان ، ومعهما « هاجر » هدية من الملك الى السيدة سارة التى اكتهلت ويئست من الولد ، فبدا لها ، لما عرفت من شوق زوجها الى الولد ، ان تهبه جاريتها المصرية الشابة ، لعله يسكن الى احدى الراحتين وشاء الله تعالى ان تحمل هاجر ، فخيل لسيدتها - وهى عجوز عقيم - انها تباهى بحملها . وتجلدت السيدة لما تقاسى من الغيرة ، حتى وضعت هاجر وليدها اسماعيل بن ابراهيم ، فلم تطق السيدة ان يؤويها وجاريتها سقف بيت واحد . وخرج ابراهيم ميمما شطر الجنوب ، تتبعه سارة وفى حضنها وليدها ترضعه ، وقد اسدلت نطاقها خلفها لتخفى اثرها على السيدة ، وانتهى بهم المسير الى مكة ، وهى وقتئذ مقفرة خلاء يلم بها الرعاة الرحل من حين الى حين ، التماسا للراحة فى حرمها الامن ، حيث البيت العتيق على ربوة هناك .. وضع ابراهيم بجوارها ابنه اسماعيل وامه هاجر وترك لهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء

ثم ولى منطلقا ، فتبعته ام اسماعيل فقالت : اين تذهب وتتركنا بهذا الوادى القفر الموحش ؟ وكررت السؤال مرارا وهو لا يلتفت اليها ، فقالت : الله امرك بهذا ؟

قال : نعم . قالت : « اذن لايضيعنا » .

وانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند ثنية الوادى حيث لاتراه ام ولده، استقبل البيت بوجهه ورفع يديه يدعو الله فى ضراعة :

(ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون . ربنا انك تعلم ما نخفى ومانعلن ، ومايخفى على الله من شىء فى الارض ولا فى السماء)

ومضى راجعا الى ارض كنعان ، واقبلت هاجر على وليدها ترضعه وتتعزى به عن محنة الرق وماساة الهجر والنبذ . حتى نفدت مئونتها الضئيلة واشتد الظما على الرضيع الغالى فهبت مذعورة تلتمس الغوث . وبدا لها ان تطل على الوادى من مكان عال ونظرت اى الجبال ادنى من الارض ؟ فاذا (الصفا) منها قريب . فقامت عليه تدعو وتنظر : هل ترى احدا ؟ وتسمعت : هل تؤنس صوتا ؟ فلما لم تجد الا الوحشة والصمت اتت (المروة) مهرولة تسعى سعى المجهد وصعدت عليها لعلها ترى اثرا من حياة ، ولا اثر . وكررت السعى بينهما حتى اجهدها السعى سبعة اشواط .

قال ابن عباس ، رضى الله عنهما ، فى رواية البخارى لحديثه : قال النبى صلى الله عليه وسلم : (فذلك سعى الناس بينهما)

واستلقت هاجر على الارض الصخرية وزحفت بعيدا عن ولدها المحتضر ، وغطت وجهها بلفاعها وهى تقول : « لا انظر موت الولد »

....

***

ثم كانت النجاة : حوم طائر على المكان ثم حط على بقعة صخرية هناك فمازال ينقر فيها حتى انبثق الماء من « زمزم » فهرعت هاجر نحوها فى لهفة ، ترتوى من النبع الطيب وترضع ولدها .

ودبت الحياة فى الوادى الأجرد ، قالوا : « ومرت رفقة من جرهم ـ عرب الجنوب العاربة ـ مقبلة من طريق كداء ، فنزلوا اسفل الوادى فراوا طائرا حائما فقالوا : ان هذا الطائر ليدور على ماء ، عهدنا بهذا المكان وليس فيه ماء . وارسلوا دليلهم فما لبث ان عاد اليهم ومضى بهم الى حيث كانت هاجر وولدها عند النبع ، فاستاذنوها فاذنت لهم فى النزول هناك ، والماء ماؤها .

وشب ابنها فيهم وتعرب ، فلما بلغ مبلغ السعى جاء ابوه فقص عليه رؤياه :

(قال يابنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى ، قال ياابت افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين)

ثم كانت اية الفداء بعد ذلك البلاء العظيم : هم ابراهيم بذبح ابنه لولا ان لاح له كبش عظيم ، نحره فدية عن ولده المؤمن الصابر الذى شب فى جوار البيت العتيق واصهر الى جرهم .

وتلقى مع ابيه العهد الالهى فرفعا القواعد من بيت الله العتيق وطهراه للطائفين والعاكفين والركع السجود ، وكانت دعوتهما المستجابة :

(ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك ، وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، انك انت العزيز الحكيم)

وبامره تعالى اذن ابراهيم عليه السلام في الناس بالحج ، واستجاب الله للدعاء فبعث في ذريتهما خاتم الرسل عليهم السلام : صفوة الصفوة من صريح ولد ، اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، من امه السيدة هاجر القبطية المصرية ، ام العرب العدنانية التي دخلت تاريخنا الديني بهموم امومتها ، وصار مسعاها بين الصفا والمروة ، مهرولة سبعة اشواط ، شعيرة من شعائر الله ومناسك الحج في ديننا الحنيف . وفي صحيح الحديث عن السيدة عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها ، ان الانصار كانوا قبل الاسلام يطوفون بالصفا والمروة ، على ميراثهم من عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، فلما اسلموا تحرجوا من ذلك ، فنزلت الاية المحكمة ترفع الحرج عنهم :

قال تعالى : (ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ، ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم)

• •

هذا هو عيدنا للأم في ذروة اصالته وجلاله : شعيرة من شعائر الله ومناسك الحج والعمرة ، فماذا صنع به زماننا البائس ؟

فجاة من حيث لانتوقع ان يتجاسر دعي او مفتون على اصالته المصونة بحرمة الدين ، طرا علينا عيد للأم مستورد مجلوب ، في اليوم الحادي والعشرين من شهر مارس سنوي ٧ لأ صخب الاحتفال به ضجيج طبل وزمر ومعارض صور وازياء وهدايا ، وسوق تجارية لموسم اعلان ودعاية ، غاب عن هذا الجيل اننا نحتفل بالعيد الاعظم للبهاء المبعوث من الصهيونية العالمية في القرن التاسع عشر لنسخ شريعة الاسلام ختام رسالات الدين .

فان يكن قد هان على الادعياء المفتونين بالمستورد العصري ان يروجوا لهذا البديل الشائه ، فهيهات ان تجمع امتنا على ضلالة ..

وعلى الرغم منهم ، يظل المسلمون الى ما شاء الله ، يسعون بين الصفا والمروة كلما حجوا البيت او اعتمروا ، مهرولين سبعة اشواط ، حيث سعت ، هاجر ام اسماعيل ، لا يخل اى مسلم بهذه الشعيرة من شعائر الله ومناسك الحج

(ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) صدق الله العظيم

الأهرام
مركز الشؤون والتنظيم والأرشيف
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ ١٩٩٢/٦/١٨

شاهدة عصر

٦

د. بنت الشاطئ

تحريك السواكن .. وآفة النسيان

تلم بنا الاحداث العصبية ضاغطة على الموقع الدينى للاسلام منعزلة بعضها عن بعض ، منذرة بعواقب غفلتنا عن وجودنا المعنوى لانكاد نلقى اليه بالا إلا إذا هدد امن الدولة ونظامها ، فعندئذ نتركها لاجهزته تتعقب المتهمين والمشتبه بانتمائهم الى جماعات اسلامية متطرفة ، وتظل اجهزة الامن تزودنا بما يغطى احداث الوقت والساعة .. قد عزلها قصور النظر عن امسها القريب فضلا عن ماضيها البعيد ، فضلت فيها الظنون والاوهام ، ثم لاتلبث ان تغيب واحدة بعد الاخرى عن مجال الرؤية لتوغل في صميم وجودنا الحيوى من حيث لاندرى .

جريمة اغتيال الداعية العلمانى الدكتور فرج فودة ، اقرب شاهد ومثال : ظلت مشغلة الصحف والاذاعة لايام ذات عدد ، من نقطة بدء محددة هى انها جريمة تطرف ارهابى من الجماعات الاسلامية ، تعلن الحرب على العلمانيين نذيرا لكل من يخالف فكرها الاسلامى الموصوم بالتطرف والارهاب . وتحركت اجهزة الامن لمواجهة الجريمة المهددة لامن الدولة ، وكشف التحقيق المبدئى مع المقبوض عليه ، امير هذه الجماعة ـ التى نسبناها الى الفكر الاسلامى المتطرف وخصومة الفكر العلمانى ، طالب مفصول من معهد فنى صناعى ، معروف لرجال الامن ، سبق اعتقاله مرتين قبل ان يفرج عنه حديثا ، قبل جريمة الاغتيال . كما افاد اول بلاغ رسمى عنها بأن اجهزة الامن كانت على علم سابق بان الدكتور فرج فودة معرض للخطر ، فكلفت نفرا من جندها لحراسته ، واعترف المتهم بانه وزميله الهارب ، نفذا الجريمة طبقا لخطة صفوت عبدالغنى ، حملها اليهما من سجنه محام شاب كان يتردد عليه بصفته محاميا عنه فى قضية اغتيال «الدكتور رفعت المحجوب الرئيس السابق لمجلس الشعب» .

وليس الدكتور رفعت ، مظنة اتهام بالعلمانية ، ولاتبدو فى ظاهر الرؤية ، صلة جامعة بينه وبين الدكتور فرج العلمانى الداعية .

ولم يتغير موقف الكتاب والمعلقين مما راوه بادرة خطيرة لمصادرة الراى المخالف والرد بالقنابل على الفكر العلمانى ، واعلنت قيادات اسلامية ان هذا الاسلوب من الجدل مع الفكر العلمانى مناف لدين الاسلام ، بصريح امر الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام ، بالدعوة الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وان يجادل المشركين بالتى هى احسن . ما علينا ، القضية فى طريقها الى قضاء امن الدولة لجولة تالية تنشط فيها الاقلام والمنابر ، ثم يفتر الانفعال بها بمجرد ان يطوى ملفها فى مستودع محفوظات امن الدولة ، شان كثير من قضايا الارهاب والتطرف الدينى ـ بلغة زماننا ـ غابت عنا آثارها . وغلبت علينا آفة النسيان :

فما من كاتب او معلق على قضية اليوم ، قضية مصرع فضيلة الدكتور «الشيخ محمد حسين الذهبى» بفتوى من امير جماعة التكفير والهجرة ، ولم تكن العلمانية وقت مصرعه ، قد تفشت فينا ، ولاهو مظنة شبهة اتهام بها .

ولعل للناسين عذرا : ان قد مضى عليها خمس عشرة سنة ، مع مايبدو للنظرة السريعة من تفاوت بعيد بين اغتيال شيخ من علماء الازهر ، وزير الاوقاف لمرحلة تصحيح ثورة سنة ١٩٥٢ ، وبين اغتيال كاتب داعية للعلمانية فى آخر الاسبوع الاول من الشهر الحالى .

فلننظر الى اى مدى انعزلت قضية سابقة عن لاحقة ، فضللت الرؤية .

□□□

من مدوناتى لشاهد عصر ، ، استرجع موجز ماقيدته فيها من (قراءتى لملف قضية التكفير والهجرة) وقد كانت مشغلة الراى العام سنة ١٩٧٧ ، ولبثت طويلا اتحرج من الخوض فيها قبل عرضها فى جلسات المحاكمة . وصدر قرار الاتهام لاربعة

وخمسين من اعضاء الجماعة ، متهمين بجرائم (الاختطاف والاغتيال والتامر على نظام الدولة وتهديد الامن العام) فكشف القرار عن خلو القانون مما يهدد الامن المعنوى ، ولم تحرك القيادات الدينية ساكنا لتمد بصرها الى مايجاوز نطاق التكفير والهجرة ، حيث الاسواق عامرة ببضاعة التلويث العقلى والتشويه للاسلام

وفى مدوناتى بملف القضية بلاغ منشور بجريدة « الاهرام » يوم العاشر من يولية سنة ١٩٧٧ عن (بشرى سقوط الارهاب الاسود بالقبض على زعيمه – امير التكفير والهجرة – بعد ساعات قليلة من القبض على مختطفى الدكتور الذهبى وزير الاوقاف وقتلته ، لتؤكد البشرى ان دولة المؤسسات اصبحت حقيقة فعلا وليست مجرد شعار ، فعندما تتمكن اجهزة الامن وهى ركن من اركان النظام ، من القبض على القتلة والجناة وزعماء الارهاب فى وقت قياسى دون اتخاذ اى اجراء استثنائى ، فهذا معناه ان كافة مؤسسات الدولة تتحرك وتنطلق وفق قواعد واسس ثورة ١٥ مايو) للتصحيح ،،

ولم تتعرض البشرى لسبق علم النظام بان جماعة التكفير والهجرة ظلت تمارس نشاطها فى انحاء الدلتا والصعيد ، والنظام لايتعرض لها طالما لم تهدد امن الدولة . وكانت صفحة الفكر الدينى بالاهرام ، قد نشرت قبل مقتل فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى ، باكثر من سنتين ، بيانا بتعاليم جماعة التكفير والهجرة مع صور لثلاثة من علماء الاسلام ، سئلوا عن ارائهم فيها ، فاجابوا .

ثم .... خيم الصمت على ما كان من سؤال وجواب ، كما طوى خبر (كتيب نشرته هيئة الوعظ والارشاد بوزارة الاوقاف المصرية ، فيه مناقشة هادئة بالتى هى احسن من شيوخ فيهم الدكتور الذهبى الوزير ، لمقولات جماعة التكفير والهجرة ، تنويرا لاعضائها الذين قدمهم الكتيب وزكاهم بانهم (فئة صالحة يلتمسون نقاء العقيدة وصلاح الدين) ؟ ..

□□□

وفيما كانت دولة المؤسسات مطمئنة الى نظام حركة التصحيح وقد غابت عنها تلك الاوراق السابقة من ملف التكفير والهجرة ، فوجئت باختطاف الدكتور الذهبى وزير الاوقاف – رحمه الله – فبادرت الى اعلان (بشرى القضاء على الارهاب الاسود) بالقبض على زعيمه بعد ساعات قليلة من القبض على مختطفى الدكتور الوزير وقتلته ، تاكيدا لتحرك اجهزة الامن وكل مؤسسات الدولة وانطلاقها وفق قواعد التصحيح واسسها .

....

وحين كانت اجهزة الامن فى شغل شاغل بالقضية من حيث هى قضية تهديد لامن الدولة وتامر على النظام بالارهاب المسلح ، نشطت الصحف والاذاعة لسؤال كل ذى راى عن اسباب الظاهرة وعلاجها ، فحصرها كل منهم فى مجال اختصاصه وردها الى ما يعلم من علل واسباب ، مما هو مكرر معاد لاأثقل على قرائى بذكره .

وبعد المحاكمة ، هدات السواكن وغابت القضية عن مجال الرؤية ، والمرحلة تفرز بين يوم واخر انماطا شتى ممن يلوثون مناخنا الدينى بما يشوه عقلية العامة والخاصة ، ليس عليهم فى ذلك اى حرج ، ويأتى حادث اغتيال الداعية العلمانى الدكتور فرج فودة ، فتاخذ مجراها وتنتهى كسابقاتها ويبقى الموقع الدينى الاسلامى مكشوفا لمن يكيدون للاسلام وامته ، ومن يغضون من عقيدة الامة ويسخرون من عقليتنا الاسلامية ، ويمنون علينا بما لديهم من بضاعة التنوير ..

فهل لاتزال القضية عند قومى قضية عداء للعلمانية ونذيرا لدعاتها ؟

واى مدخل لاضطهاد العلمانية فى قضايا اغتيال الشيخ الذهبى ، والدكتور رفعت المحجوب ، ومحاولة الاعتداء على الاستاذ النقيب «مكرم محمد احمد» ؟

اى مدخل لها فى القائمة المعلنة حديثا للشخصيات المستهدفة للتصفية ، وفيهم فضيلة الشيخ المفتى الدكتور محمد سيد طنطاوى ؟!

كلا .. لم تكن قضية الامس قضية تكفير وهجرة ، ولاهى اليوم قضية خصومة ارهابية للعلمانية ، بقدر ماهى قضية شباب محبط ممزق بالحيرة والقلق ، يرهقه الشعور بالخواء الروحى والضياع ، فيتربص به من يلوحون له بوعد الخلاص ، وقد يكون الوعد مدخلا الى متاهة ضلال وضياع ، والشباب فى ازمتهم الضاغطة لايفكرون الا فى التماس مهرب من هذه الازمة اى مهرب . وسوق البضاعة الحاضرة مفتوحة لموردى كتب ومقالات تزييف بطاقة اسلامية ، للمرتزقة والحواة وطلاب الشهرة وجند الشيطان ، يسممون مناخ الفكر الاسلامى بسموم البدع

والضلالات ، فى مأمن من رقابة قيادتنا الدينية التى تشفق من اتهامها بالتحجر والجمود ، ومقاومة جديد التنوير !

□□□

اخشى ان جهاز الامن فى تحركه اليوم لحماية الامن من الارهابيين ، قد يضطر الى محاصرة الفكر الاسلامى الحر وقد نقلت جريدة (الأهالى) - غداة مقتل الدكتور فرج فودة - من مصادرها : (احتمال صدور قرارات خاصة بحظر نشاط تنظيمات وجماعات دينية تمارس نشاطها بالمساجد والإماكن العامة ، قد يكون من بينها التبليغ والدعوة ، فى اطار مزيد من الحرص وعدم استغلال المساجد والاماكن العامة فى التحضير لاعمال عنف ، بجانب خطة محكمة لتامين الشخصيات المستهدفة من الارهابيين)

ولم تعلق قيادتنا الدينية العليا على ذلك الانذار للفكر الإسلامى والاتجاه الى حظر نشاط التبليغ والدعوة فى المساجد ، ولاعلمناها حركت ساكنا لمواجهة هذه النازلة العصيبة ، خشية ان تتهم بتشجيع التطرف الارهابى !

ويصل بنا الحال الى ما انذر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى حديث قبض العلم ، قال : (ان الله لايقبض العلم ينتزعه من صدور العلماء ، ولكن يقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا سالوهم فافتوا فضلوا واضلوا) متفق عليه .

وتتوالى النذر ، ضاغطة على الموقع الدينى منذرة بعواقب غفلتنا عنه ، فما تغنى النذر . قال تعالى :

« ولقد جاءهم من الانباء مافيه مزدجر ، حكمة بالغة فما تغن النذر » صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٩٩٢/٦/٢٥

شاهدة عصر

٧

د. بنت الشاطئ

مصريتان فى النسب الزكى والبيت النبوى حديث الوصية بأهل مصر فى وثائق الفتح

كان حديث عيدنا الكبير، عن عيد الام «هاجر المصرية» أم العرب العدنانية، فى سعى المسلمين بين الصفا والمروة مهرولين سبعة اشواط شعيرة من شعائر الله ومنسكا من مناسك الحج والعمرة، مثلما سعت «هاجر أم اسماعيل» من أجل وليدها الرضيع عندما تركهما أبوه ابراهيم عليه السلام، بواد قفر غير ذى زرع بجوار بيت الله العتيق.

باموة هاجر للعرب العدنانية، تبدأ السيرة النبوية ذكر النسب الزكى لمحمد بن عبدالله القرشى الهاشمى - صفوة ولد عدنان، صريح ولد اسماعيل - مقترنة باموة مارية القبطية لابراهيم بن محمد المصطفى عليه الصلاة والسلام.

وقلما تذكر «هاجر أم اسماعيل» في تاريخنا الدينى الا مقترنة بذكر «مارية القبطية أم ابراهيم» انطلاقا من صحيح الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فى وصيته باهل مصر (فان لهم ذمة ورحما) وفى رواية : (فان لهم نسبا وصهرا).

الرحم من جهة هاجر ام العرب العدنانية، والصهر من جهة مارية القبطية أم ابراهيم ولد المصطفى عليه الصلاة والسلام.

البعد الزمنى بين هاجر ومارية، يمتد لآماد متطاولة يمكن تقديرها بتقريب، بما بين ابراهيم الخليل الجد الأعلى ليوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، ومحمد بن عبدالله الهاشمى المبعوث بختام رسالات الدين، سنة إحدى عشرة وستمائة من ميلاد المسيح، عليهما السلام.

ومع ذلك البعد الزمنى المتطاول، جمعت بينهما فى الواقع التاريخى ظروف متماثلة، يبلغ من عجيب امر الله فى التوافق بينهما ان لا يستغرب وقوع التباس بينهما، كالذى وقع منى سهوا فى حديث العيد عن موطن «هاجر ام العرب» انها كانت من اسرة قبطية عريقة فى «بلدة حفن على البر الشرقى للنيل تجاه الاشمونين بصعيد مصر» ولا خلاف اعلمه فى أن «حفن» هى موطن مارية القبطية عليها السلام. وأما موطن هاجر، عليها السلام، فاصح الروايات انها من قرية قرب «الفرما» شرقى الدلتا، بين العريش وتنيس، علي يمين القاصد الي مصر. والفرما من اقدم الثغور العتيقة على حدود مصر شرقى الدلتا، وكانت فى زمن الفراعنة حصن مصر من جهة الشرق. ورواية ابن هشام لسيرة ابن إسحاق فى طبعتها المحققة - الحلبى سنة ١٩٣٦ - أن هاجر من (قرية ام العرب، قرية كانت امام الفرما) فان صح النقل فلعلها سميت بذلك اعتزازا بالنسب الزكى، والذى فى (فتوح مصر لابن عبدالحكم) روايته عن حفاظ مصريين، ان أم اسماعيل هاجر ام العرب من قرية امام الفرما، التى عند ام دنين)

وياتى فى وثائق الفتح قول كبار القبط لعمرو بن العاص - وقد ذكر لهم حديث الوصية باهل مصر «فان لهم رحما» - إنها معروفة شريفة، كانت ابنة الملك من اهل منف والملك فيهم، فاديل عليهم اهل عين شمس فقتلوهم وسلبوا الملك، فلذلك صارت - هاجر - الى ابراهيم عليه السلام..

....

وقد مضي الحديث، يوم عيدنا الكبير، عن «هاجر المصرية ام العرب» واما مارية القبطية فظهرت فى السيرة النبوية من السنة السابعة للهجرة، اذ بعث النبى عليه الصلاة والسلام بعد فراغه من يهود خيبر رسله بكتبه الى ملوك الوقت، يدعوهم إلى الإسلام، من هؤلاء الرسل «حاطب بن ابى بلتعة اللخمى» - حليف الزبير بن العوام الاسدى، ومن البدريين رضى الله عنهم - حامل كتاب النبى عليه الصلاة والسلام إلى المقوقس والى مصر للروم.

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع مندوبات المعلومات
التاريخ : ١٩٩٢/٦/٢٥

وكانت مارية واختها سيرين فى قصر المقوقس بالإسكندرية وقت قدوم حاطب، وهما شقيقتان لاب قبطى وام رومية، مولدهما فى حفن من كورة انصنا علي البر الشرقى للنيل تجاه الاشمونين بالصعيد. انتقلتا فى شبابهما الغض الى قصر المقوقس، حيث استقبل مبعوث النبى العربى وتلقى كتابه، واستمهل حاطبا ريثما كلم كبار القبط في الدعوة إلى الإسلام فلم يقبلوها، وكتب بها إلى «هرقل امبراطور الروم» فانكرها وسخط على المقوقس، فكان ان اجمل الرد علي كتاب النبى العربى وقال : (اما بعد، فقد قرات كتابك وفهمت ما ذكرت فيه. وقد علمت ان نبيا قد بقى، وكنت اظن انه يخرج بالشام. وقد اكرمت رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم، وكسوة، ومطية لتركبها، والسلام عليك.)

أخذ الركب الطريق من شرقى الدلتا الى المدينة المنورة مرورا بالفرما قرب موطن هاجر، إذ تتداعى الذكريات بما يحفظ «حاطب» من النسب الزكي، وغير مستبعد ان يؤنس وحشة مارية وسيرين لفراق الوطن الغالى ، بما كان من خبر هاجر ومسعاها بين الصفا والمروة ونجاتها وولدها بماء زمزم، موصولا بقصة فدأء عبدالله بن عبد المطلب من النحر عند الكعبة وفاء لنذر أبيه، وزواج عبدالله غداة الفداء من «آمنة بنت وهب الزهرية» ثم وفاته عنها وهى حامل باليتيم الهاشمى المصطفى..

....

حتى بلغ الركب المدينة المنورة وحظيت مارية وسيرين بلقاء المصطفى عليه الصلاة والسلام، حيث عرض عليهما الإسلام فلم تترددا فيه. واصطفى صلى الله عليه وسلم «مارية» لنفسه واسكنها دارا لبعض الانصار بالعالية، ووهب اختها سيرين لصاحبه الشاعر حسان بن ثابت الانصاري.

من وقتئذ انحصر وجود «مارية» فى السيد النبي العظيم الذى اعزها الله به من حيث لا تحتسب، فكان لها نعم العوض عن الاهل والوطن

وحومت خواطرها وامانيها حول طيف هاجر، لم تخطيء ما بينهما من قربى وتماثل اكتمل بان اتم الله عليها نعمته، فولدت للمصطفى ابنه ابراهيم على كبر السن والكف عن تمنى الولد، مثلما ولدت هاجر لإبراهيم ابنه اسماعيل علي كبر السن وياس من الولد.

واسعد مارية، ان يجد الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام فى ولده منها، عزاء عمن ثكل من ابنائه وبناته من ام المؤمنين الاولى السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها، لم يبق منهم عند ولادة ابراهيم فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة، سوى «فاطمة الزهراء، ام ابيها» صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وفاض عالمهما المشترك بالغبطة والانس بوليدهما ابراهيم، حتى امتحنهما الله تعالى بوفاته فى شهر ربيع الاول من السنة العاشرة للهجرة قبل ان يتم السنتين من عمره، وحمل الصغير على سرير صغير ، وصلى عليه ابوه وشيعه محزون القلب إلى البقيع فاضجعه بيديه فى لحده، ثم سوى عليه التراب ونداه بالماء.

وآب مع المشيعين من البقيع وقد غيم الافق وانكسفت الشمس، فقال قائلهم إنها انكسفت لموت ابراهيم عليه السلام، وبلغت الكلمة سمع ابيه عليه الصلاة والسلام، فصلى بالناس صلاة الكسوف وخطبهم فقال: (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت احد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا، وتصدقوا) متفق عليه.

....

فى شهر ربيع الاول من السنة الحادية عشرة لهجرة، بعد سنة واحدة من وفاة «ابراهيم بن محمد» لحق ابوه المصطفى صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى. وعاشت السيدة مارية القبطية من بعده خمس سنين مضاعفة الحزن والوحشة، حتى توفيت رضى الله عنها سنة ست عشرة، فصلى عليها امير المؤمنين عمر بن الخطاب، وشيعها رضى الله عنهما الي البقيع، والافاق ما بين المدينة المنورة والكنانة تتجاوب بصحيح الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فى وصيته أصحابه باهل مصر: (إنكم ستفتحون مصر وهى ارض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فاستوصوا باهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحما) وفي رواية : (فاستوصوا بالقبط خيرا فإن لهم نسبا وصهرا).

رواه المصريون الحفاظ من عدة طرق بالفاظ متقاربة، من حديث ابى ذر الغفارى وكعب بن مالك الانصارى، وعمرو بن العاص عن عمر بن الخطاب، رضى الله عنهم، عن النبى صلى الله عليه وسلم. قالوا: النسب من جهة «هاجر ام اسماعيل » جد العرب العدنانية. والصهر من جهة «مارية القبطية» أم ابراهيم بن محمد، عليهم السلام

....

لم تدرك مارية القبطية رضى الله عنها فتح مصر سنة عشرين للهجرة، بعد وفاتها باربع سنوات، لكن حديث الوصية دخل في وثائق الفتح، بكتاب (فتوح مصر لابن عبدالحكم المصرى، وكتاب من دخل مصر من الصحابة للربيع الجيزى، ورواية ابن اسحاق عن الزهرى باسانيده، وابن يونس الصدفى المصرى في تاريخه الكبير لمصر): رووا انه لما بلغ جند الفتح باب مصر، لقيهم ابومريام كبير القبط والاسقف ابومريم في بعث أرسلهم المقوقس من الإسكندرية لمنع بلادهم. فلما تصافوا قال عمرو بن العاص: لا تعجلوا حتى نعذر إليكم، ليبرز الى ابومريم وابو مريام راهبا هذه البلاد فبرزا إليه فقال عمرو: (إن الله بعث محمدا بالحق وأمره به فادى إلينا كل ما امر به ثم مضى وتركنا على الواضحة. وكان مما امرنا به الإعذار الى الناس، فنحن ندعوكم إلى الإسلام فمن اجابنا فمثلنا، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة. وقد أعلمنا اننا مفتتحو مصر واوصانا بكم حفظا لرحمنا

منكم.. ومما عهد الينا اميرنا - عمر رضى الله عنه - أن (استوصوا بالقبطيين خيرا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصانا بالقبطيين خيرا فإن لهم ذمة ورحما).

قالوا، وقد ذكروا «هاجر» ولم يكن العهد بها قريبا كمارية : (قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء، معروفة شريفة، كانت ابنة ملكنا، من اهل منف والملك منهم، فاديل عليهم أهل عين شمس فسلبوهم ملكهم، فلذلك صارت الى ابراهيم، عليه السلام، مرحبا به وأهلا.. وامنا حتى نرجع إليكم)..

....

تداول الحفاظ الأئمة حديث هذه الوصية، فاخرجها مسلم في صحيحه والطبراني في معجمه الكبير وأبوبكر البيهقي وأبونعيم الأصبهاني في الدلائل.. كما اخرجها مؤرخو الإسلام من الطبرى فمن بعده، ومؤرخو مصر الإسلامية من ابن يونس الي السيوطى فى (حسن المحاضرة) فمن بعده..

وكذلك كانت «حفن، من كورة انصنا» الأثرية العتيقة بصعيد مصر، موضع عناية الصحابة والبلدانيين وعلماء الخطط والآثار. وفي الخبر أن «عبادة بن الصامت الأنصارى : من امراء الكتائب في فتح مصر، بحث عن بلدة حفن وموضع بيت مارية منها، فبنى بها مسجدا. وروى ابن كثير فى تاريخه (البداية والنهاية) أن معاوية بن أبى سفيان وضع الجزية عن أهل حفن، إكراما لصهر المصطفى صلى الله عليه وسلم فيهم. والذى فى (خطط المقريزى) أن «الحسن بن على» رضى الله عنهما كلم معاوية لأهل حفن - وفيهم خئولة الحسن بن الزهراء أخت ابراهيم لأبيهما صلى الله عليه وسلم - فوضع عنهم معاوية خراج الأرض.

وذكرها رواد عصر اليقظة المصريون، وللشاعر «حفنى ناصف» بحث فى (موطن مارية القبطية من الديار المصرية) شارك به فى مؤتمر المستشرقين بأثينا، سنة ١٩١٥ م.

....

(الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى)

صدق الله العظيم.

تنبيه :

تعليقا على مقال الاسبوع الماضى (تحريك السواكن وآفة النسيان) نبهنى قارىء كريم إلى مالاينبغى أن يفوتنا من أمر الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام أن لايجادل أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن.

مركز الأهرام للتنظيم والتكنولوجيا والمعلومات
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ ٢٤/٦/١٩٩٢

شاهدة عصر

٨

د . بنت الشاطىء

تاريخ الإسلام ..

والتقويم الهجرى

ليس احتفالنا بذكرى الهجرة مهربا من همومنا ومواجعنا ، وملهاة عن معاناة التفكير فى مجزرة العصر المتحضر للملايين من مسلمى البوسنة والهرسك وبورما ، وملايين امثالهم صرعى الحصار المشئوم فى البر والبحر لشعب الصومال ، وللشمال الافريقى ، واشلاء حرب الخليج واشباح ضحايا المجاعات والحريق والأوبئة ، لقتل الحياة فى أخصب بقاع الأرض ومهد الحضارات والرسالات مابين وديان النيل والرافدين وبردى والأردن .

كلا: ولا هو اهتزاز ترنح مع كرة القدم فى الملاعب الأوليمبية ، ولانشوة ثملين على ايقاع النغم الساحر لشدو مطربة الشرق: «هل رأى الحب سكارى مثلنا ؟»

....

إنما هى ذكرى ترهف وعينا بعبرة تاريخنا وتكشف عن ابصارنا وبصائرنا غشاوة الغفلة المضللة للرؤية ، وتجلو عن ضمائرنا صدأ البلادة المبررة لما هو كائن فى هذا الزمان .

*****

(٢)

اليوم تستقبل أمتنا سنة هجرية جديدة ، ولا أذكر متى بدا تقويمنا بالهجرة يتوارى رويدا رويدا من مجال التوقيت به فى مصر. غاية ما أتذكره على البعد ، هو اننا كنا فى الدور والمدارس الاسلامية الى ماض قريب ، نؤرخ به مقرونا بما يقابله من التقويم القبطى الذى يضبط مواسمنا المناخية والزراعية وقت ان كانت الكنانة أخصب الأقطار الزراعية

وقبل رواج الطباعة ، كانت دورنا لاتخلو من تقويم خطى . فى كتيب نسميه النتيجة . الصفحات اليمنى منه لأيام الشهور القمرية ومنازل القمر ومواقيت الصلاة والأعياد والمواسم الدينية ، يقابلها على الصفحات اليسرى أيام الشهور القبطية وأحوالها المناخية ومواسمها الزراعية ، تحفظها جمهرة الشعب فى الريف والحضر ويضبطون عليها فصول السنة ومواقيت الحرث والبذر والغرس والرى والحصاد والجنى .

ثم لما اتصلت بالحياة العامة فى العاصمة ، ألفيت للتقويم الهجرى موضعه مع التقويم الميلادى . والصحيح انه التقويم الرومى كما فى مصطلح أهلنا المغاربة . الى أن توارى التقويم الهجرى بالتدريج فما نذكره إلا فى المواسم والأعياد الدينية وضبط الأحكام الشرعية المتعلقة بالشهور والسنين . وقلما نستغنى عند الحاجة اليها من مراجعة أهل العلم بها ، أو الرجوع الى صحيفة يومية تجمع بين التقاويم الهجرية والرومية والقبطية ..

*****

قضية الاحتجاب التدريجى للتقويم الهجرى فى زماننا ، لا تشغلنى اليوم الا من حيث تأثيرها فى فتور الوعى العام بظروف الهجرة ودواعى التاريخ بها . يفضى الجهل بها الى التباس خطير بين تاريخ الاسلام ، والتقويم بالهجرة . واحتاج الى مقدمة موجزة عن الهجرة ، يتصل بها سياق الأحداث الى ما كان من اختيارها بداية للتقويم الاسلامى :

حتى عام الحزن . السنة العاشرة من المبعث . لم يكن ليثرب حاضرة شمالى الحجاز ، ظهور على مسرح الأحداث العصيبة بمكة ، قد شغل يثرب عنها حروب ناشبة بين أهلها العرب «الأوس والخزرج» سهر على ايقادها فلول من يهود طرأوا على الأرض الطيبة فرارا من وطأة الرومان .

فى عام الحزن أوحشت دار المصطفى . عليه الصلاة والسلام . بفقد زوجه أم المؤمنين الأولى ، وكانت له سكنا ووزيرا . وموت العم أبى طالب بن عبد المطلب ، وكان لابن أخيه صديقا وكافلا ومانعا له من قومه قريش .

وضرى مطمع قريش فى النبى . عليه الصلاة والسلام . والذين امنوا معه ، فخرج من مكة لأول مرة منذ المبعث ، واتجه وحده الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف فردوه ردا قبيحا ، ورجع محزونا يائسا منها ، فطاف بوفود القبائل للموسم ، وعرض عليها الاسلام فلم يقبلوه متابعة لقريش . حتى بلغ العقبة فلقى رهطا من اليثربيين «الأوس والخزرج» ، ستة نفر أو سبعة ، قبلوا دعوته فكانوا سابقة الأنصار . فى الموسم التالى لقيه إثنا عشر يثربيا من الأوس والخزرج بايعوه عند العقبة ورجعوا الى يثرب أنصارا . لله عز وجل . ورسوله . عليه الصلاة والسلام . ومعهم فى رحلهم «مصعب بن عمير القرشى العبدرى» موفدا من رسول الله . عليه الصلاة والسلام . ليقرئهم القرآن ويفقههم فى الدين ، فما مضى عام إلا ويثرب كلها انصار ، قد فتحت بالقرآن قبل الهجرة ، وخرج «مصعب» فى الموسم فى ثلاثة وسبعين من الأوس والخزرج ، فيهم سيدتان ، لقوا النبى . عليه الصلاة والسلام . على موعد معه عند العقبة فى ليلة من ليالى التشريق ، فبايعوه بيعة العقبة الكبرى التى آذنت بتحول حاسم للدعوة الاسلامية ، وتحركها الى موقع جديد خروجا من الدائرة المقفلة فى دار المبعث .

على مدى العام بعد العقبة الكبرى ، تتابع المسلمون مهاجرين من مكة الى يثرب ارسالا ، حيث نزلوا بها على اخوانهم الانصار ، لم يبق فى مكة - غير من حبس أو فتن - سوى المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وصاحبيه أبى بكر الصديق وعلى بن أبى طالب - رضى الله عنهما .

بعدها فى السنة الثالثة عشرة ، كانت هجرة النبى - عليه الصلاة والسلام - ومعه صاحبه أبو بكر ، الى يثرب التى استحدثت بالهجرة التاريخية اسمها الاسلامى : «المدينة المنورة» ولم يكن فى المدينة وقتئذ - وللثمانى سنين بعد ذلك - ، دار إسلام غيرها .

كان وصوله - صلى الله عليه وسلم - الى ظاهر المدينة قبيل ظهر الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول . فاقام فى قباء حتى يوم الخميس ، حيث اسس بها أول مسجد فى الاسلام .

*****

حديث الهجرة معروف للمسلمين كافة ، تتجاوب به آفاق العالم الاسلامى على امتداد الزمان والمكان . والذى يشغلنى اليوم من قضايا الهجرة التاريخية هو مايقع من التباس بينها وبين تاريخ الاسلام ، بما يوهم انه بدأ بها . وقد أعلم انه ما من مسلم لا يعلم أن الاسلام بدأ بنزول أول الوحى فى ليلة القدر من شهر رمضان المعظم قبل الهجرة بسنين ، فذلك من المعلوم للمسلمين كافة من دينهم بالضرورة ، وان لم يعلموا بالضرورة ان التقويم الهجرى لم يبدأ العمل به إلا فى عهد ثانى الخلفاء الراشدين - رضى الله عنهم

ومن هنا يدخل من الالتباس والإيهام مايحتاج الى التنبيه عليه . وغير مستبعد أن ينتفض المسلم لهذا التنبيه ، يرى أنه ليس فى حاجة اليه ، شأن كثير من معالم الاسلام ومبادىء منهاجه فى السلوك ومقاصد شريعته ، تغيب عن بال المسلم ، ثم لا يتردد فى تأكيد علمه بها بعد تذكيره بها .

مضى عصر المبعث والمسلمون يؤرخون بالأحداث الكبار ، كعام الفيل وفيه كان مولد اليتيم الهاشمى ، وعام الهجرة الى الحبشة ، وسنوات الحصار ، وعام الحزن ، والاسراء ، وبيعات العقبة ، كما أرخوا في العهد المدني للهجرة، وتحويل القبلة، وفرض الصيام فى شهر رمضان ، ويوم بدر ، وأحد ، والأحزاب ، وعام الحديبية ، وبيعة الرضوان ، وعمرة القضاء وإجلاء يهود خيبر ، وخروج رسل النبى - عليه الصلاة والسلام - بكتبه الى ملوك الوقت يدعوهم الى الاسلام ، وغزوة مؤتة ، وفتح مكة ، ويوم حنين ، وغزوة تبوك ، وسنة الوفود ، وحجة الوداع ، ووفاته - صلى الله عليه وسلم -

وارخوا زمان أبى بكر - رضى الله عنه - بيوم السقيفة ، وحروب الردة ، وأوائل الفتوح الكبرى ممتدة الى عهد عمر بن الخطاب ثانى الراشدين - رضى الله عنهم - حيث اتسعت الدولة الاسلامية ودونت الدواوين وظهرت الحاجة الى تقويم إسلامى جامع يؤرخ به المسلمون ، فجمع «عمر» وجوه الصحابة فى السنة الرابعة من خلافته ، السادسة عشرة للهجرة ، وشاورهم فى الأمر (فكانت المناسبات التى يمكن التاريخ بها أربعا: مولده ، ومبعثه - صلى الله عليه وسلم - وهجرته ، ووفاته) . فاعرضوا عن

(٤)

التاريخ بالوفاة لما يلابسه من اسف وحزن ، كما أن المولد والمبعث لايخلو واحد منهما من خلاف على تعيين وقته ، فارتضوا الهجرة بملحظ من تقدير جلال موضعها في تاريخ الاسلام ، واذ كانت في شهر ربيع الأول بلا خلاف ، أخروا البداية الى أول المحرم منصرف الناس من الحج ، ولأن بيعة العقبة الكبرى كانت في ذى الحجة ، وهى مقدمة الهجرة ، وأول هلال بعدها هلال المحرم .

وذكروا لدار الهجرة منزلتها الجليلة في الاسلام ، ولأهلها الأنصار مناقبهم المأثورة ، وقد زكاهم الله تعالى بأنهم «يحبون من هاجر اليهم ولايجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» الآية

وعرفها لهم رسول الله - عليه الصلاة والسلام - في المتفق عليه من مناقبهم ، واعترف المهاجرون بجميلهم حتى ليقول انس بن مالك - رضي الله عنه - : «يارسول الله ، مارأينا مثل قوم قدمنا عليهم احسن مواساة في قليل ولا احسن بذلا في كثير .. حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله . قال - عليه الصلاة والسلام - لا ، ما اثنيتم عليهم ودعوتم لهم»

وقد بقيت المدينة لما بعد الهجرة بثماني سنين وليس في الدنيا غيرها دار اسلام ، وفيها بالمسجد النبوى مدرسة النبوة ، وقاعدة الخلافة الراشدة ، ومنطلق كتائب الفتوح المبكرة .

وأما «مكة» فقد شرفها الله تعالى ببيته العتيق قبلة الأمة ومثابة حجهم ومهوى افئدتهم .

....

ذلك كله مما لا تحتاج فيه الأمة الى تذكير به أو تنبيه يدفع شبهةالالتباس الموهم بأن تاريخ الاسلام بدأ بها . وهى مقولة ضالة خب فيها ووضع مستشرقو اليهود في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، حتى اذا بثوها في مناخ فكرنا الديني بالقدر الذي يحقق لهم مآربهم ، سعوا سعيهم لعزل التقويم الهجرى عن وجودنا المعاصر في حركة التفاف ماكرة تضلل الرؤية ويحار فيها الدليل .

*****

على رجاء الكشف عنها لقومي - إذا يسر الله واعان - أتلو آيته المحكمة في الهجرة ، تذكرة وعبرة :

«إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا ، والله عزيز حكيم» صدق الله العظيم .

وزارة الثقافة والإعلام
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ ١٩٩٢/٧/٩

شاهد على العصر

٩

د . بنت الشاطىء

فى حديث الهجرة :
قديم وجديد من بضاعة الاسرائيليات

كان الله فى عوننا، نتجلد لمجاهدة دواعى الإحباط والاكتئاب في زمان باسعاف الرجاء ضنين ، ونتكلف الصبر على مايغلب الصبر، ومابنا صمم عن رجة الزلزال فى عالم يريد ان ينقض، ولا فى اذاننا وقر يكتم عنا حشرجة الاحتضار لخمسة الاف طفل يموتون يوميا فى الصومال، واصداء النبا الفاجع لاغتيال الشهيد الرئيس الجزائرى « محمد بوضياف » فى خطواته الاخيرة من الجزائر العاصمة إلى «عنابة» شرقى الجزائر، وعودته منها محمولا الى مثواه فى مقبرة الشهداء سلام عليهم، رضى الله عنهم ورضوا عنه. .

وتواصل الحياة سيرتها الاولى كل منا مجاهدته ومسعاه كادحا إلى خالقه (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باى ارض تموت)

***

وأعود بالقراء الكرام الى مانبهت عليه فى حديث الخميس الماضى عن (تاريخ الاسلام والتقويم الهجرى) من شبهة التباس بينهما يوهم ان الاسلام بدا بالهجرة . والمسلمون كافة يعلمون من دينهم بالضرورة ان الاسلام بدا من فجر ليلة القدر فى شهر رمضان المعظم الذى (انزل فيه القرآن هدي للناس وبينات من الهدى والفرقان) ، ولمن لم يعلموا بالضرورة ان العمل بالتقويم الهجرى بدا من السنة الرابعة لخلافة « عمر بن الخطاب » : ثانى الراشدين رضى الله عنهم، وهى السنة السادسة عشرة للهجرة ، التاسعة والعشرون من بدء الاسلام بنزول اول الوحى، ليلة القدر.

دعت الى ذلك ضرورة الاتفاق على تقويم إسلامى موحد تؤرخ به اقطار الدولة الاسلامية التى اتسعت بالفتوح من عهد ابى بكر رضى الله عنه. وكان اختيار الهجرة للتقويم الاسلامى الجامع ، باتفاق وجوه الصحابة رضى الله عنهم.

***

مع تراخي الزمن وتلاحق المتغيرات، والانفتاح لتيار التنوير الغربي المحدث، فترت الهمم عن قراءة تاريخنا في أصول مصادره الموثقة، فشاع الوهم بان تاريخ الاسلام بدا بالهجرة ، وهي مقولة إسرائيلية فاحشة غرسوا بذرتها في موقع فكرنا الديني من زمان، وصبروا عليها طويلا دون ان يتجاسروا على الجهر بها، علانية في انتظار الظروف المواتية للظهور بها، وإعداد دعاة من قومنا يبشرون بها فينا ويرجون لها.

وعلمي بالاسرائيليات في تفسير القرآن قديم، بحكم انتمائي الى المدرسة القرآنية نشأة ودرسا وتدريسا ومنهجا. غير اني لم اشغل بها في المجال الفكري قصدا. وعلى تفرغ، إلا من عام النكبة. في محاولة شاقة لمعرفة اسبابها ومقدماتها، رفضا مني للقول بفوضى العشوائية وبغتة المفاجات وعثرة الحظ والنصيب، مع يقيني بثبات السنن المطردة للمقدمات والنتائج، لاتتعلق المشيئة العليا بنقض سننها

قال تعالى:

(فهل ينظرون إلا سنة الأولين، فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا.)

***

عام النكبة، سنة ١٩٦٧ م، لبثت أحدق في الأفق المعتم احاول ان استوضح الرؤية، وعلى الأفق ضباب متكاثف يحول دون نفاذ البصر، ونحن في غشية من دوار الصدمة، لانفهم منطق الهزيمة ولانعى أبعادها.

ومضت سنوات وأنا اطل من الموقع الفكري على الأبعاد المترامية لابتلاء امتى بطاغوت هذا الزمان، وكل زمان، فارى جذور المحنة ناشبة في اعماق وجودنا، موغلة في مسارب معقدة متشابكة مضللة للرؤية. ويتشابه الامر علينا في دروبنا الخفية الملتوية: تبدو حينا مدخلا للاستعمار، واحيانا مدخلا للصليبية، ثم يختلط بها نفق الالحاد فيزيدها غموضا وتعقيدا، حتى تلتقي شتى الدروب والانفاق مفضية إلى تل أبيب.

كما تتشابه علينا الذرائع في اقنعتها الموهمة وازيائها التنكرية.. وتحمل مرة شعار التنوير العصري باليقظة من افيون الشعوب، واخرى مفتاح العلم والتقدم، وثالثة كلمة السر الفاتحة لكنوز الدنيا والآخرة ودليل الطريق إلي الفردوس المفقود والموعود...

وكل الطرق توصل الى تل أبيب..

***

وأعان الله تعالى، له الحمد والمنة، فقدمت من عطاء مجاهدتي الصعبة مع الاسرائيليات ، ثلاثة كتب، هي على ترتيب نشرها:

(أعداء البشر) نشره المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة في طبعتين: ١٩٦٨، ١٩٧٢.

(الاسرائيليات في الغزو الفكري)

حاضرت بها طلاب معهد الدراسات والبحوث العربية بالقاهرة، ونشرها المعهد سنة ١٩٧٥.

(قراءة في وثائق البهائية)

نشره مركز الأهرام للترجمة والنشر: ١٩٨٦

ومن حق السادة القراء أن يسالوا عما يشغلني من الموضوع بعد أن بلغت واشهدت؟

وأقول: بقي أن الاسرائيليات ماتزال تضغط على موقع فكرنا الديني بجديد فلا يشغلني هذا الجديد بقدر مايشغلني ان اعادت صياغة قديم بضاعتها، في هذا الجديد المحدث، تزاحم به القضايا الشاغلة لوجودنا الحاضر. وإذ يضيق المجال عن استيعاب بضاعتها الحاضرة ومقابلتها على اصولها من قديم الاسرائيليات، اقتصر هنا على مقولة بدء تاريخ الاسلام بالهجرة، شاهدا ومثالا لمكر التدليس ودهاء الاحتيال .

لم يكن العمل بالتقويم الهجري في خلافة عمر، رضي الله عنه، ذريعة إلى القول بأن الإسلام بدأ بالهجرة كما يتبادر للظن العاجل، بل تعلق بها يهود يثرب عصر المبعث، مدخلا الى دعواهم الفاحشة، ان الدين الاسلامي إنما

(ولد بيثرب في حضانة احبار يهودها) ولم يتجاسروا بطبيعة الحال على الظهور بهذه المقالة الخبيثة في العصر الأول، فاكتفوا بغرس بذرتها، وحوموا عليها في إسرائيلياتهم المبثوثة في تاويل القرآن الكريم، بعدان اعياهم ان يمسوه بادنى شبهة من تحريف أو تصحيف، والله حافظه.

ويا طول صبرهم علينا!

ظلوا يتوارثونها اجيالا وقرونا دون ان يبلغوا منا ماربا، حتى جاء يهود القرن التاسع عشر فاحتشدوا لتحريكها وتلويث مناخنا الفكرى بها، إعدادا لتقبل صياغة جديدة لفهم ديننا، مشوبة بمدسوس الاسرائيليات وبدع التاويلات وخليط المذهبيات تحقيقا لمارب الصهيونية العالمية وهى فى مرحلة التحضير لرسم خريطة مملكة بنى اسرائيل فى ارض الميعاد .

وأطمعهم فينا امور عدة، أولها مايشهد به الواقع التاريخى من ان الدعوة الاسلامية لبثت بمكة محاصرة فى دائرة مقفلة حتى خرج الاسلام منها بالهجرة إلى يثرب فظهرت دعوته وخاض معاركه ومغازيه حتى تم له النصر على مشركى قريش، وقهر اليهود، ودخل الناس فى دينه افوجا واستقر فى دار هجرته يتطلع الى فتح ماوراء حدودها من اقطار خضعت لأكثر من الف عام، لوطاة الاستعمار من الفرس والرومان... مما يسهل معه الايهام بان دار الهجرة عزلت مكة عن مسرح الاحداث.

الأمر الثانى ما سجله تاريخ الاسلام فى أوثق مدوناته، من ان يثرب فتحت بالقرآن قبل الهجرة ، فهاجر النبى اليها وليس فى الدنيا وقتئذ، ولثمانى سنين بعد الهجرة، دار اسلام غير المدينة، على حين ظلت «مكة» من المبعث الى فتحها فى السنة الثامنة للهجرة، مركز وثنية مشركة غليظة راسخة، تسهر قريش على حراستها وتقوم على وظائفها الدينية وإقامة مواسم الحج.... مما يمكن أن يكون مدخلا للكلام فى التمييز بين الوحى المكى والوحى المدنى، يجوز على المفتونين والجاهلين والغافلين فى غيبة الوعى بخطر التهوين من العهد المكى، وفيه ليلة القدر، والهجرة إلى الحبشة، والمقاطعة والحصار، وعام الحزن، وبيعات العقبة، والاسراء.. وفيه نزلت ست وثمانون سورة ثم نزل بالمدينة ثمان وعشرون..

ثالث الأمور التى أطمعت يهود القرن التاسع عشر فينا، عامل الزمن، فكلما تراخى العهد بما مكن الاسلام لأمته فى عصور العزة والسيادة والمنعة من الدور القيادى الرائد للحضارة الانسانية فى العصر الوسيط، فترت حمية المسلمين وسهل معه استدراجهم إلى الغض من العهد المكى بما يرهف حس التهيب تجاه دار الهجرة والتحرج مما قد يبدوا نكرانا لجميلها وجحدا لفضل أهلها الأنصار ومأثور مناقبهم. رضى الله عنهم ..

***

وفى مسلسل ماكر الذرائع ملتوى الدروب، تلقى يهود القرن التاسع عشر ميراث الاسرائيليات، فعكف الحروفيون من احبارهم على توجيه بشريات التوراة والإنجيل بالنبى المنتظر، إلى القرن التاسع عشر حيث مظهر

البهائية التى اخذت دورها فى حلف الشيطان بينها وبين الصهيونية العالمية، فى محاولة تلويث مناخ فكرنا الدينى بان الاسلام بدين لدار الهجرة، بما زين يهود للنبى العربى بان أعداءه من أحبارهم اخفوا بشريات ظهوره، ومع اليقين من خيبة التبشير البهائي الغبى الابله بالمقولة الاسرائيلية ، تلقاها مستشرقو اليهود وعكفوا على خدمتها وانضاجها بالمعهود من دابهم ومكر ذكائهم ومهارة تدليسهم، فكانت الشغل الشاغل للمستشرق المجرى اليهودى الكبير «جولد تسيهر» فى دروس عن الاسلام أعدها بتكليف من (اللجنة الأمريكية للمحاضرات فى تاريخ الأديان) لالقائها فى خريف سنة ١٩٠٨، ولما شق عليه السفر إلى أمريكا لضعف صحته، تجرد لتنقيح دروسه واستيفائها والتوسع فى حواشيها، وانجزها للطبع سنة ١٩١٠، فى كتابه العقيدة والشريعة فى الاسلام : تاريخ تطورهما) ظهرت منه الطبعة الأولى بالالمانية مصدرة بمبحث اساسى موسع فى (محمد والاسلام) تبشيرا بصريح مقصده بان الاسلام فى العهد المكى لم يكن يشير الى دين جديد: (انه فى المدينة فقط كان مولد الاسلام فى الحقيقة، حيث قوى اليهود الذين مالوا عن دينهم رغبة فى مرضاته، عقيدة تحريف قومهم لكتابهم واخفائهم بشريات ظهوره، ومن ثم شغل الجدل ضدهم مكانا كبيرا من الوحى المدنى... وصار رهبان المسيحيين واحبار اليهود موضع مهاجمة منه، وقد كانوا فى الواقع أساتذة له)

ومن هذا المنطلق مضى جولد تسيهر يؤرخ لما سماه: (تطور العقيدة والشريعة فى الاسلام)

***

ثم، ما اصبر اليهود على تحضير بضاعتهم من الاسرائيليات ونفثها فى مناخنا الفكرى، بعد أن لبثت اكثر من نصف قرن بعيدة عن قراء العربية؟

اتحاشى عمدا عرض مقولاتهم الفاحشة دون مقابلتها على صيغتها الجديدة فيما نقرأ عن كتب المرحلة لدعاة التنوير العصرى، مع التصدى لنقضها فى اصولها من قديم الاسرائيليات. وهذه قضية معلقة منذ عشرين سنة، آن أوان نشرها والاشهاد عليها..

ما أريد أن اشهد عليه اليوم، هوانه فيما كان التبشير بعظمة دارالهجرة وترسيخ الوعى بصلاحيتها لموعد الاسلام فى حضانة الأحبار من يهودها ،تشق مجراها فى فكرنا المعاصره، كانت الأيدى الخبيثة دائبة على حفر نفق يشق مجراه سرابا الى عصرنا فى حركة التفاف ماكرة لحجب التقويم الهجرى جملة من وجودنا العصرى المنفتح لتيارات التنوير الوافدة من الغرب المتحضر، يبشر بها دعاة منا يانفون من كل (ماينمينا الى عصر الناقة فى أعمق فجوة من كهوف الزمان الغابر) .

(وإذا قيل لهم لاتفسدوا فى الارض قالوا إنما نحن مصلحون. الا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) صدق الله العظيم .

مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات
التاريخ : ١٦ / ٧ / ١٩٩٢

شاهدة عصر

(١٠)

د. بنت الشاطىء

قديم جديد من الإسرائيليات في بضاعتنا المحلية للسوق الحاضرة

تعلمت على كبر السن ان اميز فى المقولات الاسرائيلية المبثوثة فى فكرنا الاسلامى بين ما هو حمية لقضية مسيطرة على عقل المبشر بها ووجدانه، يتفانى فى خدمتها ويسخر منطقه ومصادره للبرهنة عليها على حساب المنهج العلمى، وبين ما هو نفث حاقد مريض يغلبه داؤه على امره، فلا يبقى له على قدر من رشد الوعى باختلال منطقه واضطراب تفكيره...

واركز النظر على اثنين من مستشرقى اليهود حملة المقولة الاسرائيلية [ان الاسلام لبث بمكة خاملا، لا يبدو ان الوحى فيه يبشر بدين جديد، حتى جاءت الهجرة التاريخية فعزلت مكة عن مسرح الاحداث بتحولها إلى يثرب حيث الاحبار من يهودها قد اعدوها فكريا وروحيا لاستقبال الرسالة الجديدة والترحيب بها. وفيها كان مولد الديانة الاسلامية بفضل الاساتذة الأحبار والكهان].

.....

مقولة يحسبها الناس هينة، لايدرون ابعادها المترامية ومراميها الخطرة، فمنها انطلقت دعوى تطور الاسلام عقيدة وشريعة، التى يلهج بها اقطاب التنوير فى زماننا البائس، وعليها تقوم حركة التبشير العصرية العالمية بوحدة الاديان وجمع المسلمين مع النصارى واليهود على دين ابيهم ابراهيم عليه السلام..

وربما هون عند الناس هذه المقولة الاسرائيلية أن المسلمين كافة يعلمون من دينهم بالضرورة ان تاريخ الاسلام بدا من ليلة القدر قبل الهجرة بسنين.، وان كانوا لايعلمون جميعا بالضرورة أن القران الكريم نزل منه فى العهد المكى قبل الهجرة ست وثمانون سورة ثم نزل منه بدار الهجرة ثمان وعشرون سورة. أولاها سورة البقرة وفيها ايات بينات حذرت المسلمين من شر اليهود ومكرهم، وشهدت عليهم بأثم تحريفهم كلام الله، قال تعالى، خطابا للنبى عليه الصلاة والسلام والذين امنوا معه:

□افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) وقال عز وجل:

(ومنهم اميون لايعلمون الكتاب الا امانى وإن هم الا يظنون. فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون).

افيمكن أن يجوز عقلا، ان يكون هؤلاء هم الذين تولوا حضانة الاسلام فى مهد مولده فيهم بدار هجرته؟

وفى اى منطق يسوغ القول باستاذيتهم لمن يتلو من أول الوحى المدنى قوله تعالى خطابا ليهود المدينة عصر المبعث:

(ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل، واتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس، افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون)؟

والمسلمون كافة يستقبلون فى صلاتهم المسجد الحرام قبلة امتهم ومهوى افئدتهم، وليسوا جميعا بحيث يعلمون ان المسلمين الأولين كانوا يصلون الى بيت المقدس من اول المبعث إلى منتصف شعبان المكرم من السنة الثانية للهجرة، والنبى عليه الصلاة والسلام لا يكف عن التطلع إلى القبلة التى يرضاها لامته، حتى استجاب له الله عز وجل ونزلت بدار الهجرة فى منتصف شعبان اية تحويل القبلة:

(قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها، فولّ ، وجهك شطر المسجد الحرام، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره..)الآية

وتحول المسلمون الى قبلتهم بمكة المقول بعزلها عن الاحداث وهم فى دار هجرتهم ليس لهم الى مكة سبيل وقتئذ ، حتى عام الفتح . السنة الثامنة للهجر.

وفى السورة الأولى من الوحى المدنى، تزلت ايات الاحكام فى شعائر الحج الى البيت العتيق ومناسكه، والمسلمون فى دار هجرتهم وابواب مكة من دونهم موصدة.

فلنتابع مقولة «مستشرقى» اليهود فى عزل مكة عن مسرح الاحداث بالهجرة إلي يثرب، مهد الديانة الاسلامية فى قالتهم الفاحشة.

فى سنة [١٩١٠] انجز المستشرق المجرى الكبير «إجناس جولد تسهير» فى بودابست كتابه بالالمانية عن تاريخ تطور [العقيدة والشريعة فى الاسلام] ففرض على المفكزين ومؤرخى الحضارات والاديان الاوروبيين احترامه وتقديره، بصدق حماسه لفكرة استقرت فى ذهنه ووجدانه عن مولد الاسلام بيثرب بعد الهجرة ثم [استمرار تطور عقيدته وشريعته إلي العصر الحديث بما تلقى على المدى الطويل من روافد اجنبية نجح فى صهرها فى بوتقته] وصرح في مقدمته بان مهمته الكشف عن هذه العناصر الاجنبية . وقد تجرد لهذه الغاية فى داب وصبر، وزودها بحواش سخية، مع وفرة مصادره ومراجعه التى سخرها بمهارة للاستدلال على فكرته.

وظل الكتاب معزولا عن قراء العربية لنحو ثلث قرن، قبل ان تنشر (دار الكاتب المصرى بالقاهرة سنة ١٩٤٦) ترجمة له عربية متقنة اشترك فيها وفى التعليق عليها ثلاثة من الأزهريين الدكاترة «محمد يوسف موسى المدرس بكلية اصول الدين بالجامع الازهر، وعبدالعزيز عبدالخالق المدرس بكلية الشريعة، وعلى حسن عبدالقادر مدير المركز الثقافى الاسلامى بلندن] وقدموا للكتاب بتزكية عالية يرجون فيها ان يكونوا قد قاموا ببعض ما يجب عليهم نحو الاسلام والدراسات الاسلامية [وإغناء اللغة العربية بخير ماكتب الغربيون فى هذه الدراسات].

قبل ظهور هذه الترجمة العربية بعقدين من الزمان، واسرائيل على وشك الانتهاء من مرحلة الحرث والتحضير لارض الميعاد، طرا علينا بمصر المستشرق اليهودى الشاب «اسرائيل ولفنسون ابو ذؤيب» مدرسا للغات السامية والعبرية فى دار العلوم أيام عز اصالتها وتفردها، قبل إلحاقها بجامعة فؤاد الاول / القاهرة] واشتغل فى الوقت نفسه بتحضير رسالته لدرجة الدكتوراه فى الآداب من جامعة القاهرة، فى موضوع [تاريخ اليهود فى بلاد العرب] بإشراف استاذنا

العميد «الدكتور طه حسين» رحمه الله ونشرتها لجنة التاليف والترجمة والنشر، فى طبعة الإعتماد سنة ١٩٢٧ مع مقدمة للأستاذ العميد، نوه فيها باختيار الدارس لهذا الموضوع ذى الاهمية البالغة، نظرا لما كان بين اليهود والعرب فى الجاهلية وصدر الاسلام من وثيق الاتصال..

.....

كان ذلك التشجيع لأبى ذؤيب، فى مرحلة تفتح فكرنا الحديث للفكر الاوروبى، شاهدا لسماحتنا العقلية بنفى عنا جمود التعصب وعقدة المقت لبضاعة الغرب الحديث. واخذ كتاب ابى ذؤيب موضعه فى مراجع درسنا للساميات وفقه اللغة على المستشرقين الالمانيين الكبيرين «ليتمان وشاخت» حيث تبين لى بيقين أن كتاب ابى ذؤيب تفسير يهودى لتاريخ الجاهلية وعصر المبعث، مع فحش التدليس وبؤس التهافت وفساد المنهج. وقد جادلت استاذنا العميد فيما كرهت من تزييف الصفة الجامعية بهذه الدراسة التى تنضح بالغل والحقد ، فتقبل رحمه الله مجادلتى بالمعهود من سماحة طبعه ودماثة خلقه وسعة افقه. ثم لما واجهته بسؤالى العنيد: كيف ولم اجاز هذا التفسير اليهودى لتاريخ الجاهلية وعصر المبعث مع وضوح زيفه وفساده ؟ فردّ على ، دون أن تفارقه ابتسامته الأليفة : (لكى يقرأه جيلك ، ولمن شاء منكم أن يتصدى لنقده أو نقضه . لماذا لا تفعلين ؟!)

غير انى ركنت الكتاب فى زاوية من خزانتى بما على هوامشه من حواش لى وتعقيبات . وانصرفت عنه وفى بالى ان ليس علينا منه باس ، مادام يحمل بصمة مؤلفه ، والعهد بامتى ان تستريب فى مثله بحدس الدفاع عن الذات .. حتى حين حانت لى فرصة مراجعته ونقضه بعد ..

.....

الزمان : اوائل يونيه المشئوم ، سنة ١٩٦٧ .

المكان : بهو الاستقبال بمقر وزير الثقافة بقصر السيدة عائشة فهمى المطل على النيل من مدخل الزمالك . حيث عقد اجتماع دعا إليه السيد الوزير «الدكتور ثروت عكاشة» عدداً من الكتاب والمثقفين ، لتبادل الرأى فى الموقف الحرج لمصر تجاه العدوان الاسرائيلى . ولم يكن البلاغ الرسمى عن الهزيمة قد أعلن بعد بمصر ، وبدا بوضوح أن السيد الوزير يهيئنا له ، ويرجونا لحراسة معنويات الشعب من الانكسار والاحباط . فكان رأى الكثرة من الزملاء أن نوجه باسم مثقفى مصر بيانا لمثقفى أوروبا وأمريكا ، نذكرهم فيه باننا أمة عريقة فى الحضارة ، تبرأ من التعصب الدينى والعنصرى، ونرجوهم لتاييد قضيتنا العادلة فى رد العدوان والتصدى لمطامع الصهيونية

ولم انشط لمثل هذا البيان المقترح ، وكانت وجهة نظرى ان مثقفى الغرب إذا كانوا بحيث يرتابون فى شرعية نضالنا عن حرماتنا فما بنا حاجة إلى التماس تاييدهم لقضيتنا . وإن كانوا بحيث يجهلون ما لا يجوز أن يجهله أى مثقف عن عراقتنا فى المدنية والعلم والحضارة ، فما ينبغى أن نسمح لهم او لسواهم بان

يضعوا أصالتنا الحضارية موضع النظر . وكيف نرجوهم للوقوف فى مواجهة القرصنة الصهيونية ، وإن دولهم لتمارس أبشع جرائم التعصب الدينى والمذهبى والتفرقة العنصرية والقرصنة الاستعمارية، هنا فى شرقنا الآسيوى الافريقى وهنالك فى الغرب الامريكى، على مرأى من مثقفيهم هؤلاء ومسمع ... يفتح الله !

.....

وانتقلنا إلى دار الأهرام حيث شغل الزملاء بصياغة القرار فى مكتب «الأستاذ توفيق الحكيم ، وانسحبت إلى مكتبى بجواره ، عازفة عن الاشتراك فى التوقيع على البيان ، مشغولة البال بالتفكير فى الأبعاد المتطاولة على امتداد الزمان والمكان ، لجولات المعركة الانسانية مع أعداء البشر.

ولم ابت ليلتى تلك حتى كنت قد تأهبت لدراستها، حيث وجدت كتاب « أبى ذؤيب ، أسرائيل ولفنسون » فى (تاريخ اليهود فى بلاد العرب) ينتظرنى ، وقد آن الأوان لنقضه ، وصاحبه ابو ذؤيب قد ظهر من وقت قرار التقسيم وقيام دولة إسرائيل ، مندوبا لها وداعية مبشرا فى أقطار قارتنا الافريقية !

وألفيت مع نسختى من كتابه فى خزانتى ، مدونات لى من كتاب بالألمانية كنت قراته فى رحلة الصيف إلى النمسا عام ما قبل النكبة ، شارك فى تأليفه عدد من العلماء الألمان فى علوم التاريخ والأجناس والأديان والأخلاق ، ندبهم «هتلر» فى ذروة جولته النازية مع اليهود ، ليقدموا تفسيرا علميا لعداء السامية فى جولات المعركة الانسانية معها ، وطبع الكتاب فى (درسدن : ١٩٣٥) ثم احتجب من الإسواق بعد سقوط هتلر ، وبقيت نسخ منه فى مكتبات عامة وخاصة .

.....

بعد سنة واحدة من النكبة ، كنت قد انجزت كتابى (أعداء البشر) ونشره المجلس الأعلى للشئون الاسلامية : سنة ١٩٦٨ ، وظننت أنى قد بلغت ..

ثم كانى خشيت أن لم يبلغ البلاغ من قومى مسمعا ، إذ تابعت الرصد لما تكاثر من الاسرائيليات فى سوق بضاعتنا الحاضرة لمؤلفين منا ، تشبه أن تكون صياغة محلية شائهة فجة للتفسير اليهودى للاسلام عصر المبعث فما بعده ، تهبط عن مستوى «جولد تسيهر » فى جده ورصانته وذكاء منطقه ، وتتدنى إلى مستوى « أبى ذؤيب » فى زيف تزويره وحمق تدليسه وخلل تهافته وبؤس حقده ، فكان أن أعدت نشر كتابى (أعداء البشر) فى طبعة ثانية مجددة نشرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة سنة ١٩٧٢ ، مهداة منى :

(إلى جيل غاضب من شباب امتى يرفض الهزيمة والعار ، ويعى ما يحمل من تكاليف معركة امته ، فيما تواجه من تحديات وجود ومصير ، تحية الأمل والرجاء)

.....

« فهل قد بلغت ؟ اللهم فاشهد »

(والسلام على من اتبع الهدى)

صدق الله العظيم

وزارة الاعلام والثقافة والاعلام
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ ٢٣/٧/١٩٩٢

شاهدة عصر

١١

د . بنت الشاطىء

عقدة الفرنجة . وعثرات الكبار

اقلب بصرى فيما تتلقى سوقنا الحاضرة من صياغة محلية لاقوال الاجانب في الاسلام ، فيحزنني ان تنم عن فتنة استهواء بهم تنزههم عن الخطا والزلل وتعطل الوعى بعثراتهم وزلاتهم ، بما يئول غالبا الى تعطيل المناعة العقلية المكتسبة بمنطق الفطرة وقانون الميراث . وقلت واقول انه لا باس علينا من زيغ الاسرائيليات ومقولات خاطئة فى الاسلام لمستشرقين كبار ، اذا ما جاءتنا تحمل بصمتهم دون تدليس او تجهيل ، فالامة مرجوة لان تستريب فيها وتاخذ منها موقف الحذر والتردد . وليس الامر كذلك إذا نزعت بطاقة مصدرها ، وبشر بها دعاة تنوير عصرى ، فى صياغة محلية فجة توهم انها من تاليفهم .

●●●

فى حدود ما تسمح به ظروف النشر ، اترك الى حين كشف الغطاء عما رصدت وأرصد من الاصول الاجنبية لبضاعة تنوير محلية لقلة منا ماخوذين بفتنة الاستهواء المعطلة للوعى بسقطات مؤلفيها الكبار ، والحديث المشهور عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : (حبك الشيء يعمي ويصم) .

اطوي الكشف عنها الى حين ، لاقدم مثلا لمزالق العثار فى منطق مستشرقين كبار سوغ لهم منطقهم ان يتصدوا لدراسة الاسلام والكلام فى القرآن ومحمد - صلى الله عليه وسلم - انطلاقا من فكرة ضالة خاطئة ، هى ان القرآن من كلام محمد ، عليه الصلاة والسلام ، لا ادخل معهم في جدل عقيم حول الالزام الدينى بصفة القرآن وحيا ، ولا اتعلق فى نقض مقولتهم باقرار كثرة من علماء التاريخ والحضارة والاديان والاخلاق ، بان القرآن وحى لا ريب فيه . كما لا اتعلق بما صحت به الاخبار الموثقة ، ونزلت به آيات محكمات من إرهاص يهود شمالي الحجاز قبيل المبعث ، بنبى من العرب حان اوان ظهوره يعرفون صفته في كتبهم . واذا كنا نحن المسلمين ملزمين دينا وعقيدة بان نصدق بكتب الله ورسله (لا نفرق بين احد من رسله) ، فليس من المجدى ان نلزم بهذا التصديق من يدين بغير الاسلام

القضية بيننا وبين من جحدوا صفة القرآن وحيا، هى قضية إلزام علمى منهجى لكل من يتصدى لدراسة القرآن وتاويل كلماته، متدينا كان أو ملحدا، من حيث لا يسوغ في المنهج، باى وجه، تصدى دارس أو ناقد لأى نص وهو يجهل طبيعته، فكما لا نتصور تعرض باحث ناقد للنظر فى نص ادبى إو تاريخى أو صوفي مع جهله بطبيعة النص، لا يتصور ان يصح لأى دارس فهم كلمة قرآنية دون إقرار بطبيعته وحيا. فعلى اى وجه لا يمكن لمن يجحد هذه الصفة، أن يمضى فى توجيه ايات الخطاب بالاحكام، امرا ونهيا ونداء وتحذيرا، او تسلية وموعظة وتوجيها؟ وباى وجه يمكن نسبة القرآن إلى محمد، وهو صلى الله عليه وسلم يؤكد ويقرر ويشهد ويكرر بانه رسول

يتلو آيات الله عز وجل، يتحدى المشركين من قريش مجتمعين أن يأتوا بسورة من مثله والعربية لغتهم والبيان طوع ألسنتهم سليقة وطبعا؟ قال تعالى: (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله، قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي، إن أتبع إلا ما يوحى إلي....) الآية.

ومن حيث يصعب إلزام مستشرقي اليهود والنصارى بصفة القرآن وحيا، لصعوبة إدراك الفرق بين الإلزام بالإسلام دينا وبين الإلزام المنهجي العلمي بالقرآن وحيا لمن يتصدى للنظر فيه، أركز النظر على أجل كتاب في موضوعه: (تاريخ الأدب الجغرافي العربي) لعميد الاستشراق الروسي «كراتشكو فوسكي» أجل من عرفناه رسوخا في علمه ونبل تجرده من جموح الهوى، مع المرجو في مثله من حياد فكري ووجداني يحرره من التعصب الديني.

أقدمه شاهدا على ما يجوز على الكبار من انحراف منهجي، بالنظر النقدي في القرآن مع الجهل بطبيعته وحيا، وما يعقب ذلك من مزالق العثار..

ومرجعي في هذه الشهادة ، الترجمة العربية الممتازة للأستاذ الزميل «الدكتور صلاح عثمان هاشم» من أعلام السودان المعاصرين. نقلا عن الأصل الروسي المطبوع سنة ١٩٥٧، ونشرت الترجمة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية بالقاهرة ..

من مدوناتي (شاهدة عصر) أنقل الخلاصة التالية:

الزمان : أوائل مايو سنة ١٩٦٥ ، وقد مضى عام وشهور على نشر الجامعة العربية الجزء الأول من كتاب (تاريخ الأدب الجغرافي العربي للمستشرق الروسي الكبير كراتشكوفوسكي). والأمين العام لجامعة الدول العربية وقتئذ ، السيد الدكتور محمد عبد الخالق حسونة » .

اتصل سيادته بنا هاتفيا في الدار ، يجدد العهد بصحبة حميمة بينه وبين الأستاذ أمين الخولي منذ كانا يعملان معا في المفوضية المصرية ببرلين ، أوائل الربع الثاني من القرن الحالي ، ثم كلمني فيما يرجوني له من التعليق على ما جاء في الجزء الأول من كتاب كراتشكوفوسكي عن المعارف الجغرافية في القرآن ، من مقولات شكا غير قليل من القراء، من مخالفتها للعقيدة الاسلامية، على أن يطبع التعليق مستقلا ، ويوزع مع مالم يتم توزيعه من الكتاب . ولم أتردد في الاستجابة لهذا التكليف ، شاكرة للسيد الأمين العام حسن ظنه بي . ثم مالبثت أن أعدت النظر في جدوى طبع التعليق مستقلا منفصلا عن الكتاب . وإذ علمت أن الجزء الثاني منه قد تم طبعه سوى ملحق الفهارس في آخره ، ارتضينا تأجيل إنجازه حتى يطبع معه ، ملحقا به «تعليقي على الكتاب».

بعد أيام تلقيت من الإدارة الثقافية الخطاب (رقم ٥١٨٢ بتاريخ ١٦/ ٥/ ١٩٦٥) بتكليفي بالتعليق على (مافي الجزء الأول من معلومات خاطئة عن المعارف الجغرافية في القرآن الكريم ، مع الاحاطة بأنه قد تقرر صرف مكافأة قدرها خمسون جنيها نظير القيام بهذا العمل العلمي الجليل) .

وتبعه الخطاب رقم (٥١٨٣) مرفقا بنسخة من ملازم الجزء الثاني (للنظر فيما اذا كان فيه مايقتضي الرد ، مع الإحاطة بأنه تقرر صرف مكافأة قدرها

خمسة عشر جنيها نظير القيام بهذا العمل العلمى الجليل).
وابدا بتسجيل شهادتى لله تعالى ، بان الاستاذ المترجم ، الدكتور صلاح عثمان هاشم ، لم يفته التنبيه على الفصل الاول بما نصه : (للمؤلف فى هذا الفصل آراء لاتتفق مع وجهة النظر الإسلامية ، ولكنى آثرت إيرادها بنصها تمسكا بالأمانة العلمية ، تاركا لعلماء المسلمين الرد عليها).
وطبع الجزء الأول وعلى هامشه هذا التنبيه . ص٤٥ . لم يلق اليه المكلف بالنشر بالا ..

●●●

ولاعترف كذلك بانى لا اعلم كتابا يقارب كتاب كراتشكوفوسكى ، فى صدق البذل وتقصى المصادر ، لم يكد يدع كتابا نعلمه او نجهله فى مادته الا نظر فيه ، فخرج الكتاب اشبه مايكون بدائرة معارف نادرة فى موضوعه .

●●●

وعلى الرغم من المشهود له به من ضبط قلمه من جموح الهوى وضلال التعصب خانه الحذر من الخطأ المنهجى الفادح فى الانسياق وراء ضلالة جحد صفة الوحى القرانى لا عن تعصب او حقد ، بل تأثرا بما راج فى الفكر الاوروبى من مقولة مستشرقى اليهود ، وبخاصة «جولدتسيهر» الذى يكاد يلقى ظله على الفصل الأول الخاص بالمعارف الجغرافية فى القرآن .
وضلله هذا التأثر بمقولة ماكان تهافتها ليغيب عنه لو لم تستقر فى وعيه كانها مسلمة بديهية ليست موضع نظر او توقف ، فمضى معها تلقى به حيثما تكلم فى محمد والقرآن ، فى تيه ضال المسالك تائه المداخل والمخارج تسلمه العثرة الى اخرى أضل سبيلا واشد غموضا وتعقيدا ، ثم لما عبر هذا المنزلق الخطر ، الى مابعد الفصل الأول من فصول الكتاب الاربعة والعشرين ، استقامت فيها خطاه غاية الاستقامة .
كانت العثرة الأولى ان بدا باحدى مسلماته البديهية قال : «ومن الجلى ان محمدا كان اميا ، وتكتسب هذه الحقيقة مغزى خطيرا لانها تسوقنا الى الافتراض بان القرآن هو جماع تلك المعارف التى حصل عليها محمد بطريق السماع» .
لم يتوقف وهو يرسل هذه الدعوى بمغزاها الخطير ليسال: وهل تفرد محمد صلى الله عليه وسلم بالأمية؟ أو كانت المعارف المتاحة له بالسماع قصرا عليه وحده دون سائر العرب؟
ويعجز عن فقه الدلالات المجازية والاصطلاحية للعربية لغة القران ولمح خصائصها البيانية فى التعبير فيعتذر بغموضها ، وتسلمه العثرة الى القول بانها كانت غامضة على محمد نفسه . ثم الى عثرة اشد ، انه صلى الله عليه وسلم كان يتعمد الابهام والغموض!!
واقدم مثالين من شواهده ، قال :
ولعل النظرية القائلة بوجود بحرين فى القرآن ، تكاد تكون اعسر مشكلة فى الأدب الجغرافى على الاطلاق .. وقد ظهرت الفكرة القائلة بان المراد هو البحر المتوسط والمحيط الهندى بخليجه الذى يتمثل فى البحر الأحمر ،

وان البرزخ بينهما هو برزخ السويس .. وثمت تفسير جديد للمستشرق « فنسنك » فهو يلاحظ أن الآيات فى البحرين تفترض وجود محيط سماوى ! او هى فكرة متداولة عند الساميين الغربيين وعرفها محمد ولو بصورة مبهمة ،ومما زاد فى اللبس اكثر أن هذه المسالة لم تكن واضحة له كالفاظ غيرها فى عدد من المواضيع تحمل طابع الغموض) ..

قلت : ذلك من الجهل بخصائص العربية فى التثنية على التغليب ، كالوالدين للوالد والوالدة ، والابوين للأب والأم . وليس فى سياق آيات البحرين ما يشير الى نظرية جغرافية لبحر احمر وابيض او محيط سماوى وأرضى ، بل هى جميعا من آيات القدرة الالهية . (وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تاكلون لحما طريا)

(مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لا يبغيان) الايات

●●●

وانتقل كراتشكوفوسكى من نظرية البحرين الى نظرية البحار السبعة ، وهى اشد عليه واعسر ، قال : (وفى موضع اخر من القران غلب عليه الجانب البلاغى أدى الى ظهور نظرية البحار السبعة فى هذه الآية التى تمثل بدورها ترجمة لحكمة عبرية ، إنما بطريقة رمزية .. ولعلنا نجابه مرة اخرى المغزى السحرى للرقم سبعة)

قلت : نص الاية المستشهد بها قوله تعالى فى سورة لقمان :

(ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله) هل هنا مجال للتنظير بحكمة عبرية يقال إن الكلمة القرانية ترجمة لها ؟

وفيم ترديد الاشارة الى المغزى السحرى للرقم سبعة ، والذى فى الاية ثمانية ابحر ؟

ويفوت المستشرق الكبير ان العدد فى الاية ليس بدلالته الرقمية المحددة ، بل بدلالة مجازية بيانية على التعدد ، كدلالة اثنين وثلاثة على القلة ، ودلالة العشرات والمئات على الكثرة والالف والالوف على غاية الكثرة ..

وثالثة مما غاب عن المستشرق الاستاذ من دلالة الكلمة القرانية . ان البحر فى (اية لقمان) ونظائرها ليس واحد البحار ، بل مطلق البحر كله قسيم البر كله ، قوله تعالى : (ولقد كرمنا بنى ادم وحملناهم فى البر والبحر)

(قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا)

(وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) الآيات

●●●

فهل يبلغ هذا البيان مسمعا ممن تعطل فتنة الاستهواء وعيهم . بما يقع فيه كبار الغربيين من اخطاء واوهام كبار ، تحمل إلينا فيضل بها الناس ضلالا بعيدا ؟

واختم بالآية البينة :

(قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا) .

صدق الله العظيم

الأهرام
وزارة الثقافة والإعلام
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٩٩٢/٧/٣٠

شاهدة عصر

٢٧

د . بنت الشاطىء

معذرة إلى الكُتّاب ذوى النوايا الطيبة

ما أنبل أن يدعو كاتب مسيحي كبير قومه المسيحيين الى أن يسيروا معه (فى خطى محمد) صلى الله عليه وسلم كما تمثلها، مستحضرا معها (خطى المسيح) عليه السلام. خطوة خطوة، فى معاناة صعبة لمخاطر الطريق، قائلا لمن يسال: فيم هذه المعاناة الباهظة (فى كتاب شاءه مؤلفه طريقا يسير عليها فى خطى محمد؟

[وجوابى عن ذلك واضح بسيط ذلك انى اتمنى ان نسير جميعنا فى خطى النبى العربى، ولن نستطيع السير فى خطاه إلا إذا أسهمت فى تعبيد الطريق وفى اقتلاع الأشواك منها والعقبات، وفى ملء الأخاديد والحفر، وفى وصل الجسور المقطوعة منذ زمن. ولست بمستطيع ذلك الا بالمحبة، بالتؤدة، بالاقناع، بإيراد بعض الادلة ، والإدلاء ببعض الخواطر والأفكار التى تنثر ماء الورد والزهر على نار أشعلها أولو المآرب وذوو المصالح. والسير فى خطى محمد ليس سوى السير فى طريق الإيمان بالله واليوم الآخر]

وسار على الدرب الوعر، يقتلع الأشواك ويكد نفسه وذهنه ووجدانه فى وصل الجسور المقطوعة منذ زمن، والتوفيق بين خطى محمد وخطى المسيح عليهما السلام، حتى إذا بذل قصارى جهده، أراد أن يدفع وهم الظن بأنه يدعو الى الخروج من دين الى دين. قال :

[والإسلام دين الأزمنة جميعها. وهو قد أعد لجميع الشعوب. فهو ليس للمسلمين فحسب، وليس النبى نفسه، صلى الله عليه وسلم، نبى العرب والمسلمين فحسب، بل هو نبى كل مؤمن بالله واليوم الآخر والنبيين والكتب المنزلة. وفى الدين الإسلامى من الشمول والرحب ما يجعله يفتح ذراعيه لجميع البشر دون أن يؤثر فى قومياتهم وولائهم لدين يعتنقونه]

يقول هذا علانية وينشره فى زمان أنهكته فتن التعصب الدينى والمذهبى، وأجهزة الإعلام مطبوعة ومقروءة ومسموعة، مباحة لمن شاء أن يشارك برأيه فى نوازل العنف الإرهابى مقصودا به الإسلام والإسلاميون.

●●●

على أنه مهما يكن موقف المؤلف المسيحى الداعى إلى السير (فى خطى محمد) صعبا، فإن موقفى من كتابه أصعب وأشد حرجا، لما تأخذنا به ضوابط المنهج النقلى فى المدرسة الاسلامية من تشدد فى النظر النقدى لأقوال ذوى الصلاح ومروياتهم، إذ الخطر منها أشد لثقة الناس فيهم وحسن الظن بهم، فيقول «الإمام مالك» إمام دار الهجرة رضى الله عنه فيمن أدرك بها من صلحاء التابعين حملة العلم والحديث عن الصحابة تلاميذ مدرسة النبوة:

(كم من أخ لى فى المدينة أرجو دعوته ولا أقبل شهادته!.. ولقد أدركت بالمدينة أقواما لو استسقى بهم المطر لسقوا، وقد سمعوا من العلم والحديث شيئا كثيرا وما أخذت عن واحد منهم، وذلك أنهم ألزموا أنفسهم الخوف والزهد والانقطاع، وهذا الشأن - حمل العلم - يحتاج الى رجل معه تقى وورع وصيانة وإتقان وعلم، فأما زهد بلا إتقان ولا معرفة فلا ينتفع به وليس هو بحجة ولا يحمل عنهم العلم).

والإمام مالك مشهود له بالبصر بالمرويات وتمييز الرجال، حجة فى الجرح والتعديل، وقد ذكرت، ما كان من تشدده فى حملة علم من التابعين الصالحين من أهل المدينة فى القرن الثانى للهجرة، اقتداء به والتماسا للعذر فيما أذكر عن كتاب (فى خطى محمد) للكاتب المسيحى اللبنانى الكبير «نصرى سلهب»، مع ما لا أجحده من نبل مقصده وطيب نواياه وصدق بذله..

●●●

التاريخ : ٣٠ / ٧ / ١٩٩٢

من مدوناتي (شاهدة عصر) اوجز ظروف معرفتي بالكتاب ونظرى فيه.

الزمان: شتاء سنة ١٩٧١ - ١٣٩٣ :

المكان: الرباط، وقد عدت من زيارة علمية الى جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان فوجدت فى انتظارى بفندق حسان، مقر إقامتى بالمغرب، رسالة هاتفية مكررة من «السيد فخرى شيخ الارض، سفير المملكة السعودية بالرباط، لاتصل بسيادته فور وصولى. والتقينا فقدم الى نسخة من كتاب (فى خطى محمد، تاليف الاستاذ نصرى سلهب) في طبعة بيروتية فاخرة، هدية من «جلالة» الملك فيصل عاهل المملكة السعودية) وكاني فهمت ان العاهل الجليل يود أن يعرف رايى فى الكتاب، فعكفت علي مطالعته فمازال يشغلني حتى انهيت قراءته وقلمي فى يدى اقيد به علي هوامش الكتاب حواشي من تعقيبات وملاحظات ومستدركات عليه، ذكرنى بها اليوم غليان هذا الزمان بالمقالات والمؤلفات عن الإسلام وفى الإسلام، واحداث التطرف الدينى للإسلاميين.

الكتاب فى مجمله تصور لخطى محمد عليه الصلاة والسلام فى سيرته الزكية، وما كان من آثارها فى الفتوح والحضارة، مع التنظير لها خطوة خطوة بخطى للمسيح عليه السلام.. فيكاد الكتاب - في صفحاته التي قاربت خمسمائة صفحة من القطع الكبير - يكون مناصفة بينهما.

مع فارق جوهرى بين ما كتبه عن المسيح عليه السلام - والمسيحية بنصوص نقوله من مصادرها الوافرة عنده، وما كتبه عن محمد صلى الله عليه وسلم والإسلام، مسترسلا الى خواطره وسوانحه.. ذلك لان المؤلف فيما تابع من (خطى محمد) كما تمثلها من سيرته، لم يشا لها فيما يبدو ان تكون على نمط السيرة النبوية بنسقها المعتمد ونصوصها الموثقة ومصطلحاتها المقررة، وإنما هى صياغة عاطفية لتاملاته وافكاره، تانق فى اسلوبها غاية التانق فيما يشبه مناجاة وجدانية حائمة حول سنا النور واريج الزهر وشذا العطر، مع قبس من ايات قرانية. ورجوع الى (سيرة ابن هشام) فيما التمس من مادة السيرة النبوية، بالإضافة الى مواضع عن (البلاذرى، فى فتوح البلدان) نقلا عن المورخ اللبنانى «فيليب حتى»

على ان فيما يرجع إليه من (سيرة ابن هشام) ياخذ منها ملتمسه من الشواهد والمواقف، فربما شغله الاسترسال مع خواطره عن التثبت مما يقرا وينقل، فياتى به علي غير وجهه الصحيح.

●●●

ولسنا نؤاخذه على ما يجوز على بشريتنا جميعا من سهو وغفلة وقصور، إنما المؤاخذة على ما جاء به من مادة السيرة النبوية ، فيقع فى اخطاء لا تشفع له فيها نواياه الطيبة ومقصده النبيل. ومن هذه الاخطاء ما لا ينجبر، بمصطلح علمائنا.

●●●

ويسهل ان نتجاوز عن نبو التنافر بين الكلمة المشرقة التي صدر بها المؤلف كتابه، وبين ما تلاها مباشرة في مدخله من تعريب لمقالين نشرا بالفرنسية قبل منتصف هذا القرن، يهذى أحدهما باسطورة الوحى، ويهذى الآخر (بالمغامرة التى خطط لها محمد سرا قبل ظهوره بالنبوة بعشر سنين) عربهما الاستاذ سلهب في اثنتى عشرة صفحة، اول مدخل الكتاب. نموذجين من نماذج كثيرة كانت عنده : [فى صدر الاسباب لموقف العالم المسيحى من الإسلام موقفا بعيدا عن الحق] ص ٣٠

ويصعب أن نسيغ ما يجرح حس المؤمن، من قول الاستاذ سلهب عن (مسرح الاحداث) في مكة ويثرب

[اولاهما: ابصر فيها النور ذلك العظيم الذى ارسله الله بنور الإيمان والحق. وثانيتهما اطفا فيها عيناه - كذا - من النور ذاك العظيم نفسه] - ص ٣٩

وقوله فى انتصار المشركين (يوم أحد):

[.. ولاول مرة - وكانت يتيمة لانها الاخيرة - ترجح كفة الكفر علي كفة الإيمان، وتنتصر البغضاء على المحبة، ويتقهقر الله امام اللات والعزى..] - ص ١٧٤

ونلتمس له عذرا عن اغفاله منزلة عمرو بن العاص رضى الله عنه، فى الإسلام، إذ يقول بعنوان (نميمة ابن العاص) عند النجاشى ليرد مهاجرة الحبشة الى قومهم..

[وكم فى البشر اليوم من أبناء عاص؟! كثيرون أمثاله مع الأسف ! .. كم بيننا اليوم من بشر يلجاون الى هذه الوسائل ليثيروا الخواطر ويسمموا الأفكار ليبذروا بذور الفتنة!] - ١٢٧

وذلك من الاغفال لموازين الرجال واقدارهم فينا..

●●●

وأما ما لا يهون التجاوز عنه، فمن امثاله:

● قوله فيما لقى محمد صلى الله عليه وسلم من شدة قريش، عام الحزن..

كلا.. لابد له بعد هذا أن يغادر مكة، وكاني بالنبى الكريم إذ يتخذ هذا القرار، قرار هجرة موطنه، كان يردد قول المسيح لاهالى الناصرة: «ليس نبى مقبولا فى وطنه، غادر مكة وقصد الى الطائف واحة الحجاز، فيها المياه تغرد والاشجار تزغرد.. وظن صلوات الله عليه أن بعدها عن موطنه يجعله فى مامن).. - ص ١٣٨

واقول: لا خلاف أعلمه بين علماء السيرة فى ان خروجه عليه الصلاة والسلام إلى الطائف لم يكن قرارهجرة. بل خرج إليها وحده يلتمس النصرة من ثقيف، وعاد الى مكة آخر النهار متعبا يائسا من خير ثقيف..

● قوله بعد ذلك فى عزمه صلى الله عليه وسلم الهجرة إلى يثرب:

[سيهجر مكة موطنه.. سيترك الكعبة لاولئك الذين لوثوها بالاصنام.. ولكنه سيغيب الى حين، سيعود الى بيت الله ويعيده الى الله نفسه، فلا يبقى فيه سوى الحجر الاسود رمزا الى خضوع البشر الى

خالقه وذكرا من إبراهيم اول ناطق بالتوحيد على وجه الارض].

واقول: اما هذه فعثرة لا نهوض منها وجرحة لا تنجبر، بما تعني صراحة ان سائر الرسل قبل إبراهيم لم ينطقوا بالتوحيد! والذى فى اصول عقيدتنا ان «التوحيد جوهر الدين كله»، وما من رسول الا دعا الى عبادة الله وحده، باستقراء آيات التوحيد فى دعوات الرسل، من نوح وهود وصالح.. الى خاتم المرسلين عليهم السلام، فكيف يتصور ان يدعو الرسل الاولون الى التوحيد وهم لم ينطقوا به!؟

● ويتحدث فى ما قبل الهجرة الى يثرب عن [حبة الزرع التي القاها في قلوب اليثربيين من الحجاج الى مكة، فما اطل عام ٦٢٢ مسيحية حتى كانت قد نشات وترعرعت فإذا هى شجرة باسقة الاغصان صلبة الجذع. وقصد الى مكة وفد من هؤلاء وقابلوا النبى سرا.. وعقد الحلف بين الرسول واليثربيين واستقر الرأى على هجرة مكة الى يثرب..]

واقول: كلا.. ما كانت العقبة الكبرى - التى لم يذكر المؤلف اسمها - حلفا على هذا الوجه من التجهيل، ولا كانت قرار هجرة، بل إيذانا باتجاه مجرى الاحداث الي يثرب..

● وذكر بعنوان (اول مسجد) ان مستقبلى النبى العظيم تنافسوا على نزوله فيهم وهو يقول: «خلوا سبيل ناقتي فإنها مامورة»، حتى وقفت فى مكان غير ذى بناء، وفيه بنى النبى اول مسجد بنى فى الإسلام] - ١٦٠

وهذا خلط منكر بين دخوله صلى الله عليه وسلم المدينة وبناء المسجد النبوى، وبين ما سبقه من منزله بقباء، بظاهر المدينة - وبناء مسجد قباء، اول مسجد بنى فى الإسلام..

● ● ●

على انى ارجىء النظر فيما جاء بالكتاب عن (الحقبة اليثربية) الى مجال ذى سعة بمشيئة الله. واقتصر هنا على مثالين من اوهامه فيها:

● قال بعد النصر على الاحزاب وبنى قريظة:

[واثبت محمد بعد ذلك أنه سياسى بارع حكيم بعيد النظر عندما أخذ المبادرة في عرض صلح على قريش معلنا لها ضمان سلامة قوافلها لقاء السماح له وللمسلمين باداء فريضة الحج..] - ١٨٤

قلت: الكلام هنا عن هدنة الحديبية، لا تعرف الا باسمها. ولا شىء على الإطلاق مما ذكره المؤلف عنها نعرفه، فما كان عرض الصلح مبادرة من النبى عليه الصلاة والسلام، ولا اشارت وثيقة الصلح الى قوافل قريش، ولا كان من شروطه ان يحج النبى والمسلمون الى مكة.. بل كان الأمر متعلقا بعمرة الحديبية التى صدت قريش النبى وصحبه عنها، ثم كان الاتفاق على أن يرجعوا عامهم ذاك.

وشرطت لهم هدنة الحديبيـة أن يدخلوا مكة معتمرين - وليس للحج - في العام الذى يليه.

● وفى (حجة الوداع) قال الأستاذ سلهب:

[لما بلغت جموع المؤمنين الى جبل عرفات، ارتقى النبي، صلى الله عليه وسلم أحد سفوحه والقى فيهم خطبة جاءت معبرة عما جمعه فى شخصه من سعة افق وعمق تفكير ولفتة الى السماء ونهدة الى الله، كما جاءت على إسهابها موجزا لمبادىء الإسلام واعتبرت بحق دستورا صادرا عن نبيه الكريم، تلك الخطبة الخالدة جدير بنا ان نورد بعض فقراتها وان ندلى فى شانها ببعض من خواطر وفكر. إنها لكثيفة كثيرة العبر عميقة المعانى بعيدة المرامى، وحسب النبىّ انه القاها ليكون فى طليعة خطباء التاريخ.. وإن أروع ما فى الخطبة بل أعمق ما فيها واشمل قول النبي عليه السلام: «ايها الناس، إن ربكم واحد وإن اباكم واحد. كلكم لآدم وادم من تراب، وإن اكرمكم عند الله اتقاكم، لا فرق لعربى على عجمى إلا بالتقوى] الى اخر ما نقل من فقراتها فى صفحتى ٢٥٣ - ٢٥٥

واسال: هل يشفع هذا التعظيم للخطبة والتنويه بعلو قدرها، لمجيئها عند المؤلف فى حجة الوداع، وهى في اوثق مصادرنا لخطبة الوداع ليس فيها اى كلمة من نصها في نقل المؤلف!؟

وانى لقومى فى أخذة الاعجاب بما (فى خطى محمد) من تعظيم خطبة الوداع، أن يرتابوا فى كونها ليست خطبة الوداع، وإنما هى (خطبة فتح مكة) قبل سنتين من حجة الوداع التى لم يحج المصطفى عليه الصلاة والسلام حجة غيرها فى الإسلام!؟

● ● ●

واختم بكلمات ربى فى مسئولية حمل العلم سمعا وبصرا واعتقادا:

(ولا تقف ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا) .

صدق الله العظيم.

مركز الأهرام للتنظيم والتكنولوجيا
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ٦ / ٨ / ١٩٩٢

شاهدة عصر ٦٣

د . بنت الشاطىء

من النوايا الطيبة عود على بدء

ما أزال مع كتاب الأديب «الأستاذ نصرى سلهب» في رسالته النبيلة إلى قومه المسيحيين أن يسيروا معه (فى خطى محمد) كما تمثلنا مع (خطى المسيح) عليهما السلام - خطوة خطوة وقد مضت إحدى وعشرون سنة منذ طالعته في طبعته البيروتية الأنيقة الفاخرة، التي تلقيتها بالرباط من المغفور له العاهل الجليل الملك فيصل، عن طريق السفير السعودي السيد فخرى شيخ الارض. وإذا كنت قد تحرجت وقتئذ من التصدى لنقده مع ما لا أجحده من طيب نواياه ونبل مقصده وصدق لهجته، فإننى اليوم أشد تحرجا إذ أرجع البصر فيه عودا على بدء، فاقدر حاجة زماننا المسحوق بالفتن الطاحنة، المبتلى بغل الضغائن وقسوة الأحقاد، إلى كتاب مثله يلقانا مؤلفه فى صدره بهذا الهتاف. نشيد ضراعة وابتهال:

[هذا الكتاب، أردته شمعة تضيء هيكل المحبة والقلوب، فنورها ولو شحيحا، خير من الظلام. عزائى يوم أغيب، أنى فى هيكل المحبة تركت أثرا].

وأجدنى مع ذلك التقدير، مكلفة بالنظر النقدى فى الكتاب، من جهة ما يتوقع من حسن الظن به - على ما بينت فى حديث يوم الخميس الماضى - ومن جهة ما صرح به المؤلف فى مقدمة كتابه حيث قال ينفيا إدعاء القدرة على الإحاطة بالإسلام عمقا وصعدا:

[فمن الإسلام إذن سالم ببعض جوانب وأنا سائر فى خطى النبى العربي، فلن يكون كتابى هذا بحثا علميا أو تاريخيا... إنما أردته وأريده شهادة مسيحى فى دين منزل من السماء، فأسهم من خلاله فى إطلاع إخوة لى مسيحيين على حقيقة هذا الدين..] ١٧

مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ٦ / ٨ / ١٩٩٣

عن تعريفه هذا بكتابه اتحدث اليوم، إذ أراه خالف بين ما كتبه عن المسيح والمسيحية. ويستغرق نصف الكتاب. نقلا من مصادره الغنية المعتمدة، بنصوصها فيها مميزة باقواس حاصرة مع إثبات مراجع النقل. وتاخذ نقوله قيمتها عندى بما أفدت منها من مادة سخية موثقة عن المسيح والمسيحية يعز على مثلى تحصيلها.

خلافا لما جاء به (فى خطى محمد) تاملات وخواطر وافكارا من مطالعات لم يرد لها أن تكون بحثا علميا او تاريخيا. وذلك مظنة أن يعفيه من مؤاخذة على قصور وفوات أو غفلة ووهم، إلا ان تجور الصنعة البديعية على صحة التعبير، ويجور الإسترسال الخطابى على سلامة المنطق، او يجور نبل المقصد وصدق اللهجة على الصدق التاريخى فيما يرجع فيه إلى (سيرة ابن هشام)دليله (فى خطى محمد)فربما استرسل إلى خواطره فزاغ البصر عن التثبت مما ينقل، وربما غلبت على فكره مقولة خاطئة رائجة فى الغرب، المسيحى تجرد للكشف عن ضلالها فانحرف من غير قصد عن مقصده النبيل إلى الإتجاه المضاد..

× × ×

ويضيق المجال عن تعقب ما كان من ذلك (فى خطى محمد) فلاقتصر فيما أقدم من شهادة اليوم على خطوة واحدة راى المؤلف انها [نقطة الإنطلاق ونهاية المطاف.. بهجرة مكة إلى يثرب] إذ اراه يساير خطى محمد، عليه الصلاة والسلام من بدء خلوته بعد الاربعين من عمره فى غار حراء، فى إنتظار الليلة المباركة، ليلة السابع عشر من شهر رمضان (كذا!) حيث اللقاء الاول مع خطى المسيح عليه السلام ، يتلوه لقاء الإسلام بالمسيحية فى الحبشة، وبعده اللقاء العظيم بين محمد والمسيح عليهما السلام فى الإسراء (!؟)

ثم ما إن تلوح له يثرب على الافق، حتى تسنح له فكرة مناخها الدينى اليهودى المهيا للإسلام، فينجذب إليها من يوم الخروج إلى الطائف عام الحزن، العاشرة من المبعث، ويقول فى خطابية إنشائية:

[سيهجر مكة موطنه حيث ابصر النور ونشا وترعرع. سيترك الكعبة لاولئك الذين لوثوها بالإصنام، ولكنه سيغيب إلى حين. سيعود ليطهر بيت الله ويعيده إلى الله نفسه فلا يبقى فيه سوى الحجر الاسود رمزا إلى خضوع البشر لخالقهم وذكرا من ابراهيم اول ناطق بالتوحيد على وجه الارض (!!؟)

سيهجر مكة وإلى يثرب سيقصد، إلى المدينة التى ستفتح ذراعيها وقلبها لاستقباله ستضمه فيما بعد إلى الابد فتغدو مباركة بين المدن لانها نقطة الانطلاق ونهاية المطاف. ويثرب آنذاك كانت موطن يهود كثيرين اقوياء ذوى نفوذ، إلا ان الزعامة فيها لقبيلتى الاوس والخزرج وهما عربيتان مشركتان.. ومن يهود يثرب والمقيمين بضواحيها اطلع الاوس والخزرج على بعض ماورد فى أسفار العهد العتيق من وصايا تتعلق بالتوحيد والبعث ويوم الحساب إلى آخر ما هنالك من احكام تعالج شئون الآخرة عبز شئون الدنيا] ـ ١٤٤

وتتعثر خطاه فيخص الحجاج اليثربيين قبل

الهجرة بسنين بما كان النبى [يسعى إليه فى مكة كمن بذر حبات الهدى والإيمان فى قلوب الناس، ولا سيما فى قلوب اولئك الذين كانوا يأتون مكة ليحجوا إلى كعبتها واقترنت محاولاته ببعض النجاح إذ كان الحجاج اليثربيون يؤمنون بما يبشر به من مباديء وافكار لانها لم تكن بالغريبة عنهم نظرا للجوار بينهم وبين اليهود فى يثرب وضواحيها] . ١٥٤

....

هذا، ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم لقى من حجاج يثرب حتى عام الحزن، سوى نفر من الخزرج، وبعدها فى السنة الحادية عشرة لقى فى الموسم اثنى عشر من حجاج يثرب، الاوس والخزرج، بايعوه عند العقبة.

فهؤلاء هم سابقة الأنصار رضى الله عنهم وقد بعث معهم النبى صلى الله عليه وسلم صاحبه «مصعب بن عمير القرشى العبدري» رضى الله عنه، ليقرئهم القران ويفقههم فى الدين، فما مضى العام حتى فتحت يثرب بالقران، وخرج منها فى الموسم التالى ثلاثة وسبعون من الاوس والخزرج، بايعوه بيعة العقبة الكبرى التى ذكرها المؤلف مجهلة مبتسرة، زاغ فيها بصره عن «مصعب بن عمير» ومقامه بيثرب عام ما قبل البيعة الكبرى التى جعلها الأستاذ سلهب [حلفا بين النبى وبين وفد من اليثربيين لمس لديهم إيمانا مخلصا وعزما اكيدا على نصرة الدين، وعقد الحلف بينه وبينهم واستقر الراى على هجرة مكة إلى يثرب:] . ١٥٦

وفى (الاتجاه إلى يثرب) يرخى الأستاذ سلهب لخواطره العنان مع تلك الرحلة الرائعة للنبى عليه الصلاة والسلام وصاحبه ابى بكر الصديق، [وقد تسنم كل منهما جملا وخرجا ليلا باتجاه يثرب] !!

حتى يدخل النبى صلى الله عليه وسلم يثرب على ناقته ويقول لمستقبليه الذين تنافسوا على نزوله فيهم: «خلوا سبيل ناقتي» حتى وقفت فى خلاء بنى به مسجده بالمدينة أول مسجد بناه الإسلام (١٦٠)

وشغله ما تراءى له وقت ان [دخل النبى العربى المدينة دخول الفاتحين فاعاد إلى الأذهان دخول المسيح إلى اورشليم والجموع تلوح له بسعف النخل وتهتف صارخة بصوت واحد: هو شعنا لابن داود، مبارك الاتى باسم الرب هو شعنا فى الاعالى] . ١٥٩

اقول: شغله هذا التنظير بخطى المسيح عليه السلام، عن وصول محمد عليه الصلاة والسلام إلى مشارف يثرب، فلم يدخلها مباشرة يوم الوصول ضحى الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الاول من السنة الثالثة عشرة للمبعث، بل نزل بقباء حيث اقام بها إلى يوم الجمعة وبنى أول مسجد للاسلام ثم اتجه الى يثرب فادركته صلاة الجمعة وهو فى الطريق إليها، فصلاها فى (بنى سالم بن عوف) فكانت اول جمعة صلاها النبى فى دار هجرته، والاستاذ سلهب غافل عنها بالمسجد النبوى بالمدينة يحسبه اول مسجد فى الإسلام، فيؤخذ بروعة الصلاة فيه يحسبها الصلاة الاولى فى الإسلام كله، ويصفها قائلا بعنوان [الصلاة الأولي: وإلى مسجد المدينة وهو أول مسجد بناه الإسلام، تهافت المؤمنون واعتلى محمد المنبر وساد سكون ملؤه الرهبة: ماعسى النبى ان يقول، فالانظار جميعا شاخصة إليه والقلوب. وتعالى صوته يعلن: الله اكبر. واذا المؤمنون بصوت واحد يرددون: الله اكبر. ويتصاعد ذلك الصوت عبر قبة المسجد فى الاعالى حتى مسمع الله:]

ويسترسل فى خواطره عن عظمة الكلمة كان لم يسبق للنبى عليه الصلاة والسلام ان قالها، ثم يستانف الكلام بعد صفحتين بعنوان (السجدة الاولي):

[لم يكتف محمد بهذا القدر من الكلام ، بل نزل من المنبر إلى ارض المجلس وجثا على ركبتيه وسجد مرات ثلاثا محنيا راسه حتى لامس الارض باسطا ذراعيه الى الامام فى مستوى راسه رمزا إلى الخضوع لله ولإسلام واعترافا بصغر الإنسان

مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ٦ / ٨ / ١٩٩٢

وحقارته وعجزه. ثم اوصى المؤمنين بان يصلوا إلى الله بهذه الطريقة وان يوصوا اولادهم بها فيما رسوها إلى ان يقرر الله مصير ملكوته. تلك الطريقة التى لجا إليها النبى للصلاة وللتعبير عن خضوعه وإسلامه هى نفسها التى يتبعها منذ ذلك الزمن جميع مسلمى العالم فى صلواتهم...وهنا الإعلان بالإيمان يتكرر مرات خمسا فى اليوم] ١٦٤ـ ١٦٧

....

فهذه هى صلوات المسلمين خمس مرات فى اليوم عند.الاستاذ سلهب (فى خطى محمد) جعلها وصية من النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين يوصون بها ابناءهم على طريقة الاستاذ سلهب، وهم يعلمون من دينهم بالضرورة ان الصلاة ثانية قواعد الإسلام الخمس فرض عين على كل مكلف

[تلك كانت الخطوة الاولى من الحقبة اليثربية] التى تراءت للمؤلف نقطة الإنطلاق ونهاية المطاف، فهو يستقبلها بهذا الإستهلال البديعى العجيب:

هذه الحقبة اليثربية ـ اى المدنية تحتاج وحدها إلى كتاب ضخم مستقل، غير اننا فى هذه الخطى التى نمشى سنسعى إلى إلقاء بعض اضواء على اهم الاحداث. ومثلنا فيما نحن عازفون عليه كمثل رجل اطل على مرج فسيح الابعاد والارجاء موشى بازهار من الف لون ونوع. هنا الورود توشوش وهناك الزنابق هامسات وهنا لك البنفسج والفل والرياحين. وفى كل ركن بعيد او قريب ضمات تغرد وباقات تزغرد، بل نرجس واس وبيلسان تسبح بحمد الله وتشكر. بساط من سماء فرشت به الارض، فيه تعانق السندس والمخمل وراحت الوانه تتماوج وتموج، من لاز وردى وادع إلى ليلكى خجول إلى ارجوان يصعد الاغنيات حتى مسمع الله. فاذا المطل على ذاك المرج يقف فى حيرة من امره اية زهرة يجنى واى لون يختار بل إلى اى إتجاه يتجه، فمهما جنى فلن يجنى اكثر مما تضم ذراعاه، وماذا بوسع ذراعيه ان تحتويا؟ وهل بوسع المرء ان يحتوى الله؟! غير اننا من ذلك المرج العجيب الفريد لن نعود اصفار الايدي، ذلك ان القليل خير من العدم ولاسيما إذا كان من القليل النفيس المعطار] ١٦١ ـ ١٦٢

اقرا ذلك الإستهلال الإنشائى البديعي فلا اعجب ان جار مثله على صدق الواقع التاريخي، فتراءى له، مثلا، يهود يثرب يقاتلون مع المشركين (يوم احد) وخانه التعبير فقال ما لفظه:

ولاول مرة، وكانت يتيمة لانها الاخيرة، ترجح كفة الكفر على كفة الإيمان وتنتصر البغضاء على المحبة ويتقهقر الله امام اللات والعزى وهبل (؟!)... وتعرض المؤمنون لاعتداء الكفار وسرت العدوى إلى اليهود بعد ان انضم بنو النضير إلى صفوف المشركين وقاتلوا المؤمنين يوم احد..] ؟! ـ ١٧٤، ١٧٨

بل لم اعجب كذلك من انه فى تعلقه باثر اليهود فى المناخ الدينى الإسلامي للحقبة اليثربية، غفل عما ملأ به عشر صفحات فى مدخل كتابه، عن انحطاط يهود يثرب عصر المبعث وانانيتهم وتفاحش لؤمهم [ولو كانوا يهودا من زاوية الدين، ودينهم دين توحيد بل اول دين توحيدى فى التاريخ (؟!) لما وقفوا ضد النبى العربى يوم نادى برسالة التوحيد] ٥٣ـ ٦٣

وصح ما توقعته وخشيته من انحرافه عما قصد إليه، فلم يدر ان إعظامه اثر يهود فى المناخ الإسلامى للحقبة اليثربية، مناقض تماما لموضوع كتابه (فى خطى محمد) مع خطى المسيح عليهما السلام:

واتلو فى الناس من سورة الوحي الاولي: الآيات المحكمات فى الامر بالصلاة والسجود:

(ارايت الذى ينهي. عبدا إذا صلي. ارايت إن كان على الهدى ، او امر بالتقوى . ارايت إن كذب وتولي. الم يعلم بان الله يرى.) إلى قوله تعالى فى ختام السورة:

(كلا لا تطعه واسجد واقترب)

صدق الله العظيم

الأهرام
مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ١٣ / ٨ / ١٩٩٢

شاهدة عصر (١٤)

د . بنت الشاطىء

اللاحق والسابق معا خطوة خطوة

يوشك موضوع الارهاب والتطرف الدينى الاسلامى ، أن يكون كما أردنا له ، المادة اليومية التى تتصدر ماينشر من منابر الفكر والرأى لصحفنا و مجلاتنا على اختلاف اتجاهها وولائها ، حيث يتوارد الكتاب من اقصى اليمين الى اقصى اليسار على اى مجال منها متاح للنشر ، بصرف النظر عن المعروف من انتمائهم المذهبى (الايديولوجى)

وهذه ظاهرة المحها من بعيد ولاأحقق تفسيرها ، ولم افرغ بعد من كتاب (فى خطى محمد) للكاتب اللبنانى الأستاذ نصرى سلهب . ولعلى لو سئلت اليوم مثلما سئلت من قبل عشرين سنة عن رأيى فيه، لاثنيت عليه بما هو اهل له نبل مقصد وصدق لهجة ، ثم لايفوتنى العرفان لأهله المسيحيين بكرم سماحتهم وسعة فى أفقهم عرفها الأستاذ سلهب فى قومه فلم يتهيب دعوتهم الى أن يسيروا معه (فى خطى محمد) كما مثلها لهم مع (خطى المسيح) عليهما السلام . ولا تحرج من التبشير فيهم بمثل قوله :

(لله ملأ عقل محمد وقلبه ، ملأ خاطره ملأ كيانه . هو ، جل جلاله ، فى عروقه دم يسرى وفى صدره أنفاس تجرى : هو نسمة الحياة)استحالت فى عينيه بريقا يشع ويتوهج وذابت على لسانه أنشودة تسبح وتستغفر ..

لا ، ليس بين الرسل واحد كمحمد عاش رسالته عمقا وصعدا ، بعد مدى وذوب كيان، عصف بيان عنف ايمان ، لقد جعل من الله نقطة انطلاق ونهاية مطاف والمدى الفاضل بين بداية ونهاية كل شىء ...

(ياابن عبد الله ، ماعبد الله كما عبدته ، ولامجد كما مجدته ، ولاكبر كما كبرته . لقد قصرت المسافة بينه تعالى وبين عباده فتركتهم يعبدونه عبر كتاب انزله فاديت الامانة كما لم يودها بشر من قبلك ومن بعدك ..) ص ٣٧١

ومضى يرفع اليه نجواه علانية فى كتابه المطبوع ببيروت :

(فياخير نبى ورسول ، فان انت لم تلق ربك طيب النفس فمن من الناس يلقاه ؟ وأى انسان عمل فى سبيل الله ماعملته بل اى الناس عمل من أجل الناس ماعملت انت) ص ٣٨٩

اليك والى أمثالك ترنو القلوب وتهفو ، ولكن لنا ان نجد أمثالك ؟ انك لسحابة مرت فى سماء هذه الدنيا حسبنا منها بعض قطرات تهطل على قلوبنا كالندى فتزيل منها يبسا كاد ان يميتها عطشا الى الله. حسبنا ان نعود الى ماقلت وفعلت نستوحى لانفسنا عبرا وعظات ونهتدى بأقوالك والافعال ، جاعلين منها قدوة فى الحياة ونبراسا ... فلكى نلقى وجه ربنا طيبى النفوس على غرار النبى صلى الله عليه وسلم ، علينا ان نقتفى اثره ، أن نعيش ماقال وفعل ، أن نعب من قران كريم بعض عبر وفكر ، بل أن نروى انفسنا ببعض قطرات من ذلك

البحر الذى لاينضب ... فيارسول الله، أعطنا أن نتخذ معك سبيلا، سدد خطانا فى طريق العدل واجعلنا قوامين بالقسط شهداء لله لانظلم احدا ..

ابتعدنا عن الله لاننا عنك ابتعدنا ، عن وصاياك وتعاليمك ولم نعد بك نقتدى .. ليتنا يارسول الله نستطيع أن نهتدى بهديك، ضعفاء نحن ، استعبدتنا الشهوات ، وبنا الهوى استبد فتبعناه ، وعنك وعن الله ابتعدنا . عدلك مرتجانا فهل يعطي لنا أن نبلغ المرتجى ؟ من اقوالك رائحة الطيب تفوح بل العنبر تجسد عبارات وعبرا : « اتق دعوة المظلوم فانها ليس بينها وبين الله حجاب » كلماتك هذه ينبغي ان نرددها كل يوم، كلما اقمنا الصلاة وذكرناك مع الله فى الشهادتين لم لاتنشر أحاديثك في كتاب وتوزع فى الناس زادا لحياتهم والآخرة ؟

فاي شأن فى الحياة لم تعالج ؟ بحر أنت بل محيط ترامت شطآنه حتى حدود السماء وامتد مده الى ملكوت الله . ليت الحكام والمسئولين يتخذونك قدوة ومثالا]٣٩٢ ـ ٣٩٦

....

ومعذرة عما أطلت النقل من هذه المناجاة بترتيل المؤلف واسلوبه ولهجته ،لقى المؤلف قومه بها وبامثالها قومه علانية غير إسرار. و تتبعت صداها فيهم فما سمعت غير ثناء . فكان أن أطلت النقل منها ، شاهدة لهم بنبل سماحتهم فى زمان بمثلها ضنين .

****

وارانى مع ذلك مكلفة بمقابلة ما (فى خطى محمد) على المحفوظ من تاريخنا والمعروف من عقيدتنا فى الايمان بكتب الله تعالى ورسله (لانفرق بين أحد من رسله) لاعلى وجه التسامح بل على وجه الالزام الدينى ، أصلا من أصول عقيدتنا

ويتسع هذا الأصل لقبول مايتراءى للمؤلف (فى خطى محمد) مع خطى المسيح عليهما السلام ، على وجه التمثل والتذكر لما هو فى القدر المشترك من جوهر الدين كله ، مصداقا لقوله تعالى خطابا لخاتم الرسل وأمته :

(شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه) الآية

....

الا ان يختلف ما (فى خطى محمد) عما فى أصل عقيدتنا ، كتقريره [أن اليهود هم أول شعب توحيدى ذى كتاب منزل من الله ـ ٥٣] وان [دينهم دين توحيد بل أول دين توحيدى فى التاريخ ـ ٦٣]

وقوله في خروج النبى عليه الصلاة والسلام الى الطائف عام الحزن وعودته آخر النهار محزونا الى مكة :

[سيهجر مكة موطنه .. سيترك الكعبة لأولئك الذين لوثوها بالاصنام ... ولكنه سيغيب الى حين ، سيعود ليطهر بيت الله ويعيده الى الله نفسه ، فلا يبقى فيهم سوى الحجر الأسود رمزا الى خضوع البشر لخالقهم ، وذكرا من ابراهيم أول ناطق بالتوحيد على وجه الأرض] ـ ١٤٢

خلافا لما فى أصول عقيدتنا : التوحيد جوهر الدين كله ، دعا اليه رسل الله جميعا من أولهم نوح عليه السلام، قال تعالى :

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين. أن لاتعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم .)

(والى عاد أخاهم هودا ، قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ان أنتم الا مفترون .)

(والى ثمود أخاهم صالحا ، قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ..)

حتى خاتم الرسل عليهم السلام . وتأخذ القضية صفة العموم للمرسلين كافة ، بنص آية الأنبياء خطابا لخاتمهم عليهم السلام :

(وماأرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون .)

****

واترك للاستاذ سلهب رايه فى الاسراء [وهو ان الله جل جلاله اراد أن يجعل من القدس مركز عبادة للديانتين المسيحية

مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ١٣ / ٨ / ١٩٩٢

والاسلام فتلتقيان وتترعرعان على انقاض اليهودية التى أراد لها الله أن تتوارى لحكمة منه لاتدرك] .

واثبت رايه هذا بنصوص من انجيل متى وانجيل لوقا بنبوءة المسيح عليه السلام بخراب اورشليم وهدم هيكلها حجرا على حجر. وتتحقق النبوءة (فى سنة ٧٠ مسيحية حيث انقضت جيوش طيطس على القدس فهدمتها ومحت هيكلها محوا ... وتنقضى الف وتسعمائة سنة ولم يعد بناء الهيكل لأن اعادة بنائه ستكون تكذيبا صارخا للقران كلام الله . فالمسجد الاقصى الذى أسرى بالنبى اليه ، بنى فى المكان الذى تعالى فيه فيما مضى هيكل اليهود مزهوا مكابرا ، ذلك الهيكل الذى [قال عنه المسيح . انه لن يترك فيه حجر الا ينقض ..] ١٤٧ ـ ١٤٩ .

هذا الراى اتركه له علي ضيقى بشطط اعتسافه فى تاويل اية الاسراء ، مثلما تاول اية الوعد الحق :

(ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقران ، ومن أوفى بعهده من الله .)

تأولها الأستاذ سلهب فحذف التوراه ليقول :

[أفلا يلتقى الاسلام هنا بشكل رائع مع المسيحية ؟ فوعد الله هذا ورد فى الانجيل قبل أن يرد فى القران ، ذلك أن كلام الله واحد لايتبدل .] ثم استطرد فنقل من نصوص انجيل متى وانجيل يوحنا الثانى مايؤيد به مجىء الوعد الحق فى كلمات الانجيل قبل مجيئه فى القرآن ـ ١٢٤ .

والسؤال الوارد عليه ههنا : فيم اذن اقراره الصريح باثر يهود يثرب فى تهيئتها دينيا لاستقبال الاسلام لتبدأ الحقبة اليثربية بهجرة مكة اليها ، نقطة الانطلاق ونهاية المطاف ؟ وهذا لفظه عن رجوع النبى صلى الله عليه وسلم من الطائف الى مكة حزينا :

[سيهجر مكة ... والى يثرب سيقصد ، الى المدينة التى ستفتح ذراعيها وقلبها لاستقباله له ، والتى ستضمه فيما بعد الى الأبد فتغدو مباركة بين المدن لأنها نقطة الانطلاق ونهاية المطاف ... ومن اليهود اليثربيين والمقيمين فى ضواحى يثرب ، اطلع الأوس والخزرج ـ عرب يثرب المشركين ـ على بعض ماورد فى أسفار العهد العتيق من وصايا تتعلق بالتوحيد والبعث ويوم الحساب ، الى آخر ماهنالك من أحكام تعالج شئون الآخرة عبر شئون الدنيا ... ومن الجائز الافتراض أن يثرب بسبب وجود يهود فيها كانت تربة خصبة صالحة لزرع المبادىء والأفكار التى جاء محمد ليبشر بها . والواقع أن نشاط محمد أشع حتى يثرب ـ قبل الهجرة ـ لأن الأوس والخزرج كانوا يحجون الى كعبة مكة فقدر لهم الاصغاء الى النبى والتحدث اليه ، ومنهم من اهتدوا وأسلموا . ولاحظ النبى بما أعطى من ثاقب الرأى والبصيرة ، أن اليثربيين من أوس وخزرج كانوا يبدون ، وهم يصغون اليه يحدثهم ، تفهما واستعدادا للاقتناع والايمان ، وأنهم لم يكونوا غرباء عما كان يحدثهم عنه وأدرك أن يثرب ستكون نقطة الانطلاق ومركزالقوة .] ١٤٢ ـ ١٤٥ .

ويمضى مع فكرته فى اعظام أثر اليهود فى الحقبة اليثربية : فيها بنى المسجد النبوى أول مسجد بناه الاسلام ، وفيه كانت الصلاة الأولى والسجدة الأولى للمسلمين (١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٦) ويبلغ به اعظامها أن يقول :

[على أن اقامته ـ صلى الله عليه وسلم

- فى يثرب كانت فى الواقع مرحلة اعداد وتصميم ودرس ، وتنظيم وتشريع .... مرحلة العمل الواعى الذى اهل النبى للقيام بالعمل الجلل الخطير الذى من اجله بعثه الله تعالى الى العالمين .] ١٥٩

خلافا لما هو معلوم بالضرورة للمسلمين كافة ، ان نقطة الانطلاق كانت بدء نزول الوحى فى ليلة القدر ، ومايتلون من سور الوحى المبكرة أوائل المبعث ، من آيات التكليف بالصلاة والزكاة ، ومايؤمنون به من أن النبى عليه الصلاة والسلام مؤهل لرسالته العظمى منذ اصطفاه الله تعالى خاتما لرسله عليهم السلام .

ودون أن يشير الأستاذ نصرى سلهب الى وجود مسيحي بيثرب فى الحقبة اليثربية يمضى (فى خطى محمد) مع خطى المسيح عليهما السلام ، لا على وجه التمثل والتذكر فحسب ، بل على وجه المطابقة كذلك ، بالتنظير والاستحضار لأقوال ومشاهد ومواقف للمسيح عليه السلام ، بنصوصها فى أصول المصادر المسيحية المعتمدة ، كقوله مثلا فى عودة النبى عليه الصلاة والسلام من الطائف :

[عاد الى مكة حزينا صامتا مفكرا ، ولربما راح وهو فى طريقه اليها يفكر بما جرى للمسيح فى الناصرة يوم وقف يعظ فى مجمعها .. « فلما سمع الذين فى المجمع هذا الكلام امتلأوا حنقا وقاموا ودفعوه الى خارج المدينة واقتادوه الى قمة الجبل ليطرحوه عنها . أما هو فجاز فى وسطهم ومضى » لوقا ، الرابع] - ١٤٠

وقوله فى (الاطلالة على يثرب)

[دخل المدينة دخول الفاتحين فأعاد الى الأذهان دخول المسيح الى أورشليم والجموع تلوح بسعف النخل وتهتف صارخة بصوت واحد : هو شعنا لابن داود ، مبارك الآتى باسم الرب هو شعنا فى الأعالى .] ١٥٩

ونظائر ذلك مما يقتضى أو يوهم أن النبى عليه الصلاة والسلام كان على علم بالانجيل ، خلافا للمقرر فى أصول عقيدتنا من كونه عليه الصلاة والسلام لم يكن يتلو من كتب الأولين سوى ماانزل به الوحى ، مصداقا للآية البينة من دلائل نبوته :

(وماكنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون .)

****

واذ ينتهى الأستاذ سلهب (فى خطى محمد) الى قوله :

[بماذا تأمر المسيحية ولايأمر به الاسلام ؟

وعما تنهى ولاينهى عنه ؟]

وغير مجهول للكافة أن المسيحية سابقة على الاسلام بقرون ذات عدد ، فيحق للمسيحيين أن يسألوا الاستاذ سلهب : فيم اذن الحاجة فى دعوتهم الى السير معه (فى خطى محمد) ؟ وهل يسير السابق فى خطى اللاحق ؟

ويحق لمن تجنوا على الاسلام أن يحمدوا له أن زودهم بما يزيد مقولتهم الضالة :

[ان محمدا - عليه الصلاة والسلام - لم يأت بجديد قط ، غير ماأخذه من المسيحية واليهودية .]

ونؤمن نحن المسلمين أن الهنا جميعا واحد ، وأن الدين واحد ، وتفترق الرسالات والشرائع: لكل أمة رسولها وشريعتها وكتابها الذى تدعى اليه ، ونتلو من كتابنا المحكم قوله تعالى :

لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات، إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون.)

صدق الله العظيم

مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ٢٠ / ٨ / ١٩٩٢

شاهدة عصر ١٥

د . بنت الشاطىء

بُكائية مرجّعة في الوقت الضائع..

إن يكن حساب الأوقات الضائعة في دورة برشلونة للألعاب الاوليمبية قد انتهى أو أوشك على انتهاء، فما يزال لدينا وقت ضائع ريثما تنتهى جولة التهجير العرقي والتطهير الديني لفلول شعب البوسنة والهرسك وتنمحي جمهوريته الإسلامية من خريطة العالم، وينكشف وهم سراب المحاولات الدولية لتامين وصول المعونات الإنسانية الكريمة إلى أشباح الموتى وأشلاء القتلى، بين الخرائب والأطلال.

وليس من قبيل المصادفات أن تباطات الهيئات الدولية في المناورات والمنازعات، وإن طالت الخصومات في جدوى تدخل الامم المتحدة وقصور وسائلها، فتاخر إلى منتصف الشهر الحالي الاقتراع في مجلس الأمن على قرارين، (يجيز أولهما استخدام القوة العسكرية لضمان وصول معونات الإغاثة الإنسانية إلى شعب البوسنة والهرسك، ويطالب الثاني بفتح معسكرات الموت التي تديرها القوات الصربية لإبادة مسلمي البوسنة والهرسك، أمام فرق التفتيش الدولية. وأعلن الامين العام للأمم المتحدة أن القرارين لن يكونا معادين لأحد وبذلك لا تكون القوات الدولية طرفا في الأزمة (؟!)

وأشار إلى أنها ستظل تمارس مهامها الإنسانية لتوصيل المساعدات. وأكد أنه لا يعتزم زيادة عدد القوات الدولية في المرحلة الحالية).

الأهرام: ١٣/٨/١٩٩٢

***

وفي الوقت الضائع في المناورات والمنازعات والمفاوضات للاقتراع على قراري مجلس الامن، ثم ماتحتاج إليه إجراءات التنفيذ لممارسة القوات الدولية مهامها الإنسانية، وفتح معسكرات الموت لفرق التفتيش الدولية..

في ذلك الوقت الضائع لم تكف اجهزة الإعلام ووكالات الأنباء الدولية، عن إزعاج عالم اليوم بما يجرى في معسكرات الموت، وتسجيل براعة القناصة في تسديد قنابل الموت على سيارات نقل اطفال البوسنة والهرسك إلى منازح تغريبهم، ثم ملاحقة عشرات من الأطفال ساروا يشيعون جنازة قتيلين منهم، بباقات صغيرة من الزهور لم تبق عليها نيران مدافع الهاون النفاثة...

وغير بعيد من مجال الرؤية، كانت شابة في ربيع العمر هائمة على وجهها في ذلك التيه، متعثرة الخطوات بين الجثث والأشلاء، هاربة من مشهد مروع لرجل من قومها، استوقفه نفر مسلحون من الصرب خارجا من مسجد الحي، فدقوه بالمسامير على باب المسجد..

***

كذلك لم يكن من قبيل شذوذ المنطق وتبديل السنن الثابتة، أن اقترن وقت الاقتراع على قراري مجلس الأمن، بإعلان «المنسق الميداني للمفوضية العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة: أن القوات الصربية تسعى لترحيل ثمانية وعشرين الفا من مسلمي البوسنة، في إطار عمليات التطهير العرقي التي يقوم بها الصرب. وكشف تقرير لجماعة المانية لحقوق الإنسان - وتدعى مجتمع الشعوب المهددة - أن الصرب قاموا بطرد سبعة الاف من الكروات المسلمين واغتصبوا بيوتهم في مدينة بيتروفال غربي البوسنة، بعد مذابح جماعية لكثير من عائلات المدينة، على ايدي الصرب. واضافت وكالات الأنباء الدولية أن

مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ٣٠ / ٨ / ١٩٩٢

المستشفيات في مدن البوسنة المعزولة، تجرى فيها أخطر العمليات الجراحية بغير تخدير. كما اضافت. مع بشرى اجلاء مئات من النساء والأطفال من « سيرايفو.»: أن أحد الناجين من معسكرات الموت الصربية في البوسنة، أكد لعدد من اعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي ان القوات الصربية تقوم بقطع حناجر المسلمين وإطعام رءوسهم للكلاب. كما يقوم أطباؤهم بالاحتفاظ باعضاء جثث القتلى في ثلاجات خاصة للإنتفاع بها.

.....

والدنيا ساهرة مع مجلس الأمن في جلسة الاقتراع على قراريه بجواز استخدام كل الوسائل لضمان وصول معونات الإغاثة الدولية إلى جمهورية البوسنة والهرسك، (وفتح معسكرات الموت الصربية في البوسنة لفرق المراقبة الدولية).

ولم ابت ليلتي (الجمعة ١٩٩٢/٨/١٤) حتى قيدت في مدوناتي (شاهدة عصر) تعليق ممثل البوسنة والهرسك على قراري مجلس الأمن، مذاعا بصوته من نيويورك في حديث له مع مندوب إذاعة لندن العربية:

لقد منحونا يوما إضافيا للبقاء. شكرا لهم، والأمر لله.)

ولم يكن قد سمح له بالتكلم في جلسة مجلس الامن..

★★★

فهل هي نكسة للبشرية ترتد بها إلى شريعة الغاب؟

كلا، فما يبلغ وحش الغاب المسير بغريزته المتوحشة، ذلك المدى من فحش القسوة وضراوة الشر وشهوة التعدي.

ما سمعنا باسد يمزق أسدا أصغر منه، أو يستضعف أرنبا بريا فيفترسه ويغتصب جحره، ولا حدثتنا القصص والامثال والاساطير عن أسد أمر أعوانه فجمعوا له وحوش الغاب ليتسلى بتمزيقهم إربا إربا..

كلا، ولا تصورنا أن شريعة الغاب تبيح القتل الجماعي لوحوش الجيرة، واغتصاب كل مأوى لهم...

إنما يعرف التاريخ ذلك وأضعافه معه في وحوش البشر وشياطين الإنس، من الجيل الأول للآدمية، فيما نتلو من آيات الاعتبار في القرآن الكريم بابني آدم إذ قربا قربانا إلى الله فتقبله من أحدهما ولم يتقبله من الآخر (فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فاصبح من الخاسرين. فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه، قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة أخي فاصبح من النادمين) الآيات ...

ويعرفها التاريخ في مثل الطاغية «نيرون» إذ يطل على روما وهي تحترق بناره، منتشيا بفحيح اللهب المستعر ورائحة الاجساد المشوية..

وفي مثل «ذي نواس: ملك حمير» إذ حرضه يهود اليمن على نصارى نجران، فسار إليهم بجنوده وخيرهم بين الدخول في يهوديته او القتل، فاختاروا أن يموتوا على دينهم. فامر ذو نواس جنوده فحفروا أخدودا عميقا وأوقدوا فيه النار، وسيق النصارى المؤمنون. وفي الخبر أنهم قاربوا عشرين ألفا من الرجال والنساء والأطفال. فألقى بهم المجرمون في نار الأخدود وهم

محيطون بهم يقتلون بالسيوف من يحاولون الخلاص. والله من ورائهم محيط. قال تعالي:

(قتل أصحاب الأخدود. النار ذات الوقود. إذ هم عليها قعود. وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود. وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد.)

......

وما فواجع ضحايا محاكم التفتيش، ووطاة هولاكو وجنده، وويلات الإضطهاد الديني، بغائبة عن ذاكرة التاريخ..

★★★

في الوقت الضائع في الجدل المثار حول صيغة قراري مجلس الامن والشك في جدواهما، أطل على الوجود الإسلامي المهدد اليوم في البوسنة والهرسك وكرواتيا، وغدا فيما لا ندرى أى بلد إسلامي يقع عليه الإختيار فيأتي عليه الدور، أتساءل: أين نحن المسلمين مما يحدث لمسلمى البلقان؟

ولست بهذا التساؤل مظنة أن اغفل عما لا ينبغي نكرانه من مشاركة الاقطار الإسلامية في إسعاف مسلمي البوسنة والهرسك ،وكيف انسى أن لنا كتيبة من جند الكنانة ترابط مع قوة للأمم المتحدة في مهامها الإنسانية لحراسة معونات الإغاثة الدولية؟

ولم تحرم سائر الأقطار الإسلامية من مثل هذه المشاركة النبيلة، فيما نقرا من إعلانات عن أنواعها وموازينها وقيمتها النقدية، في تسابق مشكور على فعل الخيرات، يأخذ الإعلان عنه موضعا كريما في زحام الإعلانات عن أسواقنا العامرة بأغلى بضاعة الترف وأحدث المستوردات الاستفزازية ، تزاحمها صفحات إعلانية غالية عن لياليتا الساهرة مع نجوم الأنس واللهو وفنون المتعة والطرب.

....

مع المعروف من أصيل سجايانا في كرم المواساة والتراحم، وصدق المروءة والنجدة. مصداقا للحديث الشريف المتفق عليه عن نبينا صلى الله عليه وسلم، قال:

(مثل امتى فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمي)

ومعه الحديث المشهور، من مبادىء المنهاج الإسلامى للسلوك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

[عذبت امراة في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هى أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هى تركتها تاكل من خشاش الأرض) متفق عليه

والحديث المتفق عليه كذلك عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، قال:

(بينا رجل يمشى فاشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث، ياكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ بهذا الكلب مثل الذى بي، فملأ خفه بالماء ثم امسكه بفمه ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له.) قالوا: يارسول الله، وإن لنا في البهائم أجرا؟ قال:

مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ٣٠ / ٨ / ١٩٩٣

(فى كل كبد رطبة أجر.)

★★★

ويعتز تاريخ الإسلام بما كان من الأنصار من كرم استقبالهم للمهاجرين حيث أنزلوهم من أنفسهم ومن دورهم خير منزل، فأثنى عليهم الله عز وجل بقوله (يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الآية

وأثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المأثور من صحيح الحديث فى مناقبهم وفضائلهم. وعرفها لهم المهاجرون، فيما أسند «الحافظ أبو بكر الخرائطى» فى كتابه (مكارم الأخلاق) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «قال المهاجرون: يا رسول الله، ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة فى قليل ولا أحسن بذلا من كثير، كفونا المئونة وأشركونا فى المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله. قال:لا، ما أثنيتم عليهم ودعوتم لهم)

وأسند «الخرائطى» من حديث عبدالله بن عمر رضى الله عنهما، قال: لقد رأيتنا وما الرجل المسلم بأحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم.»

وكان الأنصار، رضى الله عنهم، أهلا لهذه المكرمة، على أنها تكررت فى تاريخ الإسلام على تنائى الزمان وتباعد المكان: ففى أواخر القرن التاسع من تلك الهجرة الأولى، وقعت كائنة سقوط غرناطة آخر حصن للإسلام بالأندلس (٨٩٧هـ ١٤٩١م) وكان الظن بها أن تكون القاضية على الإسلام ،لولا أن حفظه الله فوجد فى المغرب الأقصى أهلا ودارا، وإليه كانت هجرة الإسلام دينا ودولة، ولغة وعلما، وحضارة وتراثا...

ولا يفصلنا عن هجرة الإسلام إلى المغرب الأقصى حيث وجد أهلا ودارا ورباطا وملاذا ، سوى خمسة قرون وبضع سنين.

فهل جار علينا الزمان فى تلك الفترة فطمس ما عرف لنا من أصيل سجايانا فى كرم التراحم ونبل المواساة ومروءة النجدة؟

قد يصدق هذا على المفتونين بآلية (التكنولوجيا) المأخوذين بعقدة الفرنجة، المبشرين ببضاعة التنوير المستورد..

وتبقى عامة شعوبنا، أبناء البلد الأصلاء، بمنأى عن هذا المسخ، يلتمسون من القرآن الكريم نورهم وهداهم، وحكمة فطرتهم السوية، وحسبى شاهدا على كرم سجاياها، نظام الوقف الذى يحبس فيه المسلمون، مشارقة ومغاربة، ممتلكاتهم وأموالهم على مصارف البر والخير العام. وكان معمولا به فى مصر إلى أن صدر قرار ثورى بحل أوقاف المسلمين ودمج موقوفاتها ومواردها فى الميزانية العامة..

★★★

ومعذرة إلى القراء الكرام عما شققت به عليهم بما أرجع من أنباء فاجعة سبق نشرها وإذاعاتها، فربما مروا بها سراعا وعجلوا إلى ما يبهظهم من شواغل العيش وهموم المرحلة..

أو ربما تاهت منهم فى زحام الدعاية المكثفة لمهرجانات مسلية ومؤتمرات مريحة فى قاعات مكيفة الهواء بأفخم فنادق عاصمة الكنانة..

أو ربما خطف أبصارهم عنها، بريق الإعلام عن مستقبل زاهر لأمتنا، إذا هى نبذت معتقداتها وتخلت عن تراثها لتكون مؤهلة لدخول (عصر التكنولوجيا..)

أو ربما ضاقت صدورهم قهرا بما لا حيلة لهم فيه فكفوا عن تتبع فواجع المسلمين فى عالم لم يغفر لنا قط ولن يغفر لنا أبدا أننا مسلمون.

★★★

إليهم أتجه بما أرجع من مقاطع هذه البكائية، عسى أن تقيهم صدأ الضمائر وتحجر القلوب ولعنة المسخ، وتذكرهم بآيات الاعتبار بالمسلمين السابقين رضى الله عنهم ورضوا عنه:

(الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها إسم الله كثيرا، ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوى عزيز)

صدق الله العظيم

مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ٢٧ / ٨ / ١٩٩٣

شاهدة عصر ١٦

د. بنت الشاطىء

مشغلة العالم الجديد بالموقع الفكرى الإسلامى المعاصر

اكان للناس عجبا ان يشغل العالم الجديد بالموقع الفكرى المعاصر لوجودنا الاسلامى ، والصياغة العصرية لتاريخه السياسى ، فى الوقت الذى تشتد فيه وطاة التصفية لحساب حرب الخليج وعاصفة الصحراء ، وتدمير الوجود الاسلامى للبوسنة والهرسك ، وشواغل الحرب الأهلية بأفغانستان ، والمجاعة الضارية التى تفترس بقايا الصراع الاقليمى والحروب الأهلية فى القرن الأفريقى ؟

لكنه ليس عجبا فى النظرة الثاقبة لمن يرابطون منا فى الموقع الفكرى الاسلامى لوجودنا التاريخى ، فيلقاهم العامل الدينى حيثما اتجهوا ، يستقطب سائر العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية ، فى تفاعل مؤثر يعطى تاريخنا كله تفسيره ومنطقه . لايغض من شان اى عامل منها، وان اخذ منها جميعا موضع النفوذ والتوجيه .

كما انه ليس عجبا كذلك ، فى حساب المستشرقين من علماء الأديان والأخلاق والتاريخ والحضارات ، الذين ناط بهم الغرب الأوروبى فحص ماجاءتهم به حركة جمع تراثنا من خزائن ذخائره ومظان كنوزه، فلم يكذبوا أهلهم ماكشفت لهم دراستهم الجادة عن موضع الاسلام فى الوجود التاريخى لأمته : هو سر قوة هذه الأمة فى عصور العزة والسيادة والمنعة ، وكتابه القرآن لواء كتائب فتوحها الكبرى ، ومنار حضارتها الرائدة القائدة فى العصور الوسطى ، والذخيرة الغالية لجند الاسلام قهرة جبابرة الصليبية ومردة الطواغيت التتار . ثم انه الذى حمى بقاءها فى عصى المحن والخطوب ، وحدا مسراها فى ليل الاستعمار البهيم ، وعبأ قواها المذخورة لجولات معركة التحرير الكبرى فى مشرق ومغرب .

وقدم الواقع التاريخى شهادته: على مسار الزمن من فجر المبعث، لم يعرف التاريخ هدفا شدت اليه أبصار اعدائها مثل هذا الموقع .

تغير الاعداء فوجا بعد فوج ، وجاءوه من شتى الاقطار ومختلف الجنسيات والعصبيات ، وتفاوتت طبيعة الحرب ومواقعها وانماطها وأسلحتها من جولة الى اخرى ، والهدف هو الهدف ، لم يغب قط عن بصر عدو ، ولاحادت عنه نظرته ، وان تذرعوا اليه بامكر الذرائع وادهى الحيل .

ماوراء هذا الهدف لم يكن يعنيهم ابتداء ، لان اى هدف وراءه هين .

وكل ماعداه من القلاع والحصون ، ليست عصيبة الا بقدر مايحميها هذا الحصن المنيع . وكل مناطق النفوذ الاستعماري والسيطرة الاقتصادية وثغور الغزو الفكرى ، تظل عصية عنيدة مابقى هذا القرآن حارسا لضمير أمته ساهرا على ايمانها بعزة العبودية لخالقها وحده ، عاصما لها من زيغ الضلال وذرائع المسخ وسقوط الوعى ...

***

ليس جديدا على الواقع التاريخى اذن ، أن يكون هذا الاسلام هو التحدى الذى يواجه العالم الجديد ، فكذلك قد كان منذ كان .

غير أننا لم نكد نلقى بالا الى النذير الصادع الذى صك سمع هذا الزمان معلنا أن الاسلام هو التحدى الوحيد الذى يواجه العالم الجديد بعد سقوط الاتحاد السوفيتى وانهيار صرح الشيوعية الدولية وتصدع احدى القوتين العظميين لعالم القرن العشرين .

وسمعنا الأعلام بالنذير جهيرا عاليا فلم نأخذه مأخذ الجد ، وخرس صداه فى الموقع الفكرى اذ حسبناه من تهويش القوة العظمى والتهويل من أحلام طموحها بعد أن خلا الميدان من منافس فى سباق صراع القوى .

وشغلنا بالتفرج على ما يجرى فى ساحتنا الفكرية من عمليات تبديل الأقلام وتغيير الشارات والصبغات والألوان والأصوات .

والهتنا معارض الأقنعة عن التنبه الى المواقع السياسية والاقتصادية والحربية ، حيث غلب عليها الفهم بأن العالم الجديد انما يخشى التحدى الاسلامى بالتفوق التكنولوجى والثروة المادية والأسلحة التقليدية والمتطورة ، فوجهنا قصور النظر الى سباق رهيب فى هذا المجال ، يستهلك أرصدتنا وأقواتنا ويساومنا على حريتنا وكرامتنا ، بالديون الباهظة وفوائدها الفاحشة .

ولم يشفع لنا ذلك كله ، وأضعافه معه ، لدى التصنيف الدولى اذ ينمينا الى العالم الثالث شعوبا نامية .

وفينا أكثر شعوب العالم عددا وأغناها ثروة وسلاحا ، وأعرقها فى العلم والمدنية والحضارة ..

***

وتوالت النذر بما غاب عنا من منطلق تحدى الاسلام للعالم الجديد ، حتى هزتنا حرب الخليج ودومت فى أفقنا عاصفة الصحراء ، فاخذت على الساحة الفكرية مظهر معركة كلامية شاغلة لفكرنا السياسى الأصيل والدعى الدخيل ، حتى اذا ماظهرت على مناخنا الفكرى اعراض الملالة والضجر ، هبت علينا ريح التطرف الدينى وأزمة الارهاب التى تلبست بالفتنة الدينية فزادتها حدة وتعقيدا وجعلت منها مشغلة الأفكار المتعارضة والآراء المتنافرة ، ومعرضا للمذهبيات الأيديولوجية ومتنفسا للعقد النفسية والعنصرية ..

....

والدنيا من حولنا تغلى بالاسلام ، ونحن فى غفلة عن قوى العالم الجديد اذ تمارس ، خطتها الرهيبة لتدمير الوجود ،

التاريخ: ٢٧ / ٨ / ١٩٩٢

الاسلامي ، مع الضغط على الموقع الفكري الذي تحسب له ألف حساب، في توقيت دقيق محسوب بالسنة واليوم والساعة، لتبغتنا الأحداث من هنا وهنالك فتشتت البصر وتضلل الرؤية .

***

حدث في أوائل شهر أغسطس الحالى، أن شغلنا بجدل مثار حول (ندوة عالمية لمستقبل الثقافة العربية في عالم متغير) اختير يوم ثاني أغسطس موعدا لافتتاحها ، واختير فندق ميريديان الفخم بين شطي النيل في عاصمة الكنانة مقرا لانعقادها ، وحفت بها دعاية اعلامية فذة برعاية قيادات عالية - سياسية وتشريعية - لها . وأعطيت الندوة صفة دولية بمشاركة مثقف أمريكي واحد ممثلا لمثقفي الدول الأمريكية أجمع ، وآخر فرنسي ممثلا للدول الاوروبية. وفي أيام ثلاثة، من ثاني أغسطس الى خامسه ، تمت دراسة مستقبل ثقافتنا العربية في عالم متغير ووضع ميثاق للمثقفين العرب ، أحتفظ بنصه في مدونات شهادتي على العصر ، لأركز اليوم على نموذج مما شغلنا بالجدل حوله ، يلهينا عن تصفية الوجود الاسلامي لشعب البوسنة والهرسك ، وحروب الفتن الحالقة في أفغانستان والجزائر.

ويكتم عن أسماعنا أصداء حشرجة الاحتضار لجيراننا شعوب القرن الافريقي والمصير الفاجع لمن تهلك المجاعة من بقايا الحروب الأهلية الحاصدة .

***

وفيما كانت المنظمات الدولية تستجيب للقوة العظمى في توقيت صدور قرار لها بتأمين وصول معونات الاغاثة الانسانية الى أشباح المحاصرين مسلمي البوسنة والهرسك ، وفتح معسكرات الموت الصربية في البوسنة لفرق المراقبة الدولية .

توالت الأنباء ببشرى اجتياز بضع قوافل اغاثة لمخاطر الطريق بعد أن يكون المسلحون الصربيون قد ساقوا الأطفال الى منازح تغريبهم مفقودي الهوية الاسلامية ، وسيقت النساء الى مخيمات لهم حيث تعاقبوا على اغتصابهن أياما وليالي ، وسيق الرجال الى معسكرات الموت الصربية في البوسنة ، حيث يسامون من فنون التعذيب وضروب الهوان مالو أبصره وحش لولى منهم فرارا ولملىء منهم رعبا .

ويذلل العالم الجديد يغلي بالاسلام ، ملتفتا الى موقع وجودنا الفكري الاسلامي ، لا تشغله عنه فواجع التطهير العرقي ولاتحيد عنه نظرته .

وتتزاحم الأنباء الدولية من الموقعين ، العسكري والفكري ، كاشفة عن منطق التحدي الاسلامي وأبعاده ومراميه .

وفيما يلي وثيقة نقلتها من

التاريخ: ٢٧ / ٨ / ١٩٩٢

مقدمة الطبعة الثانية لكتاب (الخلافة الراشدة تاليف الأستاذ محمد سعيد العشماوى : مستشار أمن الدولة) بمصر عاصمة الكنانة ، سجل فيها بقلمه رواج مؤلفاته فى الغرب المعاصر، والأصداء العالمية لمصادرة كتبه فى فكر الاسلام السياسى وتاريخه، جاء فيها مانصه:

ولايمكن لهذه المقدمة ان تكتمل دون أن تعرج على ماوقع نتيجة للزلزال العنيف الذى أحدثه الكتاب - وغيره من كتبنا - فى نفوس المعارضين ، والبركان العاتى الذى نتج عنهما فى تصرفاتهم وأعمالهم : ففى يوم الثلاثاء ٧ يناير ١٩٩٢ ، اتجهت لجنة من مجمع البحوث الاسلامية وهو أحد هيئات (كذا) الأزهر الى مقر «دار سينا للنشر» بمعرض القاهرة الدولى للكتاب وأوقعت التحفظ على خمسة من كتبنا بدعوى انها مصادرة . وهذه الكتب هى :

١ - أصول الشريعة : وقد ظهرت طبعته الثالثة سنة ١٩٩٢ وترجم الى الانجليزية .

٢ - الاسلام السياسى : وقد ظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٨٧ وطبع أكثر من طبعة فى مصر وخارجها، وترجم الى اللغتين الفرنسية والانجليزية ،وقد نشر فى الجزائر بواسطة الحكومة الجزائرية لمحاربة جماعات الاسلام السياسى فيها بمقتضى ماورد به من أفكار واراء ، وقد كانت الجبهة الاسلامية للانقاذ على وشك الوصول الى السلطة فى الجزائر

٣ - الربا والفائدة فى الاسلام : وقد ظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٨٨ وترجم الى الانجليزية

٤ - معالم الاسلام : ظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٨٨

٥ - الخلافة الاسلامية : وقد ظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٩٠ وهذه هى طبعته الثانية .

[أى أن هذه الكتب الخمسة كانت عند صدور قرار المصادرة مطروحة فى الأسواق منذ فترات تتراوح بين ثلاثة عشر سنة (كذا) وسنتين . ولم تبرز اللجنة أى قرار بالمصادرة او تذكر مضمونه أو تبين تاريخ صدوره أو تحدد اسبابا له . ونظرا لوقوع المصادرة بأسلوب عنيف وظاهر فقد سرى نبؤه بين الناس وفى المجتمع سريان النار فى الهشيم فتناقلته وكالات الأنباء المختلفة واذاعته فى كافة أنحاء العالم . وفى مساء الجمعة ١٠ يناير وصباح السبت ١١ يناير سنة ١٩٩٢ والت محطات الاذاعة العالمية ، بالعربية وبغير العربية، نشر الخبر أكثر من مرة..]

***

ولست بسبيل التعرض هنا لنقد هذا الكتاب وغيره من مؤلفات الأستاذ فى الاسلام السياسى وتاريخه، اذ لايشغلنى اليوم من أمرها سوى تقديمها شاهدا ومثالا لرواج هذه الكتب فى الغرب المعاصر ، ومشغلة العالم الجديد بالرؤية الجديدة للأستاذ مستشار أمن الدولة بمصر ، لفكر الاسلام السياسى وتاريخه .

***

واتلو من آيات الله تعالى قوله عز وجل فى ختام سورة النجم :

(هذا نذير من النذر الأولى ، أزفت الآزفة ، ليس لها من دون الله كاشفة ، أفمن هذا الحديث تعجبون ، وتضحكون ولاتبكون ، وانتم سامدون فاسجدوا لله واعبدوا.)

صدق الله العظيم

مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ٣ / ٩ / ١٩٩٢

شاهدة عصر ١٧

بوادر القلق والرفض في ليل الجاهلية الأخيرة: مع بشائر مطلع الفجر

د. بنت الشاطىء

مع هلال شهر ربيع الاول، تستروح الامة من ذكرى مولد الحبيب المصطفى - صلوت الله عليه وسلامه - ما يؤنس وحشتها في هذا الزمان البائس الكئيب، وتلتمس من سنا نوره ما تقاوم به دواعي الاحباط والقنوط وتستبصر عواقب التمزق والفتن، وضواغط القهر والمذلة والهوان.

وليكن حديث اليوم مقدمة لحديث المولد فى موعدنا معه بمشيئة الله تعالى فجر اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول الاغر...

تنبهت من عهد طلبي العلم فى مدرستي الاسلامية الاولى - على والدى وزملائه شيوخ المعهد الدينى بدمياط - إلى ان مؤرخي الاسلام، وفي مقدمتهم إمامهم الصدر «ابن جرير الطبرى - ٣١٠ هـ» لايبدأون التاريخ للاسلام بالمبعث فجر ليلة القدر، بل يرجعون به إلى ماض بعيد وقريب يستوعب النظرة الشاملة لعالم ما قبل الاسلام. كما ان علماء السيرة النبوية لايفتتحونها بالمولد النبوي، بل يصلونه بالنسب الزكى إلى عدنان، الجد العشرين لمحمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي، وصريح ولد اسماعيل بن ابراهيم، عليهما السلام، من السيدة هاجر المصرية، مستطردين خلال تتبع سلسلة النسب الزكى إلى ابائه وأمهاته، إلى ذكر المروى من اصهارهم وولدهم، وايامهم ووقائعهم وأحداث ازمنتهم والمأثور من مفاخرهم فى ديوان شعرهم.

....

وظلت هذه البادرة المبكرة من الوعي، تلفتني إلى تواصل الاجيال والاقاليم والاعصر، قبل ان اتلقاها قاعدة اصولية فى اطراد السنن الثابتة لنظم الكون وحياة الافراد والجماعات بين ماض وحاضر وات، ونفى عشوائية المصادفات وبغتة المفاجات، قال تعالي:

(فهل ينظرون إلا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا.) الآية

***

ما كان من ضلال الجاهلية فى بلاهة وثنيتها وفساد اوضاعها، مردد مشهور لم يدخر مؤرخو الاسلام جهدا فى بيانه. ومنه فى القرآن الكريم والحديث الشريف ما يمحقه الدين القيم، وقد بعث الله - تعالى - خاتم رسله بكتابه العربى المبين (ليخرج الناس من الظلمات إلى النور)

ولكن فى القرآن الكريم والحديث الصحيح كذلك، ما ينفى ان عرب الجاهلية الاخيرة كانوا جميعا مجردين من المروءة والرشد والفضيلة بمعروف عصرهم، على نحو ما نردده تلقينا اصم عمن وهموا واوهموا انهم يرفعون من قدر الاسلام بقدر ما يضعون من الاصل العربي، دون تنبه إلى ان مقتضى هذا القول ان ينمى نبى الاسلام إلى سلالة وضيعة. وهى مقولة ضالة رسخها فينا نفر من كتابنا، واتكا عليها المبشرون فينا بالانسلاخ من شخصيتنا الاسلامية المرهقة بعقدة الشعور بضعة الاصل وهوان الاباء والامهات. وذلك ما ارجو ان افرغ لعرضه ونقضه فى المقدور لى تقديمه باذنه تعالى من شهادتى على العصر.

يكفى لتصحيح الرؤية العامة لهذه القضية ان اذكر قومى بان الله - تعالى - اصطفى النبى العربي، القرشى الهاشمي، خاتما لرسله - عليهم السلام - واصطفى مكة،

مركز الاهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ٣ / ٩ / ١٩٩٣

وفيها بيته الحرام، دارا للمولد والمبعث، واصطفى من كبار الصحابة، المهاجرين والانصار، حفظة القرآن الكريم والحديث الشريف وتلاميذ مدرسة النبوة الذين حفظوا للامة فقه دينها شريعة ومنهاجا. ومن أولئك الصحابة كان جند الاسلام في معركته التاريخية ضد الوثنية، جهادا في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، ثم كان منهم أمراء كتائب فتوح الاسلام الكبرى التى حملت لواءه الاغر ورفعته على ساحة دولته من الشرق الاسيوى إلى المغرب الاقصى والأندلس، قبل نهاية القرن الهجري الاول.

★★★

لست اليوم بصدد التذكير بما عمرت به كتب السيرة والدلائل من مبشرات بالمولد وإرهاصات بالمبعث تناقلها الرواة عن أحبار اليهود ورهبان النصاري، وتحدث بها الكهان من العرب، فذلك محفوظ مشهور تشدو به محافل المولد ومجالس الذكر في ذكرى المولد وماحف به من خوارق العادات، وما سبق المبعث من شواهد الاصطفاء ودلائل النبوة..

وإنما أحاول الاصغاء إلى نبض الوجدان العربي في أرهف حساسيته، من ضيق بفساد الأوضاع، وقلق الوعى بعقم الوثنية الغشوم، وما رصد ديوان شعر الجاهلية الأخيرة من تطلع إلى فجر صادق تستشرفه رؤاهم في غسق الليل، بهدى الفطرة، وقبس من نور الله في بصائرهم لاينطفئ.

ويضيع منا الكثير من شواهد تلك التطلعات والرؤى الملهمة، إذا نحن حصرنا مجال الرؤية في الشعراء والحكماء الجاهليين، الذين لم يدركوا المولد والمبعث، ولعلها أجلى وأوضح فيمن أدركوا الاسلام وفيهم الطبقات الأولى من الصحابة، ومنهم من طال عمرهم في الجاهلية والاسلام.

ومعهم من شعراء الفترة المعبرين عن هواجس القلق والرفض واستشراف التحول، المخضرمون الذين أدركوا عصر المبعث ولم تصح لهم صحبة

★★★

تتجه شواهد الاصطفاء. أول ما تتجه. إلى «مكة» مهد المولد: أم القرى والحاضرة الدينية للعرب، وفيها البيت العتيق أقدم بيت لله تعالى على الأرض، مثابة حج العرب وعبادتهم ومهوى أفئدتهم.

تواترت المرويات بحرمتها وما رسخ في وعى العرب من (أنها لاتقر فيها ظلما ولا بغيا، فلا يبغى فيها أحد إلا أخرجته منها محسورا مقهورا، ولا يريدها ملك يستحل حرمتها إلا هلك مكانه). ووعى تاريخها الديني من عهد بني إسماعيل، أن جرهم بغوا فيها فنفتهم عنها حزانى مقهورين يرجعون في حسرة بكائية شاعرهم:

وقائلة والدمع سكب مبادر
وقد شرقت بالدمع منها المحاجر
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
أنيس، ولم يسمر بمكة سامر

....

قال تعالي: (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم)

وأقرب ذلك إلينا ما كان من أمر «أبرهة الاشرم» حين غضب عليه مولاه نجاشي الحبشة، فبنى له بصنعاء كنيسة لامثيل لها، وجلب إليها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من بقايا قصر بلقيس «ملكة سبأ» ونصب فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والأبنس، وكتب إلى مولاه النجاشي يسترضيه: «إني بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يسبق بناء مثلها لملك قبلك. ولست منتهيا حتى أصرف إليها حج العرب.» ثم خرج إلى مكة بجنوده أصحاب الفيل، يريد هدم البيت العتيق وصرف حج العرب عنه. فحمى الله بيته، وهلك أبرهة وجنده دونه، وذهبوا خبرا يروى وآيات تتلى عبرة ومثلا..

في عام الفيل، كان مولد «محمد بن عبدالله» بدار أبيه في حي بني هاشم صفوة قريش جيرة البيت العتيق..

★★★

فيما كانت الجزيرة العربية وما

مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات
التاريخ: ٣ / ٩ / ١٩٩٢

حـولهـا تتناقل أقـوال الأحـبـار والرهبـان، وأخـبـار الكهـان من العـرب إرهاصـا بنبي عـربي حـان زمانه، فتلتقي روافد المبشرات من هناك وهنالك عند اليتيم الهاشمي المكي، كـانت أسـواق مكة في مواسمها الدينية ملتقى الشعراء العـرب يتناشـدون قـصـائدهم ويتحاكمون فيها إلى كبار منهم، فتخرج من مكة وتتجاوب الآفاق بأصدائها، وتسجل مراصد الفترة نبض الوجدان العـربي في أرهف حساسيته، تطلعا إلى حياة أفضل تستشرفه البصيرة الملهمة، وتأملا في عـبرة الأيام وغـرور الدنيا ومـضـاجع الموتى من الملوك والدهماء، وآيات القدرة الإلهية في الكون والحياة.

....

ومن تلك الأشـعـار والتـأمـلات والرؤى الملهمة، أبيات سائرة جرت مجرى الأمثال، معبرة عن الوجدان العام، كأبيات «عـبيد بن الأبرص الأسدي» من معلقته:

وكل ذي غـيـبـة يـئـوب
وغـائب الموت لايـئـوب
من يسأل الناس يحرموه
وسـائل الله لايخـيب
والله ليس له شـريك
علام ما أخفت القلوب

....

وأبيات «طرفة بن العبد البكري» من معلقته وفي الخبر: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كـان يعجب بأول بيت منها:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخـبـار من لـم تزود
أرى العيش كنزا ناقـصـا كل ليلة
وما تنقص الأيام والدهر ينفد
أرى الموت أعـداد النفـوس ولا أرى
بعيدا غدا، ما أقرب اليوم من غد

....

والأبيات السائرة من معلقة «زهير بن أبي سلمى» والد كـعب وبـجـير الصـحابيين الشاعرين رضي الله عنهما :

ومن هاب أسـبـاب المنايا ينلنه
ولو رام أسـباب السـماء بسلم

ومن يك ذا فـضل فـيـبخل بفضله
على قـومـه يستـغن عنه ويذمم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه
ومن لا يكرم نفـسـه لايكرم
ومن لم يصانع في أمور كثيرة
يضرس بأنيـاب ويوطأ بمنسم

....

وأعلم علم اليوم والأمس قبله
ولكنني عن علم ما في غد عم
ومهما تكن عند امرئ من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم

★★★

وفيما بين المولد والمبعث، يحفظ لنا ديوان الفـتـرة من تأمـلات حكمائها الشعراء، ما أسنده الحافظ «أبو الفتح اليعمري» في سيرته الكبرى (عيون الأثر) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قدم وفد عبد القيس على رسول الله - صلى الله عليه وسلم فقال: «أيكم يعـرف قس بن سـاعـدة الإيادي؟» قالوا: كلنا يا رسول الله نعرفه. قال: «فما فعل؟» قالوا: هلك. قال: «ما أنساه بعكاظ على جمل أحمر وهو يقول: «أيها الناس، اسمعوا وعوا، من عاش، مات ومن مات فات، وكل ما هو آت آت. إن في السـمـاء لخـبـرا، وإن في الأرض لعبرا...... أقسم قس قسما حتما إن لله دينا هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه. مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا بالمقام فـأقـامـوا، أم تركـوا هناك فناموا؟»

ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «أيكم يروي شـعـره؟» فأنشدوه:

في الذاهبين الأولين
من القرون لنا بصائر
لما رأيت مـوارداً
للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها
يمضي الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي إلي
ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محالة
حيث صار القوم صائر

....

إلى جانب ما سجله ديوان الفترة من أشعار المتحنفين الذين لاحت لرؤاهم وبصائرهم، تباشير فجر مرتقب.

وما كان ليصح في منطق الفطرة وطبيعة الأشياء، أن تموج الجزيرة العربية ببشرى المولد وإرهاصات المبعث، دون أن تحدث أثرها في حياة القوم المبشرين بمبعث نبي منهم حان زمانه. وغير مستبعد أن يكون من أثر تلك الإرهاصـات في أوضاعهم الاجتماعية: أن تناسوا عصبيتهم للقبيلة أمام الخطر الأجنبي، فقاتلوا مجتمعين جيش كسرى (يوم ذي قار) كما ظهر في مثل «حلف الفضول» وكان أكرم حلف وأشرفه: اجتمعت فيه من قريش «بنو هاشم وزهرة وتيم بن مرة» في دار عبدالله بن جدعان التيمي، وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها أو غيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته. وقد شهده المصطفى قبل المبعث، وقال فيه بعد مبعثه: «لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت».

وغير متصور أن يظل الوجدان العام أخرس أصم، لاينفعل بالحياة حوله ولا يعبر عنها ويحدو مسراها.

★★★

وبعد فلست فيما قدمت في حديث اليوم من مواقف مشهودة وأشعار سائرة معبرة عن نبض الفترة، أتكلف جهد الاستئناس لفكرة لي عنها وعن القوم الذين شرفوا باصطفاء خاتم النبيين منهم ونزول القرآن الكريم فيهم، بل هو مما أدخله علماؤنا في المصادر الأصول لكتب السيرة العطرة، وحديث المولد ودلائل النبوة..

وإلى لقاء قريب في موعدنا مع ذكرى المولد النبوي، في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، إذا يسر الله وأعان.

★★★

(الحمدلله، وسلام على عباده الذين اصطفى)

صدق الله العظيم

مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ١٠ / ٩ / ١٩٩٢

د. بنت الشاطىء

في ذكرى مولد اليتيم المصطفى

أبناؤه البوسنيون في منازح التغريب ومنافي القطاء..

ماكنت أعلم حتى ربيع سنة ١٩٦٨م ١٣٨٨هـ، أنه ليس في المكتبة الإسلامية في طول العالم الإسلامي وعرضه، كتاب عن أم النبي صلى الله عليه وسلم. عندما تفضل السيد الدكتور أحمد عصمت عبد المجيد، فدعاني إلى مكتبه في وزارة الخارجية. وكان وقتئذ مدير الإدارة الثقافية والتعاون الفني بها. فحدثني عن أمر لم يخطر لي على بال: إذ تلقت الوزارة خطابا من سفارتنا في واشنطون ترجو الإستجابة لكاتبة أمريكية تعد كتابا عن (نساء خالدات) أفسحت فيه مكانا لأم نبي الإسلام عليه السلام وتحتاج إلى ما يعينها على إنجازه من مادة تاريخية. وذكر لي السيد الدكتور أنه اتصل بالهيئات العلمية الإسلامية والجامعية ودور الكتب العامة فكان الرد أن ليس لدينا علم بوجود كتاب عن أم نبينا عليه الصلاة والسلام وتلقى سيادته مع الرد بطاقة تعريف بنا في نشرات موجزة يرجو أن يكون لدي ما أضيفه إليها. فاستمهلته أياما ريثما راجعت فهارس المعروف لنا من خزائن تراثنا ومظان المصادر والمراجع، وعجلت إليه بترجمة وافية.. ثم كانى استجبت لأومي أن مضى على المولد النبوي أكثر من أربعة عشر قرنا، وليس في مكتبتنا كتاب عن الأم الوالدة. فاحتشدت لتقديم كتاب (أم النبي، صلى الله عليه وسلم) تكليفا وتشريفا، ومن وقتئذ لم تمر بي ذكرى المولد إلا حمدت لله عز وجل أن أكرمني بهذا التكليف من حيث لا احتسب، ولا مر بي ذكر السيد الدكتور أحمد عصمت عبد المجيد، إلا ذكرت له هذه المكرمة.

لئن افتقدنا كتابا خاصا عن أم النبي عليه الصلاة والسلام، لقد كانت ملء وعي أمته وذاكرة التاريخ حضورا وتكريما، لم تنب قط عن أصول مصادرنا للأمهات المنجبات الخالدات، وتاريخ مكة المكرمة وسيرة الهاشمي المصطفى، وبشريات حمله ومولده، وموضع الأمومة في الدين الإسلامي شريعة ومنهاجا..

ومنها كان الزاد السخي لكتاب (أم النبي صلى الله عليه وسلم) إلى جانب ما لا يجوز تجاهله أو التهاون به من الدلالة الإجتماعية الصادقة لبشريات الهواتف والرؤى، ثم في مواجد المحبين وأناشيد الذاكرين وقصائد الشعراء، معبرة عن الوجدان الجماعي المرهف وما مثلته الرؤى الملهمة لصورة الوالدة في قلوب عامرة بالإيمان والحب، وما تفردت به من مخايل البهاء وعز الأصطفاء لأمومة الحبيب المصطفى صلوات الله عليه وسلامه.

•••

«آمنة بنت وهب الزهرية القرشية»: ولدت في أشرف بلد وأكرم بيت، وتفتح صباها في ظروف واعدة بالتفرد والإصطفاء، فكانت المسماة لزين الشباب الهاشمي «عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم» لكن أمر زواجهما كان معلقا على النذر المشهور لأبيه عبد المطلب. فلما افتدى عبد الله بمائة من الإبل نحرت عنه عند البيت العتيق، انطلق به أبوه إلى دار «وهب بن عبد مناف بن زهرة» وهو يومئذ سيد بني زهرة نسبا وشرفا، فخطب ابنته آمنة عروسا لعبد الله، وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا وموضعا..

يلتقي نسبهما في «كلاب بن مرة: والد الشقيقين «قصي» الجد الثالث لعبد الله، و«زهرة» الجد الثاني لآمنة بنت وهب.

وجد عبد الله لأبيه: هشام بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، وجد آمنة لأبيها «عبد مناف بن زهرة بن كلاب» الذي يقرن اسمه بابن عمه عبد مناف بن قصي فيقال «المنافان» تعظيما وتكريما.

ويحتفل علماء السيرة والأنساب، بتتبع نسب عبد الله وآمنة من جهة الآباء والأمهات، في سلالة عريقة أصيلة ووراثات مجيدة معروفة، جمعت لهما عز (المنافين) فذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما)

•••

احتفلت مكة بعرس عبد الله بن عبد المطلب، وكان حادث الفداء قد هز قلوب المكيين تعلقا بزين الشباب الهاشمي. وسهرت مسامر مكة تسترجع ذكرى الذبيح الأول «اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام، الجد الأعلى لقريش والعرب العدنانية. وإذ تكررت مشاهد الفداء في البلد العتيق، توقع القوم أن يكون لحادث فداء «عبد الله» ما بعده.

....

بعد شهر وبعض شهر، ودع عبد

مركز الأهرام للتنظيم والمعلومات
قطاع خدمات المعلومات
التاريخ: ١٠ / ٩ / ١٩٩٢

الله عروسه ليدرك قافلة قريش فى رحلة الصيف، إلى الشام، وقد هون عليهما الفراق ما حدثت به آمنة عن هواتف البشرى فى رؤياها بانها حملت بسيد البشر، فى بيئة عـــرفت ووعت هواتف الرؤى للحوامل المنجبات. وأن للقافلة أن تعود، وقد تيقنت آمنة من الحمل، فاشرأبت للقاء الحبيب بالبشرى، لكن القافلة عادت وخلفته بيثرب عند أخواله بنى النجار، ريثما يبرأ من وعكة طارئة ألمت به فى طريق الإياب..

وهناك، أدركه الأجل، لم يقبل فيه هذه المرة أى فداء. ووجد عليه أبوه وإخوته وجدا شديدا، واحتشدت مكة لمأتم فتاها الذى احتفلت بفدائه وعرسه قبل نحو من ثلاثة أشهر. وترملت عروسه«آمنة»، وفى كفيها خضاب العرس، ثم انفض المأتم وهى فى حدادها وأساها لا تكف عن تساؤل: فيم كان فداء عبد الله وعرسه المشهود ، والمنايا تخط له لحده بيثرب؟

....

حتى أحست خفقة حياة جديدة فى رحمها، فكأنها عرفت سر الذى كان: لقد أمهله القضاء بعد الفداء، ريثما أودعها الجنين الغالى الذى تحمله، والذى يعطى حادث الفداء تفسيره، ويمنح وجودها كله قيمة ومعنى..

ومضت أشهر الحمل وآفاق الحجاز تتجاوب ببشريات المولد والإرهاصات بالمبعث فتستجيب لهـــا رؤى آمنة، حـــتى أن وقت الوضع ومكة لاتزال تحتـــفل بنجاتها من (أصحاب الفيل) فاقترنت آيات النجاة ببشرى مولد اليتيم الهاشمى«محمد بن عبد الله بن عبد المطلب»

....

الليلة من بدئها كانت مقمرة واعدة، ينيرها قمر أوشك أن يكتمل بدرا وقد جاءها المخاض وقت السحر وتراءت لها أطياف نورانية تحف بها فتجلدت لساعة المخاض، حتى وضعت وليدها مع مطلع الفجر ففاض عالمها نورا وأنسا وتمثل لها طيف أبيه الحبيب حاضرا لا يغيب..

فى تلك الليلة المقمرة، استقبلت الدنيا مئات ألوف من المواليد غير بعيد فى قصور الحبشة واليمن ومصر والشام والعراق، وفى سهوب البرارى ونجوع البيد وكهوف الجبال.. تباعدت بهم الأعراق والسلالات والأجناس والألوان وتفاوتت المجتمعات والطبقات والظروف، وتماثلت فيهم

جميعا آية الخلق وسنن الفطرة وغريزة حفظ النوع وإرادة البقاء..

وماكان التاريخ ليلتفت إلى واحد منهم: يتيم هاشمى بمكة، ابن إمرأة من قريش تأكل القديد، لولا أن حفت بحمله ومولده ظروف فريدة وجهت البشريات إلى مهد المولد، فكان أن حرصت«مكة» على تتبع سيرته، ووعت من شواهد تفرده ماتواترت به المرويات إلى فجر المبعث، ليلة القدر، لم تفلت ذاكرتها منه شيئا ذا بال: من بدء أيامه الأولى فى حديث رضاعته فى بادية بنى سعد، وما نال القوم من بركته ويمنه، حتى مضت سنتا الرضاع وعادت به مرضعته«حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية» إلى أمه فآنس وحشة وحدتها وترملها المبكر، ومن عليه الله تعالى بأن آواه فى يتمه (فكان مع أمه آمنة بنت وهب فى كلاءة الله وحفظه) حتى بلغ السادسة من عمره وهى قريرة العين به، ترى فيه مخايل السيد العظيم الذى بشرت به رؤاها الملهمة.

وصحبته فى رحلة إلى يثرب ليتعرف إلى أخوال أبيه بنى النجار، وليزور معها قبر والده الحبيب الثاوى هناك.

فى طريق الإياب إلى مكة، أدركها أجلها قرب«الأبواء» فدفنت هناك بمرأى من ولدها الوحيد اليتيم الذى استأنف ما بقى من الرحلة مع حاضنته«أم أيمن» حزينا مضاعف اليتم..

وتابعت مكة خطاه حـــتى بلغ الأربعين من عمره، وتلقى آيات الوحى الأولى فى غار حراء، ليلة القدر.

ومن يومئذ أخذت أمه موضعها الجليل فى السجل التاريخى لأمهات الأنبياء أصحاب الرسالات الكبـــرى اللواتى أذرهن الله بحضانتهم فى حداثتهم المبكرة:

«هاجر، أم اسماعيل» التى بوركت هموم أمومتها وكان مسعاها بين (الصفا والمروة) شعيرة من شعائر الحج والعمرة.

و«أم موسى» التى وضعته إبان وطأة فرعون الساحقة لبنى إسرائيل، قال تعالى: (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين.) وصدق الله وعده..

و«مـــريم ابنة عـــمـــران» التى اصطفاها الله على نساء العالمين وجعلها وابنها«المسيح عيسى بن مريم» آية للعالمين.

ثم تأتى«آمنة بنت وهب» فى ختام هذا الموكب المهيب لأمهات الأنبياء،

أما لليتيم الهاشمي المصطفى لختام رسالات الدين،وكان مما من به الله على رسوله المصطفى فى آيات الضحي:

(ألم يجدك يتيما فآوى، ووجدك ضالا فهدى، ووجدك عائلا فأغني..)؟

وعاشت الأم الخالدة ملء قلب ولدها العظيم وسيرته، وأخذت الأمومة موضعها الكريم فى الدين القيم شريعة ومنهاجا.

ومجال التقصي لشواهد ذلك رحب ذو سعة، وقدر منه يدخل فى المعلوم للمسلمين كافة من دينهم بالضرورة، وإن لم يعلموا بالضرورة أن من أعظم نعم الله على الأمومة، آياته تعالى فى رعاية اليتامى وحمايتهم من آفات الظلم والقسوة، وبؤس الهوان والضياع.

وفيما نتلو من آيات الاصطفاء لأمهات الأنبياء، تتجلى نعمته تعالى عليهن فى أبنائهن.

وأذكر أنني فى محاضرتي الأولى بجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة، رجوت من زمان أن نعفى الأمة من ملاجيء للأيتام ترسخ فيهم الشعور بضيعة اليتم، وتعزلهم تماما عن المجتمع السوي كأنهم مرضى أو منحرفون وتمنيت لو أننا نطلق سراحهم ليتعلموا فى المدارس مع سائر التلاميذ ويشاركوهم المرح فى ملاعب حداثتهم ، وتكون الملاجيء (دورا لأبناء محمد) بديلا كريما من بيوتهم التى خربها اليتم.

....

اليوم أجدني فى ذكرى مولد اليتيم الهاشمي مؤرقة بمأساة أبناء محمد من أطفال شعب البوسنة والهرسك، لم نحمل من همهم أكثر من المشاركة فى تأمين خروج شاحنات تقلهم إلى منازح التغريب ومنافي أشباه اللقطاء، بعيدا عن معسكرات الموت ومصارع الآباء وأشباح الأمهات بين الخرائب والأطلال.

ثم لا أملك سوى أن أصغى إلى نشيج قلبي لليلة الذكرى لمولد اليتيم المصطفى، مع رجع صدى ممزق من نشيد نجواي:

ليلة المولد جودي بعطائك
وامنحينا زادنا من عبرتك
أشرقي بالنور فى تيه سرانا
ذكرينا بالذى قاد خطانا
واجمعي أشلاءنا تحت لوائك
لنرى أين الطريق
فلقد ضاع الطريق
فتشردنا حيارى ضائعين
وتمزقنا فلولا، عن يسار ويمين
نمضغ الأوهام نستجدي الحياة

....

ملء دنيانا ركام
من ضحايا للمذابح والمجازر
والبقايا، زادها قهر وحسرة
فانسخي ياليلة النور الظلام
لا تمرى خطبة فوق المنابر
أو نشيدا فى الحناجر
ذكرينا بالذى قاد الخطا
وهدى الابصار منا والبصائر
رجعي فى ليلنا صوت الهدى
يوقظ الارواح منا والضمائر
زودينا بعطائك
واجمعي أشلاءنا، تحت لوائك

● ● ●

مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ١٧ / ٩ / ١٩٩٢

[illegible]

د. بنت الشاطىء

مراجعات:

ظاهرة البدء من نقطة الصفر

تتكرر فى حياتنا العامة ظواهر تلقانا بين يوم وآخر، فيبلغ من تعودنا عليها أن تغدو كأنها من طبيعة حياتنا.

منها ظاهرة البدء على فراغ من نقطة الصفر، فيما تبث فينا أجهزة الإعلام مع كل رئيس أو مدير جديد لإحدى المؤسسات العامة أو الخاصة من الدعاية لما يفتتح به عهده من مشروعات وبرامج جديدة، أنشأها على فراغ بدءا من نقطة الصفر. وتبدو الظاهرة غاية في الشذوذ إذا كان الرئيس أو المدير منهم حديث عهد بديوان المؤسسة وفروعها وموظفيها، لا يعلم من أمرها وأمرهم شيئا مما يعلمه صغار عمالها فى أدنى درجات السلم الوظيفي، يتوارد عليهم رؤساء، عرضة لأن يخرجوا من مناصبهم لسبب أو لآخر، وصغار العمال والمستخدمين باقون فى الديوان حتى سن التقاعد، أشبه بخزانة إليكترونية حافظة للمعلومات عن كل ركن وزاوية من مبنى الديوان، وكل صغيرة وكبيرة عن سادة رؤساء، لا يدرى أحد منهم إلى متى يبقى فى منصبه؟

***

الوضع يختلف تماما بالنسبة إلى وزارة من أعرق مؤسساتنا التعليمية، ووزير من كبار أساتذتنا الجامعيين. ويتعلق الأمر بما بثته أجهزة الإعلام عقب إعلان نتائج امتحان الثانوية العامة، عن استقبال السيد الدكتور وزير التعليم لأوائل الناجحين، وإعلانه أن تكريم السيد الرئيس محمد حسنى مبارك للمتفوقين يأتى خلال لقائه بهم خلال شهر نوفمبر

[وأعلن الدكتور حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم، أن تكريم السيد رئيس الجمهورية للمتفوقين ولقاءه بهم تقليد جديد حرص فيه السيد الرئيس على الالتقاء بجميع المتفوقين.]

ـ الأهرام: ١٧/ ٨/ ١٩٩٢

....

والسيد الدكتور الوزير ليس حديث عهد بوزارة التعليم، فضلا عن قدم عهده بالحياة العلمية أستاذا ورئيس قسم طب الأطفال بجامعة القاهرة، ورئيس الجمعية المصرية لطب الأطفال، مشهودا له بسجايا العلماء فى نبل التواضع والزهد فى بريق الإعلان، ولا أستبعد أن يكون القول بأن تكريم السيد الرئيس للمتفوقين ولقاءه بهم تقليد جديد، إضافة من الصياغة الإعلامية، أو لعل شواغل العهد قد أنستنا سابقات لنا فيما نحسبه اليوم جديدا علينا.

★★★

واقع الأمر فى حديثى اليوم، أن خبر التقليد الجديد ذكرنى بظاهرة البدء من نقطة الصفر ـ وقياسه عليها مع الفارق البعيد ـ فلا بأس على السيد الدكتور الوزير من تعلق الظاهرة بالخبر. وسيادته مرجو عندى لأن لا يضيق بذكر الإعلان المنقول عنه، فى سياق الإشارة إلى ظاهرة تعودنا عليها، ولا جديد يضعها فى مجال النظر سوى أننى قرأت عقب الإعلان عن التقليد الجديد، خبرا علميا مثيرا عن اكتشاف هيكل عظمى بوادى فيران، لإنسان مصرى عمره ثلاثة وعشرون ألف سنة، بعد أبحاث ودراسات استغرقت خمس سنين، قامت بها بعثة جامعة إلينوى الأمريكية بالتعاون العلمى مع هيئة الآثار المصرية. وأشار الخبر عن هذا الكشف لأقدم إنسان مصرى عثر عليه حتى اليوم، إلى وجود ما يؤكد أن الإنسان المصرى سكن وادى فيران منذ ستين ألف سنة. (الأهرام: ٣٠/ ٨ ١٩٩٢)

★★★

تساءلت وأنا أطالع خبر هذا الكشف: كم غاب عنا من ماضى مصر العريقة، مد الله فى عمرها، مما نحسبه اليوم جديدا علينا؟ وماذا عسى أن تكشف حفريات الغد عن مجهول لنا من آثارنا وتجاربنا وتاريخنا. فى غيابة تاريخ ما قبل (إنسان وادى فيران)؟!

مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم

قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ١٧ / ٩ / ١٩٩٣

مر بي في المعروف لنا من تاريخنا العلمي الإسلامي، سجل حافل بنوابغ شباب كانوا موضع التكريم من الخلفاء والملوك، ومن هؤلاء الشبان من ارتقوا إلى رتبة الإمامة والصدارة في مجال تخصصهم العلمي، فكان هذا التكريم معدودا من مآثر الخلفاء والملوك، يذكر لهم في مناقبهم، منظورا فيه إلى الشهادة لهم بتقدير دولتهم للعلم وأهله..

....

والتفت إلى العصر الذي أتيح لي أن أكون من شهوده، فلا أرى تكريم المتفوقين من طلاب العلم بلقاء السيد رئيس الجمهورية في شهر نوفمبر القريب - إن شاء الله - تقليدا جديدا بالنسبة إلى سيادته، فقلما تمر مناسبة قومية أو تاريخية دون لقائه بأفواج من الطلاب والشباب. وأقرب ذلك إلينا شهود سيادته احتفال وزارة الأوقاف بليلة القدر الغراء مساء يوم الإثنين السادس والعشرين من شهر رمضان الماضي (٣٠/ ٣/ ١٩٩٢ م) بتكريم الفائزين من حفظة القرآن الكريم المصريين وغيرهم ، ووزعت عليهم في ذلك الحفل المشهود بقاعة الإمام الشيخ محمد عبده بالأزهر، جوائز الحج والعمرة.

وبعده، شهد السيد الرئيس منذ أسبوعين، احتفال وزارة الأوقاف في قاعة الإمام الشيخ محمد عبده بذكرى المولد النبوي الشريف - وفيه استقبل سيادته ثلاثة عشر عالما ومفكرا إسلاميا من مصر والخارج، ثم الشباب الفائزين في مسابقة الوزارة لهذا الموسم، وقد نال اثنا عشر شابا منهم جوائز الحج أو العمرة، ومعهم ثمانية من الفائزين، منحوا جوائز مالية...

....

التقليد ليس جديدا كذلك، بالنسبة إلى المرحلة المبكرة من الثورة، فلقد شهدت في عهد الزعيم جمال عبد الناصر، احتفال وزارة التربية والتعليم بالمتفوقين في امتحان إتمام الدراسة التوجيهية (سنة ١٩٦٠) حيث لقيهم السيد الرئيس وصافحهم وقدم إليهم شهادات تفوقهم بحضور المدعوين من أولياء أمورهم، وكنت منهم..

★★★

بل إنه ليس جديدا على العهد الملكي قبل الثورة، فمنذ أكثر من نصف قرن، احتفلت مصر بالذكرى الثانية لممارسة جلالة الملك فاروق الأول سلطته الدستورية سنة (١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م) فكان من أعز مراسم الاحتفال، أن استقبل جلالته في القصر الملكي بعابدين (الثلاثة الأوائل من الناجحين في الدراسات النهائية من طلاب الجامعة الأزهرية والجامعة المصرية والمدارس العليا، والشهادتين الثانوية والإبتدائية - هكذا مجتمعين - وقبل تناول الشاي مع جلالة الملك في حدائق القصر الملكي، قدم أستاذنا الجليل «الدكتور منصور فهمي: مدير دار الكتب المصرية» - أيام عزها - هدية الدار إلى كل متفوق تيمنا بهذه المناسبة وتبعا لترتيب الكليات وأقسامها في لائحة الجامعة المصرية، تصدر المتفوقون من قسم اللغة العربية بكلية الآداب، موكب الجامعيين فحظيت بهدية من أغلى ذخائر تراثنا في علم العربية: (كتاب الخصائص، لأبي الفتح عثمان ابن جني) أحذق علماء عصره (٣٣٠ - ٣٩٢هـ) في خصائص العربية. ولم يكن الكتاب من مطبوعات الدار مظنة الكساد، بل هو في نسختي الهدية من طبعة محررة متقنة لدار الهلال بالفجالة، سنة (١٣٣١ هـ - ١٩١٣م).

فكان الدار اختارته على بصيرة، تراني ومثلي أهلا لأن نستشرف مستواه العالي في خصائص العربية، وتحرص على أن يتصدر خزانة كتبنا باسم الجامعة المصرية.

* * *

وأضيف إلى سابقات جامعة القاهرة في هذا المجال ، الاحتفال السنوي بخريجي فرعها بالخرطوم، لا يقتصر على لقاء السيد رئيس الجمهورية بالمتفوقين منهم، بل هو على عهدي به في زيارتي العلمية الموسمية للجامعة - أوائل العقد السابع من هذا القرن - عيد قومي مشهود للشعب السوداني الشقيق تقدم فيه مصر إليه كل عام، فوجا ممن تخرجوا في جامعتها فرع الخرطوم، يصطفون في زيهم التقليدي على جانبي قاعة الاحتفال العامرة بالمدعوين من أهلهم، ريثما يتقدم موكب أساتذتهم في الزي الجامعي إلى منصة القاعة، فيأخذون أماكنهم مع السيد رئيس الجمهورية، ثم يبدأ توزيع شهادات التخرج في فرح بهيج..

التاريخ: ١٧ / ٩ / ١٩٩٢

★★★

على أن أروع ما شهدته من ذلك، احتفال القرية القرآنية فى بادية كردفان وفى الزوايا والربط فى نجوع المغرب وقراه، بمن ختموا القرآن الكريم من صبية الكتاتيب، حيث تتوافد عليها قوافل الإبل والشاحنات محملة بالهدايا من الأطعمة والملابس والفرش، تشق الدروب مهتدية بنور البدر فى لياليه المقمرة، وتهتدى إلى موضع القرية أو الزاوية بأضواء المشاعل الساطعة ودقات طبول الأفراح فى أعراس (المسيد)..

وكذلك كان عهدى بقرانا فى ريف الكنانة وشطوطها، تحتفل بمن ختموا القرآن الكريم من صبية الكتاتيب، ويتنافس سراة البلد فى تبجيل شيوخنا الذين قرأنا عليهم، رضى الله عنهم، والتبرع بما يكفيهم مئونة العيش وضغط الحاجة.

* * *

مراجعة أخرى:

من السيد المستشار «محمد سعيد العشماوي» فيما نقلت من مقدمة الطبعة الثانية من كتابه عن الخلافة الإسلامية، فى سياق شهادتى على العصر - رقم ١٦ - عن (مشغلة العالم الجديد بالموقع الفكرى الإسلامى المعاصر)

راجعنى فيه سيادته مستدركا علي: أن ذكرت الكتاب باسم (الخلافة الراشدة) وأن ذكرت منصبه مستشارا لأمن الدولة.

[وحقيقة عمله - فيما كتب إلى - أنه رئيس لمحكمة أمن الدولة العليا ومحكمة الجنايات، وهو منصب قضائى رفيع.. مستقل عن أجهزة الدولة عموما، إذ لا سلطان على القاضى إلا ضميره]..

ثم استدرك على أن نقلت فقرات من مقدمة الطبعة الثانية، ولم انقل نص المقدمة كاملا ليعرف القارىء ظروف محاولة مصادرة الكتاب وملابساتها وعواقبها..

والحق أن عنوان الكتاب فى طبعته الثانية: (الخلافة الإسلامية: المستشار محمد سعيد العشماوي) دون تفصيل لمنصبه القضائى الرفيع، فمعذرة إليه. وذكرته فى مقالى باسم الفصل الذى جاء فى الكتاب بعنوان (الخلافة الراشدة) بعد أن تجشمت أشد المشقة والمعاناة فى مطالعة هذا الفصل وما سبقه عن الأصول العامة للخلافة الإسلامية، وتاريخ الخلافة الإسلامية بدءا بالعصر الجاهلي، يليه (عهد النبي) صلى الله عليه وسلم فى مكة وفى المدينة، ثم (الخلافة الراشدة) فتبين لى من هذه المقدمات صياغة السيد المستشار الجديدة للخلافة الإسلامية، وطريقته فى التنظير والتأويل، وأسلوبه فى الاقتباس والإنتقاء، وعرفت مصادره ومقاصده ومراميه، ومن ثم اقتصرت على الإشارة إلى الكتاب باسم (الخلافة الراشدة) إيماء إلى أن الخلافة الإسلامية فيه مؤسسة على هذا الفصل ومقدماته بصريح تقرير المؤلف عقب كل فقرة من (الخلافة الراشدة)، واستئناسا لهذا الاقتصار بصنيع السيد المستشار فى ترجمته كتابه (الإسلام السياسي) إلى الفرنسية، بعنوان آخر، هذه صورته:

"L'Islamisme contre L'Islam"

ثم كان أن أودعت الكتاب فى ملف وثائق شهادتى على العصر، واكتفيت بما نقلت من مقدمة طبعته الثانية، مما يتعلق بعنوان مقالي، موضوع المراجعة.

* * *

واستأذن فى أن أنهى هذه المراجعة بنص ما أنهيت به مقالى المشار إليه:

(ولست بسبيل التعرض ههنا لنقد هذا الكتاب وغيره من مؤلفات السيد المستشار فى الإسلام السياسى وتاريخه، إذ لا يشغلنى اليوم من أمرها سوى ذكرها شاهدا ومثالا لرواج هذه الكتب فى الغرب، ومشغلة العالم الجديد بالصياغة الجديدة لفكر الإسلام السياسى وتاريخه وخلافته الراشدة.)

★★★

(والسلام على من اتبع الهدي)

صدق الله العظيم

مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات
التاريخ : ١٩٩٢/٩/٢٤

شاهدة عصر ٢٠

مراجعات : الجديد... والأوائل..

د . بنت الشاطىء

لم يكذبني رجائي في الاستاذ الجليل الدكتور حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم، ان لا يضيق بمراجعتي سيادته فيما نشر من إعلانه عن تقليد جديد يلقي فيه السيد رئيس الجمهورية المتفوقين من الطلاب ، مع ماأذكره من سابقات لمصر في هذا المجال

المراجعة نشرت في شهادتي للعصر رقم [١٩] يوم الخميس الماضي .. وفي صبيحته اتصل بي سيادته هاتفيا ، لا لينكر او يؤاخذ او يعتب ، بل ليوضح لي ما اوجزالإعلان عن التقليد الجديد : ليس الجديد فيه لقاء السيد الرئيس باوائل الناجحين في امتحان الثانوية العامة كسابقة الرئيس عبد الناصر سنة ١٩٦٠، ولا لقاء حفظة القرآن في احتفال وزارة الاوقاف بالايام الإسلامية التاريخية ! ولا تكريم الثلاثة الاوائل الناجحين في السنوات النهائية من طلاب الجامعة الأزهرية والجامعة المصرية والمعاهد العليا والمدارس (الثانوية والابتدائية) الذين استقبلهم الملك فاروق الاول بالقصر الملكي بعابدين ، في مراسم الاحتفال بالذكري الثانية لممارسة جلالته سلطته الدستورية (سنة ١٣٥٦هـ.. ١٩٣٧ م) ..

بل الجديد في التقليد المعلن عنه في لقاء السيد الرئيس بالمتفوقين ، هذا العام ، هو الاحتفال بتكريم التفوق في مجاله الواسع الرحب، لايقتصر علي أوائل الناجحين في الشهادات العامة، بل يتسع لطلاب وشباب سجلت لهم رسميا اختراعات جديدة وليس عددهم بقليل . ومن نالوا جوائز التفوق في السلوك ، وفي مسابقات عامة ياتي تفصيلها في الموعد المقرر للاحتفال في شهر نوفمبر القريب بإذن الله ....

واتصل الحوار بيني وبين الأستاذ الدكتور الوزير، وهو علي العهد به سعة افق ورحابة صدر. واعود فاشهد انني ماذكرت إعلانه الموجز عن التقليد الجديد في سياق ماتعودنا عليه من ظاهرة البدء من نقطة الصفر . والقياس مع الفارق البعيد . إلا لانني قرات وقتئذ نبا الكشف عن هيكل عظمي بوادي فيران ، لإنسان مصري عمره ثلاثة وعشرون الف سنة .. واشار الإعلان عن هذا الكشف لاقدم إنسان مصري عثر عليه حتي اليوم ، الي [وجود مايؤكد ان الإنسان المصري سكن وادي فيران منذ ستين الف سنة] فكان ان تساءلت : كم غاب عنا فيما مضي من عمر مصر . مد الله في عمرها . مما نحسبه اليوم جديدا عليها ؟ وماذا عسي أن تكشف عنه حفريات الغد من مجهول لنا من آثارنا وتجاربنا وتاريخنا ، في غيابة تاريخ ماقبل إنسان وادي فيران ؟!

فذلك ماذكرني باعلان الأستاذ الدكتور وزير التعليم عن تقليد جديد هذا العام في الاحتفال بالتفوق وتكريم المتفوقين . وعقبت عليه في مراجعتي التي حدثني بشانها صبيحة يوم نشرها . وبلغ من حرصه علي أن لا ياخذ حديثه معي صفة المؤاخذة او المراجعة او الاستدراك ، أن استروحت من كرم اريحيته الي متابعة الحديث في قضية السوابق الجدد من وجهة النظر المنهجية ، فاشير باديء ذي بدء الي عناية سلفنا العلماء بما يعرف في مصطلحهم بعلم [الاوائل] يجمعون فيه ماصح من الاوليات المتعلقة بالتاريخ كاولية بيت الله العتيق ، واوليات الرسل عليهم السلام كسفينة نوح ومقام ابراهيم ، اوليات خاتم النبيين واصحابه رضي الله عنهم ، و(الاوائل) في شريعتنا تاريخا : كاول مانزل من الوحي واول من أسلم من الرجال ومن النساء، واول مسجد بني في الإسلام ... واحكاما : كالإذن في القتال ، والهجرة ، وتحويل القبلة ، وسائر الاوائل مما شرع من الاحكام ....

وقد صنف في (الاوائل) ائمة من اعلام الحفاظ ، كالإمام ، ابي بكر ابن ابي شيبة، المتوفي سنة ٢٣٥ هـ] في كتابه الجليل (المصنف في الأحاديث والآثار) وقد وصل الينا كاملا في طبعة بومباي (سنة ١٤٠٣هـ) في خمسة عشر مجلدا ، يقع (كتاب الاوائل) في المجلد الرابع عشر منها . واهتم علماء الحديث والأحكام بهذا العلم ، للحاجة إليه في معرفة ابتداء مشروعية الحكم وخلو الزمان قبله منه ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ ،

....

واجدي علينا (علم الاوائل)في تصحيح اقوال واثار كنا نحسبها اوائل وليست باوائل علي شرط الحفاظ الائمة.

واخذ جمهرة المصنفين الاعلام في علوم العربية والإسلام بتقليد علمي جليل ، يقدمون فيه لمصنفاتهم بما سبق إليه آخرون في مجال التخصص . وقد يبسطون القول فيما لكل سابق من اثر في خدمة العلم ، وماترك لمن بعده من مجال إضافة ؛ استدراكا لفوات او تصحيحا لوهم ، او تكملة وذيلا لما وقف عنده السابق . واعطي هذا التقليد مقدمات المحققين من المؤلفين مكانها من التقدير والاعتبار ، فبلغ من علو قدرها وقيمتها ان افردها علماء كبار بالدرس والتصنيف . وتعتز المكتبة الإسلامية بذخائر ذات عدد وذات شان ، من كتب : (المستدرك ، والفوات ، وفوات الفوات ، والتهذيب، والتحرير ، والتقييد والإيضاح، والاختصار ، والذيل والتكملة ، والطبقات ... ونحو ذلك من مؤلفات يبدا فيها اللاحق من حيث انتهي سابقه .....

ولنا في هذا المجال من الذخائر مالا يقع تحت حصر ، إذ تتوالي الطبقات من اعيان العلماء علي خدمة العلم الذي هم فيه اهل الجهة والاختصاص . وتسجل فهارسنا العلمية تواصل الجهود من القرن الاول للهجرة الي القرن الماضي او قريب منه ، لا علي وجه التكرار بل الإكمال والاستدراك والتذييل والاستصفاء ، والشرح والبيان، والتخريج للشواهد من الحديث والشعر .

....

وعرف لهم التاريخ العلمي ماثور خدمتهم لتراث الشعوب القديمة من

مركز الاهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات
التاريخ : ١٩٩٢/٩/٢٤

الفكر والعلم ، وتسجل تراجم علمائنا الرياضيين والفلاسفة والطبيعيين والحكماء ، ما أفادوا من ذلك التراث ، وماأضافوه إليه .. شواهد تاصيل للقاعدة المنهجية المقررة في علم الانسان الكسبي، لايبدا عالم او مفكر علي فراغ من نقطة الصفر ، ولايوصد الباب فليس للاحق فيه مجال ، ولا لقائل بعده مقال ....

اليوم مع رواج سوق التاليف والنشر ، وتعاظم حاجة اجهزة الطباعة والإعلان والإعلام الي البضاعة الحاضرة من الكلام ، يكثر ان نقول باوائل ثم يظهر من الوثائق العلمية انها ليست باوائل ، حتي دخل القول بجديد غير مسبوق إليه ، فيما نشعر تجاهه بحساسية خاصة تحملنا علي التوقف فيه ، شان سائر القطع باحكام كلية لاتقوم علي استقراء ، نفيا او إثباتا ..

المجال المحدود لهذا المقال ، لايتسع لاكثر من شاهدين او ثلاثة لما اشتهر فينا من اوائل صح للنظر النقدي الثاقب انها ليست كذاك ...

المثال الاول: لارسطو المعلم الاول . وقد اقر له بهذا اللقب مفكرونا الاسلاميون باعتباره رائد علم التفكير وصنعة المنطق لمرحلة في تاريخ الفكر اليوناني ، لا علي انها أولية مطلقة بدءا من نقطة الصفر ، بل اولية مرحلة قبلها وبعدها مراحل ليس فيها جدال .

فأرسطو ثالث الثلاثة (السقراطيين الكبار) انتهي إليه علم استاذه افلاطون بما حمل من علم إمامهم سقراط مؤسس المدرسة السقراطية (٤٧٠ ـ ٣٩٩ ق م)

وهذه المدرسة قد انتفعت بلا ريب ، بما قدمته بواكير الفلسفة اليونانية في عصور ماقبل سقراط ، من محاولاتها الجادة لكسب المعرفة وماوصلت إليه من نتائج ذات بال ، منها: المدرسة الايونية التي اسسها «طاليس» في النصف الاول من القرن السادس قبل الميلاد ، ومدرسة فيثاغورس الرياضية . (٥٧٠ق م) ثم المدرسة السوفسطائية التي قامت للبحث عن الحكمة ـ ومنها اشتقت اسمها ـ وبذل روادها الأوائل في القرن الخامس قبل الميلاد جهودا مضنية في سبيل الوصول الي معرفة يقينية بوسائل مامونة وضوابط ثابتة. وانتهي بهم الجهد الي عجز العقل والحواس عن إدراك معرفة يقينية ، وأرهف التامل منطقهم الجدلي ، ومضي الرواد وخلفهم تلاميذ استغلوا قدرتهم الجدلية ، وترافعوا في القضايا لحساب من يأجرهم ، وطافوا بانحاء اليونان يرتزقون بمنطقهم الجدلي . فانتقلت بهم السوفسطائية من مفهومها لدي الرواد ، البحث عن الحكمة ، الي السفسطة بمدلولها الشائع من المماراة الفاحشة والجدل العقيم

وهذه المدارس المبكرة من الفكر اليوناني ، مسبوقة كلها بتراث الشرق القديم ، مهد الديانات والمدنيات . وليست اسبقيته موضع خلاف اعلمه ، كما لاخلاف في اتصال فلاسفة اليونان بعلم الشرق القديم وينقل المستشرق الايطالي «جويدي» في محاضراته بالجامعة المصرية في (علم الشرق وتاريخ العمران) عن مصادر يونانية ، أسماء علماء وفلاسفة منهم ، سافروا الي مصر وبابل وفارس والهند والصين ، حيث اخذوا عن الكهنة والعلماء من علم الشرق والحكمة ماتناقله رواد الفكر اليوناني الي مدرسة السقراطيين الكبار ، ومن ذلك العطاء السخي قدم أرسطو قوانينه لعلم التفكير ومنطقة الصورى الذي سيطر علي الفكر الاوروبي زمانا، ثم غلبت عليه سنة التطور واخضعته للنقد والتعديل والتصحيح ، بما اضاف الفكر الاسلامي من مناهجه التي صنعت حضارته الرائدة القائدة واضاءت للغرب الاوروبي ظلمات عصوره الوسطي .

المثال الثاني: اولية سيبويه شيخ العربية وإمام نحاة البصرة فى القرن الثاني للهجرة ، في كتابه (الكتاب) الإمام الذي يتجه إليه التعريف حيثما نكر (الكتاب) في النحو والعربية والذي اشتهر بانه [كتاب اول في النحو ، لم يسبق سيبويه إليه أحد] وذاعت شهرته بهذا السبق فحجبت عن اجيال من المشتغلين منا بالنحو . فضلا عن عوام المثقفين ـ قضية الكلام في نسب (الكتاب) الي سيبويه ، قيل إنه إنما ـ اخذ عن شيخه «عيسي بن عمر الثقفي» كتابة (الجامع) وبسطه وحشى عليه من كلام شيخه «الخليل بن احمد» وغيره ، وكان كتابه الذي اشتغل به ، فلما استكمل البحث والدرس والتحشية نسبه الي نفسه . واستدل القائلون بهذه المقالة بما نقل ان سيبويه لما فارق عيسي بن عمر، ولازم الخليل ، ساله عن مصنفات عيسي بن عمر ، فقال له سيبويه : قد صنف نيفا وسبعين مصنفا في النحو جمعها احد سراة البصرة فاتت عليها عنده افة ذهبت بها ولم يبق سوي تصنيفين : احدهما (الإكمال)وهو بفارس ، و (الجامع)وهو هذا الكتاب الذي إشتغل به عليك . وأسالك عنه .

القضية شغلتني في رسالتين للماجستير والدكتوراه عن (الشواهد القرانية في كتاب سيبويه) ثم (الشواهد القرانية في كتاب المغنى لابن هشام] انجزتهما بإشرافي ، الدكتوره سهير محمد خليفة، الاستاذ بكلية البنات بجامعة الازهر، واطمان بنا النظر النقدي الي أن خدمة سيبويه للجامع وتحشيته عليه بعلم الخليل وجهد التفرغ للاشتغال عليه ، اخرجه جديدا فى (الكتاب) فكذلك كان صنيع المصنفين المتقدمين في العلوم النقلية ، في الجمع والتحصيل والتكملة والتحرير .

ويظل (الكتاب) شاهدا علي اولية مسبوقة بعلم «عيسي بن عمر وعلم الخليل » وعشرات اخرين من مقدمي نحاة البصرة في القرن الثاني للهجرة ، فيقول « ابو إسحاق ابن النديم : كتبي القرن الرابع ، في كتابه (الفهرست) : وقرات بخط ابي العباس ثعلب : اجتمع علي صنعة (كتاب سيبويه) اثنان واربعون، منهم سيبويه ، والأصول والمسائل للخليل ..»

وتمضي القرون و (الكتاب) في موضعه من الصدارة والإمامة ، تعاقب ائمة النحاة ، مشارقة ومغاربة ، علي خدمته تحريرا وضبطا وشرحا وتفريعا واستدراكا ، وتخريجا لشواهده .

ويبقي باب علم النحو مفتوحا لإضافات أجيال خالفة يعتبرون بقوله عز وجل :

(وماأوتيتم من العلم إلا قليلا) صدق الله العظيم

مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ١ / ١٠ / ١٩٩٣

التطرف فى فكر المثقفين ، وأزمة فقدان التعاصر الفكرى والوجدانى بينهم

د . بنت الشاطىء

على الساحة الثقافية يتقابل المفكرون والأدباء فى ملتقى الأضداد ، موزعى الانتماء بين شتى المدارس المتنافرة والمذهبيات المتناكرة والنظم المتناحرة . وفى النقع المثار من المعترك الصاخب، تضل الرؤية بعزل مشكلة التطرف عن أزمة فقدان التعاصر بين أبناء جيلنا المنوط به التوجيه الفكرى والوجدانى للمرحلة.

***

الشعور بالغربة بين أبناء جيلنا ، ليس جديدا علينا ولاطارئا من نوازل المرحلة ، فمنذ خرجت الى الحياة العامة ، قبل عشرات سنين ، كان الإحساس بوحشة الغربة يثقل علينا ويكلفنا من أمرنا عسرا . وفى هزة القلق المرهق ، حسبناها ظاهرة عارضة لمرحلة انتقال صعبة تحمل ميراث قديمها العتيق الأصيل ، فى مواجهة تيارات الانفتاح على جديد الغرب الاوروبى ومحدثات ثقافته ، فتجلدنا لمشاق التجربة على رجاء أن تقرب بيننا الصحبة الجامعية .وأن تروضنا الزمالة فى ميادين الحياة العامة على قدر من الألفة والانسجام ، يريحنا من وطأة القلق المرهق بصراع القيم ...

....

وأرانا اليوم نكابد هموم زماننا باشد ماكنا عليه فى شبابنا من وحشة وتنافر ، لم يلطف من غربتنا كر الغداة ومر العشى، بل زاد ضغطها علينا بما يصطخب على الساحة الثقافية من تصادم تيارات تشق مجراها فى فكر المرحلة بين هوج الأعاصير ، مضافا إليها من آفات الغربة والتنافر ، ماانكشف لأبصارنا ووعينا من حركة تبديل المواقف مابين أقصى اليمين وأقصى الشمال ، فيما يشبه رقصة البهلوان فى معارض أسواق البضاعة الحاضرة لتجار الأقلام ، و [كرنفال] المبادىء والشعارات ، وليسوا بحيث يشغلوننا اليوم ، فما يظهرون على الساحة الثقافية إلا ريثما تنكشف بضاعتهم بمجرد أن تفتر دقات طبول الدعاية ورنين أجراس الإعلان ....

....

التاريخ: ١ / ١٠ / ١٩٩٢

.الذى يشغلنى اليوم بهواجس الغربة أن مضت الايام وتمضى فما زادتنا إلا غربة وتنافرا :

فيما مضى كان الصدام بين قديم وجديد ، بين شد المحافظة وجذب العصرية ، قد يرى فيه بعض المفكرين ظاهرة حيوية ونشاط ، وصمام أمن يحفظ للأمة عريق ميراثها وأصيل تراثها ، مع إضافة جديد عصرى تتزن به شخصيتها بين جبرية الوراثة وحتمية التفرد وسنة التطور ، حتى ظهرت نازلة التطرف حادة شاغلة ، معزولة فى ظاهر الرؤية عن إيغال الغربة بين ابناء جيلنا الواحد وليس بين جيلين من آباء وأبناء ، كل جيل منهما خلق لزمان غير زمان سالفه وخالفه . واتسع مجال الصراع بمئات من المقالات ، كل مقالة منها توقد شعلة فى معترك الصراع ، لنصبح ونمسى على عدد من الشعل المتقدة ، بعدد الذين أتيحت لهم منابر الرأى . وتضخم ملف النازلة ولايزال المجال متسعا لمزيد لاتبدو له نهاية : كل مقالة تقدم حلا مظنة حسم ، ثم لايمضي على نشرها يوم واحد أو بعض يوم ، حتى تحجبها أخرى ، فنصبح ونمسى وماندرى الى أين يفضى بنا هذا الدوار بين مد وجزر ثم جزر ومد ..

....

وتفانى الدعاة من أعلام مفكرينا فى صياغة جملة مبادىء كلية مرجوة لأن تكون موضع اتفاق بين شتى الطوائف والمذاهب والاتجاهات ، تلتقى عندها دون تفريط فى خصوصية مبادئها أو مساومة عليها ..

ويشهد واقع الحال أن الأمر أشق وأعسر من أن يجمع هذا الشتات المبعثر من الغرباء فى منظومة موحدة من صياغة مفكر إن يكن موضع اتفاق على تقديره فغير متصور أن تجمع على مذهبه طوائف ومذاهب وأحزاب شتى (كل حزب بما لديهم فرحون .)

....

وتوالت ندوات تتكلف كل منها جهد المحاولة لرأب الصدع ولم الشمل ، فى حدود ماتتفق عليه من توصيات تذاع فى الجلسات الختامية لأيام معدودات ، وقد تشق الندوة منها على نفسها وعلينا بأن تخط لنا حدا وسطا تلتقي عنده الأطراف المتباعدة المتنازعة ، كبحا لظاهرة التطرف ، ، وتواصت ندوة أخرى بميثاق ملزم لكافة مثقفى الدول الممثلة فى الندوة الدولية ، تحت رقابة لجنة من أعضائها لمتابعة مواقف المثقفين العرب كافة من ميثاق ندوة ليست فى جملتها وتفصيلها موضع اتفاق

....

فى مثل هذا المعترك الصاخب ومايحف به من محاذير وشبهات ، تكلف الأشياء ضد طبيعتها إن رجونا رأب الصدع بمثل هذه الوسائل الذاتية والتعلق بما يتعزز الاتفاق عليه ، وغاية ما نملكه أن يتجه النظر الى ملامح تقارب يرجى أن تكون موضع تفاهم نقاوم به شد التجاذب والتمزق ، ويجنبنا مرارة العداوة والبغضاء، وأزمة التطرف والاغتراب

***

أقرب المرجو من ذلك: أن يلتقى المتدينون ، المسلمون والنصارى واليهود ، عند وحدة الاصل والغاية ، يحمل المسلمون ، بما هم حملة ختام رسالات الدين ، تكليف الدعوة إليها والاقناع بها ، بمقتضى قوله تعالى تكليفا لأمتنا :

(ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون .)

وقوله عز وجل خطابا لنبينا المصطفى خاتم الرسل عليهم السلام:

التاريخ: ١ / ١٠ / ١٩٩٣

[قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا أولياء من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون .)

كما يحمل المسلمون أمانة الالتزام بالمنهج الاسلامي للسلوك مع من ليسوا على ديننا بمقتضى الآية المحكمة :

(لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون.)

مع ماينبغى تقديره من أن هذه المبادىء التى تلزم المسلمين شريعة ومنهاجا ، يصعب أن يؤخذ بها من لايدينون بالإسلام . وهذا الملحظ مما يضاعف مشاق التكليف على من الزمهم الله جل جلاله كلمة التقوى وكانوا أحق بها واهلها ، إقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم وصحابته أصحاب بيعة الرضوان رضى الله عنهم ، فى صبرهم على جهالة المشركين من قريش وحميتهم الجاهلية فى المفاوضات على (هدنة الحديبية) وفيهم نزلت آية الفتح :

(إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين، والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها ، وكان الله بكل شيء عليما .)

ولسنا نطمع فى زماننا البائس فى أن نبلغ ذلك المستوى العالى لعصر النبوة ، لكن الزمان لايخلو ممن هم اهل لأن يستشرفوه ويتساموا بنا إليه ، بما حملنا من الرسالة المنوطة بهذه الأمة فى قوله عز وجل :

[ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، واولئك هم المفلحون .)

....

وبقدر مانخلص الجهد لنزع فتيلة الطائفية الدينية التى اقحمت على ظاهرة الإرهاب المسلح ، ينجاب دخانها عن أزمة فقدان التعاصر بين ابناء جيلنا ، لتظهر فى مجال الرؤية لنوازل التطرف الفكرى بدروبه المتشعبة ، الناشبة فى وجودنا المعاصر ...

وفقدان التعاصر بين الأجيال ، سالفة وخالفة ظاهرة طبيعية تعرفها الدنيا فى كل مراحل الخضرمة والانتقال للكائنات الحية ، مادية ومعنوية لكنها فى قضيتنا اليوم ، بين ابناء جيل من بلد واحد ومنطقة مشتركة ، ينتمون زمنيا الى عصر واحد ، وينتمون فكريا ووجدانيا الى عصور متباعدة متباينة ، وبيئات ثقافية متنافرة متناكرة ، دون قدر مشترك من الملامح التى تنميهم الى أمة واحدة وعصر واحد ، ودون نقط اتصال يلتقون عندها ليكون تفاوتهم فى خصائصهم الذاتية ، ظاهرة طبيعية محكومة بجبرية الوراثة وحتمية التفرد ومنطق التطور

....

مركز الاهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ١ / ١٠ / ١٩٩٣

ولاأقول بشذوذ ظاهرة فقدان التعاصر بين ابناء جيلنا ، بل أحاول فهمها وتفسيرها فاراها اثرا محتوما لتفاوت بعيد فى ظروف نشاتنا ومناهل ثقافتنا ومبادىء مدارسنا ، اعوزتنا معه المعاصرة الفكرية والوجدانية بين شتات المثقفين العرب .

نحن جميعا ننتمي باقرب ميراثنا الى عصر الاستعمار الصريح . وفيه عطلت الطاقة العقلية لمن تتاح لهم فرصة التعليم فى المدارس الحديثة التى تحولت الى مصانع لسبك ماتحتاج اليه أجهزة الدواوين من اجهزة بشرية . وفتحت الأبواب للبعثات التبشيرية والإرساليات الأجنبية ، الدينية والعلمانية ، من كل طائفة وملة لتوغل فى صميم الوجود المعنوى للامة وتفتن تلاميذها بما تؤصل فيهم من عقدة الشعور بالنقص .

وفى أقصى الطرف المقابل كان الأزهر والمعاهد الدينية تخرج صنفا آخر من الطلاب أريد لهم الانفصام عن الغرب المستعمر وحصنوا ضد بدع محدثاته .

وماج الفراغ السحيق بين الطرفين المتقابلين بتيارات اجنبية شتى تجتاح الحمى المستباح لا تصدها حواجز أو سدود .

وشغلت الأمة فى مصر ، وفى سائر وطننا العربى وشرقنا الاسيوى الافريقى بنضالها السياسى عن وجودها الفكرى ، وخلا الجو او كاد لتيارات الغزو الفكرى فازدادت أزمة فقدان التعاصر بين ابناء جيلنا حدة وتعقيدا ، وضج الميدان بدوى الصدام بين قديم وجديد ، ويمين ويسار وشرق وغرب ، وفى دوامته العنيفة اهتزت موازين القيم واختلطت المفاهيم وضلت المقاييس ، وتمزقنا طوائف وأحزابا ، ومضينا طرائق قددا :

ومضى ذلك العهد باوضاعه ، لكن بعد ان خلفنا غرباء ، لم نلتق فى طور التكوين والنشاة والتلقى ، فشق علينا أن نلتقي في مرحلة الرشد .

فينا من يتلقى زاده الفكرى والوجدانى من نبع شرقى صميم يعتز باصالته ومناعته ضد تيارات المسخ والتشويه . وفينا من أمضى مرحلة حضانته العقلية والتكوين النفسى فى بيئة عزلته عن وجود أمته ، ودخلنا الميدان الفكرى والثقافى ونحن نحمل . رضينا أو كرهنا . ميراثنا المحتوم ونسير فى اتجاه لانملك أن نحيد عنه ...

وهكذا التقينا ونلتقى ، ونحن فيما بيننا غرباء

....

هل يشق علينا والعالم الجديد يتربص بنا الدوائر ، أن لاننسى فى غربتنا الثقافية وتطرفنا الفكرى أننا نواجه معا معركة وجود ومصير ؟!

واتلوا من آيات ربى ، جل جلاله :

(قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين .)

صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ٨ / ١٠ / ١٩٩٢

د. بنت الشاطئ

في معركة التحدي:

تتوالى النذر، وبعضنا لبعض عدو

كم شق على الناس أن يطالعوا يوم الثلاثاء قبل الماضي. المشاهد المروعة لما روى الزميل «الأستاذ فهمي هويدي» في (سجل العار في البوسنه..) نقلا من صور الضحايا وأقوال الشهود ومستندات الوثائق في مسرح الأحداث!

شهود العصر. وأنا منهم - لم يباغتهم هذا السجل المروع بما لم تتوال به النذر منذ نشر الزميل «الأستاذ ابراهيم نافع: رئيس تحرير الأهرام» في صفحة كاملة من عدد الجمعة التاسع والعشرين من شهر مايو الماضي (القائمة الأولى) من الحصاد المشئوم لحرب الإبادة الجماعية لشعب البوسنة والهرسك، ودك معالم جمهوريتهم الإسلامية، ومطاردة الهاربين من معتقلات الموت وفظائع جرائم الاغتصاب لنسائهم ودورهم ...

وأخشى مع ذلك أن نكون في أخذة الدوار من صدمة القائمة الأولى للحصاد المشئوم، قد فاتنا أنها في مقال الأستاذ ابراهيم نافع، شاهد ومثال لما يجرى مثله في سبع وثلاثين دولة إسلامية - طبقا لأحدث الإحصاءات الدولية - وفاتنا كذلك النذير الصادع بأن مايجرى في البوسنة والهرسك من القائمة الأولى للحصاد المشئوم إنما هو نموذج صارخ لما يتعرض له المسلمون في محنة (حملة شرسة بالحديد والنار، قصدا إلى ضرب الإسلام إذ هو الخطر الأكبر الذي يهدد العالم الجديد وحضارته، كما تروج «الميديا» الصهيونية المنتشرة في عواصم الغرب، لتحريض ساسة الغرب الجديد ضد كل ماهو مسلم ..)

....

وكان السؤال بعد هذا النذير بالقائمة الأولى: «ألا من نهاية»؟

وفيما يشبه أن يكون إجابة عن هذا السؤال، جاء العرض المروع لمشاهد (سجل العار في البوسنة) بعد أربعة أشهر من نشر القائمة الأولى، لم تمر منها ساعة من ليل أو نهار دون نبأ مفزع من مآسي التطهير العرقي وجرائم الاضطهاد الديني، مما يجرى في (معسكرات الموت، ومعتقلات الجنس) وأهوال الحصار ومطاردة جنائز الضحايا وقطع الطرق على قوافل الإغاثة ..

* * *

حتى بدا كان عالم اليوم المتحضر قد مل العرض لهذا المسلسل المزعج، فتكفل «رجل آخر الزمان» بحركة التصفية لجولة البوسنة والهرسك ونظائرها، بعد أن أدت دورها المرسوم في اطمئنان عالم اليوم إلى (غياب الدور الإسلامي والعربي عن الساحة الدولية بعد حالة التمزق التي أصابته في أعقاب حرب الخليج وانهيار الاتحاد السوفيتي..) .

وبدأ الإيذان بحركة التصفية لمسلسل الرعب، بما تناقلته وكالات الأنباء من (نيويورك وبلجراد) من أن «الجنرال باول رئيس الأركان المشتركة الأمريكية أعلن رفضه القاطع للتدخل العسكري ولو كان محدودا لحماية شعب البوسنه والهرسك من العدوان الصربي...» وقال وقد ارتسمت على وجهه علامات التعجب في مقابلة نشرتها صحيفة نيويورك تايمز: «إنني لا أعلم في الحقيقة كيف يمنع القصف الجوي المحدود الصربيين من ممارسة مايجري في البوسنة الآن» وأشار إلى أنه لاينبغي استخدام القوة إلا بعد أن يتضح الهدف السياسي. (الأهرام ٩٢/٥/٢٩)

وتفاحشت حملات الإبادة الجماعية، ونشرت تقارير عمن اجبروا على حمل جثث إخوتهم من معسكرات الموت إلى محرقة في مجزر للماشية، وعن فضائح فحش الاغتصاب في (معتقلات الجنس) لبنات المسلمين وزوجاتهم ...

وكأنما أرادت أمريكا أن تستر وجهها القبيح بصبغة إنسانية روجت لها أجهزة إعلامية، فكشفت عما لديها من وثائق العار عن (أكبر عملية تطهير عرقي تشهدها سراييفو منذ حصارها قبل ستة أشهر)، وأعلن المركز الطبي هناك أن عشرة آلاف طفل قتلوا أو فقدوا خلال تلك الأشهر الستة، فكأن أن أعلنت أمريكا أنها بصدد إعداد مشروع قرار سيعرض قريبا على مجلس الأمن يقضي بتشكيل (أول لجنة لجرائم الحرب، بعد محاكمات نورمبرج المشهورة). ثم أذيع من واشنطن خبر موافقة مجلس الشيوخ الأمريكي على تفويض «الرئيس بوش» تقديم مساعدات عسكرية إلى البوسنة، تقدر بخمسين مليونا من الدولارات...

ذلك بعد أن لم يبق هناك سوى أنقاض الخراب وأشباح الهائمين في تيه العالم المتمدن ..

* * *

ونعود على بدء إلى السؤال الوارد على القائمة الأولى لحصاد حرب الإبادة الجماعية لشعب البوسنة والهرسك ودك قواعد جمهوريته الإسلامية: :

«ألا من نهاية» ؟

وأسأل معه: هل عرفنا البداية لما لاتبدو له نهاية؟

من حيث لايصح في منطق الأحداث أن نؤرخ هذه القائمة الأولى لتوقيت بدء الجولة المروعة .. -

في ظاهر الرؤية أنها مسبوقة بحرب الخليج وانهيار الاتحاد السوفيتي وظهور عصر (رجل آخر الزمان) .

ويفرض منطق الوقائع أن دخان حرب الخليج وشظايا عاصفة الصحراء وأنقاض بنيان الاتحاد السوفيتي، حجبت المدخل إليها من حرب أفغانستان وحرب (ايران - العراق) وهذه حجبت بدورها المدخل إليها من حرب الأيام الستة المشئومة من يونيه سنة ١٩٦٧ التي حجبت بدورها حرب (مصر - اليمن)

وعلى مد السياجة الأسيوية المكتظة بأشلاء القتلى وأنقاض الخراب، تتراءى حركة الالتفاف ماكرة لتطويق العالم الإسلامي بالأخدود الرهيب، ترفده روافد الضحايا لحرب البغي والفتن الحالقة من الصحراء المغربية والجزائر والشمال الإفريقي إلى الشرق الأقصى، مرورا بالصومال والقرن

الافريقى والسودان وموزمبيق وباكستان وبورما، ليلتف متجها إلى سرايفو عبر تركيا ...

عندئذ تستوعب النظرة الثاقبة، ان هذه الحروب على تباعد مواقعها وتعدد جولاتها وتفاوت أسلحتها ومداخلها وذرائعها، إنما هى جولات معركة شرسة من الفتن الحاصدة ومجازر البغى المدمرة، منا وقودها ومنا موقدوها. منا الفريسة ومنا الذئاب، منا الشهداء ومنا قتلتهم .

* * *

فى ظل أمريكا وحلفائها تقوم محميات عسكرية فى وطننا العربى لحماية الدار من أهل الدار ومن أقرب جار. وتحت مظلتها تدور رحى الحرب بيننا ليامن بعضنا شر بعض .

والمساومات على الاحلاف تجرى منا علينا، وماتزال صفقات الاسلحة - المقطوع بحظر استعمالها للدفاع ضد طاغوت هذا الزمان - مجال سباق على أسواقنا بين قادة عالم اليوم، تستنزف أرصدتنا وأقواتنا، وتضيق الخناق على رقابنا باغلال الديون الفاحشة وفوائدها الباهظة، لتزويد إسرائيل بأحدث الأسلحة المتطورة، والتمكين لها من ممارسة أضرى إرهاب عنصرى جماعى، مكفول بالفيتو الامريكى للشرعية الدولية

وماتزال جولات (المشروع الامريكى للسلام فى الشرق الأوسط) يتنقل المدعوون إليه على رقعة الشطرنج لايدرى أحد منهم متى ولاأين تكون الجولة التالية .

فهل تدرى شعوب العالم الإسلامى، متى وأين وعلى من ياتى الدور فى الجولة التالية لمسلسل الرعب، بعد تصفية جولة البوسنة، وكيف يرجى أن نواجه معركة وجود ومصير، وبعضنا لبعض عدو؟

أى رجاء لنا فى أن نحتشد لمعركة التحدى مع قادة العالم الجديد وهم يتربصون بنا الدوائر ويغرون بعضنا ببعض لنخرب ديارنا بأيدينا ويقتل بعضنا بعضا؟

* * *

هكذا توالت النذر الصادعة، فما اعتبرنا بها

فلنتدبر عبرة التاريخ وأيةالاعتصام:

قبل الإسلام توالت على عرب يثرب، الأوس والخزرج، حروب ساحقة لمدى خمسة قرون، خب فيها اليهود ووضعوا بالدس والفتنة والكيد والتواطؤ، تأمينا لوجودهم المغتصب منذ طرأوا على الأرض الطيبة شمالى الحجاز فرارا من وطاة الرومان الساحقة، وكانت آخر حرب أوقدوا نارها بين الأوس والخزرج يوم بعاث .

ثم أنعم الله عليهم بالاسلام فدخلوا فيه إخوانا فى الدين وانصارا لله ورسوله، وألف بين قلوبهم ونسخ ماكان بينهم من ميراث الثارات والأحقاد .

فى أوائل الهجرة، مر شاس بن قيس - وكان شيخا يهوديا شديد الضغن على الإسلام - على نفر من الصحابة الأنصار، الأوس والخزرج فى

مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه. فغاظه مارأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذى كان بينهم فى الجاهلية من العداوة والبغضاء. فقال يحدث من معه من يهود: «قد اجتمع أمر القوم بهذه البلاد، ومالنا إذا اجتمع إمرهم فيها من قرار.» ثم أمر شابا ممن معه من يهود، أن يجلس معهم ثم يذكر يوم بعاث وينشدهم ماقالوا فيه من أشعار. ففعل الشاب ماأمره به: فتفاخر الأنصار وهاجت حميتهم وتواعدوا على اللقاء بموضع الحرة فى يومهم ذاك. وانطلقوا فى أحياء الأنصار يتداعون إلى الحرب ويتصايحون: السلاح السلاح. ووجمت دار الهجرة وهي تسمع صيحة الحرب. وجاء المصطفى عليه الصلاة والسلام فى جمع من صحابته فأدرك القوم بالحرة وقد هموا بقتال فقال: «الله الله!! أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام واستنقذكم من الكفر وألف بين قلوبكم؟»

خشعوا جميعا وعرفوا أنها مكيدة عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا.

وبطل سم هذه الفتنة وخاب كيد يهود .

وتلا المصطفى صلى الله عليه وسلم من آيات الاعتصام:

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون. ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون. ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات، وأولئك لهم عذاب عظيم.)

ومرت الأيام والأعوام لأكثر من أربعة عشر قرنا من الهجرة، لم تنقطع فيها تلاوة آيات الاعتصام فى دورنا ومساجدنا وزوايانا من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب. وإنما أستحضرها فى هذه الساعة، وقد طالعت فى أهرام السبت الماضى، مارصده لنا مراقبنا السياسى (من قريب) ردا على من يتعلقون بالمقولة الساذجة الرائجة فينا عن تفضيل فوز «بوش» على منافسه «كلينتون» فى معركة الانتخابات الأمريكية. فيذكر لنا الراصد (من قريب) خلاصة الامتحان الذى أداه كلاهما فى مؤتمر «جمعية بناى بريث اليهودية» أمام اللوبى الصهيونى (حيث لم يختلفا، فى موقفيهما من الشرق الأوسط على نقطتين جوهريتين: الأولى معارضة قيام دولة فلسطينية، والثانية هى التعهد بضمان بقاء التفوق العسكرى لإسرائيل على جميع دول الشرق الأوسط، بما يؤكد امتداد هذا التفوق العسكرى لإسرائيل على دول أخرى غير عربية، مثل إيران وباكستان ..)

* * *

وأتلو مع آيات الاعتصام، قوله عز وجل فى (سورة القمر):

(ولقد جاءهم من الأنباء مافيه مُزْدَجَر. حكمة بالغة فما تُغنِ النذر.)

صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ١٥ / ١٠ / ١٩٩٢

د. بنت الشاطىء

الإسلام والعالم الجديد:
الوجه الآخر لمعركة التحدي

معذرة إلى امتي،

صدمتني رجة الزلزال الذى ضرب مصر امس الاول وانا اقضى أيام هذا الاسبوع مع طيف ولدى الوحيد، فقيدى الغالى «المهندس - أكمل أمين الخولي» فى الذكرى السنوية الاولى لرحيله فجاة فى عز شبابه. فكاني القاه فى كل ضحية من ضحايا الزلزال المباغتت، واخذني من دوار الصدمة، ان هممت بالاعتذار عن تاخير ماكنت أعددته لحديث اليوم عن (الاسلام والعالم الجديد)

لولا ان تمثل لى طيفه يلومني على ماكان من نيتى التفريط فى لقاء اليوم بابناء امتى لكى القاه، وكانه لم يكن معى منذ رحل عني، ملء وجودى ودنياي، ملء خواطرى وهواجسى ورؤاي، لم يغب عنى قط فى لحظة من ليل أو نهار فى ماتم شهداء التطهير العرقى، والاضطهاد الديني، ومصارع ضحايا الفتن المسعورة والبغي الحاصد للملايين من أبناء الأمة.

وأرهف عتابه مواجعنا لما تكابد فلول شعب البوسنة والهرسك، ولم يبق من جمهوريته المسلمة سوى حشرجة احتضار لجولة التصفية التى أراد لها طاغوت هذا الزمان ان تكون مرعبة مروعة، زاجرة رادعة، إنذارا بما ينتظر العالم الاسلامى فى معركة التحدى التى احتشد لها العالم الجديد بمثل هذه الوطأة الشرسة، لكى تستبقى الدول الإسلامية غائبة عن مركز التوجيه للدور المفروض عليها، لاهية بما هى فيه من بؤس التمزق الانتحارى وبلادة الحس، على شفا حفرة من النار، بعضها لبعض عدو..

وفى مناجاة صامتة، تساءلنا معا: هل يأمن طاغوت هذا الزمان، الوجه الآخر لمعركة تحدى الاسلام، بتمرد شعوبنا على افاعيل ضربه بعضنا ببعض، ورفضنا لما نسام من هوان يثير فينا ميراث المقت للغرب المتعجرف، وازدراء مدنيته التى كثف جرعتها من الشرعية الدولية لما يجرى على العالم الثالث من ويلات وأهوال؟!

واحتسبت عند الله ما ألاقى ويلاقى أهلى و أمتى من مجاهدة دواعى القهر والاحباط ولعنة القنوط، وجمعت شتات ذاتى لاقدم هذا المقال عن (الوجه الآخر لحركة التحدي).

ميراث ذلك المقت والازدراء موغل فى ظلمات عهد الاستعمار، حجب عن تاريخنا المدرسى مآرب اليهودية العالمية من ويلات الاستعمار الذى ارتبط بالثأر الصليبى فى وثائق شهود عنفوانه الغربيين فى القرن الماضى. فما رضيت اليهودية العالمية لاوروبا النصرانية أن تنام عن ثأرها أو تغفر للاسلام أن امتدت فتوحه الكبرى من أقصى الشرق الآسيوى إلى المحيط الاطلسى، وارتفعت راية نبى الاسلام، عليه الصلاة والسلام على اسبانية، المملكة النصرانية الكبرى، وحل الهلال محل الصليب فى القسطنطينية عاصمة الروم التاريخية العريقة، التى جعلها الترك العثمانيون عاصمة للخلافة الاسلامية بعد سقوط بغداد فى مهب الاعصار التترى بعد منتصف القرن السابع للهجرة (٦٥٦هـ)

ولقد استردت المسيحية مملكتها فى اسبانية بعد ثمانية قرون للإسلام فيها، كان منار حضارته خلالها يضىء مسرى الغرب الاوربى من ظلمات ليل عصوره الوسطى إلى فجر النهضة الحديثة، وأعقب سقوط غرناطة آخر معقل للإسلام هناك، سنة ١٤٩٢م من أهوال محاكم التفتيش وحصادها الرهيب، ما كان يكفى لأن يشفى غليل الثأر الصليبى، مع ما تآكل من الممالك الإسلامية بالشرق الأسيوى، فى الهجمة الاستعمارية التى أعقبت رحلة سفينة «فاسكو داجاما» من البرتغال إلى بحر الهند عبر مضيق ماجلان والساحل الشرقى لافريقيا بقيادة الربان «أحمد بن ماجد السعدى النجدي» بعد ثلاث سنين فحسب من ضياع الأندلس .

ولم يشتف غليل الثأر، وسدنة المال من يهود أوروبا يمدون أعينهم إلى كنوز الشرق الاسلامى كله، وفيه شعوب لم يسبق لها قط أن دانت بالنصرانية التى اتخذتها (اليد الخبيثة) قناعا لموجة استعمارية شرسة تحرث أرض الشرق الإسلامى لشعب الله المختار [بطرق منظمة مخيفة هادئة ساحقة عاصرة ممتصة] بنص الترجمة العربية لعبارة المؤرخ الفرنسى العلامة «جوستاف لوبون» فى كتابه (حضارة العرب)

بعدها كان التفرغ لتصفية الخلافة الإسلامية ونهب تركة (الرجل المريض) بمقتضى اتفاقية «سايكس - بيكو» سنة ١٩١٦ التى آذنت بمرحلة احتضار بطىء خانق منهك، حتى أعلن «مصطفى كمال» نهايته بإلغاء الخلافة الإسلامية سنة ١٩٢٢م

وما بى الآن أن استحضر ما غاب عن كتب تاريخنا المدرسية من جرائم الاستعمار وما حقق من مآرب لليهودية العالمية، ليس عهد آبائنا بها ببعيد، وإنما أقتصر على إشارات موجزة إلى بعض ما حفظته المدونات الأوروبية، تفسيرا لما رصده المراقبون الأجانب من ظاهرة مقت آبائنا للغرب المستعمر وازدراء مدنية القراصنة البيض والمرابين مصاصى دماء الشعوب.

كتب «الأستاذ جوستاف لوبون» فى سياق مصير دولة الحضارة الإسلامية، وشعوبها التى ورثها المستعمرون فى القرن الماضى من (تركة الخلافة الإسلامية ومخلفات الرجل المريض ما ترجمته:

« ورثة مصر بعد الترك الانجليز، فقد وقعت فى قبضة انجلترا القوية التجارية. ويمكن للمراقبين الذين أطلعوا على البؤس المروع الذى شمل بلاد الهند منذ استولى عليها الانجليز، أن يبصروا المصير الذى ينتظر مصر سيئة الحظ ومما ذكرته فى فصل سابق، يتبين الضنك الشديد الذى أصاب مصر منذ سنوات بفعل مضاربين من الأوروبيين . وقد يصعب بيان ما امتصه رجال المال الأوروبيون، ولا سيما اليهود ، من فلاحى مصر فى بضع سنوات. وإنما تعلم مثلا من الأرقام التى نشرها «مسيو فاندنبرج» فى سنة ١٨٧٨ أن المرابين أخذوا من مبلغ ١٣٩٧ مليون فرنك، الذى هو مجموع القروض الخمسة، مبلغ ٥٢٢ مليون فرنك بصفة إكرامية او عمالة، فلم يكن نصيب الخزينة المصرية من أصل مبالغ القروض سوى ٨٧٥ مليون فرنك، دفعت عليها من الفوائد، من زمن طويل، ما يعدل رأس المال. ولكن ذلك الضنك المالى يعد أمرا ذهبيا عند قياسه بما ينتظر المصريين، فسيرون أنفسهم ساحقين كالهنود بطرق منظمة مخيفة هادئة ساحقة عاصرة ممتصة لا تبقى ولا تذر...

والانجليز هم ورثة المغول فى الهند، وقد مدنوها، أى أنشأوا فيها الطرق

التاريخ: ١٥ / ١٠ / ١٩٩٢

والخطوط الحديدية التى تسهل عليهم أن يستغلوا الهند، ولكن نجم عن هذه المدنية الجديدة أن غرقت بلاد الهند فى بحار من البؤس لم تر بقعة من الدنيا مثله، حيث نرى بضعة ألوف من التجار يسوقون مئات الملايين من البشر إلى العمل لديهم بأساليب أشد من الاسترقاق ألف مرة.. وقد وصف الكاتب الانجليزى «مستر هندمان» حالة الهند فى هذا العهد الانجليزي، فاثبت أن انجلترا تغرق الهنود بالضرائب فلا يبقى لهم إلا الموت جوعا ، وأنها تخرب مصانعهم الوطنية لكى تجد السلع الانجليزية أسواقا لها.. ويمكن تصور حال الهند من عبارة مستر هندمان: إن من المخيف حقا أن تجبر الولايات الشمالية الشرقية من الهند على تصدير حبوبها إلى انجلترا مع موت ثلاثمائة ألف هندى جوعا فى بضعة أشهر، وفى سنة ١٨٧٧م مات فى مقاطعة مدراس وحدها تسعمائة وخمسة وثلاثون ألف شخص، كما جاء فى التقارير الرسمية والمسوغ الوحيد الذى قيل عن الجزية السنوية الباهظة التى تدفعها الهند - خمسمائة مليون جنيه - هو قول (مجلة الاسبوعين)، إنها ثمن تمتع الهند بحكومة منظمة محبة للسلام. ويرى الهنود حتما، شيئا من المبالغة فى وصف حكومتهم بالسلام مع موت هنود يزيد عددهم كثيرا فى كل سنة، على عدد القتلى فى أشد الحروب سفكا للدماء!]

ويقرر شاهد العصر، أن من العبث تجاهل رفض الشرقيين للغرب وازدراءهم نعم مدنيته التى تقوم على إبادة الشعوب: إما قتلا وسحقا كالذى حدث لسكان أمريكا واستراليا وتسمانيا، وإما استنزافا واعتصارا حتى المجاعة والموت كما حدث لشعوب اسية وإفريقية.. ويشير إلى [الأسلوب الرهيب لربابنة السفن الإنجليزية لجمع ما يحتاجون إليه من العمال فى جزر الملايو، وهو أنهم يجتذبون بحيل خادعة ومظاهر ودية ماكرة، كثيرا من أهل الجزر ويضربون رقابهم ثم يأخذون من رؤساء القبائل المعادية لهم عددا من العمال فى مقابل رءوس القتلى ثم لا يعيدون العمال إلى حريتهم، خلافا للعهود، مما جعل العالم الطبيعى «كاتر فاج» يصل فى كتابه عن (الجنس البشري) إلى قوله: إنه لا يجوز للعرق الأبيض الأوروبى أن يلوم أشد الشعوب توحشا على عدم احترام حياة الانسان.. فليرجع ذلك العرق قليلا إلى تاريخه القريب وليتذكر ما صنع بالشعوب غير الأوروبية ..و.. وليتذكر جرائم القتل التى اقترفها بدم بارد، لاعبا لاهيا فى الغالب، واصطياده الانسان بانتظام كما يصطاد الوحوش ، واستئصاله أمما ليفسح المجال للمستعمرين الطارئين، وليعترف بأن احترام حياة الانسان إذا كان سنة مقدسة عامة، فانه لم يرو أن شعبا انتهك حرمتها مثله..

ويستطرد الأستاذ لوبون قائلا:

وستكون قصة علاقة أوروبا المتمدنة بالصين فى القرن التاسع عشر، من أسوأ الصفحات فى تاريخ حضارتنا، وقد يدعى حفدتنا للتكفير عنها بثمن غال، عن حرب الأفيون الدامية التى أكره الانجليز فيها بلاد الصين بقوة المدافع على إدخال السم القاتل الذى أرادت حكومتها تحريمه لما راعها من أخطاره؟ حقا، كانت فائدة انجلترا من تجارة الأفيون مائة وخمسين مليونا من الجنيهات كل سنة، ولكن عدد الوفيات سنويا من الشعب الصينى بسبب

تعاطى الافيون بلغ ستمائة الف ضحية، كما جاء فى احصاءات «الدكتور كريستليب» المعتدلة. وهنا نسال: أليس من الحق ان يعلم الصينيون أبناءهم وصف الغربيين بالمتوحشين بعد ما راوه من حرب الأفيون الطاحنة، وما انتهت إليه من إباحة تجارته قسرا؟ لا يكون جواب الصينيين - كما روى «الدكتور كريستليب» - على المبشرين الانجليز عندما يحاولون تنصيرهم إلا ان يقولوا: «يا للعجب ! تكرهوننا على تعاطى السم للقضاء علينا ثم تاتون لتعلمونا الفضيلة؟» وكان الإنجليز ينفقون على المبشرين ليعدوا الاسيوى للحياة الابدية التى يسوقه إليها سريعا ذلك الافيون الذى يبيعونه إياه!]

الكلام كله عن الانجليز والاوروبيين بوجه عام، وعلى التجارة والمال بوجه خاص، لحساب اليهود المهيمنين على اسواق التجارة، وسدنه خزائن المال.

وذهبت انجلترا بعار حرب الأفيون، وتوارت اليهودية العالمية عن المسرح الكبير، تنسج الخيوط لتحريك الدمي..

ولم يدع حفدة قتلة الشعوب وتجار الافيون وناهبى تركة الرجل المريض للتكفير عن جرائم أجدادهم بثمن غال كما توقع شاهد العصر.

بل سيق حفدة الضحايا للتكفير عن تلك الجرائم، بضحايا هيروشيما ونجازاكي، والحصاد المشئوم لضحايا حرب فلسطين، وسجل العار فى الدوسنة والهرسك..

★★★

هل يبدو شيء مما نقلت من سجل جرائم الاستعمار - وعهد ابائنا بها قريب - بعيدا عما يشهد عالم اليوم من ويلات حركة التصفية للوجود الاسلامى فى حرب التطهير العرقى والميز العنصرى والاضطهاد الديني؟

فلننقل معه إذن شهادة الاستاذ لوبون عن الوجه الآخر لمعركة التحدى فى جيل ابائنا، قال ما ترجمته:

إنه لمن المفيد لاوروبا البحث فى اسباب رفض الشرقيين باصرار حضارة الغرب ومعتقداته رفضا عنيدا مستمرا مع اعتناقهم بسهولة وعن طواعية ما اتاهم به العرب المسلمون.. وقد استوقفت بغضاء الشرقيين للاوروبيين نظر جميع السياح الذين لهم قدر من الملاحظة، واذكر منهم السياسى الفرنسى الممتاز «مسيو دو رو شيشوا» الذى قال فى كتاب نشره حديثا: «إن أول ما يراه الغريب حينما تطا قدماه ارض الهند، هو كره الهندى لسادته البيض. وأجراء البيض من الصينيين.. شديدو الخجل من ابناء وطنهم، لاضطرارهم إلى الاتصال باولئك البيض وخدمتهم» ولا ريب فى أن للشرقيين فى سلوكنا ما يسوغ بدرجة الكفاية، مقتهم لنا اشد المقت. ولم ينشا عن فتح العرب للشرق مثل تلك الشرور.

ولم يصح عند «لوبون» انه يكفى القول بتعقد المدنية الاوروبية او التباين فى الشعور والتفكير، تفسيرا لهذا الرفض العنيد المستمر، وانما هو الاحتقار والازدراء لما كشفت عنه الغزاة التجار من دناءة وخسة وضراوة جشع، وما اقترفوا ضد الشعوب والامم من جرائم وحشية تنفيهم عن بنى الانسان..

فماذا عن الوجه الآخر لمعركة التحدى بين الاسلام والعالم الجديد، فى جيلنا؟

ذلك ما أرجو الحديث عنه فى اللقاء التالى إذا يسر الله واعان،

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ٢٢ / ١٠ / ١٩٩٢

د . بنت الشاطىء

الوجه الآخر لمعركة التحدى :

ميراث وقود الغضب فى وجداننا الشعبى

● مرت علينا أيام مابعد الزلزال، توالت فيها علينا الانباء والاصداء، ونحن فى رجفة الرعب مما كان من بطشته، وتوقع ماقد يكون ولايكون ..

● سجلت مداه المراصد البعيدة والقريبة: ستين ثانية فحسب، وهى تعادل دقيقة واحدة، لكن عدها بالثوانى الستين أبلغ فى التقدير والبيان لدلالة الاحصاء: كل ثانية لاتقبل التقسيم، وإن كانت فى الواقع الأليم المر، تحمل ماتنوء به مئات سنين .

● كما سجلت اجهزة الرصد حساب قوته بأدق مقياس دولى: خمس درجات وتسعة أعشار درجة تتحدى بطشتها هواجس الظنون وهذيان الاوهام وتضيق عنها حكايات السمار لألف ليلة وأكثر، من لياليـنا المسهدات الطوال ..

مرت أيام مابعد الكارثة، عصيبة صعبة، والدنيا سائرة بنا لانملك إلا أن نتجلد ونلوذ بالمتاح لنا من يقين الايمان ولطف المواساة وحتم الصبر على مالاحيلة لنا فيه، لنمشى المقدور علينا من خطانا، تحق علينا جميعا آية الله فينا:

(وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا، وماتدرى نفس بأى أرض تموت ..)

وأستانف القول فيما كنت فيه من (الوجه الآخر لمعركة التحدى) مما رصده المؤرخون الغربيون من جرائم الغرب الذى سخرته «اليد الخبيثة»، فى القرن الماضى لموجة استعمارية ضارية، تحرث أرض الشرق العريق لشعب الله المختار [بطرق منظمة مخيفة، هادئة ساحقة، عاصرة ممتصة، كانت السبب فيما اجمع عليه شهودها من مقت الشرقيين لسادتهم البيض ورفضهم باصرار سلوك الغرب ومعتقداته رفضا عنيدا مستمرا، وازدراء حضارة تجار الأفيون ومصاصى دماء البشر، وأعداء الإنسان].

فماذا عن ميراثنا الشعبى من الرفض والمقت للغرب المستعمر؟

الوضع فى معركة التحدى بالنسبة الى مصر بالغ الصعوبة والتعقيد، أعيانى أن أتبينه عند من قرأت لهم ودرست عليهم فى (المسألة المصرية، وتاريخ مصر السياسى والقومى) من الاحتلال الانجليزى سنة ١٨٨٢م فى أعقاب عزل الخديو اسماعيل ونفيه سنة ١٨٧٩، الى ثورة سنة ١٩١٩م وذلك مالايشغلنى الآن، لاننا انما نلتمس ميراثنا الوجدانى لدى شعراء المرحلة وكتابها وخطبائها من رواد اليقظة، المعبرين عن وجداننا الشعبى فى معركة التحدى للاحتلال اللئيم . ونرفض منكراته ..

التاريخ: ٢٢ / ١٠ / ١٩٩٢

إن يكن تاريخنا السياسي والقومي في كتبه المدرسية قد خلا من اي اثر لنبض وجداننا الشعبي في شعر العصر واغانيه وبكائياته، فقد وعاه تاريخنا الادبي وتراثنا الموسيقي في المحفوظ المدون من سجلاته ودواوينه ..

واضيف إليه ههنا، شواهد مما هو مجهول أو يكاد، من ميراث وقود الغضب والرفض . وأدين لاستاذنا المؤرخ الحجة «الدكتور محمد صبري» بما قدم في (الشوقيات المجهولة) من إضافة سخية ذات شان، الى علمنا بادبنا وتاريخنا للفترة التي وصفها «الاستاذ الجليل عبدالرحمن الرافعي» بانها فترة التراجع والانتكاس من الاحتلال الى ظهور حركة البعث بنضال الزعيم مصطفى كامل (١٩٠٨) وخليفته محمد فريد (١٩٠٨-١٩١٩) .

....

في الجزء الاول من كتاب (تراثنا الموسيقي، للدكتور محمود الحفني) فقرة موجزة عن زعيمي النهضة الفنية الحديثة «عبده الحمولي، ومحمد عثمان» مع اشارة وجيزة الى أن من أهم أدوار محمد عثمان:

× عشنا وشفنا سنين .. غناه لمناسبة الثورة العرابية ..

ويعنينا هنا من هذا الدور الذي شجا اباءنا واطربهم في صباهم، ماروي عن الموسيقيين الثلاثة الكبار الذين اشتركوا في عزف الدور، قالوا: انه بعد عودة البارودي من منفاه سنة ١٩٠٠م، ذهب عبده الحمولي واسماعيل صبري للتسليم عليه، فقال لاسماعيل صبري: لماذا لم تعملوا دورا في الاحتلال واحوال بلاد النيل؟ فقال اسماعيل: نعمل ياباشا .. وبامر البارودي نظم اسماعيل صبري ذلك الدور في وقته، وسلمه الى عبده الحمولي الذي سلمه الى محمد عثمان لتلحينه،

وفي رواية نقلها الدكتور محمد صبري من (كتاب الموسيقى الشرقية وفن الغناء) قال مؤلفه «الاستاذ قسطندي رزق» ان عبده الحمولي دعي للغناء باسيوط في الاحتفال بزواج الدكتور حبيب بك خياط ، فاعتذر بارتباطه باحياء حفلة زفاف ربة الصون والعفاف صفية هانم كريمة مصطفى باشا فهمي، الرئيس الاسبق لمجلس النظار، على سعد بك زغلول . ٢٨ نوفمبر سنة ١٨٩٥ . وقد غني دورا من نظم اسماعيل صبري، مطلعه:

عشنا وشفنا سنين ومن عاش يشوف العجب
شربنا الضنا والانين جعلناه لروحنا طرب
غيرنا تملك وصال واحنا نصيبنا خيال
فين العدل يامنصفين

كررها ثلاثا بلهجة الغضب، مصورا بنغماته شعور الامة الوطني

وفي الجزء الثاني من الكتاب، مقال لشاعر القطرين خليل مطران عن الغناء والحركة الوطنية: (عبده الحمولي في فنه) ذكر فيه أن «من روائع إبداعه الدور الذي بلغ به اوج مقدرته الفنية ... وغناه بما لم يضارعه، بل لم يقاربه فيه أحد، ذلك الدور هو:

عشنا وشفنا سنين ومن عاش يشوف العجب ....

قيل هذا الدور حين الهبة الاولى للحركة الوطنية بعد ولاية عباس الثاني حين بدأت الأمة تتظلم جهرة من وطأة الاحتلال، واللورد كرومر آنئذ في إبان جبروته، تعقيبا على حملة قوية بدأتها الصحف ورددتها الاندية على إيقاع ذلك النغم القوي البديع المعبر عن شكوى أمة متوجعة متحفزة للنهوض .

وعقب «الأستاذ الدكتور محمد صبري» بقوله: «وظاهر ان صوت اسماعيل صبري ارتفع عاليا بلحنه الرائع ضد المحتل في بداية الحركة التي أعقبت الثورة العرابية . كما أن صوت شوقي في دوره او اغنيته الحزينة المتاججة بالوطنية «ياحمامة دنشواي» انطلق في سماء (دنشواي) فكلا الصوتين قد نفس عن المكروب والمظلوم وقرع اذان الظالمين»

فاجعة دنشواى، لم تغب قط عن وجداننا الشعبى وهى تمثل شواهد العهد على ماكان من سوءات الاحتلال وحرصه على أن يضرب بعضنا ببعض، وماخلفت الجريمة من صدى فى وجدان الشعب وأثر فى مسار الأحداث .

خلاصة الجريمة، نقلا عن الدكتور صبرى فى (الشوقيات المجهولة) أن خمسة من ضباط جيش الاحتلال، قصدوا فى يوم ١٣ من يونيه ١٩٠٦ قرية دنشواى - من ريف المنوفية - لصيد الحمام على عادتهم فيما مضى . فلما بلغوها لقيهم شيخ طاعن فى السن - حسن على محفوظ، أول من شنقوا فى الحادثة - حذرهم من دخول البلدة لأن الأهالى مستاءون من العام الماضى . فلم يابهوا له، وأطلقوا بنادق الصيد فأصابت مقتلا من امرأة احترق جُرنها . فاشتبك الأهالى معهم ،فسقط أحد الفارين صريعا بضربة شمس . وفى اليوم الرابع والعشرين من الشهر نفسه، عقدت محكمة مخصوصة فى شبين الكوم، برياسة بطرس باشا غالى ناظر الخارجية، نائبا عن ناظر العدل، وعضوية خمسة من رجال القضاء والمحاماة فى جيش الاحتلال، معهم ،أحمد بك فتحى زغلول، رئيس محكمة مصر الابتدائية الأهلية، وعُين ابراهيم بك الهلباوى فى مقام المدعى العام، وصدر الحكم بعد أربعة أيام باعدام أربعة منهم شنقا، والحكم على باقى المتهمين بأشد عقوبة بعد الاعدام، على أن ينفذ الشنق فى قرية دنشواى حيث كانت المشانق معدة فيها مقدما . ونفذ الحكم فيها غداة النطق به فى المتهمين جميعا شنقا وجلدا، على مرأى من أهليهم فى مناحة من البكاء ماقاله الشعراء والكتاب فى هذه الصفحة من سجل جرائم الاحتلال، محفوظ فى مدونات العصر واضيف اليه من (الشوقيات المجهولة) هذه البكائية الحزينة التى تلقتها (الجريدة الاسبوعية) مع خطاب الى محررها محمود طاهر حقى .

قال الراوى: ارسل إلينا وطنى حزين سكن أوروبا دور غناء مع كتاب قال فيه: أرسلت إليك هذا الدور ورجائى أن يرغم المغنى فى الأفراح على أن يفتتح الغناء بهذا الدور:

ياحمامة دنشواى .. نوّحى للسير جراى
فـى الظـــــلام .. كيلا ينـــــام
الشـــنق حـــامى .. والضـــرب داير
فين المحـــــــامى .. مفيش كـــــلام

عقب عليه ،الاستاذ الدكتور محمد صبرى، بقوله:

[هذا الدور العاصف الذى تتجاوب فيه الحان الفجيعة فى دنشواى وترتسم فى جوه الرهيب صورة المشانق، قد بلغ به شوقى قمة الشعر الغنائى . وقد أبلغنى الأستاذ طاهر حقى - محرر الجريدة الاسبوعية - أن هذا الدور كان يُغنى فى الاعراس وفى السهرات الخاصة، وانه سمع عبدالحى حلمى يغنيه فى المطرية فى منزل شوقى بك .

واضيف معه من (الشوقيات المجهولة) مانشره الشاعر ،على محمود طه، فى مجلة أبوللو - العدد السابع - قال: لما فكر البعض فى اقامة حفلة تكريم لفتحى زغلول لمناسبة تعيينه وكيلا لوزارة الحقانية، فى فندق شبرد، طالبوا الى شوقى أن يسهم فى الحفلة بقصيدة، وقبيل الحفل أرسل شوقى

الأهرام
مركز المعلومات والتوثيق
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ٢٢ / ١٠ / ١٩٩٢

مظروفا مغلقا، وُجِدت به، لما فتحوه، الابيات التالية:

اذا ماجمعتم امركم وهممتموا — بتقديم شيء للوكيل ثمين
خذوا حبل مشنوق بغير جريمة — وسروال مجلود وقيد سجين
ولاتعرضوا شعرى عليه فحسبه — من الشعر حكم خطه بيمين
ولاتقرأوه في شبرد بل اقرأوا — على ملا من دنشواى حزين

قال الاستاذ الدكتور صبرى معقبا: «ان (خيال الظل) سبق ان نشرت الأبيات في إطار صفحتها الأخيرة المصورة، دون اشارة الى قائلها، وذلك في ١٩٠٧/٦/٢٠ تحت صورة تمثل فتحي زغلول ينظر منزعجا الى قتلى دنشواى ماثلين أمامه جماجم وهياكل ...»

من (الشوقيات المجهولة) أيضا، مانشرته مجلة (خيال الظل) بعنوان: وداع الشبيبة المصرية للورد كرومر، بتوقيع: شاب .. مطلعها:

ياراحلا عنا وذكرك خالد — ابدا ليحنيى بيننا الآلاما
سر بالسلامة حاملا زفراتنا — واذكر مقامك بيننا الاعواما
واذكر جناية دنشواى فانها — كم خلفت بين الربوع يتامى
واعلم بانك قد اهنت ديانة — كم أخضعت للنبيها الأفهاما
هل ينكر الأقوام أن محمدا — ملا الوجود حضارة وسلاما
مدنية الدنيا أجيبى جاهلا — اوليس واضع اسك الاسلاما؟

وكان حفل الوداع في الاوبرا الخديوية مساء الرابع من مايو سنة ١٩٠٧، وفيه تعاقب الخطباء فنوهوا بجليل مآثر اللورد، وقام فشكر أصدقاءه من أعيان مصر وكبار أعوانه من الانجليز . ثم اعتذر عن جحود المصريين ونكرانهم جميل يد التمدن الغربى التى انتشلت المصريين من بالوعة اليأس، ثم قال: [وهبْ أننى اقتنعت . وما انا بمقتنع مطلقا . أن أبناء الجيل الحاضر لايعترفون بهذه الحقيقة الجليلة، فانى لاازال أؤمل مع ذلك أن يعترف نسلهم بها، إذ المعتاد أن أولاد العميان يكونون من المبصرين . «ضحك» وختم كلامه مبشرا المصريين، باسم جلالة الملك رسميا، بدوام الاحتلال الى ماشاء الله ...]!؟

وهزت «دنشواى» التاج البريطاني، وكان من ذيولها خطاب السير جراى وزير الخارجية في مجلس العموم . لندره: ٦ يوليه . طالب فيه المجلس عدم التسرع في الحكم على قضية دنشواى وعدم المناقشة في موضوع هام، في مثل هذا الوقت، فاهم من ذلك أن التعصب في هذه السنة كان في زيادة مطردة بمصر ..

قلت: لم يكن اباؤنا قط عميانا، وقد سهروا على ارهاف وعينا . نحن نسلهم المبصر، بوقود الغضب . وفى سمعى الآن رجع بكائية هزت مهد مولدى، ولا اعرف حتى اليوم لمن هى:

يوم شنق زهران .. كان صعب وقفاته
وامه على السطح تبكى .. هى واخواته .

قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ٢٩ / ١٠ / ١٩٩٢

د . بنت الشاطئ

معركة التحدى وعبرة الأيام :

لقاء مع التاريخ فى ربوع المغرب

فى لقاء بين المشرق والمغرب ، تستقبل مصر اليوم بترحاب صادق حميم ، جلالة الملك الحسن الثانى عاهل المغرب فى ختام جولة عشرة أيام لجلالته بين خمس عواصم عربية بالشرق الاوسط ، هى : الرياض وابو ظبى وعمان ودمشق والقاهرة .. وفى المعلن عنه من برنامج الجولة أن من مقاصدها [السعى الى التضامن الضرورى لدفع مسيرة الشرق الأوسط السلمية ، ومواجهة المستجدات عربيا ودوليا بموقف عربى متجانس]

المراقبون السياسيون يرصدون ماتحظى به هذه الجولة من اهتمام عربى ودولى ، من حيث هى لقاء بين المشرق والمغرب ، يرشح جلالة العاهل المغربى للقيام بدور فعال فى المرجو من جولته ، من واقع علاقاته العربية المتوازنة ، وصلاته الإيجابية بالقوى الدولية . وعضوية المغرب فى مجلس الامن ممثلا للدول العربية فى دورته الحالية ..

وانظر اليها من الموقع الفكرى والتاريخى لوجود أمتنا ، فلا أراها بعيدة عما توالت به النذر بمعركة التحدى ونحن فى شغل عنها بما يلح على كيان الامة من عوامل التصدع والتمزق بحروب البغى المهلكة والفتن الحالقة ، حتى وقعت رجة الزلزال مع ماروعنا من حرب الإبادة الساحقة لشعب البوسنة والهرسك فى جريمة التطهير العرقى والدينى ، فكشفت عن مشاركة خالصة بين شعوب أمتنا ، صهرتها المحن فإذا نحن على البعد والقرب أمة واحدة كما أراد لنا خالقنا عز وجل :

(وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون)

وقالها المصطفى خاتم الرسل عليهم السلام فى صحيح الحديث المتفق عليه :

(مثل أمتى فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى ...)

وغير مجهول لزماننا مواقف شعوب المشرق العربى وقادته من قضية التضامن والتواصل والتعاضد ، وأحاول أن أقدم هنا مايتسع له المجال مما لاتنساه الأمة من مواقف المغرب منها :

وراء هذا المسعى النبيل لجلالة الملك الحسن الثانى عاهل المغرب فى سبيل المرجو من تضامن دول الوطن العربى لمواجهة ازمات المرحلة وطوارىء متغيراتها ، أبعاد تاريخية قريبة وبعيدة من ماضى المغرب العريق فى الجهاد لنصرة اللواء الموحد ، ومجاهدة ذرائع التفرقة والتمزق . بحساسية مرهفة لما حملته ظروفه التاريخية وموضعه فى الجبهة المغربية القصوى للأمة ، من تكاليف حراستها من العدوان الصليبى الاستعمارى ، والسهر على حمايتها للإسلام من جوائح التصدع وغوائل الضياع .

رحلتى الأولى الى المغرب المعاصر ، كانت فى شهر رمضان المعظم من سنة ١٣٨٨هـ - ديسمبر ١٩٦٨م - حيث حظيت مع عدد من علماء الإسلام بالدعوة الملكية الكريمة لشهود الاحتفال الكبير بمرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم (هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان)

قبلها ، كنت أعرف تاريخ المغرب الإسلامى فى رؤية شاملة لأبعاد المكان من غار حراء الى ربوع الأندلس ، وأبعاد الزمان من مجاز طارق بن زياد المضيق فى عشرة آلاف من جنده المغاربة والفين من جند الإسلام المشارقة وصلوا بالفتوح الكبرى الى أقصى مداها غربا ، ورفعوا اللواء الأغر منارا هاديا على حافة بحر الظلمات ، واستبسلت الاجيال من خلفهم فى حمايته فى مهب الأعاصير ..

كنت أعرف كذلك للسلف الأئمة من علماء المغرب الكبير ، جهادهم المأثور فى التواصل العلمى بين المشرق والمغرب ، فيما زودتنا به المدرسة الإسلامية الكبرى من ذخائر تراثهم فى علوم العربية والإسلام ، ومازودوا به الغرب الأوروبى من دليل مسراه فى ظلمات عصوره الوسطى الى فجر البعث والنهضة الحديثة .

وأعرف ايضا ماضى التواصل الشعبى بين مصر والمغرب ، فيما عمرت به ربوع الكنانة من منازل أوليائها الصالحين المغاربة الذين شاركوا فى جهاد الصليبيين والتتار بالجبهة المصرية وكانت منازلهم وزواياهم وربطهم المتواضعة فى ربوع الكنانة من ثغور الدلتا الى الصعيد الأعلى مقامات علية ومدارس شعبية عامرة بالمريدين ، ومجالس ذكر وسلوك وتربية ومجاهدة .

ثم جاءت رحلتى الأولى الى المغرب المعاصر ، لالقى التاريخ هناك بين ماض وحاضر ، شاهدة عصر لموضعه فى ملتقى التيارات ، متصلة شرقا بالوطن العربى والمشرق الإسلامى ، موغلة جنوبا فى أعماق قارتنا الإفريقية العتيقة السمراء ومطلة شمالا وغربا من ثغور البحر المتوسط وقمم الأطلس ، على الغرب الاوروبى والقارات الأمريكية .

○ من حيث لا أحتسب بدأ لقائى مع التاريخ فى المغرب المعاصر والشخصية المغربية فى ملحمة التحدى لذرائع المسخ والتشويه ، فى أول لقاء بجلالة الملك الحسن الثانى عاهل المغرب يوم استقبل فى القصر الملكى بالرباط الفتح . ثانى ايام عيد الفطر المبارك . وفود المدعوين من علماء الاسلام لحضور احتفال المغرب المشهود ، بالقرن الرابع عشر لنزول القرآن الكريم ليلة القدر فى غار حراء : رسالة الى الانسان ، ولواء أمته فى عصور المنعة والعزة ، ومنار حضارتها القائدة الرائدة ، ودليل مسيرتها ومسراها .

وأقبل علينا جلالته يسألنا عن جديد بحوثنا ودراستنا ومايشغل بلادنا من هموم وقضايا ، فى مشاركة وجدانية وصحبة فكرية حميمة . وافضت بنا شجون الحديث الى هم أمتنا الشاغل بعد هزيمة خامس يونية المشئوم سنة ١٩٦٧ ، والعهد بها يومئذ غير بعيد ، فكان السؤال : ماذا يرى لنا جلالته بالمشهود له من حكمة ذكية وبصيرة نيرة ، فيما نحن فيه من قهر وبلاء ؟

وأصغيت بملء وعيى وسمعى الى جواب جلالته : «أن نعرف اللواء الجامع لشتاتنا فى معركة وجود ومصير ، وذلك يقتضى أن نكف عن المقولة الخاطئة المضللة بانهزام الإسلام فى جولة خاطفة لم تجد فى المسلمين صبر بضع ساعات ، نحن لم نخض الحرب بلواء الإسلام [illegible] وقد توزعتنا الهوية شتى متنافرة ، من عصبيات ومذهبيات متناكرة . ويشهد تاريخنا أن أمتنا لم تنهزم قط فى معركة لواؤها الإسلام ، فهلا

جربنا ان نلقى عدونا أمة واحدة ؟ ذلك ما صارحت به إخوتى قادة دول المواجهة ، ومازلت ارجوهم للنظر فيه ، وإلا فما مثلى ومثلهم إلا كما قال الشاعر المخضرم «دريد بن الصمة إذ خالفه قومه فيما نصح لهم به فلم يملك إلا ان يكون معهم:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت ، وإن ترشد غزية ارشد

والتفت جلالته الى الموقع العلمى والفكرى يستبصر خطر الغفلة عنه ويرجونا للرباط فيه .

....

فى تلك الأيام الاولى من رحلتى الى المغرب المعاصر ، شهدت بمدينة فاس هلال عيد الفطر على الأفق الاقصى لمجال نوره ، وأصبحت فأقمت صلاة العيد على ساحته الرحبة مع عشرات الوف من اهلنا المغاربة فى زيهم التقليدى ناصع البياض ، مكبرين داعين ، ليس بينهم وبين السماء حجاب

★★★

بعد عام وبضعة اشهر ، كان المغرب مكلفا من الامة بالدعوة الى عقد مؤتمر القمة الإسلامى الاول ، والشعوب الإسلامية تهدر بالغضب لحريق المسجد الاقصى ، والدنيا ترجف بتعذر لقاء ملوك الدول الإسلامية وقادتها الرؤساء ، مع مابينهم من خصومات معلنة وعدواة مشبوبة وحواجز فاصلة بين نظم متنافرة وأوضاع متناكرة . واستطاعت الرباط بحكمة عاهل المغرب وبسالته ، أن تتخطى تلك الحواجز والموانع ، فاستقبلت وفود الرؤساء الى المؤتمر فى موعده المقرر : فاتح أكتوبر سنة ١٩٦٩م .

فى الأيام العشرة قبله ، كانت رحاب جامعة القرويين بمدينة فاس ، مقرا لانعقاد المؤتمر التاسيسى لجامعة الجامعات الإسلامية ، وملتقى ممثليها الذين دعوا لحضور مؤتمر القمة الاول بالرباط . تقديرا من رئيسه جلالة الملك الحسن الثانى لخطر الموقع العلمى وحرصا على ان يتيح للمؤتمر السياسى شهودا من أساتذة الجامعات الإسلامية .

وقد شهدت هذا المؤتمر العلمى مقررة له ، وممثلة لجامعة عين شمس . ثم مالبثت أن أخذت مكانى أستاذا للدراسات العليا بجامعة القرويين ، تكليفا وتشريفا من جلالة الملك عاهل المغرب ، حيث اتصل لقائى بالتاريخ على مدى ربع قرن كان المغرب فيها مدرسة لى ورباطا ودارا ....

....

وعلى امتداد تلك المرحلة الحرجة من تاريخنا المعاصر ، كنت شاهدة عصر للمغرب إذ ياخذ موقعه على العهد به حيث تحتاج اليه الأمة فى المحن العصيبة ، يقوم بدوره فى النضال من أجل وحدة اللواء لمعركة وجود ومصير ....

فى احتفال المغرب بذكرى المولد النبوى الشريف سنة ١٣٩٣ هـ ، كان خطاب جلالته الى شعبه ، استنفارا لجنده المؤمنين ليرابطوا مع إخوانهم المشارقة على الخطوط الامامية لجبهة المواجهة بالشرق الأوسط ، تاهبا لحرب توقع جلالته بحدس فراسته الذكية أنها على وشك أن تدور هناك . ومن مركز التجمع والتدريب فى معسكر [أهرومومو] - قرب فاس - خرجوا

بأسلحتهم وزادهم الى جبهة المواجهة ، وأبواق الإعلام الحاقدة تتندر بتعبئة لقتال وهمى ضد عدو لايغلب .
بعد خمسة أشهر فحسب ، دوى نفير الحرب فى العاشر من شهر رمضان المعظم وشارك الجند المغاربة - على ساحة سيناء والجولان - فى قهر عدو أرجف المرجفون بأنه لايقهر ...
وصدق المؤمنون ماعاهدوا الله عليه ، (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا.)
ثم جاءت المسيرة فى ركبها التاريخى المشهود ، يوم سادس نوفمبر سنة ١٩٧٥ - عقب قرار محكمة العدل الدولية . للمغرب فى قضية الصحراء المغربية - تجاوز المعدن الاصيل للشخصية المغربية الزكية ، وتوجه الى عالم اليوم برسالة عن [المصحف الشريف] الذى حمله ركب المسيرة لواء منصورا وذخيرة غالية ...

☆☆☆

فى دوامة احداث المرحلة الحرجة التى عزلت مصر عن العالم العربى ، أخذ المغرب دوره المشهود فى الازمة ، كما أعلنه جلالة الملك عاهل المغرب ، فى خطابه التاريخى الى المؤتمر الاول لوزراء العدل العرب المنعقد فى مراكش سنة ١٩٧٤، ثم لما بلغت أزمة القطيعة ذروتها البائسة ، عبر المغرب عن موقفه منها فى الاحتفال المشهود بتوقيع الاتفاق على قرار المؤاخاة والتوأمة بين رباط الفتح ، وعاصمة الكنانة ، يوم ثامن يولية ١٩٨٧ م .

....

فيما كنت على المدى الطويل الذى التاريخ فى ربوع المغرب حيثما اتجهت وأينما اقمت ، والقى الشخصية المغربية فى مثلها القدوة ، تخوض معركتها النبيلة لرفض ذرائع التشويه والمسخ ، واقرا فى ملحمة [التحدى] جهادها الباسل فى صراع القيم وجوا ذب التيارات حفاظا على عراقة أصالتها وحيوية وجودها المعاصر ...
فى ذلك كله تجلت لى عبرة الأيام فى الدور الفريد الصعب الذى قام به المغرب فى المقاومة العنيدة الصارمة لغوائل التصدع لدولة الاندلس منذ توزعها ملوك الطوائف ، حتى إذا قضى الأمر سنة ٨٩٧هـ وسقطت «غرناطة» آخر معقل للمسلمين من دولتهم الكبرى ، وطاردت محاكم التفتيش فلولهم فى البر والبحر ، كان المغرب هناك على اهبة الاحتشاد لدوره الجليل وامانته العظمى : حماية الجبهة المغربية من الزحف الصليبى الحاقد المسعور ، واستقبال هجرة الإسلام الى العدوة المغربية ، دينا ودولة ولسانا وعلما وحضارة وتراثا
من ثم رسخت عبرة التاريخ فى وعى شخصية المغرب وضميره ، ترهف حساسيته لمقاومة ذرائع التفرقة والفتنة ، وتنوط به رسالة لقاء وتواصل بين المشرق والمغرب، سعيا لوضع حد لما نعانيه من تمزق وشتات .

☆☆☆

(الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) صدق الله العظيم.

وزارة الثقافة والإعلام
قطاع خدمات المعلومات

١٩٩٢/١١/٥

شاهدة عصر ٢٦

د. بنت الشاطىء

معركة التحدى وعبرة الأيام

مؤرخ الأندلس والإنذار المبكر بالزلزال

يترقب عالم اليوم بين لحظة وأخرى إعلان نهاية جمهورية البوسنة والهرسك بعد أن خانها الكروات وتواطئوا عليها مع الصرب وخذلتها المنظمات الدولية على مرأى من الدول الإسلامية ومسمع، وكان هذه النهاية المروعة لشعب البوسنة، على موعد مع النهاية الفاجعة للأندلس [سنة ٨٩٧هـ - ١٤٩٢ م]

ولا أسترجع هنا المشاهد المرعبة للنهاية وما أعقبها من وطأة محاكم التفتيش ومطاردة فلول المسلمين فى البر والبحر، فليست أشنع مما يشهده زماننا من سحق شعب البوسنة فى جرعة مكثفة من الشرعية الدولية لجريمة التطهير العرقى والدينى.

كما لا أتجه قصدا الى تحريك السواكن بالذى كان من الغدر بشروط تسليم «غرناطة» آخر معقل للمسلمين بالأندلس، فما تجدى علينا الحسرة على مامضى وراح، إلا بقدر مانستخلص من عبرة الأيام التى غابت عنا فى تراكم الدواهى والملاهى على امتداد خمسة قرون من نهاية مروعة سبقت بها النذر بالزلزال المرصود..

وقد أعلم أن العالم الغربى يقرأ ماصدر فى عامنا هذا من دراسات لأساتذة تاريخ [أسبانيا الأندلسية] وأريد ليقراه قومى فى نذر [الزلزال القلعة] التى رصدها مؤرخ الأندلس الصدر الإمام «أبو مروان ابن حيان القرطبى» فيما وصل إلينا من تاريخه الكبير محققا ومستكملا بغاية الإتقان فى (كتاب المقتبس) فى نسخة «الأستاذ الزميل الدكتور محمود على مكى» - طبع بيروت ١٩٧٣ - التى أضفتها الى ماأدخره لمكتبتنا اليوم من ذخائر تراثنا.

وإذ يأخذ التاريخ قدره وتأخذ العبرة قيمتها ودلالتها من شخصية المؤرخ، أقدم الى قومى، فى تواضع وعلى استحياء، - حديث اليوم فى التعريف بمؤرخ الأندلس العظيم: «أبى مروان ابن حيان القرطبى: حيان بن خلف بن حسين بن حيان، : ٣٧٧ - ٤٦٩ هـ» حامل لواء التاريخ الأندلسى:

فى الدراسة القيمة التى مهد بها الأستاذ الزميل الدكتور مكى لما حققه واستكمله من [المقتبس] بيان لما سبق من عناية الأوروبيين بدراسة ابن حيان وبحثهم الجاد عن مخطوطات تراثه، يرونه أعظم مؤرخى الأندلس على الإطلاق.

يليه تجريد لما كان يمر بنا من متفرقات لمؤرخى الأندلس، تشهد بإجماعهم على إمامته، واعتزازهم بتاريخه الكبير الذى عدوه من مفاخرهم، فيقول الحافظ الفقيه الأصولى النظار «أبو محمد ابن حزم الأندلسى القرطبى»: - وهو من أصحاب أبى مروان ابن حيان وأقرانه فى رسالته المشهورة فى فضائل علماء الأندلس وجليل مصنفاتهم [... ومنها كتاب

قطاع خدمات المعلومات

١٩٩٢/١١/٥

(٢)

التاريخ الكبير ... تاليف ابى مروان ابن حيان ، من اجل كتاب فى بابه ، وهو بعد فى الحياة لم يتجاوز الاكتهال ...]

تداولها علماء التاريخ والرجال طبقة بعد طبقة كما تداولوا المروى من مفاخرتهم به فى مناظراتهم ...

واعتمده جمهرة مؤرخى الاندلس بعده ، مصدرا لكل مأرخ له ، يعتزون بالرجوع إليه والنقل منه ، قلما يعدونه الى سواه إلا على سبيل المقارنة والمقابلة . من ذلك قول «أبى الحسن ابن بسام الاندلسى فى خطبة كتاب (الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة) :

[... وعولت فى ذلك كله على تاريخ أبى مروان ابن حيان ، فاوردت فصوله ونقلت جمله وتفصيله . فإن أعوزنى كلامه ونظامه عكفت على طللى البائد وضربت فى حديدى البارد] ثم استهل متن (الذخيرة) بقوله : [وسينخرط فى سلك ما أوشح به هذا التصنيف من تلخيص التعريف بأخبار ملوك الجزيرة وقصصهم المأثورة ووقائعهم المبيرة لابن حيان ، فصول من غرائبه وتفاصيل من عجائبه . إذا وجدت من كلامه فصلا قد احكمه او خبرا قد سرده ونظمه ، عولت على ماوصف وصنف ، إ قرارا منى بالفرق وإعفاء لنفسى من معارضة من احرز بافقنا فى وقته قصبات السبق وبرز فى زمانه على جميع الخلق . واكثر مايمر فى هذا الكتاب من هذا الباب ، فعلى تاريخه الكبير عولت ومن خط يده أكثر مانقلت ، وتحريت جهدى اقتضاب ماطول وتخفيف ماثقل ، وإجمال ماشرح وفصّل . على أنه لم يخلص لى من غمامه سوى قطرة ...]

وكذلك عول عليه جمهرة من ارخوا بعده لبلاندلس وحواضرها وأعلامها ومصارع الأهواء والفتن بينهم . فاتصلت هيمنة (تاريخه الكبير) على تاريخ الأندلس من عصره ٣٧٧ - ٤٦٩ هـ : ٩٨٧ - ١٠٣٤ م] الى مابعده من عصور شهدت من جسام الأحداث ودواهى المحن ، ماسبق لابن حيان أن رصده وأنذر به ، بمقتضى حتمية سنن ثابتة لا تتخلف .

المعروف لنا من التاريخ الكبير لابن حيان : (المقتبس) مما سبق عصره من بدء فتح الأندلس ، موصولا به فى قول : (أخبار الدولة العامرية) التى حجبت دولة الخلافة الأموية لمدة ثلث قرن [٣٦٦ - ٣٩٩] عادت بعدها البقايا البائسة من دولة الخلافة ، حتى نهايتها سنة ٤٢٢ هـ .

(المتين) يؤرخ لما ادركه ابو مروان من بقايا الدولة الكبرى ، ثم ما عاصره من عهد ملوك الطوائف الى سنة ٤٦١ قبل وفاته ببضع سنين .

وهى كتب متكاملة ، حفظها الرواة من تلاميذه والنقلة من المؤرخين على تعاقب الأجيال .ومع تكامل المقتبس والمتين ، ميز ابن حيان كلا منهما بعنوانه الدال عليه :

(المقتبس) : عنوان تاريخه لعصر سابق ، عول فيه على مااقتبس من مصنفات لمن قبله ، والاقتباس يعفيه من استيعابها جميعا نقلا لكل مافى مصادره التى أرتضاها ، ويعطيه حرية الاختيار لما يأخذ منها ومايترك ، بمقتضى الميزان الذى يحكم مدوناته التاريخية وتوثيقها، و (المتين) عنوان تاريخه لما ادرك من احداث زمانه ورجال عصره ، هو فيه شاهد رؤية وسماع ، يملك من وسائل التلقى المباشر مالم يكن متاحا له فيما

الأهرام
وزارة الثقافة والإعلام
قطاع خدمات المعلومات

١٩٩٢/١١/٥

اقتبس من مرويات سابقيه .. فهو فى (المقتبس) ناقل مسند ، وفى (المتين) شاهد . موثق وإذا كان فيه مصدرا بالمعاصرة لما استفاض من أخبار ديار الأندلس ومايتساقط منها [طرق بها الناعى ابواب قرطبة فصك الأسماع وأطار الأفئدة وزلزل الأندلس قاطبة] .

فإنه فى (المقتبس)مصدر كذلك بما اصطفى من مصادره ، ملتزما أدق ضوابط المنهج النقلى المشهود له بالرسوخ فيها رواية ودراية . وتحريرا لصيغ الأداء ، مما جعل مروياته لما سبق زمانه ومدوناته لما عاصره ، وثائق تاريخية ، وذلك يستغرق المراحل الثلاث التى أرخ لها : فى (المقتبس)من بدء الفتح الإسلامى ، فى عشرة اسفار لثلاثة قرون وثلث قرن ،موصولا باخبار الدولة العامرية - التى نشا فيها ابو مروان - فى مائة سفر للثلث قرن ، ثم (المتين) لما أدركه من بقايا الأموية المروانية ، واربعين سنة من عهد ملوك الطوائف ، فى ستين سفرا ، هو فيها جميعا « مؤرخ الاندلس ومسندها الثبت الثقة » كما لقبه «المقرى » فى (نفح الطيب)وذلك يتجه الى ماأسند فى (المقتبس) ودوّن فى (المتين)

فماذا عما لم يدركه من عهد التمزق والفتن بين ملوك الطوائف ؟

ما الذى اهله لأن يكون «حامل لواء التاريخ الاندلسى » بإطلاق ، كما قال تلميذه الحافظ النظار «أبو على الجيانى» ، وكما أقروا له بالهيمنة على تاريخ ذلك الافق ؟

الذى اطمئن إليه انه استحق هذه الرتبة بما تفرد به من مزايا جعلته يرصد المؤشرات الى مايتوقع من عواقب الأحداث .

من تلك المزايا التى تفرد بها :

أن التاريخ وحده كان المجال الذى وجد فيه ذاته فطرة وملكة ، وحقق وجوده .لو شاء لكان اخباريا مرموقا [واديبا نسيج وحده وكاتبا من الطراز الاول] بشهادة من رأوا فى صفحات المتين أروع نماذج النثر الأندلسى .

لكن الأدب لم يكن صناعته ، ولا أراد قط أن يكون اديبا . والقول الفصل فى ذلك له إذ يقرر فى خطبة تاريخه الكبير :

[... وبعد فإنى امرؤ يسّرت لطلب هذا الخبر واقتفاء هذا الأثر ، احرس شارده واقيد نافره وأبيت بابوابه وانصب لطلابه . فشغلت به دهرا اقص انباءه واضرب امثاله ووقائعه وإحترز مواعظه .]

بهذا النص ، سجل بقلمه هويته فى بطاقة شخصيته . ثم لم يتحول عنها قط ، فكان التاريخ حرفته وصنعته ، ومدرسته ووظيفته ورسالته ، وهمه وهواه وهويته ، فاعطى فن التاريخ اعتباره فى زمان كان ينفيه من انواع العلم . وبلغ من عمق معاناته للأحداث وانفعاله بوقائع تاريخه ، ان تعطل قلمه فى فتنة مهلكة ففاته تقييد أحداثها ، حتى استرد نفسه من اخذة الصدمة فقال فى خطبة تاريخه الكبير ، فى سياق التماسه مافاته تقييده :

[.... وانعمت البحث عن ذلك عند من بقى يومئذ من اهل العلم والأدب لدينا ، فلم أظفر منه إلا بما لاقدر له ، لزهد من قبلنا قديما وحديثا فى هذا الفن ، ونفيهم له من أنواع العلم .]

سبق بذلك الى علمية التاريخ - والظن الشائع أن لابن خلدون فضل السبق إليها ، وهو متاخر عن ابن حيان باكثر من ثلاثة قرون -

.. وتستحق قضية علمية التاريخ عند ابن حيان ، ان تحظى بالعناية فى دراسة لمنهجه التاريخى ، مقارنا بمناهج المؤرخين قدامى ومحدثين ... ولاتابع النظر هنا فيما تفرد به ابن حيان من مزايا أهلته لحمل لواء التاريخ الاندلسى .

يذكرون له [استيعابه لتاريخ الأندلس من بدء الفتح الى زمانه ، لم يكد يغيب عنه شىء مهما يصغر ، مع الإدراك الواعى لما يبدو صغيرا لا شأن له]

الاهرام
مؤسسة الأهرام
قطاع خدمات المعلومات

١٩٩٢/١١/٥

يصدق هذا ، فيما ارى ، على استيعابه ذلك تحصيلا وحفظا ووعيا ودراية ، لا على انه استوعبه كله رواية ونقلا وتدوينا ، وكان فيما ياخذ ومايدع ، خاضعا لضوابط منهجه ، يزن المرويات والأخبار بميزانه الدقيق لما يعطى الأحداث دلالتها وتفسيرها ومنطقها

واطمئن ، بعد طول صحبة له ، الى اخذه بقانون السببية ، يبصر بها حركة سير التاريخ وحتمية خضوع الأحداث للسنن الثابتة للعلل والعواقب

كان من مخضرمى عصرين هما فى الواقع مجمل تاريخ الاندلس كله ، عصر الدولة المؤثلة الفاتحة ، وماحجبه منها «المنصور بن ابى عامر» فى حركة انتقال عنيفة صادعة ، بين عصر الدولة ، وعصر ملوك الطوائف .

وفى مرصده بقرطبة الغالية ، التى لم يبرحها قط فى حياته ، رابط من اواخر القرن الرابع مطلا على ماض مجيد مشرق اذن بانحدار ومغيب ، ومستقبلا عصر التصدع والتمزق مستبصرا مايصير اليه ، وإنه لعلى يقين من أن الحاضر وليد طبيعى لأقرب ماضيه ، ووالد شرعى للمستقبل .

ولم يكن - والتاريخ همه وهويته وهواه - ياخذ فيه بعشوائية المصادفات وبغتة المفاجآت ، فالظواهر مرتبطة باسباب لها ظاهرة وخفية ، ومرهصة بعواقبها مرهونة باوقاتها ، والمقدمات مؤدية الى نتائجها ، والبدايات عنوان النهايات] كما قال

★★★

موعدنا معه بمشيئة الله تعالى فى المقال التالى ، فى رؤيته الثاقبة لبوادر التصدع توغل فى بنيان الأندلس ، ويستبصر منها على المدى البعيد مصير الدولة الكبرى فى [الزلزال القلعة] الذى رصده مبكرا وأنذر به قبل مئات سنين ، اعتبارا بقوله عز وجل :

(فهل ينظرون إلا سنة الاولين فلن تجد لسنة
الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ،)
صدق الله العظيم

قطاع خدمات المعلومات

١٩٩٢/١١/١٢

شاهدة عصر ٢٧

د. بنت الشاطىء

معركة التحدى وعبرة الأيام

تاريخ الأندلس، وبداية النهاية

● اليوم موعدنا مع مؤرخ الاندلس «أبى مروان ابن حيان القرطبي» فى رؤيته الثاقبة لبوادر التصدع توغل فى بنيان الاندلس فيستبصر منها على المدى البعيد رجة الزلزال الذى رصده مبكرا وأنذر به قبل القلعة بمئات سنين، بمقتضى السنن الثابتة للأسباب والعواقب [البدايات فيها عنوان النهايات]

أكتفى ههنا باشاراته الموجزة الى علامات المراحل الكبرى لتاريخ الاندلس فى مقدمات الفصول الموسعة وختامها، يستخلص منها الدرس ويصدع بالنذير، نفيا لعشوائية المصادفات واعتبارا بقوله تعالي : (سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا.)

مع حركة التاريخ الاندلسى للقرون الاولي، تابعت المسير على هدى علامات المراحل من التاريخ الكبير لابن حيان:

من أول الفتح، سجل ما وثق من وقائعه المشهودة مفسرة بأسباب لها من عنفوان مدّ الفتح وبسالة جنده المؤمنين ويمن لوائه الاغر. مع مؤثرات من تحلل المجتمع الأسبانى وفساد أوضاعه.

وتتخلل الصفحات الباهرة من مشاهد الفتح الباسلة الظافرة، نقول فى (المقتبس) لموقف القائد «موسى بن نصير: أمير جيش إفريقية والمغرب» من مولاه المغربى «طارق بن زياد البربري» بعد فتحه الاندلس سنة ٩٣هـ ثم ما لابس هذا الموقف من فتن موصولة بآثارها فى عصر الولاة لأموية الشام، وما نشب بينهم من معارك حتى سقوط الدولة الاموية بالمشرق سنة ١٣٢هـ، وطأت لملك عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الملك بن مروان: الداخل إلى الاندلس،

إمارة ذلك المؤسس العظيم امتدت نحوا من ثلث قرن (٢٠٦ ـ ٢٣٨هـ) وبينه وبين سميه العظيم «عبد الرحمن الناصر» ستة من أمراء البيت المرواني، الأربعة الأولون منهم معدودون فى الكتيبة الاولى من بناة الدولة الكبرى فى مرحلة ترسيخ القواعد وشد الدعائم وتأثيل هيبة الخلافة وأبهة الملك، لم يدخروا جهدا فى مقاومة ما نشب في عهودهم من فتن وترميم ما تركت فى بنيان الدولة من شروخ إن تكن أوغلت فيه أيام سادسهم «عبد الله بن عبد الرحمن الاوسط» ـ ٢٧٥: ٣٠٠ هـ ـ فقد قاومها البنيان بقوة أساسه وعاشت الدولة فى أيامه على ما تستهلك من مذخور حيويتها، حتى تولاها حفيده عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله ، لتبدأ بعهده مرحلة الازدهار الكبرى التى أرخ لها ابن حيان فى (المقتبس) بتفصيل مجمله هذه: الخلاصة لعلامة المرحلة:

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

[تولاها عبد الرحمن الناصر سنة ٣٠٠ هـ خلفا لجده عبد الله، والأندلس مضطربة بالمخالفين ممضطرمة بنيران العصاة، فاطفأ تلك النيران واستنزل أهل العصيان واستقامت له الأندلس فى سائر جهاتها بعد نيف وعشرين سنة من أيامه. وكان كثير الجهاد بنفسه والغزو إلى دار الحرب... وكان ملكه بالأندلس غاية فى العظمة ورفعة الشأن، وهادنته الروم ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والافرنجة والمجوس وسائر الأمم إلا وفدت عليه خاضعة راغبة.]

وعبد الرحمن الناصر هو أول من تلقب بأمير المؤمنين بالأندلس، وقد امتدت خلافته خمسين سنة سخية عامرة بالجهاد ليل نهار، لم يخلص له أيام سرور فيها - فيما وجد بخطه - سوى أيام عينها باليوم والشهر والسنة، عدها مؤرخوه فكانت أربعة عشر يوما. من خلافته التى امتدت نصف قرن (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ)

وتلقاها من بعده ولى عهده، ابنه «الحكم المستنصر» قد هياه لها أبوه ودربه عليها، فكان عهده امتدادا لدولة أبيه عزة ومنعة وسلطانا وهيبة، وأضاف إليها من مآثره خزانته العامرة بما لا يوصف كثرة ونفاسة من ذخائر المخطوطات، وتوفى رحمه الله بقصر قرطبة سنة ٣٧٦ هـ عن أعظم دولة فى العصر الوسيط، كان الظن أنها لن تبيد أبدا. وعقب وفاته احتجب ابنه ولى عهده المؤيد هشام. وكان صبيا فى العاشرة من عمره، بالمنصور ابن أبى عامر الذى تولى الأمر كله مدة سبع وعشرين سنة حافلة بأمجاد بطولاته وغزواته المنصورة إلى وفاته سنة ٣٩٣هـ واستمرت دولته العامرية بالوراثة فى ولديه المظفر ثم المأمون الذى قتل فى منتصف جمادى الآخرة سنة ٣٩٩ هـ وانتهت الدولة العامرية بفتنة هوجاء هزت البنيان الراسخ فمازال يتداعى حتى سقطت الدولة الكبرى لأموية الأندلس سنة ٤٢٢ هـ والعهد بدولة الناصر وابنه المستنصر غير بعيد..

وذلك ما يبدو من بغتة المفاجآت . لكنه لم يكن كذلك فى رؤية شاهدها مؤرخ الأندلس أبى مروان ابن حيان، بل جرى الأمر كله على مقتضى السنن الثابتة: نتيجة لمقدمات سبقت وشروخ موغلة فى بنيان الدولة الكبرى لم يخطئها بصر ابن حيان فى تاريخه لمرحلة تأسيس الدولة وشد قواعدها:

● الفتن العصبية بين المضرية واليمانية من عرب الأندلس أيام «عبد الرحمن الداخل»

● وقعة الربض التى وطىء فيها «الحكم الربضى» - حفيد عبد الرحمن الداخل - أهل قرطبة وطأة شرسة، والفتن بينه وبين أمراء بيته الأموى المرواني، انتهزها الفرنجة فعاثوا فى الثغور حتى خرج لهم فأثخن فيهم واسترد برشلونة سنة ١٨٥ هـ.

● عربدة الخصيان ومكايد الحريم فى قصر الأمير عبد الرحمن بن الحكم الربضي، وفى دولته..

● تلاحق الفتن فى عهد ابنه «الأمير محمد» وحروبه التى توالت مع الخارجين عليه من المتمردين العصاة ومن استنصروا بهم من العدو، كلما أوقدوا نارا فى ثغر وبادر الأمير إلى إطفائها، أوقدوها فى ثغر آخر.

● اضطرام الفتن وخلل الثغور فى عهد «الأمير عبد الله بن الحكم الربضى: ٢٧٥ - ٣٠٠هـ» وإيغال الصدع فى البنيان، حتى جبرته مرحلة الازدهار العظيم لدولة عبد الرحمن الناصر، وابنه الحكم المستنصر.

....

وتسطع الأضواء الباهرة فلا تخطف بصر «ابن حيان» وهو يقتفى الآثار ويقص الأنباء فيروى ما طوت شخصية الناصر وأمجاد فتوحاته من مواضع خلل فى بنيان دولته العظمى ابان ازدهارها:

● من ذلك ما كان من وقع (كسرة الخندق) عليه فى سنة ٣٢٧هـ ، وكان قد احتشد لها بما لم يحتشد بمثله من قبل. وجرى القتال بينه وبين العدو

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
قطاع خدمات المعلومات

١٢/١١/١٩٩٢

شديدا صعبا حتى انكشف المسلمون، والجاهم العدو إلى خندق بعيد المهوى لم يجدوا عنه محيدا فتردى فيه خلق كثير. واشتدت على الناصر نكبته التى لم يكن لها سابقة، فاستغرق فى بناء مدينته «الزهراء» بأسفل قرطبة واسترد صفاء ذهنه، فكف عن الخروج بنفسه للجهاد، ووكله الى صفوة قادته، يجردهم للخروج كل عام.

● بعد عشر سنين من (كسرة الخندق) الحاطمة، يؤرخ «ابن حيان» لخبر الهدية العجيبة التى أهداها «الوزير أبو عامر ابن شهيد» إلى أمير المؤمنين الناصر سنة ٣٣٧هـ واتفق مؤرخوه على أن أحدا من ملوك الأندلس لم يتلق هدية مثلها قط مع بيان احصائى مفصل لما فيها من ذخائر التحف وسبائك الذهب والقناطير المقنطرة من فاخر العود، ونوادر السلاح والخيل العراب والبغال المسرجة بالخز، مع متخير الرقيق والجواري.. وفوق ذلك ضيعة تدر كذا وكذا.. ضمت إلى ضياع أمير المؤمنين..

هذه الهدية التى يعيي الخيال تصورها، لم تكن قطعا كل ثروة الوزير ابى عامر ابن شهيد. وليس فى الخبر أنه سئل عن مصدرها. الذى فى الخبر أنها [أعجبت الناصر وأهل مملكته جميعا. وكان من مكافاته عليها أن زاد وزيره أبا عامر حظوة واختصاصا وأسمى منزلته على سائر الوزراء واضعف له رزق الوزارة وثنى له العظمة فسماه ذا الوزارتين، فكان أول من تسمى بذلك بالأندلس.]

● معها مما اقتبس ابن حيان من مصادره الموثقة (فى ذكر نساء الناصر) حكاية «مرجان» كبرى حظاياه وأم ولده «الحكم» ولى عهده.

فيروى ابن حيان بالاسناد إلى أوثق خصيان القصر: خبر صفقة عجيبة ساومت فيها مرجان - فى مجلس الحريم - سيدتها الشريفة زوجة الناصر وبنت عمه، على ليلة له عندها بعشرة آلاف دينار ذهبا [قبضتها السيدة وكتبت لمرجان صكا بالصفقة تظن أن الأمر ألطف من أن يحمل على غير الدعابة والتسلية، وأنه عند زوجها أمير المؤمنين يجرى مجرى أعباث النساء المضحكة. ومضت مرجان فزينت مخدعها ثم تصدت لمولاها الناصر فى طريقه إلى جناح زوجته، وعالنته فى مرح ودهاء ودلال أن الليلة ملكها شراء: وقرأ صك الصفقة فقضى لمرجان بليلته المشتراة، وهجر زوجته الشريفة بنت عمه التى لم يغفر لها قط تلك الصفقة المهينة الخاسرة، إلى أن ماتت منبوذة فى القصر: لا سماء بكت عليها ولا أرض]

حكاية تضاف إلى مكايد الحريم فى قصر السلطان، تاهت، ومثلها معها، فى سنا عظمة الدولة فى عهد الناصر وابنه الحكم المستنصر إلى وفاته بقرطبة - ثانى صفر سنة ٣٦٦هـ وولاية العهد لابنه المؤيد هشام وهو صبى فى العاشرة من عمره، فحجبته (الدولة العامرية) التى أفرد لها «ابن حيان» مصنفا نافت أسفاره على مائة سفر.هو فيها الشاهد النظار لأخطر حركة انتقال بين عصرى التاريخ الأندلسي: عصر الدولة الكبرى وعصر ملوك الطوائف

● كنت فيما مضى أرى الدولة العامرية شطرا من الدولة الكبرى وامتدادا لملكتها التى مات عنها «الحكم المستنصر» أعلى ما تكون صرحا وأعز جاها. وما كانت العامرية فيما أرخ ابن حيان، سوى مرحلة انتقال إلى عصر الطوائف المشئوم، وهى إليه أقرب منها إلى عصر المملكة الزاهرة التى تولاها ثمانية من إمراء أموية الأندلس، لم ينته أحد منهم قط مقتولا أو مخلوعا، ولا منفيا أو سجينا.. فان تكن حركة المنصور ابن ابى عامر قد هزت بنيان المملكة فكشفت عن شروخ فيه حجبتها شخصيات الداخل والناصر والمستنصر، فكذلك حجبت شخصية «المنصور ابن ابى عامر» تصدع البنيان ليلة وفاة الحكم المستنصر، وكتم دوى انتصاراته حشرجة احتضار خانق للدولة الكبرى:

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

١٩٩٢/١١/١٢

(٤)

مع النفس الأخير للحكم المستنصر، كتم خصيانه نبأ موته ريثما تشاوروا بمخدعه علي صرف الخلافة عن ولى عهد المؤيد هشام، إلى وصيه «المغيرة بن عبد الرحمن الناصرى المرواني.. لكن الوزير الحاجب «المنصور ابن أبى عامر» عجل إلى دار المغيرة فضرب عنقه بالسيف غيلة، وساير الامور فترة وجيزة' ريثما مكن لنفسه بالتفانى فى خدمة «الست صبح: أم الأمير هشام». وفى الخبر أنه بنى لها بيتا من ذهب - حتى استولى على الأمر كله، وألزم الأمير الصبي، الاقامة فى جناح الحريم محظورا عليه أن يخرج منه أو أن يلقى الناس.

● وكتب ابن حيان:

[تغلب ابن أبى عامر، محمد بن عبد الملك، على المؤيد هشام بن الحكم المستنصر، واستولى على الدولة وملأ الناس • وبنى مدينته (الزاهرة) ونقل إليها خزائن الأموال والأسلحة وقعد على سرير الملك وأمر بان يحيا بتحية الملك والدعاء له على المنابر عقب الدعاء للخليفة، ومحا رسوم الخلافة بالجملة ولم يبق لهشام منها أكثر من الدعاء له على المنابر. ونفذت الكتب والمخاطبات باسم الحاجب المنصور، وكتب اسمه على السكة وجند البربر والمماليك لقهر من يتطاول إلى رتبته من علية الاسراء. وردد الغزو بنفسه ستا وخمسين غزوة لم تنتكس له فيها راية ولا انهزم جيش حتى هلك سنة ٣٩٣هـ أعظم ما كان ملكا] فكانت عظمة ملكه على حساب الخلافة التى [محا رسمها جملة، والمملكة المؤثلة التى أسقط حرمتها بالحجر على الخليفة الشرعى واغتيال وصيه] ثم لم تقم لها من وقتئذ قائمة.

● ترك المنصور دولته ملكا وراثيا فتولاها ابنه المظفر عبد الملك بوصية منه فجرى مجرى أبيه فى الغزو والسياسة وحجب هشام المؤيد، ومات فى المحرم سنة ٣٩٩هـ فتولاها أخوه المأمون عبد الرحمن الذى تمادى به الطمع فطلب إلى هشام المؤيد أن يوليه عهده، وقرىء كتاب ولاية العهد بجامع قرطبة على الملأ من أرباب الشورى وأهل الحل والعقد ومشيخة الامويين فى يوم مشهود من ربيع الأول سنة ٣٩٩هـ فكان فيه حتفه، وانقرضت الدولة العامرية لم يتجاوز عمرها ثلث قرن، [وتركت أرض أندلس تميد من رجة الزلزال بالفتنة الداهية التى تداعى لها البنيان الشامخ يريد أن ينقض.]

وأبو مروان ابن حيان هناك يلتقط أنفاسه من أخذة الرجة، ليرقب البقايا البائسة من امراء أموية الاندلس فى اندفاعها نحو المصير المحتوم لدولتهم سنة ٤٢٢ هـ وتقاسم ملوك الطوائف أشلاءها: نهاية لبداية سبقت بها النذر، وبداية لنهاية تتراءى لبصيرته قبل وقوعها بمئات سنين.

● إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)
صدق الله العظيم

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

١٩٩٢/١١/١٩

شاهدة عصر ٢٨

د. بنت الشاطىء

معركة التحدى وعبرة الأيام

تاريخ الأندلس: نهاية وبداية

في (عام اسبانيا) وبرامج احتفالاته المشهودة بمضى خمسة قرون على نهاية دولة المسلمين العرب بالاندلس (٨٩٧هـ - ١٤٩٢م) يتراءى لنا غير بعيد المصير المروع لجمهورية البوسنة والهرسك، ونحن في أعقاب الزلزال الذى هز مصر وصدع اطلال دارنا في يومنا الحزين: الثانى عشر من اكتوبر الماضي.. وما ازال اقاوم الاحباط والتمس لقومى الدرس والعبرة مما أعطانا «ابو مروان ابن حيان القرطبي: حامل لواء التاريخ الاندلسى كله» من تفسيره ومنطقه، بما ينفى عنه عشوائية المصادفات وبغتة المفاجات..

** في حديثي يوم الخميس الماضي كنا مع ابن حيان وهو يمعن النظر في البنيان الشامخ الراسخ لدولة الاندلس الزاهرة» فيبصر شروخا موغلة فيه قاومها بقوة اساسه، وحجبتها عظمة شخصيات «عبد الرحمن الداخل، وعبد الرحمن الناصر، وابنه الحكم المستنصر» الذى توفى سنة ٣٦٦ هـ عن اعظم دولة في زمانه عزا ورفعة وهيبة وحضارة، فبدا تصدعها من ليلة وفاته بكتمان رئيسى خصيان القصر النبا ريثما قررا صرف الخلافة عن ابنه الصبي، ولى عهد الأمير هشام المؤيد، إلى وصيه «المغيرة بن عبد الرحمن بن الناصر» فعجل الحاجب «المنصور ابن أبي عامر» إلى بيت الوصي فضرب عنقه بالسيف غيلة، وساير الامور فترة ريثما دبر لنفسه بتفانيه في خدمة «الست صبح ام هشام بن الحكم» - وفى الخبر انه اهداها بيتا من ذهب! - حتى استولى على الامر كله وحجب الامير هشاما، شبه محجور عليه في جناح نساء القصر [ومحا رسوم الخلافة كلها] وملأ الدنيا بجاهه وفتوحاته الظافرة، فكان أن كتم دوى انتصاراته نذر هلاك دولته العامرية لم يتجاوز عمرها ثلث قرن، وانتهت بمصرع ابنه «المامون» الذى تطاول إلى ولاية العهد للخليفة هشام المؤيد، فكان في ذلك هلاكه سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، في فتنة هوجاء لم تقم بعدها قائمة لاموية الاندلس.

مركز المعلومات والتوثيق
قطاع خدمات المعلومات

** اليوم نصحب «ابا مروان ابن حيان القرطبى شيخ مؤرخى الاندلس، إذ يسجل ما اخذه من هول الصدمة التى عطلت تاريخه لاحداثها المنذرة بتقوض دولة الخلافة الاموية بالاندلس، قال فى خطبة تاريخه الكبير معبرا عن حزنه وحسرته، ان امهله الاجل ليدرك هذه النازلة المذهلة الخانقة:

[.. وانساتنى المدة الى ان لحقت بيدى منبعث هذه الفتنة الشنعاء المدلهمة المفرقة للجماعة، الهادمة للمملكة المؤثلة، المغربة الشاو على جميع ما مضى من الفتن الاسلامية . ففاضت أهوالها تعاظما اذهلنى عن تقييدها ووهمنى الا مخلص منها، فعطلت التاريخ إلى ان خلا صدر منها نفس الخناق وبلل الرماق فاستانفت يومئذ تقييد ما استقبلته من احداثها، وانعمت البحث ـ عما فاتني ـ عند من بقى يومئذ من اهل العلم والادب لدينا فلم اظفر منه إلا بما لا قدر له، لزهد من قبلنا قديما وحديثا فى هذا الفن ـ التاريخ ـ ونفيهم له من أنواع العلم..]

** فى الفترة ما بين تلك الفتنة الشنعاء سنة ٣٩٩هـ وسقوط الدولة الاموية بالاندلس بعد اقل من ربع قرن، تولى الخلافة فيها ستة امراء من ثمالة البيت المرواني: اربعة منهم قتلوا اشنع قتلة، وخلع اثنان فهاما على وجهيهما فى هوج اعاصير الفتن.

وتقطعت إمارتهم بثلاثة أمراء من بنى حمود العلويين المغاربة، لم تفتر فيها الفتن.

من خلال النقع المثار من اعاصير الفتن ومصارع قتلاها، نلمح على وميض شعاع من دليل العصر، علامات الرؤية لمرحلة الاحتضار، فى فقرات موجزة لابن حيان، يستقطب فيها الرؤية لما يفصله من اهوال الدواهي:

** قبل ايام من مصرع «المامون بن المنصور ابن ابى عامر» ـ عقب إعلانه ولايته العهد لهشام المؤيد بن الحكم المستنصر ـ كانت مشيخة الامويين قد قررت عزل هشام وبايعت «المهدى بالله ابن الناصر» فما لبث أن أظهر موت هشام ابن الحكم اتقاء منازعته.

وسخط القرطبيون حاله فاتفقوا سرا على خلعه وتقديم هشام بن سليمان بن الناصر فاعجلهم المهدى عن مرامهم بضرب عنق هشام بن سليمان. فاحتشد ابن إخيه «سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر» لقتال المهدى ثارا لعمه. وانتزع الخلافة لنفسه وتلقب بالمستعين بالله .. واستهلت سنة اربعمائة وقرطبة تصلى نيران الحرب بين المستعين والمهدي، إلى ان كانت الجولة الفاصلة فى (وقعة قنتيش) على ابواب قرطبة فى الحادى عشر من شهر ربيع الاول من السنة. وكان النصر فيها للمستعين سليمان بمن استنصر بهم من عسكر النصاري، وتمت له البيعة الثانية في منتصف شهر ربيع الاول من سنة اربعمائة، بعد ثلاثة أيام من الوقعة المشئومة.

ونقل ابن بسام فى (الذخيرة) من خط ابن حيان فى تاريخه الكبير:

[... فقتل فى هذه الوقعة عالم وابادوا امة، وهى وقعة قنتيش المشهورة التى قطع المقال انه قتل فيها عشرة آلاف قتيل وازيد، والله اعلم. ومال النصارى يومئذ على المنهزمين من المسلمين فقتلوا منهم فى صعيد واحد نيفا على ثلاثة الاف، وانبسطوا يومئذ فى قرطبة يقتلون وياسرون..]

ثم وطا «ابن حيان» لما تستقبل المرحلة من احداث صعاب مشئومات، بخلاصة مفسرة للاسباب والعلل، موجهة إلى النتائج والعواقب، نقلها عنه «ابن بسام» اول (الذخيرة) فى (ذكر البيعة الثانية للمستعين بالله سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، فى قرطبة منتصف ربيع الاول سنة اربعمائة، قال ابن حيان:

الهيئة العامة
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

١٩٩٢/١١/١٩

[فملك سليمان قرطبة في دولته ست سنين وعشرة اشهر، وكانت كلها شدادا نكدات صعابا مشئومات، كريهات المبدأ والفاتحة، قبيحة المنتهى والخاتمة، لم يُعدم فيها حيف ولا فورق فيها خوف، ولا تم سرور ولا فقد محذور، مع تغير السيرة وخرق الهيبة واشتعال الفتنة واعتلاء المعصية وظعن الأمن وحلول المخافة، دولة كفاها ذما أن انشاها « شانجه » فقشعها «ارموند» وثبتها الجلالقة ومزقتها الإفرنجة، ودبرها فاجر شقي ووزر لها خب دنيء، فتمخضت عن الفاقرة الكبرى وألت بمن اتى بعدها إلى ما كان أعضل وادهى، مما طوى بساط الدنيا وعفى رسمها وأهلك أهلها..

[ولما تمت بيعته - الثانية - نفذت عنه كتب إلى نواحي الجزيرة بخبر فتحه قرطبة، وكانت موشحة بما توشح به كتب الفتوح الاسلامية على اهل دار الحرب من وصف حال القهر وشدة السطو والاقتدار على الفتك، فافرط في ذلك إرهابا للناس بذكره وتخويفا لهم من مثله، فكان اجلب لنفار القلوب وقرف الندوب وبُعد الشرود ونبش الحقود لما وتر جميعهم بالحادثة في قرطبتهم فاستشعروا بغضب ومالوا إلى كل من عانده وردّ أمره، فزعا إليهم منه.. فكان ذلك سببا في تفريق البلاد وتملك اصحاب الطوائف]

....

** في سنة اربع واربعمائة، شاع الخبر ان المستعين بالله قتل هشاما المؤيد، فخرج إليه من العدوة المغربية - «على بن حمود الحسني» بجنده المغاربة - وكان هشام المؤيد قد عهد إليه بولاية عهده، لما رآه من اضطراب امره وما منى به قديما وخديثا من تمالؤ بني عمه الناصريين عليه وقيامهم واحدا بعد الآخر في خلعه - واقتتل جيش ابن حمود وجيش المستعين سليمان فانهزم سليمان وقبض عليه وعلى أخيه عبد الرحمن وابيهما الحكم بن سليمان بن الناصر، وسيقوا أسرى إلى على بن حمود، فضربت اعناقهم ووضعت رءوس الثلاثة في طست، وأخرجت من القصر إلى المحلة فطيف بها ينادى عليها: (هذا جزاء من قتل المؤيد هشام بن الحكم) وتولى الخلافة بنو حمود بضع سنين هادرة بالفتن..

* حتى ظهر «الأمير عبدالرحمن بن سليمان بن الناصر» في قرطبة بعد غيبة طالت سنين عددا خفى امره فيها، فبويع بالخلافة سنة ٤١٤ هـ بلقب المستظهر بالله فلم تمهله الفتنة سوى سبعة واربعين يوما، احيط به بعدها في القصر وذبح على مرأى من ابن عمه «أبى ولادة: محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحمن الناصر» الذي جيء به يومئذ إلى قصر الزهراء مبهوتا، وبويع في ذى الحجة سنة ٤١٤ هـ، ولقبوه بالمستكفى بالله.

** قال ابن حيان،ونقل ابن بسام:

[ولم يكن هذا المستكفى من الأمر في ورد ولا صدر، إنما ارسله الله

تعالى على اهل قرطبة محنة وبلية، إذ كان منذ عُرف غفلا عطلا منقطعا على البطالة مجبولا على الجهالة، عاطلا من كل خلة تدل على فضيلة.. عضته الفتنة فاملق حتى استجاز طلب الصدقة... واجمع اهل التحصيل على انه لم يجلس فى الإمارة أسقط منه ولا انقص. إذ لم يزل معروفا بالتخلف والركاكة، مشتهرا بالشرب والبطالة، سقيم السر والعلانية عاهر الخلوة...

[وفى ايام المستكفى هذا استؤصلت بقية قصور جده الناصر بالخراب وطمست أعلام قصر الزهراء فطوى بخرابهابساط الدنيا إذ كانت جنة الدنيا. فلما كانت سنة ٤١٦ هـ وتحرك «يحيى بن حمود» إلى قرطبة وضعف امر المستكفى اتفق الملأ على خلعه، فدخلوا عليه وقالوا فيما قالوا له: « قد علم الله اجتهادنا فى تثبيتك فعصى ذلك علينا واضطرنا إلى مقارعة عدونا وهانحن خارجون إليه ولا ندرى مايحدث لك بعدنا، فان تك الكرة لك فلا تسر، فمع اليوم غد.»

[فاجمل الرد وانقاد للدنية واستشعر الذل، واغتنم الغرة وعزم على الهروب، فخرج على وجهه وقد لبس ثياب الغانيات متنقبا بين امراتين لم يميز عنهما لمرانه على التخنيث. وخرج عن قرطبة فمات باقليش، وكانت دولته سبعة عشر شهرا صعابا نكدات سودا مشوهات مشئومات..]

بعد بضع سنين بائسة لاحتضار صعب، كانت النهاية الفاجعة لدولة بني امية بالأندلس باعلان نعيها فى اليوم الثانى عشر من ذى الحجة سنة اثنين وعشرين واربعمائة للهجرة.. بعد بضع عشرات سنين فحسب، من دولة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر الذى توفى عنها يوم ثانى صفر سنة ست وستين وثلاثمائة، اعظم ما كانت عزا وجاها وهيبة ومنعة.

نهاية لبدايات سبقت بها النذر..

وبداية لنهاية ملوك الطوائف الذين تقاسموا اشلاءها، وليس فى استطاعتهم أن يغيروا مجرى سنن ثابتة لا تتبدل، فيحولوا دون انهيار بنيان يريد أن ينقض[وإذا قضى الله تعالى امرا سبب له الاسباب] كما قال ابن حيان وهو يشيع فى قرطبته دولة الأندلس الكبرى وانقاض مملكتها المؤثلة. ثم يطوى مواجعه ليرصد فى المقدور له من أجله، حركة الانحدار المحتوم إلى الهاوية.

** وقد امتد به الأجل نحوا من نصف قرن من عصر ملوك الطوائف، نصحبه فى تاريخه له إذا يسر الله واعان، وهو يرصد متجه البداية لعصر ملوك الطوائف إلى نهاية بقاياهم بعد وفاته باربعة قرون وثمان وعشرين سنة.

(ولله عاقبة الامور)
صدق الله العظيم

الأهرام
وزارة الثقافة والإعلام
قطاع خدمات المعلومات

١٩٩٢/١١/٢٦

شاهدة عصر ٢٩

د. بنت الشاطىء

معركة التحدى وعبرة الأيام

[البدايات عنوان النهايات]

مايزال (عام اسبانيا) يحتفل بذكرى مرور خمسة قرون على تسليم « غرناطة » سنة (١٤٩٢ م - ٨٩٧ هـ) آخر معقل للعرب المسلمين بالأندلس، والبقية الباقية من دولتهم الكبرى التى مزقتها الفتن الشنعاء وأعلن ملوك الطوائف نهايتها بقرطبة سنة اثنتين وعشرين واربعمائة للهجرة، وتقاسموها دويلات بينهم فما زالت تتساقط واحدة بعد الاخرى حتى سقطت غرناطة، آخر مملكة لهم بالأندلس .

ومازلت مع « ابى مروان ابن حيان القرطبى » فى تاريخه الكبير وهو يشيع بقلب كسير دولة الخلافة الاموية بالأندلس سنة ٤٢٢ هـ : نهاية حتمية سبقت بها النذر، وبداية كئيبة موجعة ، لما يتوقع من مصير بقاياها بين أيدى اثنين وعشرين من ملوك الطوائف قد بدت بينهم العداوة والبغضاء ابدا، وفشا فيهم الحسد والبغى على مرأى ومسمع من عدو يتربص بهم الدوائر ويستنصر به بعضهم على بعض..

لم يغادر أبو مروان مرصده بقرطبة إلى عاصمة أو اخرى من عواصم ملوك الطوائف فى شتى ارجاء الاندلس، ولا فكر فى الهجرة من الأندلس فيمن هاجروا إلى المغرب توقعا للمصير المشئوم. بل تجلد للصدمة ليرصد مسار الاحداث فى اتجاهها نحو المصير المتوقع، لا تملك ان تحيد عنه.

، واعفاه من ذهول الصدمة بنهاية دولة الخلافة، سبق توقعه لها وإنذاره بها منذ عام الفتنة العمياء سنة ٣٩٩ هـ التى ادركته وهو فى مقتبل العمر فاذهلته وعطلت تاريخه لها ريثما افاق من اخذة هذه الفتنة الشنعاء المدلهمة ، المفرقة للجماعة الهادمة للمملكة المؤثلة ، المغربة على الشاو من جميع ما مضى من الفتن الاسلامية ...

فى أعقابها كانت وقعة « قنتيش» على أبواب قرطبة، انتصر فيها « المستعين بالله سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر » على عم أبيه « المهدى بالله، حفيد الناصر، بمن استنصر بهم من عسكر العدو، وتمت له البيعة الثانية فى منتصف شهر ربيع الاول سنة اربعمائة، بعد الوقعة المشئومة بثلاثة ايام.

وكتب ابن حيان توطئة للمرحلة كلها بمملكة المستعين التى [كفاها ذما ان انشاها « شانجه » فقشعها ريموند ، وثبتها الجلالقة ومزقتها الافرنجة، ودبرها فاجر شقى ووزر لها خب دنى، فتمخضت عن الفاقرة الكبرى وآلت بمن اتى بعدها إلى ما كان أعضل وأدهى، مما طوى بساط الدنيا وعفى رسمها واهلك اهلها... فكان ذلك سببا فى تفريق البلاد وتملك أصحاب الطوائف..]

لا شىء إذن مما وقع من تفريق الجماعة وهدم دولة الخلافة، لم يتوقعه ابو مروان من قبل وينذر به

وزارة الثقافة والتنمية والإعلام
قطاع خدمات المعلومات

١٩٩٢/١١/٢٦

حتى وقعت الواقعة سنة ٤٢٢ هـ وهو مكتمل النضج في الخامسة والاربعين من عمره فلم تذهله عن وعيه وتعطله عن كتابة التاريخ . مثلما عطلته في شبابه الفتنة المدلهمة سنة ٣٩٩ هـ .

وأقام في قرطبته يرصد الوقائع ويدون التاريخ

هل لي أن أقول إنه بعد أن تمزقت دولة الخلافة وتفرقت الجماعة، تعلق بالرجاء في إمكان إنقاذ البقايا المبعثرة ؟

لا يبدو لي ذلك بعيداً، فليس من طبيعة الأشياء ان ينفض يده من بقايا عزيزة غالية فيها رمق من حياة لم تخرج من ايدى المسلمين إلى قبضة العدو، ولا من منطق التاريخ، وهو علمه، ان يعطل التاريخ، ولم تتعطل شعائر الإسلام في ممالك الطوائف.

وأعانه على مغالبة اليأس ان كانت الطبقات الاولى من ملوك الطوائف، مرجوين لا نقاذ ما يمكن إنقاذه من بقايا دولة الاسلام الجامعة، ليس فيهم من هو من شذاذ الآفاق المغامرين او السفلة الرعاع المنبوذين، بل كانوا من ذوى القدمة والجاه والرياسة في بلدانهم وبين اقوامهم. وتاريخ الأندلس الكبير الموثق، يحفظ لأوائلهم مواقف مشهودة ومآثر مروية، طواها أن حملوا وزر الفاقرة الكبرى وتبعة كارثة الضياع.

وقد عاش أبو مروان القرطبي في ظل ملوك الطوائف ما يقرب من نصف قرن: الشطر الثاني من حياته، خلاصة التجربة وحصاد السنين. وأرخ فيما قرأت من نقول من تاريخه (المتين) لنحو من اربعين سنة من عصرهم [المؤذن بوشك القلعة] كان فيها شاهد العصر رؤية وسماعا.

موقفه منهم يبدو مشوبا بغموض ، فيه من ظاهر التناقض ما تعقبه عليه الدارسون المحدثون وعدوه من سقطاته التى لا يلتمس له فيها عذر. ذلك أنه مع الذائع المشهور من سوء قالته في ملوكهم والمعروف من قهره وأساه لما تمزق من شمل دولة الخلافة، ثبت انه كان بينه وبين كبار ملوكهم تواصل ومودة . من ذلك ما نقل ابن بسام من خطه في ديباجة تاريخه الكبير، أنه أهداه إلى ملك طليطلة [الأمير المؤثل الإمارة المأمون ذى المجدين الكريم الطرفين يحيى ابن ذى النون] عرفانا بفضل سبق إليه وجميل أسداه إليه من خطبة سنية أتته على بعد الدار.

وأثنى على « أبى الوليد ابن جهور ». ثانى ملوك بنى جهور بقرطبة. واعتز بان قلده. ابتداء من غير مس "ة ، منصب إملاء الذكر في ديوانه [وهو المنصب الملائم لصنعته] براتب واسع.

وفى الخبر ان ملوك الطوائف الذين عاصرهم كانوا يهادونه، وان طائفة منهم استهدوه تاريخه الكبير. قال « ابن بسام » في الذخيرة : « ولما تحدث بتاريخه في ملوك الطوائف بافقنا، استشرفت طائفة منهم إلى مطالعة غرره وعدوها من فرص العمر واستهدوه إياه واجزلوا على ذلك قراه. »

قطاع خدمات المعلومات

١٩٩٢/١١/٢٦

دون أن يجور ذلك ومثله على امانة مؤرخ صدوق، لم ير من حقه ان يغض من مكرمة او يجحد جميلا او يكتم ما اسدوه إليه من غير مسالة

لم يمنعه ذلك من تعقب اخطاء من توددوا إليه، وأن يدون فى تاريخه الكبير الذى استهدوه إياه ما حكى «ابن سعيد فى المغرب»: ان عبدالملك بن أبى الوليد ابن جهور حلف ان يسفك دم ابن حيان لما شاع من قوله: إن ابا الوليد لا يصلح لهذا الامر. فأحضر ابو الوليد ابنه عبدالملك وقال له فيما قال: «والله لئن طرا على ابن حيان امر، لا آخذن فيه سواك. اتريد أن يضرب بنا المثل فى سائر البلدان باننا قتلنا شيخ الادب والمؤرخين فى كنفنا مع ان ملوك البلاد القاصية والدانية تداريه وتهاديه؟»

وزف ابن حيان تاريخه الكبير إلى «المامون يحيى ابن ذى النون» عرفانا بمكرمة سبقت إليه منه دون مسالة. ثم كان مع القرطبيين حين سخطوا عليه حصار قرطبة لما استعان به عبدالملك بن ابى الوليد ابن جهور» فى صراعه مع اخيه بعد موت ابيهما.

واثنى على «اسماعيل بن عباد: صاحب إشبيلية» حين استنجد به اهل قرطبة فرفع عنهم حصار «يحيي ابن حمود صاحب قرمونه» ثم انكره ابن حيان مع القرطبيين حين احتل قرطبتهم بعد مصرع يحيي بن على بن حمود، وضمها إلى إشبيلية، مملكة بنى عباد.

***

واقام ابن حيان يرصد مواقع الفتن ومصارع البغى وحروب المطامع والاهواء والاحقاد، تشغل ملوك الطوائف بعضهم ببعض، والعدو متربص بهم ينلونه بايديهم ما لم يكن لينالة منهم غصبا..

ورحم الله، ابا مروان ابن حيان القرطبى، توفى بها سنة ٤٦٩ هـ فلم يشهد بعينيه تساقط الحواضر الاسلامية واحدة تلو الاخرى، كعقد انحل نظامه، في الطريق إلى قرطبة التى قاومت طويلا إلى ان سقطت فى الحادى والعشرين من شوال سنة ٦٣٦ هـ وبقيت غرناطة تقاوم باخر رمق من دولة الأندلس الكبرى، عصبت به على العدو قرونا، إلى أن وقع آخر ملوكها بنى الاخمر، وثيقة تسليمها فى اليوم الثانى من شهر ربيع الاول سنة ٨٩٧ هـ - ١٤٩٢ م

وانتهت دولة المسلمين بالاندلس بعد وفاة ابن حيان باكثر من اربعة قرون.

لكنه شهد بداية النهاية فى وقعة «بربشتر» اول ما سقط من قلاع الأندلس، قد مضت قبلها دولة الخلافة سنة ٤٢٢ هـ وثلث قرن من عصر الطوائف المسلمة لم تسقط خلالها حاضرة إسلامية غصبا، وإن سبقت النذر بسقوطها.

وأرخ ابن حيان لوقعة «بربشتر، قرب سرقسطة» سنة ست وخمسين واربعمائة، وهو يستبصر على المدى البعيد مصير الاندلس إلى (القلعة) فى النهاية الفاجعة للأندلس، [والبدايات عنوان النهايات] عنده.

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

وذكر ابن حيان ما كان من تقصير واليها «يوسف بن سليمان بن هود» في حمايتها وتركه اهلها لانفسهم [فاقام العدو عليها اربعين يوما في ملحمة صعبة مع اهلها اعطاهم بعدها الامان ثم غدر بهم قتلا واسرا وسبيا، واقتسم علوجه دور البلد بمن فيها من اهلها، فبلغوا منهم يومئذ ما لا تلحقه الصفة على الحقيقة. ولما عزم قائد الروم على القفول الى بلده تخير من بنات المسلمين ذوات الجمال ومن صبيانهم الحسان، الوفا عدة ليهديهم الى من فوقه. وترك من رابطة خيله ببربشتر الفا وخمسمائة، ومن الرجالة الفين.] .

وختم ابن حيان وصف الوقعة بقصة مروعة مما وقع بالمسلمين في اعقاب الهزيمة الكاسرة، تكفي عبرة موقظة لقلوب ذوي الالباب] قال:

[قد اشفينا بشرح هذه الحالة الفادحة مصائب جليلة مؤذنة بوشك القلعة التي طالما حذر اسلافنا لحاقها.. ولاشك ان ذلك مما دهانا من داء التقاطع وقد أمرنا بالتواصل والالفة فاصبحنا من التمادى على ذلك على شفا جرف يؤدي الى التهلكة لا محالة.]

وذكر كلاما في ذم اهل ذلك الزمان من اهل الاندلس [وانهم يعللون أنفسهم بالباطل. ومن ادل الدلائل على جهلهم اغترارهم بزمانهم وبعدهم عن طاعة خالقهم ورفضهم وصية نبيهم، وغفلتهم عن سد ثغورهم حتى اطل عدوهم الساعي لاطفاء نورهم يجوس خلال ديارهم ويستقريء بسائط قلاعهم.. ونحن في غفلة عما يجرى لاهلنا وجيراننا، مانسمع عندنا بمنتكث من مساجدنا او محفل من محافلنا منكر بهم او داع لهم فضلا عن نافر إليهم ساع لهم، كانهم ليسوا منا..]

قال: [وبربشتر هذه تناسختها قرون من عهد الفتوح الاسلامية بجزيرة الاندلس فرسخ فيها الايمان وتدورس القرآن. إلى ان طرق الناعي بها قرطبتنا فصك الأسماع واطار الافئدة وزلزل الاندلس قاطبة وظل شغلا للناس اياما في التحدث به والتصور لحدوث مثله، لم يفارقوا فيها عادتهم من استبعاد الوجل والاغترار بالامل...]

***

النص من اواخر ما قرات لابن حيان في النقول عنه في (تاريخه الكبير..) وهو يستدبر الحياة في الثمانين من عمره، فهل يختلف ما وقع للاندلس منذ رحيله في (سنة ٤٦٩ هـ) إلى القلعة المستاصلة (سنة ٨٩٧ هـ) عما وصف به وقعة بربشتر، وعلل وفسر، وحذر وأنذر؟

[لا الآخر بما انتهى إليه من الاول معتبر، ولا الغابر بما مر على الماضي مزدجر،

(حكمة بالغة فما تغن النذر.)

صدق الله العظيم.

قطاع خدمات المعلومات

١٩٩٢/١٢/٣

د. بنت الشاطىء

عام أسبانيا وعبرة الأيام:

حديث ذو شجون

عز علىّ وانا عاكفة فى (عام إسبانيا) على تدبر تاريخ الاندلس، التمس لقومى منه الدرس والعبرة، ان اقرا رسالة من مدريد نشرها الاهرام يوم الخميس الثانى عشر من نوفمبر الماضى، للزميلة «إيناس نور» فى الاحتفالات بعام أسبانيا، وفيها تسال: [لماذا الأندلس ٩٢؟] وتقول فى الاجابة عنه: [فى هذا العام يمر ٥٠٠ سنة على طرد العرب واليهود. وفى وقت سابق اقيم احتفال بالمعهد اليهودى بمدريد حضره الملك ورئيس إسرائيل، وجاء احتفال الأندلس ٩٢ فيما نظر إليه على انه محاولة من جانب أسبانيا للإقرار بفضل العرب وحضارتهم على البلاد بل وعلى اوروبا..]

وفى عبارة [طرد العرب واليهود] وهم جارح لوجدان امة تشجيها ذكرى الجلاء، لا يلطف من جرحه الكلام بعده عن إقرار بفضل العرب وحضارتهم، ولا يجبر وهم اقتران اليهود بالعرب فى هذا السياق، فما كان اليهود طرفا فى الصراع بين المسلمين الأندلسيين ونصارى الأسبان، ولا عرف التاريخ قط دولة او حضارة عربية يهودية، وإنما المعروف للكافة انها حضارة الاسلام القائدة الرائدة، تالق ضياؤها من منارات الأندلس على حافة بحر الظلمات فاضاءت للغرب الأوروبى ليل عصوره الوسطى وحدت مسراه إلى فجر نهضته الحديثة.

قضية حضارة الاسلام بالأندلس وما شاب فهمنا لها من أوهام، مما أدخره لشهادتى للعصر فى المقدور لى من أجل، إذا يسر الله وأعان.

*** وانظر اليوم فى مقولة طرد العرب من اسبانيا سنة ١٤٩٢م (٨٩٧هـ).

لم يكن العرب المسلمون فى كتائب الفتح شرذمة من الغجر سارحين فى الارض التماسا للقوت، ولا كانوا كاليهود فلولا مشردين فى التيه بغير وطن يحلمون بعودة إلى أرض الميعاد، أو كالأمريكان نفايات من شذاذ الآفاق لفظتهم المجتمعات الاوروبية فطراوا على امريكا واغتصبوها من أهلها الزنوج فى حرب ابادة عنصرية ساحقة وتطهير عرقى لم يفتر سعاره حتى الساعة.

بل كانوا حملة رسالة حضارية، لهم انسابهم المحفوظة وديارهم المعروفة فى الشرق العريق مهد الرسالات والحضارات، حملوا القرآن لواء ومنارا، فلم يمض القرن الأول للهجرة حتى كانوا قد رفعوه عاليا على اقطار دولة الاسلام الكبرى من اقصى الشرق الآسيوى إلى اقصى المغرب والأندلس.

وإذا كانت حركة الفتوح الكبرى قد بهرت التاريخ واعيا علماءه تفسيرها بغير منطقها الدينى الذى وضع عن الانسان مهانة العبودية لغير خالقه وحظر الاكراه فى الدين وصدق بالرسالات قبله، فان فتح أسبانيا لم يفرغ منه عجب. واذكر ههنا قول المستشرق الانجليزى الكبير «الاستاذ جب» فى مقدمة الفصل الأول من كتاب (وجهة الاسلام). إن طريقة انتشار الاسلام أسبغت عليه من عصر المبعث صفة الدين الغالب، ففى حين ان الاسلام ذاته لم ينتشر بالسيف، وجد الدعاة إليه فى ظل السيادة الاسلامية أكثر الظروف الملائمة لنشره، لكن عاقت انتشاره المتوقع عقبات أهمها مقاومة الممالك المسيحية الاوروبية، ولقد حدث انه منذ بدأ تشابك سيوف المسلمين والمسيحيين، أن ظل العالم المسيحى الاوروبى، لا المسيحية، عدو الاسلام الألد، خلافا لمسلك المسلمين حيال رعاياهم المسيحيين من تسامح وتصديق برسالة المسيح عليه السلام]

*** وإذ لا ابرىء نفسى - فيما يتعلق بالفتح الاسلامى لاسبانيا على وجه الخصوص - من انفعال يشجو [الحنين إلى مجد الاسلام باندلوسيا] اترك الحديث عنه للمؤرخ الفرنسى العلامة «الاستاذ جوستاف لوبون» فى الفصل الخاص بالعرب فى اسبانية، من كتابه الجليل عن حضارتنا، قال:

[ونرى قبل أن نقص خبر ذلك الفتح الاسلامى ان نوجز تاريخ اسبانية قبله، ففى ماضى الامم سر حوادثها الحاضرة، وبماضى إسبانية يفسر سبب السرعة فى فتح المسلمين لها: كان للفينيقيين والإغريق والقرطاجيين مستعمرات فى

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

١٩٩٢/١٢/٣

(٢)

إسبانية التي كان يسكنها السلت الغوليون ومن لا يعلم اصلهم جيدا من الإيبريين وغيرهم.. ثم فتح الرومان بلاد اسبانية قبل الميلاد بقرنين، وملكوها حتى القرن الخامس للميلاد، وازدهرت مدن فيها أيام حكمهم ووهبت لروما رجالا مشهورين مثل سينيك ومارسيال، وقياصرة مثل تراجان وادريان ومارك أوربل وتيودور. ثم كان لإسبانية نصيب من إدبار مجد روما، فقد انقض الوندال على اسبانية بعد أن خربوا بلاد الغول، ولم يلبث القوط - وهم من برابرة الشمال - أن استولوا على إسبانية في القرن السادس من الميلاد وظلوا سادة بها الى مجيء كتائب الفتح، وانتحلوا النصرانية التي كانت دين الدولة الرسمي بدلا من عبادة الأصنام، واتخذوا اللاتينية لغة لهم وحاولوا هضم الحضارة اللاتينية على قدر عقولهم.. وكان اختلاط القوط باللاتين قبل الفتح مقتصرا على علية القوم. وأما سكان البلاد الاصليون فمن الأرقاء الذين ليس لديهم شيء ليدافعوا عنه.. وكان الاشراف في صراع على عرش المملكة القوطية، يمزقونها باقتتالهم - وخلاصة القول: نزاع اجتماعي وفتن داخلية ، وفقدان الروح العسكرية وفتور من الاهالي المستعبدين عن الدفاع. تلك هي الحال التي كانت عليها مملكة القوط حين ظهور المسلمين. وكان من المنافسات الممزقة للدولة أن سهل «الأمير يوليان، ورئيس أساقفة اشبيلية» - وهما من عليه الاسبان - على الجيش الاسلامي فتح اسبانية.]

*** كان الجيش مؤلفا من اثنى عشر الف جندي، عشرة الاف منهم من مسلمة البربر، بقيادة طارق بن زياد البربري، من رجال القائد العربي موسى بن نصير» وقد عبر طارق بجنده المضيق إلى ساحل اسبانية وتقرر مصير مملكة القوط في المعركة الاولى للمسلمين. لم يستغرق الفتح سوى بضعة اشهر، وكان العرب قبله قد أمضوا خمسين سنة في فتح الشمال الافريقي البربري. وذلك ما جعل امير إفريقية لأموية دمشق «القائد موسى بن نصير» يعجب للنصر السريع خلافا لما توقعه من أن يلقى طارق في أوروبة النصرانية، ما لقيه موسى في البربر من الشجاعة والنخوة وحب الاستقلال، وما لاقاه من الشدائد في فتح افريقية البربرية.

وأراد موسى أن يشارك طارق بن زياد في مجد الفتح، فعبر البحر في اثنى عشر جنديا من العرب وستة آلاف من البربر

وأتم المسلمون فتح اسبانية في سرعة مدهشة، فقد سارعت المدن الكبرى الى فتح ابوابها للفاتحين، ودخلوا «قرطبة ومالقة وغرناطة وطليطلة» صلحا تقريبا. ووجدوا في طليطلة - عاصمة النصارى - تيجان خمسة وعشرين ملكا قوطيا. وأحسن العرب سياسة سكان اسبانية كما احسنوا سياسة اهل سورية ومصر: فتركوا لهم اموالهم وكنائسهم وقوانينهم ، وأقروا لهم بحق المقاضاة الى قضاة منهم ولم يفرضوا عليهم سوى جزية سنوية زهيدة نظير الخدمات العامة - رضيها الاسبان طائعين وخضعوا للفاتحين من غير مقاومة . ثم لم يدم القتال طويلا مع الاشراف الاقطاعيين ، فقد كسر الفاتحون كل مقاومة ، ودانت اسبانية للمسلمين في سنتين اثنتين ، حتى استرد النصارى الاسبان ماخسروه بعد جهاد ثمانية قرون ..

★★★هذا عن فتح الاندلس في رؤية المؤرخ العلامة «جوستاف لوبون» ثم صرح بانه لايجد حاجة الى تفصيل لما أعطاه تاريخ القرون الثمانية ، فأوجزه في فقرات قصار ليقول الكلمة الصادعة:

[دامت دولة العرب في اسبانية ثمانية قرون ، اى مايقرب من مدة سلطان الرومان ، وادى انقسامها الى زوالها اكثر مما أدت اليه الغارات الأجنبية ، فهم وان كانت عبقريتهم الثقافية من الطراز الاول فقد بدا نبوغهم السياسي ضعيفا.

★★★ فماذا عن نهايتهم بالجلاء الذى يلتبس بوهم (طرد العرب واليهود من اسبانية)؟

ذكر الاستاذ لوبون ماكان من استغاثة ملوك الطوائف بالمرابطين البربر في مراكش اواخر القرن الخامس للهجرة ، ثم انقباض ملوك الطوائف عنهم ، ثم عن الموحدين بعدهم ، لما رأوا من شدتهم وصرامتهم في القبض على زمام الأمور على حين كان الاسبان يوسعون من نطاق نفوذهم على حساب المسلمين ، ويحصنون ثغور ممالكهم في البرتغال وأرغونة وقشتالة] .

واختصر المؤرخ الفرنسي الطريق الى أواخر القرن الثالث عشر - التاسع للهجرة حيث [لم يبق للعرب سوى مملكة غرناطة فلما تزوج ملك ارغونة «فرديناند الكاثوليكي» ملكة قشتالة «ايزابيلا» حاصر في سنة ١٤٩٢م - ٨٩٧ هـ - غرناطة معقل الاسلام الأخير في اسبانية وفتحها ، واصبحت جميع أسبانية عدا البرتغال تابعة لعرش واحد] .

في ذلك اليوم الحزين من اواخر القرن الخامس عشر - الحادى والعشرين من المحرم سنة ٨٩٧ هـ وقع «أبو عبد الله محمد بن على بن نصر» آخر ملوك بني الاحمر بغرناطة وآخر ملوك الاسلام قاطبة بالأندلس ، وثيقة تسليم غرناطة الى ملكى ارغونة وقشتالة «فرديناند وايزابيلا» بعد حصار منهك ، على أن يتم تسليمها نهائيا بعد تسعة وثلاثين يوما ، في الثاني من شهر ربيع الاول سنة ٨٩٧ هـ .

....

«كتب «لوبون»:

[عاهد فرديناند المسلمين على تامين حرية دينهم ولغتهم ، ولكن بعد سبع سنين حل بالمسلمين دور الاضطهاد والتعذيب الذى بدأ بتعميدهم كرها : ثم أمرت محاكم التفتيش بحرق المعمدين منهم لتطهيرهم بالنار . وكان من المتعذر حرق الملايين منهم دفعة واحدة فنصح كردينال طليطلة التقي - وكان رئيس محاكم التفتيش - بقطع رءوس جميع من لم يتنصر من المسلمين ، رجالا ونساء ، شيوخا وأطفالا . لكن الراهب الدومينيكي «بيلدا» لم ير في ذلك الكفاية ، وأشار بضرب رءوس

(٣)

من تنصر من المسلمين ومن بقي على دينه منهم ، محتجا بانه من

المستحيل معرفة صدق ايمان من تنصر فمن المستحب اذن قتلهم جميعا بحد السيف لكى يحكم الرب بينهم فيدخل النار من لم يكن صادق النصرانية منهم ... لكن الحكومة الاسبانية رات أن قتلهم جميعا صعب التنفيذ وأمرت فى (سنة ١٦١٠) باجلاء المسلمين عن أسبانية. وطاردهم جنود محاكم التفتيش في البر والبحر. فقتل اكثرهم ، وأبدى الراهب البارع «بيلدا» ارتياحه لذلك ، وهو الذي قتل مائة الف مهاجر من قافلة مؤلفة من مائة واربعين الف مهاجر مسلم ، في طريق هجرتهم الى المغرب وافريقية . ويقدر كثير من العلماء ، ومنهم سيديو ، عدد المسلمين الذين خسرتهم اسبانية منذ ان فتح فردينانغرناطة حتى اجلائهم الاخير بثلاثة ملايين كانت لهم الامامة الثقافية والصناعية والمدنية فكان من اثر ذلك الحرمان ، أن هبطت اسبانية الى اسفل درجات الانحطاط بعد أن بلغت قمة المجد . وكانت قبلهم ذات رخاء قليل وثقافة لا تلائم غير الاجلاف القوط، ولم يكد المسلمون يتمون فتح اسبانية حتى بدأوا يقدمون رسالة الحضارة فيها..... وكذلك كان صنيعهم في كل بلد خفقت فوقه راية الرسول] صلى الله عليه وسلم.

وتحدث بحمية مؤثرة عن حضارة الاسلام فى دولته الكبرى ، ثم خص اسبانية بهذه الخاتمة :

[استطاع المسلمون أن يحولوا اسبانية ماديا وثقافيا في بضعة قرون ، وأن يجعلوها على راس جميع الممالك الاوروبية . ولم يقتصروا علي ذلك ، بل اثروا فى أخلاق الناس أيضا ، فهم الذين علموا الشعوب النصرانية ، وان شئت فقل : حاولوا ان يعلموها ، التسامح الذى هو أثمن ماتصبو اليه الانسانية ، وبلغ حلم عرب اسبانية نحو النصارى مبلغا كانوا يسمحون به لأساقفتهم ان يعقدوا مؤتمراتهم الدينية ، كمؤتمر أشبيليه النصرانى الذى عقد فى سنة ٧٨٢ م ، ومؤتمر قرطبة النصراني الذي عقد فى سنة ٨٥٢ م وتعد كنائس النصارى التى بنوها ايام الحكم العربى من الشواهد على احترام المسلمين لمعتقدات الامم التى فتحوها . وقد أسلم كثير من النصارى ، وهم الذين استعربوا فغدوا هم واليهود مساوين للمسلمين قادرين على تقلد مناصب الدولة ، فكانت أسبانية العربية البلد الاوروبى الوحيد الذى تمتع اليهود فيه بحماية الدولة ورعايتها ... وكان عرب اسبانية خلال تسامحهم العظيم يتصفون بالفروسية المثالية: فيرحمون الضعفاء ويرفقون بالمغلوبين ويقفون عند شروطهم .. وما الى ذلك من الخلال التى اقتبستها الامم النصرانية باوروبة منهم مؤخرا ..]

●●●

قلت: النص للاستاذ جوستاف لوبون ، فى الطبعة الثانية من كتابه (حضارة العرب) ترجمة الاستاذ عادل زعيتر. فهل يبلغ ماأوجزه عن فظائع محاكم التفتيش فى العصور الوسطى، بعض مايجرى فى عالم اليوم لشعب البوسنة والهرسك من فظائع التطهير العرقى والاضطهاد الدينى ؟

تحية للمؤرخ الفرنسى فى صدق لهجته وشهادته ، ونزاهة فكره وقلمه.

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

١٩٩٢/١٢/١٠

شاهدة عصر (٣١)

د. بنت الشاطئ

عام أسبانيا وعبرة الأيام:

دولة المرابطين.. ونهاية ملوك الطوائف

● لم يكن عجبا، فى غيبة الوعى بتاريخنا، ان غلب على الفهم العام الوهم بان ملوك الطوائف لبثوا فى ممالكهم منذ نهاية دولة الخلافة الإسلامية الاموية، إلى الجلاء عن «غرناطة» اخر معاقل المسلمين بالأندلس (٤٢٢ - ٨٩٧ هـ) أى ضعف المدة التى سلمت لدولة الخلافة الجامعة، وذلك مايأباه منطق الأحداث والسنن الثابتة لحياة الدول والجماعات .

ولاكان عجبا كذلك، فى زمان سجل العار بحرب التطهير العرقى والإبادة الجماعية لشعب البوسنة والهرسك، أن نتصور أن ملوك الطوائف تركوا لأنفسهم ولمصيرهم البائس، لم يتحرك لهم جار ولااهتم بهم شعب مسلم، مثلما تركنا شعب البوسنة والهرسك، لم نسعفهم باكثر من برقيات التأييد، والتواصى بالاحتجاج على ضراوة الوحشية الصربية، والتوسل إلى الأمم المتحدة لتامين وصول شحنات من معونة إنسانية لاندرى بيقين لمن نرجو إسعافهم بها بعد إبادة البوسنيين وتشرد بقاياهم «الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق إلا ان يقولوا ربنا الله..»

●والقياس مع الفارق البعيد..

ذلك ومثله مما يغلب على وهمنا فى غيبة الوعى بتاريخنا غير عجيب، ولاهو بمستغرب فى زمن الثقافة الإذاعية الضحلة، تقدم للمستمعين والمشاهدين الكرام فى عشر دقائق، درسا عن قبيلة من المرابطين اجتاحوا الاندلس فقهروا الفرنجة، وعن قائد بربرى كسر جيوش الاسبان فى وقعة فاصلة لم تقم لهم بعدها قائمة..

وكان أولئك المرابطين قبيلة من الأجلاف طراوا على الأندلس من حيث لم يحتسب ملوك الطوائف، فكسروا لهم عدوهم المتربص بهم، وعادت الحياة بهؤلاء وأولئك سيرتها الأولى!

***

ربما يكون الخطا يسيرا لو آن كتبنا المدرسية للتاريخ، لم تقدم تاريخ الأندلس بمعزل عن تاريخ المغرب الذى ظهر على مسرح الاحداث من يوم الفتح الإسلامى بعبور «طارق بن زياد البربرى» المضيق من المغرب، فى عشرة آلاف من جنده البربر المغاربة، معهم ألفان من الجند المشارقة، ثم لم يغب المغرب لحظة قط عن مسرح الأحداث فى (الجبهة المغربية الاندلسية) الموحدة، إلى جلاء المسلمين عن غرناطة فى سنة ٨٩٧ هـ وما بعدها، فى هجرة تاريخية للإسلام إلى المغرب، دينا ولغة ودولة وعلما وحضارة وتراثا.

من أجل هذا لاأجد حرجا فى أن أشق على قرائى الكرام بما أقدر حاجتهم إليه من فكرة موجزة عن تاريخ أمتهم فى جبهتها المغربية الاندلسية القصوى..

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

١٩٩٢/١٢/١٠

(الفتنة الشنعاء) التى أعقبت سقوط دولة الحاجب المنصور بن أبى عامر سنة ٦٩٩ هـ بمقتل ثانى ولديه «المأمون بن المنصور العامرى» عن فراغ رهيب فى مركز السلطة، إذ كان الخليفة الشرعى الصبى «المؤيد هشام بن الحكم بن الناصر» قد حجبه العامريون عن الملك وألزموه المقام فى جناح الحريم، لصغر سنه. فحدث أن عهد المؤيد هشام بولاية عهده إلى «على بن حمود الإدريسى المغربى» [لما رآه هشام من اضطراب أمره ومامنى به قديما وحديثا من تمالؤ بنى عمه، آل عبدالرحمن الناصر، عليه وقيامهم واحدا بعد الآخر فى خلعه] فعبر «على بن حمود» من المغرب إلى الأندلس، وخاض فى الفتن الهوج التى عصفت بدولة بنى أمية سنة ٤٢٢ هـ [بعد نزاع بينهم شديد وقتال منهم عصيب مديد] وحاول الحموديون ان يخلفوها، لكن رؤساء الأندلس مالبثوا ان اقتسموا عواصم المملكة، وصارت الحال إلى ما قال «لسان الدين ابن الخطيب»

« حتى إذا سِلْك الخلافة انتثر ، وذهب العين جميعا والاثرْ ، وصاح فوق قام بكل بقعة مليكُ ، وصاح فوق كل غصن ديكُ »

منَ ثم يبدأ (خبر الغزوة الكبرى بالاندلس) فى كتاب (الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى: لمؤرخ المغرب العلامة، الشيخ أبى العباس الناصرى) قال: [فوجد العدو السبيل إلى الاستيلاء على ثغور المسلمين وانتهاز الفرصة فيها بالضرب بين ملوكها وإغراء بعضهم ببعض. وذكر أسماء كبارهم. ثم قال: وكلهم يدارى الطاغية ويتقيه بالجزية، إلى ان كان من أمر الأذفونش ماكان من تخريب بلادهم واستيلائه على «طليطلة» بعد حصاره إياها سبع سنين، ثم حصاره «سرقسطة» فلما رأى رؤساء الأندلس مانزل بهم، اجمع رأيهم على إجازة «يوسف بن تاشفين» فكاتبه أهل الأندلس كافة، من الخاصة والعلماء، يستصرخونه فى تنفيس العدو عن مخنقهم، ويكونون مع «يوسف بن تاشفين» يدا واحدة عليه..]

ووطأ «الناصرى» لهذا الخبر بتاريخ (الدولة المرابطية الصنهاجية اللمتونية وأوليتها) وفيها نسب أمير المسلمين «يوسف بن تاشفين البربرى الصنهاجى اللمتونى». وصنهاجة أعظم قبائل البربر بالمغرب، كان دينهم الوثنية حتى اسلموا بعد الفتح، وكانت الرياسة فيهم لقبيلة لمتونة التى استوسق لها ملك ضخم عند دخول «عبدالرحمن - بن معاوية بن هشام المروانى - الداخل (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ)». واقترن ظهور المرابطين بظهور ملوك الطوائف فى الأندلس: ففى سنة ٤٢٧ هـ كان على صنهاجة «الأمير يحيى بن إبراهيم اللمتونى» خير تلاميذ «الفقيه عبدالله بن ياسين الجزولى» إمام المرابطين. اجتمع له فى رباطه ألف من سابقة المرابطين.. وبأمره آلت الرياسة على قبائل صنهاجة إلى «أبى زكريا يحيى بن عمر اللمتونى» وكان من أهل الصلاح والدين والتقوى، عزم على الخروج إلى الأقاليم الصحراوية مجاهدا، وقد عظم عليه أن يقتل المسلمون بعضهم بعضا وهو قادر على كفهم، وقبل خروجه إلى الصحراء فى ذى القعدة سنة ٤٥٣ هـ. استقدم ابن عمه «يوسف بن تاشفين» وكان امره قد عظم بالمغرب، فقال له: (انى وليتك هذا الأمر وإنى مسئول عنه، فاتق الله فى المسلمين واعتقنى واعتق نفسك من النار، ولاتضيع من أمور رعيتك شيئا فإنك مسئول عنه. والله يصلحك ويوفقك للعمل الصالح والعدل فى رعيتك، وهو خليفتى عليك وعليهم.) ثم ودعه وانصرف إلى الأقاليم الصحراوية فاقام بها مواظبا على الجهاد فى السودان، حتى استشهد بعد ان استتب له الأمر وعلى يديه تمت الفتوح فى السودان ودخلوا فى الإسلام كافة. ومات فيه مجاهدا سنة ٤٤٥ هـ فولى «عبدالله بن ياسين» اخاه «أبا بكر بن عمر» وندب المرابطين فدخلوا بلاد السوس والمصامدة. وكان الامير أبوبكر صالحا ورعا، جعل على مقدمة جيشه ابن عمه «يوسف بن تاشفين» فاخضع قبائل المغرب وعظم أمره ورسخت هيبته، وفى سنة ٤٥٤ هـ اشترى موضع مدينة مراكش، وبدأ ببناء مسجده فكان يحتزم ويعمل فى البناء بيده مع الخدمة، تواضعا لله تعالى، ثم بنى مدينة مراكش قاعدة له

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات
١٩٩٢/١٢/١٠

ولجيوشه. وجند الاجناد واصطفى القواد، وجاهد وفتح، فكمل له فى ذلك العام - ٤٥٤ هـ - مائة الف فارس من قبائل صنهاجة وجزولة والمصامدة وزناتة، جال بهم فى بلاد المغرب ونازل من بها من القبائل فى الاحواز والمدن والقلاع، فما جاءت سنة ٤٦٤ هـ حتى كان قد اغلب على سائر قبائل البربر فبايعوه وصفا له ملك المغرب سوى «سبتة وطنجة» فتولى فتحهما ابنه «المعز بن يوسف» وسار يوسف إلى فاس فاستدعى امراء المغرب واشياخ القبائل فقدموا عليه وبايعوه، ثم خرج فطاف على اعمال المغرب وتفقد احوال الرعية والنظر فى سيرة ولاته وعماله فيها ثم سار إلى سبتة، ومنها كان العبور إلى الاندلس.

***

فى رواية ابن خلدون، ان «المعتمد بن عباد، صاحب اشبيلية» وافى يوسف بن تاشفين بسبتة، [لاستنفاره إلى الجهاد، فاخبره بحال الأندلس وماهى عليه من الضعف وشدة الخوف والاضطراب، ومايلقاه المسلمون من عدوهم من القتل والاسر والحصار كل يوم، ونزل «المعتمد» ليوسف عن الجزيرة الخضراء باب الاندلس لتكون رباطا لجهاده، فعبر إليها فى موكب عظيم من قواد المرابطين وأنجادهم وصلحائهم.. فلما ركب سفينته رفع يديه وابتهل ضارعا: (اللهم ان كنت تعلم ان فى جوازنا هذا صلاحا للمسلمين فسهل علينا هذا البحر. وان كان غير ذلك فصعبه حتى لانعبره).

وسهل الله عليهم البحر فعبروه فى أسرع وقت، يوم الجمعة عند الزوال، من منتصف شهر ربيع الأول سنة ٤٧٩ هـ ونزل بالخضراء فصلى بهم الظهر، وفتحت الجزيرة لجنده أبوابها وقلوبها ينزلون حيث شاءوا، واتصل الخبر بالاذفونش وهو محاصر لسرقسطة فارتحل عنها، واستنفر كبار ملوك النصرانية فاجتمع له منهم مايفوق الحصر].

وفى رواية عند ابن الاثير وابن خلكان، [ان ملوك الطوائف كرهوا إلمام يوسف بن تاشفين بجزيرتهم وأعدوا له العدة، ثم استهولوا جمعه واستصعبوا مدافعته، وكرهوا ان يصبحوا بين الفرنج عن شمالهم والمرابطين عن جنوبهم، وكانت الفرنج قد اشتدت وطاتهم عليهم، وربما يقع بينهم صلح على شئ معلوم ياخذونه كل سنة من المسلمين، والفرنج مع ذلك ترهب جانب ملك المسلمين.. فوقع اتفاق ملوك الطوائف على مكاتبته يسالونه الإعراض عنهم، وانهم تحت طاعته].

***

قرب نهر «بطليوس» كانت الملحمة التاريخية الكبرى بين الفرنجة والمسلمين، وقد نزل المسلمون بموضع الزلاقة والفرنجة قرب النهر حاجزا بينهما يشرب منه هؤلاء، وهؤلاء وضجت الساحة بدعاء الصالحين من هؤلاء وهؤلاء وطالت المجاهدة والمصابرة حتى تم النصر للمسلمين وقت الزوال يوم الجمعة منتصف شهر رجب سنة ٤٧٦ هـ، ولبث الجند أياما أربعة يجمعون ما على ساحة القتال من غنائم «الزلاقة» عف عنها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وآثر بها ملوك الطوائف، واقام بظاهر أشبيلية حيث جاءه نعى ولده ابى بكر، وكان قد تركه مريضا بسبتة.

***

ذلك قد كان الجواز الاول لامير المسلمين «يوسف بن تاشفين البربرى الصنهاجي اللمتونى» من المغرب إلى الاندلس، سنة ٤٧٦ هـ.

الجواز الثانى، كان فى سنة ٤٨١ هـ

استنفره إليه «المعتمد بن عباد» وكان الأدفونش قد ألح عليه بالعدوان

الأهرام
قطاع الشئون والتنظيم والمعلومات
قطاع مركز المعلومات

١٩٩٢/١٢/١٠

والحصار المنهك، دون سائر أمراء الاندلس، لكونه الذى بادر باستصراخ أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وسار يوسف إلى الجزيرة الخضراء وقد سبقه إليها ابن عباد بالميرة والضيافات. ومن هناك كتب يوسف إلى إمراء الاندلس يدعوهم إلى الجهاد وواعدهم اللقاء عند (حصن لبيط) باشبيلية، فلم يجبه منهم سوى «ابن عبدالعزيز صاحب مرسية»، وأقام ابن تاشفين على حصار الحصن أربعة أشهر لم ينقطع فيها القتال. وجاء الأذفونش فى أمم لاتحصى فانحرف له يوسف عنه إلى لورقه، ثم إلى المرية، ثم جاز إلى العدوة وقد تغير على أمراء الأندلس لقعودهم عن الجهاد معه.

***

الجواز الثالث لامير المسلمين كان برسم الجهاد. نزل بجنده على طليطلة وحاصر الأذفونش وشن الغارات باطرافها حتى اكتسحها، ولم ياته من أمراء الاندلس احد. وعمد إلى غرناطة فنازلها وكان عليها «عبدالله بن بلكين بن باديس»، وقد صالح الأذفونش وظاهره على أمير المسلمين واغلق ابوابها دونه،،فحاصره نحوا من شهرين فطلب الامان فامنه هو واخاه تميم بن بلكين صاحب مالقة، وبعث بهما، مع أهلهما، إلى مراكش وأجرى عليهما رزقهما حتى ماتا هناك. عندئذ خاف «المعتمد بن عباد». ويقال انه طمع فى ان يضم إليه ابن تاشفين غرناطة فاعرض عنه وتغير عليه. وعبر تاشفين إلى العدوة سنة ٤٨٣هـ. ومن مراكش ولى قائده «سير بن ابى بكر اللمتونى» على الاندلس وفوض إليه جميع أمورها، ولم يامره فى ابن عباد بشئ. وسار أمير الاندلس «سير بن أبى بكر» إلى اشبيلية وفي حسابه أن يلقاه صاحبها ابن عباد ويحمل إليه الميرة على العادة، فلم يفعل ابن عباد وتحصن منه وامتنع عن الدخول فى طاعته، فحاصره قائد المرابطين وسار إلى قرمونة فدخلها عنوة فاشتد الامر على المعتمد بن عباد فبعث إلى الاذفونش يستغيث به على المرابطين ويعده بإعطاء البلاد وبذل الطارف والتلاد، فاسعفه بجيش كبير التقى بجيش المرابطين بالقرب من (حصن المدور) فانهزم الفرنجة لم يفلت منهم إلا قليل، يوم الاحد الثانى والعشرين من رجب سنة ٤٨٤ هـ. ثم سار إلى اشبيلية وشد عليها الحصار حتى اسر ابن عباد وجئ به إلى الحضرة بمراكش، ومنها نفى إلى «اغمات» سنة ٤٨٨ هـ.

وتوافق أمراء الطوائف. وكان امير المسلمين قد استجاب لضراعتهم فابقاهم ولاة له على نواحيهم. على قطع الميرة عن عساكره ، فاستفتى فيهم الفقهاء وأهل الشورى فجاءته فتاواهم من المشرق والمغرب بخلعهم..

***

قال مؤرخوه: [وانتظمت بلاد الاندلس لامير المسلمين يوسف بن تاشفين، وانقرض ملك الطوائف فيها أجمع كان لم يكن، بعد ان طال صبره عليهم.. وكان - رضى الله عنه - حازما ضابطا لمصالح الدولة مؤثرا لاهل العلم والدين حريصا على الجماعة، يخطب للخلفاء من بنى العباس ببغداد. ولم يزل على جاهه وعزه وسلطانه إلى ان توفي يوم الاثنين لثلاث خلون من المحرم سنة ٥٠٠ هـ، وكانت مدة قيادته وحكمه خمسين عاما طيبة المدخل والمخرج.

(ولله عاقبة الامور)

صدق الله العظيم.

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٧ / ١٢ / ١٩٩٢

شيء من الفكر (٣٢)

د. بنت الشاطىء

عام اسبانيا وعبرة الأيام

ميراث دولة المرابطين، وقيام الموحدين

● يساورنى الضيق احيانا من ان اكون فيما اكتبه فى (عام اسبانيا وعبرة الأيام) مظنة الغيبوبة عما يجرى فى زماننا من ويلات معركة يحتشد لها العالم الجديد تجاه تحدى الاسلام.

لولا كلمة طيبة تاتينى بين حين وآخر من قارىء كريم يقدر مثلى ان تاريخنا كله (موضوعه الانسان والزمان) وأن ما اعلنه العالم الجديد عما يواجهه من تحدى الاسلام، إيذان صريح بما اعقبه على الساحة الإسلامية من (بدايات هى بالضرورة عنوان النهايات.)

ولما أعلمه من غيبة الوعى بتاريخنا ، أتابع النظر فى (عام اسبانيا) من حيث وصل بنا الحديث يوم الخميس الماضى عن (دولة المرابطين) عند وفاة « امير المسلمين يوسف بن تاشفين » بطل معركة (الزلاقة) التاريخية أول مشاهده بالأندلس ثم لم يزل بعدها يتابع الجهاد حتى استوثق له الامر فى الأندلس مع المغربين الاقصى والاوسط [وانقرض ملك الطوائف كله كأن لم يكن] بلفظ المؤرخ المغربى أبى العباس الناصرى. ●

وأمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، توفى بمراكش سنة خمسمائة للهجرة، اعز ما يكون جاها وهيبة، وبين وفاته وجلاء المسلمين عن غرناطة واسبانيا سنة ٨٩٧ هـ ، اربعة قرون إلا ثلاث سنوات بالتحديد، فما الذى جرى بعده لدولة المرابطين التى تركها فى ظل اللواء الجامع للجبهة المغربية الاندلسية الموحدة، ليس فيها هناك أو هنالك من المدائن والثغور سوى ولاة لامير المسلمين فى مراكش، قاعدة دولته العظمى ، وبلغ من تواضعه وحرصه على شعار الجماعة ان خطب فى ممالكه لامير المؤمنين الخليفة العباسى ببغداد ؟

فى النصف الاول من القرن الثامن للهجرة، استخلص مؤرخ الاسلام « الحافظ ابو عبدالله الذهبى » (العبر) من تاريخ الاسلام الكبير فكتب فى حوليات العبر لسنة خمسمائة للهجرة ، ومن توفى من أعلام المسلمين فيها :

[يوسف بن تاشفين امير المسلمين سلطان المغرب ، ابو يعقوب . الصنهاجى . اللمتونى البربرى الملثم . توفى ثالث المحرم ... وكان اكبر ملوك الدنيا فى عصره ، بطلا شجاعا، عادلا خشن العيش كقومه البربر . اختط « مراكش » دارا للامارة ، وكثرت جيوشه وبعد صيته وتملك الأندلس ودانت له الامم . وفى آخر أيامه بعث رسولا إلى العراق يطلب عهدا من المستظهر بالله العباسى فبعث له بالخلع والتقليد واللواء، وأقيمت الخطبة العباسية بممالكه . وعهد من بعده إلى ابنه « على » الذى خرج عليه « ابن تومرت »]

وبين الذهبى ويوسف بن تاشفين قرابة قرنين ونصف قرن ، ارجع فيها البصر فى تاريخ المغرب والأندلس لأرى ماذا صنعت الأيام والليالى بدولة المرابطين الكبرى وسلطانها امير المسلمين ؟

فأكاد لا أملك نفسى من أسى وحسرة إذ يرتد البصر إلى حسيرا بالجواب : لم تمهل النوازل بعده دولته الكبرى لتستكمل نصف قرن ، ولا حفظت أمير المسلمين فى ولده « على » وحفيده « تاشفين بن على » وكانا على عهده ووعده ما استطاعا، مرجوين للأمة فى جبهتها المغربية الأندلسية القصوى ، فى فترة صعبة حرجة من تاريخها.

وغير مستغرب من عبرة الأيام، أن دولته لم تهدمها معاول الفرنجة ، ولا أصابت ولده وحفيده طعنة من عدو. بل كان القضاء عليهما وعليها فى ديارهم بالمغرب، بأيدى مغاربة من البربر، شيعة « ابن تومرت » المشار إليه فيما نقلت آنفا من (العبر، للحافظ الذهبى)

فلنتابع الأحداث.

★★★

يستهل مؤرخو المغرب عهد أمير المسلمين «علي بن يوسف بن تاشفين» بهذه الفقرة :

[لما توفى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين رضى الله عنه فى أوائل المحرم سنة خمسمائة تمت البيعة بمراكش لابنه أبى الحسن علي، بعهد من أبيه.. وملك من البلاد مالم يملكه أبوه ، لانه صادف البلاد ساكنة والأموال وافرة والرعايا امنة بانقطاع الثوار واجتماع الكلمة. وسلك طريق ابيه فى جميع اموره، واهتدي بهديه] عفة وورعا وتقوى وحزما.

وأمضى سنتين فى ترتيب أمور دولته، ثم عبر بجيوشه من سبتة، فى جوازه الأول إلى الأندلس ، فى منتصف المحرم من سنة ثلاث وخمسمائة، ففتح سبعة وعشرين حصنا من اعمال طليطلة ، وفتح مجريط- مدريد - ووادى الحجارة ، وعهد إلى أمرائه فى الجهاد وضبط الثغور، ثم عاد إلى مراكش .

وكانت « سرقسطة » حتى سنة ٥١٢ هـ فى أيدى بنى هود ، من ملوك الطوائف الذين من عليهم يوسف بن تاشفين وإستبقاهم ولاة له وعجز بنو هود عن حماية سرقسطة فاستولى عليها الفرنجة بعد حصار منهك لم تدركها فيه النجدة من كتائب المسلمين . وتابع الفرنجة فى سنة ٥١٣ هـ الضغط على بلاد شرقى الأندلس حتى سقطت « قلعة ايوب » وكانت امتع قلاعها . وقدم أمير المسلمين فضبط الثغور وفتح « شنتمرية » ثم رجع إلى المغرب ، وفى سنة ٥٢٠ هـ ولى ابنه الأمير تاشفين أمر الأندلس ، فانتصر على الفرنجة فى موقعة (فحص الضباب) وفتح ثلاثين حصنا، ومدينة (اشكونية) سنة ٥٣٢هـ ، ثم رحل إلى مراكش ليكون مع ابيه امير المسلمين ، فى مدافعة الموحدين شيعة ابن تومرت : محمد بن عبدالله البربرى المصمودى.

موجز المعروف من سيرته، يبدأ برحلة طويلة إلى المشرق فى طلب العلم، عاد منها شهابا ثاقبا حديد البصر، له باع فى الفقه والجدل وعلم الكلام ، ذكيا بارعا فى الدعوة إلى مذهب له فى التوحيد، وتاويل المتشابه. فلم يزل ينتقل بدعوته من بلد إلى بلد، بالمشرق والمغرب ، وهو يطارد من فقهاء أهل السنة حيثما نزل، حتى استقر فى بلدته تينمل بين عشيرته المصامدة، ومن كانوا يحضرون مجلسه . وسبق أن مر بمراكش قبل استفحال امره، فحذر فقهاؤها أمير المسلمين على بن يوسف من فتنته ونصحوا له بحسمها، لكنه تردد فى أمره واستراح إلى خروجه من مراكش ، يظن أن قضيته انتهت ، فكان وإياه كما قال « المراكشى فى المعجب » :

[اغفل المرابطون عقله وربطه، حتى دب إليهم دبيب القلق فى الغسق ، وترك فى الدنيا دويا.]

استفحل أمر ابن تومرت ، فى حياته، وادعى فى أصحابه أنه المهدى المنتظر ، ورتبهم ترتيبا غريبا، فمنهم أهل الجماعة العشرة أصحاب التفاوض والمشورة، وأهل الدار للخدمة ، والساقة للمباهاة ، وأهل خمسين وسبعين والحفاظ والطلبة لحمل العلم والتلقى وسائر القبائل لمدافعة العدو. وفى مقدمتهم جميعا « عبدالمؤمن بن على الكومى » خالصته من صحبه وموضع سره وخليفته من بعده، مؤسس دولة الموحدين شيعة ابن تومرت وحملة مذهبه فى التوحيد والكلام وتاويل المتشابه .

وقد غزا ابن تومرت ثمانى غزوات فى ارجاء المغرب، فى الاخيرة منها كانت (وقعة البحيرة) باجواز مراكش سنة ٥٢٤ هـ ، بقيادة الرشيد « أبى محمد الونشريسى » من الاصحاب العشرة ، وقد بدا للرشيد قبل المعركة أن يمتحن الموحدين تمحيصا لايمانهم بالمهدى، فاجرى عملية (تمييز) قتل فيها الوفا منهم ، شكا فى صدق إيمانهم .وقصد إلى مراكش بجيش اجتاز (محنة التمييز) فلقيهم المرابطون عند البحيرة وانزلوا بهم هزيمة ساحقة، قتل فيها البشير القائد وصفوة من أصحاب ابن تومرت، وقد كسرته الهزيمة ومرض بعدها وفي نفسه هاجس من تردد أتباعه فى دعوته. وبدا له فدعا عددا مختارا منهم واسر إليهم بان يدفنهم احياء فى ساحة الموقعة ويزود كلا منهم بمتنفس فى قبره، ولقنهم أن يقولوا إذا سئلوا عن حالهم : قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا، وأن ما دعا إليه الامام المهدى المعصوم هو الحق ! »

وجازت الحيلة على أغرار منهم ، وفتن بها من فتن. ومات المهدى بعد ايام ، فى شهر رمضان من سنة ٥٢٤ هـ

واستفحل امر شيعته الموحدين فى عهد خليفته « عبدالمؤمن بن علىّ » وقد خرج بجيشهم من تينمل يريد فتح المغرب، فى اواخر ايام « أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين » وكان ابنه الأمير « تاشفين » بالاندلس ، فاستقدمه لمدافعة أصحاب ابن تومرت

كان مسير عبدالمؤمن على طريق الجبال، والامير تاشفين بن على يسير معارضا له على طريق السهل، واقاموا على ذلك مدة توفى خلالها امير المسلمين على بن يوسف فى شهر رجب سنة ٥٣٧ هـ ، وبويع ابنه تاشفين بعهد منه، وهو فى الحرب .ومضى بعد البيعة يدافع عبدالمؤمن حتى التقى الجمعان فى وهران ، فانقض الموحدون على جموع المرابطين بها، ولجأ الامير تاشفين إلى ربوة هناك فاحدقوا بها واضرموا النيران حولها حتى إذا غشيهم الليل خرج الامير تاشفين من الحصن راكبا فرسه ، فاهوى من شاهق، ومات رحمه الله فى ليلة مظلمة ممطرة، فى السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة ٥٣٩ هـ ووجدوه من الغد صريعا فاحتزوا راسه وحمل إلى « تينمل » فعلق على شجرة هناك ، بعد ملازمته قتال عبدالمؤمن فى البيداء . لم ياو إلى ظل قط من يوم البيعة له إلى ان مات بعدها بسنتين وشهر ونصف شهر..

واندفع الموحدون إلى فاس، فحاصروها واستولوا عليها، ومنها قصدوا إلى مراكش فاقاموا على حصارها تسعة اشهر أنهكت أهلها ، فبرزوا إلى العدو لمدافعته ، فانهزموا، واثخن فيهم الموحدون قتلا واكتسحوا اموالهم

وقامت دولة الموحدين ....

فوالله ما أدرى ماذا اقول عنها، وقد اجهدنى النظر فيها فاراها مبهمة الدروب معقدة المسالك غامضة المرامى والغايات.

لم يكن خروجهم على دولة المرابطين لرأب صدع فيها وتقويم عوج فى ملوكها، وقد شهد لهم المؤرخون بأنهم [أهل ديانة وصدق ونية خالصة وصحة مذهب ، ملكوا المغربين والأندلس والسودان، وخطب لهم على اكثر من الف منبر، وكانت ايامهم أيام دعة ورخاء وعافية وأمن، لم يكن فى عمل من اعمالهم مكس ولا خراج ولا جباية حاشا الزكاة والعشر. وكثرت الخيرات وعمروا البلاد، ولم يكن فى أيامهم نفاق ولا قطاع طرق فاحبهم الناس. إلى أن خرج عليهم ابن تومرت سنة ٥١٠ هـ وادعى أنه المهدى المعصوم، والمغرب كله اهل سنة مالكية المذهب، والملك فى بيت يوسف بن تاشفين المجمع على ورعه وتقواه وتقشفه، لم يلبس قط غير الصوف ، ولا اكل سوى الشعير ولحوم الابل والبانها ، على ما منحه الله من سعة الملك وخوله من نعمة الدنيا.. وقد رد احكام البلاد إلى القضاة ، وكان محبا لأهل العلم والفضل مكرما لهم، متواضعا جم الحياء ..]

ولم يكن « عبدالمؤمن بن على مؤسس دولة الموحدين ندا لعلى بن يوسف بن تاشفين فى مكانته من قومه وهو - اى عبدالمؤمن - ينتمى إلى قبيلة «كومية » من البربر البتر فى الجزائر، خرج من قريته « تاجرا » بقصد الرحلة فى طلب العلم، لكنه التقى على غير موعد بابن تومرت الذى تفرس فيه النجابة وعنفوان الطموح ، فصرفه عن الرحلة واستبقاه إلى جانبه فلم يزل معه فى حله وترحاله. وخلفه بعد موته عقب كسرة البحيرة فى أصحابه وجيشه ومذهبه، بويع اولا سرا من خاصة الأصحاب ، خشية أن تنكره المصامدة لانه ليس منهم . ثم تمت له البيعة الكبرى بجامع تينمل بعد صلاة الجمعة، لعشرين يوما مضت من ربيع الاول سنة ٥٢٦ هـ وظل مع ذلك يشعر بالغربة فيهم ، حتى بعد أن ظهر أمره وعلا قدره واشتهر ذكره وسيطر على المغربين ، ولقب بامير المؤمنين. ففى حوليات سنة ٥٥٧ هـ من الاستقصا لأبى العباس الناصرى، أن امير المؤمنين فى أواخر ايامه . [بعث إلى اشياخ قبيلته كومية يامرهم بالقدوم عليه ومعهم كل من بلغ الحلم من القبيلة، فى أحسن زى وأكمل عدة ، وسرب اليهم الأموال والكسوة، فاجتمع منهم اربعون الفا برسم الخدمة، فلما بلغوا احواز مراكش تشوش أهلها من قدوم ذلك الجيش الحفيل من غير سبب ظاهر ، فنزلوا بوادى ام الربيع وجاءهم من قبل السلطان من يسألهم : ما أنتم ؟ أسلم لنا أم حرب ؟ قالوا : بل نحن سلم، نحن كومية قبيل أمير المؤمنين ، قصدنا زيارته والسلام عليه، وبلغ عبدالمؤمن الخبر فامر جميع الموحدين أن يخرجوا إلى لقائهم والاحتفال بهم، فكان يوما مشهودا. ورتبهم أمير المؤمنين فى الطبقة الثانية من اهل الديوان، وجعلهم بطانته : ويركبون خلفه ويمشون بين يديه إذا خرج، ويقومون على راسه إذا جلس، فاعتضد بهم هو وبنوه طوال دولتهم]

....

قلت : مرض عبدالمؤمن عاهل الموحدين وهو يحتشد برباط سلا لأول عبور له إلى الأندلس ، وتمادى به المرض حتى مات فى اليوم الثامن من جمادى الآخرة سنة ٥٥٨ هـ ، وبقى الملك فى عقبه حتى انقرضت دولتهم ودولة الموحدين أجمع سنة ٦٧٤ هـ ، ما أغنى عنهم اعتضادهم بجمع قبيل كومية الذى احتفلوا بمقدمه إلى مراكش قبل أكثرمن مائة سنة ، حافلة بالعبر والنذر.

(ولله عاقبة الأمور)

صدق الله العظيم

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٤ / ١٢ / ١٩٩٢

شاهدة عصر (٣٣)

د. بنت الشاطىء

عام اسبانيا وعبرة الأيام

حركة التحول على المنحدر

لم ينس التاريخ لمؤسس الدولة الموحدية «عبد المؤمن بن على الكومى، صاحب «المهدى بن تومرت» أن أجهض الرجاء الكبير الذى حققه «أمير المسلمين يوسف بن تاشفين» بالقضاء على ملك الطوائف واسترجاع هيبة الدولة الاسلامية فى جبهتها المغربية الاندلسية الموحدة، فلم تستكمل نصف قرن حتى خرج «عبد المؤمن » فى شيعة إمامهم المهدى المعصوم «محمد بن تومرت» على « امير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين» وابنه«تاشفين بن على» ثم دخل «عبد المؤمن» مراكش قاعدة دولة بانيها «يوسف بن تاشفين» فقبض على من فيها من المرابطين سنة٥٤١هـ . وقامت دولة الموحدين على انقاض دولة المرابطين التى حققت فى أقل من نصف قرن، الأمل الغالى فى وحدة الجبهة الاسلامية بالاندلس والمغربين الاقصى والاوسط

على أن التاريخ لا يفصل بين الانسان والزمان «وعبد المؤمن لم ينفرد بتوجيه حركة التاريخ ، بل إنه متاثر كذلك باحداث زمانه التى شارك فى صنعها، خاضع كذلك لتوجيه مؤثرات دفعته الى مجرى الحركة من حيث لم يتوقع ولم يحتسب، وفرضت عليه أن يشق طريقه فى دوامة الأعاصير الهوج، منجذبا إليها بمؤهلاته الفطرية التى يسرته لاداء دوره فى حركة التحول التاريخى، ولايملك ان يحيد عنه، لقد نشأ فى بيئة قروية متواضعة بقرية مغمورة من أعمال تلمسان بالمغرب الاوسط. والحقه ابوه بالمسيد من كتاتيب المنطقة . فحفظ القرآن الكريم وتلقى معارف اولية من علوم العربية والاسلام .واستجاب أبوه لطموحه فجهزه للرحلة إلى المشرق فى طلب العلم وغاية ما يطمح إليه أن ينتمى إلى اهل العلم. وفى الطريق، سمع فى مسجد فى (بجاية) «بالفقيه السوسى عالم المشرق والمغرب» وسار اليه عبد المؤمن فما كاد الفقيه السوسى «محمد بن تومرت» يلمحه فى حلقة درسه، حتى حاوره بعد الدرس، ودعاه الى المبيت عنده، فما أصبح من تلك الليلة الأولى فى ضيافة شيخه، إلا وقد انصرف عن الرحلة الى صحبة الامام المهدى المعصوم الذى اصطفاه ليتلقى اسرار دعوته ويخلفه فى نشرها والقيام عليها.

قامت دعوة الموحدين لتحقيق ماربها فى وراثة ملك الاندلس والمغربين بالسيف . وكانت فى حركة إمامها المهدى بن تومرت، دعوة دينية إلى مذهب له فى التوحيد بتاويل المتشابه من القرآن الكريم والحديث الشريف، والقول بعصمة الإمام وإنكار مذاهب اهل السنة كافة ولم يكن الظهور بمثل هذه الدعوة يسير المدخل محتمل القبول من المغاربة حملة مذهب الامام مالك إمام دار «الهجرة رضى الله عنه» وإنما تايد ابن تومرت بعصبيته فى قومه البربر المصامدة وادعى فيهم انه المهدى المعصوم، واهتزت الدعوة مع ذلك فى اواخر أيامه، مما دعا قائد جيشه «أبامحمد الونشريسى: البشير» الى اجراء امتحان (تمييز) تمحصيا لايمان الاتباع وكشفا للمنافقين والمستهزئين منهم، قبل مسيره بالجيش لغزو مراكش حيث لقيه المرابطون فى (موقعة البحيرة) من احواز مراكش فقتلوا البشير وكسروا جيش ابن تومرت كسرة فادحة نغصت عليه أيامه الاخيرة وشوشت عليه فكره وصحته فكان يكثر ان يسال : [ما فعل عبد المؤمن؟ فيقال له: هو على جواده الادهم قد احسن البلاء. فيقول : مابقى عبد المؤمن فلم يهلك احد.]!

وامر بقتلهما.
وفي سنة ٥٥٢هـ حمل إليه امير قرطبة المصحف العثماني الامام من جامع قرطبة، فاحتفل به عبدالمؤمن احتفالا مشهودا في مراكش وامر ببناء جامع الكتبيين بها وعاد فشغل بإفريقية والثائرين بها، وفتح « سوسة »ثم سار الى المهدية فحاصرها برا وبحرا حتى فتحها سنة خمس وخمسين وخمسمائة وكانت محتلة بالفرنجة لمدة اثنتى عشرة سنة

وفي هذه السنة بنى جبل طارق وكان يسميه (جبل الفتح)

وحدث في إحدى غزواته المتتابعة بافريقية، ان حاول بعض الموحدين اغتياله، فثقل عليه إحساسه بالغربة فيهم بعد عمر طويل من الجهاد والتعمير.

فيقول الناصرى في احداث سنة ٥٥٧هـ بعد الاشارة الى المحاولة الغادرة . [ورأى انه غريب بينهم ليس له قبيل يستند إليه ولا عشير يثق فيه ويعتمد عليه فارسل في خفية الى اشياخ كومية الذين هم قبيلته وعشيرته، وامرهم بالقدوم عليه وان يصحبوا معهم كل من يبلغ الحلم منهم، وياتوه في احسن زى واكمل عدة ، وسرب إليهم المال والكسوة فاجتمع منهم اربعون الفا ثم اقبلوا عليه بمراكش ، برسم خدمته والقيام بين يديه.... فلما نزلوا بوادى ام ربيع ورفع امرهم إليه، امر جميع الموحدين بالخروج لاستقبالهم والاحتفال بهم، ورتبهم في الطبقة الثانية من اهل الديوان، وجعلهم بطانته يركبون خلف ظهره ويمشون بين يديه إذا خرج ويقفون على رأسه إذا جلس فتايد بهم هو وبنوه سائر دولته الى انقراضها والله غالب على امره] .

وأن له أن يعبر الى الاندلس: برسم الجهاد وضبط الثغور. فاحتشد لذلك بإنشاء الاساطيل فتم له منها أربعمائة قطعة موزعة على ثغور المغربين وافريقية والاندلس وامر بضرب السهام في جميع بلاده فضربت له منها قناطير وخرج من مراكش في اوائل ربيع الاول سنة ٥٥٨هـ وعسكر برباط سلا فلما تكاملت الجنود والوفود ابتدأ به مرضه الذى توفى منه، فلما تمادى به المرض خشى ان يعجله الموت عن امر شاغل :هو الامر بعزل ولده «ابى محمد عبد الله» واسقاط اسمه من الخطبة لما ظهر له من عجزه عن القيام بامر الدولة، وتوفى بعد أيام في ثامن جمادى الآخرة سنة ٥٥٨هـ بعد اثنتين وثلاثين سنة من البيعة العامة له لم يدخر فيها جهدا في تاسيس دولة كبرى للموحدين شهد له المؤرخون فيها بانه كان فقيها عالما بالاصول والجدل، مشاركا في كثير من علوم الدين والدنيا، ذا حزم وسياسة وإقدام في الحرب وفي الملمات، ميمون النقيبة، محبا لاهل العلم والادب.

ومضى وفي نفسه هاجس أن يكون قد ترك دولة الموحدين ومذهبهم على حافة منحدر الهبوط فظهر من اليوم الاول لرحيله ان الامر ليس مجرد هاجس من هواجس الاحتضار بل حركة تحول خطير على المنحدر الصعب:

في الجبهة الاسلامية المغربية الاندلسية وفي جبهة الفرنج «الاسبانيول» تاثرا بواقع الجبهة الاسلامية وتاثيرا فيها .

كان عبد المؤمن قد خلع - وهو في مرض الموت - ابنه الاكبر عبد الله من ولاية عهده فبايع بعض أشياخ الموحدين ابنه ابايعقوب يوسف، وتوقف فيه ناس منهم، وامتنع عن البيعة أخواه صاحب بجاية وصاحب قرطبة، فبقيت الدولة مدة سنتين بغير سلطان الى ان اتفقوا على بيعة ابى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن في سنة ٥٦٠هـ وبقى الملك في بنى عبد المؤمن لم يخرج عنهم الى

حتى مات المهدى المعصوم فى شهر رمضان المعظم سنة ٥٢٤هـ وترك لخليفته عبدالمؤمن الكومي» تصفية المرابطين وإقامة دولة الموحدين بالسيف.

ولم يكن عبد المؤمن من المصامدة قبيلة ابن تومرت، فاحتاج الى أن يقتصر على بيعة سرية ممن معه من (الاصحاب العشرة) وفى رواية ابن خلدون أنهم [كتموا موت المهدى مدة ثلاث سنين اتقاء سخط المصامدة لبيعة من ليس منهم. وكانوا يموهون على الناس بمرضه ويقيمون فيهم سننه، ويدخلون الى بيته ويخرجون منه كانه اختصهم بعيادته، ويتفاوضون فى شئونهم ثم يخرجون لإنفاذ ما ابرموه، يتولى ذلك الصاحب عبد المؤمن. حتى استحكم امرهم فكشفوا القناع واظهروا موت المهدى وعهده لصاحبه عبد المؤمن وشهد شاهد منهم أنه سمع المهدي المعصوم يقول فى دعائه وفى صلاته: اللهم بارك فى الصاحب الافضل] .

وتمت البيعة العامة له بعد ثلاث سنين ، ولقب بعدها بامير المؤمنين. فكان همه الاول بعد البيعة العامة ان يفتح المغرب ويأخذ مدائنه وحصونه وثغوره من ايدى المرابطين غصبا، لتكون (فتوحاته) دعامة دولته[فغزا نواحى المغرب غزوته الطويلة التى مكث فيها سبع سنين، من شهر صفر سنة٥٣٤هـ فلم يزل يتقرى بلاد المغرب ويفتح معاقلها ويستنزل حماتها ويذلل صعابها إلى سنة ٥٤١هـ هلك خلالها «امير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين، وابنه امير المسلمين تاشفين بن على» واستولى عبد المؤمن على المغربين .

قال ابن خلدون بعد ذكر تلك الغزوة الطويلة:

[واشتعلت نار الفتنة واشتد الغلاء بالمغرب، والح طاغية الإسبنيول على المسلمين بالاندلس فارجأ امير المؤمنين الخروج إليهم ريثما يستوثق له أمر المغرب] وعهد بالاندلس الى بنيه وقادته فكان اول فتح لهم بلدة «شريش»حيث خرج إليهم أميرها فى حاشية من المرابطين فبايعوا عبد المؤمن فى ذى الحجة سنة ٥٣٩هـ فكانوا « السابقين الاولين) ثم زحفوا الى :لبلة وشلب، وباجه، وبطليوس؛ فانتزعوها من أيدى المرابطين. وحاصروا «اشبيلية» برا وبحرا الى ان فتحوها فى شعبان سنة٥٤١هـ وخرج وفد من اعيانها، يتقدمهم القاضى أبو بكر ابن العربى الاشبيلى، فقدموا على امير المؤمنين للبيعة والتهنئة ،وفى استقباله إياهم سال القاضي ابابكر بن العربى[إن كان فى رحلته الطويلة الى المشرق قد لقى الامام محمد بن تومرت عند الامام ابى حامد الغزالى؟ فقال : القاضي : مالقيته، ولكن سمعت به. قال عبد المؤمن : فما كان ابوحامد يقول فيه ؟

قال القاضى :كان يقول : إن هذا البربرى لابد ان يظهر.]..

وجاءه وفد «قرطبة» فى مستهل المحرم سنة٥٤٦هـ فبايعوه وشكوا إليه ماتلقى قرطبة واهلها من وطاة الفرنجة، فهم بالتوجه اليها لولا ان بلغه اضطراب الامر ثانية فى إفريقية، فتابع التجهز والمسير مظهرا انه قاصد الى الاندلس .واتجه الى (بجاية) فمر بالجزائر على حين غفلة من اهلها، وانتزع (قلعة حماد) عنوة وامتلات أيدى الموحدين بالغنائم. وبعدها فى سنة ٥٤٨هـ بايع له صاحب قسنطينة ونزل له عنها.

فى السنة التالية اخذ أمير المؤمنين البيعة بولاية العهد لاكبر بنيه «أبى محمد عبدالله» وأمر بان يذكر معه فى الخطبة وعقد لإخوته على نواحى مملكته، فلم يلبث ان امتحن بخروج « عبد العزيز ، وعيسى: اخوى المهدى بن تومرت » ووثوبهما على عامله بمراكش وقتله. فقبض عليهما «عبد المؤمن»

سواهم حتى انقرضت دولتهم سنة٦٧٦هـ فكان الصراع فيها على الملك بين الولد وابيه وعمه، وبين الاخ واخيه، يخرج بعضهم على بعض ويهلك بعضهم بعضا، ويستنصرون على أهلهم بالفرنجة مقابل التنازل لهم عما يختارون من مدائن وقلاع وثغور، ففتحوا بذلك جبهة جديدة الى ميدان الصراع بين من بقوا على ولائهم للمرابطين ومن داروا مع الريح فبايعوا الموحدين وآخرين مذبذبين بين هؤلاء وهؤلاء إضافة الى شيع المريدين أتباع من يظهرون فيهم بالولاية، وأصحاب ثارات من لايحصون عدا من مئات الألوف ، صرعى الفتن والبغى، وضحايا سعار شهوة الغلبة والسلطة.

★★★

ولقد ظهر فى بنى عبد المؤمن رجال عظام كان لهم - بلاريب - دورهم فى تماسك البنيان الشامخ بقدر ما اسعفت عليه الظروف والوسائل، دون أن تتخلف السنن الثابتةلمصاير الافراد والجماعات والدول.

منهم أبو يعقوب، يوسف بن عبد المؤمن صاحب (وقعة الجلاب) الظافرة بالاندلس(٥٦٠هـ) وبانى جامع اشبيلية (٥٦٧هـ)، وكان رحمه الله فقيها حافظا حكيما اعرف قومه بالعربية، شديد الملوكية، ضابطا لخراج المملكة وسياسة الرعية ، حتى مات بالجزيرة الخضراء سنة٥٨٠هـ من طعنة نافذة اصابته فى اخر جولة له بالاندلس.

ومنهم ابنه وخليفته «يعقوب المنصور» أعظم ملوك الموحدين على الاطلاق الذى جدد العهد بامير المسلمين يوسف بن تاشفين وطاعت لة الامة لما نعمت به فى عهده من عدل ولمخ ،ورخاء قاد موقعة (حصن الارك) التاريخية بالاندلس التى يقترن ذكرها بموقعة (الزلاقة) ليوسف بن تاشفين. وبنى الجامع الاعظم بمراكش والمسجد الاعظم بطالعة سلا واختط مدينة (رباط الفتح) سنة٥٩٣هـ وضبط الثغور وحصن البلاد وبنى المساجد والمدارس والمستشفيات وحفر الآبار للماء فى البرية وأجرى المرتبات على الفقهاء واهل [العلم، فكانت ايامه زينةللدهر وشرفا للاسلام واهله ،وكان من اصدق الناس لهجة وفراشة، مجربا للأمور رفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل واقام الحدود فى أهله وعشيرته الاقربين مثلما اقامها فى سائر الرعية أجمعين، .وكان ملكا جوادا ورعا متقشفا، فبلغ من تعلق العامة به ان مات فلم يصدقوا ناعيه وشاع فيهم انه ترك ماكان فيه وتجرد وساح فى الارض ، [وعند علماء المغرب انه توفى رحمه الله فى الثانى والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ٥٩٥هـ ودفن بمراكش ، وانما كذب العامة بموته ولوعا فيه فزعموا انه ساح فى الارض.]

....

ولم يخلف فى الموحدين مثله.وقضت السنن الثابتة بان تعيش دولتهم على رمق من بذله ومآثره أطال عمرها ثمانين عاما بعده، كانت فى الواقع التاريخى تحركا على المنحدر .وتحولا حتميا فى جبهة الفرنجة الى معركة حاسمة، شعارها (استرداد الأندلس)

(ولله عاقبة الأمور.) صدق الله العظيم

قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٣١ / ١٢ / ١٩٩٢

شاهدة عصر (٢٤)

د. بنت الشاطىء

عام اسبانيا وعبرة الأيام

رسالة الإسلام الحضارية وحركة الاسترداد

من القرن السابع للهجرة ،الثانى عشر للميلاد ، بدا بوضوح أن الجبهة الإسلامية بالأندلس أخذت تنحرف عن رسالة الاسلام الحضارية التى هى مناط شرعية وجودها . وفى غيبة الوعى بهذه الشرعية تضل الرؤية لوضع المسلمين فى الأندلس فيبدون أشبه بأفواج المهاجرين من شتى الاقطار الاوروبية إلى امريكا فى العصر الحديث هربا من بؤس الأوضاع الاقطاعية والتماسا لحياة جديدة فى الأرض الجديدة فما لبثوا أن اغتصبوها من أهلها الهنود الحمر وتسلطوا عليهم بحرب تطهير عرقى وعامة المثقفين لايجهلون أن حضارة الاسلام بالاندلس هى التى اضاءت للغرب الاوربى ظلمات عصوره الوسطى وحدت مسراه إلى فجر الاحياء والبعث. لكنهم لا يعلمون بالضرورة أن هذه الحضارة كانت رسالة الاسلام فى الفتوح الاسلامية .

واذ اعتز بالولاء للاسلام وشرف الانتماء إليه عقيدة وشريعة ومدرسة ومنهاجا، لا استبعد احتمال أن أكون مظنة تعصب فيما أكتب عن الرسالة الحضارية للاسلام ، فاوثر أن أردد ههنا شهادة المؤرخ الفرنسى العلامة « الأستاذ جوستاف لوبون » المشهود له بصحة المنهج ونزاهة الفكر ورسوخ العلم بتاريخ الاديان والحضارات . قال فى تفسيره لعظمة الفتوح الاسلامية : إن الاسلام لم يتجه إلى القهر بالسيف وحمل الشعوب على الدخول فيه بالاكراه ، بل اتجه إلى شعوب مسحوقة بوطأة الدولتين العظميين فى صراعهما المسعور على مناطق النفوذ والاستغلال . وقد انهكتهما . قبل ظهور الاسلام. الحروب الطاحنة وهدتهما أمراض الشيخوخة ، وقامت الدولتان على القهر والاكراه الدينى ، وما يتجم عن فقدان المثل العليا من خلل فى موازين القوى . وقضت سنن الحياة وقوانين الاجتماع أن تقوم امة فتية مؤمنة بالمثل الأعلى ترد إلى القيم المعنوية اعتبارها المهدر .

ويشهد مؤرخو الحضارات والاديان أن الاسلام من بالمثل الأعلى على شعوب امته ، ووجهها إلى مصالح وامال مشتركة جمع بينها تجانسا وتكافلا وتالفا على تفاوت الأجناس والعروق والألوان والطبقات ، فكانت كتائب الفتوح رسل حرية تدين واحترام لمعتقدات غيرهم

وللفتوح الاسلامية طابع خاص فريد ، هو أن الفاتحين غيرهم استطاعوا إقامة دول عظمى لكنهم لم يؤسسوا حضارة ، خلافا للفاتحين المسلمين الذين ابدعوا حضارة رائدة ، فلم يكد القرن الأول للهجرة ينتهى حتى كانت راية الاسلام تخفق . على دولته العظمى . من الهند إلى المحيط الأطلسى. وكانت اسبانيا إحدى الممالك النصرانية فى أوروبا داخلة فى دولة الاسلام. ويرى المحقق البصير أن الامامة الثقافية ورسالة التمدن فيها كانت للعرب المسلمين ، حين كانت اسبانيا ذات رخاء قليل وثقافة فجة تلائم الاجلاف القوط ، ولم ولم يكد العرب المسلمون يتمون فتح اسبانيا حتى بداوا يقومون برسالة الحضارة فيها ، فاستطاعوا فى اقل من قرن أن يحيوا ميت

الأهرام
مركز الدراسات والتوثيق والمعلومات
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ ٣١ / ١٢ / ١٩٩٢

الاراضى ويعمروا خرب المدن ويشيدوا افخم المبانى ويوطدوا وثيق الصلات التجارية بالامم الاخرى . ثم تفرغوا لدراسة العلوم والآداب وترجمة كتب اليونان واللاتين، وإنشاء الجامعات التى ظلت وحدها ملجا للثقافة والعلم فى اوروبا زمنا طويلا ... فاستطاعوا ان يحولوا اسبانيا ماديا وثقافيا وحضاريا فى بضعة قرون ، وأن يجعلوها على راس جميع الممالك الاوروبية . كما اثروا فى الاخلاق ، فهم الذين علموا الشعوب النصرانية - أو حاولوا أن يعلموها التسامح الذى هو اثمن ما تصبو إليه الانسانية] ...

عند جمهرة العلماء الأوربيين ان الحضارة الاسلامية بالاندلس بلغت اوج ازدهارها فى القرن الرابع للهجرة [.. ففى ذلك القرن ، كانت دولة الخلافة بالعراق قد استقلت عنها دول كثيرة ، وصارت مصر قاعدة الخلافة ، كما صارت اسبانيا اشهر مركز للحضارة ، وكانت جامعات الاندلس فى طليطلة وغرناطة وقرطبة ، مقصد طلاب العلم من اقطار الارض ، ومنها اوروبا النصرانية] وأراهم ناظرين فى ذلك إلى حضارة دولة الخلافة الأموية ، قبل أن تمزقها ملوك الطوائف فى القرن الخامس .

وقد ارى ان ضياء الحضارة الاسلامية ظل يشع إلى القرن السابع ، وإن خالطته ظلال من شوائب الانحراف عن رسالة الإسلام الحضارية . ويضيق المجال ههنا عن تتبع معالم الحضارة الإسلامية بالاندلس من القرن الخامس فما بعده. وأحاول مع ذلك، التركيز على شواهد منها، مع إشارات إلى شوائب الانحراف وما سايرها، من قريب أو بعيد، من تحرك فى جبهة الفرنجة لاسترداد الاندلس.

★★★

وأبدا بقيام ملوك الطوائف فى القرن الخامس، فالذى لاشك فيه انهم بتقاسمهم دولة الخلافة الاموية بالاندلس ، أحدثوا صدعا خطيرا فى بنيان الدولة الإسلامية بالاندلس، حاولت صليبية اسبانيا ان توغل فيه، لولا ان تداركه "امير المسلمين يوسف بن تاشفين البربرى الصنهاجى" فكانت مواقفه وشخصيته ومأثره شواهد وعى لرسالة الإسلام الحضارية، بقدر ما كان موقف ملوك الطوائف شواهد انحراف عنها يترصدها الفرنج الذين يظاهرون من ملوك الطوائف من يستجير بهم نظير ضريبة سنوية يؤديها كل امير إلى من يحميه من ملوك الفرنج. وكانت هذه الضريبة تاخذ صفة الصفقة دون ان تدعى حماية وطن أو حمية لدين. فلما ضم "المعتمد بن عباد: صاحب اشبيلية"

إمارة قرطبة إلى ملكه تمادى "الأذفونش" في التسلط عليه فكتب إلى "امير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك المغربين الأقصى والاوسط يستغيث به وينبئه [إن طاغية الاسبنيول قد تحرك في هذه السنة - ٤٧٥ هـ - يسقط على كل بلد بالاندلس. فيفسد ويخرب ويقتل ويسبى ثم يرتحل إلى بلد غيره وانه قد سار حتى بلغ جزيرة طريف فادخل قوائم فرسه في البحر وقال: هذا آخر بلاد الأندلس قد وطئته]

وقبل ان يستجيب له امير المسلمين، سقطت "طليطلة سنة ٤٧٧ هـ، فضرى طمع الطاغية، واتفق ملوك الطوائف - بعد تردد - على ان يبعثوا إلى امير المسلمين لينقذهم من وطاة العدو

وفى رواية [إن المعتمد كان قد أخر الضريبة عن قتها ثم ارسلها إليه، فغضب واشتط وطلب بعض الحصون معها، وأمعن فى التجنى حتى طلب ان تاتى زوجته - وكانت حاملا - إلى الجامع الأعظم بقرطبة فتلد فيه..

ونهض ابن تاشفين إلى الاندلس فى جوازه الاول، فلقى جيوش الفرنج فى (موقعة الزلاقة) التاريخية فى منتصف شهر رجب سنة ٤٧٩ هـ. فكسرهم كسرة فادحة اقعدتهم عن العدوان والفساد فى ارض الاندلس حتى كان "المعتمد بن عباد "، صاحب اشبيلية، هو الذى استنجد بهم وعرض عليهم صفقة خاسرة حملت أمير المسلمين على نفيع إلى (اغمات)

وفى تاريخ ابن خلدون) ان أمير المسلمين لما اجاز إلى الاندلس الجواز الثانى سنة ٤٨٦ هـ تثاقل أمراء الطوائف عن لقائه لما احسوا من نكيره عليهم لما يسومون به الرعايا من الظلامات والمكوس وتلاحق المغارم، فوجد عليهم وامر برفع المكوس وتحرى العدالة.. وتوافق ملوك الطوائف على قطع المير عن عساكر أمير المسلمين ومحلاته، فساء نظره فيهم وافتاه الفقهاء وأهل الشورى من المغرب والأندلس بخلعهم وانتزاع الامر من أيديهم..

وتعقب أمير المسلمين وقادته، ملوك الطوائف حتى أخرجوهم من ملكهم واحدا بعد الأخر، قال الناصرى فى (الاستقصا):[وانتظمت بلاد الاندلس فى ملك يوسف بن تاشفين، وانقرض ملك الطوائف منها اجمع كان لم يكن]

توفى رضى الله عنه (سنة ٥٠٠هـ) وبويع ابنه "ابو الحسن على" بعهد من ابيه،[والبلاد ساكنة والاموال وافرة والرعايا امنة بانقطاع الثوار واجتماع الكلمة، وسلك طريقة ابيه فى جميع اموره واهتدى بهديه] وكانت ايامه امتدادا لعهد ابيه. حتى ظهر "المهدى بن تومرت" بالمغرب فى العقد الثاني من القرن السادس فملأ الآفاق المغربية دويا، وهز الاندلس وسقطت "سرقسطة" بعد حصار منهك لم تدركها فيه نجدة امير المسلمين "على بن يوسف بن تاشفين" من المغرب.

وفى حروبه للمهدى وفتنته، تابع قائد الفرنج تحركه فتغلب على شرق الاندلس، وتملك (قلعة ايوب) المنيعة، وبدا كانه يتحرك لمعركة استرداد الأندلس فولى امير المسلمين ابنه "تاشفين بن على" امور الاندلس فى سنة ٢٥٠، فانتصر على الفرنج فى وقعة (فحص الضباب) ثم استقدمه ابوه من الاندلس ليكون معه فى مدافعة "عبدالمؤمن بن على" صاحب ابن تومرت وخليفته. حتى توفى أمير المسلمين على بن يوسف سنة ٥٣٩ هـ، وتابع ابنه "تاشفين" مدافعة عبدالمؤمن فى جيوش الموحدين حتى وقع صريعا، بوهران سنة ٥٣٩ هـ.

وانتهت دولة المرابطين..

[وكانوا اهل ديانة وصدق ونية خالصة وصحة مذهب . وخطب لهم على اكثر من الفى منبر. وكانت أيامهم ايام دعة ورفاهية ورخاء متصل وعافية وامن.. واحبهم الناس، إلى أن خرج عليهم محمد بن تومرت، مهدى الموحدين .

★★★

من سنة ٥٤١ هـ إلى سنة ٥٨٠، كان السلطان المؤسس لدولة الموحدين "عبدالمؤمن بن على، ثم لولده يوسف" لم تخل سنة فيها من ثورات وفتن، تمادى فيها الثائرون والمغامرون فى الاستعانة بالفرنج فى صراعهم المسعور على الغلبة والوثوب إلى الحكم، وما لابس ذلك من انحراف عن

قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٣١ / ١٢ / ١٩٩٣

رسالة الإسلام الحضارية، وما استنفد من طاقات الجبهة المغربية الاندلسية فى مقاومة لعنة هذا الوباء. وكان الوعى العام برسالة الإسلام الحضارية يفرض وجوده على مؤسسى الدولة فى أعقاب الانقلاب من دولة المرابطين إلى الموحدين:

فى عهد عاهل الموحدين "عبدالمؤمن بن على (٥٤١ - ٥٥٨ هـ) تحررت المهدية - الثغر الافريقى - من احتلال نصارى صقلية لها، لمدة اثنتى عشرة سنة. ويذكر التاريخ لامير المؤمنين عبدالمؤمن، ان من على فلول المهزومين - وفى رواية انهم كانوا خمسة آلاف رجل، وزودهم بسفن تحملهم إلى صقلية، ومن آثاره العمرانية والحضارية، بناء (رباط تازا) وجامع الكتبيين بمراكش، وجبل طارق وتشييد حصنه، وإنشاء أعظم الاساطيل الجهادية فى زمانه.

وقد امسكته شواغل الفتن فى المغربين عن الجهاد فى الاندلس، فعهد به إلى بنيه وقادته، ثم احتشد للعبور إلى الاندلس فادركته المنية فى (سلا) سنة ٥٥٨ هـ، والجبهة الإسلامية مشحونة بنذر الفتن والثورات، وخلفه ابنه "الامير يوسف" بعهد منه، [فكان أول شئ فعله تسريح الجيوش المجتمعة فى سلا إلى قبائلهم، وكتب إلى البلاد بتسريح المساجين] ثم

نهض الامير يوسف إلى الاندلس فنزل باشبيلية، وخرج منها فحاصر بلدا مما استولى عليه الفرنج، وطال الحصار واشتد باهله العطش، فحدث ان سمع الامير لغطا وجؤارا من المحاصرين، وتبين انهم اجتمعوا بأسرهم يدعون الله تعالى، فأغاثهم مطر غزير ملأ ما كان لديهم من صهاريج فخشع الامير للموقف، وانصرف عنهم بهدنة لسبع سنين. ثم بلغه خروج طاغية الفرنج إلى بلاد المسلمين، فنهض إليه وأوقع به. وأقام فى الانتدلس خمس سنين، بنى خلالها (جامع اشبيلية) وتحصينها الداخلية، وشد الجسور وحصن الثغور، ثم رجع إلى مراكش فى سنة ٥٧١ هـ، وخرج إلى افريقية ففتح وضبط وشيد وعمر، ثم عاد إلى مراكش حتى جاءته الأنباء بان "اذفونش بن سانجه" اغار على المسلمين سنة ٥٧٧ هـ فنازل (قرطبة) وشن الغارات على جهات (مالقه ورنده وغرناطة، ثم نزل (استجة) وتغلب على حصن فاسكن به النصارى وانصرف. فاحتشد الامير يوسف اجوازه الثانى إلى الاندلس، فسار إلى اشبيلية وخرج منها إلى مدينة (شنترين) من غرب الأندلس وشدد عليها الحصار، حتى أصابته طعنة نافذة توفى منها فى العاشر من شهر ربيع الأخر سنة ٥٨٠هـ.

من خلال النقع المثار من الفتن والثورات، كان يلوح من جبهة الفرنج وميض غارات مشوبة بنزعة صليبية، لولا ان صنع الله للأمة. بخلافة "يعقوب المنصور بن يوسف بن عبدالمؤمن" وكان مرهف الوعى برسالة الإسلام الحضارية.

بدأ عهده بإصلاح ماضطرب من شئون افريقية والمغربين، فاستجاب لرجاء كبير قادة الفرنج فى هدنة لخمس سنين، تفرغ فيها للإصلاح والتعمير وضبط الثغور وتحصين البلاد، وبناء الجوامع والمدارس والمستشفيات والصوامع والجسور والقناطر، واقام الحدود فى اهله، وعشيرته الاقربين كما اقامها فى سائر الرعية، وكان متمسكا بالشرع، وشهد مؤرخو الإسلام بانه [كان زينة للزمان وشرفا للإسلام واهله] ويروى "ابن خلكان: ان "القونش صاحب طليطلة" تهيب يعقوب المنصور فساله فى هدنة لخمس سنوات. فلما اوشكت على الانقضاء ولم يبق منه إلا القليل خرجت طائفة من الفرنج فى جيش كثيف إلى بلاد المسلمين فنهبوا وسلبوا وعاثوا فى الديار وأكثروا فيها الفساد. وتمهل المنصور يحتشد لهم ريثما انقضت الهدنة، وبلغ الفرنج خروجه إليهم فجمعوا له من اقاصى بلادهم وأدانيها فاتفق ان مرض المنصور فى مركز التعبئة برباط (سلا) مرضا شديدا حمل منه إلى مراكش فطمع فيه مجاوروه وأغاروا على الاطراف، كما طمع فيه الفرنج الاسبنيول، واقتضى الوضع تفريق

جيوش المنصور لمدافعة هؤلاء وهؤلاء شرقا وغربا، فضرى طمع الاذفونش وبعث إليه كتابا يهدده ويتوعده ويطلب بعض الحصون المتاخمة له، فلما وصل كتابه إلى امير المؤمنين مزقه وكتب على ظهر قطعة منه :("ارجع إليهم فلناتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون") الآية. ثم كتب:

الجواب ماترى لا ماتسمع

وخرج من مراكش فعبر من الجزيرة الخضراء إلى موضع (حصن الارك) مجمع عساكر الفرنجة، وعندما اقترب يوم الملحمة، تقرب إلى الله تعالى بافضل القربات، وتحلل من المسلمين معه ان يغفروا له ماعسى ان يكون صدر منه، فبكوا و... وبات ليلته يصلى ثم أصبح فواجه حشود الفرنجة يضيق عنها المتسع، بقيادة ثلاثة من ملوكهم، ودارت الملحمة فى ربيع الأول سنة ٥٩٢ هـ فانكسر الفرنج وولوا الادبار عن سلاحهم وزادهمونخائرهم .

من اثار "يعقوب المنصور" الباقية:

بناء قصبة مراكش، وجامعها الاعظم، ومنار (جامع الكتبيين) بها. واسس مدينة (رباط الفتح) والمسجد الاعظم بطالعة (سلا) وجامع حسان، ومناره الفريد، وجامع اشبيلية..

والفرنج يترصدون متهيبين، والمعالم العمرانية بالإسلامية بالاندلس تشحذ شهوتهم لامتلاكها فيقبحها الوعى برسالة الإسلام الحضارية. وقد زودت ايام "يعقوب المنصور" الجبهة الإسلامية بمدد لما تستقبل من عهود بائسة كريهة بقى ملك الموحدين فيها ثمانين سنة بعده اجتاح فيها الفرنج قلعة رباح الحصينة ثم كسروا جيش "الناصر محمد بن يعقوب المنصور" فى وقعة العقاب سنة ٦٠٩ هـ، وهجم نصارى جنوة على (سبتة) وحاصروها برا وبحرا حتى صالحهم أهلها على اربعمائة الف دينار.

وفى (سنة ٦٣٦ هـ - ١٢٣٨م) استولى الفرنج على (قرطبة) حاضرة الدنيا، وانتقل كرسى المملكة الإسلامية بالاندلس إلى (اشبيلية) حتى اخذها طاغية قشتالة صلحا (سنة ٦٤٥ هـ - ١٢٤٨م) بعد أن حاصرها حولا وخمسة أشهر.

وانتقل كرسى المملكة إلى غرناطة فى دولة بنى الاحمر،وانتهت دولة الموحدين (سنة ٦٧٤ هـ - ١٢٧٥م) وقامت دولة بنى مرين ملوك فاس، ومؤشر الاحداث قد اتجه إلى (غرناطة) اخر قلاع المسلمين بالاندلس، و(بنى الاحمر) الذين وقعوا وثيقة تسليمها لصاحب قشتالة، بيد السلطان ابى عبدالله ابن الاحمر، فى اليوم الثانى من شهر ربيع الأول من (سنة ٨٩٧هـ - ١٤٩٢م)

(ولله عاقبة الامور)

Bibliotheca Alexandrina
0797895